

العقيدة الإسلامية
ومذاهبها
تأليف
الأستاذ الدكتور
قحطان عبد الرحمن الدوري
كلية الشيخ نوح القضاة للشريعة والقانون
جامعة العلوم الإسلامية العالمية
عمان - المملكة الأردنية الهاشمية
طبعة جديدة مزيدة ومنقحة
BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون

AL-'AQIDA AL-ISLĀMIYYA WA MADĀHIBUHĀ

العقيدة الإسلامية ومذاهبها

Author : *Prof. Dr. Kahtan Abdul-Rahman Al-Douri*

المؤلـف : الأستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري

Classification : *Islamic Doctrine*

التصنيـف : عقيدة إسلامية

Year : *1437 H. - 2016 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

Pages: *816*

عدد الصفحـات : ٨١٦

Size : *17 × 24 cm*

القيـاس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنـان

Edition : *Fifth edition of Books-Publisher and Sixth of this book*

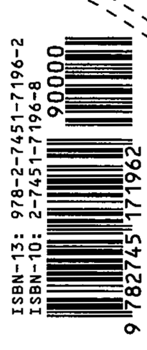
الطبعة : الخامسة عن كتاب ناشرون والسادسة من هذا الكتاب

ISBN : *978-2-7451-7196-2*



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

1437 H. - 2016 A.D



العقيدة الإسلامية ومذاهبها

تأليف

الأستاذ الدكتور
قحطان عبد الرحمن الدوري
كلية الشيخ نوح القضاة للشريعة والقانون
جامعة العلوم الإسلامية العالمية
عمان - المملكة الأردنية الهاشمية

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة



BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون | بيروت - لبنان Beirut-Lebanon

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ
غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾



مُقَدِّمَة الطَّبْعَة السَّادِسَة

الحمدُ لله رَبِّ العالَمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ علىٰ رَسُوْله الكَرِيْم، وعلىٰ آله وصَحبه أجمعين، إلىٰ يوم الدِّيْن.

نَفِدَت الطَّبْعَة الخامسة من هٰذَا الكتاب، بعد أن تَقَرَّرَ كتاباً مَنْهَجِيّاً في جَامِعَات عديدة في العِرَاق، والمَمْلَكَة الأُرْدُنِّيَّة الهَاشِمِيَّة، وغيرهما.

لذٰلِكَ رأيتُ إعادة طباعته للمرة السادسة مع تَنْقِيْحَات يَسِيْرَة، ابتغاءَ توفيره للقارئ الكَرِيْم.

أسأله تعالىٰ أن يجعله خالصاً لوجهه الكَرِيْم، إنه سَمِيْع مُجِيْب الدُّعَاء.

عَمَّان المَحرُوْسَة

١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م

الأُستاذ الدكتور

قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ

كُلِّيَّة الشَّيْخ نُوْح القُضَاة للشَّرِيْعَة والقَانُوْن

جَامِعَة العُلُوْم الإسلَامِيَّة العَالَمِيَّة

عَمَّان - المَمْلَكَة الأُرْدُنِّيَّة الهَاشِمِيَّة



مُقَدِّمَة الطَّبْعَة الثَّانِيَة

الحمدُ لله رَبِّ العالَمين، والصَّلَاة والسَّلَام علىٰ رَسُوْله الكَرِيْم، وعلىٰ آله وصَحبه أجمعين.

نَفِدَت الطَّبْعَة الأُوْلَى من هٰذَا الكتاب، الذي اعتُمد في تدريس العَقِيْدَة الإسلامِيَّة ومَذَاهِبها في جَامِعَة آل البَيْت وغيرها. وكانت طباعتها بحرفٍ شكا إلَيَّ بعضُهم صعوبة قراءته لصغره.

فرأيتُ أَن تكونَ طبعته الثانية بحرفٍ أكبر، مع إجراء تَنْقِيْحَاتٍ عليه، تلبيةً لحاجة أبنائنا الطلبة والقُرَّاء الكرام.

أرجو اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ أن يجعله خالصاً لوجهه الكَرِيْم، إنَّه سَمِيْع مُجِيْب الدعاء.

وأَخِيْراً:

فإن الشكر مَوْصُوْل لوَلَدِي العَزِيْز المُدَقِّق (**يَعْلَىٰ**) الطَّالِب في مَرْحَلَة الدراسات العليا، قسم الفِقْه وأُصُوْله، الذي بذل غَايَة جهده في إِخْرَاجِ هٰذَا الكتاب بهٰذِهِ الحُلَّة القَشِيْبَة، واخْتِيَاره الحرفَ الجميلَ، ومتابعة طباعته.

أَتَمَنَّىٰ علىٰ الله عَزَّ وجَلَّ أن يُوَفِّقَهُ لخِدْمَةِ دِيْنِهِ وأُمَّتِهِ، آمين.

عَمَّان المَحرُوْسَة

١٤٣١هـ=٢٠١٠م

الأُستاذ الدكتور

قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ

كُلِّيَّة الشَّرِيْعَة والقَانُوْن – جَامِعَة العُلُوْم الإسلامِيَّة العَالَمِيَّة

عَمَّان – المَمْلَكَة الأُرْدُنِّيَّة الهَاشِمِيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة الطَّبْعَة الأُوْلى

الحمدُ لله رَبِّ العالَمين، والصَّلَاة والسَّلَام علىٰ سَيِّد المُرْسَلين، وعلىٰ آله وصَحبه الغُرِّ المَيَامِيْن، ومَن تَبِعهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّيْن.

جاءتِ الأَديانُ السماوية لِتُنقِذَ العقلَ الإنساني من مهاوي الضلالة، ودياجير الظلام. وجاء الإسلام خاتمة الشرائع، دِيْناً فيه صَلَاح النفوس وراحة القلوب وانتظام العالم.

لذٰلِكَ تَكفَّل ببَيَان الأُمور التي من شأنها أن تُنَظِّمَ حياةَ الإنسان من جوانبها الثلاثة:

١- **الأُصُوْل الاعْتِقَادِيَّة**، وغايتُها إثباتُ العَقِيْدَة الإسلامِيَّة، بإيراد الحُجَج عليها من الأَدِلَّة اليقينية، ودفع الشُّبَه عنها.

٢- **المبادئ الأخلاقية**، وغايتُها نشرُ الفَضَائِل والبعدُ عن الرذائل، بغرس الصفات التي تصدر عنها الأفعال الخَيِّرَة في النفوس، من: الأمانة، والوفاء، والصدق، والعَدْل، والتواضع، والتسامح، والتعاون، والتحابب... إلخ.

٣- **الأَحْكَام العَمَلِيَّة**، وغايتُها تنظيمُ المجتمع في أحواله كلها، في كل زمان ومكان، بتنظيم عَلاقة الإنسان بخَالِقه في النِّظَام الروحي، وعَلاقة الإنسان بأخيه الإنسان في النِّظَام الاجتماعي، وعَلاقة الإنسان بالمال في النِّظَام الاقْتِصَادِيّ، وعَلاقة الإنسان برئاسة الدولة في النِّظَام السياسي... .

وبذٰلِكَ يكون الإسلام بعَدْله ورحمته قد شمل جميع مناحي الحياة الدنيوية

والأُخروية. وهٰذَا مصداق قوله تعالىٰ في رَسُوْله الكَرِيْم ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ - الأنبياء ١٠٧.

وموضوع كتابنا هٰذَا هو الجانب الأول (علم العَقِيْدَة الإسلامِيَّة) الذي يُعنىٰ بدراسة: الإلٰهيَّات، والنَّبَوِيَّات، واليَوم الآخِر، ومَذَاهِب المُسْلِمِيْن فيها.

وقد سَمَّىٰ عُلَمَاء الكلام هٰذَا الجانبَ (أُصُوْل الدِّيْن)، لأنه أَصل للمَعَارِف الدِّيْنِيَّة الأُخرىٰ من المبادئ الأخلاقية والأَحْكَام العَمَلِيَّة.

وقد وقف المتكلمون طَوِيْلاً عند نصوص القُرْآن الكَرِيْم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة الوَارِدَة في بَيَان العَقَائِد، واختلفوا في فهم بعض النصوص، وكان هٰذَا من أسباب ظهور مَذَاهِب مُخْتَلِفَة في تاريخنا الإسلامِيّ من: خَوَارِج وشِيْعَة ومُرْجِئَة وجَبْرِيَّة وقَدَرِيَّة ومُعْتَزِلَة وأَشَاعِرَة ومَاتُرِيْدِيَّة وسَلَفِيَّة... .

وكان من مَنْهَج الكُلِّيَّة أن يَدرُس الطَّالِب هٰذَا الفكرَ الإسلامِيّ العَقَدِيّ، ومَذَاهِبَهُ التي ظهرت منذ صدر الإسلام.

فدعاني هٰذَا إلىٰ تأليف كتاب في (**العَقِيْدَة الإسلامِيَّة ومَذَاهِبها**) يُلَبِّي متطلباتِ المَنْهَج المقرر، يقفُ به الطَّالِب علىٰ أرض صلبة في ميادين الصراع الفكري في عالم اليوم، حيث يفهم به عقيدتَه الحقة بأدلتها اليقينية، ويدرك المَذَاهِبَ الإسلامِيَّة المُخْتَلِفَة فيها، ليذبَّ عنها الشبهات وما يثار حولها من دعاوىٰ.

من أجل هٰذَا اشتمل الكتاب علىٰ **سبعة فُصُوْل:**

الفصل الأول: مدخل إلىٰ العَقِيْدَة الإسلامِيَّة، فيه: تعريفها، وأهميتها، وخصائصها، وأَدِلَّة إثباتها، ومَنْهَج القُرْآن الكَرِيْم في عرضها، وحالة العَقَائِد زمن الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ وبعده.

والثاني: المَذَاهِب الإسلامِيَّة وتَفْسِيْر نشأتها، وذكر أهمها مما قرره مَنْهَج الكُلِّيَّة، ثم أُصُوْل الدِّيْن عند المَذَاهِب الإسلامِيَّة وما اتفقوا عليه منها، وما اختلفوا فيه، وحقيقة ذٰلِكَ الاختلاف.

والثالث: حقيقة الإيمان وأهميته في الحياة.

والرابع: الإلٰـهِيَّات، وفيه: أَدِلَّـة وجود الله تعالىٰ، وصفاته بأنواعها وما يترتب عليها.

والخامس: النَّبَوِيَّات، وفيه: بَيَان حاجة الإنسان إلىٰ هَدْي النُّبُوَّة، والنُّبُوَّة العامة، والخاصة وهي نُبُوَّة سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ.

والسادس: اليَوم الآخِر ومشَاهد القيامة.

والسابع: الكفر والتكفير، وحكم تكفير أهل القِبْلَة، وجزاء المُرْتَدّ.

وحاولتُ جَهْدَ إمكاني في هٰذَا الكتاب أن أُركِّز الكلام في مادته العِلْمِيَّة، وأُكثِرَ من العَزْو إلىٰ المصادر المعتمدة الأَصِيْلَة في مَذَاهِبها المُخْتَلِفَة، مُثْقِلاً بها هوامشَ كثير من الصفحات، حرصاً مني علىٰ أن يكون مرشداً نَافِعاً للطَّالِب في فهم عقيدته، ومُعِيْناً له في كتابة الأبحاث العِلْمِيَّة المقارنة، والتعرُّفِ علىٰ مصادر المَعْلُوْمَات عن هٰذِهِ الجزئيات التي تضمنها الكتابُ، والوقوفِ علىٰ ما يقوله أصحاب المَذَاهِب الأُخرىٰ في المَسْأَلَة.

وعندئذٍ يعرفُ الطَّالِب حقيقةَ الاختلاف بينها، ويَعلم أن ذٰلِكَ الاختلاف ما كان إلَّا في مَسَائِل فرعية، لا تستلزم تكفير أحد للآخر، ما دام يؤمن بأركان العَقِيْدَة الثلاثة التي تتفق عليها جميع المَذَاهِب الإسلامِيَّة، وهي: الإيمان بالله، ورَسُوْله، واليَوم الآخِر، **لأن هدفنا هو أن نَجْمع ولا نُفَرِّق**، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ - آل عِمْرَان ١٠٣.

إلَّا أن البعض رأىٰ جهلاً منه أن هٰذَا الاختلاف بين المَذَاهِب هو اختلاف تَضادّ لا اختلاف تَنوّع، فدعاه إلىٰ التعصب لمَذْهَبه، وعظمت في نفسه هوّة الخلاف بين تلك المَذَاهِب، وظهرت الطائفية المَقِيْتَة، وتولَّدت الفُرْقَة الذَّمِيْمَة، مما أدىٰ إلىٰ خلاف مَرِيْرٍ بين المُسْلِمِيْن.

لٰكِن تلك الفُرْقَة نبذها الإسلام، وأنكرها العُلَمَاء، فما كانت إلَّا صَدَى لأُمور خارجة عن حقيقة الدِّيْن الإسلامِيّ كالأُمور السياسية والأَهْوَاء الشخصية ونحوها.

ورأيتُ أن أَختارَ لهٰذَا الكتابِ الحرفَ الجميلَ، وأن أكتبَ الآياتِ القُرْآنية الكَرِيْمَة بخطّ المصحف، وأن أضبطَ بالشكل الأَعْلَام وكَثيراً من الكلمات، حرصاً مِنِّي علىٰ سَلَامَة القِرَاءَة.

أسأله تعالىٰ أن يجعل هٰذَا العَمَل خالصاً لوجهه الكَرِيْم، وأن ينفع به، وأن يجمع شمل المُسْلِمِيْن، ويوحِّد كلمتهم، ليكونوا مصدر خَيْر للعالم كما كانوا في صدر الإسلام. إنه سَمِيْع مُجِيْب الدعاء.

المَفْرَق المَحرُوْسَة

١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م

الأُستاذ الدكتور

قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ

عَمِيد كُلِّيَّة الدراسات الفِقْهِيَّة والقَانُوْنِيَّة – جَامِعَة آل البَيْت

المَفْرَق – المَمْلَكَة الأُرْدُنِّيَّة الهَاشِمِيَّة

الفَصْل الأَول

المَدخَل إلىٰ العَقِيْدَة الإسلامِيَّة

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَث الأول: العَقِيْدَة الإسلامِيَّة وأَدِلَّة إثباتها:

تعريف العَقِيْدَة الإسلامِيَّة لُغَة واصْطِلَاحاً.

أسماء علم العَقَائِد.

علم العَقَائِد أَسَاس العُلُوْم الشَّرْعِيَّة.

أَهمية العَقِيْدَة الإسلامِيَّة.

خصائص العَقِيْدَة الإسلامِيَّة.

أَدِلَّة إثبات العَقِيْدَة الإسلامِيَّة.

المَبْحَث الثاني: مَنْهَج القُرْآن الكَرِيْم في عَرض العَقِيْدَة الإسلامِيَّة.

المَبْحَث الثالث: حالة العَقَائِد زمن الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ وبعده.

المَبْحَث الأول

العَقِيْدَة الإسلامِيَّة وأَدِلَّة إثباتها

تعريف العَقِيْدَة الإسلامِيَّة

العَقِيْدَة لُغَةً: قال ابن فَارِس: (عقد) العين والقاف والدال أَصلٌ وَاحِد، يَدُلّ علىٰ شَدٍّ وشدَّةٍ وُثوقٍ، وإليه ترجع فُرُوْع الباب كلها[1]. ومن ذٰلِكَ:

عَقَدَ الحَبْلَ والبيع والعَهْد يَعْقِد: شَدَّه[2].

وعاقَدْتُه مثل عاهَدْتُه، وهو العَقْد، والجمع العُقُوْد، قال تعالىٰ: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ - المائدة ١.

والعَقْد: عَقْد اليمين، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ - المائدة ٨٩.

وعُقْدة النكاحِ وكُلِّ شيء: وجوبُه وإبرامُه[3].

واعتقدتُ كذا: عَقَدْتُ عليه القلبَ والضميرَ[4].

وهٰذِهِ المعاني كلها دالة علىٰ الشدِّ وهو نقيض الحَلّ. قال الزَّبِيْدِيّ: والذي صرح

---

(١) مُعْجَم مَقَايِيْس اللُّغَة مادة (عقد) ج٤ ص٨٦.

(٢) القَامُوْس المُحِيْط مادة (عقد) ص٣٨٣.

(٣) مُعْجَم مَقَايِيْس اللُّغَة السَّابِق. وانظر: أَسَاس البَلَاغَة مادة (عقد)، والمِصْبَاح المُنِيْر مادة (عقدت) ص٤٢١ والقَامُوْس المُحِيْط السَّابِق مادة (عقد).

(٤) المِصْبَاح المُنِيْر السَّابِق.

به أَئِمَّة الاشتقاق أن أصل العقد نقيض الحَلّ...، ثم استُعمل في أنواع العُقُوْد من البُيُوْعات وغيرها، ثم استُعمل في التصميم والاعْتِقَاد الجازم[١].

والعَقِيْدَة اصْطِلَاحاً: علم العَقَائِد: هو علم يُقتدر معه إثبات العَقَائِد الدِّيْنِيَّة بإيراد الحُجَج ودفع الشُّبَهِ. والمُرَاد بالعَقَائِد ما يقصد به نفس الاعْتِقَاد دون العَمَل، وبالدِّيْنِيَّة المنسوبة إلىٰ دين مُحَمَّد ﷺ[٢].

أسماء علم العَقَائِد

سُمِّيَ هٰذَا العلم بأسماء عديدة، منها:

١ - **الفِقْه الأكبر.** وهي تسمية الإِمَام أبي حَنِيْفَة، وذكر أن: (الفِقْه في الدِّيْن أفضل من الفِقْه في الأَحْكَام، ولَأَنْ يتفَقَّهَ الرجل كيف يعبد ربه خَيْر له من أن يجمع العلم الكثير)[٣].

٢- **علم التَّوْحِيْد.** وسُمِّيَ بهٰذَا الاسم لأن أشهر مباحثه وأهمها هو مَبْحَث التَّوْحِيْد[٤].

٣- **أُصُوْل الدِّيْن**[٥]. وسُمِّيَ بذٰلِكَ لأنه يتكفل ببَيَان الأُصُوْل الاعْتِقَادِيَّة، وهي ما

---

(١) تاج العروس مادة (عقد) ج٢ ص٤٢٦.

(٢) المَوَاقِف للإيْجِيّ ج١ ص٣٤و٣٨. وعَرَّفَه السَّعْد التَّفْتَازَانِيّ في المَقَاصِد ج١ ص١٦٣ بقوله: علم الكلام هو العلم بالعَقَائِد الدِّيْنِيَّة عن الأَدِلَّة اليقينية.

(٣) الفِقْه الأبسط ص٤٠.

والفِقْه الأبسط هو رِوَايَة أبي مطيع عن أبي حَنِيْفَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو الفِقْه الأكبر رِوَايَة أبي مطيع، وعرف بالفِقْه الأبسط تَمْيِيْزاً له عن الفِقْه الأكبر رِوَايَة حَمَّاد بن أبي حَنِيْفَة عن أبيه.

(٤) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر والصَّاوِيّ عليه ص٢٦.

(٥) المصدر السَّابِق.

وقد سمىٰ البَغْدَادِيّ كتابه (أُصُوْل الدِّيْن)، وكذٰلِكَ جمال الدِّيْن الغَزْنَوِيّ كتابه (أُصُوْل الدِّيْن).

يتعلق بالإلٰهِيَّات والنَّبَوِيَّات واليَوم الآخِر.

وهٰذِهِ التسمية مقابل علم الفِقْه الذي يتكفل ببَيَان الأَحْكَام العَمَلِيَّة الفُرُوْعية، ومقابل علم الأخلاق والسُّلُوْك(١).

٤- **علم الكلام**. وسمي بذٰلِكَ لأُمور منها:

أ- لأن مَسْأَلَة كلام الله وخلق القُرْآن من أشهر مباحثه وأكثرها جدلاً، حتىٰ كثر فيه الخصام(٢).

ب- لأنه يورث قدرة علىٰ الكلام في تَحْقِيْق الشَّرْعِيّات وإلزام الخصوم، مَثَلُه كمَثَلِ علم المنطق بالنسبة للفلسفة(٣).

ج- لأن أصحابه تكلموا في أُمور سكت عنها أهل السَّلَف من الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن، كمَسَائِل الصفات والقَدَر(٤).

علم العَقَائِد أَسَاس العُلُوْم الشَّرْعِيَّة

جميع العُلُوْم الشَّرْعِيَّة مبنية علىٰ هٰذَا العلم، لأنه إذا لم يثبت وجود صانع عالم قَادِر مُرْسِل للرسل ومنزل للكتب لم يتصور علم التَّفْسِيْر والحَدِيْث ولا علم الفِقْه وأُصُوْله. فكلها متوقفة علىٰ علم الكلام مقتبسة منه، والآخذ فيها بدونه كمن يبني علىٰ غير أَسَاس(٥).

---

(١) كتابنا: أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ ص١٥.

(٢) المَوَاقِف ج١ ص٦٠ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٥ والصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر السَّابِق.

(٣) المَوَاقِف، وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة، السَّابِقَان.

(٤) كتابنا: أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ السَّابِق.

(٥) المَوَاقِف، وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج١ ص٥١.

ومن فَوَائِد دراسة هٰذَا العلم:

١- الترقي من حَضيض التقليد إلىٰ ذِروة اليقين، وهي المنزلة العالية المُرَادة بقوله تعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ - المجادلة ١١.

٢- إرْشَاد المُسْتَرْشِدِيْن بإيْضَاح السَّبِيْل لهم إلىٰ عَقَائِد الدِّيْن، وإلزام المعاندين بإقامة الحُجَّة عليهم.

٣- حفظ عَقَائِد الدِّيْن عن أن تزلزلها شُبَه المبطِلِين[1].

وهٰذَا ما تَضمَّنه تعريفُ الإيْجِيّ لعلم العَقَائِد المتقدم آنِفاً.

أهمية العَقِيْدَة الإسلامِيَّة

تتجلىٰ أهمية العَقِيْدَة الإسلامِيَّة في حياة المسلم بما يأتي:

١- **تَحْرِيْر الإنسان من العبودية لغير الله تعالىٰ.** فالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ خلق الإنسان ليعمر الأرض، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ - هود ٦١[2].

وجعله عَزَّ وجَلَّ خَلِيْفَة له، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ - البقرة ٣٠.

وسخَّر له مخلوقاته، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ - لقمان ٢٠.

وجهَّزه بمَلَكات وصفات ليقوم بمهمة خِلافته في الأرض، فخلق له العقل فأدرك ما حوله، وجَبَلَه علىٰ الأنانية فملك المال وغيره، قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ - النساء ١٢٨، وأودع فيه القوة فسيطر علىٰ الآخرين، وبثَّ فيه العواطف

---

(١) المَوَاقِف، وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف، السَّابِقَان.

(٢) استعمركم فيها: جعلكم عُمَّارها وسُكَّانها. / تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ.

فأحبَّ وكره وغضب.

إلَّا أن هٰـذِهِ المَلَكات والصفات سلاح ذو حدّين، فإن استُعملت علىٰ الوجه الصَّحِيْح جاءت بالخَيْر الوفير، وإن استُعملت بالوجه الآخر جاءت بالشرِّ الوَبيل، فصفة القوة مثلاً تدفع صاحبها إلىٰ ظلم الآخرين استعبادهم وغصب أموالهم وانتهاك حرماتهم، كما هو معروف في التاريخ، فكان ذٰلِكَ مصدر شقاء بدل أن تكون مصدر راحة وسَعَادَة.

لذٰلِكَ لا بد من توجيه هٰـذِهِ الصفات إلىٰ الوجهة الصالحة، والطريق الوحيد لذٰلِكَ هو العَقِيْدَة، فإذا آمن الفرد بوجود الله تعالىٰ ووحدانيته، وأنه لا قوة إلَّا قوته، وأنه الرَّقِيْب علىٰ عِبَاده، والمحاسب لهم يوم القيامة علىٰ ما قدموه من عَمَل في حياتهم الدنيا، شعر هٰذَا الفرد عندئذٍ بأنه عبد لهٰذَا الإلٰه، فتنقلب تلك الصفات إلىٰ وَسَائِل للسَّعَادَة في الحياة، فتغدو نزعة التملك وسيلة لإقامة حياة عادلة، ونزعة القوة والبطش وسيلة إلىٰ حراسة الحقوق، ونزعة العلم قَبَساً هَادِياً. وعند ذٰلِكَ ينزل المُتَكَبِّرون عن عليائهم، ويرتفع المستضعَفُون عن ذُلِّهم وصَغَارهم(١).

وبذٰلِكَ يتحرر الإنسان من العبودية لغير الله تعالىٰ، قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ - القصص ٨٨.

٢- تَحْرِيْر العقل من التقليد الأعمىٰ والأوهام، قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ - لقمان.

والدعوة إلىٰ التفكير وإعمال العقل، قال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ - الأنعام ٥٠، وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ

(١) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص٦٥-٦٦.

تَعْقِلُونَ ﴾ - آل عِمْرَان ١١٨.

٣- الالتزام بما ورد في القُرْآن الكَرِيْم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة من أوامر، والانتهاء عن نواهيه، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ - آل عِمْرَان ١٣٢، وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ - الأحزاب ٣٦.

والاعْتِقَاد بالله رباً وبمُحَمَّد ﷺ نَبِيّاً هو أَسَاس تَحْكِيْم كتابه عَزَّ وجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ - النساء ٦٥.

٤- تربية الضمير اليَقِظ، الذي يغدو به صاحبه محاسباً نفسه عما قدم من أَعْمَال، قال ﷺ: (حَاسِبُوا أَنفسَكم قبل أن تُحَاسَبُوا)[١]، لأن الله تعالىٰ يحاسِب الناس علىٰ أَعْمَالهم، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ - البقرة ٢٨٤.

فيراقب اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ علىٰ الدوام في عِبَادته وعَمَله وأكله وشربه وعلاقته بأُسرته ومجتمعه، قال ﷺ: (اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأَتْبِعِ السيئةَ الحَسَنَة تَمْحُها، وخَالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ)[٢].

---

(١) **حَدِيْث: حَاسِبُوا أَنفسَكم...** إلخ: ذكره الرَّازِيّ في شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ ص٢٦٢. لٰكِنه ورد في سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٥٩ باب، رقم ٢٤٥٩، ص٤٠٢: (ويُرْوَىٰ عن عُمَر بن الخَطَّاب قال: حَاسِبُوا أَنفسَكم قبل أن تُحَاسَبوا، وتَزَيَّنُوْا للعَرْض الأكبر، وإنما يَخِفُّ الحسابُ يومَ القيامة علىٰ من حاسب نفسه في الدنيا). وروي الأثر أَيضاً في الكتاب المصنف لابن أبي شَيْبَة في: ٣٣ كتاب الزهد، ٨ كلام عُمَر بن الخَطَّاب، رقم ٣٤٤٤٨، ج٧ ص١١٥ بلفظ: (عن عُمَر بن الخَطَّاب أنه قال في خطبته: حَاسِبُوا أَنفسَكم قبل أن تُحَاسَبوا، وزِنوا أَنفسَكم قبل أن تُوزنوا، وتَزَيَّنُوْا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا يخفىٰ منكم خافية).

(٢) **حَدِيْث: اتق الله...** إلخ: أَخْرَجَهُ أَحْمَد في مُسْنَده والتِّرْمِذِيّ والحَاكِم في المُسْتَدْرَك

لأنه يعلم أن الله عَزَّ وجَلَّ يجزيه علىٰ كل أَعْمَاله، قال تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ - الزلزلة.

فإذا كانت بيده أموال غيره مَثَلاً لا يخون ولا يغدر، لأنه يقول: إني أخاف الله. وبذٰلِكَ يكون الإحساس بالمسؤولية والانضباط.

٥- تَهْذِيْب السُّلُوْك والأخلاق[١]. فيكون المسلمُ بتَأْثِير العَقِيْدَة الإسلامِيَّة:

- عَزِيْزَ النفس، حراً، شُجَاعاً لا يخضع إلَّا لله تعالىٰ. قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾- المنافقون ٨، لأنه يرىٰ أن الأَجَلَ بيده تعالىٰ وحده.

- متواضعاً للمُؤْمنين، قال تعالىٰ: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ - المائدة ٥٤.

- غير مُتَكَبِّر ولا فخور، قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾- لقمان ١٨.

- محِبّاً للآخرين بارّاً بهم، قال ﷺ: (لا يُؤمنُ أَحدُكم حتىٰ يُحِبَّ لأَخيه ما يُحِبُّ لنفسه)[٢]، وقال ﷺ: (المسلمُ أخو المسلم لا يَظلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّج عن مُسْلِم كُرْبَةً فَرَّج اللهُ عنه بها كُرْبَةً من كُرَب يومِ القيامة، ومن سَتر مسلماً سَتره اللهُ يومَ القيامة)[٣].

والبَيْهَقِيّ في شُعَب الإيمان عن أبي ذَرّ. وأَخْرَجَهُ أَحْمَد في مُسْنَده والتِّرْمِذِيّ والبَيْهَقِيّ في شُعَب الإيمان عن مُعَاذ. وأَخْرَجَهُ ابن عَسَاكِر عن أَنَس. / الجَامِع الصَّغِيْر ص١٤.

(١) انظر تَأْثِير العَقِيْدَة في الفرد والمجتمع في: الإيمان والحياة، والعَقِيْدَة الإسلامِيَّة وأسسها ص٢٩ وعَقِيْدَة التَّوْحِيْد في القُرْآن الكَرِيْم ص٣٨.

(٢) **حَدِيْث: لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه**... إلخ: أَخْرَجَهُ أَحْمَد في مُسْنَده والبُخَارِيّ ومُسْلِم والتِّرْمِذِيّ والنَّسَائِيّ وابن مَاجَه عن أَنَس. وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٥٨٦.

(٣) **حَدِيْث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٥ كتاب البِرّ والصِّلَة، ١٥ باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨٠، عن سالم عن أبيه (عبد الله بن عُمَر).

- مُؤْثِراً غيرَه علىٰ نفسه في بذله وعطائه، قال تعالىٰ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾- الحشر ٩، لأنه يحسب أن الرزق إلىٰ الله وحده.

- آمِراً بالمعروف وناهياً عن المُنْكَر وصَبُوْراً علىٰ البلاء، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ - لقمان ١٧.

- عاملاً متقِناً عَمَلَه ومخلصاً فيه بعيداً عن التواكل والتكاسل، قال تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ - التوبة ١٠٥، وقال ﷺ: (إنَّ اللهَ تعالىٰ يُحِبُّ إذا عَمِل أَحدُكم عَمَلاً أن يُتقِنَه)[1].

- قدوةً ومثالاً حَسَناً في كل ما يقول ويفعل، متحلياً بالخُلُق الرفيع والعَمَل الصالح، اقتداء بالرَّسُوْل مُحمَّد ﷺ الأُسْوة الحَسَنَة للناس، قال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ - الأحزاب ٢١، الموصوف بقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ - القلم ٤.

وبذٰلِكَ تكون العَقِيْدَة الإسلامِيَّة الأَسَاس الأول في بناء شخصية المسلم، فيكون عضواً نَافِعاً في المجتمع، يهدف إلىٰ مرضاة الله تعالىٰ في كل ما يقوم به من أَعْمَال، ويجعل قولَه تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ - الحُجُرَات ١٣ نُصْبَ عينيه إذا فاضَلَ بين الناس.

فإذا صَلَحَ حال الأفراد صَلَحَت الأُسرة ثم المجتمع، وكانت الأُمَّة عندئذٍ خَيْر أُمَّة أُخرجت للناس، قال تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾- آل عِمْرَان ١١٠.

مَثَلُها في التراحم والصِّلَة كالجسد الوَاحِد، قال ﷺ: (مَثَلُ المُؤْمِنين في تَوادِّهم

(١) حَدِيْث: إن الله تعالىٰ يحب إذا عَمِل أحدُكم... إلخ: رواه البَيْهَقِيّ في شُعَب الإيمان، عن عَائِشَة. / الجَامِع الصَّغِيْر للسُّيُوْطِيّ ص١١٥ وضعَّفه.

وتراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ، تَدَاعَىٰ له سائرُ الجسدِ بالسَّهَر والحُمَّىٰ)[١].

تشهد علىٰ الأُمَم، قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ - البقرة ١٤٣.

خصائص العَقِيْدَة الإسلامِيَّة

تتميز العَقِيْدَة الإسلامِيَّة بخصائص أهمها:

١- **مصدرها إلٰـهِيّ**، وليس للبشر نصيب في وضع أُسسها، فالقُرْآن الكَرِيْم كتاب الله وهو مصْدر الشَّرِيْعَة الإسلامِيَّة الأول أنزله علىٰ الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ - النَّحْل ٨٩.

وتكفَّل الله بحفظه حيث قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ - الحِجْر ٩.

فالعَقِيْدَة الإسلامِيَّة، وهي رُكْن الإسلام الأول، وحيٌ أوحىٰ الله تعالىٰ بها إلىٰ رَسُوْله الكَرِيْم ﷺ، فلا مجال للتغيير والتحريف، قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ ﴾ - يُوْنُس ١٥، فلها قُدْسِيّتها وهيبتها في نفوس المُسْلِمِيْن، فتحترم وتطاع طاعة اخْتِيَارِيَّة لا إجْبَار عليها ولا إكراه.

---

(١) حَدِيْث: مَثَلُ المُؤْمِنين... إلخ: رواه أَحْمَد في مُسْنَده ومُسْلِم عن النُّعْمَان بن بَشِيْر. وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٤٩٨. واللفظ لمُسْلِم في صَحِيْحه، ٤٥ كتاب البِرّ والصِّلَة، ١٧ باب تراحم المُؤْمِنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم ٢٥٨٦، عن النُّعْمَان بن بَشِيْر.

بخلاف النَّظَرِيَّات والأفكار والمبادئ المستوحاة من فكر البشر، التي يعتريها التغيير والنقض المستمر من قبل الحَاكِم أو رجل الدِّيْن أو الآخرين.

٢- **استقلالها عن غيرها من العَقَائِد،** فهي قائمة بذاتها، مصدرها الرئيس كتاب الله العَزِيْز وهو القُرْآن الكَرِيْم، ومصدرها الثاني السُّنَّة النَّبَوِيَّة المُشَرَّفَة.

فهي لا تقرّ المادية الملحدة التي تجحد وجود الله تعالىٰ، ولا الوثنية، ولا الاعْتِقَاد بأكثر من إلٰه، لأنها قائمة علىٰ تَوْحِيْد الله المطلق، قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ **مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾** ﴾ - المُؤْمنون.

٣- **ملاءمتها للفِطْرَة الإنسانية،** قال تعالىٰ: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ - الرُّوْم ٣٠. فالإسلام دين الفِطْرَة، والفِطْرَةُ كما قال ابن عَطِيَّة هي: (الخِلْقَة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي مَعْدُوْدَة مُهَيَّأَةٌ لأن يميز بها مصنوعات الله تعالىٰ، ويستدل بها علىٰ ربه جَلَّ وعَلَا، ويعرفَ شرائعه ويؤمنَ به، وقيل: الفِطْرَة: المِلَّة أو الدِّيْن)[1].

ومنه قوله ﷺ: (كل مولود يُولَد علىٰ الفِطْرَة، فأبواه يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ...).

فلم يقل: أو يُسَلِّمَانِهِ، لأن الإسلام هو الفطرة، لذا ورد في رِوَايَة أُخرىٰ: (يولد علىٰ المِلَّة)، وفي أُخرىٰ (علىٰ هٰذِهِ المِلَّة)[2].

---

(١) تَفْسِيْر المُحَرَّر الوَجِيْز ج١١ ص٤٥٣-٤٥٤.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة ص٣٣-٣٤ والروايتان الأَخِيْرتان لمُسْلِم.

وفي الهامش: **حَدِيْث: كل مولود علىٰ الفطرة...** إلخ: أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ ومُسْلِم وأبو دَاوُد والتِّرْمِذِيّ وأَحْمَد ومَالِك وغيرهم.

٤- **نصوصها النقلية لا يُعارضها العقل.** مبدأ إثبات العَقِيْدَة الإسلامِيَّة وبَيَان قَوَاعِدها هو النص من القُرْآن الكَرِيْم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة، لٰكِن لم يكن ذٰلِكَ من باب الاعْتِقَاد الأعمىٰ، بل أقام عليه الأَدِلَّة من العقل، وطلب من البشر أن يفكروا لتمتلئ نفوسهم إيماناً، فقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ - يُوْنُس ١٠١، وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾ - الذاريات.

وأقام القُرْآن الكَرِيْم الأَدِلَّة علىٰ وجوده تعالىٰ ووحدانيته، والنُّبُوَّة، واليَوم الآخِر وبعث الأجساد فيه من القبور، وعلىٰ سائر جزئيات العَقِيْدَة.

وقد بَيَّنَ ابنُ تَيْمِيَّة: أنه لا يوجد قَطُّ نص صَحِيْح يخالف العقل. وإذا وجدت المخالفة فإما أن تكون مخالفة ظَاهِرِيَّة وإمكانية الجمع بينهما حاصِلَة، وإما أن تكون المخالفة ناشئة عن عِلَّة في العقل، كأن يكون صاحبه من أهل البدع والأَهْوَاء، فيحاول أن يلوي النص ليوافق عقله، وإما أن تكون المخالفة من جهة أن نسبة النقل إلىٰ النَّبِيّ ﷺ غير صَحِيْحة(١).

أَدِلَّة إثبات العَقِيْدَة الإسلامِيَّة

أَدِلَّة إثبات العَقِيْدَة الإسلامِيَّة نوعان: نقلية وعقلية.

أما الأَدِلَّة النقلية فهي نصوص القُرْآن الكَرِيْم، والسُّنَّة النَّبَوِيَّة الثَّابِتَة عن رَسُوْل الله ﷺ.

وأما الأَدِلَّة العقلية فهي المبنية علىٰ البَرَاهِيْن اليقينية التي يقيمها العقل، وهي مبثوثة في ثنايا الكلام علىٰ مَسَائِل العَقِيْدَة كلها.

---

(١) ممن كتب في هٰذِهِ الخصائص: د. عبد الكَرِيْم زَيْدَان: المدخل إلىٰ دراسة الشَّرِيْعَة الإسلامِيَّة ص٣٥ و د. مُحَمَّد مَلْكَاوِيّ: عَقِيْدَة التَّوْحِيْد في القُرْآن الكَرِيْم ص٢٨. وكلام ابن تَيْمِيَّة في كتابه (دَرْء تعارض العقل والنقل) المشهور باسم (موافقة صَحِيْح المَنْقُوْل لصريح المَعْقُوْل).

الأَدِلَّة النقلية:

اتفق العُلَمَاء علىٰ أن المصدر الأول الذي تثبت به العَقِيْدَة الإسلامِيَّة هو القُرْآن الكَرِيْم والحَدِيْث المتواتِر[١]، وكلاهما قطعي الثُّبُوْت عن رَسُوْل الله ﷺ، بشرط أن تكون دلالة كل منهما قطعية صريحة لا تحتمل التأويل.

ولٰكِن العُلَمَاء اختلفوا في خبر الآحاد - وهو الذي يرويه راوٍ أو أكثر لم يبلغوا حد التواتر - هل تثبت به العَقِيْدَة أو لا؟ علىٰ أقوال:

القول الأول: أَحَادِيْث الآحاد لا تثبت بها العَقِيْدَة، وهي تفيد العَمَل بها دون العلم، أي: دون القطع. وهو مَذْهَب أكثر أهل العلم وجُمْهُوْر أهل الفِقْه والنَّظَر كما ذكر ابن عبد البَرّ في التَّمْهِيْد، وجماهير المُسْلِمِيْن من الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن فمن بعدهم من المُحَدِّثِيْن والفُقَهَاء وأصحاب الأُصُوْل كما ذكر النَّوَوِيّ في شَرْح صَحِيْح مُسْلِم[٢].

(١) **الحَدِيْث المتواتر:** هو ما رواه عن رَسُوْل الله ﷺ جمع يمتنع عادة أن يتواطأ أفراده علىٰ الكذب، لكثرتهم وأمانتهم واختلاف وجهاتهم وبيئاتهم، ورواها عن هٰذَا الجمع جمعٌ مثله، حتىٰ وصلت إلينا بسندٍ، كلُّ طبقةٍ من رواته جمعٌ لا يتفقون علىٰ كذب، من مبدأ التَّلَقِّي عن الرَّسُوْل ﷺ إلىٰ نِهَايَة الوُصُوْل إلينا. مثل السُّنَن العَمَلِيَّة في أداء الصلاة والصيام... . / علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٤١.

(٢) وكذا حكاه في الإرْشَاد والتَّقْرِيْب، وبه قال أبو حَنِيْفَة ومَالِك والشَّافِعِيّ والرِّوَايَة المشهورة عن أَحْمَد، وعليه أكثر الحَنَابِلَة، وبه قال ابن تَيْمِيَّة في مِنْهَاج السُّنَّة، والقَرَافِيّ في تَنْقِيْح الفُصُوْل وشرحه، وأبو مَنْصُوْر البَغْدَادِيّ في أُصُوْل الدِّيْن، والأَسْنَوِيّ، والبَاجِيّ في الإشارة وتَحْقِيْق المَذْهَب وإحْكَام الفُصُوْل، وإمَام الحَرَمَيْن في البُرْهَان والورقات، والغَزَالِيّ في المُسْتَصْفَىٰ، وأبي إسْحَاق الشِّيْرَازِيّ في التَّبْصِرَة واللُّمَع، والخَطِيْب البَغْدَادِيّ في الكِفَايَة، والفخر الرَّازِيّ في المَطَالِب العالية والمَعَالِم وأَسَاس التَّقْدِيْس، وابن الأَثِيْر في مُقَدِّمَة جَامِع الأُصُوْل، وابن الحَاجِب في مُنْتَهَىٰ الوُصُوْل، وصَدْر الشَّرِيْعَة في التَّنْقِيْح وشرحه التَّوْضِيْح، والسَّعْد التَّفْتَازَانِيّ

ومن حجج هٰذَا القول:

١- لو أفاد خبر الوَاحِد العلم (القطع) لوجب تصديق كل خبر نسمعه، لٰكِنا لا نصدق كل خبر نسمعه ولو كان ناقله ثِقَة، فهو لا يفيد العلم.

٢- لو أفاد خبر الوَاحِد العلم لجاز نسخ القُرْآن ومتواتر السنة به، لكونه بمنزلتهما في إفادة العلم، لٰكِن نسخ القُرْآن ومتواتر السُّنَّة به لا يجوز لضعفه عنهما، فدل أنه لا يفيد العلم.

٣- لو أفاد خبر الوَاحِد العلم لجاز الحكم بشَاهد وَاحِد، ولم يحتج معه إلىٰ شَاهدٍ ثانٍ، ولا إلىٰ يمين عند عدمه، والحكم بشَاهد وَاحِد بمجرده غير جائز بالاتفاق، وذٰلِكَ دليل علىٰ أنه لا يفيد العلم.

٤- ثبت عن بعض الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أنهم قد ردوا بعض الأَحَادِيْث الآحادية

في التلويح، والسَّمَرْقَنْدِيّ في مِيْزَان الأُصُوْل، والبَزْدَوِيّ وشارحه عبد العَزِيْز البُخَارِيّ، والسَّرَخْسِيّ في أُصُوْله، والجَصَّاص في الفُصُوْل، وابن جُزَيْء في تَقْرِيْب الوُصُوْل إلىٰ علم الأُصُوْل، وابن بَرْهَان في الوُصُوْل إلىٰ الأُصُوْل، وابن السُّبْكِيّ في جَمْع الجَوَامِع والمَحَلِّيّ عليه، وابن عبد الشَّكُوْر في مُسَلَّم الثُّبُوْت، وابن عَاصِم في مرتقىٰ الوُصُوْل وشارحه في نَيْل السُّوْل، وأبو الخطاب الحَنْبَلِيّ في التَّمْهِيْد، وصَفِيّ الدِّيْن البَغْدَادِيّ الحَنْبَلِيّ في قَوَاعِد الأُصُوْل، وابن قُدَامَة في رَوْضَة النَّاظِر وحاشيته لابن بَدْرَان، والطُّوْفِيّ في البلبل في أُصُوْل الفِقْه، والسَّفَّارِيْنِيّ الحَنْبَلِيّ في لوائح الأَنْوَار السَّنِيَّة، ومُحَمَّد عَبْدُه، ومُحَمَّد رَشِيْد رِضَا في المَنَار، والصَّنْعَانِيّ في إجابة السَّائِل، والشَّنْقِيْطِيّ في مراقي الصعود، وغيرهم، وبهٰذَا القول قال الإبَاضِيَّة قاطبةً، والمُعْتَزِلَة، والزَّيْدِيَّة، وجُمْهُوْر الحَنَفِيَّة والشَّافِعِيَّة، وجَمَاعَة من الظَّاهِرِيَّة.

وردت نصوص هٰؤُلَاءِ العُلَمَاء وغيرهم في كتاب السَّيْف الحاد في الرد علىٰ من أخذ بحَدِيْث الآحاد في مَسَائِل الاعْتِقَاد لسَعِيْد بن مبروك القنوبي ص٦١-٧٨ و ص٧-٨. وانظر: رَوْضَة النَّاظِر لابن قُدَامَة وشرحها نُزْهَة الخاطر العاطر لابن بَدْرَان ج١ ص٢٦١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ص١٧-٢٠.

لمعارضتها ظَاهِر القُرْآن أو بعض الروايات الأُخرىٰ، فلو كانت أخبار الآحاد تفيد القطع لما ردّوها[١].

القول الثاني: أخبار الآحاد يُحتجّ بها في المَسَائِل العَقَدِيَّة، وأنها تفيد القطع. فهي تفيد العلم الظَّاهِر والعَمَل معاً. وهو مَذْهَب كثير من أهل الأثر وبعض أهل النَّظَر كما قال ابن عبد البرّ في التَّمْهِيْد، وبعض الظَّاهِرِيَّة منهم ابن حَزْم[٢]، وذكره ابن تَيْمِيَّة عن القَاضِي عبد الوَهَّاب المَالِكِيّ والإسْفَرَائِيْنِيّ والقَاضِي أبي الطَّيِّب الطَّبَرِيّ وابن فُوْرَك وآخرين[٣].

ومن حجج هٰذَا القول:

١- أن النَّبِيّ ﷺ حين كان يَلْتَقِي الناس أفراداً وجماعات في موسم الحج كانوا يرجعون إلىٰ بلدانهم، فيخبرون أقوامهم بما سمعوه منه عليه الصلاة والسَّلَام، فدل علىٰ أن خبر الآحاد تقوم به الحُجَّة في قضايا العَقَائِد كالقضايا الفرعية الفِقْهِيَّة.

٢- أهل قُبَاء أخذوا بخبر الوَاحِد في التحول إلىٰ القِبْلَة، وأقرهم الرَّسُوْل ﷺ علىٰ ذٰلِكَ.

وأُجِيبَ علىٰ هٰذِهِ الأَدِلَّة:

بأن الأُصُوْل الاعْتِقَادِيَّة قد انتقلت عن طريق التواتر القطعي، لشيوع أمر الدعوة بحيث لم يَخْفَ علىٰ أحد.

---

(١) السَّيْف الحاد السَّابِق ص١٣-١٨و٧٥.

(٢) السَّيْف الحاد السَّابِق. وفيه أَيضاً: وبه قال بعض أهل الحَدِيْث كما ذكر النَّوَوِيّ في شَرْح مُسْلِم، والحُسَيْن بن عَلِيّ الكَرَابِيْسِيّ، وبعض الحَنَابِلَة، وذكر ابن خُوَيْزمَنْدَاد من المَالِكِيَّة أن هٰذَا القول يُخَرَّج علىٰ مَذْهَب مَالِك. وهٰذِهِ أسماء وَارِدَة في النصوص التي اقتبسها القنوبي في السَّيْف الحاد من أقوال العُلَمَاء.

(٣) اختِصَار عُلُوْم الحَدِيْث ص٣٦.

أما المَسَائِل الفِقْهِيَّة فلا مَانِع من أن يبلغها وَاحِد بالاتفاق[١].

القول الثالث: إن ما أَخْرَجَهُ الشَّيْخَان البُخَارِيّ ومُسْلِم في صَحِيْحَيْهِمَا أو رواه أحدهما مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النَّظَرِيّ واقع به، وهو ما اختاره ابن الصَّلَاح، واستثنىٰ أَحَادِيْث قليلة تكلم عليها عُلَمَاء الحَدِيْث[٢].

قال النَّوَوِيّ في التَّقْرِيْب: خالف ابنَ الصَّلَاح المحققون والأكثرون، فقالوا: يفيد الظن ما لم يتواتر[٣].

والذي يظهر: أن كلام جُمْهُوْر العُلَمَاء في أن العَقَائِد لا تثبت بخبر الوَاحِد، يراد به: أن الاعْتِقَاد هو عقد القلب علىٰ الثَّابِت الذي لا يمكن أن يطرأ عليه في وقت من الأوقات خطأ ولا وهم، وذٰلِكَ لا يمكن حصوله إلَّا بنص الكتاب والمتواتر من سنة رَسُوْل الله ﷺ، بشرط أن تكون دلالة كل منهما نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل، وما عدا ذٰلِكَ لا يمكن الاعتماد عليه في باب الاعْتِقَاد[٤].

قال الشيخ مَحْمُوْد شلتوت بعد أن نقل نصوصاً عن الغَزَالِيّ والأَسْنَوِيّ والبَزْدَوِيّ في أن رِوَايَة الآحاد تفيد الظن: وهٰكَذَا نجد نصوص العُلَمَاء من متكلمين وأُصُوْلِيِّيْن مجتمعة علىٰ أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العَقِيْدَة...، وليس معنىٰ هٰذَا أنه لا يُحدِث علماً لإنسان ما، فإن من الناس من يَحدث العلمُ في نفسه بما هو أقل من خبر الوَاحِد الذي نتحدث عنه، ولٰكِن لا يكون ذٰلِكَ حُجَّة علىٰ أحد، ولا تثبت به عَقِيْدَة يُكَفَّر جاحدها، فإن الله تعالىٰ لم يكلف عِبَاده عَقِيْدَة من العَقَائِد عن طريق من شأنه أن لا يفيد إلَّا الظن. ومن هنا يتأكد أن ما قررناه من أن أَحَادِيْث الآحاد لا تفيد عَقِيْدَة ولا

---

(١) السَّيْف الحاد السَّابِق ص٥٧.

(٢) البَاعِث الحَثِيْث ص٣٦.

(٣) السَّيْف الحاد السَّابِق ص٨٣ وما بعدها، وأورد نصوصاً في ذٰلِكَ.

(٤) السَّيْف الحاد ص٢٣.

يَصِحّ الاعتماد عليها في شأن المغيبات قولٌ مَجْمَع عليه، وثَابِت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء[١].

فقول العُلَمَاء: إن العَقَائِد لا يقبل فيها إِلَّا المتواتر، يريدون به أن العَقَائِد هي ما يكفر جاحده[٢].

وعليه: فإن من أنكر عَقِيْدَة ثبتت بدلالة ظنية في نص قطعي الثُّبُوْت، أو ثبتت بدلالة قطعية في نص ظني الثُّبُوْت كالأَحَادِيْث الآحاد، أو بدلالة ظنية في نص ظني الثُّبُوْت فإنه لا يكفر بذٰلِكَ[٣].

---

(١) الإسلام عَقِيْدَة وشريعة ص٦٠-٦١.

(٢) المُخْتَصَر المُفِيْد في شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيْد ص١٧.

(٣) العَقِيْدَة الإسلامِيَّة وأُسسها ص٣٨.

(تَنْبِيْه): **نصوص القُرْآن الكَرِيْم:**

هي من جهة الورود (أي: ثُبُوْتها عن النَّبِيّ ﷺ): قطعية الثُّبُوْت كلها، فنجزم ونقطع بأن كل نص في القُرْآن هو النص الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ رَسُوْله الكَرِيْم، وبَلَّغَهُ الرَّسُوْل ﷺ إلىٰ الأُمَّة.

ومن جهة الدلالة نوعان:

أ- قطعية الدلالة: مثل: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖ﴾ - النُّوْر ٢، فالنص قطعي الدلالة علىٰ أن حد الزنا لغير المُحْصَن مئة جلدة، لا أكثر ولا أقل.

ب- ظنية الدلالة: مثل: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ - البقرة ٢٢٨، فلفظ القُرْء يطلق في اللُّغَة علىٰ الطهر وعلىٰ الحيض، فالنص ليس قطعي الدلالة علىٰ معنىٰ وَاحِد منهما، لذٰلِكَ اختلف الفُقَهَاء فيه، ففسره الشَّافِعِيَّة بالطهر، وفسره الحَنَفِيَّة بالحيض.

نصوص السُّنَّة النَّبَوِيَّة:

هي من جهة الورود نوعان:

فالجُمْهُوْر حين قالوا بأن العَقَائِد لا تثبت بخبر الوَاحِد أرادوا عدم تكفير من أنكر عَقِيْدَة ثبتت به.

والجُمْهُوْر حين ذهبوا هٰذَا المَذْهَب رأوا أن أخبار الآحاد متىٰ صح إسنادُها، وكانت متونُها غيرَ مستحيلة في العقل، كانت موجبةً للعَمَل بها دون العلم، وكانت بمنزلة شهادة العُدُول عند الحَاكِم، يلزمه الحكم بها في الظَّاهِر وإن لم يَعلم صدقَهم في الشهادة[1].

أ- قطعية الورود: مثل: الحَدِيْث المتواتر.

ب- ظنية الورود: مثل: أخبار الآحاد.

ومن جهة الدلالة نوعان:

أ- قطعية الدلالة: مثل: قوله ﷺ: (بُنِيَ الإسلام علىٰ خمس...)، فالحَدِيْث نص قاطع الدلالة علىٰ أن أركان الإسلام خمسة، لا أكثر ولا أقل.

ب- ظنية الدلالة: مثل: قوله ﷺ: (لا يُصَلِّيَنَّ أَحدٌ منكم العَصْر إلَّا في بني قُرَيْظَة). فاختلف الصَّحَابَة فيه، فمنهم من صلىٰ في الطريق، لأن صلاة العَصْر أدركته، ومنهم من أبىٰ فلم يُصَلِّ إلَّا في بني قُرَيْظَة أخذاً بلفظ الحَدِيْث. / انظر: علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٣٤-٤٢.

(١) أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١٢. وانظر نصوص بعض العُلَمَاء في ذٰلِكَ في كتاب: السَّيْف الحادّ المتقدم.

المَبْحَث الثاني

مَنْهَج القُرْآن الكَرِيْم في عَرض العَقِيْدَة الإسلامِيَّة

للقُرْآن الكَرِيْم مَنْهَج واضح في عَرض العَقِيْدَة، يتبين فيما يأتي:

١ - أعلىٰ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ العقل، ورفع مكانته، وعظّم مقامه.

قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ ﴾ - الأنبياء ٧٩.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ - البقرة ٢٦٩.

- ودعا إلىٰ إعْمَال العقل، والنَّظَر في مَلَكوت السموات والأرض:

قال سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴾ - يُوْنُس ١٠١.

وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ﴾ - العنكبوت ٢٠.

- وعاب القُرْآن الكَرِيْم علىٰ المُعَطِّلِيْن لعُقُوْلهم.

قال عَزَّ وجَلَّ علىٰ لِسَان إبْرَاهِيْم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ - الأنبياء.

- وعاب علىٰ من يكتفي بتقليد الآباء.

قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ - البقرة ١٧٠.

لذٰلِكَ قال الإمَام مُحَمَّد عَبْدُه: (وتآخىٰ العقل والدِّيْن لأول مرة في كتاب مقدس علىٰ لِسَان نَبِيّ مُرْسَل، بتصريح لا يقبل التأويل)[1].

٢- عرض نِظَام الكون للتفكُّر به والتدبر بآلائه.

قال سُبْحَانَهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ - البقرة.

فالقُرْآن الكَرِيْم عرض هٰذِهِ المظَاهِر الكونية، كالسماوات والأرض، والليل والنهار، والمطر والرياح، والنباتات بأشكالها، والمخلوقات بأنواعها، ليتدبر الإنسان هٰذِهِ المخلوقات، ويعلم أنها لم تكن من صنع البشر، بل هي من صنع الله تعالىٰ الذي أتقن كل شيء خلقه، وبالتالي يلزم أن يتجه الإنسان إليه بالعِبَادَة.

أما العَاجِز عن الخلق كالأصنام والمخلوقات الأُخرىٰ، فلا تستحق العِبَادَة، قال تعالىٰ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ - الحج ٧٣.

٣- ذكر أُصُوْل العَقِيْدَة الإسلامِيَّة في: الإلٰهِيَّات، والنَّبَوِيَّات، واليَوم الآخِر، وأقام البُرْهَان عليها.

- فالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ هو رَبُّ الكون، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ - الفاتحة.

- واستدل بمخلوقاته علىٰ وجوده تعالىٰ:

قال تعالىٰ: ﴿ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى

---

(١) رِسَالَة التَّوحِيْد لمُحَمَّد عَبْدُه ص٩.

ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ - لقمان ١١.

- وبرهن أنه وَاحِد لا شَرِيْك له في قوله:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ - الأنبياء ٢٢.

- ووصف نفسه بأوصاف الكَمَال. وسيأتي بَيَان ذٰلِكَ تفصيلاً عند الكلام علىٰ الصفات الإلٰهيَّة.

- وأرسل الرسل والأنبياء هداةً للبشر الىٰ طريق سعادتهم في الدنيا والآخِرَة.

قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ - آل عِمْرَان ١٦٤.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ - النَّحْل ٣٦.

- وأوجب الإيمان باليَوم الآخِر.

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ - التغابن ٧.

وأقام الدليل عليه بقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ - يس.

٤- حكىٰ أقوال المخالفين، وردَّ عليهم بالبُرْهَان.

- فرَدَّ علىٰ عُبَّاد الأصنام والأوثان بقوله عَزَّ وجَلَّ:

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ - العنكبوت ١٧.

- ورَدَّ علىٰ عُبَّاد الكواكب والقمر والشمس بقوله تعالىٰ:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ - الأنعام.

- ورَدَّ علىٰ عُبَّاد الملائكة بقوله سُبْحَانَهُ:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ - سَبأ.

- ورَدَّ علىٰ اليَهُوْد بقوله عَزَّ وجَلَّ:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ - الجمعة.

- ورَدَّ علىٰ من اعتقد أن المَسِيْح إلٰه يُعبد، بقوله تعالىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ - المائدة ١١٦.

- ورَدَّ علىٰ من يقول بأن الله اتخذ ولداً، بقوله سُبْحَانَهُ:

﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ - مريم.

- ورَدَّ علىٰ منكري النُّبُوَّة وكفرهم، قال عَزَّ وجَلَّ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ - النساء.

- وردّ على مُنْكِري البعث والنشور، قال سُبْحَانَهُ:

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ - الرعد ٥.

٥- عَـرَض العَقِيْدَة بأُسْلُوْب سَهْل يفهمه الأُمِّـيّ السـاذج، والعـالم المتبحّر في شتىٰ العُلُوْم.

قال تعالىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ - عَبَس.

٦- والـقُـرْآن الـكَـرِيْم حين يعرض العَقِيْدَة الإسلامِيَّة الحَقَّة، ويُـدَلِّـل عليها بمُخْتَلف البَـرَاهِيْن، يأمر أن تكون الدعوة إليه بالطريقة الحَسَنَة مع الابتعاد عن الجدل العقيم الذي يورث النفرة والبغضاء.

قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ - النَّحل ١٢٥ (١).

وصوّر الإمَام الغَزَالِيّ أَدِلَّة القُرْآن الكَرِيْم بأنها كالغذاء ينتفع به كل إنسان، وكالماء الذي ينتفع به الصبي الرَّضِيْع والرجل القَوِيّ(٢).

---

(١) أَشار إلىٰ بعض هٰذِهِ الفقرات الإمَام مُحَمَّد عَبْدُه في رِسَالَة التَّوْحِيْد ص٨. وانظر أَيضاً كتابنا: أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ ص٢٧-٣١.

(٢) إلجام العَوَام للغَزَالِيّ ص٤٠.

المَبْحَث الثالث

حالة العَقَائِد زمن الرَّسُوْل ﷺ وبعده

الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ مرجع المُسْلِمِيْن، يعودون إليه مستفسرين عن أُمور دينهم ومستَزِيْدين من عُلُوْمه، ويجدون عنده الجواب الكافي.

ويأتيه المُشْرِكُوْن وأهل الكتاب يسألون مجادلين ومعارضين.

وإجابته ﷺ إياهم تكون باللطف تارةً، وبأُسْلُوْب لاذع تارةً أُخرىٰ، وذٰلِكَ حسب ما يقتضيه المقام.

لٰكِنه ﷺ في كل إجاباته للمُسْلِمِيْن وغيرهم لا يسلك سَبِيْل المراء والعناد[١].

فعندما تلا الرَّسُوْل ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ - الأنبياء، سأله بعض المُشْرِكِيْن: كل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عَبَدَهُ؟ فنحن نعبد الملائكة، واليَهُوْد تعبد عُزَيْراً، والنَّصَارَىٰ تعبد عِيسَىٰ بن مريم؟

فأجاب الرَّسُوْل ﷺ: (كل من أَحبَّ أن يعبد من دون الله فهو مع من عَبَدَهُ، إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أَمَرَهُم بعِبَادته). وأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ - الأنبياء[٢].

---

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام لعبد الحَلِيْم مَحْمُوْد ص١١٩.

(٢) تَفْسِيْر ابن كَثِيْر ص٨٧٧.

وخرج رَسُوْل الله ﷺ علىٰ أصحابه ذات يوم، وهم يتراجعون في القَدَر، فخرج مغضباً، حتىٰ وقف عليهم فقال: يا قوم بهٰذَا ضلت الأُمَم قبلكم، باختلافهم علىٰ أنبيائهم، وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القُرْآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولٰكِن نزل القُرْآن فصدّق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعمَلوا به، وما تشابه فآمنوا به[1].

وقُبض رَسُوْل الله ﷺ، واستمر صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ هديه من ذمّ العناد والجدل المَقِيْت، والوقوف عند النص الثّابِت بالوَحْي.

ولم يسلكوا في الاحتجاج مسلك المتكلمين في تقسيماتهم، لا لعجز منهم عن ذٰلِكَ، فلو علموا أن ذٰلِكَ نَافِع لأفاضوا في تَحْرِيْر الأَدِلَّة.

روي عن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأله سَائِل عن آيتين متشابهتين، فعَلَاه بالدِّرَّة.

وعلىٰ هٰذَا المَنْهَج جرىٰ التابعون وكبار الأَئِمَّة[2].

وظهرت بعد عَصْر الرَّسُوْل ﷺ خلافات بين الصَّحَابَة في مَسَائِل عَمَلِيَّة كالخِلَافَة، وقتال مَانِعي الزكاة... ونحوها[3].

لٰكِن مَسَائِل العَقِيْدَة لم نجد لهم خلافاً فيها، وما ورد في بعض الروايات من إجابة لبعض الأسئلة فغايته هي إثبات العَقِيْدَة ودفع شبهة الخصم.

رُوي أن أبا مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَاظَرَ القائلين: كيف يُقَدِّر عَلَيّ شَيئاً ثم

---

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام ص١١٩.

والحَدِيْث رُوي عن عَمْرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جده.

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام ص١٢٥-١٢٦ ونقل عن إلجام العَوَام للغَزَالِيّ. وانظر: إلجام العَوَام ص٤١ وأورد الغَزَالِيّ في ص٥٥ رِوَايَة عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ص١٤ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٢ وما بعدها. وانظر: التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١٧.

يعذبني عليه؟ فأجاب: قدّر حيث علم، وعذّب حيث لم يظلم.

وأُثِرَت عن الإمَام عَلِيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ آراء عديدة في ذات الله تعالىٰ وصفاته، وفي القَدَر، وخَلْق القُرْآن(١).

أما الاختلاف في الأُصُوْل فقد ظهر في أواخر أيام الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في العَصْر الأُمَوِيّ، كبِدْعَة مَعْبَد الجُهَنِيّ وغَيْلَان الدِّمَشْقِيّ في القول بالقَدَر وإنكار إضافة الخَيْر والشر إلىٰ القَدَر، وخلق القُرْآن، والصفات الإِلٰهِيَّة. ونسج علىٰ منوالهم وَاصِل بن عَطَاء وعَمْرو بن عُبَيْد في مَقَالَاتها الاعتزالية.

وطالع بعدهما شيوخُ المُعْتَزِلَة كتبَ الفَلَاسِفَة التي ترجمت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فُنُوْن العلم، وسمتها باسم الكلام، الذي ظهرت فيه فُنُوْن المنطق والفلسفة.

فأبدع هٰؤُلَاءِ الشيوخ بِدَعاً في صفات الله تعالىٰ كالكلام والإرادة، وفي أفعال العِبَاد، والقول بالقَدَر.

ونبغ جَهْم بن صَفْوَان وأظهر بِدْعَتَه في الجَبْر.

وكان بين المُعْتَزِلَة وبين السَّلَف وبين الجَبْرِيَّة مُنَاظَرَات سجلتها كتب الفِرَق وعلم الكلام(٢).

ومن الاختلاف بالأُصُوْل مَسْأَلَة مرتكب الكَبِيْرَة التي أثارها الخَوَارِج، وجادل فيها المُرْجِئَة والمُعْتَزِلَة وأَهْل السُّنَّة.

وأُلِّفت الكتب والرَّسَائِل في علم الكلام وخاصة في عهد العَبَّاسِيِّيْن، من قبل أَهْل

(١) كتابنا: أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ ص٣٨ نَقْلًا عن نشأة الآراء والمَذَاهِب والفِرَق الكلامية ليَحْيَىٰ حَسَن فرغل.

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٢٢-٢٧.

السُّنَّة والمُعْتَزِلَة والجَبْرِيَّة والخَوَارِج والإمَامِيَّة والزَّيْدِيَّة والإبَاضِيَّة والظَّاهِرِيَّة.

وراج مَنْهَج النَّظَر العقلي في تَقْرِيْر العَقَائِد الدِّيْنِيَّة والدفاع عنها، الذي تميز به المُعْتَزِلَة.

وظهر الأَشْعَرِيّ ينصر مَذْهَب أَهْل السُّنَّة، فرَدَّ علىٰ المُعْتَزِلَة وزلزل سُلْطَانهم. فكان الأَشَاعِرَة وسطاً بين المُحَدِّثِيْن والمُعْتَزِلَة.

وظهر المَاتُرِيْدِيّ ينصُر مَذْهَب أَهْل السُّنَّة أَيضاً، ولٰكِن كانت طريقته أقرب إلىٰ المُعْتَزِلَة، فكانت المَاتُرِيْدِيَّة وسطاً بين الأَشَاعِرَة والمُعْتَزِلَة.

وبرز من متأخري الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة من توغَّل في كتب الفلسفة فخلط ما كتبه من علم الكلام بالفلسفة، كما فعل البَيْضَاوِيّ في كتابه طَوَالِع الأَنْوَار، والإِيْجِيّ في المَوَاقِف، والتَّفْتَازَانِيّ في المَقَاصِد وشرحه... إلخ، وذٰلِكَ لأن العَصْر الذي عاشوا فيه قد انتشرت فيه الثقافة الفلسفية، وأصبحت سمته البارزة. وعُلَمَاء هٰذَا العَصْر درسوا علم الكلام وَفْقَ الطريقة العقلية من بِدَايَة حياتهم التَّعْلِيْمِيَّة، فاتخذوها مسلكاً لهم في تأليف الكتب وحِجَاج الخصوم.

لٰكِن تصدىٰ لهٰذَا المَنْهَج العقلي بعض الحَنَابِلَة، وخاصة شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة وتلميذه ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة.

وسيأتي تفصيل هٰذَا الكلام عند دراسة الفِرَق الإسلامِيَّة.

وفي زماننا الحاضر ظهرت الكتابات المُخْتَلِفَة في علم الكلام، تعرض ما ذكره المتقدمون بأُسْلُوْب ميسَّر خالٍ من التعقيد عموماً.

ومن تلك الدراسات ما هو مَذْهَبِيّ صِرْف، ومنها ما هو مقارن، يعرض المَسَائِل العَقَدِيَّة في المَذَاهِب الإسلامِيَّة المُخْتَلِفَة، ويوازن بين آرائها المتعددة، ملتمساً الجمع بينها من أجل ردم الهوَّة المتوهَّمة بين المُسْلِمِيْن، معتمداً طريق النقل والعقل في الاستدلال.

ومنها ما تعدَّىٰ بالمقارنة إلىٰ الفكر الغربي.

ومسلك المقارنة بين الآراء، والجمع بينها، والاستدلال لها بالنقل والعقل، هو مَنْهَجنا في هٰذَا الكتاب.

وذٰلِكَ:

لأن (الذي علينا اعْتِقَاده - كما يقول الإمَام مُحَمَّد عَبْدُه - أن الدِّيْن الإسلامِيّ دين تَوْحِيْد في العَقَائِد، لا دين تفريق في القَوَاعِد، العقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوىٰ أركانه، وما وراء ذٰلِكَ فنَزَغَاتُ شياطين...)[1].

(١) رِسَالَة التَّوْحِيْد لمُحَمَّد عَبْدُه ص٢٧.

الفَصْل الثاني
المَذَاهِب الإسلامِيَّة

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَث الأول: تَفْسِيْر نشأة المَذَاهِب الإسلامِيَّة.

حَدِيْث افتراق الأُمَّة.

المَبْحَث الثاني: أهم المَذَاهِب الإسلامِيَّة في العَقَائِد:

الخَوَارِج، الإبَاضِيَّة، الشِّيْعَة، المُرْجِئَة، القَدَرِيَّة، الجَبْرِيَّة، المُعْتَزِلَة، الأَشَاعِرَة، المَاتُرِيْدِيَّة، السَّلَفِيَّة.

المَبْحَث الثالث: أُصُوْل الدِّيْن عند المَذَاهِب الإسلامِيَّة:

أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة.

الشِّيْعَة الإمَامِيَّة الاثْنَي عَشَرِيَّة.

المُعْتَزِلَة.

المَـبْحَـث الأول
تَـفْـسِيْـر نشأة المَـذَاهِـب الإسلامِيَّـة

بدأ ظهور المَذَاهِب الإسلامِيَّة في السِّيَاسَة والعَقَائِد في عَصْر صدر الإسلام، ودأَبَ مؤرخوها علىٰ تسميتها بالفِرَق الإسلامِيَّة، ودوَّنوا في كتبهم آراء كل فِرْقَة منها. واختلف العُلَمَاء في تَفْسِيْر نشأة المَذَاهِب الإسلامِيَّة، وذكروا أن من أسباب اختلاف المُسْلِمِيْن في العَقَائِد ما يأتي:

١- **السبب السياسي**: فحين توفي الرَّسُوْل ﷺ اختلفوا في من هو أَوْلَـىٰ الناس بخِلافته، وأذعن الأَنْصَار ورأسُهم سَعْد بن عُبَادَة للمُهَاجِرين، حين قال أبو بَكْر الصِّدِّيْق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولقد علمتَ يا سَعْدُ أن رَسُوْل الله ﷺ قال وأنت قاعد: قُرَيْش ولاة هٰذَا الأمر، فبَرُّ الناس تَبَعٌ لبرِّهم، وفاجرُهم تَبَعٌ لفاجِرهم. قال له سَعْد: صدقتَ، نحن الوزراء، وأنتم الأُمَرَاء(١).

واشتد الخلاف حول الخِلَافَة بعد ذٰلِكَ، وكانت النتيجة ظهور الخَوَارِج والشِّيْعَة وغيرهم.

٢- **ورود المُتَشَابِه في القُرْآن الكَرِيْم**: قال تعالىٰ فيه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ

(١) مِنْهَاج السُّنَّة لابن تَيْمِيَّة، تَحْقِيْق: مُحَمَّد رَشَاد سالم ج١ ص٣٧١-٣٧٢. وقول أبي بَكْر رواه أَحْمَد في مُسْنَده - مُسْنَد الصِّدِّيْق. وهو في كتابي: الشُّوْرَىٰ بين النَّظَرِيَّة والتَّطْبِيْق ص٢٣٢.

عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ - آل عِمْرَان ٧.

واختلف العُلَمَاء في تَفْسِيْر الآيات المتشابِهة، فمنهم من توقَّف فيها، ومنهم من أَوَّلَـها، والمؤولـون اختلفوا في تأويلها، كاختلافهم في تَفْسِيْر النصوص القُرْآنية والأَحَادِيْث الشَّرِيْفَة الأُخرىٰ، واختلافهم في إمكانية الجمع بينها.

والذي أراه أن هٰذَا من أقوىٰ الأسباب التي أدت إلىٰ ظهور الفِرَق والمَذَاهِب العَقَائِدِيَّة.

٣- ترجمة كتب الفلسفة: وهٰذَا أدىٰ إلىٰ ظهور المناهج الفلسفية في إثبات العَقِيْدَة الإسلامِيَّة ودراستها، كما هو الحال عند المُعْتَزِلَة والأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة ومن وَافَقَهُم، الذين استخدموا الأَقْيِسَة المنطقية والدراسات الفلسفية، التي كانت مثار نقاش عند الرافضين لها من رِجَال المدرسة السَّلَفِيَّة والرافضين لدراسة المنطق والفلسفة.

والمَنْهَج الفلسفي جرَّهم إلىٰ دراسة مَسَائِل لا يستطيع العقل البشري أن يقرر نتائجها كمَسْأَلَة صفات الله تعالىٰ، ومَسْأَلَة قدرة العبد بجوار قدرة الرب، والبَحْث فيها يجرّ إلىٰ اختلاف النَّظَر لا محالة.

٤- مجاورة المُسْلِمِيْن لكثير من أهل الديانات السَّابِقَة: دخل في الإسلام أُناسٌ من المُشْرِكِيْن واليَهُوْد والنَّصَارَىٰ والمجوس وغيرهم، وأثاروا بين المُسْلِمِيْن ما كان يثار في ديانتهم من مُعْتَقَدَات في الجَبْر والاخْتِيَار وصفات الله تعالىٰ وغيرها.

ومن هٰؤُلَاءِ من حَسُن إسلامه، لٰكِن كان يعرض أفكاره ملتمساً الفهم فقط. ومنهم من دخل في الإسلام ظَاهِرِيّاً كالزنادقة، يريد إفساد عَقِيْدَة المُسْلِمِيْن، وإبطال دينهم.

فكان ذٰلِكَ سبباً في تشعب الآراء وظهور الفِرَق[1].

(١) ممن كتب في أسباب اختلاف المُسْلِمِيْن في العَقَائِد: أبو زُهْرَة في تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٣ وما بعدها.

وذهب كثير من المستشرقين إلىٰ أن العقل العَرَبِيّ مصاب أصالة باللاموضوعية، ومعاداة التجديد، والنَّظْرَة الجزئية، والفصل بين الأشياء، والميل إلىٰ التكرار، وغياب التَّرْكِيْب ووحدة الموضوع، ومن ثمّ العجز عن إنشاء المَذَاهِب الفلسفية الجَامِعَة والإبداع الفكري.

وانتهوا الىٰ تعميمٍ مؤداه: أن كل قضية فكرية في الإسلام أَثَرٌ ونتيجة لجانب من جوانب الفكر الأجنبي.

وهٰذِهِ مجازفة خَطِيْرة، وتحامُل علىٰ المُسْلِمِيْن كَبِيْر، لأن الدراسات التحليلية المعاصرة أثبتت أن ظهور فكرة معينة في ثقافة أُمَّة، ثم ظهور ذات الفكرة في دائرة ثقافية أُخرىٰ لا يعني أن الثانية متأثرة بالأُوْلَىٰ، إلَّا إذا وجدت دلائل مادية قاطعة بذٰلِكَ.

وليس من الصواب أن نُرجع كل ظَاهِرَة في بيئة ما إلىٰ عوامل خارجية عنها، فنهمل بذٰلِكَ العوامل الداخلية، فإنه لا فكرة من الأفكار ذات قيمة يكون لها سُلْطَان علىٰ نفوس الناس إلَّا إذا كانت تمتّ إليهم بصِلَة، فإذا جاء عامل خارجي أيقظها، ولٰكِنه لا يخلقها خلقاً.

فالعوامل الداخلية هي السبب الأول في نشأة المَذَاهِب الإسلامِيَّة، أما العوامل الخارجية فهي أسباب ثانوية لاحقة[١].

حَدِيْث افتراق الأُمَّة

وردت عن الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ أَحَادِيْث عديدة تفيد أن الأُمَّة الإسلامِيَّة ستفترق فِرَقاً عديدة، منها:

١- قال رَسُوْل الله ﷺ: تَفرَّقت اليَهُوْدُ علىٰ إحدىٰ وسبعين أو اثنتين وسبعين

(١) دراسات في الفِرَق ص٧-١٧.

فِرْقَةً، والنَّصَارَىٰ مِثْلَ ذٰلِكَ، وتفترق أُمَّتِي علىٰ ثلاث وسبعين فِرْقَةً[1].

(١) حَدِيْث: تَفرَّقت اليَهُوْد علىٰ إحدىٰ وسبعين... إلخ، في: سُنَن التِّرمِذِيّ في: ٣٧ كتاب الإيمان، ١٨ باب ما جاء في افتراق هٰذِهِ الأُمَّة، رقم ٢٦٤٠، ص٤٢٨، عن أبي هُرَيْرَة. / انظر: عَارِضَة الأَحْوَذِيّ بشَرْح صَحِيْح التِّرمِذِيّ لابن العَرَبِيّ ج١٠ ص١٠٨-١٠٩. قال التِّرْمِذِيّ: حَدِيْث أبي هُرَيْرَة حَدِيْث حَسَن صَحِيْح. قال: وفي الباب عن سَعْد وعبد الله بن عَمْرو وعَوْف بن مَالِك.

ونحو هٰذَا اللفظ في سُنَن أبي دَاوُد في: كتاب السُّنَّة، باب شَرْح السُّنَّة، عن أبي هُرَيْرَة. / بذل المجهود في حل أبي دَاوُد ج١٨ ص١١٦.

وفي سُنَن ابن مَاجَة في: ٣٦ كتاب الفتن، ١٧ باب افتراق الأُمَم، رقم ٣٩٩١، ج٢ ص١٣٢١، عن أبي هُرَيْرَة. / سُنَن ابن مَاجَة بشَرْح السِّنْدِيّ ج٤ ص٣٥٢. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج٥ ص١٢٨: الحَدِيْث صَحِيْحٌ لغيره، وهٰذَا إسنادٌ حَسَن...، وذَكَرَ مُخَرِّجِيْهِ.

وفي مُسْنَد الإمَام أَحْمَد، رقم ٨٣٩٦، ج١٤ ص١٢٤، عن أبي هُرَيْرَة. طَبْعَة مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة، قال مُحَقِّقُهُ الشيخ شُعَيْب: إسناده حَسَن، وذكر هٰؤُلَاءِ المخرِّجين وغيرهم.

وأورده المَقْرِيْزِيّ في الخِطَط ج٢ ص٣٤٥ بنحو هٰذَا اللفظ وقال: (أَخْرَجَهُ أبو دَاوُد والتِّرْمِذِيّ وابن مَاجَة من حَدِيْث أبي هُرَيْرَة، قال البَيْهَقِيّ: حَسَن صَحِيْح. وأَخْرَجَهُ الحَاكِم وابن حِبَّان في صَحِيْحِهِ بنحوه، فأَخْرَجَهُ في المُسْتَدْرَك من طريق الفَضْل بن مُوسَىٰ عن مُحَمَّد بن عَمْرو عن أبي سَلَمَة عن أبي هُرَيْرَة به، وقال: هٰذَا حَدِيْث كثير في الأُصُوْل. وقد رُوِيَ عن سَعْد بن أبي وَقَّاص وعبد الله بن عُمَر وعَوْف بن مَالِك عن رَسُوْل الله ﷺ بمثله. وقد احتج مُسْلِم بمُحَمَّد بن عَمْرو عن أبي سَلَمَة عن أبي هُرَيْرَة، واتفقا جَميعاً علىٰ الاحتجاج بالفَضْل بن مُوسَىٰ وهو ثِقَة).

والحَدِيْث في الجَامِع الصَّغِيْر، رقم ١٢٢٣ قال السُّيُوْطِيّ: رواه أبو دَاوُد والنَّسَائِيّ والتِّرْمِذِيّ وابن مَاجَة عن أبي هُرَيْرَة، وصَحَّحَهُ. / فَيْض القَدِيْر ج٢ ص٢٠، قال المُنَاوِيّ: (وكذا الحَاكِم والبَيْهَقِيّ عن أبي هُرَيْرَة. قال الزَّيْن العِرَاقِيّ: في أسانيده جياد، ورواه الحَاكِم من عدة طرق، ثم قال: هٰذِهِ أسانيد تقوم بها الحُجَّة، وعَدَّه المؤلف من المتواتر).

وذكره البَغْدَادِيّ في: الفَرْق بين الفِرَق ص٥ بسنده، بلفظ مقارب.

وقوله ﷺ: (علىٰ إحدىٰ وسبعين أو اثنتين وسبعين فِرْقَةً) شَكٌّ من الرَّاوِي، وورد في حَدِيْث عبد الله بن عَمْرو الآتي: (علىٰ ثنتين وسبعين مِلَّة) من غير شك[1].

٢- قال رَسُوْل الله ﷺ:... وإن بني إسرائيل تَفرَّقت علىٰ ثنتين وسبعين مِلَّة، وتفترق أُمَّتِي علىٰ ثلاث وسبعين مِلَّة، كلُّهم في النار إلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قالوا: ومن هي يا رَسُوْل الله؟ قال: ما أنا عليه وأَصْحَابِي[2].

---

(١) تُحْفَة الأَحْوَذِيّ للمُبَارَكْفُوْرِيّ ج٣ ص٣٦٧.

(٢) **حَدِيْث: وإن بني إسرائيل تَفرَّقت علىٰ ثنتين وسبعين مِلَّة**... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٧ كتاب الإيمان، ١٨ باب ما جاء في افتراق هٰذِهِ الأُمَّة، رقم ٢٦٤١، ص٤٢٨، عن عبد الله بن عَمْرو. قال التِّرْمِذِيّ: هٰذَا حَدِيْث حَسَن غَرِيْب مُفَسَّر لا نَعرفُه مِثْلَ هٰذَا إلَّا من هٰذَا الوجه. / عَارِضَة الأَحْوَذِيّ ج١٠ ص١٠٩-١١٠.

والحَدِيْث في الجَامِع الصَّغِيْر، رقم ٧٥٣٢، قال السُّيُوْطِيّ: رواه التِّرْمِذِيّ عن ابن عَمْرو، وضعَّفه. / فَيْض القَدِيْر ج٥ ص٣٤٧ وفيه: (قال الصدر المُنَاوِيّ: فيه عبد الرَّحْمٰن بن زِيَاد الإفْرِيْقِيّ، قال الذَّهَبِيّ: ضعفوه).

واعتمد هٰذَا الحَدِيْث بعضُ كُتَّاب الفِرَق الإسلامِيَّة، وذكروه بألفاظ مقاربة لهٰذَا الحَدِيْث مثل: المَلَطِيّ في التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٢، والبَغْدَادِيّ في الفَرْق بين الفِرَق ص٦ بسنده، والإسْفَرَايِيْنِيّ في التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١٤، والشَّهْرَسْتَانِيّ في المِلَل والنِّحَل ج١ ص٥، والشيخ عبد القَادِر في الغُنْيَة ج١ ص٩٤، والإيْجِيّ في المَوَاقِف ج٨ ص٣٧٦، والمَقْرِيْزِيّ في الخِطَط ج٢ ص٣٤٥، والسَّفَّارِيْنِيّ في لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٩٢ ونقل عن ابن تَيْمِيَّة، وذكر رواته من الصَّحَابَة.

وذكر ابن المُرْتَضَىٰ في المُنْيَة والأَمَل ص٧٩: (في الأثر عنه ﷺ أنه قال: افترقت أُمَّة أخي مُوسَىٰ علىٰ إحدىٰ وسبعين فِرْقَة كلها هالكة إلَّا فِرْقَة وَاحِدَة وهي الناجية، وافترقت أُمَّة أخي عِيسَىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فِرْقَة كلها هالكة إلَّا فِرْقَة وَاحِدَة، وستفترق أُمَّتِي إلىٰ ثلاث وسبعين فِرْقَة كلها هالكة إلَّا فِرْقَة وَاحِدَة. رواه عبد الله بن مَسْعُوْد وأَنَس وعبد الله بن عَبَّاس. قال الإمَام يَحْيَىٰ: وتلقته الأُمَّة بالقبول). وانظر ص١٨ أيضاً.

ولحَدِيْث افتراق الأُمَّة أسانيد كثيرة عن رَسُوْل الله ﷺ[١].

وعلىٰ الرغم من أن البعض قد ضَعَّف هٰذَا الحَدِيْث[٢]، فإن منهم من صَحَّحَهُ أو

---

(١) من رُوَاة هٰذَا الحَدِيْث:

أَنَس بن مَالِك، في سُنَن ابن مَاجَة في: ٣٦ كتاب الفتن، ١٧ باب افتراق الأُمَم، رقم ٣٩٩٣، ج٢ ص١٣٢٢. / سُنَن ابن مَاجَة بشَرْح السِّنْدِيّ ج٤ ص٣٥٣. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج٥ ص١٣٠: حَدِيْثٌ صَحِيْح. ومُسْنَد أَحْمَد رقم ١٢٢٠٨، ج١٩ ص٢٤١. ورقم ١٢٤٧٩، ج١٩ ص٤٦٢ طَبْعَة الرِّسَالَة، وقال الشيخ شُعَيْب محقق المُسْنَد عن كُلٍّ منها: صَحِيْح بشواهده، وذكر أن إسناد كُلٍّ منهما ضعيف، وخَرَّجَهُما. وذكره البَغْدَادِيّ في الفَرْق بين الفِرَق ص٧ بسنده.

وعَوْف بن مَالِك، في سُنَن ابن مَاجَة، الباب السَّابِق رقم ٣٩٩٢.

ومُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان، في سُنَن أبي دَاوُد، الباب السَّابِق.

قال البَغْدَادِيّ: (رواه عن النَّبِيّ ﷺ جَمَاعَة من الصَّحَابَة: كأَنَس بن مَالِك، وأبي هُرَيْرَة، وأبي الدَّرْدَاء، وجَابِر، وأبي سَعِيْد الخُدْرِيّ، وأُبَيّ بن كَعْب، وعبد الله بن عَمْرو بن العاص، وأبي أُمَامَة، ووَاثِلَة بن الأَسْقَع. وغيرهم. وقد رُوِيَ عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأُمَّة بعدهم فِرَقاً، وذكروا أن الفِرْقَة الناجية منها فِرْقَة وَاحِدَة، وسائرها علىٰ الضلال في الدنيا والبَوَار في الأخرة). / الفَرْق بين الفِرَق ص٨-٩.

ورواه جَابِر بن زَيْد عن ابن عَبَّاس عن النَّبِيّ ﷺ قال: ستفترق أُمَّتِي علىٰ ثلاث وسبعين فِرْقَة كلهم إلىٰ النار ما خلا وَاحِدَة نجية، وكلهم يدعي تلك الوَاحِدَة. / الجَامِع الصَّحِيْح مُسْنَد الرَّبِيْع بن حَبِيْب - شَرْح السَّالِمِيّ ج١ ص٦٧ وفيه تَخْرِيْجه. وفي شَرْح التَّرْتِيْب لمُحَمَّد بن عُمَر ج١ ص٦٣: حَدِيْث مشهور في كثير من كتب أصحابنا (أي: الإبَاضِيَّة) وغيرهم.

وعن عَلِيّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: قال رَسُوْل الله صلىٰ الله عليه وآله: ستفترق أُمَّتِي علىٰ ثلاث وسبعين فِرْقَة، فِرْقَة منها ناجية، والباقون هالكون، والناجون الذين يَتَمَسَّكُون بوِلايتكم، ويقتبسون من علمكم، ولا يَعْمَلون برأيهم، فأُوْلٰئِكَ ما عليهم من سَبِيْل. / تفصيل وَسَائِل الشِّيْعَة (آل البيت) للحر العَامِلِيّ ج٢٧ ص٥٠ رقم ٣٣١٨١، و(الإسلامِيَّة) ج١٨ ص٣١ رقم ٣٣١٦٥.

(٢) مثل: الشيخ القَرَضَاوِيّ في فَتَاوَىٰ معاصرة ج٣ ص٧٦ واستشهد بطعن ابن الوَزِيْر فيه في

حَسَّنَهُ، كما تقدم، ومنهم من جعل رواياته الكثيرة سبباً في نفي الرِّيْبَة عنه، قال المَقْبِلِيّ: (وحَدِيْث افتراق الأُمَّة إلىٰ ثلاث وسبعين فِرْقَة، رواياتُه كثيرة، يشدّ بعضها بعضاً، بحيث لا تبقىٰ رِيْبَة في حاصل معناه)[١].

وقال الإمَام يَحْيَىٰ: (تلقته الأُمَّة بالقبول)[٢].

وفي تَفْسِيْر (المِلَّة) الوَارِدَة في الحَدِيْث قولان:

١- هي في الأصل: ما شرعه الله لعِبَاده علىٰ ألسنة أنبيائه، ليتوصلوا به إلىٰ القرب من حضرته تعالىٰ، ثم اتسع لفظ (المِلَّة) فاستُعمل في المِلَل الباطلة، فقيل: الكفرُ كُلُّه مِلَّة وَاحِدَة. فمعنىٰ الحَدِيْث هو: أنهم يفترقون فِرَقاً تتدين كل وَاحِدَة منها بخلاف ما تتدين به الأُخرىٰ، فتسمىٰ طريقتهم مِلَّة مجازاً[٣].

٢- وقيل: المِلَّة هي كل فعل وقول، حقاً كان أو باطلاً، اجتمع عليه جَمَاعَة[٤].

كتابه العواصم والقواصم ج١ ص١٨٦، وبتضعيف ابن حَزْم في الفِصَل ج٣ ص٢٩٢.

قال المَوْلَىٰ حَسَن چَلَبِي في حاشيته علىٰ المَوَاقِف ج٨ ص٣٧٥: (طعن بعضُهم في صحة هٰذَا الخبر، فقال: إن أراد باثنتين وسبعين فِرْقَة أُصُوْل الأديان فلن يبلغ هٰذَا العدد، وإن أراد الفُرُوْع فإنها تتجاوز هٰذَا العدد إلىٰ أضعاف ذٰلِكَ. أجاب الإمَام الرَّازِيّ: بإن المُرَاد ستفترق أُمَّتِي في حالٍ ما، وليس فيه دلالة علىٰ أن افتراقها في سائر الأحوال لا يجوز أن يَزِيْد وينقص).

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة لأبي زُهْرَة ص١١ نَقْلًا عن العلم الشَّامخ للمَقْبِلِيّ.

(٢) المِلَل والنِّحَل وشرحه المُنْيَة والأَمَل لابن المُرْتَضَىٰ ص١٨و٧٩.

(٣) فَيْض القَدِيْر ج٥ ص٣٤٧ ونقل عن الطِّيْبِيّ. وهو في شَرْح الطِّيْبِيّ علىٰ المِشْكَاة ج٢ ص٦٤٠. وانظر: مِرْقَاة المفاتيح ج١ ص٤١٨ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٣ ص٣٦٨ ونقل عن المِرْقَاة.

(٤) مِرْقَاة المفاتيح للقَارِي السَّابِق.

والحَدِيْث الشَّرِيْف يفيد: أن بني إسرائيل تَفرَّقت اثنتين وسبعين فِرْقَة أو مِلَّة، وكذٰلِكَ أُمَّة مُحَمَّد ﷺ تفترق كذٰلِكَ مع زِيَادَة هٰؤُلَاءِ في ارتكاب البدع بدرجة[1].

والمُرَاد بالأُمَّة أُمَّة الإجابة[2]، وهم أهل القِبْلَة، فإن اسم الأُمَّة مضافاً إلىٰ مُحَمَّد ﷺ يتبادر منه أُمَّة الإجابة[3].

فيكون المِلَل الثلاث والسبعون منحصرة في أهل قِبلتنا[4].

واختلفوا في تَفْسِيْر العدد الثلاث والسبعين علىٰ أقوال:

١ - هو عدد أُصُوْل المَذَاهِب[5].

٢ - هو العدد الذي بلغته هٰذِهِ الأُصُوْل في وقت من الأوقات، وإن زادت أو نقصت في أكثر الأوقات[6].

٣- العدد محمول علىٰ التكثير[7].

---

(١) مِرْقَاة المفاتيح السَّابِق.

(٢) فَيْض القَدِيْر ج٥ ص٣٤٧ ومِرْقَاة المفاتيح ج١ ص٤١٨ وشَرْح سُنَن ابن مَاجَة للسِّنْدِيّ ج٤ ص٣٥٢ وبَذْل المَجْهُوْد في حَلّ أبي دَاوُد للسَّهَارَنْفُوْرِيّ ج١٨ ص١١٧.

وذكر القَارِي أن تَفْسِيْر الأُمَّة بأُمَّة الإجابة هو الأظهر من التَّفْسِيْرَيْن، ونقل عن الأَبْهَرِيّ أن هٰذَا التَّفْسِيْر هو عند الأكثر. / مِرْقَاة المفاتيح السَّابِق.

وقيل: المُرَاد بالأُمَّة أُمَّة الدعوة، فيندرج جميع أرباب المِلَل والنِّحَل الذين ليسوا علىٰ قبلتنا في عدد الثلاث والسبعين. / فَيْض القَدِيْر، ومِرْقَاة المفاتيح، السَّابِقَان. ونقل المُنَاوِيّ عن القَاضِي.

(٣) شَرْح سُنَن ابن مَاجَة السَّابِق.

(٤) مِرْقَاة المفاتيح السَّابِق. وانظر: فَيْض القَدِيْر السَّابِق.

(٥) فَيْض القَدِيْر ج٢ ص٢٠ عن المحقق الدَّوَّانِيّ، وبذل المجهود ج١٨ ص١١٧.

(٦) فَيْض القَدِيْر السَّابِق.

(٧) بذل المجهود السَّابِق.

واختلفوا في تَكَامُل هٰذِهِ الفِرَق الثلاث والسبعين:

فقال بعضهم: لم يَتَكَامَل وجود هٰذِهِ الفِرَق من أهل البِدَع بين المُسْلِمِيْن بعدُ، وإنما وجد بعضها، وستوجد جميعها قبل يوم القيامة، فإن ما أخبر به الرَّسُوْل ﷺ كائن لا محالة.

وقال بعضهم: وجدت بتمامها في زمرة الإسلام، ووجب علىٰ المسلم أن يميز عقيدته عن عَقَائِدهم الفاسدة. وعدّدها علىٰ نحو ما ورد في كتب الفِرَق[1].

وقد بين الرَّسُوْل ﷺ أن هٰذِهِ الفِرَق كلها في النار، لفعلهم القبيح وابتداعهم، واستثنىٰ منها الفِرْقَة الناجية، وذكرها باسم: (الجَمَاعَة)، كما ورد في سُنَن أبي دَاوُد، وابن مَاجَة ومُسْنَد أَحْمَد. و(ما أنا عليه وأَصْحَابِي)، كما ورد في سُنَن التِّرْمِذِيّ.

وفُسِّرَت (الجَمَاعَة) بأَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة[2]. أو بأنهم الموافقون لجَمَاعَة الصَّحَابَة، الآخذون بعَقَائِدهم، المتمسكون برأيهم[3]، المقتفون آثارهم، والمهتدون بسيرتهم في الأُصُوْل والفُرُوْع[4]، من أهل العلم والفِقْه الذين اجتمعوا علىٰ اتباع آثاره ﷺ في النَّقِيْر والقِطْمِيْر، ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير[5].

وهٰذَا هو الذي يميز أَهْل السُّنَّة عن غيرهم من أصحاب البدع، إذ كل مبتدع يزعم

---

(1) التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص15 وفَيْض القَدِيْر ج5 ص347.

(2) فَيْض القَدِيْر ج2 ص20 ومِرْقَاة المفاتيح ج1 ص419 وبذل المجهود ج18 ص118.

(3) شَرْح سُنَن ابن مَاجَة للسِّنْدِيّ ج4 ص353.

(4) فَيْض القَدِيْر السَّابِق ج2 ص21 وج5 ص347. وانظر: مِرْقَاة المفاتيح السَّابِق.

(5) مِرْقَاة المفاتيح ج1 ص420.

النَّقِيْر: النقطة في ظَهر النَّوَاة. / القَامُوْس المُحِيْط مادة (نقره).

القِطْمِيْر: شَقّ النَّوَاة، أو القشرة التي فيها، أو القشرة الرقيقة بين النَّوَاة والتمرة. / القَامُوْس المُحِيْط مادة (القطمير).

أن فِرْقته هي الناجية دون غيرها[١].

والتفرّق المذموم الوارد بالحَدِيْث الشَّرِيْف، هو التفرّق بأُصُوْل الدِّيْن والعَقَائِد، أي: في الإلٰهيَّات والنُّبُوَّات واليَوم الآخِر.

أما التفرّق في فُرُوْع الفِقْه والاجتهادات في المَسَائِل الفِقْهِيَّة فهو رحمة بالعِبَاد من الله تعالىٰ، وهو مَفاد ما نُسب إلىٰ النَّبِيّ ﷺ: (اختلاف أُمَّتِي رحمة)[٢]، لأن المجتهدين فيما اختلفوا من فُرُوْع الحلال والحرام علىٰ قولين:

١- تصويب المجتهدين كلهم في فُرُوْع الفِقْه، فأصحاب المَذَاهِب الفِقْهِيَّة كلهم مصيبون.

٢- تصويب وَاحِد من المجتهدين في كل فرع، وتخطئة البَاقِين من غير تضليل أو تكفير للمُخْطِئ فيه[٣].

---

(١) فَيْض القَدِيْر ص٢٠-٢١.

(٢) انظر: الفَرْق بين الفِرَق ص١٠ وفَيْض القَدِيْر ج٢ ص٢٠ و ج٥ ص٣٤٧ وبذل المجهود ج١٨ ص١١٧ وشَرْح سُنَن ابن مَاجَة للسِّنْدِيّ ج٤ ص٣٥٢.

وحَدِيْث: اختلاف أُمَّتِي رحمة: قال السُّيُوْطِيّ في الجَامِع الصَّغِيْر: أَخْرَجَهُ (نَصْر المَقْدِسِيّ في الحُجَّة، والبَيْهَقِيّ في الرِّسَالَة الأَشْعَرِيَّة بغير سند، وأورده الحَلِيْمِيّ والقَاضِي حُسَيْن وإمَام الحَرَمَيْن وغيرهم، ولعله خُرِّجَ في بعض كتب الحُفَّاظ التي لم تصل إلينا). وانظر الكلام عليه في: فَيْض القَدِيْر شَرْح الجَامِع الصَّغِيْر ج١ ص٢٠٩ رقم ٢٨٨ وكَشْف الخفاء والإلباس للعَجْلُوْنِيّ ج١ رقم ١٥٣.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق السَّابِق.

ومَسْأَلَة تصويب المجتهد وتخطئته مَبْسُوْطَة بأدلتها في كتب أُصُوْل الفِقْه. وخلاصتها هي:

أن المجتَهَد فيه: إما أن يكون عقلياً أو شَرْعِيّاً.

أولاً: فإن كان عقلياً (أي: في أُصُوْل الدِّيْن) ففيه قولان:

. . . .

١ - المصيب فيه وَاحِد، ومن عداه مخطئ. وهو قول جُمْهُوْر العُلَمَاء. ثم إن أدّاه اجتهاده إلىٰ ما يخالف مِلَّة الإسلام فهو آثم كافر، وإلَّا فهو مبتدِع فاسق.

٢ - كل مجتهِد في العقليات مصيب، وهو قول الجَاحِظ وعُبَيْد الله بن الحَسَن العَنْبَرِيّ. فلا إثم علىٰ المجتهد في العقليات ما دام لم يصل إلىٰ درجة العناد، لأنه بذل ما في وسعه، فهو معذور.

ثانياً: وإن كان المجتَهَد فيه فِقْهِيّاً شَرْعِيّاً، فلا يخلو إما أن يكون قطعياً أو غير قطعي:

فإن كان قطعياً، مثل وجوب الصلاة والزكاة وتحريم الزنا والسرقة...، فالاجتهاد فيه غير جائز، لأنه أصبح أمراً مَعْلُوْماً من الدِّيْن بالضرورة، فالمخطئ فيه آثم، ومُنْكِره كافر.

وإن كان غير قطعي، فقد اتّفق العُلَمَاء علىٰ جواز الاجتهاد فيه، لٰكِن اختلفوا هل أن كل مجتهد مصيب، أو أن المصيب فيه وَاحِد فقط؟

ومنشأ هٰذَا الاختلاف هو هل أن لله تعالىٰ في كل مَسْأَلَة حكماً معيناً قبل أن يجتهد فيها المجتهد، أو ليس فيها حكم معين، وإنما الحكم فيها هو ما وصل إليه المجتهد باجتهاده؟ ففيه قولان:

١ - إن لله في المَسْأَلَة حكماً معيناً قبل اجتهاد المجتهد، من أصابه باجتهاده فهو المصيب، ومن لم يصبه فهو المخطئ، وبذٰلِكَ لا يكون كل مجتهد مصيباً. وهو قول جُمْهُوْر العُلَمَاء، والمعروف عن الأَئِمَّة الأربعة.

٢ - ليس لله في المَسْأَلَة حكم معين قبل الاجتهاد، بل الحكم فيها هو ما وصل إليه كل مجتهد باجتهاده، وبذٰلِكَ يكون كل مجتهد مصيباً. وهٰذَا قول البَاقِلَّانِيّ وأبي عَلِيّ الجُبَّائِيّ وابنه أبي هَاشِم. / انظر: أُصُوْل الفِقْه لمُحَمَّد أبو النُّوْر زُهَيْر ج٤ ص١٩٨-١٩٩ وفيه الأَدِلَّة.

المَبْحَث الثاني

أهم المَذَاهِب الإسلامِيَّة في العَقَائِد

في هٰذَا المَبْحَث بَيَان أهم المَذَاهِب الإسلامِيَّة في العَقَائِد، التي سمَّاها مؤرخوها **بالفِرَق الإسلامِيَّة**، وهي:

الخَوَارِج، والإبَاضِيَّة، والشِّيْعَة، والمُرْجِئَة، والقَدَرِيَّة، والجَبْرِيَّة، والمُعْتَزِلَة، والأَشَاعِرَة، والمَاتُرِيْدِيَّة، والسَّلَفِيَّة.

الخَوَارِج

هم الذين خرجوا علىٰ الإمَام عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد قبوله التَّحْكِيْم في واقعة صِفِّيْن.

أَسماؤهم

لهٰؤُلَاءِ تسميات عديدة منها:

١- **الخَوَارِج**: جمع خارج، وهو الذي خلع طاعة الإمَام الحق، وأعلن عصيانه، ويسمي الفُقَهَاء الخارج عن طاعة الإمَام الحق: الباغي، وجمعُه البُغَاة[١]، واختلفوا في توجيه هٰذِهِ التسمية:

فهم يقولون بأن سببها هو خروجهم في سَبِيْل الله، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ

(١) تَعْلِيْق مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد علىٰ مَقَالَات الإسلامِيِّيْن للأَشْعَرِيّ ج١ ص١٦٨ وتَعْلِيْقه علىٰ الفَرْق بين الفِرَق للبَغْدَادِيّ ص٧٢. وانظر: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٠٥ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٥٤.

مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ – النساء ١٠٠ [(١)].

أو لأنهم خرجوا علىٰ الإمَام عَلِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحاربوه[(٢)].

لٰكِن قال غيرهم: جاءت هٰذِهِ التسمية لأنهم: خرجوا علىٰ الناس، أو خرجوا عن الدِّيْن، أو عن الحق[(٣)].

٢- الحَرَوْرِيَّة: نسبة إلىٰ حَرَوْرَاء، وهي قَرْيَة بظَاهِر الكُوْفَة، كانوا قد اجتمعوا فيها بعد رجوعهم من صِفِّيْن[(٤)].

٣- الشُّرَاة: وهو جمعٌ، مفردُه: شارٍ، اسم فاعل من الشراء، مثل: قُضَاة جمعٌ، مفردُه قاضٍ. وزعموا بأنهم سُمُّوا بذٰلِكَ لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالىٰ علىٰ أن لهم الجنة، يشيرون بذٰلِكَ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ ﴾ – التوبة ١١١ [(٥)].

وفَسَّرَ غيرُهم هٰذِهِ التسمية: بأنها من شَرِيَ الشَّرُّ – من باب رَضِيَ – إذا زاد وتفاقم. أو من شَرِيَ الرَّجُلُ – كرَضِيَ – إذا غضب ولَجَّ في الخصومة[(٦)].

---

(١) دراسات في الفِرَق ص٨٩.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٦٤و٢٠٧ وشَرْح الحُوْر العِيْن السَّابِق، وتاج العروس مادة (خرج)، والغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص٩٦ وفيه ذَكَرَ ألقاب الخَوَارِج وتوجيهاتها.

(٣) تاج العروس السَّابِق، ودراسات في الفِرَق السَّابِق عن ابن مَنْظُوْر والزَّبِيْدِيّ.

(٤) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢٠٧ والفَرْق بين الفِرَق ص٧٥ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٥٤ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٤ والمُنْيَة والأَمَل ص١٠٤.

(٥) تَعْلِيْق مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد علىٰ مَقَالَات الإسلامِيِّيْن للأَشْعَرِيّ ج١ ص١٦٨. وتَعْلِيْل التسمية في: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن للأَشْعَرِيّ ج١ ص٢٠٧ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٥٤ والمُنْيَة والأَمَل ص١٠٤.

(٦) تَعْلِيْق مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن السَّابِق، وأشار إلىٰ صِحَاح الجَوْهَرِيّ.

٤- **النَّوَاصِب**: وهو جمع نَاصِب أو نَاصِبِيّ، وهو الذي غالىٰ في كره الإمَام عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

٥- **المُحَكِّمَة**: وسُمُّوا بذٰلِكَ لإنكارهم التَّحْكِيْم في صِفِّيْن، وقالوا: لا حَكَمَ إلَّا الله[٢].

٦- **المَارِقَة**[٣]: أي: المارقون من الدِّيْن، لحَدِيْث: (يَمْرُقُون من الدِّيْن مُرُوق السَّهْم من الرَّمِيَّة).

وهٰـذِهِ التسمية لا يرضَونها، لاعْتِقَادهم أنهم هم المُؤْمِنون، ومخالفوهم هم المُشْرِكُوْن أو الكافرون[٤].

٧- ومن أسمائهم أَيضاً التي اختاروها لأنفسهم: **المُسْلِمُوْن، جَمَاعَة المُسْلِمِيْن، أهل الدعوة، أهل الحق، أهل الاستقامة**[٥].

(١) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٤ وتَعْلِيْق مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن السَّابِق، وأشار إلىٰ خِطَط المَقْرِيْزِيّ. وتَعْلِيْقه علىٰ الفَرْق بين الفِرَق للبَغْدَادِيّ ص٧٢.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢٠٧ وشَرْح الحُوْر العِيْن السَّابِق ص٢٥٥ والمُنْيَة والأَمَل السَّابِق.

(٣) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن السَّابِق، والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٠٧. وشَرْح الحُوْر العِيْن، والمُنْيَة والأَمَل، السَّابِقَان، وتَعْلِيْق مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن علىٰ الفَرْق بين الفِرَق للبَغْدَادِيّ ص٧٢.

(٤) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن، والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، وشَرْح الحُوْر العِيْن، والمُنْيَة والأَمَل، السَّابِقَة، وتاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٢٦٥. وسيأتي بعد قليل حَدِيْث المُرُوق بتمامه.

(٥) البعد الحَضَارِيّ ص٥٦.

آراء الخَوَارِج

جميع الخَوَارِج يقولون بما يأتي:

١- إكفار عَلِيّ، وعُثْمَان، وأصحاب الجَمَل، والحَكَمَين، ومن رضي بالتَّحْكِيْم وصَوَّب الحَكَمَين أو أحدهما[1].

وجميعهم يثبتون إمَامَة أبي بَكْر وعُمَر، ويُنكرون إمَامَة عُثْمَان في وقت الأحداث التي نُقم عليه من أجلها، أي: بعد السنوات الست من حكمه، ويقولون بإمَامَة عَلِيّ قبل أن يُحكِّم، ويكفرونه بعده.

٢- إن الإمَامَة في قُرَيْش وغيرها، إذا كان القائم بها مستحقاً لذٰلِكَ.

٣- القُرْآن مخلوق[2].

٤- الخروج علىٰ السُّلْطَان الجائر[3].

---

(١) الفَرْق بين الفِرَق ص٧٣ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٣٨. وانظر: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٦٧ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٠٧ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٥١ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٣٥ والمُنْيَة والأَمَل ص١٠٤.

ويلاحظ أن للإبَاضِيَّة رأياً غير هٰذَا، تُثبتُه كتبهم، وسيأتي بعد قليل.

وقال جُمْهُوْر الخَوَارِج: إن من عصىٰ الله تعالىٰ فقد كفر، فكان كافراً، وحكمه أنه يخلد في النار، صَغِيْرَة كان ما فعل أو كَبِيْرَة. ومنهم من يقول هو مُشْرِك. ومنهم من فَرَّقَ بين الصَّغِيْرَة وبين الكَبِيْرَة، ويحكم بكفره وتخليده في النار بارتكاب الكَبِيْرَة دون الصَّغِيْرَة. وحكي عن نَجْدَة الحَنَفِيّ صاحب النَّجَدَات من الخَوَارِج أن صاحب الكَبِيْرَة لا يُخَلَّد بل يُعذَّب لا محالة، بقدر ذنبه ولا يجوز العَفو عنه، ثم كان عَاقِبَة أمره دخول الجنة. / تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٦٧.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢٠٣-٢٠٤.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق، والتَّبْصِيْر في الدِّيْن، والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، والبَدْء والتاريخ، السَّابِقَة.

فِرَق الخَوَارِج

افترق الخَوَارِج إلىٰ فِرَق عديدة لم يُتفق علىٰ عددهم، فالبَغْدَادِيّ[١] والإسْفَرَايِيْنِيّ[٢] ذكرا أنهم عشرون فِرْقَة، لٰكِنهما عدَّدا أكثر من عشرين. وذكر المَقْرِيْزِيّ أنهم عشرون فِرْقَة أَيضاً، لٰكِنه زاد بعد ذٰلِكَ سبع فِرَق[٣]. وذكر الرَّازِيّ أنهم إحدَىٰ وعشرون فِرْقَة[٤]. وعدَّد المَقْدِسِيّ إحدىٰ وعشرين فِرْقَة منهم[٥]. وذكر المَلَطِيّ أنهم خمس وعشرون فِرْقَة[٦]. وذكر الخُوَارِزْمِيّ أنهم أربع عشرة فِرْقَة[٧].

وفي أُصُوْل هٰذِهِ الفِرَق التي تفرع منها بَاقِيها اختلاف أَيضاً من حيث العدد، منها ما ذكره الإسْفَرَايِيْنِيّ أنها سبعة وهي:

المُحَكِّمَة الأُوْلَىٰ، والأَزَارِقَة، والنَّجَدَات، والصُّفْرِيَّة، والعَجَارِدَة، والإبَاضِيَّة، والشَّبِيْبِيَّة[٨].

---

(١) الفَرْق بين الفِرَق ص٧٢. وذكر أنهم عشرون أَيضاً الإيْجِيّ في المَوَاقِف ج٨ ص٣٩٦.

(٢) التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٣٨.

والاختلاف في العدد يعود إلىٰ اعتبارهم بعض الفُرُوْع أَصلاً أو عدمه. وانظر شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف السَّابِق.

(٣) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٤.

(٤) اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٥١-٦٦.

(٥) البَدْء والتاريخ ج٥ ص١٣٤.

(٦) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٧٨.

(٧) مفاتيح العُلُوْم ص١٩.

(٨) التَّبْصِيْر في الدِّيْن السَّابِق. وجعلها سبعاً أَيضاً كُلٌّ من: الإيْجِيّ في المَوَاقِف ج٨ ص٣٩٢ والكَرْمَانِيّ في الفِرَق الإسلامِيَّة ص٦٢ والسَّفَّارِيْنِيّ في لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٨٦، لٰكِنهم ذكروا البَيْهَسِيَّة بدلاً من الشَّبِيْبِيَّة.

أما الشَّهْرَسْتَانِيّ في المِلَل والنِّحَل ج١ ص١٠٧ فقد جعل كِبَار فِرَق الخَوَارِج ستاً، فذَكَرَ

١ - المُحَكِّمَة الأُوْلَىٰ: وهم الذين خرجوا علىٰ الإمَام عَلِيّ عند التَّحْكِيْم، بعد أن كانوا معه في معركة صِفِّيْن[١]، قالوا لِعَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حَكَّم الحَكَمَين: إن كنتَ تعلم أنك الإمَام حقاً فلِمَ أمرتنا بالمحاربة؟ ثم انفصلوا عنه بهٰذَا السبب[٢].

وأول من قال منهم (لا حُكْمَ إلَّا لله) هو عُرْوَة بن حُدَيْر، ويقال له: عُرْوَة بن أُدَيَّة، وقيل غيره، ونادوا بخلع عَلِيّ ومُعَاوِيَة.

وبعد رجوع عَلِيّ من صِفِّيْن، اجتمعوا بحَرَوْرَاء، وكانوا اثْنَي عَشَر ألفاً، وزعيمهم عبد الله بن الكَوَّاء وشَبَث بن رِبْعِيّ، وخرج إليهم الإمَام عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونَاظَرَهم، فاستأمن إليه ابن الكَوَّاء في ألف مقاتل.

واستمر الباقون علىٰ ضلالهم، وخرجوا إلىٰ النَّهْرَوَان، وأَمَّروا عليهم عبد الله بن وَهْب الرَّاسِبِيّ وحُرْقُوْص بن زُهَيْر البَجَلِيّ المعروف بذي الثُّدَيَّة، وبذي الخُوَيْصِرَة. والتقوا بعبد الله بن خَبَّاب بن الأَرَتّ بالمدائن وكان وَالِياً عليها، فكلَّمهم، فقتلوه وجرىٰ دمه في النهر، وقتلوا ولده وجاريته، وعَسْكَروا بالنَّهْرَوَان، وسار إليهم الإمَام عَلِيّ في أربعة آلاف من أصحابه، مُقَدَّمهم عَدِيّ بن حَاتِم الطَّائِيّ، ونَاظَرَهم، ثم قاتلهم، وخرج حُرْقُوْص في وجه عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائلاً: والله لا نريد بقتالك إلَّا وجه الله تعالىٰ، والنجاة في الآخِرَة، ثم تلا الآية: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ - الكهف.

الثعالبة بدلاً من الشَّبِيْبِيَّة، ولم يَذكُر المُحَكِّمَة كفِرْقَةٍ منها، لٰكِنه تَحدَّث عنها بعد ذٰلِكَ في كلامه عن الخَوَارِج.

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٠٦ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٥٢ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٢ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٦٢. وانظر: التَّنْبِيْه والرَّدّ ص٤٧ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٣٥-١٣٧ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٤.

(٢) اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن السَّابِق.

فحمل عليهم الإمَام عَلِيّ، وقتلهم، وقتل عبد الله بن وَهْب، وتَتَبَّعوا حُرْقُوْص، فأمر الإمَام عَلِيّ بقتله، وكان له ثدي كالمرأة، فقال الإمَام عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدق الله وصدق رَسُوْله. وكان ذو الثُّدَيَّة قد مَرَّ علىٰ النَّبِيّ ﷺ وهو يقسم غنائم بَدْر، فقال له: اعْدِل يا مُحَمَّد. فقال عليه الصلاة والسَّلَام: خِبْتَ وخَسِرْتَ، إذن مَنْ يَعدِلُ؟ ثم قال: يخرج من ضِئْضِئِ هٰذَا قومٌ يَمْرُقُون من الدِّيْن كما يَمْرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّة.

وخرج الخَوَارِج بعد ذٰلِكَ في العِرَاق، وظل يقاتلهم الإمَام عَلِيّ إلىٰ أن قتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومَذْهَبهم هو تكفير عَلِيّ، وعُثْمَان، وأصحاب الجَمَل، والحَكَمَين، ومن رَضِي بالتَّحْكِيْم، وتكفير كل ذي ذنب ومعصية.

وظل الخَوَارِج علىٰ هٰذَا المَذْهَب إلىٰ أن ظهرت الأَزَارِقَة، فاختلفوا عند ذاك[1].

٢- **الأَزَارِقَة**: أتباع نَافِع بن الأزرق الحَنَفِيّ. وهم أكثر الخَوَارِج عدداً وأشدّ شوكة، وفارقوا المُحَكِّمَة الأُوْلَىٰ بأُمور منها:

أَنَّ الأَزَارِقَة يسمون مخالفهم من هٰذِهِ الأُمَّة مُشْرِكاً، والمُحَكِّمَة الأُوْلَىٰ يقولون بأنه كافر.

ومن آرائهم:

أ- أنهم يسمون من لم يهاجر إلىٰ ديارهم من موافقيهم مُشْرِكاً، وإن كان علىٰ رأيهم.

ب- أنهم أوجبوا امتحان من قَصَد عَسْكَرهم إذا ادعىٰ أنه منهم، وذٰلِكَ بأن يسلموه أسيراً من مخالفيهم وأطفالهم فيأمروه بقتله.

ج- أن أطفال مخالفيهم مُشْرِكُوْن، يخلدون في النار.

---

(١) الفَرْق بين الفِرَق ص٧٤-٨١ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٣٨. وانظر: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٠٧. وفي الكَامِل للمُبَرِّد ج٣ ص٢٦٣: قال الأَخْفَش: حُرْقُوْص هو ذو الثُّدَيَّة.

وحَدِيْث مُرُوقهم من الدِّيْن، رواه الشَّيْخَان وغيرهما. وسيأتي بعد قليل.

د- أنهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل أطفالهم.

هـ- تحريم القعود عن الحَرْب، واعتبار القَعَدَة مُشْرِكِيْن[1].

و- تصويب عبد الرَّحْمٰن بن مُلْجِم في قتله الإمَام عَلِيّاً.

ز- التَّقِيَّة عندهم غير جائزة في قول ولا عَمَل[2].

ح- قطع يد السارق من المَنْكِب، وإبطال رجم الزاني المُحْصَن[3].

٣- النَّجَدَات (النَّجْدِيَّة): أتباع نَجْدَة بن عَامِر الحَنَفِيّ. وكان نَجْدَة قد خرج من اليَمَامَة في نفر من أتباعه، يريد اللحاق بالأَزَارِقَة، فاستقبلهم نفر من عَسْكَر نَافِع، فأخبروه بما أحدثه نَافِع من تكفير القَعَدَة عنه وغير ذٰلِكَ، وأنهم خالفوه، فأَمَّروا نَجْدَة عليهم.

ثم اختلف النَّجَدَات علىٰ نَجْدَة لأُمور، وانتهىٰ أمره بقتله علىٰ يدهم.

وافترقوا ثلاث فِرَق، لٰكِنهم يُجْمعون علىٰ قولهم: لا حاجة للناس إلىٰ إمَام قَطُّ، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن ذٰلِكَ لا يَتِمّ إلَّا بإمَام يحملهم عليه فأقاموه جاز.

وحكىٰ الكَعْبِيّ عنهم قولهم: إن التَّقِيَّة جائزة في القول والعَمَل كله وإن كان في قتل النفس.

واستحل نَجْدَةُ دماء أهل العهد والذِّمَّة وأموالهم في دار التَّقِيَّة، وحكم بالبَرَاءة ممن

(١) الفَرْق بين الفِرَق ص٨٢-٨٣ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٤٢ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١١١-١١٦. وانظر: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٧٠ والتَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٧٨ والفِصَل لابن حَزْم ج٥ ص٥٢ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٥٤ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٣٨ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٤ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٢ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٦٤-٦٦ والبعد الحَضَارِيّ ص٥٣.

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ، السَّابِقَان.

(٣) الفِصَل لابن حَزْم السَّابِق.

المَنْكِب: مجتَمَع رأس العَضُد والكَتِف. / المِصْبَاح المُنِيْر مادة (نكب).

حَرَّمها[١].

٤- الصُّفْرِيَّة (الأَصْفَرِيَّة): أتباع زِيَاد بن الأَصْفَر. وهم يقولون:

أ- بقول الأَزَارِقَة في أن أصحاب الذنوب مُشْرِكُوْن. وصاروا ثلاث فِرَق، وكلهم لا يبيحون قتل نساء مخالفيهم ولا أطفالهم، بخلاف الأَزَارِقَة الذين يبيحون ذٰلِكَ.

ب- وكلهم يقولون أيضاً بموالاة عبد الله بن وَهْب الرَّاسِبِيّ وحُرْقُوْص بن زُهَيْر وأتباعهما من المُحَكِّمَة الأُوْلَىٰ. ويقولون بإمَامَة أبي بِلَال مِرْدَاس الخارجي بعدهم، وهو أخو عُرْوَة بن حُدَيْر، ثم بإمَامَة عِمْرَان بن حِطَّان السَّدُوْسِيّ بعد أبي بِلَال. وعِمْرَان كان شاعراً ناسكاً شديداً في مَذْهَب الصُّفْرِيَّة، وهو الذي رثىٰ عبد الرَّحْمٰن بن مُلْجِم قاتل الإمَام عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

ج- وهم يجوزون التَّقِيَّة في القول دون العَمَل[٣].

٥- العَجَارِدَة: أتباع عبد الكَرِيْم بن عَجَرَّد. وكانوا قد افترقوا فِرَقاً كثيرة بلغت عشر فِرَق، يجمعها القول بما يأتي:

أ- إن الطفل يُدعىٰ إذا بلغ، وتجب البَرَاءة منه قبل ذٰلِكَ حتىٰ يُدعىٰ إلىٰ الإسلام أو يصفه هو.

ب- لا يرون مال مخالفيهم فَيْئاً إلَّا بعد قتل صاحبه، بخلاف الأَزَارِقَة الذين استحلوا أموال مخالفيهم بكل حال. ثم افترقوا بعد ذٰلِكَ إلىٰ نحو خمس عشرة فِرْقَة.

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١١٦ ومَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٧٤ والفَرْق بين الفِرَق ص٨٧ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٤٣. وانظر: الفِصَل لابن حَزْم ج٥ ص٥٣ واعْتِقَادَات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٥٥ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٣٩ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٣ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٦٦ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٤. وأورد المُبَرِّد في الكَامِل ج٣ ص٢٨٦-٢٨٩ رِسَالَة نَجْدَة إلىٰ نَافِع بعد مفارقته وجواب نَافِع له.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٨٢ والفَرْق بين الفِرَق ص٩٠ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٤٤ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٣٤ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٤ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٤.

(٣) اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٦٥ وشَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف السَّابِق.

ج- يرون الهجرة فضيلة لا فرضاً.

د- يكفِّرون بالكبائر[١].

٦- **الشَّبِيْبِيَّة:** أتباع شَبِيْب بن يَزِيْد الشَّيْبَانِيّ، أبو الصحاري، الذي خرج أيام الحَجَّاج.

أجاز شَبِيْب وأتباعه إمَامَة المرأة منهم إذا قامت بأمر الرعية كما ينبغي، وخرجت علىٰ مخالفيهم. وكان أتباعه يرون أن غَزَالَة أُمّ شَبِيْب كانت الإمَام بعد قتل شَبِيْب إلىٰ أن قتلت[٢].

وزعموا أن الرجل يكون مسلماً إذا شَهِدَ أن لا إلٰه إلَّا الله وأن مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُوْله، وتَوَلَّىٰ أَوْلِيَاء الله، وتَبَرَّأَ من أعدائه، وأَقَرَّ بما جاء من عند الله جُمْلَة وإن لم يعلم سائر ما افترض الله سُبْحَانَهُ عليه مما سوىٰ ذٰلِكَ أفرض أم لا، فهو مُسْلِم حتىٰ يبتلىٰ بالعَمَل به فيسأل[٣].

٧- **الإبَاضِيَّة:** رأس الإبَاضِيَّة هو: أبو الشَّعْثَاء جَابِر بن زَيْد الأَزْدِيّ العُمَانِيّ البَصْرِيّ، ولد سنة ٢١هـ لسنتين بقيتا من خِلَافَة عُمَر، ورحل في طلب العلم، وصاحَبَ الصَّحَابِيّ عبد الله بن عَبَّاس، وأخذ عن كثير من الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، قال: (أدركتُ سبعين رجلاً من أهل بَدْر، فحويتُ ما بين أظهرهم إلَّا البَحْر)، يريد ابن عَبَّاس لوفرة علمه.

أخذ عنه الكثير، منهم: أبو عُبَيْدَة مُسْلِم بن أبي كَرِيْمَة التَّمِيْمِيّ، الذي رَوَىٰ عنه الرَّبِيْع بن حَبِيْب كتابَ الجَامِع الصَّحِيْح الذي هو عُمْدَة كتب الإبَاضِيَّة في الحَدِيْث. توفي جَابِر سنة ٩٣هـ[٤].

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٧٧ والفَرْق بين الفِرَق ص٩٣ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٤٥ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٢٤ والفِصَل لابن حَزْم ج٥ ص٥٤ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٥٦ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٣٨ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٤.

(٢) الفَرْق بين الفِرَق ص١٠٩ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٥٠ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٢٣. وانظر: خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٥.

(٣) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٩٤.

(٤) البعد الحَضَارِيّ ص٥٠ بالهامش.

وتابعه في الرأي عبد الله بن إبَاض التَّمِيْمِيّ المُرِّيّ، وهو الذي نُسب إليه المَذْهَب، مع أن رأسه الحقيقي هو جَابِر بن زَيْد، وذٰلِكَ لبروز ابن إبَاض في الجانب السياسي، وهو الذي انفصل عن نَافِع بن الأزرق. وتوفي قبل سنة ٨٦هـ[١].

وكُتَّاب الفِرَق مثل: الأَشْعَرِيّ[٢]، والمَلَطِيّ[٣]، والخُوَارِزْمِيّ[٤]، والبَغْدَادِيّ[٥]، وابن حَزْم[٦]، والإسْفَرَايِيْنِيّ[٧]، والمَقْدِسِيّ[٨]، والشَّهْرَسْتَانِيّ[٩]، والشَّيْخ

وانظر ترجمة جَابِر بن زَيْد في: طَبَقَات المشائخ بالمَغْرِب للدرجيني ج٢ ص٢٠٥-٢١٤ والسِّيَر للشَّمَّاخِيّ ج١ ص٦٧-٧٢ وفيه توفي سنة ٩٦هـ، وأشار إليهما الجَعْبِيْرِيّ في البُعْد الحَضَارِيّ، وابن حَجَر في تَهْذِيْب التَّهْذِيْب ج١ ص٢٧٩ طَبْعَة مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة.

(١) البعد الحَضَارِيّ السَّابِق ص٥٢ بالهامش نَقْلًا عن البغطوري والبَرَّادي.

قال المُبَرِّد في الكَامِل ج٣ ص٢٧٥: (ثم خرجت خَوَارِج لا ذِكْر لهم، كُلُّهم قُتِلَ، حتىٰ انتهىٰ الأَمرُ إلىٰ الأَزَارِقَة، ومن هٰهُنَا افترقت الخَوَارِج فصارت علىٰ أربعة أَضرب: الإبَاضِيَّة، وهم أصحاب عبد الله بن إبَاض، والصُّفْرِيَّة... والبَيْهَسِيَّة... والأَزَارِقَة... وكانوا قبلُ علىٰ رأي وَاحِد، لا يختلفون إلَّا في الشيء الشَّاذّ من الفُرُوْع). وذكر المُبَرِّد أَيضاً في الكَامِل ج٣ ص٢٩١ مفارقة عبد الله بن إبَاض نَافِعاً.

وانظر ترجمة ابن إبَاض في: طَبَقَات المشائخ بالمَغْرِب للدرجيني ج٢ ص٢١٤ والسِّيَر للشَّمَّاخِيّ ج١ ص٧٢.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٨٣.

(٣) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٧٨.

(٤) مَفَاتِيْح العُلُوْم ص١٩.

(٥) الفَرْق بين الفِرَق ص١٠٣.

(٦) الفِصَل لابن حَزْم ج٥ ص٥١.

(٧) التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٤٨.

(٨) البَدْء والتاريخ ج٥ ص١٣٤و١٣٨.

(٩) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٣١.

عَبْد القَادِر[١]، ونَشْوَان الحِمْيَرِيّ[٢]، والـرَّازِيّ[٣]، والآمِـدِيّ[٤]، والإيْـجِـيّ[٥]، والكَرْمَانِيّ[٦]، والشَّاطِبِيّ[٧]، وابن المُرْتَضَىٰ[٨]، والمَقْرِيْزِيّ[٩]، والسَّفَّارِيْنِيّ[١٠]، وابن غَنَّام[١١]، هٰؤُلَاءِ جميعهم رأوا: أن الإبَاضِيَّة إحدىٰ فِرَق الخَوَارِج.

وقبلهم ذكر الجَاحِظ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٥٥هـ، أن الإبَاضِيَّة من الخَوَارِج، فحين ذكر خطبة أبي حَمْزَة الشَّارِي، الوَارِدَة بالهامش بعد قليل، قال: (أبو حَمْزَة الخَارِجِيّ، وهو أَحَد نُسَّاك الإبَاضِيَّة وخُطَبَائِهم)[١٢].

وكان المُبَرِّد، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٨٦هـ، الذي يميل إلىٰ الخَوَارِج، قد ذَكَرَ أن الإبَاضِيَّة من الخَوَارِج، ثم انفصلوا عنهم، كما قَدَّمْتُ آنِفاً عن كتابه الكَامِل.

إلَّا أن الكُتَّاب الإبَاضِيِّيْن يُنْكِرُون نسبة الإبَاضِيَّة إلىٰ الخَوَارِج، ويقولون بأن لا جَامِع بينهما إلَّا إنكار التَّحْكِيْم[١٣]، لأنهم يرون أن التَّحْكِيْم خطأ، فالإمَام عَلِيّ

---

(١) الغُنْيَة للشَّيْخ عَبْد القَادِر ص١٢٢ طبعة دار إحيَاء التُّرَاث العَرَبِيّ.

(٢) شَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٥٦.

(٣) اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٦٤.

(٤) أَبْكَار الأَفْكَار للآمِدِيّ ج٥ ص٧٨.

(٥) المَوَاقِف ج٨ ص٢٩٤.

(٦) الفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٦٨.

(٧) الاعْتِصَام للشَّاطِبِيّ ص٤٧٩.

(٨) المُنْيَة والأَمَل ص١٠٤.

(٩) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٥.

(١٠) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٨٨.

(١١) العِقْد الثَّمِيْن لابن غَنَّام ص٢٦٨.

(١٢) البَيَان والتَّبْيِيْن للجَاحِظ ج٢ ص١٢٢.

(١٣) الفَرْق بين الإبَاضِيَّة والخَوَارِج لأبي إسْحَاق إبْرَاهِيْم أَطَّفَيِّش ص٣٠ والإبَاضِيَّة بين الفِرَق الإسلامِيَّة لِعَلِيّ يَحْيَىٰ مُعَمَّر ص١٨٧، ونقل نَصَّ أبي إسْحَاق السَّابِق في ص٥٤٠. وانظر: البعد الحَضَارِيّ ص٤٦. ونقل في ص٦٠ وما بعدها نصوصاً من سِيَر الشَّمَّاخِيّ عن جَابِر بن زَيْد

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الإمَام الحق، ما كان ينبغي له أن يقبله[1].

ويرون أن الإبَاضِيَّة قد انفصلوا عن الخَوَارِج بعد ظهور مَقَالَة نَافِع بن الأزرق.

وذٰلِكَ بعد أن اشتد عُبَيْد الله بن زِيَاد بن أبيه - وَالِي البَصْرَة لمُعَاوِيَة - في حَرْب الخَوَارِج المُحَكِّمَة، ظهر فريقان متعارضان:

الفريق الأول: فريق جَابِر بن زَيْد الذي حافظ علىٰ مسلك المُحَكِّمَة بأُسْلُوْب الكتمان، ومعه عبد الله بن إبَاض الذي كان يدافع عَلَانية. وكانا يريان أَلَّا سَبِيْل إلىٰ النجاة بحركتهم إلَّا بالقعود عن الخروج إلىٰ حَرْب المخالفين، والتَّرْكِيْز علىٰ الجانب الثقافي لحفظ تعاليم الإسلام.

والفريق الثاني: أتباع نَافِع بن الأزرق، الذين ذكرنا آراءهم سَابِقاً.

ومبدأ افتراقهما هو: أن المُسْلِمِيْن - الخَوَارِج - بعد قتل أبي بِلَال مِرْدَاس بن حُدَيْر سنة ٦١هـ اجتمعوا بجَامِع البَصْرَة، وعزموا علىٰ الخروج، وفيهم عبد الله بن إبَاض ونَافِع بن الأزرق ووجوه المُسْلِمِيْن، فلما جَنَّ الليل سمع عبدُ الله دَوِيَّ القُرَّاء وتَرنين المؤذِّنين وحَنِين المسبِّحين، فقال لأصحابه: أَعَنْ هٰؤُلَاءِ أخرج؟ فَرَجع وكتم أمره.

وبعدها تَبَرَّأَ الإبَاضِيَّة من نَافِع بن الأزرق، وهٰذَا واضح مما كتبه عبد الله بن إبَاض إلىٰ عبد الملك بن مَرْوَان: (إنَّا بَرَاءٌ إلىٰ الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه)[2].

لذٰلِكَ يرفض الإبَاضِيَّة تسميتهم بالخَوَارِج رفضاً باتاً، لأنهم يعتبرون الخَوَارِج

وعبد الله بن إبَاض، ومن الإزْكوِيّ عن عبد الله بن إبَاض أَيضاً، وعن أبي زَكَرِيَّا يَحْيَىٰ الجنّاوني، وأبي القَاسِم البَرَّادي، وغيرهم، وهي تفيد أن الإبَاضِيَّة ليسوا من الخَوَارِج.

(١) الإبَاضِيَّة بين الفِرَق الإسلامِيَّة لِعَلِيّ يَحْيَىٰ مُعَمَّر السَّابق ص١٨٦-١٨٧.

(٢) البعد الحَضَارِيّ ص٥١-٥٤ وانظر ص٥٠٦. وانظر أَيضاً: الإبَاضِيَّة بين الفِرَق الإسلامِيَّة لِعَلِيّ يَحْيَىٰ مُعَمَّر ص٣٣٤ نَقْلاً عن الدليل والبُرْهَان للوَارْجَلَانِيّ.

هم المارقةَ من الدِّيْن[1].

والذي أَراه: أَنَّ قولَ كُلٍّ من الفريقين صَحِيْح:

فكُتَّاب الفِرَق الإسلامِيَّة المذكورين يَرَوْنَ أن الإبَاضِيَّة من الخَوَارِج، لأنهم نظروا إلىٰ مبدأ نشأتهم، حيث كانوا معهم ثم انفصلوا عنهم.

وكُتَّاب الإبَاضِيَّة يَرَوْنَ أَنَّ الإبَاضِيَّة ليسوا من الخَوَارِج، لأنهم نظروا إلىٰ نِهَايَة أمرهم بعد انفصالهم من الخَوَارِج، لا سِيَّمَا وأَنَّ كُلّاً من الفريقين لا يُنكر ما ادَّعاه الآخر بالمفهوم الذي ذكرناه. فالخلاف بينهما غير حقيقي.

ومن آراء الإبَاضِيَّة، أنهم:

أ- يعتبرون دار المخالفين دار تَوْحِيْد، عدا مُعَسْكَر السُّلْطَان، فإنه دار حَرْب لا دار شرك.

ب- لا يقولون بالاستعراض. والاستعراض هو قتل كل المخالفين باعتبارهم مُشْرِكِيْن.

ج- لا يستحلون من المحاربين إلَّا دماءهم، فلا سَبْيَ ولا غنيمة.

د- يقررون مبدأ القعود عن الثورة، وسموا ذٰلِكَ بمسلك الكتمان، حيث لا يجيزون الخروج إلَّا إذا صار عددهم نصف عدد العدو، وكذا العُدَّة والطاقة[2].

---

(١) البعد الحَضَارِيّ ص٥٤ وانظر ص٥٠٦.

(٢) البعد الحَضَارِيّ ص٥٥-٥٦. وقد فَصَّلَ عَلِيّ يَحْيَىٰ مُعَمَّر في: الإبَاضِيَّة بين الفِرَق الإسلامِيَّة ص٣٤٠-٣٥٠ أنواع الدار، فذكر:

أ- الدار دار إسلام ومُعَسْكَر السُّلْطَان مُعَسْكَر إسلام، إذا كان الوطن مسلماً، وأُمته ودولته مُسْلِمَة تَعمَل بحكم الله.

ب- الدار دار إسلام، ومُعَسْكَر السُّلْطَان مُعَسْكَر إسلام إلَّا أنه مُعَسْكَر بغي وظلم، إذا كان الوطن مسلماً، وأُمته ودولته مُسْلِمَة لٰكِنها لا تحكم بالإسلام.

ج- الدار دار إسلام ومُعَسْكَر السُّلْطَان مُعَسْكَر كفر، إذا كان الوطن مسلماً، والأُمَّة

وواضح أن هٰذِهِ الآراء جميعها مخالفة لما ذهب إليه الأَزَارِقَة.

هـ- الكفر عندهم نوعان:

أولهما: كفر نعمة، ويسمىٰ كفر نفاق، وهو الذي تجري علىٰ صاحبه أَحْكَام الموحِّدين[١]، وهو مُرَادف للفسق والفجور والعصيان[٢].

والثاني: كفر شرك وجحود، ويخرج به الإنسان من المِلَّة الإسلامِيَّة[٣].

عِبَادَة الخَوَارِج

مع ما تقدم للخَوَارِج من آراء تَعِجُّ بالقسوة والعنف والتهور، إلَّا أنهم تميزوا بصفات متناقضة كالتشدد في العِبَادَة.

ففيهم قال النَّبِيّ ﷺ: (يَخرُجُ فيكم قومٌ تَحقِرون صَلاتَكم مع صَلاتِهم، وصيامَكم مع صيامِهم، وعَمَلَكم مع عَمَلِهم، ويقرؤن القُرْآن لا يُجاوزُ حَنَاجِرَهم، يَمْرُقُون من الدِّيْن كما يَمْرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّة...)[٤].

مُسْلِمَة، والدولة الحَاكِمة مستعمرة مُشْرِكة كتابية أو غير كتابية.

د- الدار دار كفر ومُعَسْكَر السُّلْطَان مُعَسْكَر كفر، إذا كان الوطن للمُشْرِكِيْن تسكنه أُمَّة مُشْرِكة، وتحكمه دولة مُشْرِكة.

وانظر هٰذِهِ الآراء وغيرها في: تُحْفَة الأَعْيَان للسَّالِمِيّ ص٨١-٨٥ عند ذكره (باب في عَقِيْدَة أهل عُمَان).

(١) مُخْتَصَر تاريخ الإبَاضِيَّة للباروني ص٧٤.

(٢) البعد الحَضَارِيّ ص٥١٢.

(٣) مُخْتَصَر تاريخ الإبَاضِيَّة للباروني السَّابِق.

(٤) حَدِيْث: **يَخرُجُ فيكم قومٌ تَحقِرون**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٦ كتاب فَضَائِل القُرْآن، ٣٦ باب من رَايَا بقِرَاءَة القُرْآن، رقم ٥٠٥٨، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

وعن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحنُ عندَ رَسُوْل الله ﷺ وهو يَقسِم قَسْماً، أتاه ذو الخُوَيْصِرَة، وهو رَجُلٌ من بني تَمِيْم، فقال: يا رَسُوْل الله اعْدِلْ. فقال: وَيْلَكَ ومن يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ، قد خِبْتُ وخَسِرتُ إن لم أكن أَعْدِلُ، فقال عُمَر: يا رَسُوْل الله، ائْذَنْ لي فيه فأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فقال: دَعْهُ، فإنَّ له أصحاباً يَحْقِرُ أَحدُكم صَلاتَه مع صَلاتِهم، وصيامَه مع صيامِهم، يَقرؤن القُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُون من الدِّيْن كما يَمْرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّة... آيَتُهُم رَجُلٌ أَسودُ، إحدىٰ عَضُدَيْه مثلُ ثَدْيِ المرأةِ، أو مثلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، ويَخْرُجُونَ علىٰ حِيْنِ فُرْقَةٍ من الناس.

قال أبو سَعِيْدٍ: فأَشهدُ أني سمعتُ هٰذَا الحَدِيْثَ من رَسُوْل الله ﷺ، وأَشهدُ أَنَّ عَلِيَّ بن أبي طَالِب قَاتَلَهم وأنا معه، فأَمَرَ بذٰلِكَ الرجلِ فالتُمِسَ، فأُتِيَ به، حتىٰ نظرتُ إليه علىٰ نَعْتِ النَّبِيّ ﷺ الذي نَعَتَهُ[1].

وفي رِوَايَة أُخرىٰ بنحو هٰذَا اللفظ وزاد: قال: فنزلت فيه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ - التوبة ٥٨[2].

فقوله ﷺ فيهم: (يَحْقِرُ أَحدُكم صَلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَهُ مع صيامِهم) دليل علىٰ شدة تديُّنهم وعِبَادتهم.

---

(١) **حَدِيْث: بينما نحن عند رَسُوْل الله ﷺ**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦١ كتاب المَنَاقِب، ٢٥ باب علامات النُّبُوَّة في الإسلام، رقم ٣٦١٠، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

ونحوه في صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٧٨ كتاب الأدب، ٩٥ باب ما جاء في قول الرجل ويلَكَ، رقم ٦١٦٣، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ. ومواضع أُخَر.

والحَدِيْث في صَحِيْح مُسْلِم في: ١٢ كتاب الزكاة، ٤٧ باب ذكر الخَوَارِج وصفاتهم، رقم ١٠٦٤، ج٢ ص٧٤٤، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

والبَضْعَة: قطعة اللَّحْم. **تَدَرْدَر**: تذهب وتجيء.

وانظر: التَّبْصِير في الدِّيْن ص٤١.

(٢) **الرِّوَايَة مع الزِّيَادَة** في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٨ كتاب استتابة المُرْتَدِّين، ٧ باب من ترك قتال الخَوَارِج للتألُّف، رقم ٦٩٣٣، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

وعُرْوَة بن حُدَيْر ويسمىٰ (ابن أُدَيَّة)، وهو أول من حَكَّمَ، حين أُتي به إلىٰ زِيَاد بن أبيه، وسأله أسئلة، ثم أَمَرَ به، فضُربت عنقه، دعا مولاه، وقال له: صِفْ لي أُموره، فقال: أَأُطْنِبُ أَم أَخْتَصِر؟ فقال: بل اختصِرْ.

فقال: ما أَتيتُه بطعام بنهار قَطُّ، ولا فَرشْتُ له فراشاً بليل قَطُّ. يريد أنه صائم النهار، قائم الليل دائماً[1].

وحين خرج الخَوَارِج علىٰ عَلِيّ بعد التَّحْكِيْم، ونزلوا حَرَوْرَاء، وَجَّهَ إليهم عبدَ الله بن العَبَّاس، فلما صار إليهم رَحَّبوا به وأكرموه، فرأىٰ منهم جِباهاً قَرِحةً لطول السجود، وأيدياً كثَفِنَات الإبل، وعليهم قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ، وهم مُشَمِّرون[2].

وذكر أن الصُّفْرِيَّة قد سُمُّوا بذٰلِكَ - في أحد الأقوال وأكثر المتكلمين عليه - لأنهم قوم نَهَكَتْهم العِبَادَة، فاصفرَّت وجوههم[3].

وخُطْبَة أَبِي حَمْزَة يَحْيَىٰ بن المُخْتَار الشَّارِي، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٠هـ، تُصَوِّر ما كان عليه هٰؤُلَاءِ من اجتهاد كَبِيْر في العِبَادَة[4].

---

(١) الكَامِل للمُبَرِّد ج٣ ص١٨١. وانظر: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١١١ وقال: هٰذِهِ معاملته واجتهاده، وذٰلِكَ خبثه واعْتِقَاده. وانظر أيضاً تَعْلِيْق مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد علىٰ الفَرْق بين الفِرَق للبَغْدَادِيّ ص٧٤ الهامش نَقْلاً عن المَعَارِف لابن قُتَيْبَة.

(٢) الكَامِل للمُبَرِّد ج٣ ص٢١١. وفي هامشه:

قَرِحَة: بها قروح. ثَفِنَات الإبل: ما يصيب الأرض منها إذا بركت. مُرَحَّضَة: مغسولة.

(٣) الكَامِل للمُبَرِّد ج٣ ص٢٧٥و٣٠٤.

(٤) قال أبو حَمْزَة الشَّارِي: يا أهل الحِجَاز أَتعيِّرونني بأَصْحَابِي وتزعمون أنهم شباب؟ وهل كان أصحاب رَسُوْل الله إلَّا شباباً... شبابٌ والله مُكْتَهِلون في شبابهم، غَضِيْضَةٌ عن الشرِّ أعينُهم، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم، أَنضاءُ عِبَادَة، وأَطلاحُ سَهَر، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنيةً أَصلابُهم علىٰ أجزاء القُرْآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بَكىٰ شوقاً إليها، وإذا مر بآية من ذكر النار شَهِقَ شَهْقةً كأن زفير جهنم بين أُذنيه، مَوْصُوْل كَلَالُهم بكَلالهم، كَلال الليل بكَلال النهار، قد أكلت الأرض رُكَبَهم وأَيديَهم وأُنوفَهم وجِباهَهم، واستقلُّوا ذٰلِكَ في

إِلَّا أن اجتهاد الخَوَارِج في العِبَادَة لا يُغْنيهم، لأنهم خرجوا علىٰ طاعة الإمَام عَلِيّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وطاعة الإمَام الحق مَفْرُوْضَة علىٰ الناس بالنصوص الثَّابِتَة الكثيرة، ومنها:

- قوله ﷺ: (من كَرِهَ من أَمِيْره شَيئاً فَلْيَصبِرْ، فإنَّه من خرج من السُّلْطَان شِبْراً مات مِيْتَةً جاهليةً).

- وقوله ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمل عليكم عبدٌ حَبَشِيٌّ كأن رأسَه زَبِيْبة).

- وقوله ﷺ: (من خلع يداً من طاعةٍ لَقِيَ اللهَ يوم القيامة لا حُجَّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ مات مِيْتَةً جاهليةً)[1].

جَنْب الله، حتىٰ إذا رأوا السهام قد فُوِّقَت، والرماحَ قد أُشرِعت، والسيوفَ قد انتُضِيَت، ورَعَدَت الكتيبةُ بصواعق الموت وبَرَقَت، استخفُّوا بوعيد الكتيبة لوعد الله، ومضىٰ الشابُّ منهم قُدُماً حتىٰ اختلفت رجلاه علىٰ عُنُق فَرَسه، وتَخَضَّبت بالدماء مَحَاسِن وجهه، فأسرعت إليه سِباعُ الأرض، وانْحطَّت عليه طَيرُ السماء، فكم من عَيْن في منقار طائرٍ طالما بَكىٰ صاحبُها في جوف الليل من خوف الله، وكم من كَفٍّ زالت عن مِعْصَمها طالما اعتمد عليها صاحبُها في جوف الليل بالسجود لله. / البَيَان والتَّبْيِيْن للجَاحِظ ج٢ ص١٢٤-١٢٥. وفي هامشه:

أَطلاح: جمع طِلْح، وهو المعيي (في القَامُوْس المُحِيْط مادة الطلح: الطِّلْح بالكسر كالطَّلِيح، المَهْزول، والرَّاعي المُعْيي).

فُوِّقَت: جعلت لها الأَفواق. والفُوق بالضم: موضع الوتر من السَّهْم.

(١) انظر هٰذِهِ الأَحَادِيْث والكلام عن طاعة الإمَام وضوابطها في كتابي: الشُّوْرَىٰ بين النَّظَرِيَّة والتَّطْبِيْق ص٨٢ وما بعدها.

وحَدِيْث: من كَرِهَ من أَمِيْره شَيئاً... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: كتاب الفِتَن، باب قول النَّبِيّ ﷺ سترَون بعدي أُموراً تُنكرونها، عن ابن عَبَّاس.

وحَدِيْث: اسمعوا وأطيعوا... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: كتاب الأَحْكَام، باب السمع والطاعة للإمَام ما لم تكن معصية، عن أَنَس بن مَالِك.

وحَدِيْث: من خلع يداً من طاعةٍ... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجَمَاعَة عند ظهور الفتن...، عن ابن عُمَر.

الشِّيْعَة

الشِّيْعَة في أصل اللُّغَة: الأتباع والأَنْصَار، وكلُّ قوم اجتمعوا علىٰ أمرٍ فهم شِيْعَة.

وشايَعْته علىٰ الأمر مُشَايَعة: تابعته مُتابعةً، وزناً ومعنى[1]. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ - الحِجْر ١٠، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ - الصافات ٨٣[2].

وفي الاصْطِلَاح: الشِّيْعَة هم الذين شايعوا عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الخصوص، وقالوا بإمَامته نَصّاً ووصية، إما جَليّاً وإما خَفيّاً.

واعتقدوا أن الإمَامَة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتَقِيَّة من عنده[3].

والشِّيْعَة ظهرت حركة سياسية بصورة واضحة بعد مقتل الإمَام عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيد الخَوَارِج، وقد كانت بذورها قد ظهرت حين الاختلاف علىٰ الإمَامَة.

فِرَق الشِّيْعَة

والشِّيْعَة فِرَق كثيرة بلغت في قول المَقْرِيْزِيّ ثلاثمائة فِرْقَة[4]، تندرج تحت ثلاثة

---

(١) المِصْبَاح المُنِيْر، والقَامُوْس المُحِيْط، وكلاهما مادة (شاع).

(٢) شَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٣٢.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ: ج١ ص١٤٤ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٣٣ وشَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٨٤. وانظر: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٦٥ ومُقَدِّمَة ابن خَلْدُوْن ص١٨٣.

(٤) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥١.

أصناف هي: الغُلَاة، والزَّيْدِيَّة، والإمَامِيَّة. وهٰذَا تصنيف الأَشْعَرِيّ[١]، وابن حَزْم[٢]، والآمِدِيّ[٣]، والإيْجِيّ[٤]، والكَرْمَانِيّ[٥]، والشَّاطِبِيّ[٦]، والسَّفَّارِيْنِيّ[٧].

أما التصنيفات الأُخرىٰ التي ذكرها كُتَّاب الفِرَق الآخرون[٨] فهي مندرجة في هٰذِهِ الأصناف الثلاثة.

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّين ج١ ص٦٦و٨٨و١٣٦.

(٢) الفِصَل لابن حَزْم ج٥ ص٣٥ وفيه: أهل الشُّنُع من الشِّيْعَة ثلاث: الجارودية من الزَّيْدِيَّة، والإمَامِيَّة من الرَّافِضَة، ثم الغالية.

(٣) أَبْكَار الأَفْكَار للآمِدِيّ ج٥ ص٥٢.

(٤) المَوَاقِف ج٨ ص٣٨٥.

(٥) الفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٣٣.

(٦) الاعْتِصَام للشَّاطِبِيّ ص٤٧٦.

(٧) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٨٠.

(٨) من ذٰلِكَ:

صنفان هما: الزَّيْدِيَّة، والإمَامِيَّة. وهو تصنيف المَقْدِسِيّ في البَدْء والتاريخ ج٥ ص١٢٤.

ثلاثة أصناف هي: الزَّيْدِيَّة، والإمَامِيَّة، والبَاطِنِيَّة، وهو تصنيف ابن المُرْتَضَىٰ في المُنْيَة والأَمَل ص٨٩.

ثلاثة أصناف أَيضاً هي: الزَّيْدِيَّة، والإمَامِيَّة، والكَيْسَانِيَّة. وهو تصنيف الإسْفَرَايِيْنِيّ في التَّبْصِيْر ص٢٤ ونَشْوَان في شَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٣٥ والرَّازِيّ في اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٧٧.

أربعة أصناف هي: الزَّيْدِيَّة، والإمَامِيَّة، والكَيْسَانِيَّة، والغُلَاة. وهو تصنيف البَغْدَادِيّ في الفَرْق بين الفِرَق ص٢١.

خمسة أصناف هي: الزَّيْدِيَّة، والإمَامِيَّة، والكَيْسَانِيَّة، والغُلَاة، والإسْمَاعِيْلِيَّة. وهو تصنيف الشَّهْرَسْتَانِيّ في المِلَل والنِّحَل ج١ ص١٤٥.

ستة أصناف هي: السَّبَئِيَّة، والسَّحَابِيَّة، والغُرَابِيَّة، والكَامِلية، والزَّيْدِيَّة، والإمَامِيَّة. وهو تصنيف نَشْوَان في شَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٠٦.

● الصنف الأول: الغُلَاة:

وهٰؤُلَاءِ غَلَوا في حق الأَئِمَّة، حتىٰ أخرجوهم من حدود البشر، وحكموا فيهم بأَحْكَام الإلٰهِيَّة.

ومن المبادئ التي ظهرت في فِرَقهم هي: التشبيه، والحُلُوْل، والتناسخ، والبَدَاء، والتأويل، والإلحاد[1].

١- **التشبيه والتجسيم**، وهو تشبيه ذات الباري عَزَّ وجَلَّ بذات غيره من المخلوقين، وتشبيه صفاته تعالىٰ بصفات غيره. أي: أن الله تعالىٰ علىٰ صورة الإنسان عضواً فعضواً.

ومن فِرَقهم القائلة بالتشبيه والتجسيم:

البَيَانِيَّة: أتباع بَيَان بن سَمْعَان التَّمِيْمِيّ، الذي زعم أن مَعْبُوْده إنسان من نور، علىٰ صورة الإنسان في أعضائه، وأنه يفنىٰ كله إلَّا وجهه[2].

والمُغِيْرِيَّة: أتباع المُغِيْرَة بن سَعِيْد العِجْلِيّ، الذي زعم أن الله تعالىٰ صورة وجسم ذو أعضاء علىٰ مثل حروف الهجاء، وصورته صورة رجل من نور، علىٰ رأسه تاج من نور، وله قلب تنبع منه الحكمة[3].

والمَنْصُوْرِيَّة: أتباع أبي مَنْصُوْر العِجْلِيّ، الذي شبَّه نفسه بربه، وزعم أنه صَعِد

---

(١) انظر هٰذِهِ المبادئ في: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٧٦ وما بعدها. وذكرتُها في كتابي: الحركات الهَدَّامَة في الإسلام ص١٣ وما بعدها.

(٢) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٢٦ ومَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٦٧ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٨٥.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٨٠. وانظر: الفَرْق بين الفِرَق، والمَوَاقِف، السَّابِقين.

إلىٰ السماء، وزعم أَيضاً أن الله مسح يده علىٰ رأسه، وقال له: يا بُنَيَّ بَلِّغْ عني[١]، ثم أهبطه الأرض، فهو الكِسْف الساقط من السماء[٢]، المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ - الطُّوْر ٤٤.

٢- **الحُلُوْل**: وهو أن يَحُلَّ الله سُبْحَانَهُ بذاته أو بروحه في البشر، والحُلُوْل قد يكون بجزءٍ كإشراق الشمس في كُوَّة، وقد يكون الحُلُوْل بكلٍّ كظهور مَلَك بشخص[٣].

ومَذْهَب الحُلُوْل مَذْهَب قديم، وهو يوافق قول النَّصَارَىٰ في عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٤].

ومن فِرَقهم القائلة بالحُلُوْل:

السَّبَئِيَّة: أتباع عبد الله بن سَبَأ، الذي زعم أن عَلِيّاً نَبِيّ، ثم غلا فيه حتىٰ زعم أنه إلٰه بحُلُوْل روح الإلٰه فيه، ولما سمع الإمَام عَلِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بهم أمر بإحراق قوم منهم، وخشي الفتنة، فنفىٰ ابن سَبَأ إلىٰ المدائن، فلما قُتل عَلِيّ، زعم ابنُ سَبَأ أن المقتول لم يكن عَلِيّاً، وإنما كان شيطاناً تصوَّر للناس في صورة عَلِيّ، وأن عَلِيّاً صَعِد إلىٰ السماء كما صَعِد إليها عِيسَىٰ بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وزعم بعض السَّبَئِيَّة أن عَلِيّاً في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه. ومن سمع منهم صوت الرعد قال: عليك السَّلَام يا أَمِير المُؤْمِنين[٥].

---

(١) الفَرْق بين الفِرَق السَّابِق، والمَوَاقِف ج٨ ص٣٨٦ وفِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ ص٣٨.

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٨٢. وانظر: التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١٠٥ ومَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٧٤ والمَقَالَات والفِرَق للقُمِّيّ ص٤٧ والمَوَاقِف السَّابِق.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٧٨.

(٤) مُقَدِّمَة ابن خَلْدُوْن ص١٨٤.

(٥) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٣٣و٢٥٥ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٢٥ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١٠٣ والفِصَل لابن حَزْم ج٥ ص٣٦ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٨٥. وانظر: فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ ص٢٢ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج٢ ص٣٦.

والبَيَانِيَّة: حيث زعم بَيَان بن سَمْعَان أنه كان إلٰهاً[١].

والعُمَيْرِيَّة: أتباع عُمَيْر بن بَيَان العِجْلِيّ، الذين عبدوا جَعْفَر الصَّادِق، وسموه ربّاً[٢].

والأبو مُسْلِمِيَّة: أتباع أبي مُسْلِم الخُرَاسَانِيّ، الذين زعموا أن أبا مُسْلِم صار إلٰهاً بحُلُوْل روح الإلٰه فيه[٣].

والحلمانية: أتباع أبي حلمان الدِّمَشْقِيّ الفَارِسِيّ، الذين قالوا بحُلُوْل الإلٰه في الأشخاص الحَسَنَة، وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حَسَنَة سجدوا لها، يُوهمون أن الإلٰه قد حَلَّ فيها[٤].

والشَّرِيْعِيَّة: أتباع الشَّرِيْعِيّ، الذي زعم أن الله حلَّ في خمسة أشخاص، وهم: النَّبِيّ وعَلِيّ وفاطمة والحَسَن والحُسَيْن، وزعموا أن هٰؤُلَاءِ الخمسة آلهة[٥].

والمُقَنَّعِيَّة: وراء نهر جَيْحُوْن، الذين ادعوا أن المُقَنَّع إلٰه[٦].

والعُذَافِرَة: الذين قالوا بإلٰهِيَّة ابن أبي العُذَافِر[٧].

---

(١) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٣٧. وفي ص٢٤٣ أن منهم الحَرْبِيَّة حيث زعموا أن زعيمهم عبد الله بن عَمْرو بن حَرْب الكِنْدِيّ إلٰه. والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١٠٤.

(٢) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٤٩.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٥٧.

(٤) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٥٩ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١١٠.

(٥) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٥٢ ومَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٨٣ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١٠٧.

(٦) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٢٦ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١٠٩ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص١٢٣.

(٧) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٢٧ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١١٢.

والإسْمَاعِيْلِيَّة: الذين يقولون بوقف الحُلُوْل علىٰ الأَئِمَّة، لذٰلِكَ يخاطب الشاعر ابن هانئ الأَنْدَلُسِيّ الخَلِيْفَة الفاطمي المُعِزّ لدين الله:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ[١]

٣- التناسخ: وهو رَدّ الروح إلىٰ بدن غير البدن الأول[٢].

ومن فِرَق الغُلَاة القائلين به:

البَيَانِيَّة: أتباع بَيَان بن سَمْعَان، القائل: إن روح الإلٰه تناسخت في الأنبياء والأَئِمَّة، حتىٰ صارت إلىٰ أبي هَاشِم عبد الله بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة، ثم انتقلت إليه منه – يعني نفسه – فادعىٰ لنفسه الربوبية علىٰ مَذَاهِب الحُلُوْلِيَّة[٣].

والجَنَاحِيَّة: أتباع عبد الله بن مُعَاوِيَة بن عبد الله بن جَعْفَر بن أبي طَالِب، الذي زعم أنه رَبٌّ، وأن روح الإلٰه كانت في آدم، ثم في شيت، ثم دارت في الأنبياء والأَئِمَّة إلىٰ أن انتهت إلىٰ عَلِيّ، ثم دارت في أولاده الثلاثة، ثم صارت إلىٰ عبد الله بن مُعَاوِيَة[٤].

والقائلون بالتناسخ يُنكرون يوم الحساب، ويقولون: (ليس قيامة ولا آخِرَة، وإنما هي أرواح تتناسخ في الصُّوَر، فمن كان مُحْسِناً جُوْزِيَ بأن يُنْقل روحه إلىٰ جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مُسيئاً جُوْزِيَ بأن يُنقل روحه إلىٰ أجساد يَلحق الروحَ في كونه فيها الضررُ والألم، وليس شيء غير ذٰلِكَ، وأن الدنيا لا تزال أَبداً هٰكَذَا)[٥].

---

(١) تَبْيِيْن المعاني في شَرْح ديوان ابن هاني ص٣٦٥.

(٢) الغُلُوّ والفِرَق الغَالِيَة ص١٢٩ نَقْلًا عن ابن سينا. وانظر: الكُلِّيَّات لأبي البَقَاء ص٣٠٥ وكَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن ج١ ص٥١٢.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٣٧.

(٤) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٤٦.

(٥) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١١٩.

٤- **البَدَاء**: وله معانٍ:

- البَدَاء في العِلْم: هو أن يظهر له تعالىٰ خلافُ ما عَلم.

- البَدَاء في الإرادة: هو أن يظهر له تعالىٰ صوابٌ علىٰ خلاف ما أراد وحكَم.

- البَدَاء في الأمر: هو أن يأمر بشيء، ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذٰلِكَ[1].

قال الغُلَاة: (إن الله تبدو له البَدَاوات، وأنه يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات، ثم لا يُحْدِثه، لما يَحْدُث له من البَدَاء)[2].

والمُخْتَار بن أبي عُبَيْد الثَّقَفِيّ، الذي كان خارجياً، ثم صار زُبَيْرِيّاً، ثم صار شِيْعِيّاً وكَيْسَانِيّاً، قال بإمَامَة مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة بعد أَمِيْر المُؤْمِنين عَلِيّ بن أبي طَالِب، وقيل: بعد الحَسَن والحُسَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وإنما صار المُخْتَار إلىٰ القول بالبَدَاء، لأنه كان يَدَّعي علم ما يحدث من الأحوال إمّا بوحي يُوحىٰ إليه، وإما برِسَالَة من قبل الإمَام. فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة، فإن وافق كونُه قولَه، جعله دليلاً علىٰ صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم[3].

وحين أخرج جيشه لقتال مُصْعَب بن الزُّبَيْر وعدهم بالنَّصْر، لٰكِن حين انهزم جيشه، وقُتل أكثر قواده، قالوا له: لماذا تَعِدُنا بالنَّصْر علىٰ عدونا؟ فقال: إن الله تعالىٰ كان قد وعدني ذٰلِكَ، لٰكِنه بدا له. واستدل بالآية: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ - الرعد ٣٩. قال البَغْدَادِيّ: فهٰذَا سبب قول الكَيْسَانِيَّة بالبَدَاء[4].

٥- **التأويل**: وهو صَرْف الكلام عن ظَاهِره إلىٰ وجه يحتمله، أوجبه بُرْهَان قطعي في القطعيات وظنيٌّ في الظنيات.

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٤٨ طَبْعَة مُحَمَّد سَيِّد كيلاني.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١١٣.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٤٥-١٤٧. وانظر: الكَامِل للمُبَرِّد ج٣ ص٢٦٤.

(٤) الفَرْق بين الفِرَق ص٥١.

والتَّفْسِيْر: هو بَيَان معنىٰ اللفظة القريبة أو الخفية[١].

وطريقة التأويل بشرطها هي الأقرب إلىٰ الحق، كما رأىٰ العِزّ بن عبد السَّلَام. ويعني بشرطها أن يكون علىٰ مُقْتَضَىٰ لِسَان العَرَب[٢].

أما التأويل الذي ذهبت إليه كثير من فِرَق الغُلَاة، تأييداً لدعواها مع اصطدامها بالأُصُوْل التي وردت في ظَاهِر القُرْآن والسنة، فهو التأويل المرفوض.

ومنه:

تأوّل الخَطَّابِيَّة قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ - ص ٧٢، قالوا: فهو آدم ونحن ولده. وعبدوا أبا الخَطَّاب، وزعموا أنه إلٰه، وزعموا أن جَعْفَر الصَّادِق إلٰههم أَيضاً، إلَّا أن أبا الخَطَّاب أعظمُ منه وأعظمُ من عَلِيّ[٣].

وقال أبو مَنْصُوْر العِجْلِيّ: إن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذٰلِكَ من المحارم حلال، وقال: لم يحرم الله ذٰلِكَ علينا، ولا حَرَّم شَيئاً تَقْوَىٰ به أنفسُنا، وإنما هٰذِهِ الأشياء أسماء رِجَال حَرَّم الله سُبْحَانَهُ وِلايتهم، وتأول في ذٰلِكَ قوله تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ - المائدة ٩٣، وأسقط الفرائض، وقال: هي أسماء رِجَال أوجب الله وِلايتهم[٤].

٦- **نَزَعَات الإلحاد والإباحية والتَّحَلُّل من الأخلاق والدِّيْن:** فحَمْزَة بن عُمَارَة نكح ابنته، وأحل جميع المحارم، وقال: من عرف الإمَام فليصنع ما شاء، فلا إثم عليه[٥].

---

(١) تَهْذِيْب الأسماء واللُّغَات م٢ ص١٥.

(٢) المُسَامَرَة بشَرْح المُسَايَرَة ص٣٧.

(٣) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٧٧.

(٤) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٧٥.

(٥) فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ ص٢٨ والمَقَالَات والفِرَق للقُمِّيّ ص٣٤.

والمَعْمَرِيَّة من الخَطَّابِيَّة استحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات، وتركوا الصلاة والزكاة والصيام والحج، متأولين قوله تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ ﴾ – النساء ٢٨، وقالوا له: خفف يا أبا الخَطَّاب وَضَعْ عَنَّا الأغلال والآصار، يريدون الصلاة والزكاة والصيام والحج. فمن عرف الرَّسُوْل النَّبِيّ الإمَام فليصنع ما أحب[١].

والجَنَاحِيَّة كفروا بالجنة والنار، واستحلوا الخمر والميتة والزنا واللواط وسائر المحرمات، وأسقطوا وجوب العِبَادات.

وقالوا العِبَادات المذكورة في القُرْآن هي كنايات عمن تجب موالاتهم من أهل بيت عَلِيّ.

والمحرمات المذكورة في القُرْآن هي كنايات عن قوم يجب بغضهم كأبي بَكْر وعُمَر وطَلْحَة والزُّبَيْر وعَائِشَة[٢].

وفي رِسَالَة عُبَيْد الله المَهْدِيّ بن الحُسَيْن القَيْرَوَانِيّ إلىٰ سُلَيْمَان بن الحَسَن الجَنَّابِيّ: إني أُوصيك بتشكيك الناس في القُرْآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلىٰ إبطال الشرائع، وإلىٰ إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجن في الأرض[٣].

وأبو مَنْصُوْر العِجْلِيّ صاحب فرقة المَنْصُوْرِيَّة يقول: إن الرسل لا تنقطع أبداً،

(١) فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ ص٤٢-٤٣. وانظر: المَقَالَات والفِرَق للقُمِّيّ ص٥١. وانظر أيضاً: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٧٨ والفَرْق بين الفِرَق ص٢٤٨.

(٢) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٤٦. وانظر: المَوَاقِف ج٨ ص٣٨٦.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٩٦ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص١٢٠.

وعُبَيْد الله هو جَدّ ملوك الدولة العُبَيْدِيَّة (الفاطمية) بمِصْر، مات سنة ٣٢٢هـ. **والجَنَّابِيّ** القِرْمِطِيّ قالع الحَجَر الأسود سنة ٣١٧هـ. / هامش التَّبْصِيْر في الدِّيْن.

والرِّسَالَة لا تنقطع[1].

وسُميت هٰذِهِ الفِرَق بالغُلَاة أو الغالية، لأنهم غَلَوْا في عَلِيّ بن أبي طَالِب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقالوا فيه قولاً عَظِيْماً[2].

وقد كَفَّرَتْهم فِرَقُ المُسْلِمِيْن جَميعاً، لخروجهم عن الإسلام بشكل سافر، حتىٰ أن ابن بابويه القُمِّيّ الشِّيْعِيّ الإمَاميّ قال فيهم: (اعْتِقَادنا في الغُلَاة والمفوضة أنهم كفَّار بالله جلَّ اسمه، وأنهم شرٌّ من اليَهُوْد والنَّصَارَىٰ والمجوس).

وحكم الشيخ المُفِيْد من الإمَامِيَّة أَيضاً بضلالهم وكفرهم وخروجهم عن الإسلام. وقال بعده: حكم فيهم أَمِيْر المُؤْمِنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالكفر والقتل والتحريق بالنار، وقضت الأَئِمَّة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بالإكفار والخروج عن الإسلام[3].

وأصل دعوة الغُلَاة مبني علىٰ إبطال الشرائع، وذٰلِكَ:

لأن الغيارية، وهم طائفة من المجوس راموا تأويل الشرائع، حين سادت شوكة الإسلام، علىٰ وجوه تعود إلىٰ قَوَاعِد أسلافهم، فاجتمعوا وتذَاكَروا ما كان عليه أسلافهم من الملك، وقالوا لا سَبِيْل لنا إلىٰ دفع المُسْلِمِيْن بالسَّيْف لغلبتهم واستيلائهم علىٰ المَمَالِك، لٰكِنا نحتال بتأويل شرائعهم إلىٰ ما يعود إلىٰ قَوَاعِدنا، ونستدرج به الضعفاء منهم، فإن ذٰلِكَ يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم[4].

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٨٢.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّين ج١ ص٦٦.

(٣) دراسات في الفِرَق ص٧٦ نَقْلًا عن عَقَائِد الإمَامِيَّة لابن بَابَوَيْه - باب نفي الغُلُوّ، وتَصْحِيْح عَقَائِد الإمَامِيَّة للشيخ المُفِيْد - باب الغُلُوّ والتفويض. وانظر مُقَدِّمَة فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ التي كتبها مُحَمَّد صَادِق آل بَحْر العُلُوْم.

(٤) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٨٩. وانظر نحو ذٰلِكَ: الفِصَل لابن حَزْم ج٢ ص٢٧٣ وتَلْبِيْس إبْلِيْس ص١٠٣ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٦٢ والمُنْيَة والأَمَل ص٩٦ ورَدّ مُحَمَّد عَبْدُه علىٰ هانوتو - الأَعْمَال الكَامِلَة للإمَام مُحَمَّد عَبْدُه ج٣ ص٢١٠.

● الصنف الثاني من أصناف الشِّيْعَة: الزَّيْدِيَّة:

وهم أتباع زَيْد بن عَلِيّ زَيْن العَابِدِيْن بن الحُسَيْن بن عَلِيّ بن أبي طَالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، الذين قالوا بإمَامته[١].

وكان زَيْد قد بايعه خمسة آلاف من أهل الكُوْفَة، فقاتل بهم أَمِيْرَ الكُوْفَة يُوْسُفَ بن عُمَر الثَّقَفِيّ عامل هِشَام بن عبد الملك، فسمع فيهم من يطعن بأبي بَكْر وعُمَر، فأنكر زَيْد ذٰلِكَ عليهم، وقال: أثنىٰ عليهما جَدِّي عَلِيّ. فخرجوا عليه، ورفضوه، فسموا رافضة، وهجروه كلهم، ولم يبقَ مع زَيْد إلَّا نَصْر بن خُزَيْمَة العَبْسِيّ، ومُعَاوِيَة بن إسْحَاق بن زَيْد بن حَارِثَة، مع مقدار مائتي رجل، فقتلوا جميعاً مع زَيْد، وذٰلِكَ سنة ١٢٢هـ=٧٣٨م. وهرب ابنه يَحْيَىٰ بن زَيْد إلىٰ خُرَاسَان، وصار إلىٰ ناحية جُوْزْجَان، وخرج علىٰ نَصْر بن سَيَّار وَالِي خُرَاسَان، فبعث نَصْر إليه قائدَه سَلْم بن أَحْوَز المَازِنِيّ في ثلاثة آلاف مقاتل، فاستُشْهِد يَحْيَىٰ بن زَيْد، وذٰلِكَ سنة ١٢٦هـ، وقبره بجُوْزْجَان[٢].

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٣٦ والتَّنْبِيْه والرَّدّ ص٣٣ والفَرْق بين الفِرَق ص٢٢ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٢٥ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٣٥ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٥٣ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٧٧ والمُنْيَة والأَمَل ص٨٩ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩١ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٥٧ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٢ ومُقَدِّمَة ابن خَلْدُوْن ص١٨٤ والزَّيْدِيَّة للأَكْوَع ص١٤ نَقْلاً عن فِهْرِسْت ابن النَّدِيْم، والمِلَل والنِّحَل لابن المُرْتَضَىٰ، والرحيق للجنداري، وأوائل المَقَالَات للشيخ المُفِيْد.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٣٧ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٢٦. وانظر: الفَرْق بين الفِرَق ص٣٥ والغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص٩٨ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٥٥ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٣٨ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن السَّابِق.

وانظر: الزَّيْدِيَّة للأَكْوَع السَّابِق ص١٨، ونقل نصوصاً عن عُلَمَاء الزَّيْدِيَّة كالإمَام الهَادِي، والمَقْبِلِيّ، وأَيضاً عن عِيسَىٰ بن يُوْسُف، وغيرهم، في إطلاق زَيْد اسم (الرَّافِضَة) علىٰ من تبرأ من أبي بَكْر وعُمَر. ونقل الإجماع علىٰ هٰذِهِ التسمية: مَجْد الدِّيْن المُؤَيَّدِيّ مفتي اليَمَن في تقديمه

فِرَق الزَّيْدِيَّة:

انقسمت الزَّيْدِيَّة إلىٰ فِرَق عديدة، اختلف الباحثون في عَدِّها[1]، أشهرها:

١- **الجَارُوْدِيَّة**: أتباع أبي الجَارُوْد زِيَاد بن المُنْذِر العَبْدِيّ الكُوْفِيّ الهَمَذَانِيّ، الأعمىٰ. وهو الذي سماه الإمَام الباقر (سُرْحُوْباً)، وفسَّره بأنه شيطان يسكن البَحْر، توفي سنة ١٥٠هـ وقيل سنة ١٦٠هـ، وزعموا: أن النَّبِيّ ﷺ نَصَّ علىٰ عَلِيّ بن أبي طَالِب

لكتاب الزَّيْدِيَّة لِعَلِيّ بن عبد الكَرِيْم الفضيل صفحة هـ. وانظر أَيضاً هٰذِهِ التسمية وسببها هٰذَا في المَصَابِيْح لأبي العَبَّاس أَحْمَد بن إبْرَاهِيْم من عُلَمَاء الزَّيْدِيَّة ص٣٩٠-٣٩٢ وأورد عدة روايات في ذٰلِكَ، وأَيضاً في المُنْيَة والأَمَل لابن المُرْتَضَىٰ ص٩٣-٩٤ وتاج العروس مادة (رفض).

(١) اختلف الباحثون في عدد فرق الزَّيْدِيَّة علىٰ النَّحْو الاتي:

ثلاث فِرَق وهي: الجَارُوْدِيَّة، والسُّلَيْمَانِيَّة (الجَرِيْرِيَّة)، والبُتْرِيَّة (الأبترية، الصَّالِحِيَّة): وهو قول البَغْدَادِيّ في الفَرْق بين الفِرَق ص٢٢ والإسْفَرَايِيْنِيّ في التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٢٤ والشَّهْرَسْتَانِيّ في المِلَل والنِّحَل ج١ ص١٥٧ والرَّازِيّ في اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٧٧ والإيْجِيّ في المَوَاقِف ج٨ ص٣٩١ والكَرْمَانِيّ في الفِرَق الإسلامِيَّة ص٥٧ ونَشْوَان في شَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٠٧.

أربع فِرَق: الجَارُوْدِيَّة، والجَرِيْرِيَّة، والبُتْرِيَّة، واليَعْقُوْبِيَّة. وهو قول المَقْرِيْزِيّ في الخِطَط ج٣ ص٤١١.

ست فِرَق: الجَارُوْدِيَّة (افترقت فرقتين وثلاث فِرَق)، والسُّلَيْمَانِيَّة، والبُتْرِيَّة، والنعيمية، وفرقة ذكر رأيها دون اسمها، واليَعْقُوْبِيَّة. وهو قول الأَشْعَرِيّ في مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٤٠-١٤٥. وذكر ابن المُرْتَضَىٰ في المُنْيَة والأَمَل ص٨٩ أنهم ست فِرَق. وانظر: الغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص٩٨.

ثماني فِرَق: الجَارُوْدِيَّة، والمرثدية، والأبرقية، واليَعْقُوْبِيَّة، والعميمية، والأبترية، والجَرِيْرِيَّة، واليَمَانِيَّة. وهو قول أبي عِيسَىٰ مُحَمَّد بن هارون الوراق وغيره، علىٰ ما ذكره المَسْعُوْدِيّ في مروج الذَّهَب، نقله مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد في هامش مَقَالَات الإسلامِيِّيْن للأَشْعَرِيّ.

بالوصف الذي لا يوجد إلَّا فيه كإيتاء الزكاة حال الركوع، لا بالتسمية، فكان هو الإمَامَ من بعده، وأن الصَّحَابَة كفروا بتركهم بيعة عَلِيّ، وبتنصيبهم أبا بَكْر.

ثم الحَسَن من بعد عَلِيّ هو الإمَام، ثم الحُسَيْن هو الإمَام من بعد الحَسَن[١].

٢- السُّلَيْمَانِيَّة (الجَرِيْرِيَّة): أتباع سُلَيْمَان بن جَرِيْر الزَّيْدِيّ، الذي قال: إن الإمَامَة شُوْرَىٰ، وإنها تصلح بعقد رجلين من خيار المُسْلِمِيْن.

وأجاز إمَامَة المفضول وإن كان الفاضل أفضل في كل حال. وأثبت إمَامَة أبي بَكْر وعُمَر، وزعم سُلَيْمَان أن الأُمَّة تركت الأصلح في البيعة لهما، لأن عَلِيّاً أَوْلَىٰ بالإمَامَة منهما، إلَّا أن الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفراً ولا فسقاً.

وكَفَّر سُلَيْمَانُ عُثْمَانَ بالأحداث التي نقمها الناقمون منه[٢].

٣- البُتْرِيَّة (الأبترية): أتباع رجلين: أحدهما: الحَسَن بن صالح بن حَيّ، والآخر: كثير النَّوَّاء المُلَقَّب بالأبتر.

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٤٠ وهامشها، والفَرْق بين الفِرَق ص٣٠ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٥٧. والفِصَل لابن حَزْم ج٤ ص١٥٧ والمُنْيَة والأَمَل ص٩٠ والزَّيْدِيَّة للأَكْوَع ص٢٤ والمصادر السَّابِقَة.

(**والسُّرْحُوْب**: ابن آوىٰ أو شيطان أعمىٰ يسكن) في (البَحْر)، وهو (لقب أبي الجَارُوْد إمَام) الطائفة (الجَارُوْدِيَّة)، من غُلَاة الزَّيْدِيَّة، يتجاهرون بسبّ الشَّيْخَيْن، بَرَّأهما الله مما قالوا، وهم موجودون بصَنْعَاء اليَمَن، (لقّبه به) الإمَام أبو عبد الله مُحَمَّد (الباقر). / تاج العروس شَرْح القَامُوْس المُحِيْط - مادة (سرحب)، طَبْعَة الكُوَيْت.

وانظر تلقيب الإمَام الباقر أبا الجارود بالسُّرْحُوْب في: فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ ص٥٥.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٤٣ والفَرْق بين الفِرَق ص٣٢ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٢٥ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٥٩ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٠٧ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٧٨ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٢ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٥٩ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٢ والزَّيْدِيَّة للأَكْوَع ص٢٧. وانظر: فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ ص٩.

وقولهم كقول سُلَيْمَان بن جَرِيْر، إلَّا أنهم توقفوا في عُثْمَان، ولم يُقْدِموا علىٰ ذمه ولا علىٰ مدحه[١].

وفرقتا السُّلَيْمَانِيَّة والبُتْرِيَّة تُكفِّران فرقةَ الجَارُوْدِيَّة، لأن الجَارُوْدِيَّة تُكفِّر أبا بَكْر وعُمَر. والجَارُوْدِيَّة تُكفِّر السُّلَيْمَانِيَّة والبُتْرِيَّة، لتركهما تكفير أبي بَكْر وعُمَر[٢].

آراء الزَّيْدِيَّة:

١- أجمعت الزَّيْدِيَّة علىٰ أن أصحاب الكبائر كلهم معذَّبون في النار، مُخَلَّدُون أَبداً، لا يُخْرَجُون منها[٣]. فهم من هٰذَا الوجه كالخَوَارِج[٤]، والقَدَرِيَّة[٥].

٢- أجمعوا علىٰ تصويب عَلِيّ بن أبي طَالِب في حَرْبه، وعلىٰ تخطئة من خالفه[٦]. وأن عَلِيّاً كان مصيباً في تَحْكِيْمه الحَكَمَيْن[٧].

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٤٤ والفَرْق بين الفِرَق ص٣٢ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٢٥ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٠٧ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ السَّابِق ص٦٠ والمُنْيَة والأَمَل ص٩٠. وذكرهم النَّوْبَخْتِيّ في فِرَق الشِّيْعَة ص١٣. وذكر في ص٥٧ أنهم ينتقصون عُثْمَان.

وجعلها الشَّهْرَسْتَانِيّ في المِلَل والنِّحَل ج١ ص١٦١ فِرْقتين: (الصَّالِحِيَّة أصحاب الحَسَن بن صالح بن حَيّ، والبُتْرِيَّة أصحاب كثير النَّوَّاء الأبتر، وهما مُتَّفِقَان في المَذْهَب).

وسماها الرَّازِيّ في اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٧٨: الصَّالِحِيَّة. وفي المَوَاقِف للإيْجِيّ ج٨ ص٣٩٢: بتير الثومي. وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٢. وانظر: الزَّيْدِيَّة للأَكْوَع ص٢٧.

(٢) الفَرْق بين الفِرَق ص٣٤ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن السَّابِق.

(٣) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٤٩ والفَرْق بين الفِرَق ص٣٤ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٢٥.

(٤) الفَرْق بين الفِرَق، والتَّبْصِيْر في الدِّيْن، السَّابِقَان.

(٥) التَّبْصِيْر في الدِّيْن السَّابِق.

(٦) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن السَّابِق.

(٧) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن السَّابِق ص١٥٠.

٣- أجمعوا علىٰ محاربة أَئِمَّة الجَوْر، وإزالة الظلم، وإقامة الحق[١]. واعتبر زَيْد الخروج شرطاً في كون الإمَام إمَاماً[٢].

٤- مع اعْتِقَادهم بأن الإمَام عَلِيّاً هو أفضل الصَّحَابَة، إلَّا أنهم يقولون بشَرْعِيَّة خِلَافَة أبي بَكْر وعُمَر، ولم يتبرؤوا منهما، لاعْتِقَادهم بجواز إمَامَة المفضول مع وجود الأفضل، عدا الجَارُوْدِيَّة منهم[٣].

٥- لا يشترط أن يكون الإمَام معصوماً، ولم يجوزوا ثُبُوْت الإمَامَة في غير أولاد فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأجازوا أن يكون إمَاماً كلُّ فاطمي، سواء كان من أولاد الحَسَن أم الحُسَيْن، إذا كان عالماً زَاهِداً شُجَاعاً سَخِيّاً[٤].

٦- يرجع زَيْد في أُصُوْل الدِّين إلىٰ الاعتزال، لأن زيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تتلمذ لواصل بن عَطَاء شيخ المُعْتَزِلَة[٥]، ولم يخالفه إلاَّ في أصل (المَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن)[٦].

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن السَّابِق، والمُنْيَة والأَمَل ص٨٩.

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٥٥.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٥٤و١٥٧ والزَّيْدِيَّة للأَكْوَع ص١٦-٢٢. وانظر: المُنْيَة والأَمَل ص٨٩.

(٤) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٥٣. وانظر: المُنْيَة والأَمَل السَّابق.

(٥) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٥٤، والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٢ قال: (وأكثرهم في زماننا مقلِّدون، يرجعون في الأُصُوْل إلىٰ الاعتزال، وفي الفُرُوْع إلىٰ مَذْهَب أبي حَنِيْفَة إلَّا في مَسَائِل قليلة). والزَّيْدِيَّة للأَكْوَع ص١٥ ونقل عن طَبَقَات المُعْتَزِلَة للإمَام المَهْدِيّ بن المُرْتَضَىٰ رِوَايَة في ذٰلِكَ، وهي وَارِدَة عند القَاضِي عبد الجَبَّار في فضل الاعتزال وطَبَقَات المُعْتَزِلَة، والحَاكِم أيضاً.

(٦) الزَّيْدِيَّة للأَكْوَع هامش ص١٥، وفيه: (قال ابن يزداد: كان زَيْد بن عَلِيّ لا يخالف المُعْتَزِلَة إلَّا في المَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن).

ورَدَّ هٰذَا القولَ الإمَام مُحَمَّد بن إبْرَاهِيْم الوَزِيْر[(١)]، وعَلِيّ بن عبد الكَرِيْم الفضيل[(٢)].

أما في الفُرُوْع الفِقْهِيَّة فإنهم يرجعون إلىٰ مَذْهَب أبي حَنِيْفَة إلَّا في مَسَائِل قليلة[(٣)]. وقد يكون سببه أن أبا حَنِيْفَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يفتي سِرّاً بوجوب نصرة الإمَام زَيْد، وحَمَلَ المالَ إليه[(٤)].

● الصنف الثالث من أصناف الشِّيْعَة: الإمَامِيَّة:

وسبب هٰذِهِ التسمية هو: إجماع فِرَقهم علىٰ أن النَّبِيّ ﷺ نَصَّ علىٰ استخلاف عَلِيّ بن أبي طَالِب باسمه، وأظهر ذٰلِكَ وأعلنه.

وأن أكثر الصَّحَابَة ضلوا بتركهم الاقتداء به، بعد وفاة النَّبِيّ ﷺ[(٥)]،

---

(١) نقل هٰذَا الرَّدَّ الأَكْوَعُ في الزَّيْدِيَّة هامش ص١٦ عن كتاب الوَزِيْر العواصم والقواصم، وفيه قال الوَزِيْر: (فهٰذَا من الأباطيل بغير شك، ولعله من أكاذيب الرَّوَافِض).

(٢) الزَّيْدِيَّة لِعَلِيّ بن عبد الكَرِيْم ص٢١ وذكر أن زيداً لم يكن مُعْتَزِلِيّاً ولا أخذ العلم عن واصل، وإنما أخذه عن أبيه وأخيه الباقر وعُلَمَاء المَدِيْنَة المُنَوَّرَة، وإذا نسب إلىٰ فرقة فهي فرقة (العَدْلِيَّة) القائلة بالعَدْل والتَّوْحِيْد ونفي الجَبْر والتشبيه، التي نَسبَ إليها القَاضِي عبد الجَبَّار وابن المُرْتَضَىٰ كلَّ الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصَّحَابَة.

(٣) المَوَاقِف السَّابِق.

(٤) دراسات في الفِرَق ص٦٦ نَقْلًا عن الكَشَّاف للزَّمَخْشَرِيّ ج١ ص٦٤ ونقل نحوه عن أبي الفَرَج الأَصْبَهَانِيّ في مَقَاتِل الطَّالِبِيِّيْن ص١٠٧. وانظر: تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص٤٣، وفي ص٣٦٤ أشار إلىٰ المَنَاقِب للبَزَّازِيّ.

وانظر في الزَّيْدِيَّة أيضاً: تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٢٨٩ وفي علم الكلام - الزَّيْدِيَّة لأَحْمَد مَحْمُوْد صبحي ج٣ ص٦٠.

(٥) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٨٩ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٣٥ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨٢٨ وما بعدها. وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٠٦ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٦٣ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٨٥ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٦١ وشَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف

فكفروا[١].

وهم فِرَق كثيرة من أشهرها: الإسْمَاعِيْلِيَّة، والإمَامِيَّة الاثْنَا عَشَرِيَّة.

أولاً: الإسْمَاعِيْلِيَّة (السَّبْعِيَّة):

سُميت هٰـذِهِ الفرقة بالإسْمَـاعِـيْـلِـيَّة نسبة إلىٰ إسْمَـاعِـيْـل ابـن الإمَـام جَـعْـفَـر الصَّادِق[٢].

والإسْمَاعِيْلِيَّة يقولون بأن الإمَام جَعْفَر الصَّادِق قد نَصَّ علىٰ أن إسْمَاعِيْل هو الإمَام بعده، وجعل الوصية إليه، وذٰلِكَ لأن إسْمَاعِيْل هو أَسَنُّ أولاده وآثرهم عنده[٣].

واختلفت الإسْمَاعِيْلِيَّة في **وفاة إسْمَاعِيْل في حياة أبيه** علىٰ أقوال منها:

القول الأول: إن إسْمَاعِيْل حَيّ لم يمت، ولا يموت حتىٰ يملك الأرض، ويكون

ج٨ ص٣٩٢ والمُنْيَة والأَمَل ص٩٥ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥١ وكَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن ج١ ص٢٦٠.

(١) المصادر السَّابِقَة عدا: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن، وتَبْصِرَة الأَدِلَّة، وشَرْح الحُوْر العِيْن.

(٢) فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ ص٦٧ ومَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٠٠ والفَرْق بين الفِرَق ص٦٢ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٧٠ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٣٣ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢١٦ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٨١ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٥٢ ومُقَدِّمَة ابن خَلْدُوْن ص١٨٨ وكَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن ج١ ص١٨٩و٩٢٧.

ومن أسمائهم أَيضاً: **البَاطِنِيَّة**: لقولهم إن لكل ظَاهِر بَاطِناً، **والسَّبْعِيَّة**: لاعْتِقَادهم أن أدوار الإمَامَة سبعة، **والتَّعْلِيْمِيَّة**: لإبطالهم النَّظَر والاكتفاء بتَعْلِيْم الإمَام المعصوم. / المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٩٩ وما بعدها. وفضائح البَاطِنِيَّة ص١٧ وبَيَان مَذْهَب البَاطِنِيَّة وبطلانه للدَّيْلَمِيّ ص٢١ والمَوَاقِف ج٨ ص٢٨٨ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٤٩ وكَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن السَّابِق، والإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٩٩-١٠٠.

(٣) شَرْح الحُوْر العِيْن السَّابِق، ودراسات في الفِرَق ص٦٦-٦٧.

إمَاماً بعد أبيه، وأُظهر موته تَقِيَّة من خلفاء بني العَبَّاس، حتىٰ لا يُقصد بالقتل.

القول الثاني: إن موت إسْمَاعِيْل صَحِيْح، وإن النصَّ لا يرجع القَهْقَرَىٰ، والفائدة من النص بَقَاء الإمَامَة في أولاد المنصوص عليه دون غيره، فلا تكون إلَّا في الأعقاب، ولا تنتقل من أخ إلىٰ أخيه بعد الحَسَن والحُسَيْن عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ. وهو قول المُبَارَكِيَّة.

وعليه فإن الإمَام برأيهم بعد جَعْفَر هو حَفِيْده مُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل، بوصية من جَدِّه جَعْفَر، فصار مُحَمَّد ولي عهد جده جَعْفَر، دون عمومه، فلما مات جَعْفَر استحق مُحَمَّد الإمَامَة بعده بذٰلِكَ[١].

ثم افترقت الإسْمَاعِيْلِيَّة إلىٰ شعبتين رئيستين هما[٢]:

الشُعْبَة الأُوْلَىٰ: وقفت في موت مُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل المُلَقَّب بالمَكْتُوْم، أي المستور، وقالت برجعته بعد موته، وانتظرته مَهْدِيّاً يُبعث، وهٰؤُلَاءِ هم **القَرَامِطَة**، نسبة إلىٰ رئيس لهم من الأنباط يلقب (قِرْمِطْويه)[٣]، ومن آرائهم:

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، وشَرْح الحُوْر العِيْن، السَّابِقَان. وانظر: فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ، ومَقَالَات الإسلامِيِّين، والفَرْق بين الفِرَق، السَّابِقَة.

والمُبَارَكِيَّة: نسبة إلىٰ رئيسهم (المُبَارَك) مَوْلَىٰ إسْمَاعِيْل بن جَعْفَر. قاله النَّوْبَخْتِيّ في فِرَق الشِّيْعَة ص٦٨-٦٩. وانظر: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ص١٠١ والفَرْق بين الفِرَق ص٦٤ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ص١٧٠-١٧١و٢٠٠ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢١٦.

(٢) دراسات في الفِرَق ص٦٧.

(٣) ذكر ابن الجَوْزِيّ في كتابه تَلْبِيْس إبْلِيْس ص١١٠ قولين في سبب هٰذِهِ التسمية هما:

١- أن رجلاً من ناحية خُوْزِسْتَان، قدم الكُوْفَة، ودعا إلىٰ إمَام من أهل البيت، ونزل علىٰ رجل اسمه (كرميتة)، ومعناه بالنَّبَطِيَّة حادّ العين، فسمي باسم من نزل عنده (كرميتة)، ثم خفف فقيل: قِرْمِط.

٢- نسبة إلىٰ رجل يقال له: حَمْدَان قِرْمِط، أحد دُعاتهم. وقيل: إنما عرف حَمْدَان هٰذَا بقِرْمِط، من أجل قِصَر قامته وقِصَر رجليه وتقارب خطوه. وكان ابتداء أمره سنة ٢٦٤هـ.

١- لا يكون بعد النَّبيّ مُحَمَّد ﷺ إلَّا سبعة أَئِمَّة هم: عَلِيّ بن أبي طَالِب وهو إمَام رَسُوْل، والحَسَن، والحُسَيْن، وعَلِيّ بن الحُسَيْن، ومُحَمَّد بن عَلِيّ، وجَعْفَر بن مُحَمَّد، ومُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل بن جَعْفَر وهو الإمَام القائم المَهْدِيّ وهو رَسُوْل.

٢- أن النَّبِيّ مُحَمَّداً ﷺ انقطعت عنه الرِّسَالَة في حياته في اليوم الذي أُمر فيه بنصب عَلِيّ بن أبي طَالِب للناس بغَدِير خُمّ، فصارت الرِّسَالَة في ذٰلِكَ اليوم في عَلِيّ.

٣- مُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل حَيٌّ لم يمت، وأنه في بلاد الرُّوْم، وأنه القائم المَهْدِيّ، ومعنىٰ القائم عندهم أنه يُبعث بالرِّسَالَة وبشريعة جديدة يَنسخ بها شريعةَ مُحَمَّد ﷺ.

٤- مُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل من أُولي العَزْم من الرُّسُل، وهم عندهم سبعة: نُوْح، وإبْرَاهِيْم، ومُوسَىٰ، وعِيسَىٰ، ومُحَمَّد، وعَلِيّ، ومُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل.

وأن مُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل هو خاتم النَّبِيِّيْن، والذي حكاه الله عَزَّ وجَلَّ.

٥- الله تعالىٰ جعل لمُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل جنة آدم، ومعناها عندهم الإباحة للمحارم، وجميع ما خلق في الدنيا.

٦- استحلوا استعراض الناس بالسَّيْف وقتلهم، وأخذ أموالهم، والشهادة عليهم بالكفر، واستحلوا سبي النساء وقتل الأطفال.

٧- أوجبوا قتل من قال بالإمَامَة ممن ليس علىٰ قولهم، وخاصة من قال بإمَامَة مُوسَىٰ بن جَعْفَر وولده من بعده[1].

وانظر: هامش ص٧٢ من فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ نَقْلاً عن ابن الجَوْزِيّ، والفِهْرِسْت لابن النَّدِيْم ص٢٦٥.

(١) فِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ ص٧٢-٧٦.

وانظر عن القَرَامِطَة: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص١٠٠-١٠١ والتَّنْبِيْه والرَّدّ ص٢٠ والفَرْق بين الفِرَق ص٢٨٢.

والشُعْبَة الثانية: ساقت الإمَامَة من بعد إسْمَاعِيْل في أَئِمَّة مستورين، أولُهم ابنه مُحَمَّد المَكْتُوْم، إلىٰ أن ظهر الإمَام الشَّرْعِيّ في شخص عُبَيْد الله المَهْدِيّ، مؤسس الدولة الفاطمية في المَغْرِب، الذي هو أول الأَئِمَّة الظَّاهِرِيّن[١]، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٢٢هـ[٢].

وخلال القرن الخامس الهِجْرِيّ **صارت الإسْمَاعِيْلِيَّة فِرَقاً مُخْتَلِفَة**:

فكان الانشقاق الأول سنة ٤١١هـ=١٠٢١م عندما أعلن الحَاكِم بأمر الله بأن التجسد الإلٰهِيّ قد حلَّ فيه، ثم اختفىٰ، وقيل: إنه مات مقتولاً.

لٰكِن أتباعه وهم **الدروز** يعتقدون بأنه لم يمت، وأنه سيعود، فهو الإمَام المنتظر عندهم.

ثم كان الانشقاق الآخر بعد وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ=١٠٩٤م، حيث أُكره ابنه الأكبر نِزَار علىٰ التخلي عن الإمَامَة، علىٰ خلاف عَقِيْدَة الإسْمَاعِيْلِيَّة في لزوم تولية ابنه الأكبر، وذٰلِكَ بتدبير من وَزِيْر المستنصر الأفضل شَاهنشَاه بن أَمِيْر الجيوش بَدْر الجمالي، الذي بادر بإجلاس ابن المستنصر الأصغر المستعلي، لكونه ابن اخت له، وأجلسه علىٰ عرش الخِلَافَة، وكان بين الأخوين محاربات، انتهت بالقبض علىٰ نِزَار، وسجنه، ومات في السجن.

فانشقت الإسْمَاعِيْلِيَّة إلىٰ فرعين رئيسين:

أولهما: المستعلية، نسبة إلىٰ المستعلي أبي القَاسِم أَحْمَد، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٩٥هـ. وانتقل مركز دعوتها بعد سقوط الدولة الفاطمية في مِصْر علىٰ يد صَلَاح الدِّيْن الأَيُّوْبِيّ، إلىٰ اليَمَن، ثم إلىٰ الهِنْد، وحدثت لها انشقاقات عديدة. ومنها فرقة (**البُهْرَة**) الموجودون الآن في الهِنْد[٣].

---

(١) مُقَدِّمَة ابن خَلْدُوْن ص١٨٨ ودراسات في الفِرَق ص٦٧.

(٢) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص١٠١-١٢١ في ترجمة المَهْدِيّ.

(٣) دراسات في الفِرَق ص٧٠، والإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص١٥٨ وفيها ترجمة

الفرع الثاني: النِّزَارِيَّة. وكان بعد مقتل نِزَار واعتلاء أخيه المستعلي العرش، نُقل ابنه القاصر المهتدي من قبل أتباعه إلىٰ بلاد فَارِس، فنشأ خفية علىٰ يد كَبِيْر الدعاة الحَسَن بن الصَّبَّاح.

وبقية هٰذِهِ الفرقة تعرف اليوم في الهِنْد **بالخوجا، أو المَوْلَىٰ، وزعيمهم الأغاخان،** ومن أسلافهم **الحَشَّاشُوْن**[1].

وأهم الرِّجَال الذين قامت علىٰ أيديهم دعوة الإِسْمَاعِيْلِيَّة، وأوجدوا عَقَائِدها، وصارت أَسَاساً لأَتباع الإِسْمَاعِيْلِيَّة فيما بعدهم:

أبو الخَطَّاب مُحَمَّد بن أبي زَيْنب مقلاص الأجدع، مَوْلَىٰ بني أَسَد، الذي ادَّعىٰ أنه قيّم الإمَام جَعْفَر الصَّادِق ووصيه من بعده، وأتباعه هم الخَطَّابِيَّة.

ومَيْمُوْن القَدَّاح بن دَيْصَان الثَّنَوِيّ الأَهْوَازِيّ، وابنه عبد الله بن مَيْمُوْن، وكلهم من الغُلَاة، تستروا بالتشيع والعلم، وصار لهم دعاة، وظهر منهم التعطيل والإباحة[2]. وقد تبرأ منهم الأَئِمَّة جَعْفَر الصَّادِق وغيره.

المستعلي، وكذا في ص٧٣٥ وأشار إلىٰ اتعاظ الحنفا للمَقْرِيْزِيّ، والنُّجُوْم الزَّاهِرَة، وتاريخ ابن إِيَاس، والكَامِل لابن الأَثِيْر.

(١) دراسات في الفِرَق ص٧١. وانظر: الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص١٥٩ نَقْلًا عن النُّجُوْم الزَّاهِرَة و ص٧٣٦ نَقْلاً عن اتعاظ الحنفا للمَقْرِيْزِيّ. وانظر أَيضاً: دائرة المَعَارِف الإسلامِيَّة - ترجمة: أَحْمَد الشنتناوي ورفاقه ج٢ ص١٨٧-١٩٥ مادة (الإِسْمَاعِيْلِيَّة).

(٢) الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص٨٤ ونقل في ص١٧٢ عن ابن النَّدِيْم. وانظر: بَيَان مَذْهَب البَاطِنِيَّة وبطلانه للدَّيْلَمِيّ ص٢٠.

كان إِسْمَاعِيْل بن جَعْفَر قد خدعته آراء الخَطَّابِيَّة، فسلك مسلكهم، رَوَىٰ الكَشِّيّ والمَامِقَانِيّ والهَمَذَانِيّ من عُلَمَاء الإمَامِيَّة: أنه كان يشرب معهم الخمور، وكان أبو الخَطَّاب يُكْنَىٰ بأبي إِسْمَاعِيْل، لذا تبرأ الإمَام جَعْفَر الصَّادِق منه ومن أبي الخَطَّاب والخَطَّابِيِّيْن. / الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص٥٦-٦٢.

عَقَائِد الإِسْمَاعِيْلِيَّة:

الكتابة في عَقَائِد الإِسْمَاعِيْلِيَّة أمر عسير، لأن كتبهم نوعان:

١- كتب الظَّاهِر، وهي التي كتبت للناس عامةً، إِسْمَاعِيْلِيِّيْن وغيرهم، وهٰذِهِ ميسورة متداولة، وهي لا تمثل عَقَائِدهم الحقيقية.

٢- كتب البَاطِن، وهي التي لا يَطّلع عليها إلَّا الخاصة المتعمقون في فهم عقيدتهم، بل إن هٰؤُلَاءِ المتعمقين لا يسمح لهم باقتنائها إلَّا بعد أخذ العهود والمواثيق علىٰ أن لا يعطوها لأحد، ولا يُخبِروا بها فيها[١].

والفرق بينهما كَبِيْر، ومن الأمثلة علىٰ ذٰلِكَ أن الداعي الإِسْمَاعِيْلِيّ المطلق إِدْرِيْس عِمَاد الدِّيْن ذكر في كتابه الظَّاهِرِيّ: أن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيْل لما مات أبوه إِسْمَاعِيْل بن جَعْفَر كان عُمره ستاً وعشرين سنة[٢].

لٰكِنه في كتابه السِّرِّيّ يقول بأن عُمره كان ثلاث سنين[٣].

وبَيَان عقيدتهم فيما يأتي:

١- عقيدتهم في الله تعالىٰ:

التَّوْحِيْد عندهم هو تَجْرِيْد الله عن جميع الأسماء والصفات، فالله تعالىٰ لا يوصف

(١) الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص٢٦٨ وضرب أمثلة من تلك العهود من كتاب المبدأ والمعاد للداعي الإِسْمَاعِيْلِيّ حُسَيْن بن عَلِيّ بن الوَلِيْد، وذكر في ص١٠ نماذج منها من كتاب الأَنْوَار اللَّطِيْفة للداعي الإِسْمَاعِيْلِيّ طاهر بن إِبْرَاهِيْم الحَارِثِيّ المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٤٨هـ، ومن صاحب مَسَائِل مجموعة من الحَقَائِق العالية والدَّقَائِق والأسرار السَّامِية لداعٍ إِسْمَاعِيْلِيّ كَبِيْر، والمُؤَيَّد الشِّيْرَازِيّ المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧٠هـ، وطاهر سَيْف الدِّيْن الداعي المطلق لِفرقة البُهْرَة.

(٢) الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص٢٠ وأشار إلىٰ عُيُوْن الإخبار ص٣٥١ للداعي إِدْرِيْس.

(٣) الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص٢١ وأشار إلىٰ زهر المعاني ص٤٧ من المنتخب.

بوصف، ولا يسمىٰ باسم.

والله عَزَّ وجَلَّ ليس بموجود ولا مَعْدُوْم[١]. وهٰذَا النفي دعاهم إلىٰ اختراع آلهة أُخرىٰ لإطلاق الأسماء والصفات الوَارِدَة في القُرْآن والسُّنَّة عليها، فقالوا: (إن جميع صفات الشَّرَف والجَلَالَة وما يعبر به في جميع اللُّغَات من الإشارات بنعوت الإلٰهِيَّة فإنها واقعة علىٰ العقل الأول)[٢].

والعقل الأول يقال له: العقل الكلي، والموجود الأول، والمُبْدِع الأول، والسَّابِق، والقلم، والكلمة، وهٰذَا متصف بصفات الخَالِق والرازق والمُصَوِّر والباري... ويماثله في العالم السفلي: الناطق، وهو النَّبِيّ.

والعقل الثاني يطلق عليه: النفس الكُلِّيَّة، واللوح، والمُبْدِع الثاني، والتالي. ويماثله: الأَسَاس، وهو الوصي[٣].

قال الحَامِدِيّ بأن عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الله الخَالِق البَارِئ المُصَوِّر[٤].

وزعموا أن عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال عن نفسه: (أنا أُحيي وأُميت، وأُخلي وأرزق، وأُبرئ الأكمه والأبرص، وأُنبئكم بما تأكلون وتدَّخرون في بيوتكم)[٥]. وغير ذٰلِكَ من الأقوال

---

(١) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٢٧٧. ونقل ذٰلِكَ عن المُؤَيَّد في الدِّيْن هِبَة الله الشِّيْرَازِيّ داعي الدعاة الإسْمَاعِيْلِيّ للإمَام الإسْمَاعِيْلِيّ المستنصر في كتابه البَاطِنِيّ المجالس المُؤَيَّدِيَّة، ونقل عنه إبْرَاهِيْم بن الحُسَيْن الحَامِدِيّ في كتابه البَاطِنِيّ كَنْز الولد، والكَرْمَانِيّ أَحْمَد حميد الدِّيْن في كتابه راحة العقل وغيرهم.

(٢) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٢٨٥. نَقْلًا عن رِسَالَة المبدأ والمعاد للحُسَيْن بن عَلِيّ ابن الوَلِيْد، ونحوه عن الصوري وطاهر الحَارِثِيّ، والكَرْمَانِيّ، وغيرهم من دعاة الإسْمَاعِيْلِيَّة.

(٣) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٢٨٦-٢٨٨، وأورد نصوصاً عن النُّعْمَان القَاضِي والحَامِدِيّ والسِّجِسْتَانِيّ.

(٤) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٢٩٨ نَقْلًا عن كَنْز الولد للحَامِدِيّ ص٢٢١.

(٥) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٢٩٩ نَقْلًا عن زهر المعاني للداعي المطلق إدْرِيْس ص٧٧.

الكثيرة المماثلة لها.

والشرك عندهم هو الدعوة إلىٰ غير الإمَام، لا إلىٰ غير الله تعالىٰ[1].

٢- عقيدتهم في النَّبِيّ:

النَّبِيّ عندهم هو الناطق، ويتحلىٰ باثنتي عشرة خَصْلَة هي أن يكون:

تام الأعضاء، جيد الفهم، جيد اللفظ، فَطِناً ذكياً، حَسَن العبارة، محباً للعلم والإفادة، محباً للصدق، غير شَرِه في الأكل والشرب والنكاح، كَبِيْر النفس، زَاهِداً في الدنيا، محباً للعَدْل، قَوِيّ العزيمة.

قالوا: إذا اجتمعت هٰذِهِ الخصال في وَاحِد من البشر في وقت من الزمان، فإن ذٰلِكَ الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان.

فالنُّبُوَّة عندهم مكتسبة، والإنسان يستطيع أن يكون نَبِيّاً بالرِّيَاضات والمُجَاهَدَة[2].

وقالوا: القُرْآن من كلام الرَّسُوْل المركب من خطرات النفس[3].

ورَدَّ عليهم يَحْيَىٰ بن حَمْزَة العَلَوِيّ بأن قولهم في النُّبُوَّة قريب من مَذْهَب الفَلَاسِفَة، ولٰكِنهم ضعفوا عن مَعْقُوْل كلام الفَلَاسِفَة فخبطوا فيه، وفصَّل القول في

---

(١) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٢٨٩ نَقْلًا عن الكَشْف لجَعْفَر بن مَنْصُوْر اليَمَن ص١٦٦.

(٢) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٢١-٣٢٢ نَقْلًا عن رَسَائِل إخوان الصفا ج٤ ص١٢٩و١٣٥.

(٣) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٢٩-٣٣٨ ونقل في ذٰلِكَ نصوصاً عديدة من دعاة الإسْمَاعِيْلِيَّة، مثل: الحَارِثِيّ اليَمَانِيّ في الأَنْوَار اللَّطِيْفَة ص١٢٦و١٦٠-١٦١ والحَامِدِيّ في كَنْز الولد ص٢٠٦-٢٠٧و٢١٧و٢١٩ وجَعْفَر بن مَنْصُوْر اليَمَن في سرائر النطقاء ص٢٠٩ مخطوط، والشِّيْرَازِيّ في المجالس المُؤَيَّدِيَّة ص١٥٢.

الرد عليهم[١].

٣- عقيدتهم في الوصاية والوَصِيّ:

يقول الإِسْمَاعِيْلِيَّة بأن لكل نَبِيّ وَصِيّاً، ووَصِيّ رَسُوْل الله مُحَمَّد ﷺ هو عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واختلفوا فيهما علىٰ قولين:

أ- المساواة بين النَّبِيّ والوَصِيّ، بدون تفضيل وَاحِد علىٰ آخر. فرووا عن عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: (أنا ومُحَمَّد من نور وَاحِد، من نور الله تعالىٰ، أمر الله ذٰلِكَ النُّوْر أن ينشق إلىٰ نصفين، فقال للنصف الأول: كن مُحَمَّداً، وللنصف الثاني: كن عَلِيّاً)[٢].

ب- الوَصِيّ أفضل من النَّبِيّ، فعَلِيّ أفضل من مُحَمَّد ﷺ، لأنه هو مقصود الدعوة ومُرَادها، ولم تكن دعوة الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ إِلَّا إليه، كما لم يؤخذ الميثاق من جميع الأنبياء والمُرْسَلين إِلَّا للإقرار به وبوصايته وولايته، ولا تُقبل العِبَادَة إِلَّا باتباعه وبإقرار ولايته[٣].

٤- عقيدتهم في الإِمَامَة (ويعبر عنها أَحيَاناً بالوِلَايَة):

يرىٰ الإِسْمَاعِيْلِيَّة أن الإِمَامَة فرض من الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، فلا يَتِمّ الدِّيْن إِلَّا به، ولا يَصِحّ الإيمان بالله والرَّسُوْل إِلَّا بالإيمان بالإِمَام[٤].

---

(١) الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٤٤-٣٤٧.

(٢) الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٥٠ ونقل رِوَايَة عَلِيّ عن الحَارِثِيّ في الأَنْوَار اللَّطِيْفَة، وذكر نصوصاً في ذٰلِكَ عن عَلِيّ بن الوَلِيْد في تاج العَقَائِد، وداعي الدعاة إِدْرِيْس عِمَاد الدِّيْن في زهر المعاني، والحُسَيْن بن عَلِيّ بن الوَلِيْد في المبدأ والمعاد، وأبي يَعْقُوْب السِّجِسْتَانِيّ في إثبات النبوءات، والداعي حَاتِم بن عِمْرَان، والكَرْمَانِيّ في راحة العقل، وهِبَة الله الشِّيْرَازِيّ.

(٣) الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٦٠، ونقل ذٰلِكَ عن جَعْفَر بن مَنْصُوْر اليَمَن، والحَسَن بن نُوْح الهِنْدِيّ، والحَامِدِيّ، وغيرهم.

(٤) الإِسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إِلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٦٧ ونقل في ذٰلِكَ نصوصاً عن القَاضِي

ومن مات ولم يعرف إمَام زمانه مات ميتة جاهلية[١].

ولا تخلو الأرض من إمَام أَبداً، ظَاهِراً كان أم مستوراً[٢].

قال قَاضِيهم النُّعْمَان بن مُحَمَّد: لا يكون أحد إمَاماً إلَّا من أولاد عَلِيّ، الحَسَن والحُسَيْن، ثم في أولاد الحُسَيْن، لا في أولاد الحَسَن، ثم في أولاد إسْمَاعِيْل بن جَعْفَر، لا في أولاد أحد غيره[٣].

وكان الإسْمَاعِيْلِيَّة يخاطبون أئمتهم مخاطبة العبد لربه، قال ابن هانئ الأَنْدَلُسِيّ يخاطب المُعِزّ الإسْمَاعِيْلِيّ:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ ... فاحكمْ فأنتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ[٤]

٥- والإسْمَاعِيْلِيَّة **يقولون بالحُلُوْل والتناسخ**، وهو عَيْن ما يعتقده الهِنْدوس. ومما ذكروا في ذٰلِكَ: (أن كل دابة في الأرض وفي السماء قد كانت أُمَماً قبلكم، وأن عدونا ليمسخ في كل شيء خالف الصورة الإنسانية، حتىٰ إذا عاد أحدهم يقتل ألف قتلة، ويذبح ألف ذبحة، ويموت ألف ميتة، وأما أَوْلِيَاء الله وأتباعهم المُؤْمِنون فقد خلصهم

النُّعْمَان بن مُحَمَّد في الدَّعَائِم وتأويل الدَّعَائِم، وشَرَف عَلِيّ الإسْمَاعِيْلِيّ في عُيُوْن المَعَارِف، وأَحْمَد حميد الدِّين الكَرْمَانِيّ في المَصَابِيْح في إثبات الإمَامَة، والمُؤَيَّد الشِّيْرَازِيّ، وجَعْفَر بن مَنْصُوْر اليَمَن، وغيرهم.

(١) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٧٣ نَقْلًا عن المجالس المُؤَيَّدِيَّة للشِّيْرَازِيّ ص١١٩.

(٢) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٧٤ نَقْلًا عن تاج العَقَائِد لِعَلِيّ بن مُحَمَّد بن الوَلِيْد المُتَوَفَّىٰ سنة ٦١٢هـ، ونقل نحوه من قول حَسَن بن نُوْح، وحَاتِم بن إبْرَاهِيْم، وأبي يَعْقُوْب السِّجِسْتَانِيّ، وغيرهم من دعاة الإسْمَاعِيْلِيَّة.

(٣) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٧٥ نَقْلًا عن دَعَائِم الإسلام للقَاضِي النُّعْمَان.

(٤) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٣٨٤ ونقل في ذٰلِكَ نصوصاً كثيرة في هٰذَا المعنىٰ عن دعاة الإسْمَاعِيْلِيَّة.

الله من المسوخية، وجعل ذٰلِكَ عقوبة لأعدائهم...)[١].

٦- والإسْمَاعِيْلِيَّة **يعتقدون بتحريف القُرْآن الكَرِيْم**. ومن أمثلة ذٰلِكَ: ما قال جَعْفَر بن مَنْصُوْر اليَمَن: (وقد خَابَ مَن حَمَل ظلماً ظلم آل مُحَمَّد) هٰكَذَا أُنزلت هٰذِهِ الآية[٢].

٧- والإسْمَاعِيْلِيَّة **يقولون بتكفير الصَّحَابَة**، وعلىٰ رأسهم أبو بَكْر وعُمَر وعُثْمَان[٣].

٨- والإسْمَاعِيْلِيَّة **يعتقدون بأن مُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل نسخ شريعة مُحَمَّد ﷺ**، وهٰذَا ما صرح به المُعِزّ لدين الله الإمَام الإسْمَاعِيْلِيّ الرابع في دور الظهور، وذٰلِكَ في دعائه يوم السبت الذي يقول به: (... وعلىٰ القائم بالحق والناطق بالصدق، التاسع من جده الرَّسُوْل، والثامن من أبيه الكوثر، السابع من آبائه الأَئِمَّة من البررة... الذي شَرَّفته وعظّمته وكرّمته، وختمت به عالم الطبائع، وعطّلت بقيامه ظَاهِر شريعة مُحَمَّد...).

والمُعِزّ إمَام معصوم حسب زعمهم، وحائز علىٰ مرتبة الأُلوهية[٤].

---

(١) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٤١٨-٤٤١ وأورد نصوصاً كثيرة عن دعاة الإسْمَاعِيْلِيَّة من أقوالهم بالتناسخ. وهٰذَا النص في ص٤٣٩.

(٢) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٤٦٥ نَقْلًا عن كتاب الكَشْف لجَعْفَر بن مَنْصُوْر ص٧٨ ونقل قولهم بتحريف القُرْآن من أَسَاس التأويل للقَاضِي النُّعْمَان.

(٣) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٤٦٦ ونقل نصوصاً عن جَعْفَر اليَمَن في كتابيه الكَشْف ص١٢٥ وسرائر النطقاء، والقَاضِي النُّعْمَان في أرجوزته ص٩٩ وكتابه المجالس والمسايرات ص٣٧٩، والمُؤَيَّد الشِّيْرَازِيّ في المجالس المُؤَيَّدِيَّة ج٢ ص١٣٦، والكِرْمَانِيّ في راحة العقل ص٥٠٠، والحَامِدِيّ في كَنْز الولد ص٩٩، وحَسَن بن نُوْح الهِنْدِيّ في الأزهار ص٢٢١، والسِّجِسْتَانِيّ في إثبات النبوءات ص١٥٩، وضِيَاء الدِّيْن في مِزَاج التَّسْنِيْم ص٣٣٥.

(٤) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٥٥٠-٥٥٢ نَقْلًا عن أدعية الأيام السبعة للمُعِزّ لدين الله.

لذٰلِكَ عطل الإسْمَاعِيْلِيَّة الشَّرِيْعَة، ورفعوا التكاليف، وأسقطوا الظَّاهِر كالصلاة والزكاة والحج والصوم والجِهَاد[(١)]، وأباحوا المحرمات، وسبُّوا الأنبياء، وقتلوا المُسْلِمِيْن[(٢)].

لذا أفتىٰ العُلَمَاء بارتدادهم وزندقتهم كما قال القَاضِي عِيَاض: (أجمع العُلَمَاء بالقَيْرَوَان أن حال بني عُبَيْد حال المُرْتَدّين والزنادقة)[(٣)].

وقال البَغْدَادِيّ: (والذي صح عندي من دين البَاطِنِيَّة - وهو من أسماء الإسْمَاعِيْلِيَّة - أنهم دَهْرِيَّة زَنادقة، يقولون بقِدَم العالَم، وينكرون الرَّسُوْل والشرائع

---

(١) وأَوَّلوا ما ورد من نصوص في القُرْآن الكَرِيْم حسب رأيهم، فقالوا: القيامة هي قيام القائم، والأنهار أمثال ما يجري من العُلَمَاء من نشر الفَوَائِد العِلْمِيَّة في مستفيديهم، والجنة هي البَقَاء والمَعْرِفَة في العالم المَعْقُوْل، واللذات في العالم المحسوس، والصلاة هي الطاعة لأَمِيْر المُؤْمِنين عَلِيّ والأَئِمَّة من أولاده، أو الاتصال بالإمَام أو... . / الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٤١١ وما بعدها، ونقل نصوصاً عن دعاة الإسْمَاعِيْلِيَّة في ذٰلِكَ. وانظر: المُنْيَة والأَمَل ص٩٦ وما بعدها.

(٢) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٥٦٠-٥٦٣ نَقْلًا عن سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء للذَّهَبِيّ ج١٥ ص١٥٢ والبَيَان المغْرِب للمُرَّاكُشِيّ ج١ ص٢١٦.

وفيه: نقل الذَّهَبِيّ عن القَاضِي عبد الجَبَّار قوله: (إن القائم أظهر سَبَّ الأنبياء، وكان مناديه يصيح: العنوا الغار وما حوىٰ، وأباد عدة من العُلَمَاء وكان يناصِر قَرَامِطَة البَحْرَيْن، ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف).

ونقل إحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر في ص٥٦٦: رِسَالَة المُعِزّ لدين الله إلىٰ القِرْمِطِيّ حَسَن الأعصم يُقرّ فيها آباءه وأسلافه علىٰ ما كانوا عليه من القتل والفتنة وإباحة المحظورات وقلع الحَجَر الأسود ونهب الحُجَّاج... .

(٣) الإسْمَاعِيْلِيَّة لإحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر ص٥٦٤ وما بعدها نَقْلًا عن تَرْتِيْب المَدَارِك للقَاضِي عِيَاض، وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص١٥١، وفيها شهادات العُلَمَاء نقلها الذَّهَبِيّ، وأبو زَيْد الدباغ في كتابه مَعَالِم الإيمان، وأبو الحَسَن القَابِسِيّ في الملخَّص، والمُرَّاكُشِيّ صاحب البَيَان المغْرِب.

كلها، لميلها إلىٰ استباحة كل ما يميل إليه الطبع).

وكتب الإمَام الغَزَالِيّ كتابه فضائح البَاطِنِيَّة، رَدَّ فيه علىٰ مَقَالَاتهم، وأوجب تخطئتهم وتضليلهم، وألزم تكفيرهم والتبري منهم، وكذٰلِكَ مُحَمَّد بن الحَسَن الدَّيْلَمِيّ في كتابه بَيَان مَذْهَب البَاطِنِيَّة وبطلانه[1].

ثانياً: الإمَامِيَّة الاثْنَا عَشَرِيَّة:

وهم أكثرية الشِّيْعَة. ويختصون بآرائهم الآتية:

١- الإمَامَة واجبة مستمرة:

الإمَامَة أصل من أُصُوْل الدِّيْن، ولا يَتِمّ الإيمان إلَّا بالاعْتِقَاد بها، وهي استمرار للنُّبُوَّة. والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمَام بعد الرَّسُوْل.

ولا يجوز أن يخلو عَصْر من العصور من إمَام مَفْرُوْض الطاعة، منصوب من الله تعالىٰ، سواء أطاعه الناس أم لم يطيعوه، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس. ولا فرق بين طول الغيبة وقصرها[2].

٢- عِصْمَة الإمَام:

الإمَام كالنَّبِيّ يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها

---

(١) دراسات في الفِرَق ص٧٢-٧٤. وقول البَغْدَادِيّ في كتابه الفَرْق بين الفِرَق ص٢٩٦، وكتابا الغَزَالِيّ والدَّيْلَمِيّ مطبوعان متداولان.

(٢) عَقَائِد الإمَامِيَّة ص٦٥-٦٦. وأصل الشِّيْعَة وأُصُوْلها ص٥٨-٥٩.

والإمَامَة أصل من أُصُوْل الدِّيْن ورُكْنه وهو قول عامة الإمَامِيَّة الاثْنَي عَشَرِيَّة، ويترتب عليه أن من يُنكرها يَخرج من الدِّيْن.

لٰكِن ذهب بعض الإمَامِيَّة إلىٰ اعتبارها أَصلاً من أُصُوْل المَذْهَب، ويترتب عليه أن من يُنكرها يَخرج من المَذْهَب فلا يكون شِيْعِيّاً، ولٰكِنه يبقىٰ علىٰ إسلامه. وسيأتي هٰذَا في الأصل الدِّيْنِيّ والأصل المَذْهَبِيّ.

وما بطن، من سن الطفولة إلىٰ الموت، عمداً وسهواً. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأَئِمَّة حَفَظَة الشَّرْع، فحالهم في ذٰلِكَ حال النَّبِيّ[١].

ولما كان الإمَام كالنَّبِيّ، فيجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكَمَال من شَجَاعَة وكَرَم وعِفَّة وصدق وعَدْل وتدبير وحكمة... .

ويتلَقَّىٰ المَعَارِف والأَحْكَام الإلٰهِيَّة وجميع المَعْلُوْمَات من طريق النَّبِيّ أو الإمَام من قبله، وإذا استجدّ شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلْهَام بالقوة القُدْسِيَّة التي أودعها الله تعالىٰ فيه، فإن توجَّه إلىٰ شيء وشاء أن يعلمه علىٰ وجهه الحقيقي لا يخطأ فيه ولا يشتبه، ولا يحتاج إلىٰ البَرَاهِيْن العقلية، ولا إلىٰ تَلْقِيْنات المعلمين[٢].

فهم أُولو الأمر، والشهداء علىٰ الناس، وأبواب الله، وأمرهم هو أمر الله تعالىٰ، ونهيهم نهيه، فطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته[٣].

ويترتب علىٰ القول بالعِصْمَة أمران:

أ- إثبات أن الإمَامَة ليست من المصالح الدنيوية التي تفوض إلىٰ نظر الأُمَّة، بل هي رُكْن الدِّيْن، ولا يجوز لنَبِيّ إغفالها ولا تفويضها إلىٰ الأُمَّة، بل يجب أن يعين الإمَام لها عن طريق الوحي أو الإلْهَام الموجب للعلم اليقيني.

ب- هٰذَا القول يتضمن إبطال خِلَافَة الراشدين الثلاثة الذين سبقوا عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لأنهم لم يتصفوا بالعِصْمَة بالإجماع.

لذا حاول عُلَمَاء الشِّيْعَة الدفاع عن عِصْمَة الأَئِمَّة بكل ما أُوتوا من حجج.

---

(١) عَقَائِد الإمَامِيَّة ص٦٧. والباب الحادي عشر، وعليه شَرْح النَّافِع ص٤١ ومِفْتَاح الباب ص١٨٢، وتَجْرِيْد الاعْتِقَاد وشرحه كَشْف المُرَاد ص٣٩٠ والمُنْيَة والأَمَل ص٩٥. وانظر: عصمة الأَئِمَّة عند الشِّيْعَة لأنور الباز.

(٢) عَقَائِد الإمَامِيَّة ص٦٧-٦٨.

(٣) عَقَائِد الإمَامِيَّة ص٦٩-٧٠.

ولم يشذّ عن هٰذَا الرأي سوىٰ ابن بَابَوَيْه القُمِّيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٨١هـ، ومُحَمَّد بن الحَسَن بن حمد بن الوَلِيْد، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٤٣هـ، حيث أجازا صدور الخطأ عن الإِمَام سهواً. وقد رده أَئِمَّة الشِّيْعَة بقوة، منهم الشيخ المُفِيْد إذ ألف رِسَالَة رَدَّ فيها علىٰ من زعم أن النَّبِيّ أو الإِمَام يسهو[١].

٣- النص والتعيين:

وعندهم أن الإِمَامَة لا تكون إِلَّا بالنص من الله تعالىٰ علىٰ لِسَان النَّبِيّ أو لِسَان الإِمَام الذي قبله، وليست هي بالاخْتِيَار والانتخاب من الناس. وفي الحَدِيْث: (من مات ولم يعرف إِمَام زمانه مات ميتة جاهلية)[٢].

لأن الإِمَامَة مشروطة بالعِصْمَة، وكل ما هو مشروط بالعِصْمَة يجب أن يكون منصوصاً عليه، فالإِمَامَة يجب أن يكون منصوصاً عليها[٣].

وهم يقولون بأن الأَئِمَّة اثْنَا عَشَر إِمَاماً، وهم علىٰ التسلسل الآتي:

عَلِيّ بن أبي طَالِب المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٠هـ، ثم الحَسَن بن عَلِيّ المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠هـ، ثم الحُسَيْن بن عَلِيّ المُتَوَفَّىٰ سنة ٦١هـ، وبعده في ولده دون الحَسَن، وهم: عَلِيّ زَيْن العَابِدِيْن بن الحُسَيْن المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٥هـ، ثم مُحَمَّد الباقر بن عَلِيّ المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٤هـ، ثم جَعْفَر الصَّادِق بن مُحَمَّد المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٨هـ، ثم مُوسَىٰ الكَاظِم بن جَعْفَر المُتَوَفَّىٰ سنة ١٨٣هـ، ثم عَلِيّ الرضا بن مُوسَىٰ المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٠٣هـ، ثم مُحَمَّد الجواد بن عَلِيّ المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٢٠هـ، ثم عَلِيّ الهَادِي بن مُحَمَّد المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٥٤هـ،

---

(١) دراسات في الفِرَق ص٤٧-٤٩.

(٢) عَقَائِد الإِمَامِيَّة ص٦٦ وانظر ص٧٤. وانظر: أصل الشِّيْعَة وأُصُوْلها ص٥٨ والباب الحادي عشر، وعليه شَرْح النَّافِع ص٤٣ ومِفْتَاح الباب ص١٨٦، وتَجْرِيْد الاعْتِقَاد وشرحه كَشْف المُرَاد ص٣٩٢.

(٣) مِفْتَاح الباب السَّابِق. وانظر: النَّافِع، وتَجْرِيْد الاعْتِقَاد وشرحه كَشْف المُرَاد، السَّابِقَة.

ثم الحَسَن العَسْكَرِيّ بن عَلِيّ المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٦٠هـ، ثم مُحَمَّد المَهْدِيّ المُنْتَظَر بن الحَسَن المولود سنة ٢٥٦هـ. ومُحَمَّد المَهْدِيّ هو الحُجَّة في عَصْرنا، الغائب المُنْتَظَر، وهو لا يزال حَيّاً، وسيخرج يملأ الأَرْض عَدْلاً بعد أن مُلئت جَوْراً وفساداً[١].

وهم **يقولون بالرَّجْعَة**، وهي:

أن الله تعالىٰ يعيد قوماً من الأموات إلىٰ الدنيا في صوَرهم التي كانوا عليها، فيُعِزّ فريقاً ويُذِلُّ فريقاً آخر، وذٰلِكَ عند قيام المَهْدِيّ المُنْتَظَر.

ولا يرجع إلّا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغَايَة من الفساد، ثم يصيرون بعد ذٰلِكَ إلىٰ الموت، ومن بعده إلىٰ النشور[٢].

٤- **وهم يقولون بالتَّقِيَّة**، وقد رووا عن الإمَام الصَّادِق قوله: (التَّقِيَّة ديني ودين آبائي) و(من لا تَقِيَّة له لا دين له).

والتَّقِيَّة هي: أَنَّ كل إنسان إذا أحسَّ بالخطر علىٰ نفسه أو ماله بسبب نشر مُعْتَقَده أو التَّظَاهُر به لا بد أن يتكتم ويَتَّقِي في مواضع الخطر، وذٰلِكَ دفعاً للضرر عنه وعن أتباعه وحقناً لدمهم.

وللتَّقِيَّة أَحْكَام، من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر، مذكورة في أبواب الفِقْه، وليست هي واجبة علىٰ كل حال، بل يجب خلافها أَحيَاناً، كما في إظهار الحق والتَّظَاهُر به خدمة للإسلام[٣].

---

(١) عَقَائِد الإمَامِيَّة ص٧٦و٧٨. وانظر: الباب الحادي عشر، وعليه: شَرْح النَّافِع ص٥٠ ومِفْتَاح الباب ص٢٠٠، وكَشْف المُرَاد في شَرْح تَجْرِيْد الاعْتِقَاد ص٤٢٢.

(٢) عَقَائِد الإمَامِيَّة ص٨٠.

(٣) عَقَائِد الإمَامِيَّة ص٨٤-٨٥. وانظر: أصل الشِّيْعَة وأُصُوْلها ص١٥٠ ودراسات في الفِرَق ص٥٤-٦٣.

المُرجِئَة

المُرْجِئَة لفظة مأخوذة من الإرجاء، يقال: أرجَيْته وأرجَأْته. وللإرجاء معنيان:

المعنىٰ الأول: التَّأْخِير والإمهال، قال تعالىٰ: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ - الأعراف ١١١، أي: أَمهِلْه وأَخِّرْه. وسميت المُرْجِئَة بذٰلِكَ لما يأتي:

أ- لأنهم يؤخرون صاحب الكَبِيْرَة إلىٰ يوم القيامة، فلا يقضىٰ عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار[١].

ب- أو لأنهم يؤخرون العَمَل عن النية والعقد[٢].

ج- أو لأنهم يؤخرون عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الدرجة الأُوْلَىٰ إلىٰ الرابعة[٣].

المعنىٰ الثاني: إعْطَاء الرجاء، وذٰلِكَ:

أ- لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة[٤]. فهم يرجون لأصحاب المعاصي الثواب من الله تعالىٰ[٥].

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٣٧. ونحوه في: خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩ والمُنْيَة والأَمَل ص١١٣ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٥٧.

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق، وفي الفَرْق بين الفِرَق ص٢٠٢: (لأنهم أخَّروا العَمَل عن الإيمان). ونحوه قال الإسْفَرَايِيْنِيّ في التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٨٣. وانظر أيضاً: شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٩٦ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٨١.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق.

(٤) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق، وشَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف السَّابِق قال: (وعلىٰ هٰذَا ينبغي أن لا يهمز لفظ المُرْجِئَة)، والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، السَّابِقَان. وانظر: التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٨٣.

(٥) خِطَط المَقْرِيْزِيّ السَّابِق. قال النَّسَفِيّ في تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٦٦: (زعمت المُرْجِئَة أن أَحَداً من المُسْلِمِيْن لا يعاقَب علىٰ شيء من الكبائر، وكما أن الحَسَنَة لا تنفع مع الكفر، فالسيئة لا

ب- أو لأنهم جعلوا الفاسق راجياً للغفران، ولم يُؤَيِّسُوه من الرحمة، حيث مات علىٰ فسقه. قال ابن المُرْتَضَىٰ: فهٰذَا عندي هو الوجه في تسميتهم مُرْجِئَة[1].

نشأة المُرجِئَة

نواة هٰذِهِ الفرقة كانت بين الصَّحَابَة الأوائل الذين امتنعوا عن الدخول في النزاع أواخر عهد عُثْمَان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثل: أبي بَكْرَة، وعبد الله بن عُمَر، وعِمْرَان بن الحُصَيْن.

رَوَىٰ أبو بَكْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رَسُوْل الله ﷺ قال: (ستكون فِتَنٌ، القاعد فيها خَيْر من الماشي، والماشي فيها خَيْر من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فَلْيَلْحَقْ بإبله، ومن كان له غنم فَلْيَلْحَقْ بغنمه، ومن كان له أرض فَلْيَلْحَقْ بأرضه. قال: فقال رجل: يا رَسُوْل الله من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يَعمِد إلىٰ سَيْفه فَيَدُقَّ علىٰ حَدِّه بحَجَر، ثم لينجُ إن استطاع النجاة)[2].

تضر مع الإيمان).

(١) المُنْيَة والأَمَل السَّابِق. وردَّ فيه علىٰ تَفْسِيْر الشَّهْرَسْتَانِيّ لقوله تعالىٰ ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ - الأعراف ١١١، قال: (التَّحْقِيْق أن قولك أُرجُ زيداً أي اجعله راجياً، كما تقول: أَصْلِح كذا، أي: اجعله صالحاً، لا بمعنىٰ أعطه رجاه كما ذكر الشَّهْرَسْتَانِيّ، فيكون معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: اجعلهما راجيين للإجابة منك، وخذ في العَمَل في إبطال حجتهما في مدة رجائهما).

أقول: الشَّهْرَسْتَانِيّ أورد الآية شَاهداً علىٰ المعنىٰ الأول: التَّأْخِيْر، ولم يوردها علىٰ الثاني.

(٢) فجر الإسلام ص٢٨٠ وتاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١١٩.

وأورد د. حُسَيْن عطوان في الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام في العَصْر الأُمَوِيّ ص١٦-٢٢ الروايات: عن عبد الله بن عُمَر نَقْلاً عن طَبَقَات ابن سَعْد وتَذْكِرَة الحُفَّاظ، وعن عِمْرَان بن الحُصَيْن نَقْلاً عن طَبَقَات ابن سَعْد، وعن أبي بَكْرَة نُفَيْع بن الحَارِث الثَّقَفِيّ نَقْلاً عن صَحِيْح البُخَارِيّ ومُسْلِم وأبي دَاوُد وابن مَاجَة. ونقل روايات أُخرىٰ في ذٰلِكَ.

وحَدِيْث أبي بَكْرَة بلفظ آخر في: الجَامِع الصَّغِيْر ص٢٨٧ وفيه: (أَخْرَجَهُ أَحْمَد في مُسْنَده والبُخَارِيّ ومُسْلِم عن أبي هُرَيْرَة. وهو صَحِيْح).

ولما ظهرت الفتن والحروب بين المُسْلِمِيْن في صدر الإسلام، رأىٰ قوم أن لا يغمسوا أيديهم فيها، ولا يحكموا بتخطئة أحد منهم أو تصويبه.

رَوَىٰ ابن عَسَاكِر في تَوْضِيْح رأيهم: (أنهم هم الشُّكَّاك الذين شكُّوا وكانوا في المَغَازِي، فلما قدموا المَدِيْنَة بعد قتل عُثْمَان، وكان عهدهم بالناس وأمرهم وَاحِد ليس بينهم اختلاف، قالوا: تَرَكْناكم وأمركم وَاحِد، ليس بينكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مُخْتَلفون، فبعضكم يقول: قتل عُثْمَان مظلوماً، وكان أَوْلَىٰ بالعَدْل أصحابه، وبعضكم يقول: كان عَلِيّ أَوْلَىٰ بالحق وأصحابه، كلهم ثِقَة وعندنا مصدق، فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما، ولا نشهد عليهما، ونرجئ أمرهما إلىٰ الله، حتىٰ يكون الله هو الذي يحكم بينهما).

وكان الخَوَارِج: قد كَفَّروا عَلِيّاً وعُثْمَان والقائلين بالتَّحْكِيْم. والشِّيْعَة: كَفَّروا أبا بَكْر وعُمَر وعُثْمَان ومن ناصروهم. وكلاهما كَفَّر الأُمَوِيّيْن. والأُمَوِيّوْن قاتلوا الفريقين، ورأوا أنهم مبطِلون.

فظهرت فرقة المُرْجِئَة تسالم الجميع، ولا تُكَفِّر طائفة منهم، فهي تقول: بأن الخَوَارِج والشِّيْعَة والأُمَوِيّيْن مُؤْمِنون، وبعضهم مخطِئ وبعضهم مصيب، ولسنا نستطيع أن نعيِّن المصيب، ولٰكِن نترك أمرهم جَميعاً إلىٰ الله تعالىٰ الذي يعرف سرائر الناس ويحاسبهم علىٰ ما اقترفوا[(١)].

قيل: أول من وضع الإرجاء أبو مُحَمَّد الحَسَن بن مُحَمَّد المعروف بابن الحَنَفِيَّة بن عَلِيّ بن أبي طَالِب، وتكلم فيه.

وكان الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة يكتب كتبه إلىٰ الأمصار، يدعو إلىٰ الإرجاء، إلَّا أنه لم يؤخر العَمَل عن الإيمان كما قال بعضهم، بل قال: أداء الطاعات وترك المعاصي ليس من الإيمان لا يزول بزوالها.

---

(١) فجر الإسلام ص٢٧٩-٢٨٠. وانظر: تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١١٩.

وقال ابن قُتَيْبَة: أول من وضع الإرجاء بالبَصْرَة حَسَّان بن بِلَال بن الحَارِث المُزَنِيّ.

وذكر بعضهم أن أول من وضع الإرجاء أبو سُلْت السَّمَّان، ومات سنة اثنتين وخمسين ومائة[1].

وحُجَّة المُرْجِئَة علىٰ إرجاء أهل الكبائر من مِلَّة مُحَمَّد ﷺ إلىٰ الله تعالىٰ، ولا يقطعون علىٰ العَفو عنهم ولا علىٰ تعذيبهم هي:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ - التوبة ١٠٦.

ب- إخلاف الوعد كذب، وإخلاف الوعيد عَفو وتفضُّل وكَرَم.

فلو تهدد رجل بالعذاب أحد رعيته أساء إليه، ثم عفا عنه وأخلف وعيده، ما كان يسمىٰ كاذباً عند العَرَب، واحتجوا بقول الشاعر عَامِر بن الطُّفَيْل:

ولا يَرهَبُ ابنُ العَمِّ مني صَوْلَتي ... ولا إحْـنَـتِـي مـن قـولـه المتـهـدِّد

وإني إذا أَوْعَـدْتُـه ووعَـدْتُـه ... لَمُخْلِفُ ميعادي ومُنجِزُ مَوْعِدي

قالوا: فجائز أن يخلف الله وعيده في القُرْآن، ولا يعذب أحداً من أهل الكبائر من المُسْلِمِيْن، ويجوز أن يعذبهم بقدر ذنوبهم، وأَرجَوا الأمر في ذٰلِكَ إلىٰ الله تعالىٰ[2].

---

(١) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٠. والقول بأن الحَسَن بن مُحَمَّد أول من تكلم في الإرجاء في شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٥ ص٢٩٠. وفي ص٢٨٩: عن قَتَادَة قال: إنما حدث هٰذَا الإرجاء بعد هزيمة ابن الأَشْعَث. وانظر: تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٢٠.

(٢) شَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٥٧. وانظر: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢٢٨.

الصَّوْلَة: السطوة والقهر في الحَرْب ونحوها. الإِحْنَة: الحقد والغضب.

فِرَق المُرْجِئَة

افترقت المُرْجِئَة إلىٰ اثنتي عشرة فِرْقة، وهو ما قاله الأَشْعَرِيّ[(١)]، والمَلَطِيّ[(٢)]. ولكُتَّاب الفِرَق تقسيمات أُخرىٰ مثل:

المُرْجِئَة ثلاثة أصناف:

١- قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقَدَر (الاخْتِيَار في الأَعْمَال) علىٰ مَذَاهِب القَدَرِيَّة المُعْتَزِلَة، مثل: غَيْلَان، وأبي شَمِر، ومُحَمَّد بن شَبِيْب البَصْرِيّ، وصالح قُبَّة.

٢- قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالجَبْر في الأَعْمَال علىٰ مَذْهَب الجَهْمِيَّة أتباع جَهْم بن صَفْوَان.

٣- قالوا بالإرجاء المَحْض، لا يقولون بالجَبْر ولا بالقَدَر، فهم المُرْجِئَة الخالصة. وهم خمس فرق: اليُونُسِيَّة، أتباع يُونُس بن عَوْن النُّمَيْرِيّ. والغَسَّانِيَّة، أتباع غَسَّان المُرْجِئ. والتُّوْمَنِيَّة، أتباع أبي مُعَاذ التُّومَنِيّ. والثَّوْبَانِيَّة، أتباع أبي ثَوْبَان المُرْجِئ. والمَرِيْسِيَّة، أتباع بِشْر بن غِيَاث المَرِيْسِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢١٨هـ[(٣)].

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢١٣.

(٢) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٤٦.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٠٢ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٨٣. وأشار نَشْوَان في شَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٥٧ إلىٰ الصنفين الأولين.

وذكر الشَّهْرَسْتَانِيّ في المِلَل والنِّحَل ج١ ص١٣٧: المُرْجِئَة أربعة أصناف: مُرْجِئَة الخَوَارِج، ومُرْجِئَة القَدَرِيَّة، ومُرْجِئَة الجَبْرِيَّة، والمُرْجِئَة الخالصة. وذكر أقسام المُرْجِئَة الخالصة الخمسة، لٰكِن ذكر: العُبَيْدِيَّة أصحاب عُبَيْد المُكْتِب، بدلاً من المَرِيْسِيَّة.

ولعُبَيْد المُكْتِب ترجمة في تَهْذِيْب التَّهْذِيْب.

وذكر الإِيْجِيّ في المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٩٦ أقسام المُرْجِئَة الخالصة

وعَدَّ بعضُ أصحاب المَقَالَات الإمَام أبا حَنِيْفَة من مُرْجِئَة أَهْل السُّنَّة. والسبب فيه:

١- أن الإمَام أبا حَنِيْفَة كان يقول: الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب، وهو لا يَزِيْد ولا ينقص، فظنوا به أنه يؤخر العَمَل عن الإيمان، وليس كذٰلِكَ إذا عرف عن الإمَام أبي حَنِيْفَة المُبَالغَة في العَمَل والاجتهاد فيه.

٢- أن الإمَام أبا حَنِيْفَة كان يخالف القَدَرِيَّة والمُعْتَزِلَة في الصدر الأول، والمُعْتَزِلَة والوعيدية من الخَوَارِج كانوا يلقبون كلَّ من خالفهم في القدر مُرْجِئاً[1].

كتقسيم الشَّهْرَسْتَانِيّ، لٰكِن فيه: عُبَيْد المكذب. وورد في الفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٨١-٨٦ مثل ما ذكره الإيْجِيّ.

وذكر الرَّازِيّ في اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص١٠٧ أقسام المُرْجِئَة الخالصة كتقسيم البَغْدَادِيّ لٰكِنه ذكر الخالدية بدلاً من المَرِيْسِيَّة.

أما المَقْرِيْزِيّ في الخِطَط ج٢ ص٣٥٠ فقد ذكر أن المُرْجِئَة بعد الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة صارت أربعة أنواع: مُرْجِئَة الخَوَارِج، ومُرْجِئَة القَدَرِيَّة، ومُرْجِئَة الجَبْرِيَّة، ومُرْجِئَة الصَّالِحِيَّة.

وذكر السَّفَّارِيْنِيّ في لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٨٩ ست فرق هي: اليُوْنُسِيَّة، والعُبَيْدِيَّة (أتباع عُبَيْد المُكْتِب)، والغَسَّانِيَّة، والثَّوْبَانِيَّة، والتُّوْمَنِيَّة، والنَّجَّارِيَّة.

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٣٩. ونقله السَّيِّد الشَّرِيْف في شَرْح المَوَاقِف ج٨ ص٣٩٧ عن الآمِدِيّ. ونقله أبو زُهْرَة عن الشَّهْرَسْتَانِيّ في تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٢. وانظر تَعْلِيْق مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد علىٰ مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢١٩-٢٢٠. وانظر قول بعض من أسند الإرجاء إلىٰ الإمَام أبي حَنِيْفَة في شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٥ ص٢٨٤.

وفي المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٩٧: (إن غَسَّان المُرْجِئ كان ينقل الإرجاء عن أبي حَنِيْفَة ويَعُدّه من المُرْجِئَة. وهو افتراء عليه، قصد به غَسَّان ترويج مَذْهَبه بموافقة رجل كَبِيْر مشهور).

فمن قال إن الإمَام أبا حَنِيْفَة من المُرْجِئَة، أراد المعنىٰ اللُّغَوِيّ من الإرجاء وهو التَّأْخِيْر، لأنه يؤخر العَمَل عن الإيمان، ولم يرد المعنىٰ العرفي المُصْطَلَح عليه في علم الكلام[1]، لأن أبا حَنِيْفَة ممن يقول بعدم القطع بالعقاب، وبتفويض الأمر إلىٰ الله، يغفر

---

(١) تَعْلِيْق مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد السَّابِق، وفيه:

الذي أطلق علىٰ أبي حَنِيْفَة لفظ الإرجاء فريقان:

أولهما: بعض المُحَدِّثِيْن، وذٰلِكَ لأنه يخالفهم في تحديد معنىٰ الإيمان، فهم يجعلون الإيمان مؤلفاً من ثلاثة أركان هي: التَّصْدِيْق بالقلب، والإقرار باللِّسَان، والعَمَل بالجوارح. أما أبو حَنِيْفَة فيقصر الإيمان علىٰ الرُّكْن الأول وهو التَّصْدِيْق، فسموه مُرْجِئاً، بمعنىٰ أنه أخر العَمَل في المرتبة.

والفريق الثاني: جُمْهُوْر المُعْتَزِلَة، وذٰلِكَ لأنه كان يخالفهم في حكم مرتكب الكَبِيْرَة من المُؤْمِنين، فهم يحكمون علىٰ مرتكب الكَبِيْرَة بالخلود في النار جزماً. أما أبو حَنِيْفَة فلا يحكم عليه بشيء، ويقول: إن أمره مفوض إلىٰ الله، فسموه مُرْجِئاً، لأنه أخر الحكم عليه ولم يجزم بعقابه.

وقال الشيخ ظَفَر التَّهَانَوِيّ في قَوَاعِد في عُلُوْم الحَدِيْث ص٢٣٣-٢٣٥ معلقاً علىٰ ما نقله عن ابن حَجَر في مُقَدِّمَة الفَتْح: (لا يخفىٰ أن الإرجاء بمعنىٰ تَأْخِيْر القول في الحكم في تصويب إحدىٰ الطائفتين اللتين تقاتلوا بعد عُثْمَان ليس من الضلالة في شيء، بل هو والله الورعُ والاحتياط، والسكوتُ عما جرىٰ في الصَّحَابَة وشجر بينهم أَوْلَىٰ، فليس كل من أُطلِق عليه الإرجاء متهماً في دينه وخارجاً عن السُّنَّة، بل لا بد من الفحص عن حاله، فإن كان لإرجائه أَمْرَ الصَّحَابَة - الذين تقاتلوا فيما بينهم - إلىٰ الله، وتوقّفِهِ عن تصويب إحدىٰ الطائفتين فهو من أَهْل السُّنَّة ومن حزب الوَرِعين حتماً. ومن أُطلق عليه ذٰلِكَ التَّأْخِيْر لقوله بعدم إضرار المعاصي فهو الذي يتهم في دينه). ثم أورد كلام التَّفْتَازَانِيّ في شَرْح المَقَاصِد، وابن حَجَر المَكِّيّ في الفصل السابع والثلاثين من كتابه الخَيْرَات الحسان، والآمِدِيّ، ثم قال: (قلتُ: وإطلاق الإرجاء من المُحَدِّثِيْن علىٰ من لا يقول بزِيَادَة الإيمان ونقصانه، ولا بدخول العَمَل في حقيقته، كثيرٌ، وهو ليس بطعنٍ في الحقيقة علىٰ ما لا يخفىٰ علىٰ مَهَرَة الشَّرِيْعَة، فإن النزاع في ذٰلِكَ لفظي، كما حَقَّقَهُ المحققون من الأولين والآخرين).

وانظر في الإرجاء: الرفع والتكميل للَّكْنَوِيّ ص٣٥٢ وما بعدها، وتَعْلِيْق الشيخ عبد الفَتَّاح أبو غُدَّة علىٰ كتاب قَوَاعِد في عُلُوْم الحَدِيْث ص٢٣٥-٢٣٩.

إن شاء ويعذب إن شاء، وهو إرجاءٌ بمعنىٰ أنه تَأْخِيْر للأمر وعدم جزمٍ بالعقاب أو الثواب، وهو مَذْهَب أهل الحق[(١)].

فإرجاء العَمَل من أن يكون من أركان الإيمان الأصلية هو السُّنَّة، وأما الإرجاء الذي يُعَدُّ بدعةً فهو قول من يقول: لا تضر مع الإيمان معصية. وأصحابنا أبرياء من مثل هٰذَا القول[(٢)].

آراء المُرْجِئَة

١- إن الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب فقط، أما الأَعْمَال الظَّاهِرَة فليست جزءاً من الإيمان. فمن آمن بالله ورسله وارتكب الكَبِيْرَة وترك الفرائض فهو مُؤْمِن.

بل غلا بعض المُرْجِئَة فقالوا: (الإيمان الاعْتِقَاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلِسَانه، وعبد الأوثان أو لزم اليَهُوْدِيَّة والنَّصْرَانِيَّة في دار الإسلام، وعَبَدَ الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات علىٰ ذٰلِكَ، فهو مُؤْمِن كَامِل الإيمان عند الله عَزَّ وجَلَّ، وليُّ الله عَزَّ وجَلَّ، من أهل الجنة).

فهم لا يجزمون بكفر النَّصَارَىٰ واليَهُوْد، لأن الإيمان محله القلب، ولا يطلع عليه إلَّا الله، وذٰلِكَ يدعو إلىٰ مسالمة الناس جَميعاً[(٣)].

---

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٥٦ ونقله التَّهَانَوِيّ في قَوَاعِد عُلُوْم الحَدِيْث ص٢٣٤. قال النَّسَفِيّ في تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٦٦: (كان أبو حَنِيْفَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسمَّىٰ مُرْجِئاً لتَأْخِيْره أمر صاحب الكَبِيْرَة إلىٰ مشيئة الله. والإرجاء هو التَّأْخِيْر).

(٢) تأنيب الخَطِيْب للكَوْثَرِيّ ص٩١ ونقله عنه التَّهَانَوِيّ في قَوَاعِد عُلُوْم الحَدِيْث ص٢٣٨.

(٣) فجر الإسلام ص٢٨١ ونقل قول غُلَاة بعض المُرْجِئَة عن ابن حَزْم، ونقله أبو زُهْرَة في تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٠ عن الفِصَل لابن حَزْم، وقول ابن حَزْم في الفِصَل ج٥ ص٧٣.

ومن المُرْجِئَة من يقول: من قال لا إلٰه إلّا الله مُحَمَّد رَسُوْل الله، وحَرَّم ما حرم الله، وأَحَلَّ ما أَحَلَّ الله، دخل الجنة إذا مات، وإن زنىٰ وإن سرق وقتل وشرب الخمر وقذف المُحْصَنَات، وترك الصلاة والزكاة والصيام، إذا كان مُقِرّاً بها يُسوِّف التوبة، لم يضره وقوعه علىٰ الكبائر وتركه للفرائض وركوبه الفواحش.

وإن فعل ذٰلِكَ استحلالاً كان كافراً بالله مُشْرِكاً، وخرج من إيمانه وصار من أهل النار. بدليل:

أ- قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ - النساء ٤٨و١١٦، فقالوا: الكافر وحده لا يغفر له، وما دون الكفر مغفُوْر لأهله.

قال الشاعر ثَابِت قُطْنَة، وهو من اشتهر عنه القول بالإرجاء، في قصيدته التي نقلها أَحْمَد أمين في فجر الإسلام ص٢٨٢ عن كتاب الأغاني لأبي الفَرَج الأَصْبَهَانِيّ:

المُسْلِمُوْن علىٰ الإسلام كُلُّهمو والمُشْرِكُوْن اسْتَوَوْا في دِينهم قِدَدَا

قال المَلَطِيّ في التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٤٦: (من المُرْجِئَة من يقول: من شَهِدَ شهادة الحق دخل الجنة وإن عَمَل أي عَمَل، كما لا ينفع مع الشرك حَسَنَة، كذٰلِكَ لا يضر مع التَّوْحِيْد سيئة. وزعموا أنه لا يدخل النار أَبداً وإن ركب العظائم، وترك الفرائض، وعَمِل الكبائر). وذكر المَلَطِيّ ردوداً علىٰ هٰذَا القول.

وقال أَيضاً في ص١٤٩: (ومنهم من قال: إن الإيمان مَعْرِفَة بالقلب، لا فعلُ اللِّسَان، ولا عَمَل بالبدن، ومن عرف الله بقلبه أنه لا شيء كمثله، فهو مُؤْمِن وإن صلىٰ نحو المشرق أو المَغْرِب وربط في وسطه زُنَّاراً).

وذكر الشاعر ثَابِت قُطْنَة، أن الذنب مهما عظم لا يذهب بالإيمان، قال:

ولا أرىٰ أَنَّ ذنباً بالغٌ أحداً مِ الناسِ شِركاً إذا ما وحَّدوا الصَّمَدا

فجر الإسلام ص٢٨٢ عن كتاب الأغاني لأبي الفَرَج الأَصْبَهَانِيّ.

ب- وقوله ﷺ: (من قال لا إلٰه إلَّا الله دخل الجنة، وإن زنىٰ وإن سرق وقتل)[١].

وكل المُرْجِئَة يقولون: إنه ليس في أحد من الكفار إيمان بالله عَزَّ وجَلَّ[٢].

وأكثر المُرْجِئَة لا يُكفِّرون أَحَداً من المتأوِّلين، ولا يُكفِّرون إلَّا من أجمعت الأُمَّة علىٰ إكفاره[٣].

وقد ردَّت الفِرَق الأُخرىٰ عليهم، حتىٰ قال الإمَام زَيْد بن عَلِيّ بن الحُسَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (أبرأ من المُرْجِئَة الذين أطمعوا الفُسَّاق في عَفو الله تعالىٰ)[٤].

٢- الإيمان لا يَزِيْد ولا ينقص. وإيمان الملائكة والأنبياء والأُمَم وعُلَمَاء الناس وجهالهم وَاحِد، لا يَزِيْد منه شيء علىٰ شيء أَصلاً[٥].

قال بعضهم: إن إيمانهم قائم أَبداً، لا يَزِيْد، وإن عَمِل الحَسَنَات العظام وَوَرِعَ في الدِّيْن وترك الحرام وحج البيت دائماً وصلىٰ أَبداً أو صام.

ولا ينقص، وإن عَمَل السيئات والكبائر والفواحش وركب الحرام جاهراً، أو ترك الصلاة ولم يصم ولم يحجّ أَبداً[٦].

---

(١) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص٤٣، وانظر ص١٤٦.

وفي الجَامِع الصَّغِيْر للسُّيُوْطِيّ ص٥٣٦: (من قال لا إلٰه إلَّا الله مخلِصاً دخل الجنة)، رواه البَزَّار عن أبي سَعِيْد. وصَحَّحَهُ السُّيُوْطِيّ.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢٢٢.

(٣) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢٢٥. وانظر الخلاف في ذٰلِكَ في: ص٢٣٢.

(٤) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٢. وانظر: فجر الإسلام ص٢٩٣.

(٥) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص٤٣. وهو قول غَيْلَان الدِّمَشْقِيّ. / الفَرْق بين الفِرَق ص٢٠٧. أما غَسَّان المُرْجِئ فقال: يَزِيْد ولا ينقص. / الفَرْق بين الفِرَق ص٢٠٣ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٣٩.

(٦) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٥٤ وحكىٰ أقوالًا أُخرىٰ لبعض أصنافهم.

٣- لا يُسفك دم أحد من المُسْلِمِيْن إلَّا دفاعاً عن نفسه، قالوا: وإذا اشتبهت الأُمور، وكفَّرت كل طائفة أُخْتها فيما فعلت، أرجأنا أمرهم جميعاً إلىٰ الله تعالىٰ، يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

أما الجَوْر البيّن والأَعْمَال الظَّاهِرَة فنصدر أَحْكَامنا عليها في صراحة، ونبين الخطأ فيها من الصواب، فالخَوَارِج أخطؤوا إذ حكموا علىٰ عَلِيّ وعُثْمَان بالكفر، فإنهما عبدان لله لم يشركا به منذ عَرَفَاه، ولٰكِن كان بينهما شَغْب لم يخرج بهما عن الإيمان، فنترك أمرهما لله يقدر عَمَلهما ويكافِئ عليه.

وهٰذَا ما قاله الشاعر ثَابِت قُطْنَة في قصيدته[1].

---

(١) فجر الإسلام ص٢٨٢ وأورد قصيدة ثَابِت قُطْنَة من كتاب الأغاني لأبي الفَرَج الأَصْبَهَانِيّ، منها:

يا هِنْدُ فاستمعي لي إنَّ سِيرتَنا ... أن نَعبُدَ اللهَ لم نُشركْ به أَحَدَا

نرجي الأُمورَ إذا كانت مُشَبَّهَةً ... ونَصدُقُ القولَ فيمن جارَ أو عَنَدَا

لا نَسفكُ الدمَ إلَّا أن يُرادَ بنا ... سفْك الدماء طريقاً وَاحِداً جَدَدَا

مَن يَتَّقِ الله في الدنيا فإن له ... أَجرَ التَّقِيّ إذا وفَّىٰ الحسابَ غدَا

كلُّ الخَوَارِج مُخْطٍ في مقالته ... ولو تَعبَّد فيها قال واجتهدَا

أما عَلِيٌّ وعُثْمَانٌ فإنَّهما ... عبدان لم يُشركا بالله مُذْ عَبَدَا

وكان بينهما شَغْبٌ وقد شَهِدا ... شَقَّ العصا وبعين الله ما شَهِدَا

يَجزي عَلِيّاً وعُثْمَاناً بسعيهما ... ولستُ أدري بحقّ أيةً وَرَدَا

الله يعلم ماذا يحضران به ... وكلُّ عبد سيلقىٰ الله منفردَا

القَـدَرِيَّـة

القَدَرِيَّة: فِرْقة تقول بالقَدَر، أي: إسناد أفعال العِبَاد إلىٰ قَدَرهم[١]، فالعِبَاد هم الذين يخلقون أفعالهم ويختارونها.

مصدر آرائهم

اختلفوا فيه علىٰ قولين:

١- **مصدر خارجي**، وذٰلِكَ لأن القَدَرِيَّة نقلوها عن الأفكار النَّصْرَانِيَّة والفلسفة الرُّوْمَانِيَّة، وذكر أنهم أخذوا من كتابات يوحنا الدِّمَشْقِيّ في اللاهوت والفلسفة. وهو قول بعض المستشرقين وغيرهم[٢].

٢- **مصدر داخلي**، وهو النَّظَر في نصوص القُرْآن الكَرِيْم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة.

فقد وردت آيات ظَاهِرها الجَبْر مثل:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ

(١) تَفْسِيْر القَدَر للسَّيِّد الشَّرِيْف في: شَرْح المَوَاقِف ج٨ ص٣٧٨. وعَرَّفه الأَشْعَرِيّ في الإِبَانَة ص١٩٧بقوله: (القَدَرِيّ هو من يثبت القَدَر لنفسه دون ربه عَزَّ وجَلَّ، وأنه يقدّر أفعاله دون خَالِقه، وكذٰلِكَ هو في اللُّغَة).

(٢) الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام ص٢٧ وأشار إلىٰ سِيل، وكارل بروكلمان، وغورديه، واوليري، وفيليب حتي، وأَسَد رستم. وبهٰذَا الرأي قال الغُرَابِيّ في تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة ص٣٦.

ويوحنا **الدِّمَشْقِيّ** هو سرجون بن مَنْصُوْر الرُّوْمِيّ، من موَالِي مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان، تولَّىٰ ديوان الخَرَاج لمُعَاوِيَة ولابنه يَزِيْد ولمُعَاوِيَة بن يَزِيْد، ولمَرْوَان بن الحَكَم ولابنه عبد الملك، وفي أيامه مات. / الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام ص٢٧-٢٨.

رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ - هود ٣٤.

وقوله ﷺ في حَدِيْث جَابِر عن رَسُوْل الله ﷺ: (لا يؤمن عبدٌ حتىٰ يؤمن بالقَدَر خَيْرِهِ وشرهِ، وحتىٰ يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه).

وفي القُرْآن آيات ظَاهِرها الاخْتِيَار، وأن الإنسان مسؤول عن عَمَله مثل:

قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ - الكهف ٢٩.

وهٰذَا التفكير في هٰذِهِ النصوص هو الذي أدىٰ إلىٰ ظهور هٰذِهِ المشكلة والنقاش فيها. وهٰذَا قول أَحْمَد أمين[١].

سبب تسمية القَدَرِيَّة

القَدَرِيَّة نسبة إلىٰ القَدَر. وسبب هٰذِهِ النسبة، مع أنهم نفوا القَدَر (بمعنىٰ العلم والتقدِير) عن الله تعالىٰ، هو:

١- لأنهم حين نفوا القَدَر عن الله تعالىٰ، أثبتوه للعبد، فجعلوا كل شيء لإرادة الإنسان وقدرته المستقلة عن إرادة الله تعالىٰ، فكأنهم أعطوا الإنسان سُلْطَاناً علىٰ القَدَر.

فمَعْبَد الجُهَنِيّ وهو رأسُهم ردَّ علىٰ من تعلل في المعصية بالقدر بقوله: (لا قَدَر والأمرُ أُنُفٌ)، أي: أن الأُمور يستأنف العلم بها، وبالتالي تستأنف إرادتها، وبهٰذَا نفىٰ الإرادة الأزلية والعلم الأزلي، ليخرج فعل الإنسان عن نطاق القدرة الإلٰهِيَّة[٢].

---

(١) فجر الإسلام ص٢٨٣-٢٨٤. ونقله د. حُسَيْن عطوان في المصدر السَّابِق ص٢٩.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١١٠-١١١.

في صَحِيْح مُسْلِم، أول كتاب الإيمان: (عن ابن بُرَيْدَة، عن يَحْيَىٰ بن يَعْمَر، قال: كان أولَ من قال في القَدَر بالبَصْرَة مَعْبَد الجُهَنِيّ، فانطلقت أنا وحُمَيْد بن عبد الرَّحْمٰن الحِمْيَرِيّ حاجَّيْنِ أو مُعْتَمِرَيْنِ، فقلنا: لو لَقِينا أَحداً من أصحاب رَسُوْل الله ﷺ فسألناه عما يقول هٰؤُلَاءِ في القَدَر، فوُفِّقَ لنا عبدُ الله بن عُمَر بن الخَطَّاب داخلاً المسجدَ، فاكْتَنَفْتُهُ أنا وصاحبي، أَحدُنا

٢- القَدَرِيَّة من قبيل النسبة إلىٰ الضدّ، إذ قد يسمىٰ الشيء بضده[1]، كتسمية الأعمىٰ بالبَصِيْر، فهم نُسبوا إلىٰ القَدَر وهم نُفاتُه.

رِجَال القَدَرِيَّة

رُوِيَ عن الأَوْزَاعِيّ: أن أول من نطق في القَدَر رجل من أهل العِرَاق، يقال له: سُوسن، كان نَصْرَانِيّاً فأسلم، ثم تَنصَّر، فأخذ عنه مَعْبَد الجُهَنِيّ، وأخذ غَيْلَان عن مَعْبَد[2].

فكان مَعْبَد أول من تكلَّم في القَدَر[3]

عن يمينه والآخرُ عن شِماله، فظننتُ أن صاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إليَّ، فقلتُ: أبا عبد الرَّحْمٰن إنه قد ظهر قِبَلَنَا ناسٌ يقرؤون القُرْآن ويَتَقَفَّرُون العلمَ، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قَدَرَ، وأَنَّ الأمرَ أُنُفٌ. قال: فإذا لَقِيتَ أُوْلٰئِكَ فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم بُرَاء منّي. والذي يَحلف به عبدُ الله بن عُمَر، لو أن لأحدهم مثلَ أُحُدٍ ذهباً فأنفقه، ما قَبِلَ اللهُ منه حتىٰ يؤمن بالقَدَر، ثم قال: حَدَّثَنِي أبي عُمَر بن الخَطَّاب...)، وساق حَدِيْث جِبْرِيْل في الإيمان والإسلام والإحسان، وفيه: (وتؤمن بالقَدَر خَيْرِهِ وشرهِ).

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١١١.

(٢) تَهْذِيْب الكَمَال ج٧ ص١٦٩ وتَهْذِيْب التَّهْذِيْب ج٤ ص١١٦. ونحوه ما ذكره ابن نُبَاتَة في سَرْح العُيُوْن ص٢٩٠. ونقله عن ابن نُبَاتَة كلٌّ من: أَحْمَد أمين في فجر الإسلام ص٢٨٥ ومُحَمَّد أبو زُهْرَة في تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١١١.

وقال المِزِّيّ في تَهْذِيْب الكَمَال: (مَعْبَد الجُهَنِيّ البَصْرِيّ، يقال: إنه ابن عبد الله بن عُكَيْم الجُهَنِيّ، ويقال: ابن عبد الله بن عُوَيْمِر، ويقال: ابن خالد. والصَّحِيْح أنه لا يُنْسَب).

(٣) تَهْذِيْب الكَمَال السَّابِق، وفيه: هو قول أبي حَاتِم وأبي زُرْعَة والغَسَّانِيّ. وفي هامشه: نقله مُحَقِّقُهُ عن البُخَارِيّ في الضعفاء الصَّغِيْر وابن حِبَّان في المجروحين، والذَّهَبِيّ في المِيْزَان.

وزاد ابن حَجَر في تَهْذِيْب التَّهْذِيْب ج٤ ص١١٦-١١٧ عن الدَّارَقُطْنِيّ. وتَقْرِيْب التَّهْذِيْب ص٥٣٩ والذَّهَبِيّ: الكاشف ج٢ ص٢٧٩ والمَعَارِف لابن قُتَيْبَة ص٤٨٤ في ترجمة غَيْلَان. ونسبه إلىٰ القَدَرِيَّة: ابن قُتَيْبَة أَيضاً في المَعَارِف ص٥٤٧و٦٢٥.

بالبَصْرَة[١]. وهو من التَّابِعِيْن[٢]، ثِقَة في الحَدِيْث[٣]، لٰكِنه كان رأساً في القَدَر[٤]، فحذَّر العُلَمَاء منه[٥]. قتله عبد الملك بن مَرْوَان بِدِمَشْق سنة ٨٠هـ[٦].

وغَيْلَان الدِّمَشْقِيّ[٧]، كان والده مَوْلَىٰ عُثْمَان بن عَفَّان[٨].

أخذ القول بالقَدَر عن مَعْبَد الجُهَنِيّ كما قدمنا آنِفاً عن الأَوْزَاعِيّ[٩].

---

(١) تَهْذِيْب الكَمَال السَّابِق عن أبي حَاتِم، وكذا تَهْذِيْب التَّهْذِيْب، وتَقْرِيْب التَّهْذِيْب، والكاشف، السَّابِقَة.

في صَحِيْح مُسْلِم، أول كتاب الإيمان: عن يَحْيَىٰ بن يَعْمَر قال: كان أول من قال في القَدَر بالبَصْرَة مَعْبَد الجُهَنِيّ.

(٢) تَهْذِيْب الكَمَال السَّابِق عن ابن سَعْد، وكذا في تَهْذِيْب التَّهْذِيْب السَّابِق عن ابن سَعْد والعِجْلِيّ.

(٣) تَهْذِيْب الكَمَال السَّابِق، وفيه: وَثَّقَهُ يَحْيَىٰ بن مَعِيْن، وقال أبو حَاتِم: كان صَدُوْقاً في الحَدِيْث. وقال ابن حَجَر في تَهْذِيْب التَّهْذِيْب ج٤ ص١١٧: قال العِجْلِيّ: ثِقَة كان لا يُتّهم بالكذب. وفي تَقْرِيْب التَّهْذِيْب ص٥٣٩: صَدُوْق مبتدع. وقال الذَّهَبِيّ في الكاشف ج٢ ص٢٧٩: صَدُوْق.

(٤) تَهْذِيْب الكَمَال السَّابِق عن أبي حَاتِم، وفي هامشه: عن الجُوْزْجَانِيّ في أحوال الرِّجَال. ونقله ابنُ حَجَر في تَهْذِيْب التَّهْذِيْب ج٤ ص١١٧ عن الجُوْزْجَانِيّ.

(٥) تَهْذِيْب الكَمَال السَّابِق عن الحَسَن البَصْرِيّ وطاوس وغيرهما. وتَهْذِيْب التَّهْذِيْب السَّابِق.

(٦) تَهْذِيْب الكَمَال السَّابِق عن الغَسَّانِيّ وسَعِيْد بن كَثِيْر بن عُفَيْر، وتَهْذِيْب التَّهْذِيْب، والكاشف، السَّابِقَان.

(٧) الكَامِل في التاريخ ج٥ ص٢٦٣ وفيه: أن اسم أبيه: يُوْنُس أو مُسْلِم. وكُنْيَة غَيْلَان هي أبو مَرْوَان. وسَرْح العُيُوْن ص٢٨٩ وفيه: غَيْلَان بن يُوْنُس. والمُنْيَة والأَمَل ص١٣٧ وفيه: إن اسم أبيه هو: مُسْلِم أو مَرْوَان. وفي المَعَارِف لابن قُتَيْبَة ص٤٨٤: كان يُكْنَىٰ أبا مَرْوَان.

(٨) سَرْح العُيُوْن، والمُنْيَة والأَمَل، السَّابِقَان.

(٩) قال ابن قُتَيْبَة في المَعَارِف ص٤٨٤: (كان قَدَرِيّاً لم يتكلم أحدٌ في القَدَر قبله ودعا إليه إلَّا

اختاره عبد الملك بن مَرْوَان مؤدِّباً لولده سَعِيْد.

وقَرَّبه عُمَر بن عبد العَزِيْز، واستمع إلىٰ مواعظه، لٰكِن عُمَر جفاه حين ظهرت مقالته بالقَدَر، بعد أن ناقشه واستتابه، فأمسك عن الكلام فيه.

ثم كان من خاصَّة هِشَام بن عبد الملك، وفي أيامه رجع إلىٰ القول بالقَدَر، ودعا إليه، وكان يُنْكِر سِيَاسَة بني أُمَيَّة، فقتله هِشَام أَخِيْراً[١]، وذٰلِكَ بعد سنة ١٠٥هـ[٢].

قال الأَوْزَاعِيّ: قدم علينا غَيْلَان القَدَرِيّ في خِلَافَة هِشَام بن عبد الملك، فتكلم غَيْلَان وكان رجلاً مُفَوَّهاً، ثم أَكثَرَ الناسُ الوقيعةَ فيه والسعايةَ بسبب رأيه في القَدَر، وأحفظوا هِشَام بن عبد الملك عليه، فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه[٣].

وقدَّمنا أن من رِجَال المُرْجِئَة القَدَرِيَّة مع غَيْلَان أَيضاً: أبو شَمِر، ومُحَمَّد بن

مَعْبَد الجُهَنِيّ... ورَوَىٰ بسنده عن الأَوْزَاعِيّ أنه قال: أول من تكلم في القَدَر مَعْبَد الجُهَنِيّ، ثم غَيْلَان بعده).

وفي المُنْيَة والأَمَل السَّابِق: أخذ المَذْهَب عن الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة. قال ابن نُبَاتَة في سَرْح العُيُوْن ص٢٨٩: وغَيْلَان أول من تكلم في القَدَر.

(١) الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام ص٣٥. وانظر: الكَامِل ج٥ ص٢٦٣.

وأورد مناقشةَ عُمَر بن عبد العَزِيْز لغَيْلَان وصاحبه: المَلَطِيُّ في التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٦٨ وابن نُبَاتَة السَّابِق ص٢٩٠، ونحوها في فجر الإسلام ص٢٨٥ وتاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١١٢. وأشار إليها الغُرَابِيّ في تاريخ الفِرَق ص٤٠ نَقْلاً عن ابن نُبَاتَة.

وبعض الروايات تشير إلىٰ أن سبب قتله هو قوله بالقَدَر، وتشير روايات أُخرىٰ إلىٰ أن قتله كان سياسياً كرِوَايَة ابن المُرْتَضَىٰ في المُنْيَة والأَمَل.

وذكر ابن قُتَيْبَة في المَعَارِف ص٤٨٤ مقتله علىٰ يد هِشَام بن عبد الملك.

(٢) الأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ ج٥ ص١٢٤. وذكر أن المصادر لم تؤرّخ مقتله، وحدّد هٰذَا التاريخ بناءً علىٰ أن الذي صلبه هو هِشَام بن عبد الملك، وخلافته كانت سنة ١٠٥هـ.

(٣) فجر الإسلام ص٢٨٥.

شَبِيْب، وصالح قُبَّة.

كان غَيْلَان الدِّمَشْقِيّ وصالح بن سُوَيْد من زعماء القَدَرِيَّة، بَشَّرا بالمَذْهَب وانتصرا له. فقاد القَدَرِيَّة بعدهما رؤساء كثيرون في خِلَافَة الوَلِيْد بن يَزِيْد بن عبد الملك، وانتصر لهم يَزِيْد بن الوَلِيْد بن عبد الملك، واستوعبهم، وجنَّدهم لعزل ابن عمه الوَلِيْد بن يَزِيْد وخلعه.

قال الشَّافِعِيّ: (لما ولي يَزِيْد بن الوَلِيْد دعا الناس إلىٰ القَدَر، وحملهم عليه، وقرَّبَ أصحاب غَيْلَان).

واعتنق مَذْهَب القَدَرِيَّة جماعات من القبائل الرَّبَعِيَّة واليَمَانِيَّة الشَّامِيَّة المخالفة لبني أُمَيَّة، لأنهم أُبعدوا عن المناصب السياسية الكَبِيْرَة.

لٰكِنهم بعد موت يَزِيْد بن الوَلِيْد تقلّص سُلْطَانهم، وضيَّق عليهم مَرْوَان بن مُحَمَّد، لاعْتِقَاده أنهم هم الذين قتلوا الوَلِيْد بن يَزِيْد، وفرَّ منهم البعض وانضم إلىٰ الدعوة العَبَّاسِيَّة[١].

ونقل المؤرخون بعض المناقشات معهم:

فحاور عُمَر بن عبد العَزِيْز غَيْلَان وصالحاً.

وحاور إِيَاس بن مُعَاوِيَة الفقيهُ البَصْرِيّ غَيْلَان في مجلس عُمَر بن عبد العَزِيْز.

وجادل هِشَامُ بن عبد الملك غَيْلَانَ، واستعان ببعض الفُقَهَاء عليه مثل: مَيْمُوْن بن مِهْرَان فقيه الجزيرة، والأَوْزَاعِيّ فقيه الشَّام. وجادله رَبِيْعَةُ الرأي فقيه المَدِيْنَة، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٦هـ.

وردَّ عليهم العُلَمَاء، وكتب عُمَر بن عبد العَزِيْز بلزوم استتابتهم، فإن تابوا خُلِّيَ

---

(١) الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام ص٤١ وما بعدها، وأورد أسماء عدد كَبِيْر من زعماء تلك القبائل.

سَبِيْلهم وإِلَّا نُفوا من ديار المُسْلِمِيْن.

واستحسَن فُقَهاء الشَّام قتلَ غَيْلَان، منهم: رجاء بن حَيْوَة، وعُبَادَة بن نُسَيّ، ونُمَيْر بن أَوْس الأَشْعَرِيّ[١].

آثار القَدَرِيَّة

وبعد مكافحة الخلفاء لهم، ومحاربة عُلَمَاء أَهْل السُّنَّة إياهم، هل ذابت آثارهم؟ في ذٰلِكَ قولان:

١- ذابت آثارهم، ولم تبقَ لهم شخصية مستقلة، لٰكِن بقيت آراؤهم في أفكار المُعْتَزِلَة، وكَثيراً ما يسمىٰ المُعْتَزِلَة بالقَدَرِيَّة. وهو قول أَحْمَد أمين[٢].

٢- إن هٰذَا المَذْهَب لم يمت ولم يَذُبْ في غيره، بل دام بعد ذٰلِكَ بين أهل البَصْرَة قروناً طَوِيْلَة، وتحول عند طائفة منهم إلىٰ ما يشبه مَذْهَب الثَّنَوِيَّة الذين جعلوا العالَم محكوماً بقوَّتين: النُّوْر والظلمة، وجعلوا الخَيْر إلىٰ النُّوْر، والشر إلىٰ الظلمة.

فالقَدَرِيَّة نَسبوا إلىٰ الله فعل الخَيْر، ولأنفسهم فعل الشر، من غير أن يكون لله إرادة، بل معاندين ذٰلِكَ إرادته. وهو قول الشيخ أبي زُهْرَة[٣].

---

(١) الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام ص٥٧ وما بعدها.

في سَرْح العُيُوْن لابن نُبَاتَة ص٢٩٠: (روي أن غَيْلَان وقف يوماً علىٰ رَبِيْعَة، فقال له: أَنتَ الذي تزعم أن الله يحب أن يعصَىٰ؟ فقال له رَبِيْعَة: أنت الذي تزعم أن الله يُعصىٰ قَسْراً).

وأورد ابن نُبَاتَة بعض أخباره مع عُمَر بن عبد العَزِيْز ومَكْحُوْل وهِشَام بن عبد الملك والأَوْزَاعِيّ.

(٢) فجر الإسلام ص٢٨٧، ونقله عنه د. حُسَيْن عطوان في: الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام ص٧٩.

(٣) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١١٥.

ويَدُلّ علىٰ هٰذَا القول تلك المُنَاظَرَة التي ذكرها ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥١هـ، وإن كانت صورية، والتي ذكرها في كتابه شفاء العَلِيْل، والتي يقرر بها رأي شيخه ابن تَيْمِيَّة المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٨هـ أن أفعال العبد تسند إليه، وأن الخَالِق لها هو الله تعالىٰ[1].

آراء القَدَرِيَّة

لِرِجَال القَدَرِيَّة آراء ذكرتها كتبُ المَقَالَات والفِرَق، يختلف بعضهم عن الآخر فيها، ومن أشهرهم غَيْلَان، ومن آرائه:

١- القَدَر خَيْره وشره من العبد[2].

فهو يقول بالاخْتِيَار، أي: أن العبد قَادِر علىٰ أفعال نفسه، فهو الذي يأتي الخَيْر بإرادته وقدرته، ويترك الشر، أو يفعله باخْتِيَاره أَيضاً، وليس للقَدَر سُلْطَان عليه[3].

لذٰلِكَ ذهب القَدَرِيَّة إلىٰ إثبات القدرة للعبد في إثبات الخلق والإيجاد، وأنه لا يحتاج في ذٰلِكَ إلىٰ معاونة من جهة الله تعالىٰ[4]. فهو مُخَيَّر غير مُسَيَّر.

ويُوَافِقه المُعْتَزِلَة بهٰذَا القول.

٢- الإيمان هو المَعْرِفَة الثانية بالله (أي: المَعْرِفَة المكتسبة، أي: الناشئة عن النَّظَر والاستدلال)، والمحبة والخضوع له والإقرار بما جاء به الرَّسُوْل ﷺ وبما جاء به من عند الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١١٦. وانظر: كتاب شفاء العَلِيْل لابن القَيِّم ص٢٨٢. وأشار إليها مُحَمَّد سَلَّام مَدْكُوْر في مناهج الاجتهاد ص٤٩٣.

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٤٠ وقدمنا أن غَيْلَان من مُرْجِئَة القَدَرِيَّة.

(٣) تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٣٣.

(٤) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩.

أما المَعْرِفَة الأُوْلَىٰ فهي فطرية ضرورية كعلمه بأن للعالَم صانعاً، وهٰذِهِ المَعْرِفَة لا تسمىٰ إيماناً[١].

وغَيْلَان تابَعَ قول أبي ثَوْبَان المُرْجِئ وأتباعه، كما قال الشَّهْرَسْتَانِيّ[٢].

فالعبد إذا حقق الإيمان بالقول والمَعْرِفَة فلا يكون مَطَالِباً بعد هٰذَا بالعَمَل، إلَّا علىٰ سَبِيْل التراخي، وأن هٰذَا التراخي لا يضر إيمانَه، لأنه تحقق بالقول والمَعْرِفَة[٣]. وهو يوافق المُرْجِئَة بهٰذَا القول.

٣- الإيمان لا يَزِيْد ولا ينقص، ولا يتفاضل الناس فيه[٤]. وهٰذَا هو قول المُرْجِئَة.

٤- القُرْآن مخلوق[٥]، وليس قديمًا. وبهٰذَا قال المُعْتَزِلَة.

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٤٣.

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٤٠.

ومَقَالَة أبي ثَوْبَان هي: أن الإيمان هو الإقرار والمَعْرِفَة بالله وبرسله وبكل ما يجب في العقل فعلُه، وما جاز في العقل أن لا يفعل فليست المَعْرِفَة به من الإيمان. / الفَرْق بين الفِرَق ص٢٠٤ ومَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢١٦ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٣٩ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٧ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٠.

فأوجب الإيمان بالعقل قبل ورود الشَّرْع بوجوبه. / الفَرْق بين الفِرَق، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، السَّابِقَان.

وأخَّر العَمَل كله عن الإيمان. / المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، والمَوَاقِف، السَّابِقَان.

(٣) تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٣٣-٣٤.

(٤) الفَرْق بين الفِرَق ص٢٠٧.

(٥) سَرْح العُيُوْن ص٢٨٩ وفيه: وغَيْلَان أول من تكلم في القَدَر وخَلْقِ القُرْآنِ في الإسلام. والفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام ص٣٧ عن ابن نُبَاتَة، وتاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٣٤.

٥- نفي الصفات[١] الثُّبُوْتِيَّة، كالعلم والقدرة والإرادة، أي: أن هٰذِهِ الصفات عَيْن الذات وليست غيرها.

لذا سماه الأَشَاعِرَة بالمعَطِّل، والتعطيل عند الأَشَاعِرَة هو نفي الصفات.

أما المُعْتَزِلَة فهم يقولون بأنه من القائلين بتَوْحِيْد الله وعَدْله، ومعنىٰ التَّوْحِيْد عند المُعْتَزِلَة هو عدم القول بأن الصفات الثُّبُوْتِيَّة غير الذات، بل هي عينها[٢].

ونفي الصفات هو قول المُعْتَزِلَة.

٦- الإمَامَة تَصلُح في غير قُرَيْش، وكل من كان قائماً بالكتاب والسُّنَّة كان مستحقاً لها، وإنها لا تثبت إلَّا بإجماع الأُمَّة[٣]. وغَيْلَان يوافق الخَوَارِج بهٰذَا القول.

---

(١) المصادر السَّابِقَة.

(٢) تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ السَّابِق. وذكر قوله بالعَدْل والتَّوْحِيْد ابن المُرْتَضَىٰ في المُنْيَة والأَمَل ص١٣٧ وأشار إليه الغُرَابِيّ بالهامش.

التعطيل: اصْطِلَاح وضعه السَّلَف وَصْماً للمُعْتَزِلَة وسالفيهم، ومعناه: إنكار الصفات القديمة القائمة بالذات. / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص٣٣١.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص١٤٠ وتاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ السَّابِق.

الجَبْـرِيَّـة

الجَبْر: هو نفي الفعل حقيقةً من العبد، وإضافته إلىٰ الرب تعالىٰ[١].

والجَبْرِيَّة: هم القائلون بأن الإنسان مُسَيَّر غير مُخَيَّر.

وأشهر رِجَال الجَبْرِيَّة هو: الجَعْد بن دِرْهَم، وهو من التَّابِعِيْن[٢]، المَوَالِي[٣]. أصله من خُرَاسَان[٤]، وقيل من أهل حَرَّان[٥]. كان يسكن دِمَشْق[٦]، ويُعلِّم مَرْوَان بن مُحَمَّد آخر خلفاء بني أُمَيَّة، فنسب إليه، فقيل له: مَرْوَان الجَعْدِيّ[٧]. ويُرْوَىٰ أن أُمّ مَرْوَان كانت أَمَةً، وكان الجَعْد أخاها[٨].

والجَعْد أول من تكلم بخلق القُرْآن من أُمَّة مُحَمَّد ﷺ بدِمَشْق، فطلبه بنو أُمَيَّة،

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٢ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص١٠٣ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٨٩. وقال الإيْجِيّ في المَوَاقِف ج٨ ص٣٩٨: (الجَبْر: إسناد فعل العبد إلىٰ الله).

(٢) مِيْزَان الاعْتِدَال ج١ ص٣٩٩ ونقله ابن حَجَر في لِسَان المِيْزَان ج٢ ص١٠٥.

(٣) قيل: هو مَوْلَىٰ سُوَيْد بن غَفَلَة. / الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج٣ ص٢٦٥ واللُّبَاب لابن الأَثِيْر ج١ ص٢٨٢.

وقيل: هو مَوْلَىٰ بني مَرْوَان بن الحَكَم. / سَرْح العُيُوْن ص٢٩٣ والبِدَايَة والنِّهَايَة ج٩ ص٣٥٠.

(٤) البِدَايَة والنِّهَايَة السَّابِق.

(٥) مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق لابن عَسَاكِر: ابن مَنْظُوْر ج٦ ص٥٠.

(٦) مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق، وسَرْح العُيُوْن، والبِدَايَة والنِّهَايَة، والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ، السَّابِقَة.

(٧) سَرْح العُيُوْن السَّابِق. وانظر: الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ، ومُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق، والبِدَايَة والنِّهَايَة، السَّابِقَة، والفِهْرِسْت لابن النَّدِيْم ص٤٧٢.

(٨) سَرْح العُيُوْن السَّابِق.

فهرب من دِمَشْق وسكن الكُوْفَة، فلقيه جَهْم بن صَفْوَان، وأخذ عنه القول بخلق القُرْآن[١].

أخذ الجَعْدُ بن دِرْهَم بدعتَهُ من بَيَان بن سَمْعَان، وأخذها بَيَان عن طالوت ابن أُخْت لَبِيْد بن أَعْصَم زوج ابنته، وأخذها لَبِيْد بن أَعْصَم الساحر الذي سحر رَسُوْل الله ﷺ عن يَهُوْدِيّ باليَمَن[٢]. وقيل أخذها من الصابئة الفَلاسِفَة من أهل حَرَّان[٣].

قتله خالد بن عبد الله القَسْرِيّ، وَالِي هِشَام بن عبد الملك علىٰ العِرَاق، يوم الأضحىٰ سنة ١٢٤هـ[٤]، بالكُوْفَة[٥]، وقيل بوَاسِط[٦]. وهما بلدان قد يذكر أحدهما فيراد به الآخر، لتقاربهما.

وكان ذٰلِكَ بعد استفتاء عُلَمَاء زمانه من السَّلَف الصالح[٧].

ومن آراء الجَعْد بن دِرْهَم:

١- قوله بخلق القُرْآن[٨]، قالوا: هو أول من قال بذٰلِكَ من أُمَّة مُحَمَّد ﷺ

---

(١) سَرْح العُيُوْن، ومُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق، والبِدَايَة والنِّهَايَة، السَّابِقَة. وذكر عبد الرَّحْمٰن بن أبي حَاتِم عن أبيه أن الجَعْد أول من أتىٰ بخلق القُرْآن سنة نَيِّف وعشرين ومائة. / شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٣ ص١٦.

(٢) البِدَايَة والنِّهَايَة ج٩ ص٣٥٠ نَقْلًا عن ابن عَسَاكِر وغيره. وانظر: مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق ج٦ ص٥١ وفيه: أَبَان بن سَمْعَان.

(٣) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٧٩٥.

(٤) مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق السَّابِق. وانظر: الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ، واللُّبَاب لابن الأَثِيْر، وسَرْح العُيُوْن، والبِدَايَة والنِّهَايَة، والفِهْرِسْت لابن النَّدِيْم، السَّابِقَة، وشَذَرَات الذَّهَب ج١ ص١٦٩.

(٥) مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق، وسَرْح العُيُوْن، والبِدَايَة والنِّهَايَة، السَّابِقَة.

(٦) الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ، وشَذَرَات الذَّهَب، السَّابِقَان.

(٧) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٧٩٤.

(٨) مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق ج٦ ص٥٠ وسَرْح العُيُوْن ص٢٩٣ والبِدَايَة والنِّهَايَة ج٩ ص٣٥٠. وفي الكَامِل لابن الأَثِيْر ج٥ ص٢٦٣: أظهر مقالته بخلق القُرْآن أيام هِشَام بن عبد الملك.

بدِمَشْق[١].

٢- قوله بنفي الصفات، قالوا: الجَعْد من أول من نفىٰ الصفات[٢].

فزعم أن الله تعالىٰ لم يتخذ إِبْرَاهِيْم خَلِيْلاً، ولم يكلم مُوسَىٰ تكليماً[٣]. وكان الجَعْد يكثر من سؤال وَهْب بن مُنَبِّه عن صفات الله تعالىٰ، فحذره وَهْب قائلاً له: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذٰلِكَ، وأن له عيناً ما قلنا ذٰلِكَ...[٤].

قال غَيْلَان الدِّمَشْقِيّ: كلَّمتُ جَعْداً فوجدته مُعَطِّلاً[٥].

لذٰلِكَ: عُدَّ مبتدعاً ضالّاً[٦]، وضالّاً مُضِلّاً[٧].

ولم يبقَ للجَعْد من الآراء إلَّا القليل.

ولٰكِن تلميذه الجَهْم بن صَفْوَان هو الذي نسبت إليه آراء الجَبْرِيَّة، حتىٰ أطلقوا اسم (الجَهْمِيَّة) علىٰ الجَبْرِيَّة.

---

(١) سَرْح العُيُوْن السَّابِق.

(٢) شَذَرَات الذَّهَب ج١ ص١٦٩.

(٣) الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج٣ ص٣٩٣ ومُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق ج٦ ص٥١ والكَامِل ج٥ ص٢٦٣ وسَرْح العُيُوْن ص٢٩٤ ومِيْزَان الاعْتِدَال ج١ ص٣٩٩ ونقله عنه ابن حَجَر في لِسَان المِيْزَان ج٢ ص١٠٥. وذكر ابن كَثِيْر في البِدَايَة والنِّهَايَة ج٩ ص٣٥٠ ذٰلِكَ عن البُخَارِيّ وابن أبي حَاتِم والبَيْهَقِيّ وعبد الله بن أَحْمَد وابن عَسَاكِر. وانظر: شَذَرَات الذَّهَب السَّابِق.

(٤) البِدَايَة والنِّهَايَة السَّابِق.

(٥) الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام ص٨٦ نَقْلًا عن أَنْسَاب الأشراف.

وتَقَدَّمَ في آراء القَدَرِيَّة معنىٰ **التعطيل** وهو نفي الصفات.

(٦) مِيْزَان الاعْتِدَال السَّابِق، ونقله عنه ابن حَجَر في لِسَان المِيْزَان السَّابِق.

(٧) مُغْنِي الضعفاء ج١ ص١٣١ رقم ١١٢٨ ونقله عنه ابن العِمَاد في شَذَرَات الذَّهَب ج١ ص١٦٩.

وجَهْم بن صَفْوَان الرَّاسِبِيّ، كنيتُه أبو مُحْرِز، وهو مَوْلَىٰ بني رَاسِب من الأَزْد[١].

ولقب بالسَّمَرْقَنْدِيّ[٢]، والخَزَرِيّ[٣]، والتِّرْمِذِيّ[٤]. قيل: إنه من أهل بَلْخ ظهرت بدعته بتِرْمِذ[٥].

أخذ مقالته من الجَعْد بن دِرْهَم[٦].

وقيل: اشتق كلامه من كلام السُّمَنِيَّة، وهم صنف من العجم بناحية خُرَاسَان، وكانوا شككوه في دينه حتىٰ ترك الصلاة أَربَعِين يوماً، وقال: لا أُصلي لمن لا أعرفه، ثم اشتق هٰذَا الكلام، وبنىٰ عليه من بعده[٧].

---

(١) الفِصَل لابن حَزم ج٢ ص٢٩٦ وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج٦ ص٢٦ والبِدَايَة والنِّهَايَة ج١٠ ص٢٦ ولِسَان المِيْزَان ج٢ ص١٤٢.

(٢) الفِصَل لابن حَزْم السَّابِق، ومِيْزَان الاعْتِدَال ج١ ص٤٢٦، ونقله عنه ابن حَجَر في لِسَان المِيْزَان السَّابِق، وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء السَّابِق، والمُغْنِي في الضعفاء ج١ ص١٣٨ رقم ١٢٠١.

(٣) البِدَايَة والنِّهَايَة ج٩ ص٣٥٠.

(٤) مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق ج٦ ص٥١ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٦ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٥٩٤ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص٩٧ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٠٠و٣٠٩ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص١٠٣ والبِدَايَة والنِّهَايَة السَّابِق، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩ وشَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٩٨.

(٥) الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج٣ ص٣٩٢، وفي المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٣: ظهرت بدعته بتِرْمِذ.

(٦) سَرْح العُيُوْن ص٢٩٣ ومُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق ج٦ ص٥٠ والبِدَايَة والنِّهَايَة ج٩ ص٣٥٠ وشَذَرَات الذَّهَب ج١ ص١٦٩ والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج٣ ص٣٩٣ نَقْلاً عن قُتَيْبَة بن سَعِيْد، واللُّبَاب لابن الأَثِيْر ج١ ص٣١٧.

(٧) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص٩٩. وانظر: شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٣ ص١٢ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٧٩٥.

ونفىٰ صحةَ هٰذِهِ الرِّوَايَة النشارُ في كتابه نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص٣٣٥ ورأىٰ أنها من وضع الحَشْوِيَّة عليه، لأن جَهْماً غالىٰ في التنزيه، وأعداؤه الحَشْوِيَّة غالوا في التشبيه والتجسيم.

أقام الجَهْم ببَلْخ، وكان يصلي مع مُقَاتِل بن سُلَيْمَان، المفسِّر المشهور، في مسجده، ويتنَاظَران، حتىٰ نفي إلىٰ تِرْمِذ(١).

وكان مُقَاتِل مثبتاً للصفات، وجَهْم نافياً لها(٢).

اتخذه الحَارِث بن سُرَيْج التَّمِيْمِيّ كاتباً له وداعياً. ولما اشتد الخلاف بين الحَارِث وبين نَصْر بن سَيَّار أَمِيْر مَرْو بخُرَاسَان، أرسل نَصْرٌ سَلْمَ بن أَحْوَز المَازِنِيّ لقتاله، فقتل جَهْم في المعركة، وقيل: بل وقع أسيراً، فأُوقف بين يدَي سَلْم بن أَحْوَز، فطلب جَهْمُ العَفوَ، فقال له سَلْم: (لو ملأتَ هٰذِهِ المُلاءَة كواكبَ، وأنزلتَ عِيسَىٰ بن مريم، ما نجوتَ، والله ولو كنتَ في بطني لشققتُ بطني حتىٰ أقتلك)، فقتله، وكان ذٰلِكَ في سنة ١٢٨هـ(٣).

قتله بمَرْو(٤)، علىٰ شطّ نهر بَلْخ(٥)، وقبره بمَرْو(٦).

---

(١) البِدَايَة والنِّهَايَة ج٩ ص٣٥٠.

(٢) تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٢٢.

(٣) البِدَايَة والنِّهَايَة ج١٠ ص٢٦-٢٧. وعزا ابن حَجَر في لِسَان المِيْزَان ج٢ ص١٤٢ جواب سَلْم إلىٰ نَصْر بن سَيَّار.

وذكر خبر مقتل جَهْم علىٰ يد سَلْم في: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣٣٨ والفَرْق بين الفِرَق ص٢١٢ والفِصَل لابن حَزْم ج٢ ص٢٩٧ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩١ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٦ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٣ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٣٠٩ والمُنْيَة والأَمَل ص١٠٧ والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج٣ ص٣٩٢ واللُّبَاب لابن الأَثِيْر ج١ ص٣١٧ ومُخْتَصَر تاريخ ابن عَسَاكِر ج٦ ص٥١ عن الغَسِيْلِيّ، وشَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٣ ص١٢و١٤و١٥ وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج٦ ص٢٧.

(٤) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن، والبَدْء والتاريخ، والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، وشَرْح الحُوْر العِيْن، والبِدَايَة والنِّهَايَة، والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ، السَّابِقَة، والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٩٠.

(٥) شَرْح الحُوْر العِيْن السَّابِق.

(٦) مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق ج٦ ص٥١ عن الغَسِيْلِيّ.

وقيل: قتله سَلْم بأَصْبَهَان[١].

قال ابن المُرْتَضَىٰ: وكان وَاصِل بن عَطَاء بعث إليه تلميذاً له ينَاظِره فقطعه، وأظهر الرجوع عن مَذْهَبه، ولما رجع إلىٰ البَصْرَة عاد جَهْم إلىٰ أقواله الفاسدة[٢]. وقال فيه الذَّهَبِيّ: الضال المبتدع زرع شرّاً عَظِيْماً[٣]. وقال فيه أَيضاً بأنه: أُسّ الضلالة[٤].

آراء الجَبْرِيَّة

يمثل الجَهْم بن صَفْوَان وأُستاذه الجَعْد بن دِرْهَم آراء فرقة الجَبْرِيَّة الخالصة، وهٰذِهِ الآراء هي:

١ - زعم جَهْم أن الإيمان هو المَعْرِفَة بالله فقط، وأن الكفر هو الجهل بالله فقط[٥]. والإيمان والكفر لا يكونان إلَّا في القلب دون غيره من الجوارح.

فإذا عرف الإنسان الله، ثم جحده بلِسَانه، لا يكفر بجحده، وعَمَل الجوارح ليس

(١) مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق، والبِدَايَة والنِّهَايَة، السَّابِقَان، وشَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٣ ص١٢.

(٢) المُنْيَة والأَمَل السَّابِق.

(٣) مِيْزَان الاعْتِدَال ج١ ص٤٢٦ ونقله عنه ابن حَجَر في لِسَان المِيْزَان ج٢ ص١٤٢ وفي المُغْنِي في الضعفاء ج١ ص١٣٨: المبتدع.

(٤) سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج٦ ص٢٦.

(٥) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣٣٨ و ص٢١٤ والفَرْق بين الفِرَق ص٢١١. وانظر: الغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص١٠٢. وقال المَقْدِسِيّ في البَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٦: (والإيمان بالمَعْرِفَة والقلب فقط دون الإقرار والعَمَل). وقال نَشْوَان في شَرْح الحُوْر العِيْن ص٣١٠: (الإيمان هو المَعْرِفَة دون الإقرار ودون سائر الطاعات). وقال ابن المُرْتَضَىٰ في المُنْيَة والأَمَل ص١٠٧: (زعموا أن الإيمان المَعْرِفَة فقط). وقال المَقْرِيْزِيّ في الخِطَط ج٢ ص٣٤٩: (إن من عرف الله ولم ينطق بالإيمان لم يكفر، لأن العلم لا يزول بالصمت وهو مُؤْمِن مع ذٰلِكَ).

من الإيمان[١].

قال ابن حَزْم: قال جَهْم: الإيمان عقد بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلِسَانه، وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تَقِيَّة[٢].

ورُدَّ:

بأن هٰذَا القول يعني أن فرعون وقومه كانوا مُؤْمِنين، لأنهم عرفوا الله وجحدوه، قال تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ - النمل ١٤، وأن إبْلِيْس كَامِل الإيمان، لأنه عرف الله، قال تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ - الحِجْر ٣٦ [٣].

٢- قال جَهْم: الإيمان لا يَتَبَعَّض، أي: لا ينقسم إلىٰ عقد وقول وعَمَل، ولا يتفاضل أهله فيه[٤]، فإيمان الأنبياء وإيمان الأُمَّة علىٰ نَمَط وَاحِد، إذ المَعَارِف لا تتفاضل[٥].

٣- قال جَهْم بالإجْبَار والاضطرار إلىٰ الأَعْمَال، وأنكر الاستطاعات كلها[٦].

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢١٤ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٤.

(٢) الفِصَل لابن حَزْم ج٢ ص٢٦٦ وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج٦ ص٢٧ نَقْلًا عن ابن حَزْم.

قال ابن حَزْم: قال جَهْم: الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلِسَانه بلا تَقِيَّة، وعبد الأوثان أو لزم اليَهُوْدِيَّة أو النَّصْرَانِيَّة في دار الإسلام، وعبد الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات علىٰ ذٰلِكَ، فهو مُؤْمِن كَامِل الإيمان عند الله عَزَّ وجَلَّ، وَلِيٌّ لله تعالىٰ، من أهل الجنة. / الفِصَل لابن حَزْم ج٥ ص٧٣.

(٣) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٦٠-٤٦١.

(٤) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٢١٤ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٤.

(٥) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابق.

(٦) الفَرْق بين الفِرَق ص٢١١ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٣ والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج٣ ص٣٩٣ واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص١٠٤ والمَوَاقِف وشرحه ج٨ ص٣٩٨ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩.

فلا فعل لأحد في الحقيقة إلَّا الله وحده. فالله سُبْحَانَهُ هو الفاعل، وإن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم علىٰ المجاز، كما يقال: تحركت الشَّجَرَة، ودارَ الفَلك، وزالت الشمس، وإنما فعل ذٰلِكَ بالشَّجَرَة والفَلك والشمس اللهُ سُبْحَانَهُ، إلَّا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واخْتِيَاراً له منفرداً بذٰلِكَ، كما خلق له طولاً كان به طَوِيْلاً، ولوناً كان به متلوناً[1].

فالإنسان مُسَيَّرٌ غير مُخَيَّر، أي: أن الإنسان مجبور لا اخْتِيَار له ولا قدرة، وأنه لا يستطيع أن يعمَل غير ما عَمِل، وأن الله قَدَّر عليه أَعْمَالاً لا بد أن تصدر منه، وأن الله يخلق فيه الأفعال كما يخلق في الجماد.

والله قَدَّر لفُلَان فعل كذا وقَدَّر له أن يثاب، وقَدَّر علىٰ الآخر المعصية وقَدَّر أن يعاقب[2].

وأكفرت القَدَرِيَّة جَهْماً في قوله بأن الله تعالىٰ خَالِق أَعْمَال العِبَاد[3].

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣٣٨. وانظر: الفَرْق بين الفِرَق ص٢١١ وأُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص٣٣٣ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩٠ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٥٩٤ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص٩٧ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق، والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٦ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٣١٠ والمُنْيَة والأَمَل ص١٠٧.

قال جَهْم: إن الإنسان ليس يقدر علىٰ شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اخْتِيَار، وإنما يخلق الله تعالىٰ الأفعال فيه علىٰ حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وينسب إليه الأفعال مجازاً كما ينسب إلىٰ الجمادات، كما يقال: أثمرت الشَّجَرَة، وجرىٰ الماء، وتَحرك الحَجَر، وطلعت الشمس، وغربت، وتغيمت السماء، وأمطرت، وأزهرت الأرض، وأنبتت، إلىٰ غير ذٰلِكَ. والثواب والعقاب جَبْر كما أن الأفعال جَبْر، قال: وإذا ثبت الجَبْر فالتكليف أَيضاً كان جَبْراً. / المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق، وتاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٠٢ نَقْلاً عن المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ.

(٢) فجر الإسلام ص٢٨٦. وانظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام ص٤٩١.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ص٢١٢ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩١ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩.

وقد ردّ العُلَمَاء علىٰ القول بالجَبْر، بحُجَّة: أنه يدعو إلىٰ التعطيل، وترك العَمَل والركون إلىٰ القدر[١]، وأنه لو صح الجَبْر لبطلت الشرائع، وبطل الأمر والنهي، ويلزم من بطلان ذٰلِكَ بطلان الثواب والعقاب[٢].

ورِسَالَة عبد الله بن عَبَّاس التي خاطب بها جَبْرِيَّة أهل الشَّام، ورِسَالَة الحَسَن بن عَلِيّ بن أبي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ التي بعثها إلىٰ قوم من أهل البَصْرَة ادَّعَوا الجَبْر، صريحتان في الرد علىٰ من يقول بالجَبْر[٣]، وتبعهما العُلَمَاء يردون علىٰ آرائهم بالتفصيل.

٤- قال جَهْم بنفي الصفات الإلٰهِيَّة[٤]، التي تؤدي إلىٰ تشبيهه بمخلوقاته.

قال جَهْم: لا أقول: إن الله سُبْحَانَهُ شيء، لأن ذٰلِكَ تشبيه له بالأشياء[٥].

وامتنع من وصف الله تعالىٰ بأنه حي أو عالم أو مُريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه علىٰ غيره كشيء وموجود وحي وعالم ومُريد ونحو ذٰلِكَ.

---

(١) فجر الإسلام ص٢٨٧.

(٢) شفاء العَلِيْل لابن القَيِّم ص٢٦٢، ونقله مُحَمَّد سَلَّام مَدْكُوْر في مناهج الاجتهاد في الإسلام ص٤٩٢. وانظر: تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٥٩٦ وفيه أَدِلَّة أُخرىٰ.

(٣) الرسالتان ذكرهما ابن المُرْتَضَىٰ في المُنْيَة والأَمَل ص١٢٩-١٣٠ وذكرهما أبو زُهْرَة في تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٠٣.

ولابن القَيِّم في كتابه شفاء العَلِيْل ص٢٦٢-٢٨١ مُنَاظَرَة متصوَّرة بين جَبْرِيّ وسُنِّيّ، فيها إلزامات واضحة للجَبْرِيَّة. ذكر بعض فقراتها أبو زُهْرَة في تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٠٦.

(٤) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٣ وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج٦ ص٢٦ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩و٣٥١ وفجر الإسلام ص٢٨٧.

(٥) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣٣٨ والفَرْق بين الفِرَق ص٢١١ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩٠ والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج٣ ص٣٩٢-٣٩٣ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٦ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٠٠ وقال المَقْدِسِيّ ونَشْوَان: (ولٰكِنه منشئ الشيء). واعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص١٠٤.

لٰكِن وصفه بأنه قَادِر، وموجد، وفاعل، وخَالِق، ومُحْيِي، ومُمِيْت، لأن هٰذِهِ الأوصاف مُخْتَصَّة به وحده[١].

فأثبت لله صفتي الفعل والخلق فقط، ولا يَصِحّ أن تتصف المخلوقات بهاتين الصفتين، وإذا انتفىٰ عن المخلوقات هاتان الصفتان لا يكونون مُخْتَارِين بل مَجْبُورِين في أفعالهم، وهٰذَا أَسَاس قوله بالجَبْر[٢].

وبهٰذَا القول وافق القَدَرِيَّة، ووَافَقَهُ المُعْتَزِلَة.

٥- قال جَهْم: القُرْآن مخلوق[٣].

لأنه قال بحدوث كلام الله تعالىٰ، ولم يسم الله تعالىٰ متكلماً به[٤]. وكان يقول: كلام الله حادث، ولٰكِن لا يجوز أن يسمىٰ متكلماً بكلامه[٥].

فنفىٰ أن يكون سُبْحَانَهُ متكلماً، لأن الكلام من صفات المخلوقات، فلا يوصف الله به لهٰذَا، وأَيضاً يلزم من اتصافه بصفة الكلام أن تكون له آلة الكلام، فيكون مشابهاً للحوادث، ومحال علىٰ الله مشابهته الحوادث، ولما كان القُرْآن كلاماً وهو مضاف إلىٰ الله سُبْحَانَهُ، فلا تكون إضافته له إلَّا علىٰ معنىٰ أنه مخلوق له لا كلام له، لأن هٰذَا يؤدي إلىٰ المشابهة المستحيلة عليه، وإذن يكون القُرْآن مخلوقاً لله[٦]. وهو قول القَدَرِيَّة والمُعْتَزِلَة، والجَعْد بن دِرْهَم من الجَبْرِيَّة.

---

(١) الفَرْق بين الفِرَق، والتَّبْصِيْر في الدِّيْن، السَّابِقَان، والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٣. وانظر: الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ السَّابِق، واللُّبَاب لابن الأَثِيْر ج١ ص٣١٧ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٨ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ السَّابِق ص٣٤٩. وانظر: فجر الإسلام السَّابِق.

(٢) تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٢٥، وانظر ص٣٢.

(٣) مَقَالَات الإسلامِيِّين السَّابِق، والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٤ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٩ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩و٣٥١ وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج٦ ص٢٧.

(٤) الفَرْق بين الفِرَق ص٢١٢.

(٥) التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩١.

(٦) تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٢٥.

٦- قال جَهْم: علم الله سُبْحَانَهُ حادث[١].

ولا يقال: إن الله سُبْحَانَهُ لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون[٢]. فهو تعالىٰ لا يعلم ما يكون حتىٰ يكون[٣].

٧- تفرد جَهْم بالقول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان[٤]، ويفنىٰ أهلهما[٥].

قال الغُرَابِيّ: وأظن أنه ذهب إلىٰ هٰذَا الرأي، لأن إثبات البَقَاء الدائم للنَّعِيْم والعذاب الأُخرويين فيه مشاركة لله في اتصافه بصفة البَقَاء، وبما أن مشاركة شيء من المخلوقات في صفة من صفاته محال فبَقَاء نَعِيْم الآخِرَة وعذابها محال[٦].

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن السَّابِق، والفَرْق بين الفِرَق ص٢١١ والفِصَل لابن حَزْم ج٢ ص٢٩٣ و ج٥ ص٧٣ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩٠ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٦ وقال نَشْوَان في شَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٠٠: (زعموا أن العَالَمَ مُحْدَث) وهو تحريف. وفي كتاب اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص١٠٤: (إن الله تعالىٰ مُحْدَث) فسقط لفظ (علم) بعد (إن). والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٩٨ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن السَّابِق.

(٣) التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩٠ والفِصَل لابن حَزْم ج٥ ص٧٣. وانظر: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٣ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٨.

(٤) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن السَّابِق. والتَّنْبِيْه والرَّدّ ص٩٨ وفيه مَقَالَات أُخرىٰ للجَهْمِيَّة و ص١٤٠ والفَرْق بين الفِرَق ص٢١١ والفِصَل لابن حَزْم ج٤ ص١٤٥ و ج٥ ص٧٣ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩٠ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٦ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٤ وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٣١٠ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٩ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٩١ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩.

(٥) الفِصَل لابن حَزْم، والمَوَاقِف، والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، السَّابِقَة.

(٦) تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٢٥.

وأشار إلىٰ هٰذِهِ الآراء أَيضاً: أبو زُهْرَة في تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٠٥ و د. حُسَيْن عطوان في الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام ص٨٣ وما بعدها.

٨- كان جَهْم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر[١].

فحَمَل السلاح وقاتل السُّلْطَان، وخرج مع الحَارِث بن سُرَيْج علىٰ نَصْر بن سَيَّار، فقتله سَلْمُ بن أَحْوَز المَازِنِيّ[٢]. ويبدو أن قتله كان سياسياً.

قال البَغْدَادِيّ: وأتباعه اليوم بنَهَاوَنْد، وخرج إليهم في زماننا إسْمَاعِيْل بن إبْرَاهِيْم بن كبوس الشِّيْرَازِيّ الدِّيْلِيّ، فدعاهم إلىٰ مَذْهَب شيخنا أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ، فأجابه قوم منهم، وصاروا مع أَهْل السُّنَّة يداً وَاحِدَة، والحمد لله علىٰ ذٰلِكَ[٣].

وقال الإسْفَرَايِيْنِيّ: وأكثر أتباعه اليوم بنواحي تِرْمِذ[٤].

وأَهْل السُّنَّة يكفِّرونهم لقولهم: بأن علم الله حادث، وأنه لا يعلم ما يكون حتىٰ يكون، وأن كلامه حادث[٥].

وكفَّره أَهْل السُّنَّة بنفي الصفات وخلق القُرْآن ونفي الرؤية[٦].

قال ابن المُرْتَضىٰ: انقطع أثره بموته، حتىٰ أحيا بعض المتأخرين من المجبرة بعض ذٰلِكَ، وليس للجَهْمِيَّة أتباع الآن[٧].

---

(١) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣٣٨ وشَرح الحُوْر العِيْن ص٣٠٩. قال المَقْرِيْزِيّ في الخِطَط ج٢ ص٣٤٩: انفرد بجواز الخروج علىٰ السُّلْطَان الجائر.

(٢) الفَرْق بين الفِرَق ص٢١٢ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩١.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ص٢١٢.

(٤) التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩١.

(٥) التَّبْصِيْر في الدِّيْن السَّابِق.

(٦) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩و٣٥١. وورد في المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٤ والمَوَاقِف للإيْجِيّ وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٩٩: وافقوا المُعْتَزِلَة في نفي الرؤية، وإثبات خلق الكلام، وإيجاب المَعَارِف بالعقل قبل ورود الشَّرْع.

(٧) المُنْيَة والأَمَل ص١٠٧.

المُعْتَزِلَة

تسميتهم

اختلفوا في سبب تسميتهم بالمُعْتَزِلَة علىٰ أقوال أهمها:

١ - حين سُئل الحَسَن البَصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٠هـ، عن صاحب الكَبِيْرَة هل يكفر؟ تفكَّر الحَسَن، وقبل أن يجيب قال وَاصِل بن عَطَاء، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣١هـ: أنا لا أقول إن صاحب الكَبِيْرَة مُؤْمِن مطلق، ولا كافر مطلق، بل هو في مَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن، لا مُؤْمِن ولا كافر.

فاعتزل إلىٰ أُسْطُوَانَة من أُسْطُوَانَات المسجد يقرر ما أجاب به، فقال الحَسَن: اعتزل عنا وَاصِل. فسمي هو وأصحابه مُعْتَزِلَة[1].

وفي رِوَايَة: المعتزل هو وَاصِل بن عَطَاء وانضمَّ إليه عَمْرو بن عُبَيْد، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٤هـ، فسمي أتباعهما بالمُعْتَزِلَة[2].

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٤٢.

وذُكر هٰذَا السبب في: الفَرْق بين الفِرَق ص١١٨ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٥٨ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٢ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص١٢٢ والغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص١٠٣ والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج١١ ص٣٩٢ مادة (المُعْتَزِلِيّ)، والمَوَاقِف ج٨ ص٣٧٧ والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٦ والمُنْيَة والأَمَل ص١٢٢ ونقل عن المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ. وانظر: خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٦.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٣٨ والفَرْق بين الفِرَق، والتَّبْصِيْر، والمِلَل والنِّحَل، والمُنْيَة والأَمَل ص١٢٣ عن المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج١١ ص٣٩٣.

وفي رِوَايَة أُخرىٰ: أن معتزل مجلس الحَسَن البَصْرِيّ هو عَمْرو بن عُبَيْد[١].

وفي رِوَايَة أُخرىٰ: أن وَاصِل بن عَطَاء وعَمْرو بن عُبَيْد لما أحدثا مَذْهَباً اعتزلا حلقة الحَسَن البَصْرِيّ وجلسا ناحية في المسجد[٢].

وهٰذِهِ التسمية عادية لا تدل في أول إطلاقها لا علىٰ مدح ولا علىٰ ذم، ولا تدل علىٰ اتصالها بمبدأ معين من مبادئ المُعْتَزِلَة، لٰكِنها أصبحت فيما بعد صفة ذم بعد أن أظهروا آراءهم.

وإنما شاعت لأنها صدرت من الحَسَن البَصْرِيّ ذي المنزلة العَظِيْمَة في نفوس تلاميذه خاصة والمُسْلِمِيْن عامة، وكلمة العَظِيْم تكتسب الشهرة دائماً[٣].

وهٰذَا السبب هو المشهور في تسميتهم بالمُعْتَزِلَة.

وقيل: إن تسميتهم بذٰلِكَ حدثت بعد الحَسَن، وذٰلِكَ أن عَمْرو بن عُبَيْد، لما مات الحَسَن وجلس قَتَادَة مجلسه، اعتزله في نفر معه، فسماهم قَتَادَة: المُعْتَزِلَة[٤].

---

(١) المَعَارِف لابن قُتَيْبَة ص٤٨٣ وفيه: (كان عَمْرو بن عُبَيْد يرىٰ رأي القَدَر ويدعو إليه، واعتزل الحَسَن هو وأصحاب له، فسموا المُعْتَزِلَة)، والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ السَّابِق، وشَرْح الحُوْر العِيْن ص٢٥٩ عن المَعَارِف لابن قُتَيْبَة، وفي خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٦: (قال ابن مُنَبِّه: اعتزل عَمْرو بن عُبَيْد وأصحابٌ له الحَسَن، فسُموا المُعْتَزِلَة).

(٢) اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٢٨-٢٩. ونقله ابن المُرْتَضَىٰ في المُنْيَة والأَمَل ص١٢٢ عن المَعَارِف. لٰكِني لم أجد لوَاصِل ذِكْراً في المَعَارِف المطبوع.

(٣) تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٥١.

(٤) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٦. وفي المُنْيَة والأَمَل ص١٢٣: (قيل: لقول قَتَادَة، وكان من أصحاب الحَسَن: ما يصنع المُعْتَزِلَة؟ فكان تسميتهم بالمُعْتَزِلَة). وذكر في ص١٢٤ رِوَايَة عن عُثْمَان الطَّوِيْل عن قَتَادَة.

قال أبو عَمْرو بن العَلَاء: كان قَتَادَة يدور البَصْرَة أعلاها وأسفلها بغير قائد، فدخل مسجد البَصْرَة، فإذا بعَمْرو بن عُبَيْد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحَسَن البَصْرِيّ، وحلقوا وارتفعت

٢- سبب هٰذِهِ التسمية سياسي، إذ أُطلقت علىٰ من اعتزل عَلِيّاً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وامتنع من محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضا به، مثل: سَعْد بن أبي وَقَّاص وعبد الله بن عُمَر بن الخَطَّاب ومُحَمَّد بن مَسْلَمَة الأَنْصَارِيّ وأُسَامَة بن زَيْد، الذين قالوا: لا يحل قتال عَلِيّ ولا القتال معه.

فسُمي هٰؤُلَاءِ بالمُعْتَزِلَة، وصاروا أسلاف المُعْتَزِلَة[1].

وقيل: هم جَمَاعَة من أصحاب عَلِيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، سموا أنفسهم مُعْتَزِلَة، عندما بايع الحَسَنُ بنُ عَلِيّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وسَلَّمَ إليه الأمر، فاعتزلوا الحَسَن ومُعَاوِيَة وجميع الناس، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعِبَادَة، فسموا بذٰلِكَ مُعْتَزِلَة[2].

٣- إن المُعْتَزِلَة الأوائل كانوا من الزهاد الذين اعتزلوا الناس. وهو رأي كولدزيهر[3].

أصواتهم، فأَمَّهم وهو يظن أنها حلقة الحَسَن، فلما صار معهم عرف أنها ليست هي، فقال: إنما هٰؤُلَاءِ المُعْتَزِلَة، ثم قام عنهم، فمُنْذ يومئذٍ سُموا (المُعْتَزِلَة). / وَفَيَات الأَعْيَان ج٤ ص٨٥.

وذكر الحادثة د. عِرْفَان في دراسات في الفِرَق ص١٠٥ نَقْلاً عن وَفَيَات الأَعْيَان – ترجمة (قَتَادَة)، وعُيُوْن الأخبار، والجَرْح والتَّعْدِيْل ٣/ ٢/ ١٣٣، والمُنْيَة والأَمَل.

(١) المَقَالَات والفِرَق للقُمِّيّ ص٤ وفِرَق الشِّيْعَة للنَّوْبَخْتِيّ ص٥.

وهٰذَا قريب مما ذكره الشيخ عبد القَادِر في الغُنْيَة ج١ ص١٠٣ إذ قال: (وقيل لاعتزالهم أقاويل المُسْلِمِيْن، لأن الناس كانوا مُخْتَلفين في مرتكب الكَبِيْرَة، فقال بعضُهم: هم مُؤْمِنون بما معهم من الإيمان، وقال بعضُهم: هم كافرون، فأحدث وَاصِل بن عَطَاء قولاً ثالثاً، وفارق المُسْلِمِيْن واعتزل المُؤْمِنين، فقال: ما هم بمُؤْمِنين ولا كافرين، فسُمُّوا بذٰلِكَ المُعْتَزِلَة).

(٢) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص٣٦.

(٣) دراسات في الفِرَق ص١٠٨ نَقْلًا عن العَقِيْدَة والشَّرِيْعَة في الإسلام لكولدزيهر.

وذُكرت هٰذِهِ الأسباب وغيرها في: فجر الإسلام ص٢٨٨ وتاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة

أُصُوْل المُعْتَزِلَة الخمسَة

قال أبو الحُسَيْن الخَيَّاط المُعْتَزِلِيّ: (وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتىٰ يجمع القول بالأُصُوْل الخمسة: التَّوْحِيْد، والعَدْل، والوعد والوعيد، والمَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر، فإذا كملت في الإنسان هٰذِهِ الخصال الخمس فهو مُعْتَزِلِيّ)[١].

● **الأصل الأول: التَّوْحِيْد.**

التَّوْحِيْد في اصْطِلَاح المتكلمين: هو (العلم بأن الله تعالىٰ وَاحِد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً علىٰ الحَدّ الذي يستحقه، والإقرار به).

ولا بد من اعتبار هٰذَيْنِ الشرطَين: العلم، والإقرار جَميعاً، لأنه لو علم ولم يُقِرّ، أو أقرَّ ولم يعلم، لم يكن موحِّداً[٢].

وقد بنىٰ المُعْتَزِلَة علىٰ هٰذَا الأصل ما يأتي:

١- نفي الصفات الإلٰهِيَّة (صفات المعاني) القديمة القائمة بذاته تعالىٰ، فقالوا بإثبات ذات هي بعينها صفة، أو صفة هي بعينها ذات، دفعاً للقول بتعدد الآلهة.

للغُرَابِيّ ص٤٨ وتاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٥ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج٢ ص٣٧٣ وفي علم الكلام - المُعْتَزِلَة ص١٠٥ وإسلام بلا مَذَاهِب ص٣٩٩ والمُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص١٤. وانظر: الغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص١٠٣.

(١) الانتصار ص١٢٦-١٢٧. ونقله عنه: أبو زُهْرَة في تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٥ و د. عِرْفَان في دراسات في الفِرَق ص١١٣ و د. أَحْمَد مُحَمَّد صبحي في المُعْتَزِلَة ص١١٩.

وانظر قول المُعْتَزِلَة بهٰذِهِ الأُصُوْل الخمسة في: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣٣٧-٣٣٨ والتَّنْبِيْه والرَّدّ ص٣٦ وشَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٢٣ والبَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٢.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٢٨.

ومنها قولهم بخلق القُرْآن، لأن صفة الكلام مخلوقة عندهم.

٢- استحالة رؤية الله عَزَّ وجَلَّ في الآخِرَة من قِبَل المُؤْمِنين[١].

وسيأتي تفصيل القولين في هاتين المسألتين عند كلامنا عن الصفات الإلٰهِيَّة والرؤية.

وردوا بهٰذَا الأصل علىٰ من خالف في التَّوْحِيْد، ونفىٰ عن الله تعالىٰ ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه عنه، واعتبروه كافراً[٢].

لذا قالوا: بتكفير المُلْحِدَة، والمُعَطِّلَة، والدَّهْرِيَّة، والمُشَبِّهَة[٣]، والثَّنَوِيَّة.

- **الأصل الثاني: العَدْل[٤].**

العَدْل الإلٰهِيّ هو ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل علىٰ وجه الصواب والمصلحة[٥].

والمُرَاد من وصف الله تعالىٰ بأنه عَدْل هو:

أن أفعاله كلها حَسَنَة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يُخِلّ بما هو واجب عليه[٦].

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٧.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٢٥.

(٣) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٢٤.

(٤) سُمِّيَ المُعْتَزِلَة بالعَدْلِيَّة أو أهل العَدْل، لقولهم بهٰذَا الأصل. / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص٤٣٢.

(٥) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٣٧.

(٦) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٣٢. وورد هٰذَا التعريف في ص٣٠١ بلفظ: (إنه لا يفعل القبيح أو لا يختاره، ولا يُخِلّ بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حَسَنَة). وانظر: الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص١١٩.

وهٰـذَا يعني عند المُعْتَزِلَة: أن الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ لا يفعل القبيح[1]، ولا يريده[2].

وتَحْرِيْر دلالة القول (لا يفعل القبيح) كما قال القَاضِي عبد الجَبَّار المُعْتَزِلِيّ: هو أنه تعالىٰ عالم بقبح القبيح، ومستغنٍ عنه، وعالم باستغنائه عنه، ومن كان هٰذِهِ حاله لا يختار القبيح بوجه من الوجوه. وذكر أَدِلَّة ذٰلِكَ علىٰ النَّحْو الآتي:

الدليل علىٰ أن الله تعالىٰ عالم بقبح القبيح، هو: أنه عالم لذاته، ومن حق العالم لذاته أن يعلم جميع المَعْلُوْمَات علىٰ الوجوه التي يَصِحّ أن تعلم عليها، ومن الوجوه التي يَصِحّ أن يعلم المَعْلُوْم عليه قبح القبائح، فيجب أن يكون القديم تعالىٰ عالماً به.

والدليل علىٰ أنه تعالىٰ مستغنٍ عن القبيح، هو: أنه تعالىٰ غَنِيّ لا تجوز عليه الحاجة أَصلاً.

والدليل علىٰ أنه تعالىٰ عالم باستغنائه عنه، هو ما تقدم من الأَدِلَّة.

والدليل علىٰ أن من كان حاله هٰذِهِ فلا يختار القبيح بوجه من الوجوه، هو: أنا نعلم ضرورة في الشَّاهد، أن أحدنا إذا كان عالماً بقبح القبيح، مستغنياً عنه، عالماً باستغنائه عنه، فإنه لا يختار القبيح البَتَّةَ، وإنما لا يختاره لعلمه بقبحه، وبغناه عنه، حتىٰ لو انخرم شرط من هٰذِهِ الشروط لجاز أن يختاره... .

وهٰذِهِ العِلَّة بعينها قائمة في حق القديم تعالىٰ، فيجب أن لا يختاره البَتَّةَ، لأن طرق الأَدِلَّة لا تختلف شَاهداً وغائباً[3].

---

(١) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٣٢و٣٠١.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٤٥٩و٤٦٢. وقول المُعْتَزِلَة: (لا يفعل القبيح ولا يريده) في: المُنْيَة والأَمَل ص٢٦.

(٣) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٣٠٢-٣٠٣ وذكر ذٰلِكَ كله عَوَّاد المُعْتِق في المُعْتَزِلَة ص١٥٧ عن شَرْح الأُصُوْل الخمسة. وانظر: المُحِيْط بالتَّكْلِيْف للقَاضِي عَبْد الجَبَّار ص٢٥٤ والفَائِق

وذكر القَاضِي عبد الجَبَّار أَيضاً أَدِلَّة القول بأن (الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ لا يريد القبيح)[1] منها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾ - غافر ٣١.

فقوله (ظلماً) نكرة، والنكرة في النفي تعمّ، فظَاهِر الآية يقتضي أنه تعالىٰ لا يريد شَيئاً مما وقع عليه اسم الظلم.

٢- قوله تعالىٰ بعد عَدّهِ الفواحش والمعاصي: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴾ - الإسراء ٣٨.

فبين أن المعاصي كلها مكروهة عنده، ولن تكون كذٰلِكَ إلَّا وهو كاره لها، ولا يكون كارهاً لها إلَّا وهو غير مريد لها، إذ لو كان مريداً لها مع الكراهة لكان حاصلاً علىٰ صفتين ضدين، وذٰلِكَ مستحيل[2].

فالمُعْتَزِلَة يقولون بأن الله تعالىٰ لا يفعل القبيح، ولا يريده، وأن أفعاله كلها لا بد أن تكون حَسَنَة، وأنه لا يُخِلّ بما هو واجب عليه.

وناقش أَهْل السُّنَّة قولَ المُعْتَزِلَة: (إن الله لا يفعل القبيح، وأفعاله كلها حَسَنَة) بما يأتي:

هٰذَا مما نوافقكم عليه، فخلقه وفعله وقضاؤه وقَدَره تعالىٰ خَيْر كله، بدليل:

١- أنه تعالىٰ نَزَّهَ نفسه عن الظلم، قال تعالىٰ: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ - ق ٢٩. وهٰذَا يَدُلّ علىٰ أنه لا يفعل القبيح، بل أفعاله كلها حَسَنَة.

٢- أسماؤه الحُسْنَىٰ تشهد بذٰلِكَ، فإن منها القُدُّوْس، والقُدُّوْس هو المُنَزَّه عن

في أُصُوْل الدِّيْن ص١٤٩.

(١) انظر قوله هٰذَا في: شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٤٥٩و٤٦٢.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٤٦٠-٤٦١.

كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التَّفْسِيْر واللُّغَة[١].

وناقش أَهْل السُّنَّة أَيضاً قول المُعْتَزِلَة: (إنه تعالىٰ لا يُخِلّ بما هو واجب عليه) بما يأتي:

إن كان المُرَاد بالواجب علىٰ الله شيء أوجبه غيره عليه، فهٰذَا لا نوافق عليه، وذٰلِكَ:

١- لأنه يلزم أن لا يكون الله تعالىٰ فاعلاً مُخْتَاراً، وهو باطل بالأَدِلَّة الدالة علىٰ أن له تعالىٰ التصرف المطلق فيما شاء من مخلوقاته، ككونه تعالىٰ رباً خَالِقاً مَالِكاً مَحْمُوْداً.

٢- لأنه يلزم أن يكون هناك موجب فوق الله أوجب عليه، ولا موجب عليه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

وإن كان المُرَاد بالواجب علىٰ الله ما أوجبه الله تعالىٰ علىٰ نفسه، فهٰذَا نوافق عليه، ونصَّ عليه بعض أَهْل السُّنَّة.

لٰكِن أَهْل السُّنَّة لا يعتبرون هٰذَا الواجب متحتماً عليه بحيث لو لم يفعله تعالىٰ لأَخَلَّ بما هو واجب عليه، لأن هٰذَا الواجب تفضُّل من الله تعالىٰ، والمتفضل مُخْتَار بما تفضل به.

أي: أن الله تعالىٰ كتب علىٰ نفسه الرحمة، وحرم الظلم علىٰ نفسه، لا أن العبد مستحق علىٰ الله شَيئاً.

فالحق الذي لعِبَاده هو من فضله وإحسانه، لا من باب المعاوضة، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه، فإنه سُبْحَانَهُ يتعالىٰ عن ذٰلِكَ[٢].

---

(١) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص١٥٩ عن شفاء العَلِيْل لابن القَيِّم، ومجموع الرَّسَائِل والمَسَائِل لابن تَيْمِيَّة.

(٢) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص١٦١-١٦٢ ونقل عن شفاء العَلِيْل ومدارج السالكين وكلاهما

فإن قيل: كيف يَصِحّ القول بأن أفعاله تعالىٰ كلها حَسَنَة، مع أنه هو الفاعل لهٰذِهِ الصور القبيحة المُنْكَرَة؟

أُجيب: بأن المُعْتَزِلَة لا يريدون بأنه يحسن من جهة المرأىٰ والمنظر حتىٰ يستحليه كل أحد، وإنما يريدون أنه يحسن من جهة الحكمة، وهٰذِهِ الصور كلها حَسَنَة من جهة الحكمة، لأنه يمكن أن يكون الفعل حَسَناً من جهة المرأىٰ والمنظر، قبيحاً من جهة الحكمة، مثل: من مشىٰ مشية حَسَنَة في سعاية بمسلم إلىٰ سُلْطَان جائر.

ويمكن أن يكون الفعل قبيحاً من جهة المرأىٰ والمنظر، حَسَناً من جهة الحكمة، مثل: من مشىٰ مشية عرجاء في إنقاذ محبوس مظلوم[١].

ومن قول المُعْتَزِلَة بأصل العَدْل تكلموا في الأُمور الآتية:

وجوب تَعْلِيْل أفعال الله تعالىٰ، والتَّحْسِيْن والتَّقْبِيْح العقليين، وأن العِبَاد يخلقون أفعالهم، ووجوب اللطف الإلٰهِيّ، ووجوب الصَّلَاح والأصلح، ووجوب بعثة الرسل علىٰ الله تعالىٰ.

تَعْلِيْل أفعال الله تعالىٰ:

الفعل: هو ما وجد من الحوادث، وكان الغير قَادِراً عليه[٢].

اختلفت الفِرَق الإسلامِيَّة في تَعْلِيْل أفعال الله تعالىٰ علىٰ أقوال:

١- وجوب تَعْلِيْل أفعاله تعالىٰ ومنها أَحْكَامه، وأنه لا يصدر عنه فعل إلَّا لأغراض ومَقَاصِد، من أجلها فعل ذٰلِكَ الفعل، وهو قول المُعْتَزِلَة[٣].

لابن القَيِّم، واقتضاء الصراط المُستقِيم لابن تَيْمِيَّة.

(١) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٣٢.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٣٢٤.

(٣) تَعْلِيْل الأَحْكَام ص٩٧ وتاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٢.

وحجتهم:

أ- الله تعالىٰ حَكِيْم لا يصدر عنه جُزافاً، بل قدَّر كل شيء تقدِيراً[(١)].

ب- أن أفعاله تعالىٰ لو لم تكن مُعَلَّلة للزم العَبَث عليه تعالىٰ، وهو منفي بالاتفاق[(٢)].

والمُعْتَزِلَة يَصِلون من هٰذَا إلىٰ القول بوجوب الصَّلَاح والأصلح.

فإنه بمُقْتَضَىٰ أن الأشياء لها حُسْن ذاتي وقبح ذاتي، وبمُقْتَضَىٰ أن الله تعالىٰ لا يفعل إلَّا ما يكون حكمة، فمستحيل أن يأمر بغير الصالح، وينهىٰ عن الصالح، فيجب له الصَّلَاح، ويجب له الأصلح[(٣)].

٢- نفي التَّعْلِيْل من جهة أنه تعالىٰ فاعل غير مُخْتَار في أفعاله، والغرض إنما يكون في فعل الفاعل المُخْتَار. وهو مَذْهَب جُمْهُوْر الفَلَاسِفَة.

ورُدَّ: بأنه قول بَيِّنُ الفساد، لأن سلب الاخْتِيَار عن الباري عَزَّ وجَلَّ مما تكرهه بداهة العُقُوْل[(٤)].

٣- أفعال الله تعالىٰ لا تعلل. وهو قول الأَشَاعِرَة.

٤- أفعاله تعالىٰ تكون علىٰ مُقْتَضَىٰ الحكمة، ولٰكِنه قصدها غير مُجْبَر عليها، لأنه سُبْحَانَهُ مُخْتَار. وهو قول المَاتُرِيْدِيّ.

وسيأتي تفصيل ذٰلِكَ في بَيَان آراء الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة.

فالمَاتُرِيْدِيَّة والمُعْتَزِلَة اتفقوا علىٰ أن أفعال الله تكون لحكمة قدَّرها وأرادها، ولا

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة السَّابِق.

(٢) تَعْلِيْل الأَحْكَام ص٩٩.

(٣) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٢.

(٤) تَعْلِيْل الأَحْكَام ص٩٧.

يمكن أن تكون عَبَثاً، لٰكِن الخلاف بينهما هو في التعبير عما اتفقوا عليه، فالمُعْتَزِلَة عبروا عنه بالواجب، واستبعده المَاتُرِيْدِيَّة.

أما الخلاف بين المُعْتَزِلَة والأَشَاعِرَة فهو جوهري، مبني علىٰ الخلاف في التَّحْسِيْن والتَّقْبِيْح العقليين[1].

التَّحْسِيْن والتَّقْبِيْح العقليان:

الحُسْن والقُبْح يطلق بثلاثة اعتبارات:

- **الاعتبار الأول:** ما يلائم الطبع وينافره، كحُسْن إنقاذ الغريق، وقُبْح اتهام البريء[2]، وحُسْن الحلو، وقُبْح المر[3].

- **والاعتبار الثاني:** صفة الكَمَال والنقص، كحُسْن العلم، وقُبْح الجهل[4].

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٣.

(٢) تَشْنِيْف المَسَامِع بجَمْع الجَوَامِع ج١ ص٤٥.

قال الشَّرْبِيْنِيّ في حاشيته علىٰ جَمْع الجَوَامِع - حَاشِيَة العطار ج١ ص٨٠: عبر عنه ابن الحَاجِب بموافقة الغرض ومخالفته، وبعض الكتب باشتماله علىٰ المصلحة والمفسدة. ومآل المعاني الثلاثة وَاحِد، فإن الموافق للغرض فيه مصلحة لصاحبه، ملائم لطبعه لميله إليه بسبب اعْتِقَاد النفع، ومخالفه مفسدة له غير ملائم لطبعه. وليس المُرَاد بالطبع المزاج حتىٰ يرد أن الموافق للغرض قد يكون مغايراً للطبع كالدواء الكريه للمريض، بل الطبيعة الإنسانية المائلة إلىٰ جلب المَنَافِع ودفع المضَارّ. وقال: كذا في عبد الحَكِيْم علىٰ المُقَدِّمات. وانظر كلام العطار في الحَاشِيَة ص٨١.

(٣) شَرْح الجَلَال المَحَلِّيّ علىٰ جَمْع الجَوَامِع - حَاشِيَة العطار السَّابِق، والمُحَصِّل للرَّازِيّ ص٢٠٢.

(٤) تَشْنِيْف المَسَامِع، والمُحَصِّل، السَّابِقَان. ونقل العطار في حاشيته ص٨١ عن السَّيِّد الشَّرِيْف علىٰ المَوَاقِف: (أي: كون الصفة صفة كَمَال، وكون الصفة صفة نقصان، يقال: العلم حَسَن، أي: لمن اتصف به كَمَال وارتفاع شأن، والجهل قبيح، أي: لمن اتصف به نقصان واتّضاع حال).

والحُسْن والقُبْح بهٰذَيْنِ الاعتبارين هما عقليان بلا خلاف، أي: يستقل العقل بإدراك الحُسْن والقُبْح فيهما، فلا حاجة في إدراكهما إلىٰ الشَّرْع.

- **والاعتبار الثالث:** ما يوجب المدح أو الذم الشَّرْعِيّ عاجلاً، والثواب أو العقاب آجلاً. وهٰذَا هو محل النزاع بين المُعْتَزِلَة وغيرهم.

فذهب المُعْتَزِلَة ومعهم الإمَامِيَّة والزَّيْدِيَّة إلىٰ أن الحُسْن والقُبْح عقلي، أي: يستقل العقل بإدراكه دون الشَّرْع، إما لذات الفعل، أو لصفة عائدة إلىٰ الأَحْكَام، أو لوجوه واعتبارات علىٰ خلاف بينهم(١).

فالمُعْتَزِلَة يقولون بسلطة العقل وقدرته علىٰ مَعْرِفَة الحَسَن والقبيح، لأن للشيء صفة فيه جعلته حَسَناً أو قبيحاً، فالصدق فيه صفة ذاتية جعلته حَسَناً، والكذب فيه صفة ذاتية جعلته قبيحاً، لذا يشترك العقلاء، مُؤْمِنين وملحدين، في تَحْسِيْن إنقاذ الغريق وتَقْبِيْح إيلام البريء، ولو لم يصلهم شرع في ذٰلِكَ.

وأمر الشَّرْع بالشيء هو لحُسْنه، ونهيه عنه هو لقُبْحه، ولا يستطيع الشَّرْع أن يعكس، لأن أمره ونهيه تابعان لما في الشيء ذاته من حُسْن وقُبْح(٢).

---

(١) تَشْنِيْف المَسَامِع، والمُحَصِّل، السَّابِقَان. وانظر قول الإمَامِيَّة في: النَّافِع شَرْح الباب الحادي عشر ص٢٦. وقول الزَّيْدِيَّة في: الأَسَاس ص٥١، وفي ص٥٠ نفىٰ الخلاف عن الاعتبارين الأولين.

والقول بأن العقل يستدل به حُسْن الأفعال وقبحها، علىٰ معنىٰ أنه يجب علىٰ الله الثواب والثناء علىٰ الفعل الحَسَن، ويجب عليه الملام والعقاب علىٰ الفعل القبيح هو قول المُعْتَزِلَة والثَّنَوِيَّة والتَّنَاسُخِيَّة والبَرَاهِمَة والخَوَارِج والكَرَّامِيَّة. / نِهَايَة الإقدام ص٣٧١.

(٢) فجر الإسلام ص٢٩٨. وانظر: النَّافِع السَّابِق.

قال الأُستاذ مُحَمَّد سَلَّام مَدْكُور في مناهج الاجتهاد في الإسلام ص٤٩٩: (أسرف المُعْتَزِلَة في تقدِير سُلْطَان العقل وحدود العلم الإنساني... فهم يرون أن العقل البشري منح من السلطة ما يمكنه من إقامة البُرْهَان حتىٰ علىٰ ما يتعلق بالله، فلا حدود للعقل إلَّا بَرَاهِيْنه، ولا زلل ولا خطأ متىٰ صح البُرْهَان، ويتأولون القُرْآن علىٰ مُقْتَضَىٰ ذٰلِكَ).

فما رآه العقل حَسَناً فهو مطلوب لله فعله ويثاب فاعله من الله. وما رآه العقل قبيحاً فهو مطلوب لله تركه ويعاقب فاعله من الله.

وبناءً عليه قالوا: إن من بلغتهم دعوة الرسل وشرائع الله مكلفون من الله بما تقضي به هٰذِهِ الشرائع، ومن لم تبلغهم شرائع الله مكلفون من الله بما تهديهم إليه عُقُوْلهم، فعليهم أن يفعلوا ما تستحسنه عُقُوْلهم، لأنهم يثابون علىٰ فعله، وأن يتركوا ما تستقبحه عُقُوْلهم، لأنهم يعاقبون علىٰ فعله[1]. أي: أن ما يدرك العقل حُسْنه يكون واجب الفعل بتكليف العقل، وما يدرك العقل قبحه يكون منهياً عنه به[2].

أما الأَشَاعِرَة فقد ذهبوا إلىٰ أن الشَّرْع هو الذي يُحَسِّن ويُقَبِّح، لا العقل. فلا يثاب الإنسان علىٰ فعل شيء ولا يعاقب علىٰ تركه إلَّا إذا بلغته دعوة رَسُوْل.

وذهب المَاتُرِيْدِيَّة إلىٰ أن العقل يُحَسِّن ويُقَبِّح، لٰكِن الثواب والعقاب متوقف علىٰ الشَّرْع. وسيأتي تفصيل رأي الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة عند ذكر آرائهما.

فالمُعْتَزِلَة أرادوا من قولهم بأصل العَدْل تنزيه الله تعالىٰ عن الظلم وعدم نسبته إليه، فارتفعوا بالإرادة الإنسانية وجعلوها مسؤولة عن عَمَلها.

بينما رأىٰ الأَشَاعِرَة أن لا ظلم في الحقيقة، لأن الله تعالىٰ فاعل علىٰ الحقيقة، وهو عَدْل، بمعنىٰ أنه متصرف في ملكه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. والقول بأن الإنسان مسؤول عن عَمَله في خلقه لفعله هو تضييق من قدرة الله تعالىٰ، لذا قالوا: الأفعال مخلوقة من الله عَزَّ وجَلَّ مكسوبة من العبد[3].

وهٰـذَا الخلاف في التَّحْسِيْن والتَّقْبِيْح لا يترتب عليه أثر إلَّا بالنسبة لمن لم تبلغهم شرائع الرسل، فإنهم مكلفون عند المُعْتَزِلَة، وغير مكلفين عند أَهْل السُّنَّة

---

(١) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٩٨-٩٩.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٢.

(٣) تَعْلِيْق د. عبد الكَرِيْم عُثْمَان في هامش ص١٣١ من شَرْح الأُصُوْل الخمسة.

والجَمَاعَة[١].

أفعال العِبَاد:

لما نزه المُعْتَزِلَة الله سُبْحَانَهُ عن القبيح رتبوا عليه قولهم بأن أفعال العِبَاد غير مخلوقة فيهم، وهم المُحْدِثُوْن لها[٢].

وأفعال العِبَاد هي الأفعال المباشرة الاخْتِيَارِيَّة[٣]، كتصرفهم وقيامهم وقعودهم[٤].

(١) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٩٩ وتَعْلِيْق د. شَعْبَان مُحَمَّد إسْمَاعِيْل علىٰ إرْشَاد الفُحُوْل ج١ ص٥٤.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٣٢٣و٣٤٠ والفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص١٣٠. وانظر: تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٥٩٤.

(٣) **أفعال العِبَاد عند المُعْتَزِلَة نوعان:**

النوع الأول: أفعال العِبَاد المباشرة الاخْتِيَارِيَّة، وهي كل فعل لا يتهيأ وقوعه إلَّا بقصد، ويحتاج كل جزء منه إلىٰ تجديد وعزم وقصد إليه وإرادة له، وقد اتفق المُعْتَزِلَة علىٰ أنها مخلوقة للعِبَاد، ما عدا ضِرَار بن عَمْرو وحَفْص الفَرْد اللذين وافقا أَهْل السُّنَّة في أنها مخلوقة لله تعالىٰ.

النوع الثاني: أفعال التولُّد، وهي كل فعل يتهيأ وقوعه علىٰ الخطأ دون القصد إليه والإرادة له. وقد اختلف المُعْتَزِلَة فيها، ولم يضيفوا إلىٰ الإنسان منها إلَّا ما تولد من الحي، كما قاله بِشْر بن المُعْتَمِر والقَاضِي عبد الجَبَّار وغيرهما.

المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص١٦٨ وأشار إلىٰ مصادره، ونقل تعريف أفعال العِبَاد بنوعيها عن الإسكافي عن مَقَالَات الإسلامِيِّيْن في المُعْتَزِلَة السَّابِق ص١٨٤. وانظر قول الإسكافي وغيره في: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج٢ ص٩٣ وقول ضِرَار وحَفْص في ص٩١. وانظر القول في المُتَوَلِّدَات والخِلَاف فيها في: الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص١٤١.

وذهب أَهْل السُّنَّة إلىٰ أن هٰذَيْنِ النوعين من الأفعال هي كلها خلق الله تعالىٰ. / تَمْهِيْد الأوائل ص٣٣٤ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١٦٩ والمُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص١٩١ عن ابن حَزْم وابن تَيْمِيَّة.

(٤) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص١٦٩ عن المُغْنِي للقَاضِي عبد الجَبَّار.

فالله سُبْحَانَهُ لا يخلق أفعال الناس، وإنما هم الذين يخلقون أفعالهم. وليس ذٰلِكَ عجزاً منه، تعالىٰ الله عن العجز، ولٰكِن أودع عَزَّ وجَلَّ القدرة فيهم علىٰ خلق الأفعال، فهو المعطي، وله القدرة التامة علىٰ سلب من أعطىٰ، وإنما أعطىٰ ما أعطىٰ ليَتِمّ التكليف[١]، وتَحْقِيْق الثواب والعقاب.

ورَدَّ المُعْتَزِلَة بقولهم هٰذَا علىٰ الجَبْرِيَّة القائلين بأن الإنسان مجبور غير مُخْتَار في أفعاله، واعتبروهم كفاراً، لأنهم مخالفون في أصل العَدْل حين أضافوا إلىٰ الله تعالىٰ القبائح من الظلم والكذب... فكفروا[٢].

وقد رُوي أن وَاصِل بن عَطَاء أرسل بعض أصحابه إلىٰ خُرَاسَان لمباحثة جَهْم (الجَبْرِيّ) ومجادلته[٣].

ومن أدلتهم:

١- قوله تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ - النمل ٨٨. قال القَاضِي عبد الجَبَّار المُعْتَزِلِيّ: بيّن الله تعالىٰ أن أفعاله كلها متقنة، والإتْقَان يتضمن الإحْكَام والحُسْن جميعاً، فلو كان الفعل محكماً ولٰكِنه غير حَسَن فعندئذٍ لا يوصف بالإتْقَان. ألا ترىٰ أن أحدنا لو تكلم بكلام فصيح يشتمل علىٰ الفحش والخَنَا، فإنه وإن وصف بالإحْكَام لا يوصف بالإتْقَان.

ومَعْلُوْم أن في أفعال العِبَاد ما يشتمل علىٰ التهوُّد والتنصُّر والتمجُّس، وليس شيء من ذٰلِكَ متقناً، فلا يجوز أن يكون الله تعالىٰ خَالِقاً لها[٤].

٢- إن في أفعال العِبَاد ما هو ظلم وجَوْر، فلو كان الله تعالىٰ خَالِقاً لها لوجب أن

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٧، وانظر ص١٨٤.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٢٤-١٢٥.

(٣) فجر الإسلام ص٢٩٧.

(٤) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٣٥٨. وفيه أَدِلَّة أُخرىٰ من القُرْآن الكَرِيْم.

يكون ظالماً جائراً، تعالىٰ الله عن ذٰلِكَ علواً كَبِيْراً[١].

أما الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة فذهبوا إلىٰ أن أفعال العِبَاد مخلوقة من الله تعالىٰ، وهي مكتسبة للعبد، وبهٰذَا الكسب يكون الثواب والعقاب.

وسيأتي تفصيل معنىٰ الكسب عند عرض آراء الأَشْعَرِيّ والمَاتُرِيْدِيّ.

اللطف الإلٰهِيّ:

المقصود باللطف كل ما يوصل الإنسان إلىٰ الطاعة ويبعده عن المعصية، ولما كان الله عادلاً في حكمه رَؤُوْفاً بخلقه نَاظِراً لعِبَاده لا يرضىٰ لعِبَاده الكفر ولا يريد ظلماً للعالَمين، فهو لم يدخر عنهم شَيئاً مما يعلم أنه إذا فعله بهم أتوا الطاعة والصَّلَاح[٢].

والمُعْتَزِلَة يقولون بوجوب اللطف علىٰ الله تعالىٰ، إذا كان متأخراً عن التكليف، سواء كان لطفاً في فريضة أو نافلة[٣].

---

(١) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٣٤٥. وذكر عَوَّاد المُعْتِق في المُعْتَزِلَة ص١٧١ وما بعدها حجج المُعْتَزِلَة ومناقشات العُلَمَاء لها.

(٢) في علم الكلام – المُعْتَزِلَة ص١٤٥ ونقل عن المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ. وقال المِقْدَاد في النَّافِع ص٣٢: (اللطف هو ما يُقرِّبُ العبد إلىٰ الطاعة ويُبعدُه عن المعصية).

وفي نِهَايَة الإقدام للشَّهْرَسْتَانِيّ ص٤٠٦: (عند المُعْتَزِلَة اللطف هو وجه التَّيْسِيْر إلىٰ الخَيْر، وهو الفعل الذي علم الرب تعالىٰ أن العبد يطيع عنده، وليس في مقدور الله تعالىٰ لطفٌ وفعلٌ لو فعله لآمن الكفار).

وفي الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٣٠٠: (اللطف عند المُعْتَزِلَة هو الفعل الذي علم الرب تعالىٰ أن العبد يطيعه عنده... فيجب علىٰ الله تعالىٰ أقصىٰ اللطف بالمكلفين، وليس في مقدور الله تعالىٰ لطفٌ لو فعله بالكَفَرة لآمنوا... وأما أهل الحق فاللطف عندهم خلق قدرة علىٰ الطاعة، وذٰلِكَ مقدورٌ لله تعالىٰ أبداً). وانظر: تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٢٣ والتَّمْهِيْد للاَّمِشِيّ ص١١٥.

(٣) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص١٩٤ نَقْلًا عن المُغْنِي للقَاضِي عبد الجَبَّار وفيه: إن اللطف إذا كان متقدماً علىٰ التكليف لا يجب، لأن اللطف يتضمن إزاحة عِلَّة المكلف، ولا تكليف هناك.

ومثلهم الإمَامِيَّة القائلون بوجوب اللطف علىٰ الله تعالىٰ[١].

أما أَهْل السُّنَّة فإنهم أثبتوا اللطف من الله تعالىٰ لمن شاء من خلقه، لٰكِنهم لا يعتبرونه واجباً، بل تفضلاً منه سُبْحَانَهُ، وهو ما يسمىٰ بالتوفيق إلىٰ فعل الخَيْر واجتناب الشر، وذٰلِكَ قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ – النساء ٨٣، فهٰذَا الفَضْل هو اللطف الذي كان سبباً في عدم اتباعهم الشيطان[٢].

وردوا علىٰ المُعْتَزِلَة بأن الإيجاب علىٰ الله تعالىٰ محال، لاستحالة مُوجِبٍ فوقَه يوجب عليه شَيئاً[٣].

الصَّلَاح والأصلح:

الصَّلَاح: هوالفعل المتوجه إلىٰ الخَيْر من قوام العالم، وبَقَاء النوع عاجلاً، والمؤدي إلىٰ السَّعَادَة السَّرْمَدِيَّة آجلاً.

والأصلح: هو إذا كان صَلَاحان وخَيْران، فكان أحدهما أقرب إلىٰ الخَيْر المطلق، فهو الأصلح[٤].

وكذٰلِكَ إذا كان اللطف مقارناً فلا يجب اللطف.

وانظر اختلاف المُعْتَزِلَة في اللطف في: الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٢٥١ ومَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣١٣.

(١) الباب الحادي عشر والنَّافِع عليه ص٣٢ ومِفْتَاح الباب ص١٦٥.

(٢) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص١٩٦، وأشار إلىٰ مدارج السالكين، والإبَانَة، واقتضاء الصراط المُستقِيم.

(٣) التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٧٢، وأَيضاً: ص٦١. وانظر: المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق السَّابِق نَقْلًا عن الإسْفَرَايِيْنِيّ.

(٤) نِهَايَة الإقدام ص٤٠٦.

ذهبت المُعْتَزِلَة إلىٰ أن الله تعالىٰ لا يفعل إلَّا الصَّلَاح والخَيْر، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العِبَاد[1].

أما الأصلح فاختلفوا فيه علىٰ قولين:

١- تجب رعايته كرعاية الصَّلَاح. وهو قول جُمْهُوْر المُعْتَزِلَة.

٢- لا تجب، إذ الأصلح لا نِهَايَة له، فلا أصلح إلَّا وفوقه ما هو أصلح منه. وهو قول بِشْر بن المُعْتَمِر المُعْتَزِلِيّ[2].

وفي شَرْح البَاجُوْرِيّ علىٰ الجَوْهَرَة ص١٨٢: (وجوب الصَّلَاح: المُرَاد به ما قابل الفساد، كالإيمان في مُقَابَلَة الكفر، فيقولون: إذا كان هناك أمران أحدهما الصَّلَاح والآخر فساد وجب علىٰ الله أن يفعل الصَّلَاح منهما دون الفساد. ووجوب الأصلح: المُرَاد به ما قابل الصَّلَاح، ككونه في أعلىٰ الجِنَان مُقَابَلَة كونه أسفلها، فيقولون: إذا كان هناك أمران أحدهما صَلَاح والآخر أصلح منه وجب علىٰ الله أن يفعل الأصلح منهما دون الصَّلَاح. ثم اختلفت المُعْتَزِلَة: فذهب مُعْتَزِلَة بَغْدَاد إلىٰ أنه يجب علىٰ الله تعالىٰ مراعاة الصَّلَاح والأصلح لعِبَاده في الدِّيْن والدنيا. وذهب مُعْتَزِلَة البَصْرَة إلىٰ أنه يجب عليه تعالىٰ مراعاة الصَّلَاح والأصلح لهم في الدِّيْن فقط. ثم اختلفوا في المُرَاد بالأصلح، فعند البَغْدَادِيَّة: هو الأوفق في الحكمة والتدبير، وعند البَصْرِيَّة: الأنفع).

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٣٩.

(قال النَّظَّام: إن الله عَزَّ وجَلَّ لا يقدر أن يفعل بعِبَاده خلاف ما فيه صَلَاحهم، ولا يقدر علىٰ أن ينقص من نَعِيْم أهل الجنة ذرة، لأن نَعِيْمهم صَلَاح لهم، والنقصان مما فيه الصَّلَاح ظلم عنده، ولا يقدر أن يَزِيْد من عذاب أهل النار ذرة، ولا علىٰ أن ينقص من عذابهم شَيئاً...). / الفَرْق بين الفِرَق ص١٣٣. وانظر: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٤٧-٤٨ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٦١.

(٢) نِهَايَة الإقدام ص٣٩٧-٣٩٨ وعزا كُلّاً من القولين إلىٰ بعض المُعْتَزِلَة. لٰكِن هٰذِهِ النسبة إلىٰ جُمْهُوْر المُعْتَزِلَة وبِشْر في: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣١٣. وقول بِشْر وحجته في: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٥٧ أَيضاً. ونقل عَوَّاد المُعْتِق في المُعْتَزِلَة ص١٩٨ القولين عن نِهَايَة الإقدام والمَقَالَات.

وانظر القول في الأَصلَح في الدنيا في: الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٢٩١.

وقال أَهْل السُّنَّة: بأن الله سُبْحَانَهُ يفعل بالعِبَاد ما فيه صَلَاحهم تفضلاً، لا علىٰ سَبِيْل الوجوب، وتقدم آنِفاً قول الإسْفَرَايِيْنِيّ بأن الإيجاب علىٰ الله تعالىٰ محال، لاستحالة مُوجِبٍ فوقه، يوجب عليه شَيئاً[١].

قال الأُستاذ مُحَمَّد سَلَّام مَدْكُوْر: أفرط المُعْتَزِلَة في قياس الغائب علىٰ الشَّاهد، فأخضعوا الله جل شأنه لقوانين هٰذَا العالَم، فألزموه بالعَدْل كما يتصوره الإنسان. وفاتهم أن معنىٰ العَدْل نسبي، يتغير تصوره بتغير الزمان، وكذٰلِكَ الشأن في قولهم في الحُسْن والقُبْح، والصَّلَاح والأصلح[٢].

وجوب بعثة الرسل علىٰ الله تعالىٰ:

وذٰلِكَ لأن الله سُبْحَانَهُ إذا علم أن صَلَاحنا يتعلق بهٰذِهِ الشَّرْعِيّات، فلا بد من أن يُعَرِّفَناها، لكي لا يكون مخلاً بما هو واجب عليه، ومن العَدْل أن لا يخل بما هو واجب عليه[٣].

---

(١) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص١٩٩-٢٠٢ ونقل عن الإسْفَرَايِيْنِيّ والغَزَالِيّ وابن تَيْمِيَّة. وانظر كلام الإسْفَرَايِيْنِيّ في: التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٧٢. وانظر قول المَاتُرِيْدِيَّة في: أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١٧٢.

قال الدَّرْدِيْر في شَرْح الخَرِيْدَة ص٨٩: إذ لو وجب عليه تعالىٰ ما هو الأصلح في حق العبد ما وقعت محنةٌ، وما خلق اللهُ تعالىٰ الكافر الفَقِيْر المعذب دنيا وأُخرىٰ، وما حصل ألمٌ لطفلٍ لا تكليفَ عليه، ولما كانت بعض البهائم والطيور في غَايَة الضعف والبلاء، ولما كان لطلب الهِدَايَة وكَشْف الضر معنىٰ لوجوب إيصال ما هو الأصلح للعبد، ولما بقي في قدرة الله تعالىٰ بالنسبة إلىٰ مصالح العِبَاد شيءٌ آخر، إذ قد أتىٰ علىٰ ما في وسعه من الأصلح الواجب. قال الدَّرْدِيْر في الخَرِيْدَة:

ومَن يقل فعلُ الصَّلَاح وجبا ... علىٰ الإلٰه قد أساء الأدبا

وانظر: شَرْح البَاجُوْرِيّ علىٰ الجَوْهَرَة ص١٨٣.

(٢) مناهج الاجتهاد في الإسلام ص٤٩٩.

(٣) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٥٦٣، وانظر ص٥٦٤.

فمن عَدْله تعالىٰ وجوب بعثته الرسل، ولو لم يفعل لأخل بما هو واجب عليه.

قال الغَزَالِيّ: وقالت المُعْتَزِلَة: إن بعثة الأنبياء واجبة[١].

وجعل أبو عَلِيّ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب الجُبَّائِيّ وابنه أبو هَاشِم عبد السَّلَام، وهما من مُعْتَزِلَة البَصْرَة، التكاليفَ كلها ألطافاً، وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسَّلَام وشرع الشرائع والتَّنْبِيْه علىٰ الطريق الأصوب كلها ألطافاً[٢].

أما أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة فيرون أن بعثة الرسل فضل من الله علىٰ العِبَاد، قال التَّفْتَازَانِيّ: والبعثة لتضمنها مصالح لا تحصىٰ لطفٌ من الله تعالىٰ، ورحمة يختص بها من يشاء من عِبَاده، من غير وجوب عليه، خلافاً للمُعْتَزِلَة[٣].

● **الأصل الثالث: الوعد والوعيد**[٤].

الوعد: هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلىٰ الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل.

والوعيد: هو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلىٰ الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل.

والمقصود بهٰذَا الأصل هو: أن يعلم أن الله تعالىٰ وَعَد المُطِيْعِيْن بالثواب، وتَوَعَّد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخُلْف ولا

---

(١) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص٢٠٤ ونقل عن الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ. وهو في الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد ص١٠٤.

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٦٨.

(٣) شَرح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥ وذكر رأي المُعْتَزِلَة. وانظر: المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص٢٠٦ نَقْلاً عن السَّفَّارِيْنِيّ.

(٤) سُمِّيَ المُعْتَزِلَة بالوَعْدِيَّة وبالوَعِيْدِيَّة، لقولهم بهٰذَا الأصل. / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص٤٣٦.

الكذب[١].

فهم يقولون بالوعد، أي: أن الله يجب أن يَنْفُذ وعده، وأن الثواب يجب علىٰ الله للعبد عن طريق الاستحقاق[٢]، فإذا خرج من الدنيا علىٰ طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضيل[٣].

ويقولون بالوعيد، أي: إذا خرج المُؤْمِن عن الدنيا من غير توبة عن كَبِيْرَة ارتكبها استحق النار مخلداً فيها، لٰكِن عقابه أخف من عقاب الكافر[٤].

وردَّ المُعْتَزِلَة بأصل (الوعد والوعيد) علىٰ المُرْجِئَة وكفَّروهم[٥]، وهم الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، إذ لو صح قولهم لكان وعيد الله تعالىٰ في مقام اللغو[٦].

وبَنَىٰ المُعْتَزِلَة علىٰ هٰذَا الأصل، إنكارهم شفاعة الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ لأهل الكبائر من أُمته، وقَصَروها علىٰ التائبين من المُؤْمِنين، لأن إثبات الشفاعة لأهل الكبائر ينافي مبدأ الوعيد[٧].

أما أَهْل السُّنَّة فقالوا في الوعد: إن الله تعالىٰ إذا وعد عِبَاده بشيء كان وقوعه واجباً

---

(١) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٣٤-١٣٦ وفيه: (الكذب: هو كل خبر، لو كان له مخبر، لكان مخبره لا علىٰ ما هو به. والخُلْف: هو أن يخبر أنه يفعل فعلاً في المستقبل ثم لا يفعله). وانظر: الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٣٩٦.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٦١٤، ونقل عنه عَوَّاد المُعْتِق في: المُعْتَزِلَة ص٢١٢. وانظر: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٣٩.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق.

(٤) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق.

(٥) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٢٤-١٢٥.

(٦) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٨.

(٧) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٦٨٨-٦٩١ ومَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج٢ ص١٦٦.

بحكم وعده، لا بحكم الاستحقاق، فإن العبد لا يستحق بنفسه علىٰ الله شَيئاً[١].

فإذا وعد الله المُؤْمِنين الجنة لا يتخلف شرعاً قطعاً، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ - الحج ٤٧، فلو تخلف إعْطَاء الموعود به لزم الكذب والسفه والخُلْف، وهو باطل. فالخُلْف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه، وهٰذَا مُتَّفَق عليه عند الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة[٢].

وقالوا في الوعيد: يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأن يخرج أهل الكبائر من النار، فلا يخلد فيها من أهل التَّوْحِيْد أَحَداً[٣].

فالأصل في هٰذَا أن الله يجوز أن يُخلف الوعيد، وإن كان لا يجوز أن يُخلف الوعد[٤]. فيجوز الخُلْف في الوعيد عند الأَشَاعِرَة، لأن الخُلْف فيه لا يُعدّ نقصاً، بل يُعدّ كرماً

---

(١) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص٢١٧ نَقْلًا عن مِنْهَاج السُّنَّة النَّبَوِيَّة ج١ ص٣١٥.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٧١.

(٣) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص٢٣٣ نَقْلًا عن مِنْهَاج السُّنَّة النَّبَوِيَّة ج١ ص٣٢٨.

جاء في العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة: (وأهل الكبائر من أُمَّة مُحَمَّد ﷺ في النار لا يُخَلَّدُوْن، إذا ماتوا وهم مُوَحِّدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لَقُوا اللهَ عَارِفِيْن. وهم في مشيئته وحُكْمه، إن شاء غَفَرَ لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عَزَّ وجَلَّ في كتابه: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ - النساء ٤٨و١١٦، وإن شاء الله عَذَّبَهم في النار بعَدْله، ثم يُخرجهم منها برحمته وشفاعةِ الشَّافِعِيْن من أهل طاعته، ثم يَبعثهم إلىٰ جنته). قال ابن أبي العِزّ شارحاً قول الطَّحَاوِيّ: في هٰذَا رَدٌّ لقول الخَوَارِج والمُعْتَزِلَة، القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لٰكِن الخَوَارِج تقول بتكفيرهم، والمُعْتَزِلَة بخروجهم من الإيمان لا بدخولهم في الكفر، بل لهم مَنْزِلَةٌ بين المَنْزِلَتَيْن... إلخ. / شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٥٢٤.

(٤) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق السَّابِق، نَقْلًا عن تَفْسِيْر الوَسِيْط للوَاحِدِيّ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ - النساء ٩٣.

يمتدح به، وهو ما أشار إليه الشاعر:

وإني وإن أوعدتُه أو وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفُ إيعادي ومُنْجِزُ مَوعدي[١]

أما المَاتُرِيْدِيَّة فقالوا بأن الوعيد يمتنع أن يتخلف كما يمتنع تخلف الوعد، وبهٰذَا وافقوا المُعْتَزِلَة[٢].

ودليل إثبات الشفاعة لأهل الكبائر:

١- قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ - النساء ٤٨.

فأهل الكبائر في مشيئته، إن شاء غفر لهم بفضله، وإن شاء عذبهم بعَدْله، ثم يُخرجهم منها برحمته وشفاعة الشَّافِعِيْن من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلىٰ جنته[٣].

٢- قوله ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتِي)[٤].

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٧١. وانظر: تَمْهِيْد الأوائل ص٤٠١. وتقدم البيت في: نشأة المُرْجِئَة.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٧٢. قال البَاجُوْرِيّ: وينبني علىٰ الخلاف بين الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة أنه يَصِحّ علىٰ قول الأَشَاعِرَة أن تقول: اللهم اغفر لجميع المُؤْمِنين جميعَ ذنوبهم، ولا يَصِحّ ذٰلِكَ علىٰ كلام المَاتُرِيْدِيَّة. فظهر أن الخلاف حقيقي وإن جعله بعضُهم لفظياً. / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٧٢.

(٣) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص٢٣٤، وأشار إلىٰ شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة.

(٤) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص٢٣٨.

وحَدِيْث: **شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتِي**. رواه أَحْمَد في مُسْنَده وأبو دَاوُد والنَّسَائِيّ وابن حِبَّان والحَاكِم في المُسْتَدْرَك، عن جَابِر. والطَّبَرَانِيّ في الكَبِيْر، عن ابن عَبَّاس. والخَطِيْب في التاريخ، عن ابن عَمْرو عن كَعْب بن عُجْرَة. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٣٠١.

● الأصل الرابع: المَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن (منزلتي الإيمان والكفر).

وهي مَسْأَلَة حكم مرتكب الكَبِيْرَة[١] إذا مات من غير توبةٍ، التي اعتزل بسببها وَاصِل بن عَطَاء عن مجلس الحَسَن البَصْرِيّ.

---

(١) **الكَبِيْرَة**: هي ما ترتب عليها حدٌّ، أو تُوعِّد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب. **والصَّغِيْرَة**: ما ليس فيها حدٌّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخِرَة. / شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٥٢٥. وانظر: البعد الحَضَارِيّ ص٥٤٣ عن البَرَّادي وغيره.

واختلفت الفِرَق الإسلامِيَّة في تحديد كبائر الذنوب وصغائرها علىٰ أقوال، هي:

أ- جميع الذنوب صغائر لا تضر مرتكبها ما دام علىٰ الإسلام. وهو قول المُرْجِئَة.

ب- جميع الذنوب كبائر، وكل كَبِيْرَة كفرٌ. وهو قول الخَوَارِج.

ج- جميع الذنوب كبائر، ولٰكِن لا يكفَّر مرتكبها إلَّا بما هو كفرٌ منها، كسجودٍ لصنم، ورمي المصحف في القاذورة.

شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣١٨.

وهو قول أبي إسْحَاق الإسْفَرَايِيْنِيّ وأبي بَكْر البَاقِلَّانِيّ وإمَام الحَرَمَيْن في الإرْشَاد وابن القُشَيْرِيّ في المرشد، وحكاه ابن فُوْرَك عن الأَشَاعِرَة، واختاره في تَفْسِيْره.

وإنما يقال لبعضها صَغِيْرَة وكَبِيْرَة بالإضافة إلىٰ ما هو أكبر منها.

وهٰـؤُلَاءِ كرهوا تسمية معاصي الله تعالىٰ صَغِيْرَة نظراً إلىٰ عظمة الله تعالىٰ وشدة عقابه، إجْلَالاً له عَزَّ وجَلَّ عن تسمية معصيته صَغِيْرَة، لأنها بالنَّظَر إلىٰ عظمته كَبِيْرَةٌ وأيُّ كَبِيْرَة. / مُقَدِّمَة الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حَجَر الهَيْتَمِيّ. ونقل عنه السَّالِمِيّ في مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٢٦٦. وانظر: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٣٦٥.

د- الذنوب قسمان: صغائر وكبائر. وهو قول جُمْهُوْر أَهْل السُّنَّة بدليل جُمْلَة من الآيات الكَرِيْمَة والأَحَادِيْث الشَّرِيْفَة. / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣١٨. وانظر كتابنا الشُّوْرَىٰ بين النَّظَرِيَّة والتَّطْبِيْق ص١١٤.

والصَّغِيْرَة قد تعطىٰ حكم الكَبِيْرَة بالإصرار عليها، لا أنها تنقلب كَبِيْرَة، كما قاله ابن حَجَر الهَيْتَمِيّ في شَرْح الأَربَعِين النَّوَوِيَّة، وإن وقع في عبارة بعضهم أنها تنقلب كَبِيْرَة بالإصرار عليها. / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣١٨ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٣٦٦.

ويسمىٰ هٰذَا الأصل بمَسْأَلَة الأسماء والأَحْكَام.

واختلفت الفِرَق الإسلامِيَّة فيها علىٰ أقوال هي:

١- ذهب الخَوَارِج إلىٰ أن مرتكب الكَبِيْرَة كافر.

٢- وذهبت المُرْجِئَة إلىٰ أنه مُؤْمِن، علىٰ التفصيل المتقدّم.

٣- وذهب الحَسَن البَصْرِيّ إلىٰ أنه ليس بمُؤْمِن ولا كافر، وإنما هو منافق. ونحوه قول الإبَاضِيَّة.

٤- وذهب وَاصِل بن عَطَاء، وتبعه عَمْرو بن عُبَيْد، وهما شيخا المُعْتَزِلَة، إلىٰ أنه ليس بمُؤْمِن ولا كافر ولا منافق، وإنما هو فاسق في مَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن: الكفر والإيمان[1]. لٰكِن لا مَانِع من إطلاق اسم المسلم أو المُؤْمِن علىٰ الفاسق تَمْيِيْزاً له عن غير المُسْلِمِيْن، لا مدحاً وتكَرِيْماً[2]. وقول المُعْتَزِلَة هٰذَا هو مَذْهَب الزَّيْدِيَّة[3].

٥- وذهب الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة إلىٰ أن مرتكب الكَبِيْرَة مُؤْمِن، لا تُخْرِجه كَبِيْرته عن دائرة الإيمان، وهو في مشيئة الله تعالىٰ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عاقبه بفسقه ثم أدخله الجنة[4].

---

(١) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٣٧-١٣٨. وانظر: الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٥٢٨ والتَّنْبِيْه والرَّدّ ص٣٦-٣٧ والفَرْق بين الفِرَق ص١١٧ والفِصَل لابن حَزْم ج٤ ص٧٩ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٦٦ وفيه تفصيل أقوال أهل الفِرَق وأدلتهم، ودراسات في الفِرَق ص١١٤.

وقول الإبَاضِيَّة هو نحو قول الحَسَن البَصْرِيّ، ففي شَرْح عَقِيْدَة التَّوْحِيْد لأَطَّفَيِّش ص١٩٦: (واعلم أن مرتكب الكَبِيْرَة عندنا معشر الإبَاضِيَّة الوَهْبِيَّة كافرٌ كفرَ نفاقٍ وكفرَ فسقٍ وكفرَ نعمةٍ وكفرَ جارحةٍ، كل ذٰلِكَ معنىٰ وَاحِد. وهو مَذْهَب الحَسَن البَصْرِيّ، ولا يقال له مُؤْمِن ولا مُسْلِم، وقد يطلق عليه مُؤْمِن ومُسْلِم بمعنىٰ موحِّد).

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٨ نَقْلاً عن ابن أبي الحديد المُعْتَزِلِيّ.

(٣) المَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص١١٩.

(٤) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٧٠و١٨٨ والتَّوْحِيْد للمَاتُرِيْدِيّ ص م٤٥ و ٣٣٥ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٦٦. وسيأتي رأيهم عند ذكر فرقة كل منهم.

ومثل قول الأَشَاعِرَة قول الإمَامِيَّة[1].

وتَقْرِيْر قول المُعْتَزِلَة هو أن مرتكب الكَبِيْرَة:

أ- ليس مُؤْمِناً، لأن المُؤْمِن من اجتمعت فيه خصال الخَيْر، والمُؤْمِن اسم مدح.

ب- وليس منافقاً، لأن المنافق لم يستجمع خصال الخَيْر، ولا استحق اسم المدح، فلا يسمىٰ مُؤْمِناً.

ج- وليس كافراً مطلقاً، لأن الشهادة وسائر أَعْمَال الخَيْر موجودة فيه، لا وجه لإنكارها.

فإذا خرج من الدنيا علىٰ كَبِيْرَة من غير توبة فهو فاسق من أهل النار خالداً فيها، إذ ليس في الآخِرَة إلَّا الفريقان ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ - الشُّوْرَىٰ ٧، لٰكِنه يخفف عنه العذاب، وتكون دَرَكَتُه فوقَ دَرَكَة الكفار[2].

فمرتكب الكَبِيْرَة في منزلةٍ بين الإيمان والكفر اسماً، وإن كان كالكافرين في تأبيد العذاب[3].

---

(١) قال الطُّوْسِيّ في تَجْرِيْد الاعْتِقَاد: (والفاسق مُؤْمِن لوجود حَدِّهِ فيه)، وشَرَحَه العَلاَّمَة الحِلِّيّ في كَشْف المُرَاد ص٤٥٤ بقوله: (اختلف الناس هٰهُنَا، فقالت المُعْتَزِلَة: إن الفاسق لا مُؤْمِن ولا كافرٌ، وأثبتوا مَنْزِلَةً بين المَنْزِلَتَيْن. وقال الحَسَن البَصْرِيّ: إنه منافقٌ. وقالت الزَّيْدِيَّة: إنه كافرٌ كفر نعمةٍ. وقالت الخَوَارِج: إنه كافرٌ. والحق ما ذهب إليه المصنِّف - أي: الطُّوْسِيّ - وهو مَذْهَب الإمَامِيَّة والمُرْجِئَة وأصحاب الحَدِيْث وجَمَاعَة الأَشْعَرِيَّة من أنه مُؤْمِن. والدليل عليه: أن حَدَّ المُؤْمِن وهو المُصَدِّق بقلبه ولِسَانه في جميع ما جاء النَّبِيّ به موجودٌ فيه فيكون مُؤْمِناً).

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٤٢. وفيه سمىٰ المنافق فاسقاً، وفي إثباته اسم المنافق موافقة مع تسمية القَاضِي عبد الجَبَّار آنفة الذكر. والمُعْتَزِلَة قسموا الذنوب إلىٰ صغائر وكبائر، واستحقاق الخلود في النار مُخْتَصّ بالكبائر، بخلاف الخَوَارِج فإن جُمْلَة الذنوب عندهم هي كبائر يستحق مرتكبُها الخلودَ في النار. / الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٣٨٦.

(٣) المُخْتَار من كنوز السُّنَّة النَّبَوِيَّة ص٧٥.

وقد يكون وراء هٰذَا الرأي أُمور سياسية:

فالخَوَارِج يُكفِّرون عَلِيّاً ومُعَاوِيَة وأصحابهما الذين رضوا بالتَّحْكِيْم، فلم يعترفوا بخلافتهم، وكانوا حَرْباً عليهم.

والمُرْجِئَة يرون أن الكل مُؤْمِنون، لذا لم يكونوا أعداء للسلطة ولا خارجين عليها أو ناقمين منها.

أما المُعْتَزِلَة فتوسطوا بين الخَوَارِج والمُرْجِئَة، فلم ينحازوا إلىٰ عُثْمَان أو قاتليه، ولا إلىٰ عَلِيّ أو عَائِشَة في حَرْب الجَمَل، ولا إلىٰ عَلِيّ أو مُعَاوِيَة في حَرْب صِفِّيْن، واختلفوا في الذي يعد منهم بحق فاسقاً[١].

وقال المُعْتَزِلَة: المخالف في أصل المَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن:

إذا قال: حكم صاحب الكَبِيْرَة حكم عَبَدة الأوثان، فإنه يكون كافراً، لأنه خالف دين مُحَمَّد ﷺ بالضرورة.

وإذا قال: حكمه حكم المُؤْمِنين في التَّعْظِيْم والموالاة في الله تعالىٰ، فإنه يكون فاسقاً، لأنه أنكر ما يعلم من الدِّيْن بالضرورة.

وإذا قال: ليس حكمه حكم المُؤْمِن ولا حكم الكافر، ولٰكِن أُسميه مُؤْمِناً، فإنه يكون مخطئاً[٢].

- **الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر.**

الأمر: هو قول القائل لمن دونه في الرتبة: افعلْ.

والنهي: هو قول القائل لمن دونه في الرتبة: لا تفعلْ.

والمعروف: كل فعل عَرَفَ فاعلُه حُسْنَهُ أو دَلَّ عليه.

---

(١) فجر الإسلام ص٢٩١ وما بعدها.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٢٦.

والمُنْكَر: كل فعل عَرَفَ فاعلُه قُبْحَهُ أو دَلَّ عليه[١].

والمقصود بالأمر بالمعروف إيقاع المعروف، وبالنهي عن المُنْكَر زوال المُنْكَر. فإذا ارتفع الغرض بالأمر السَّهْل لم يجز العدول عنه إلىٰ الأمر الصَّعْب، وهٰذَا مما يعلم شرعاً وعقلاً[٢].

وقد أجمعت المُعْتَزِلَة إلَّا الأَصَمّ علىٰ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر، مع الإمكان والقدرة باللِّسَان واليد والسَّيْف، كيف قدروا علىٰ ذٰلِكَ[٣].

ولا خلاف بين الأُمَّة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر. بدليل:

قوله تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ - آل عِمْرَان ١١٠.

وقوله ﷺ: (ليس لعينٍ تَرىٰ الله يُعصىٰ فتطرِف حتىٰ تُغير أو تنتقل).

وانعقد الإجماع علىٰ ذٰلِكَ[٤].

---

(١) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٤١. وانظر: الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٥٤٢.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٤٤ وبعد ذٰلِكَ قال: (أما عقلًا فلأن الوَاحِد منا إذا أمكنه تَحْصِيْل الغرض بالأمر السَّهْل لا يجوز العدول عنه إلىٰ الأمر الصَّعْب، وأما الشَّرْع فهو قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ - الحُجُرَات ٩، فالله تعالىٰ أمر بإصْلَاح ذات البين أولاً، ثم بعد ذٰلِكَ بما يليه، ثم بما يليه، إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ المقاتلة). وانظر: ص٧٤١.

(٣) مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣٣٧.

(٤) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٤٢ و٧٤١. وانظر: التَّنْبِيْه والرَّدّ ص٣٧.

قال القَاضِي عبد الجَبَّار: (أما من خالف في الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر أَصلاً، وقال: إن الله تعالىٰ لم يكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر أَصلاً، فإنه يكون كافراً، لأنه ردّ ما هو مَعْلُوْم ضرورة من دين النَّبيّ ﷺ ودين الأُمَّة، فإن قال: إن ذٰلِكَ مما ورد به التكليف ولٰكِنه مشروط بوجود الإمَام - وهم الإمَامِيَّة - فإنه يكون مخطئاً). / شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٢٦ وانظر ص١٢٤ و٧٤١.

والمُعْتَزِلَة وأَهْل السُّنَّة يتفقون علىٰ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر واجب علىٰ الكِفَايَة[١].

لٰكِن الخلاف بين المُعْتَزِلَة في أن وجوب الأمر والنهي هٰذَا هل يعلم عقلاً أو سمعاً علىٰ قولين:

١- يعلم عقلاً وسمعاً، وهو قول أبي عَلِيّ.

٢- يعلم سمعاً إلَّا في موضع وَاحِد، وهو أن تشَاهد وَاحِداً يظلم غيره، فيلحق قلبَكَ بذٰلِكَ مَضَضٌ، فيلزمك النهي عنه دفعاً لتلك المضرة عن النفس، وبه قال أبو هَاشِم، وهو الصَّحِيْح من المَذْهَب[٢].

وغَايَة المُعْتَزِلَة بهٰذَا الأصل هو التَّطْبِيْق العَمَلِيّ لمبادئ العدالة والحرية في السُّلُوْك الاجتماعي، فالعدالة عندهم لا تنحصر في تجنب الأذىٰ والظلم اللذين يصيبان الفرد، بل هي عَمَل الجَمَاعَة كلها في سَبِيْل إيجاد جو من المساواة والانسجام الاجتماعي، إذ بفضل ذٰلِكَ يتسنىٰ لكل فرد أن يحقق كل مَوَاهِبه[٣].

وبهٰذَا الأصل تصدىٰ المُعْتَزِلَة للزنادقة والمبطِلين، ذائدين عن الإسلام بالحُجَّة والبُرْهَان، ومُنَاظَراتهم وكتاباتهم في التَّوْحِيْد والنُّبُوَّة وإعجاز القُرْآن خَيْر دليل علىٰ ذٰلِكَ[٤].

واتخذوا من الوَسَائِل الفكرية ما مكنهم من ذٰلِكَ التصدي.

فكانوا أسرع الفِرَق الإسلامِيَّة استفادة من الفلسفة اليونانية وصبغها صبغة إسلامِيَّة، وكانوا أول من تسلح من المُسْلِمِيْن بسلاح خصومهم من أصحاب الديانات

---

(١) المُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص٢٧٠ نَقْلًا عن ابن تَيْمِيَّة.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص١٤٢و٧٤٢.

(٣) دراسات في الفِرَق ص١١٦ نَقْلًا عن كوربان.

(٤) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٢٩.

والأفكار الفلسفية، فجادلوهم جدالاً عِلْمِيّاً، وردوا هجمات القائلين بالجَبْر والمنكِرين لله، وما أثار اليَهُوْد والنَّصَارَىٰ والمجوس من شكوك(١).

لٰكِن أبغض المُعْتَزِلَة كثيرون، لأسباب منها:

١ - أنهم خالفوا أهل الحَدِيْث في كثير من آرائهم، فحمل عليهم المُحَدِّثُوْن حملات عنيفة.

٢- أنهم حولوا العَقِيْدَة الإسلامِيَّة البسيطة إلىٰ عَقِيْدَة فلسفية عميقة.

٣- أنهم في أيام سلطتهم في عهد المأمون والمُعْتَصِم لم يكتفوا بالنقاش والمُنَاظَرَة، بل اتخذوا التنكيل بالعُلَمَاء وسجنهم وضربهم سَبِيْلاً لهم، كما حدث مع الإمَام أَحْمَد بن حَنْبَل وغيره من الأَئِمَّة في مَسْأَلَة خلق القُرْآن. وكان ذٰلِكَ سبباً في زوال دولتهم(٢).

فِرَق المُعْتَزِلَة

انقسم المُعْتَزِلَة إلىٰ عشرين فِرْقَة علىٰ ما ذكره المَلَطِيّ(٣)، والبَغْدَادِيّ(٤)، والإسْفَرَايِيْنِيّ(٥)، والإيْجِيّ(٦)، والكَرْمَانِيّ(٧)، والمَقْرِيْزِيّ(٨)، والسَّفَّارِيْنِيّ(٩).

---

(١) فجر الإسلام ص٢٩٩-٣٠٠.

(٢) فجر الإسلام ص٣٠١.

(٣) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص٣٦.

(٤) الفَرْق بين الفِرَق ص١١٤.

(٥) التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٥٧.

(٦) المَوَاقِف ج٨ ص٣٧٨.

(٧) الفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ ص٧.

(٨) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٥.

(٩) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٧٦.

وذكر الرَّازِيّ أنهم سبع عشرة فِرْقَة[١].

وعدَّد منهم الشَّهْرَسْتَانِيّ ثنتي عشرة فِرْقة[٢]، والمَقْدِسِيّ خمس فِرَق[٣]، وذَكَرَ الخُوَارِزْمِيّ[٤] والشيخ عبد القَادِر أنهم ست فِرَق[٥].

وممن كتب في طَبَقَاتهم، ابن المُرْتَضَىٰ في كتابه (المُنْيَة والأَمَل في شَرْح المِلَل والنِّحَل).

ومن أشهر فِرَقهم:

الوَاصِلِيَّة: أتباع وَاصِل بن عَطَاء الغَزَّال، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣١هـ، الذي أخذ عن أبي هَاشِم عبد الله بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة. واعتزاله يدور علىٰ أربع قَوَاعِد، هي: نفي الصفات، والقول بالقَدَر، والقول بالمَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن، وأوجب الخلود في النار علىٰ مرتكب الكَبِيْرَة[٦].

والعَمْرِويَّة: أصحاب عَمْرو بن عُبَيْد[٧]، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢هـ.

---

(١) اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن ص٣٠.

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٤٠-٧٢.

(٣) البَدْء والتاريخ ج٥ ص١٤٢.

(٤) مفاتيح العُلُوْم ص١٨.

(٥) الغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص١٠٤.

(٦) خِطَط المَقْرِيْزِيّ السَّابِق. وانظر: الفَرْق بين الفِرَق، والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، والتَّبْصِيْر في الدِّيْن، والمَوَاقِف، والفِرَق الإسلامِيَّة للكَرْمَانِيّ، السَّابِقَة.

والقول بالقَدَر معناه: إسناد أفعال العِبَاد إلىٰ قَدَرهم. / شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف السَّابِق. وقد تقدّم.

(٧) **عَمْرو بن عُبَيْد** بن بَاب، مَوْلَىٰ بني تَمِيْم، البَصْرِيّ، الزَّاهِد، العابد، كان جَدُّه من سَبْي كَابُل. ومنه تبرأ الشاعر إسْحَاق بن سُوَيْد العَدَوِيّ ومن صاحبه وَاصِل بن عَطَاء الغَزَّال ومن الخَوَارِج وغُلَاة الشِّيْعَة بقوله:

والبِشْرِيَّة: أتباع بِشْر بن المُعْتَمِر، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢١٠هـ.

والنَّظَّامِيَّة: أتباع إبْرَاهِيْم بن سَيَّار النَّظَّام، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٣١هـ.

والهُذَلِيَّة: أتباع أبي الهُذَيْل مُحَمَّد بن الهُذَيْل العَلَّاف، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٣٥هـ.

والجَاحِظيَّة: أتباع أبي عُثْمَان عَمْرو بن بَحْر الجَاحِظ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٥٥هـ.

والجُبَّائِيَّة: أتباع أبي عَلِيّ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب الجُبَّائِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٠٣هـ.

والبَهْشَمِيَّة: أتباع أبي هَاشِم عبد السَّلَام بن أبي عَلِيّ مُحَمَّد الجُبَّائِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٢١هـ.

ولكلٍّ من هٰذِهِ الفِرَق وغيرها آراء تتميز بها عن غيرها.

بَرِئْتُ من الخَوَارِج لستُ منهم ... من الغَزَّال منهم وابنِ بَابِ
ومن قَوْمٍ إذا ذكَروا عَلِيّاً ... يَردُّون السَّلَام علىٰ السَّحابِ

انظر: الفَرْق بين الفِرَق ص١١٩-١٢٠ وهامش ص٢٠. وذكر مُحَقِّقُهُ أن المُبَرِّد رَوَىٰ في الكَامِل هٰذَيْنِ البيتين وذكر بعدهما:

ولٰكِني أُحب بكل قلبي ... وأعلم أَنَّ ذاك من الصوابِ
رَسُوْل الله والصِّدِّيْق حُبّاً ... به أرجو غداً حُسْن الثوابِ

وانظر ترجمة عَمْرو بن عُبَيْد في: تَهْذِيْب الكَمَال للمِزِّيّ ج٥ ص٤٣٦.

الأَشَاعِرَة «الأَشْعَرِيَّة»

شيخ المَذْهَب

الأَشَاعِرَة هم أتباع الإمَام أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ عَلِيّ بن إسْمَاعِيْل بن أبي بِشْر إسْحَاق. ولقِّب بالأَشْعَرِيّ لأن نسبه ينتهي إلىٰ الصَّحَابِيّ أبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

ولد بالبَصْرَة سنة ٢٦٠هـ[٢]. وسكن بَغْدَاد إلىٰ أن توفي بها

(١) نَسَبُ الإمَام الأَشْعَرِيّ ذُكر في: تاريخ بَغْدَاد ج١١ ص٣٤٦ وتَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٣٤ عن الخَطِيْب وغيره و ص١٠٢، والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج١ ص٢٧٣.

وانظر: الفِهْرِسْت لابن النَّدِيْم ص٢٥٧ والمُنْتَظَم لابن الجَوْزِيّ ج١٤ ص٢٩ واللُّبَاب لابن الأَثِيْر ج١ ص٦٤ والكَامِل ج٨ ص٣٩٢ ووَفَيَات الأَعْيَان ج٣ ص٢٨٤ وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٥ والعِبَر ج٢ ص٢٣ وطَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٤٧ والجَوَاهِر المُضِيَّة ج٢ ص٥٤٤ و ج٤ ص٣٣ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٩ وشَذَرَات الذَّهَب ج٢ ص٣٠٣ وإتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٣.

والأَشْعَرِيّ: نسبة إلىٰ (أَشْعَر)، وهي قبيلة مشهورة باليَمَن، منهم أبو مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. / الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج١ ص٢٧٣ ووَفَيَات الأَعْيَان ج٣ ص٢٨٥ عن السَّمْعَانِيّ، واللُّبَاب لابن الأَثِيْر ج١ ص٦٤ وتَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٠٢.

(٢) تاريخ بَغْدَاد عن بعض البَصْرِيِّيْن، والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ، ونقله ابن عَسَاكِر في تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٤٦ عن الوَزَّان، وقال ابن عَسَاكِر أَيضاً: لا أعلم في تاريخ مولده هٰذَا مخالفاً، وابن الجَوْزِيّ عن الوَزَّان، وابن الأَثِيْر في الكَامِل، وابن خَلِّكَان في وَفَيَات الأَعْيَان، والذَّهَبِيّ في السِّيَر، والسُّبْكِيّ في طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ، السَّابِقَة. ونقله أَيضاً ابن كَثِيْر في البِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص١٨٧ ونقل في ص٢٠٤ عن ابن الأَثِيْر، ونقل في ص٢٠٦ عن ابن الجَوْزِيّ، ونقله القُرَشِيّ في الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٢ ص٥٤٥ والزَّبِيْدِيّ في إتْحَاف السَّادَة السَّابِق، قال: وهو

سنة ٣٢٤هـ[1].

الأشهر.

وقيل ولد سنة ٢٧٠هـ. / اللُّبَاب لابن الأَثِيْر، ووَفَيَات الأَعْيَان، وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء، السَّابِقَة. والبِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص١٨٧ والجَوَاهِر المُضِيَّة، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، وإِتْحَاف السَّادَة، السَّابِقَة.

وجاء في خِطَط المَقْرِيْزِيّ أَيضاً: ست وستين وستمائة، وهو تحريف ظَاهِر.

(١) تاريخ بَغْدَاد عن ابن حَزْم.

وذكر سنة وفاته ابن عَسَاكِر في تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٥٦ عن ابن حَزْم وابن فُوْرَك، ورآه الأصح، وانظر ص١٤٧ عن الخَطِيْب وابن فُوْرَك وغيرهما. وذكرها النَّسَفِيّ في تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣٦٠ وابن خَلِّكَان في وَفَيَات الأَعْيَان، والذَّهَبِيّ في العِبَر عن ابن حَزْم، وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء، السَّابِقَة، وهو الأقرب عند السُّبْكِيّ في طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ ج٣ ص٣٥٢. ونقل تَصْحِيْح ابن عَسَاكِر له وذكر ابن فُوْرَك. وذكرها ابن كَثِيْر في البِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص١٨٧ وصَحَّحَهُ في ص٢٠٤، والقُرَشِيّ في الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٢ ص٥٤٥ ونقل في ج٤ ص٣٤ عن أبي المُعِيْن النَّسَفِيّ في تَبْصِرَة الأَدِلَّة. والمَقْرِيْزِيّ في الخِطَط، ونقله ابن العِمَاد في شَذَرَات الذَّهَب عن ابن حَزْم، والزَّبِيْدِيّ في إِتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٣ عن الخَطِيْب، وفي ص٥ تاريخ وفاته عن ابن فُوْرَك والحافظ أبي يَعْقُوْب إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيْم القَرَّاب وأبي مُحَمَّد بن حَزْم، وذكر تَصْحِيْح ابن عَسَاكِر له، وذكر أَيضاً أنه الأشهر.

وذكر المؤرخون في وفاته أقوالاً أُخرىٰ:

– سنة ٣٣٠هـ. / السَّمْعَانِيّ في الأَنْسَاب، وابن الأَثِيْر في الكَامِل ج٨ ص٣٩٢ والذَّهَبِيّ في العِبَر ج٢ ص٢٣ وابن كَثِيْر في البِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص١٨٧ ونقل في ص٢٠٤ عن ابن الأَثِيْر، وابن خَلِّكَان، وابن العِمَاد، والزَّبِيْدِيّ، السَّابِقَة.

– سنة ٣٣١هـ. / ابن الجَوْزِيّ في المُنْتَظَم ج١٤ ص٢٩ وابن كَثِيْر في البِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص٣٠٦ عن المُنْتَظَم.

– سنة نَيِّف وثلاثين وثلاثمائة. / الخَطِيْب في تاريخ بَغْدَاد عن بعض البَصْرِيِّيْن، والسَّمْعَانِيّ، وابن عَسَاكِر في تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٥٦ وقال: لا أراه صَحِيْحاً. ونقله عن الوَزَّان في ص١٤٦، وابن الجَوْزِيّ عن الأَهْوَازِيّ، وابن الأَثِيْر في اللُّبَاب، والسُّبْكِيّ في طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ ج٣ ص٣٥٢، وابن خَلِّكَان،

من شيوخه:

أبو إِسْحَاق المَرْوَزِيّ، الفقيه الشَّافِعِيّ، كان يجلس أيام الجُمَع في حلقته في جَامِع المَنْصُوْر ببَغْدَاد[١]. وابن سُرَيْج الشَّافِعِيّ[٢]. وأبو خَلِيْفَة الجُمَحِيّ[٣]. وزَكَرِيَّا بن يَحْيَىٰ السَّاجِيّ، وأخذ عنه الحَدِيْث[٤]. وسَهْل بن نُوْح[٥]. ومُحَمَّد بن يَعْقُوْب

والقُرَشِيّ في الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٢ ص٥٤٥ ونقل في ج٤ ص٣٤ عن السَّمْعَانِيّ، والزَّبِيْدِيّ السَّابِق.

– بعد الثلاثين. / الذَّهَبِيّ في العِبَر، وابن العِمَاد في شَذَرَات الذَّهَب.

– بضع وثلاثين. / ابن كَثِيْر في البِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص١٨٧ والمَقْرِيْزِيّ في الخِطَط.

– ثلاث وثلاثين. / ابن خَلِّكَان عن ابن عَسَاكِر في التَّبْيِيْن عن بعض البَصْرِيِّيْن وصَحَّحَهُ ابن عَسَاكِر. وقال الذَّهَبِيّ في السِّيَر ص٩٠: ويقال: بقي إلىٰ سنة ثلاثين وثلاثمائة.

– بين العشرين والثلاثين بعد الثلاثمائة. / الخَطِيْب في تاريخ بَغْدَاد ص٣٤٧ وابن عَسَاكِر في تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٥٦و١٤٧ عن الخَطِيْب، وصَحَّحَهُ السُّبْكِيّ في طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ ج٣ ص٣٥٢.

– سنة ٣٢٠هـ. / القُرَشِيّ في الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٤ ص٣٤ نَقْلاً عن السَّمْعَانِيّ. وهو مخالف لما ورد في الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ المطبوع، والزَّبِيْدِيّ السَّابِق.

– بعد سنة ٣٢٠هـ. / السَّمْعَانِيّ في الأَنْسَاب، وابن الأَثِيْر في اللُّبَاب، السَّابِقَان.

(١) تاريخ بَغْدَاد ج١١ ص٣٤٧ والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج١ ص٢٧٤ واللُّبَاب لابن الأَثِيْر ج١ ص٦٤ ووَفَيَات الأَعْيَان ج٣ ص٢٨٤ وطَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٦٧ والبِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص١٨٧ عن ابن خَلِّكَان، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٩ عن الخَطِيْب، وإِتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٣–٤.

(٢) البِدَايَة والنِّهَايَة السَّابِق.

(٣) سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٦ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ السَّابِق.

(٤) البِدَايَة والنِّهَايَة السَّابِق، وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء السَّابِق، والعِبَر ج٢ ص٣ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، وشَذَرَات الذَّهَب ج٢ ص٣٠٣.

(٥) سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، السَّابِقَان.

المُقْرِئ[(١)]. وعبد الرَّحْمٰن بن خَلَف الضَّبِّيّ المِصْرِيّ[(٢)]. ورَوَىٰ عنهم في تَفْسِيْره كَثيراً[(٣)].

ومن شيوخه أَيضاً: أبو عَلِيّ الجُبَّائِيّ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب بن سَلَّام، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٠٣هـ، شيخ المُعْتَزِلَة، زوج أُمّه، أخذ عنه علم الجَدَل والنَّظَر، فصار من أَئِمَّة المُعْتَزِلَة[(٤)].

قال الحُسَيْن بن مُحَمَّد العَسْكَرِيّ: كان الأَشْعَرِيّ تلميذاً للجُبَّائِيّ، وكان صاحب نظر وذا إقدام علىٰ الخصوم، وكان الجُبَّائِيّ صاحب تصنيف وقلم، إلَّا أنه لم يكن قَوِيّاً في المُنَاظَرَة، فكان إذا عرضت مُنَاظَرَة قال للأَشْعَرِيّ: نُبْ عني[(٥)].

وبقي يدافع عن المُعْتَزِلَة أَربَعِين عاماً[(٦)]، ثم رجع عن أقوالهم، ورَقِيَ كرسياً في

---

(١) خِطَط المَقْرِيْزِيّ السَّابِق.

(٢) خِطَط المَقْرِيْزِيّ السَّابِق.

(٣) سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، السَّابِقَان.

(٤) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٩١ عن العَسْكَرِيّ بالأَهْوَاز. وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٦ والعِبَر ج٢ ص٢٣ والمُنْتَظَم لابن الجَوْزِيّ ج١٤ ص٢٩-٣٠ وطَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٤٧ والجَوَاهِر المُضِيَّة ج٢ ص٥٤٥ وفيه: قال مَسْعُوْد بن شَيْبَة في كتاب التَّعْلِيْم: كان حَنَفِيّ المَذْهَب مُعْتَزِلِيّ الكلام، لأنه كان رَبِيبَ (زوج أُمّه) أبي عَلِيّ الجُبَّائِيّ، وهو الذي ربّاه وعلّمه الكلام، ونحوه في ج٤ ص٣٣ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٩ وشَذَرَات الذَّهَب ج٢ ص٣٠٣.

(٥) طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٤٩. وانظر: تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٩١.

قال ابن عَسَاكِر: أما ما ذُكر عنه من رداءة التصنيف... فإنما أريد بذٰلِكَ حالته في الابتداء، لا بعد ما مَنَّ الله عليه به من الاهتداء، فإن تصانيفه مُستحْسَنَة مُهَذَّبة، وتوَالِيفه وعباراته مستجادة مستصوبة. / تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٩١-٩٢.

(٦) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٣٩ عن ابن عَزْرَة و ص٩١ عن العَسْكَرِيّ، والمُنْتَظَم لابن الجَوْزِيّ ج١٤ ص٢٩-٣٠ عن الوَزَّان والأَهْوَازِيّ والسُّبْكِيّ السَّابِق، والبِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص٢٠٦ عن المُنْتَظَم.

المسجد الجَامِع بالبَصْرَة يوم الجمعة، ونادىٰ بأعلىٰ صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه بنفسي، أنا فُلَان بن فُلَان، كنتُ أقول بخلق القُرْآن، وأن الله لا يُرىٰ بالأَبْصَار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مُقْلِعٌ مُعْتَقِدٌ للردّ علىٰ المُعْتَزِلَة... . وأخذ من حينئذٍ في الرد عليهم[1].

رُوي عن أبي بَكْر الصَّيْرَفِيّ أنه قال: كانت المُعْتَزِلَة قد رفعوا رؤوسهم حتىٰ أظهر

---

(١) الفِهْرِسْت لابن النَّدِيْم ص٢٥٧ ووَفَيَات الأَعْيَان ج٣ ص٢٨٥ وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٦و٨٩ وطَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٤٧-٣٤٨ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٩ وأشار إليه ابن كَثِيْر في البِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص١٨٧. وانظر: إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٣.

ونقل ابن الجَوْزِيّ في المُنْتَظَم ج١٤ ص٣٠ عن الأَهْوَازِيّ أنه قال: سمعت أبا عَلِيّ الحُمْرَاني سنة ٣٧٥هـ يقول: لم نشعر يوم جمعة، وإذا بالأَشْعَرِيّ قد طلع علىٰ منبر الجَامِع بالبَصْرَة بعد صلاة الجمعة، ومعه شريط فشَدَّه علىٰ وسطه، ثم قطعه، وقال: اشهدوا أني تائب مما كنتُ فيه من القول بالاعتزال.

وانظر هٰذِهِ الرِّوَايَة في تَبْيِيْن ابن عَسَاكِر ص٤٠ وقال: الحُمْرَاني مجهول.

وقال ابن عَسَاكِر في التَّبْيِيْن ص٣٩: سئل أبو بَكْر إسْمَاعِيْل بن أبي مُحَمَّد بن إسْحَاق الأَزْدِيّ القَيْرَوَانِيّ المعروف بابن عَزْرَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: الأَشْعَرِيّ شيخنا وإمَامنا ومن عليه مُعَوَّلنا، قام علىٰ مَذَاهِب المُعْتَزِلَة أَربَعين سنة، وكان لهم إمَاماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذٰلِكَ خرج إلىٰ الجَامِع فصعِد المنبر، وقال: معاشر الناس، إني إنما تغيبت عنكم في هٰذِهِ المدة، لأني نظرت فتكافأت عندي الأَدِلَّة، ولم يترجح عندي حق علىٰ باطل ولا باطل علىٰ حق، فاستهديت الله تبارك وتعالىٰ، فَهَداني إلىٰ اعْتِقَاد ما أودعته في كتبي هٰذِهِ، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هٰذَا، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمىٰ به، ودفع الكتب إلىٰ الناس، فمنها: كتاب (اللُّمَع)، وكتاب أظهر فيه عَوَار المُعْتَزِلَة سماه بكتاب (كَشْف الأسرار وهتك الأستار)... .

وانظر نحو ذٰلِكَ في طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٤٧-٣٤٨.

الله تعالىٰ الأَشْعَرِيَّ، فحجزهم في أقماع السِّمْسِم[١].

وسبب رجوع أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ عن آراء المُعْتَزِلَة هو أنه: لما تَبَحَّرَ في كلام الاعتزال، كان يورد الأسئلة علىٰ أُستاذه في الدرس، ولا يجد فيها جواباً شافياً، فتحيَّر في ذٰلِكَ، فحُكي عنه أنه قال: وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العَقَائِد، فقمت وصليت ركعتين، وسألت الله تعالىٰ أن يهديني الطريق المُستقِيم، ونمتُ. فرأيتُ رَسُوْل الله ﷺ في المنام، فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر، فقال رَسُوْل الله ﷺ: عليك بسنتي، فانتبهتُ وعارضت مَسَائِل الكلام بما وجدتُ في القُرْآن والأخبار، فأثبتُّه ونبذت ما سواه ورائي ظِهْرِيّاً[٢].

ونقلوا لنا المُنَاظَرَة المشهورة بين الشيخ أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ وشيخه أبي عَلِيّ الجُبَّائِيّ، في قوله: يجب علىٰ الله أن يفعل الأصلح، فقال الأَشْعَرِيّ: بل يفعل ما يشاء[٣].

---

(١) تاريخ بَغْدَاد ج١١ ص٣٤٧ والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج١ ص٢٧٤ وتَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٩٤ ووَفَيَات الأَعْيَان ج٣ ص٢٨٦ وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٦ وطَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٤٩ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٩.

(٢) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٣٨-٣٩ وأورد روايات لهٰذِهِ الرؤيا في ص٣٨-٤٣. وانظر: طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٤٨ وتاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٢٢١ ونقل عن ابن عَسَاكِر والسُّبْكِيّ.

وذكر مفارقة الأَشْعَرِيّ لشيخه الجُبَّائِيّ في: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٢٨.

(٣) سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٩.

وهٰذِهِ المُنَاظَرَة وَرَدَت في: وَفَيَات الأَعْيَان لابن خَلِّكَان ج٤ ص٢٦٧-٢٦٨ في ترجمة أبي عَلِيّ الجُبَّائِيّ، باللفظ الآتي:

(سأل أبو الحَسَن الأَشْعَرِيّ أُستاذه أبا عَلِيّ الجُبَّائِيّ عن ثلاثة إخوة: أحدهم كان مُؤْمِناً بَرّاً تَقِيّاً، والثاني كان كافراً فاسقاً شَقِيّاً، والثالث كان صَغِيْراً، فماتوا، فكيف حالهم؟

فقال الجُبَّائِيّ: أما الزَّاهِد ففي الدَّرَجَات، وأما الكافر ففي الدَّرَكَات، وأما الصَّغِيْر فمن أهل السَّلَامَة.

وهٰذِهِ المُنَاظَرَة دالة علىٰ أن الله تعالىٰ خص من شاء برحمته، وخص آخر بعذابه، وأن أفعاله غير مُعَلَّلة بشيء من الأغراض.

قال ابن خَلِّكَان: ثم وجدتُ في تَفْسِيْر القُرْآن العَظِيْم تصنيف الشيخ فَخر الدِّيْن الرَّازِيّ في سورة الأنعام: أن الأَشْعَرِيّ لما فارق مجلس الأُستاذ الجُبَّائِيّ وترك مَذْهَبه

فقال الأَشْعَرِيّ: إن أراد الصَّغِيْر أن يذهب إلىٰ دَرَجات الزَّاهِد هل يُؤْذَن له؟

فقال الجُبَّائِيّ: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلىٰ هٰذِهِ الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.

فقال الأَشْعَرِيّ: فإن قال ذٰلِكَ الصَّغِيْر: التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتَني ولا أقدرتَني علىٰ الطاعة.

فقال الجُبَّائِيّ: يقول الباري جَلَّ وعلا: كنتُ أعلمُ أنك لو بقيتَ لعصيتَ، وصرتَ مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيتُ مصلحتك.

فقال الأَشْعَرِيّ: فلو قال الأخ الكافر: يا إلٰه العالمين، كما علمتَ حاله فقد علمتَ حالي، فلم راعيتَ مصلحته دوني؟

فقال الجُبَّائِيّ للأَشْعَرِيّ: إنك مجنون.

فقال: لا، بل وقف حِمَار الشيخ في العَقَبَة. فانقطع الجُبَّائِيّ).

وعَقَّبَ ابنُ خَلِّكَان بعد ذكره هٰذِهِ المُنَاظَرَة بقوله: (وهٰذِهِ المُنَاظَرَة دَالَّةٌ علىٰ أَنَّ اللهَ تعالىٰ خَصَّ من شاء برحمته، وخَصَّ آخَرَ بعذابه، وأَنَّ أفعاله غير مُعَلَّلَةٍ بشيءٍ من الأغراض).

وذكر هٰذِهِ المُنَاظَرَة: الذَّهَبِيّ في سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء السَّابق بلفظ آخر، ونقلها ابن العِمَاد في شَذَرَات الذَّهَب ج٢ ص٣٠٣ عن ابن خَلِّكَان، والسُّبْكِيّ في طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ ج٣ ص٣٥٦ وقال: وحكاها الذَّهَبِيّ.

وذكر الإِسْفَرَايِيْنِيّ في التَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٦١ هٰذِهِ المُنَاظَرَة بلفظ آخر رادّاً بها علىٰ النَّظَّام القائل: يجب علىٰ الله تعالىٰ أن يفعل بالعبد ما فيه صَلَاح العبد، مبيناً أن الوجوب علىٰ الله محال.

ونقلها الغُرَابِيّ في تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة ص٢٢٢ عن السُّبْكِيّ وابن خَلِّكَان، وأشار إلىٰ الإِسْفَرَايِيْنِيّ.

وكثر اعتراضه علىٰ أقاويله عظمت الوحشة بينهما[١].

ورأىٰ الأُستاذ الغُرَابِيّ أن ترك الأَشْعَرِيّ الاعتزال ومبادئه أمرٌ غامض، لأن تلمذة الأَشْعَرِيّ أَربَعِين عاماً للمُعْتَزِلَة تجعل من الصَّعْب أن نصدِّق أن الأَشْعَرِيّ ترك الاعتزال لمجرد مُنَاظَرته أُستاذه الجُبَّائِيّ، وأن أُستاذه لم يجبه الجواب المُقْنِع.

فقد يختلف الأُستاذ وتلميذه في الكثير من المَسَائِل، لٰكنهما يبقيان في إطار المَذْهَب، كما اختلف النَّظَّام مع أبي الهُذَيْل، واختلف أبو عَلِيّ الجُبَّائِيّ مع أبي الهُذَيْل.

ومن الصَّعْب استخلاص الحقيقة بسهولة، لأن أصحاب الفِرَق يتعصب كل وَاحِد منهم لأصحاب مَذْهَبه، فيخفض من شأن خصومه، ويرفع من شأن أصحاب مَذْهَبه[٢].

فارق أبو الحَسَن الأَشْعَرِيّ شيخَه أبا عَلِيّ الجُبَّائِيّ، وانضم إلىٰ ابن كُلَّاب أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن سَعِيْد بن كُلَّاب القَطَّان، وبنىٰ علىٰ قَوَاعِده، وسلك بعض طريقه[٣].

وتنشَّق من أُصُوْل المُعْتَزِلَة، واتخذ مَذْهَباً لنفسه، وردَّ علىٰ المُعْتَزِلَة.

ولما دفع الأَشْعَرِيّ كتبه إلىٰ الناس، بعد خروجه علىٰ المُعْتَزِلَة، ككتاب اللُّمَع وكَشْف الأسرار، قرأها أهل الحَدِيْث والفِقْه من أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، فأخذوا بما فيها وانتحلوه، واعتقدوا تقدمه، واتخذوه إمَاماً حتىٰ نسب مَذْهَبهم إليه[٤].

فالْتَامَ عليه جَمَاعَة، كالبَاقِلَّانِيّ، وابن فُوْرَك، وأبي الحَسَن الطَّبَرِيّ.

وعن ابن البَاقِلَّانِيّ وابن فُوْرَك أخذ جَمَاعَة من أصحاب الشَّافِعِيّ كالإِسْفَرَايِيْنِيّ

---

(١) وَفَيَات الأَعْيَان ج٤ ص٢٦٧-٢٦٨ في ترجمة أبي عَلِيّ الجُبَّائِيّ.

(٢) تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة للغُرَابِيّ ص٢٢٣-٢٢٤.

(٣) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٩.

(٤) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٣٩.

وغيره، وهم رؤساء الأَشَاعِرَة، وعنهم انتشر مَذْهَبه[١] الكلامي.

مَذْهَبه الكلامي:

ذهب العُلَمَاء إلىٰ أن مَذْهَب الإمَام الأَشْعَرِيّ هو علىٰ ما كان عليه أهل السَّلَف أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة.

قال ابن عَسَاكِر: لم يُحْدث الأَشْعَرِيّ في دين الله حَدَثاً، ولم يأتِ فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن ومن بعدهم من الأَئِمَّة في أُصُوْل الدِّيْن فنصرها بزِيَادَة شَرْح وتَبْيِيْن...، فكان في بَيَانه... نصرة أقاويل من مضىٰ من الأَئِمَّة كأبي حَنِيْفَة وسُفْيَان الثَّوْرِيّ من أهل الكُوْفَة، والأَوْزَاعِيّ وغيره من الشَّام، ومَالِك والشَّافِعِيّ من الحَرَمَيْن والحِجَاز، وأَحْمَد بن حَنْبَل من أهل الحَدِيْث واللَّيْث بن سَعْد وغيره، والبُخَارِيّ ومُسْلِم من حُفَّاظ السُّنَن[٢].

قال السُّبْكِيّ: إن أبا الحَسَن لم يُبدع رأياً، ولم يُنشِ مَذْهَباً، وإنما هو مقرِّر لمَذَاهِب السَّلَف، مناضل عما كانت عليه صَحَابَة رَسُوْل الله ﷺ.

---

(١) الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٤ ص٣٣-٣٤.

(٢) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٠٣.

كتب أبو القَاسِم عبد الكَرِيْم بن هَوَازِن القُشَيْرِيّ كتاباً فيه: اتفق أهل الحَدِيْث أن أبا الحَسَن عَلِيّ بن إسْمَاعِيْل الأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان إمَاماً من أَئِمَّة أصحاب الحَدِيْث، ومَذْهَبه مَذْهَب أصحاب الحَدِيْث، تكلم في أُصُوْل الديانات علىٰ طريقة أَهْل السُّنَّة، وردّ علىٰ المخالفين من أهل الزَّيْغ والبدعة، وكان علىٰ المُعْتَزِلَة والرَّوَافِض والمبتدعين من أهل القِبْلَة والخارجين من المِلَّة سَيْفاً مسلولاً، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لِسَان السوء في جميع أَهْل السُّنَّة. بذلنا خطوطنا طائعين بذٰلِكَ في هٰذَا الذكْر، في ذي القعدة سنة ست وثلاثين وأربعمائة.

وفيه خطوط أبي عبد الله الخَبَّازِيّ المُقْرِئ، والإمَام أبي مُحَمَّد الجُوَيْنِيّ... وآخرين.

وبينوا أن طريقته هي طريقة أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، ودينه واعْتِقَاده مرضي مقبول. / تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١١٣-١١٤.

فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد علىٰ طريق السَّلَف نطاقاً، وتمسك به، وأقام الحجج والبَرَاهِيْن عليه، فصار المقتدي به في ذٰلِكَ، السالكُ سَبِيْله في الدلائل، يسمىٰ أَشْعَرِيّاً. . . .

وقد ذكر شيخ الإسلام عِزّ الدِّيْن بن عبد السَّلَام أن عقيدته اجتمع عليها الشَّافِعِيَّة والمَالِكِيَّة والحَنَفِيَّة وفضلاء الحَنَابِلَة، ووَافَقَهُ علىٰ ذٰلِكَ من أهل عَصْره شيخ المَالِكِيَّة في زمانه أبو عَمْرو بن الحَاجِب، وشيخ الحَنَفِيَّة جمال الدِّيْن الحَصِيْرِيّ(١). وأقرَّه علىٰ ذٰلِكَ التَّقِيّ السُّبْكِيّ فيما نقله عنه ولده التَّاج(٢).

والإمَام أبو الحَسَن الأَشْعَرِيّ من أَعْلَام أَهْل السُّنَّة، وهو الذي صار شَجَى في حلُوق القَدَرِيَّة(٣).

مَذْهَبه الفِقْهِيّ:

لما كثرت توَالِيفه، ونَصَرَ مَذْهَب السُّنَّة، وردَّ فيها علىٰ المُعْتَزِلَة، تعلق بها

---

(١) طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٦٥، وانظر: ص٣٧٣ وفيها أيضاً قوله: ومن كلام ابن عَسَاكِر حافظ هٰذِهِ الأُمَّة الثِّقَة الثَّبْت: هل من الفُقَهَاء الحَنَفِيَّة والمَالِكِيَّة والشَّافِعِيَّة إلَّا موافق الأَشْعَرِيّ؟. ونقله الزَّبِيْدِيّ في إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٥.

(٢) إتْحَاف السَّادَة السَّابِق.

وقال المَازِرِيّ: لم يكن أبو الحَسَن أول متكلم بلِسَان أَهْل السُّنَّة، إنما جرىٰ علىٰ سُنَن غيره، وعلىٰ نصرة مَذْهَب معروف، فزاد المَذْهَب حُجَّة وبَيَاناً، ولم يبتدع مَقَالَة اخترعها، ولا مَذْهَباً انفرد به، ألا ترىٰ أن مَذْهَب أهل المَدِيْنَة نسب إلىٰ مَالِك، ومن كان علىٰ مَذْهَب أهل المَدِيْنَة يقال له: مَالِكِيّ، ومَالِك إنما جرىٰ علىٰ سُنَن من كان قبله، وكان كثير الاتباع لهم، إلَّا أنه لما زاد المَذْهَب بَيَاناً وبسطاً عُزِي إليه، كذٰلِكَ أبو الحَسَن الأَشْعَرِيّ، لا فرق، ليس له في مَذْهَب السَّلَف أكثر من بسطه وشرحه وتوَالِيفه في نصرته. / طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٦٧ في معرض ذكر تقريظ المَازِرِيّ المَالِكِيّ للشيخ أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ. وذكره الزَّبِيْدِيّ في إتْحَاف السَّادَة السَّابِق.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ص٣٦٤.

أَهْل السُّنَّة من المَالِكِيَّة والشَّافِعِيَّة وبعض الحَنَفِيَّة، لذا نُسب إلىٰ المَالِكِيَّة، وإلىٰ الشَّافِعِيَّة[١]، والحَنَفِيَّة.

فقيل: إنه كان حَنَفِيّ المَذْهَب[٢].

وقيل: إنه شَافِعِيّ المَذْهَب، تَفَقَّهَ علىٰ أبي إسْحَاق المَرْوَزِيّ[٣].

وقيل: إنه مَالِكِيّ[٤].

وبيّن الكَوْثَرِيّ سبب تجاذب أصحاب المَذَاهِب إياه: هو أنه كان ينظر في فِقْه المَذَاهِب، ولا يتحزب لبعضها علىٰ بعض، بل يُنسب إليه القول بتصويب المجتهدين في الفُرُوْع، وهٰذَا مما سَهَّل له جمع كلمة أَهْل السُّنَّة حول دعوته الحقة، بل كان يقول

---

(١) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١١٧.

(٢) الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٢ ص٥٤٥ عن مَسْعُوْد بن شَيْبَة في كتاب التَّعْلِيْم، وأَيضاً في ج٤ ص٣٣. وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٩ عن مَسْعُوْد بن شَيْبَة في كتاب التَّعْلِيْم. وتَعْلِيْق الكَوْثَرِيّ علىٰ تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١١٧ الهامش.

(٣) طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٥٢ ورجّحه، وقال: نص علىٰ ذٰلِكَ الأُستاذ أبو بَكْر بن فُوْرَك في طَبَقَات المتكلمين، والأُستاذ أبو إسْحَاق الإسْفَرَايِيْنِيّ فيما نقله عنه الشيخ أبو مُحَمَّد الجُوَيْنِيّ في شَرْح الرِّسَالَة.

وقال السُّبْكِيّ أَيضاً في ج٣ ص٣٦٧: وقد ذكر غير وَاحِد من الأثبات أن الشيخ كان يأخذ مَذْهَب الشَّافِعِيّ عن أبي إسْحَاق المَرْوَزِيّ، وأبو إسْحَاق المَرْوَزِيّ يأخذ عنه علم الكلام، ولذٰلِكَ كان يجلس في حلقته. وانظر: إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٤.

(٤) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي السَّابِق، وطَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٥٢ وقال: ليس بصَحِيْح، و ص٣٦٦ وردَّ عليه. وكلاهما نَقْلاً عن المَايُرْقِيّ الكَلَاعِيّ من أَئِمَّة المَالِكِيَّة.

وذكر الزَّبِيْدِيّ في إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٤ أن ممن قال إنه مَالِكِيّ: القَاضِي عِيَاض في كتابه المَدَارِك، والكَلَاعِيّ اليورقي من أَئِمَّة المَالِكِيَّة، وفيه توجيهه.

للحَنَابِلَة: أنا علىٰ مَذْهَب أَحْمَد كما في الإبَانَة[١].

قال الزَّبِيْدِيّ: ولـِمَ لا يكون الشيخ عارفاً بالمَذْهَبِيّن يفتي بهما كما كان ابن دَقِيْق العِيْد وغيره من جهابذة العُلَمَاء، ويكون دعوىٰ كل من الفريقين صَحِيْحاً[٢]؟

تصانيفه:

كان عَجَباً في الذكاء وقوة الفهم، له تصانيف جَمَّة تقضي له بسعة العلم[٣].

ذكر ابن حَزْم أنها خمسة وخمسون تصنيفاً[٤].

لٰكِن ذكر ابن عَسَاكِر: أن ابن حَزْم ترك من عدد مُصَنَّفَاته أكثر من مقدار النصف، وذكرها ابن فُوْرَك مسماة تَزِيْد علىٰ الضعف[٥].

---

(١) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي، هامش ص١١٧.

والأَشْعَرِيّ في هٰذِهِ المَسْأَلَة يقول بتصويب المجتهدين في الفُرُوْع، وبهٰذَا يخالف الإمَام الشَّافِعِيّ. / تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١١٥.

وقول الأَشْعَرِيّ أنه علىٰ قول أَحْمَد بن حَنْبَل في كتابه الإبَانَة، حيث قال في الإبَانَة: (قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عَزَّ وجَلَّ وبسُنَّة نبينا مُحَمَّد ﷺ، وما روي عن السَّادَة الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن وأَئِمَّة الحَدِيْث، ونحن بذٰلِكَ مُعْتَصِمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حَنْبَل نَضَّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته، قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمَام الفاضل، والرئيس الكَامِل، الذي أَبَان اللهُ به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المِنْهَاج، وقمع به بدع المبتدعين وزَيْغ الزائغين وشك الشاكّين، فرحمة الله عليه من إمَام مُقَدَّم، وجَلِيْل معظَّم، وكَبِيْر مُفْهِم). / الإبَانَة للأَشْعَرِيّ ص٢٠-٢١.

(٢) إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٤.

(٣) سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٦-٨٧.

(٤) تاريخ بَغْدَاد، والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ، وتَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي، ووَفَيَات الأَعْيَان، والعِبَر، والبِدَايَة والنِّهَايَة، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، وشَذَرَات الذَّهَب، السَّابِقَة.

(٥) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٩٢.

قال أبو الحَسَن الأَشْعَرِيّ في كتابه (العمد في الرؤية): صنفتُ: الفُصُوْل في الردّ علىٰ الملحِدِين، وهو اثْنَا عَشَر كتاباً، وكتاب الموجز، وكتاب خلق الأَعْمَال، وكتاب الصفات وهو كَبِيْر تكلمنا فيه علىٰ أصناف المُعْتَزِلَة والجَهْمِيَّة، وكتاب الرؤية بالأَبْصَار،... وكتاب إِيْضَاح البُرْهَان، وكتاب اللُّمَع في الردّ علىٰ أهل البدع، وكتاب الشَّرْح والتفصيل، وكتاب النقض علىٰ الجُبَّائِيّ... وكتاباً في الصفات هو أكبر كتبنا نقضنا فيه ما كنا أَلَّفناه قديماً فيها علىٰ تَصْحِيْح مَذْهَب المُعْتَزِلَة، لم يؤلف لهم كتاب مثله، ثم أَبَان الله لنا الحق فَرَجعنا، وتَفْسِيْر القُرْآن...[1].

وله كتاب الإِبَانَة، ومَقَالَات الإسلامِيِّيْن، وكلاهما مطبوع متداول.

وهٰذِهِ الكتب رد بها علىٰ: الملحِدة، والمُعْتَزِلَة، والرَّافِضَة، والجَهْمِيَّة، والخَوَارِج، وسائر أصناف المبتدعة[2].

علمه:

قال الأُستاذ أبو إِسْحَاق إِبْرَاهِيْم بن مُحَمَّد الإِسْفَرَايِيْنِيّ الفقيه الأُصُوْلِيّ: كنتُ في جنب الشيخ أبي الحَسَن البَاهِلِيّ كقطرة في البَحْر. وقال الشيخ أبو الحَسَن البَاهِلِيّ: كنت أنا في جنب الشيخ الأَشْعَرِيّ كقطرة في جنب البَحْر[3].

وقيل لأبي بَكْر بن الطَّيِّب البَاقِلَّانِيّ: كلامك أفضل وأَبْيَن من كلام أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: والله إن أفضل أحوَالِي أن أفهم كلام أبي الحَسَن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

---

(١) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٢٨ وما بعدها، وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء السَّابِق. وذكر بعض هٰذِهِ الكتب: ابن النَّدِيْم، وابن خَلِّكَان، والمَقْرِيْزِيّ. وذكر ابن كَثِيْر في البِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص١٨٧ الموجز فقط.

(٢) تاريخ بَغْدَاد ج١١ ص٣٤٦-٣٤٧ ووَفَيَات الأَعْيَان ج٣ ص٢٨٥.

(٣) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٢٥ وإِتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٤ عن ابن كَثِيْر.

(٤) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٢٥-١٢٦ وأشار إليه الذَّهَبِيّ في السِّيَر ج١٥ ص٨٦ والزَّبِيْدِيّ السَّابِق.

وعُدَّ المجدِّد علىٰ رأس المئة الثالثة، المشار إليه بالحَدِيْث: (إن الله يبعث لهٰذِهِ الأُمَّة علىٰ رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دينها). وصَوَّبه ابن عَسَاكِر بحُجَّة: أن قيامه بنصرة السُّنَّة إلىٰ تجديد الدِّيْن أقرب، فهو الذي انتدب للرد علىٰ المُعْتَزِلَة وسائر أصناف المبتدِعة[١].

عيشته:

كان قانعاً متعففاً[٢]. وكان يأكل من غَلَّة ضَيعةٍ وقفها جَدُّه بِلَال بن أبي بُرْدَة عَامِر بن أبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ علىٰ عَقِبه[٣].

وكانت نفقته في كل سنة سبعة عشر درهماً[٤]، كل شهر درهم وشيء يسير[٥].

وكان فيه دُعَابَة ومَزْح كَبِيْر[٦].

---

(١) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص٥٣، وانظر: ص١٠٣.

وحَدِيْث: **إن الله يبعث لهٰذِهِ الأُمَّة**... إلخ، أَخْرَجَهُ أبو دَاوُد في سُنَنه، والحَاكِم في مُسْتَدْرَكه، والبَيْهَقِيّ في المَعْرِفَة، عن أبي هُرَيْرَة. وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص١١٥.

(٢) العِبَر ج٢ ص٢٣ وشَذَرَات الذَّهَب ج٢ ص٣٠٣ عن العِبَر.

(٣) تاريخ بَغْدَاد ج١١ ص٣٤٧ نَقْلًا عن خادم أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ، والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج١ ص٢٧٤ وتَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٤٢ ووَفَيَات الأَعْيَان ج٣ ص٢٨٦ عن الخَطِيْب، وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٩ وطَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٥١ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٩ وإتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٤.

(٤) تاريخ بَغْدَاد، والأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ، وتَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي، وطَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، وإتْحَاف السَّادَة، السَّابِقَة.

وورد في وَفَيَات الأَعْيَان ج٣ ص٢٨٦: (في كل يوم) نَقْلاً عن الخَطِيْب، وهو تحريف، إذ الوارد في الخَطِيْب وغيره: (في كل سنة).

وورد في البِدَايَة والنِّهَايَة ج١١ ص١٨٧: (سبعة عشر ألف درهم) وهو تحريف.

(٥) طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٥١ وإتْحَاف السَّادَة السَّابق.

(٦) الفِهْرِسْت لابن النَّدِيْم ص٢٥٧ ووَفَيَات الأَعْيَان ج٣ ص٢٨٥ وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء عن ابن خَلِّكَان، والبِدَايَة والنِّهَايَة، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، السَّابِقَة.

عِبَادته:

واجتهاد الشيخ في العِبَادَة أمر غَرِيْب.

رَوَىٰ ابن عَسَاكِر بسَنَده إلىٰ أبي الحُسَيْن السَّرَوِيّ أنه قال: كان الشيخ أبو الحَسَن - يعني: الأَشْعَرِيّ - قريباً من عشرين سنة يصلي صلاة الصبح بوُضُوْء العَتَمَة، وكان لا يحكي عن اجتهاده شَيئاً إلىٰ أحد[١].

ورَوَىٰ أَيضاً عن خادمه أنه قال: خدمتُ الإمَام أبا الحَسَن بالبَصْرَة سنين، وعاشرته ببَغْدَاد إلىٰ أن توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلم أجد أورع منه، ولا أَغضَّ طَرْفاً، ولم أَرَ شيخاً أكثر حياء منه في أُمور الدنيا، ولا أنشط منه في أُمور الآخِرَة[٢].

آراء الأَشْعَرِيّ

ذكر الشيخ الأَشْعَرِيّ آراءه في كتبه، وأهمها مَقَالَات الإسلامِيِّيْن، والإبَانَة، واللُّمَع، ونقلها عنه تلاميذه وشيوخ مَذْهَبه. ومن تلك الآراء:

١- أثبت الصفات الإلٰهِيَّة الوَارِدَة بالقُرْآن والسُّنَّة.

وصفاته تليق بذاته تعالىٰ، لا تشبه صفات المخلوقين، فالله سُبْحَانَهُ قَادِر بقدرة ليست كقدرة المخلوق، وعالم بعلم ليس كعلم المخلوق، وسَمِيْع بسمع ليس كسمع المخلوق...[٣].

---

(١) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٤١. وانظر: طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٥١، ونقله الزَّبِيْدِيّ في إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٤ عن بُنْدَار خادمه.

(٢) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي السَّابِق.

(٣) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٤٩ عن أبي المَعَالِي بن عبد الملك، والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٨٢.

وصفاته أزلية، قائمة بذاته تعالىٰ، فلا يقال: هي هو، ولا هي غيره، ولا لا هي هو، ولا لا غيره[١].

فكان وسطاً بين نُفاة الصفات المعطِّلة، وبين المجسِّمة القائلين بأن لله علماً كالعُلُوْم، وقُدرةً كالقُدَر، وسمعاً كالأَسْمَاع[٢].

لذٰلِكَ سُمِّيَ الأَشَاعِرَة بالصِّفَاتِيَّة، لإثباتهم صفات الله تعالىٰ القديمة[٣].

٢- الله سُبْحَانَهُ هو الخَالِق حقيقة، لا يشاركه في الخلق غيره، وجميع أفعال العِبَاد مخلوقة مُبْدَعَة من الله تعالىٰ، وهي مكتسبة للعبد[٤]. وبالكسب يكون التكليف، ويكون الثواب والعقاب[٥].

والكسب عنده هو الاقتران بين الفعل الذي هو مخلوق لله تعالىٰ، واخْتِيَار العبد، من غير أن يكون للعبد تَأْثِيْر في هٰذَا الكسب[٦]. فالله تعالىٰ قد أجرىٰ العادة بخلق الفعل عند قُدرة العبد وإرادته، لا بقُدرة العبد وإرادته[٧].

وعلىٰ هٰذَا يكون الكسب مخلوقاً لله تعالىٰ كالفعل نفسه. وقد قرر العُلَمَاء أن ذٰلِكَ

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٥٩.

(٢) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي السَّابِق.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٨١ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٦٠.

(٤) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٦٠. وانظر: تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٤٩ والإِنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٤٥ وتَمْهِيْد الأوائل ص٣٤١. وقول الأَشْعَرِيّ في خلق الأَعْمَال وأدلته من النقل والعقل في كتابه اللُّمَع ص٦٩ وما بعدها.

(٥) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٤.

(٦) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة السَّابِق. قال المَقْرِيْزِيّ في الخِطَط ج٢ ص٣٦٠: الكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد.

(٧) دراسات في الفِرَق ص٢٦٩ عن المَوَاقِف، والإِنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ، وإحياء عُلُوْم الدِّيْن، والتَّبْصِيْر في الدِّيْن.

يؤدي إلىٰ الجَبْر لا محالة[١].

فكان الأَشْعَرِيّ وسطاً بين الجَهْمِيَّة الجَبْرِيَّة القائلين بأن العبد مُجْبَر لا يقدر علىٰ إحداث شيء ولا علىٰ كسب شيء، وبين المُعْتَزِلَة القائلين بأن العبد يقدر علىٰ إحداث الفعل وكسبه[٢].

٣- الحُسْن والقُبْح شَرْعِيّ، أي: لا يعلم استحقاق المدح أو الذم، ولا الثواب أو العقاب شرعاً علىٰ الفعل إلَّا من جهة الشَّرْع[٣].

فالحَسَن عند الأَشَاعِرَة حَسَن لأن الله أمر به، والقبيح قبيح، لأن الله تعالىٰ نهىٰ عنه[٤].

فلا يمكن للعقل أن يعرف حكم الله تعالىٰ في أفعال المكلفين إلَّا بواسطة رسله وكتبه، لأن العُقُوْل تختلف، فبعضها يُحَسِّن بعض الأفعال، وآخر يقبِّحها، وكَثيراً ما يكون التَّحْسِيْن والتَّقْبِيْح مبنياً علىٰ الهوىٰ. فمقياس الحُسْن والقُبْح عند الأَشَاعِرَة هو الشَّرْع لا العقل.

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة السَّابِق.

(٢) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي السَّابِق.

(٣) تَشْنِيْف المَسَامِع ج١ ص٤٥، وذكر الأَشَاعِرَة باسم أَهْل السُّنَّة.

قال ابن السُّبْكِيّ في جَمْع الجَوَامِع: (والحَسَن والقبيح بمعنىٰ ملاءمة الطبع ومنافرته، وصفة الكَمَال والنقص، عقلي، وبمعنىٰ ترتب الذم عاجلاً والعقاب آجلاً شَرْعِيّ، خلافاً للمُعْتَزِلَة).

وانظر كلام الرَّازِيّ في المَحْصُوْل ج١ ص١٢٣ وما بعدها، عن هٰذِهِ الأقوال التي ذكرها ابن السُّبْكِيّ، وانظر أَيضاً: إرْشَاد الفُحُوْل للشَّوْكَانِيّ ج١ ص٥٤، والإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٥٠ وفيه: (جميع قَوَاعِد الشَّرْع تدل علىٰ أن الحَسَن ما حَسَّنَهُ الشَّرْع وجوزه وسوغه، والقبيح ما قبحه الشَّرْع وحرمه ومنع منه لا من حيث الصورة).

(٤) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٢.

وبناءً عليه: لا يثاب الإنسان علىٰ فعل شيء، ولا يعاقب علىٰ تركه، إلَّا إذا بلغته دعوة رَسُوْل تُعرِّفه ما يجب عليه فعله وما يجب عليه تركه، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾- الإسراء ١٥. فمن عاش في عزلة تامة لم تبلغه دعوة رَسُوْل ولا شرعه فهو غير مكلف من الله بشيء، ولا يستحق ثواباً ولا عقاباً. ومثلهم أهل الفترة، وهم من عاشوا بعد موت رَسُوْل وقبل مبعث رَسُوْل، فهٰؤُلَاءِ غير مكلفين بشيء من الله تعالىٰ[1].

٤- أفعال الله تعالىٰ لا تُعلَّل[2]. فالأَشَاعِرَة ذهبوا إلىٰ منع التَّعْلِيْل[3].

ومن حججهم:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾- الأنبياء ٢٣ [4].

ب- لو كان الفعل لغرض، للزم أن يكون الفاعل ناقصاً في نفسه، مستكملاً في غيره، ويتعالىٰ الله سُبْحَانَهُ عن ذٰلِكَ[5].

---

(١) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٩٧-٩٨.

ومن المحققين من رد هٰذَا القسم إلىٰ الأول، وقال: إنه في الحقيقة راجع إلىٰ الألم واللذة.

ولهٰذَا سلَّم الرَّازِيّ في آخر عُمَره ما ذكره في كتابه نِهَايَة العُقُوْل: إن الحُسْن والقُبْح العقليين ثَابِتان في أفعال العِبَاد، لأن معناهما يؤول إلىٰ اللذة والألم. / تَشْنِيْف المَسَامِع ج١ ص٤٥.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٢.

(٣) تَعْلِيْل الأَحْكَام ص٩٧.

(٤) تَعْلِيْل الأَحْكَام ص١٠٢ واستبعد الاستدلال بها، وتاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة السَّابِق.

(٥) نَظَرِيَّة المَقَاصِد للريسوني ص٢٢٧ عن السُّبْكِيّ في الإبهاج ج٣ ص٦٢. ونَظَرِيَّة المَقَاصِد أَيضاً ص٢٢٨ عن ابن عاشور في تَفْسِيْره التَّحْرِيْر والتَّنْوِيْر ج١ ص٣٨٠. وذكره شَلَبِي في تَعْلِيْل الأَحْكَام ص٩٧ وفي ص١٠٠ وردَّه.

ج- إذا كان الفعل لغرض، كان الغرض سبباً يقتضي عجز الفاعل[١]. أي: أن الغرض مُحْتَاج إلىٰ غرض آخر، والآخر إلىٰ آخر، وهٰذَا يلزم التسلسل، وهو باطل[٢].

واختلفت عبارات الأَشَاعِرَة في بَيَان معنىٰ منع التَّعْلِيْل، هل هو استحالة التَّعْلِيْل، أو عدم وجوبه؟

فقال بعضهم باستحالة التَّعْلِيْل.

وقال الآخرون: حقيقة مَذْهَب الأَشَاعِرَة أنه لا يجب التَّعْلِيْل، لأنه في مُقَابَلَة قول المُعْتَزِلَة بالوجوب، ومُقْتَضَىٰ هٰذَا القول أنه يجوز، وهو ما عبَّر بعضهم عنه بأن أفعال الله سُبْحَانَهُ مُعَلَّلة بالمصالح تفضلاً وإحساناً[٣].

٥- كل موجود يَصِحّ أن يرىٰ، والله تعالىٰ موجود، فيَصِحّ أن يُرىٰ، وقد صح السمع بأن المُؤْمِنين يرونه في الآخِرَة في القُرْآن والسُّنَّة[٤].

لٰكِن يرىٰ من غير حُلُوْل ولا حدود ولا تكييف[٥]، أي: لا يجوز أن يرىٰ في مكان وصورة ومُقَابَلَة واتصال شعاع، فذٰلِكَ كله محال[٦].

---

(١) التَّحْرِيْر والتَّنْوِيْر السَّابِق، وردَّ هاتين الحجتين. ونقل الريسوني في نَظَرِيَّة المَقَاصِد الرد علىٰ هٰذَا القول عن ابن الهُمَام وصَدْر الشَّرِيْعَة.

(٢) تَعْلِيْل الأَحْكَام ص١٠٠ وأورد حججاً أُخرىٰ ورد عليها.

(٣) تَعْلِيْل الأَحْكَام ص٩٧.

قال السُّبْكِيّ في الإبهاج ج٣ ص١٥٣٣: (المتكلمون - يريد الأَشَاعِرَة - لم يقولوا بتَعْلِيْل الأَحْكَام بالمصالح، لا بطريق الوجوب ولا الجواز، وهو اللائق بأُصُوْلهم...، وقد قالوا: لا يجوز أن تعلل أفعال الله تعالىٰ). ونقله عنه الريسوني في: مَقَاصِد الشَّرِيْعَة ص٢٢٧.

(٤) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٨٧ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٦٠. وانظر قول الأَشْعَرِيّ هٰذَا في كتابه الإبَانَة ص٥١ وكلامه عن الرؤية في اللُّمَع ص٦١ وما بعدها.

(٥) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٤٩.

(٦) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، السَّابِقَان.

فكان وسطاً بين المُشَبِّهَة القائلين بأن الله تعالىٰ يرىٰ مُكَيَّفاً محدوداً كسائر المرئيات، وبين المُعْتَزِلَة والجَهْمِيَّة وموافقيهم القائلين بأن الله لا يرىٰ بحال من الأحوال[1].

٦- في الألفاظ الوَارِدَة في القُرْآن والسُّنَّة الموهِمة للتشبيه مثل:

اليد في قوله تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ - الفَتْح ١٠.

والوجه في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ - الرَّحْمٰن ٢٧.

والاستواء في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ - طه ٥.

والنُّزُوْل في قوله ﷺ: (يَنزل ربُّنا تبارك وتعالىٰ كلَّ ليلة إلىٰ السماء الدنيا حين يَبقىٰ ثُلُثُ الليل الآخِرُ، فيقول: مَن يَدعوني فأستجيبَ له، ومَن يسأَلُني فأُعطيَهُ، ومَن يَستغفرني فأغفِرَ له)[2].

له قولان:

القول الأول: عدم التأويل، فله سُبْحَانَهُ يد تليق بذاته الكَرِيْمَة، لٰكِن ليست يداً جارحة كأيدي المخلوقين، فيدُه تعالىٰ يد صفة، وكذٰلِكَ وجهه وجه صفة كالسمع والبصر[3]. فاليد والوجه صفات خبرية وَرَدَ السمع بها فوجب الإقرار به[4]، وكذٰلِكَ

---

(١) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي السَّابِق.

(٢) حَدِيْث: **ينزل ربنا... إلخ**، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١٩ كتاب التهجد، ١٤ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم ١١٤٥ بهٰذَا اللفظ. وفي: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ١٤ باب الدعاء نصف الليل، رقم ٦٣٢١. وفي: ٩٧ كتاب التَّوْحِيْد، ٣٥ باب قول الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ - الفَتْح ١٥، رقم ٧٤٩٤.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٦ كتاب صلاة المسافرين، ٢٤ باب التَّرْغِيْب في الدعاء والذكْر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم ٧٥٨. وكل هٰذِهِ الروايات عن أبي هُرَيْرَة.

(٣) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٥٠.

(٤) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٨٨ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٦٠.

الاستواء والنُّزُوْل، هما صفة من صفاته، وفِعْلٌ فَعَلَهُ في العرش يسمىٰ الاستواء[١].

وهٰذَا هو الذي قرره في كتابه الإبَانَة[٢]. وهي طريقة السَّلَف[٣].

فكان وسطاً بين المُعْتَزِلَة الذين يقولون بالتأويل، فاليد معناها يد القدرة والنعمة، والاستواء بمعنىٰ الاستيلاء، والنُّزُوْل بمعنىٰ نُزُوْل بعض آياته وملائكته، وبين المُشَبِّهَة الذين يقولون بأن يده تعالىٰ هي يد جارحة، ووجهه هو وجه الصورة، والاستواء جلوس علىٰ العرش وحُلُوْل فيه، والنُّزُوْل نُزُوْل ذاته بحركة وانتقال من مكان إلىٰ مكان...[٤].

قال الذَّهَبِيّ: رأيتُ لأبي الحَسَن أربعةَ توَالِيف في الأُصُوْل، يذكر فيها قَوَاعِد مَذْهَب السَّلَف في الصفات، وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت. ثم قال: وبذٰلِكَ أقول، وبه أَدين، ولا تؤول[٥].

القول الثاني: التأويل، أي: تأويل كل لفظ منها علىٰ وجوه يحتملها ذٰلِكَ اللفظ.

---

(١) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي السَّابِق.

(٢) قال الأَشْعَرِيّ في الإبَانَة ص٢١-٢٢: (وأن الله استوىٰ علىٰ العرش علىٰ الوجه الذي قاله وبالمعنىٰ الذي أراده، استواءً منزهاً عن المماسَّة والاستقرار والتمكن والحُلُوْل والانتقال... وأن له سُبْحَانَهُ وجهاً بلا كَيْف، كما قال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ - الرَّحْمٰن ٢٧، وأن له سُبْحَانَهُ يَدَيْن بلا كَيْف كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ - ص ٧٥، وكما قال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ - المائدة ٦٤، وأن له سُبْحَانَهُ عَيْنَيْن بلا كَيْف كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ - القمر ١٤)، وانظر ص١٠٨ أيضاً وما بعدها وفيه تفصيل.

وقال في رسالته إلىٰ أهل الثَّغْر ص٢٣٣: (وليس استواؤه علىٰ العرش استيلاء كما قال أهل القَدَر).

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق.

(٤) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي السَّابِق.

(٥) سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٦.

فَأَوَّلَ اليد بالقدرة كالمُعْتَزِلَة(١).

لذٰلِكَ افترق الأَشَاعِرَة في تلك الألفاظ إلىٰ قولين: أولهما لا يؤول، والثاني يؤول(٢).

٧- الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب.

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٧٠ وذكر أن هٰذَا هو الذي قرره في (اللُّمَع). لٰكِني لم أجده في كتاب اللُّمَع المطبوع.

وذكر الشَّهْرَسْتَانِيّ في المِلَل والنِّحَل ج١ ص٨٨ أن للأَشْعَرِيّ قولاً بجواز التأويل.

وذكر الإيْجِيّ في المَوَاقِف ج٨ ص١١٠و١١١ أن التأويل أحد قولي الشيخ الأَشْعَرِيّ.

ونقله الزَّبِيْدِيّ في إتْحَاف السَّادَة المُتَّقِيْن ج٢ ص٤ عن ابن كَثِيْر القائل: (ذكروا للشيخ أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. وتأويل الجزئية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذٰلِكَ.

والحال الثالث: إثبات ذٰلِكَ كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً علىٰ منوال السَّلَف، وهي طريقته في الإبَانَة التي صنفها آخراً، وشرحها البَاقِلَّانِيّ، ونقلها ابن عَسَاكِر، وهي التي مال إليها البَاقِلَّانِيّ وإمَام الحَرَمَيْن وغيرهما من أَئِمَّة الأصحاب المتقدمين في أواخر أقوالهم والله أعلم.

ونقله د. عبد الرَّحْمٰن بن صالح المَحْمُوْد في كتابه موقف ابن تَيْمِيَّة من الأَشَاعِرَة ج١ ص٣٩١-٣٩٢ عن الزَّبِيْدِيّ، وقال بعده: (هٰذَا النقل غير دقيق، إذ ليس للأَشْعَرِيّ في الصفات الخبرية كالوجه واليدين قول بتأويلها).

أقول: القول بأن: (هٰذَا النقل غير دقيق) هو قول مردود بما ذكره هٰؤُلَاءِ العُلَمَاء، والأَشَاعِرَة أعلم الناس بقول شيخهم الأَشْعَرِيّ، وقد يكون نقلهم عنه من بعض كتبه المفقودة الآن، والذي وصل إلينا منها يسير جداً، كما قدمناه.

(٢) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٦٠. وانظر: المُسَامَرَة ص٣٧.

أما الإقرار باللِّسَان والعَمَل بالأركان فهما فُرُوْع الإيمان.

فمن صدق بالقلب أي: أقر بوحدانية الله تعالىٰ واعترف بالرسل تصديقاً لهم فيما جاءوا به فهو مُؤْمِن[١]. وهو المشهور من مَذْهَب أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ[٢].

٨- المُؤْمِن الموحِّد صاحب الكَبِيْرَة إذا خرج من الدنيا من غير توبة فحكمه إلىٰ الله إما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رَسُوْل الله ﷺ وإما أن يعذبه بعَدْله ثم يدخله الجنة برحمته، ولا يخلد في النار مُؤْمِن[٣].

والفاسق من أهل القِبْلَة مُؤْمِن بإيمانه، فاسق بفسقه وكَبِيْرته[٤].

٩- للرَّسُوْل ﷺ شفاعة مقبولة في المُؤْمِنين المستحقين للعقوبة، يشفع لهم بأمره تعالىٰ وإذنه، ولا يشفع إلَّا لمن ارتضىٰ.

فهو وسط بين المُعْتَزِلَة القائلين بأن الرَّسُوْل ﷺ لا شفاعة له بحال، وبين الرَّافِضَة القائلين بأن للرَّسُوْل ﷺ ولعَلِيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شفاعة من غير أمر الله تعالىٰ ولا إذنه، حتىٰ لو

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٨٨ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٩٠. وانظر قول الإمَام الأَشْعَرِيّ في كتابه اللُّمَع ص١٢٢.

(٢) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٩٩ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٨٨ ومصادر أُخرىٰ ذكرتها في بحثي: مفهوم الإيمان عند الفِرَق الإسلامِيَّة ص٣٠.

لٰكِن صرح الأَشْعَرِيّ في الإبَانَة: أن الإيمان قول وعَمَل. / الإبَانَة ص٢٧.

وذهب بعض الأَشَاعِرَة إلىٰ أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللِّسَان دون غيرهما من الجوارح. / انظر بحثي: مفهوم الإيمان السَّابِق ص٢٨ وفيه مصادره.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ، وخِطَط المَقْرِيْزِيّ، السَّابِقَان، وتَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٥١.

(٤) اللُّمَع للأَشْعَرِيّ ص١٢٢.

شفعا في الكفار قبلت[١].

١٠- لا يُكَفِّر أحداً من أهل القِبْلَة.

قال أبو الحَسَن الأَشْعَرِيّ في كتابه الإبَانَة: وندين بأن لا نُكَفِّر أحداً من أهل القِبْلَة بذنب يرتكبه ما لم يَستحِلَّهُ، كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذٰلِكَ الخَوَارِج، وزعمت أنهم كافرون، ونقول: إن من عَمِلَ كَبِيْرَة من هٰذِهِ الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبهها مُستَحِلّاً لها غير مُعْتَقِدٍ لتحريمها كان كافراً[٢].

ورَوَىٰ ابن عَسَاكِر بسنده عن البَيْهَقِيّ أَبِي بَكْر أَحْمَد بن الحُسَيْن بن عَلِيّ، قال: سمعت أبا حَازِم عُمَر بن أَحْمَد العَبْدَوِيّ الحافظ، يقول: سمعت أبا عَلِيّ زاهر بن أَحْمَد السَّرَخْسِيّ يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ في داري ببَغْدَاد، دعاني فأتيته، فقال: اشهدْ عَلَيَّ أني لا أُكَفِّر أحداً من أهل هٰذِهِ القِبْلَة، لأن الكل يشيرون إلىٰ مَعْبُوْد وَاحِد، وإنما هٰذَا كله اختلاف العبارات[٣].

قال الذَّهَبِيّ: وبنحو هٰذَا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تَيْمِيَّة في أواخر أيامه يقول: أنا لا أُكَفِّر أحداً من الأُمَّة، ويقول: قال النَّبِيّ ﷺ: (لا يحافظ علىٰ الوُضُوْء إلَّا مُؤْمِن)، فمن لازم الصلوات بوُضُوْء فهو مُسْلِم[٤].

---

(١) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٥١. وانظر في الشفاعة: الإبَانَة ص٢٤١.

(٢) الإبَانَة ص٢٦.

(٣) تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٤٨-١٤٩. وسِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء ج١٥ ص٨٨ وقال: رأيت للأَشْعَرِيّ كلمة أعجبتني وهي ثَابِتَة رواها البَيْهَقِيّ، وذكرها.

(٤) سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء السَّابِق. وانظر من أقوال ابن تَيْمِيَّة في مجموع الفَتَاوَىٰ ج٣ ص٢٨٢، و ج١٢ ص٤٦٦، و ج٣٥ ص١٠٠.

وحَدِيْث: لا يحافظ علىٰ الوُضُوْء إلَّا مُؤْمِن، هو جزء من حَدِيْث: (استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خَيْر أَعْمَالكم الصلاة، ولا يحافظ علىٰ الوُضُوْء إلَّا مُؤْمِن)، رواه أَحْمَد في مُسْنَده وابن مَاجَة والحَاكِم والبَيْهَقِيّ، عن ثَوْبَان. ورواه ابن مَاجَة أَيضاً والطَّبَرَانِيّ عن عبد الله بن

١١ - مَنْهَج الأَشْعَرِيَّة في الاستدلال علىٰ العَقَائِد يتضح في أخذهم بالنقل والعقل معاً.

فلم يتخذوا العقل حَاكِماً علىٰ النصوص ليؤولوها كالمُعْتَزِلَة، ولم يقفوا عند ظواهر النصوص كبعض الفُقَهَاء والمُحَدِّثِيْن، وإنما اتخذوا العقل خادماً لظواهر النصوص[١].

أَعْيَان مَذْهَبه

وانتسب إلىٰ مَذْهَبه أَعْيَان العُلَمَاء منهم:

أبو الحَسَن البَاهِلِيّ البَصْرِيّ. وأبو بَكْر القَفَّال الشَّاشِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٦٥هـ. والقَاضِي أبو بَكْر مُحَمَّد بن الطَّيِّب بن البَاقِلَّانِيّ البَصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٠٣هـ. وأبو عَلِيّ الدَّقَّاق النَّيْسَابُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٠٥هـ. والحَاكِم النَّيْسَابُوْرِيّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن البَيِّع، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٠٥هـ. ومُحَمَّد بن الحَسَن بن فُوْرَك الأَصْبَهَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٠٦هـ. والأُستاذ أبو إسْحَاق الإسْفَرَايِيْنِيّ إبْرَاهِيْم بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيْم، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤١٨هـ...[٢].

عَمْرو بن العاص. ورواه الطَّبَرَانِيّ عن سَلَمَة بن الأَكْوَع. وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٦٦.

(١) مناهج الاجتهاد في الإسلام ص٥٠٥.

(٢) ومنهم أيضاً: أبو نُعَيْم الأَصْبَهَانِيّ أَحْمَد بن عبد الله، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٣٠هـ. وأبو ذَرّ الهَرَوِيّ الحافظ عَبْد بن أَحْمَد، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٣٤هـ. وأبو جَعْفَر السِّمْنَانِيّ الحَنَفِيّ مُحَمَّد بن أَحْمَد قَاضِي المَوْصِل، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٤٤هـ. وأبو الفَتْح سُلَيْم بن أَيُّوب الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٤٧هـ. والحافظ أبو بَكْر البَيْهَقِيّ أَحْمَد بن الحُسَيْن، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٥٨هـ. والخَطِيْب البَغْدَادِيّ أبو بَكْر أَحْمَد بن عَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٦٣هـ. وأبو القَاسِم القُشَيْرِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ عبد الكَرِيْم بن هَوَازِن، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٦٥هـ. وأبو المُظَفَّر الإسْفَرَايِيْنِيّ شَاهفور بن طاهر، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧١هـ. وأبو إسْحَاق الشِّيْرَازِيّ إبْرَاهِيْم بن عَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧٦هـ. وأبو المَعَالِي الجُوَيْنِيّ عبد الملك بن عبد الله إمَام الحَرَمَيْن، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧٨هـ. والإمَام أبو حَامِد الغَزَالِيّ مُحَمَّد بن

. . . .

مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ. / تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَرِي ص١٧٧-٣٣١ وفيه تَرَاجُم أشهر الأَعْلَام من الأَشَاعِرَة إلىٰ زمنه. وذكر أسماءَ هٰؤُلَاءِ السُّبْكِيُّ في طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ ج٣ ص٣٦٨-٣٧٢ وغيرهم عن ابن عَسَاكِر.

وذكر السُّبْكِيّ عدداً كَبِيْراً من طَبَقَات الأَشَاعِرَة الذين ذكرهم ابن عَسَاكِر، وزاد عليهم آخرين، منهم:

أبو بَكْر الأَبْهَرِيّ. وأبو مُحَمَّد عبد الله بن أبي زَيْد عبد الرَّحْمٰن القَيْرَوَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٨٦هـ. وأبو إسْحَاق إبْرَاهِيْم بن عبد الله القَلَانِسِيّ. وأبو الوفاء بن عَقِيْل الحَنْبَلِيّ. وقَاضِي القُضَاة الدَّامَغَانِيّ الحَنَفِيّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن عَلِيّ. وقَاضِي القُضَاة أبو بَكْر الناصح الحَنَفِيّ. وأبو الوَلِيْد البَاجِيّ سُلَيْمَان بن خَلَف، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧٤هـ. وأبو عُمَر بن عبد البَرّ الحافظ يُوْسُف بن عبد الله، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٦٣هـ. وأبو القَاسِم بن عَسَاكِر عَلِيّ بن الحَسَن، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٧١هـ. والحافظ أبو سَعْد بن السَّمْعَانِيّ عبد الكَرِيْم بن مُحَمَّد، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٦٢هـ. والحافظ أبو طاهر السِّلَفِيّ عِمَاد الدِّيْن أَحْمَد بن مُحَمَّد، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٧٦هـ. والقَاضِي عِيَاض بن مُحَمَّد اليَحْصُبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٤٤هـ. والإمَام أبو الفَتْح الشَّهْرَسْتَانِيّ مُحَمَّد بن عبد الكَرِيْم، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٤٨هـ. والإمَام فَخْر الدِّيْن الرَّازِيّ مُحَمَّد بن عُمَر، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ. وسَيْف الدِّيْن الآمِدِيّ أبو الحَسَن عَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٣١هـ. وشيخ الإسلام عِزّ الدِّيْن عبد العَزِيْز بن عبد السَّلَام، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٦٠هـ. والشيخ أبو عَمْرو بن الحَاجِب المَالِكِيّ عُثْمَان بن عُمَر، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٤٦هـ. وجمال الدِّيْن الحَصِيْرِيّ الحَنَفِيّ. وشيخ الإسلام تَقِيّ الدِّيْن بن دَقِيْق العِيْد مُحَمَّد بن عَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٠٢هـ. والشيخ عَلِيّ بن عبد الكافي السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥٦هـ. والشيخ صَفِيّ الدِّيْن الهِنْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥٠هـ. والقَاضِي عَضُد الدِّيْن الإيْجِيّ الشِّيْرَازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥٦هـ. / طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكبرىٰ للسُّبْكِيّ ج٣ ص٣٧٢-٣٧٣ مُسْتَدْرِكاً علىٰ ابن عَسَاكِر.

وتتابع علىٰ ذٰلِكَ العُلَمَاء علىٰ مَذْهَبه ممن يَشُقُّ إحصاؤهم.

المَاتُرِيْدِيَّة

شيخ المَذْهَب

المَاتُرِيْدِيَّة هم أتباع الإمَام أبي مَنْصُوْر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مَحْمُوْد المَاتُرِيْدِيّ[١]، الحَنَفِيّ[٢]، المُلَقَّب بإمَام الهُدَىٰ[٣].

والمَاتُرِيْدِيّ نسبة إلىٰ مَاتُرِيْد، ويقال لها مَاتُرِيْت، وهي مَحَلَّة بسَمَرْقَنْد[٤]، أو

---

(١) الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٣ ص٣٦٠ رقم الترجمة ١٥٣٢ وتَاج التَّرَاجُم ص٢٤٩ رقم الترجمة ٢١٧ والفَوَائِد البَهِيَّة ص٣١٩ رقم ٤١٢ وكَشْف الظُّنُوْن ص٢٦٢و٣٣٥و٥١٨و٧٥١ و١٤٠٦و١٤٠٨و١٥٧٣و١٧٨٢. وإتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٥ وأشار الزَّبِيْدِيّ إلىٰ ترجمة القُرَشِيّ في الجَوَاهِر المُضِيَّة، والإمَام مَجْد الدِّيْن أبي الندىٰ إسْمَاعِيْل بن إبْرَاهِيْم بن مُحَمَّد الكِنَانِيّ البُلْبَيْسِيّ القَاهِرِيّ في كتاب الأَنْسَاب، وذكر أنه يوجد بعض أحواله في انتساب كتب المَذْهَب، وأورد حاصل ما ذكروه، ونقل كلام القُرَشِيّ. وهَدِيَّة العَارِفِيْن ص٣٦ والفكر السَّامِي ج٢ ص١٠٨ والأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ ج٧ ص١٩ ومُعْجَم المُؤَلِّفِيْن ج٣ ص٦٩٢ ومُقَدِّمَة كتابه التَّوْحِيْد الذي حَقَّقَهُ: د. فتح الله خُلَيْف.

(٢) كَشْف الظُّنُوْن ص٢٦٢و٣٣٥و٥١٨ وإتْحَاف السَّادَة، وهَدِيَّة العَارِفِيْن، السَّابِقَان.

(٣) الجَوَاهِر المُضِيَّة، وتَاج التَّرَاجُم، وإتْحَاف السَّادَة، وهَدِيَّة العَارِفِيْن، السَّابِقَة.

(٤) إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٥ والفَوَائِد البَهِيَّة ص٣٢٠ وضَبَط الكلمةَ بالحروف ونقله عن السَّمْعَانِيّ. وفي الأَنْسَاب للسَّمْعَانِيّ ج١١ ص٥٥: مَحَلَّة من حائط سَمَرْقَنْد، قال السَّمْعَانِيّ: مضيتُ إليها غير مرة. وفي اللُّبَاب لابن الأَثِيْر ج٣ ص١٤٠: مَحَلَّة من سَمَرْقَنْد. وفي الفكر السَّامِي للحَجَوِيّ ج٢ ص١٠٩: (ومَاتُرِيْدِيّ بضم المُثَنَّاة فوق، نسبة إلىٰ مَحَلَّة بسَمَرْقَنْد، خلافاً للكَمَال بن أبي شَرِيْف حيث ضبطها بالفَتْح. صح من الفَوَائِد البَهِيَّة). والأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ ج٧ ص١٩.

قَرْيَة بها[١].

ومن شيوخه:

١- أبو نَصْر العِيَاضِيّ الذي تخرج به[٢]، وهو أَحْمَد بن العَبَّاس بن الحُسَيْن، ينتسب إلىٰ سَعْد بن عُبَادَة الأَنْصَارِيّ، الفقيه السَّمَرْقَنْدِيّ الوَرِع المُجَاهِد[٣].

كان الشيخ أبو نَصْر لا يتكلم في مجالسه ما لم يحضر تلميذه الشيخ أبو مَنْصُوْر - المَاتُرِيْدِيّ - ، فكان كلما رآه من بعيد نظر إليه نظر المتعجب، وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ - القصص ٦٨[٤].

٢- أبو بَكْر أَحْمَد بن إِسْحَاق بن صالح الجُوْزْجَانِيّ، صاحب الفرق والتَّمْيِيْز[٥].

٣- نَصِيْر بن يَحْيَىٰ البَلْخِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٦٨هـ.

وذكر الزَّبِيْدِيّ: أن هٰؤُلَاءِ المشايخ الثلاثة تَفَقَّهُوا علىٰ الإمَام أبي سُلَيْمَان مُوسَىٰ بن سُلَيْمَان الجُوْزْجَانِيّ، وهو علىٰ الإمَامين أبي يُوْسُف ومُحَمَّد بن الحَسَن[٦].

٤- مُحَمَّد بن مُقَاتِل الرَّازِيّ، قَاضِي الرَّيّ.

قال الزَّبِيْدِيّ: تَفَقَّهَ مُحَمَّد بن مُقَاتِل ونَصِيْر بن يَحْيَىٰ أيضاً علىٰ الإمَامين أبي

---

(١) إِتْحَاف السَّادَة السَّابِق.

(٢) الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٣ ص٣٦٠ وتَاج التَّرَاجُم ص٢٤٩ وإِتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٥.

(٣) إِتْحَاف السَّادَة السَّابِق، ونقل ترجمته عن تاريخ سَمَرْقَنْد للإِدْرِيْسِيّ. وترجم له النَّسَفِيّ في تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣٥٦.

(٤) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣٥٩.

(٥) إِتْحَاف السَّادَة السَّابِق، قال اللَّكْنَوِيّ في الفَوَائِد البَهِيَّة ص٣١٩: تَفَقَّهَ علىٰ أبي بَكْر أَحْمَد الجُوْزْجَانِيّ عن أبي سُلَيْمَان الجُوْزْجَانِيّ عن مُحَمَّد.

(٦) إِتْحَاف السَّادَة السَّابِق. وفيه: (نَصِيْر) يقال له (نَصْر) أيضاً.

مطيع الحَكَم بن عبد الله البَلْخِيّ، وأبي مقاتل حَفْص بن مُسْلِم السَّمَرْقَنْدِيّ. وأخذ مُحَمَّد بن مقاتل أَيضاً عن مُحَمَّد بن الحَسَن، وأخذ هٰؤُلَاءِ الشيوخ الأربعة عن الإمَام أبي حَنِيْفَة(١).

ومن تلاميذه:

أبو أَحْمَد العِيَاضِيّ تَفَقَّهَ عليه في أنواع العُلُوْم(٢). والحَكِيْم القَاضِي إسْحَاق بن مُحَمَّد السَّمَرْقَنْدِيّ. وعَلِيّ الرُّسْتَغْفَنِيّ. وأبو مُحَمَّد عبد الكَرِيْم بن مُوسَىٰ البَزْدَوِيّ(٣).

مُصَنَّفَاته:

صنف التصانيف الجَلِيْلة، ورد أكاذيب أقوال أصحاب العَقَائِد الباطلة(٤)، منها: كتاب التَّوْحِيْد(٥). وكتاب المَقَالَات(٦). وكتاب ردّ أوائل الأَدِلَّة للكَعْبِيّ(٧).

---

(١) إتْحَاف السَّادَة السَّابِق. وذكر أن الذَّهَبِيّ في المِيْزَان ترجم لمُحَمَّد بن مُقَاتِل، وقال: حَدَّثَ عن وَكِيْع وطبقته.

(٢) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣٥٩.

(٣) الفَوَائِد البَهِيَّة ص٣١٩. وذكر النَّسَفِيّ في التَّبْصِرَة السَّابِق: أبا الحَسَن الرُّسْتَغْفَنِيّ.

(٤) الفَوَائِد البَهِيَّة ص٣١٩ والفكر السَّامِي ج٢ ص١٠٨.

(٥) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣٥٩ والجَوَاهِر المُضِيَّة ج٣ ص٣٦٠ وتَاج التَّرَاجُم ص٢٤٩، والفَوَائِد البَهِيَّة، والفكر السَّامِي، والأَعْلام للزِّرِكْلِيّ وفيه: أنه مخطوط. وسماه حاجي خَلِيْفَة في كَشْف الظُّنُوْن ص١٤٠٦ وإسْمَاعِيْل باشا في هَدِيَّة العَارِفِيْن ص٣٦: كتاب التَّوْحِيْد وإثبات الصفات. وطُبِعَ بتَحْقِيْق: د. فتح الله خُلَيْف.

(٦) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، والجَوَاهِر المُضِيَّة، وتَاج التَّرَاجُم، والفَوَائِد البَهِيَّة، وهَدِيَّة العَارِفِيْن، السَّابِقَة، وكَشْف الظُّنُوْن ص١٧٨٢.

(٧) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، والجَوَاهِر المُضِيَّة، وتَاج التَّرَاجُم، السَّابِقَة.

وكتاب بَيَان وهم المُعْتَزِلَة[١]. وكتاب تأويلات القُرْآن[٢] وهو المسمَّىٰ بتأويلات أَهْل السُّنَّة، قال النَّسَفِيّ: (هو كتاب لا يوازيه في فنه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذٰلِكَ الفن. وما أَحسَن ما قال بعض بلغاء الكُتَّاب فيه: وكتاب تَفْسِيْر القُرْآن فَتَقَ عن المشكِل أكمامَه، وقَشَع عن المُشْتَبه غَمامَه، وأَبَان بأبلغ الوصف وأتقن الرَّصْف أَحْكَامه وحلاله وحرامه، لقاه الله تحيته وسَلَامه)[٣]. وكتاب شَرْح الفِقْه الأكبر المنسوب للإمَام أبي حَنِيْفَة[٤]. وكتاب رد تَهْذِيْب الجَدَل

---

(١) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، والجَوَاهِر المُضِيَّة، وتَاج التَّرَاجُم، وهَدِيَّة العَارِفِيْن، ومُعْجَم المُؤَلِّفِيْن، السَّابِقَة، وكَشْف الظُّنُوْن ص٢٦٢. وفي الفَوَائِد البَهِيَّة والفكر السَّامِي والأَعْلام للزِّرِكْلِيّ: كتاب أوهام المُعْتَزِلَة.

(٢) وَرَدَ هٰذَا الاسم (تأويلات القُرْآن) في: تَبْصِرَة الأَدِلَّة، والجَوَاهِر المُضِيَّة، وتَاج التَّرَاجُم، السَّابِقَة. وورد باسم (تأويلات أَهْل السُّنَّة) في كَشْف الظُّنُوْن ص٣٣٥ ونقل فيه حاجي خَلِيْفَة وَصْفَ القُرَشِيّ له في الجَوَاهِر المُضِيَّة. وذكره البَغْدَادِيّ في هَدِيَّة العَارِفِيْن باسم (تأويلات أَهْل السُّنَّة). وقال الزِّرِكْلِيّ في الأَعْلَام: (له تأويلات القُرْآن، وهو مخطوط، وله تأويلات أَهْل السُّنَّة طبع الجزء الأول منه). وذكر عُمَر رِضَا كَحَّالَة أن له: (تأويلات أَهْل السُّنَّة، وتأويلات القُرْآن). ويلاحظ أن الزِّرِكْلِيّ وكَحَّالَة اعتبراه كتابين، والصواب أنهما كتاب وَاحِد باسمين، بدلالة أن حاجي خَلِيْفَة ذكره باسم (تأويلات أَهْل السُّنَّة) ونقل وَصْفَه عن القُرَشِيّ في الجَوَاهِر المُضِيَّة الذي ذكره باسم (تأويلات القُرْآن).

والجزء الأول من الكتاب مطبوع باسم (تأويلات أَهْل السُّنَّة) بتَحْقِيْق د. إبْرَاهِيْم عوضين والسَّيِّد عوضين، وقالا في المُقَدِّمَة: إنه يُسمَّىٰ (تأويلات القُرْآن)، طبعه المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامِيَّة بالقَاهِرَة سنة ١٣٩١هـ=١٩٧١م. فكتاب (تأويلات القُرْآن) هو (تأويلات أَهْل السُّنَّة).

(٣) تَبْصِرَة الأَدِلَّة السَّابِق، وذكر القُرَشِيّ في الجَوَاهِر المُضِيَّة أَوَّلَه إلىٰ قوله: ذٰلِكَ الفن.

(٤) الأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ وذكر أنه مطبوع، ومُعْجَم المُؤَلِّفِيْن، السَّابِقَان. قال أبو زُهْرَة في تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٧٨: (ولٰكِن بالتَّحْقِيْق العِلْمِيّ ثبت أن ذٰلِكَ الشَّرْح لأبي اللَّيْث السَّمَرْقَنْدِيّ الفقيه الحَنَفِيّ المعروف).

للكَعْبِيّ[١]. وكتاب رد كتاب الكَعْبِيّ في وعيد الفُسَّاق[٢]. وكتاب رد الأُصُوْل الخمسة لأبي عُمَر البَاهِلِيّ[٣]. وكتاب رد كتاب الإمَامَة لبعض الرَّوَافِض[٤]. وكتاب الرد علىٰ أُصُوْل القَرَامِطَة[٥]. وكتاب الرد علىٰ فُرُوْع القَرَامِطَة[٦]. وكتاب مآخذ الشرائع في أُصُوْل الفِقْه[٧]. وكتاب الجَدَل في أُصُوْل الفِقْه[٨]. وكتاب الدُّرَر في أُصُوْل الدِّيْن[٩]. وكتاب عَقِيْدَة المَاتُرِيْدِيَّة[١٠].

قال النَّسَفِيّ: (ومن رأىٰ تصانيفه... ووقف علىٰ بعض ما فيها من الدَّقَائِق وغرائب المعاني وإثارة الدلائل عن مكامنها واستنباطها عن مَظَانّها ومَعَادنها، واطَّلع علىٰ ما راعىٰ من شرائط الإلزام والالتزام، وحافظ من آداب المجادلة الموضوعة لفسخ عَقَائِد المغترين بأفهامهم، وقرن بكل مَسْأَلَة من البُرْهَان الموضوع لإفادة ثلج الصدور

(١) تَبْصِرَة الأَدِلَّة السَّابِق، وتَاج التَّرَاجُم ص٢٥٠ وكَشْف الظُّنُوْن ص٥١٨ وهَدِيَّة العَارِفِيْن ص٣٦.

(٢) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، وتَاج التَّرَاجُم، السَّابِقَان.

(٣) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، وتَاج التَّرَاجُم، والفَوَائِد البَهِيَّة وفيه: لأبي مُحَمَّد البَاهِلِيّ.

(٤) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، وتَاج التَّرَاجُم، والفَوَائِد البَهِيَّة، السَّابِقَة.

(٥) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، وتَاج التَّرَاجُم، السَّابِقَان. وورد في الفَوَائِد البَهِيَّة والأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ باسم: الرد علىٰ القَرَامِطَة.

(٦) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، وتَاج التَّرَاجُم، السَّابِقَان.

(٧) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، وتَاج التَّرَاجُم، والأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ، ومُعْجَم المُؤَلِّفِيْن، السَّابِقَة، وكَشْف الظُّنُوْن ص١٥٧٣ وهَدِيَّة العَارِفِيْن ص٣٧. وورد في الفَوَائِد البَهِيَّة والفكر السَّامِي باسم: مآخذ الشرائع في الفِقْه.

(٨) تَبْصِرَة الأَدِلَّة، وتَاج التَّرَاجُم، والفَوَائِد البَهِيَّة، والفكر السَّامِي، السَّابِقَة، وكَشْف الظُّنُوْن ص١٤٠٨. وورد في هَدِيَّة العَارِفِيْن والأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ باسم: الجدل.

(٩) كَشْف الظُّنُوْن ص٧٥١ وهَدِيَّة العَارِفِيْن السَّابِق.

(١٠) هَدِيَّة العَارِفِيْن السَّابِق.

وبَرْد اليقين، لَعَرَف أنه المخصوص بَكَرَامَات ومَوَاهِب من الله تعالىٰ، المُؤَيَّد بمواد التوفيق ولطائف الإرْشَاد والتسديد من الغَنِيّ الحميد، وأن ما اجتمع عنده وحده من أنواع العُلُوْم المِلّية والحكمية لن يجتمع في العادات الجارية في كثير من المُبَرِّزِيْن المحصِّلِين)[1].

ثناء العُلَمَاء عليه:

نُعِتَ المَاتُرِيْدِيّ بأجلِّ الأوصاف وأعلاها.

قال النَّسَفِيّ: هو الذي غاص في بحور العُلُوْم فاستخرج دُرَرها، وأتىٰ حُجج الدِّيْن، فزَيَّنَ بفصاحته وغزارة عُلُوْمه وجودة قريحته غُرَرَها، حتىٰ أمر الشيخ أبو القَاسِم الحَكِيْم أن يُكتب علىٰ قبره حين توفي: (هٰذَا قبر من حاز العُلُوْم بأنفاسه، واستنفد الوسع في نشره وإقباسه، فحُمِدَت في الدِّيْن آثارُه، واجتنىٰ من عُمُره ثماره)[2].

ثم قال النَّسَفِيّ: وما أَحْسَن ما قال بعض بلغاء الكُتَّاب في وصفه: كان من كبراء الأَئِمَّة، وأوتاد المِلَّة[3].

---

(١) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣٥٩.

وقال ابن البَيَاضِيّ في إشارات المَرَام: (وحقق المَاتُرِيْدِيّ تلك الأُصُوْل في كتبه بقواطع الأَدِلَّة، وأتقن التفاريع بلَوَامِع البَرَاهِيْن اليقينية). / إشارات المَرَام ص٢٣.

وقال الشيخ مُحَمَّد زَاهِد الكَوْثَرِيّ في تقديمه لكتاب (إشارات المَرَام): (وكانت بلاد ما وراء النهر سَلِيْمَة من الأَهْوَاء والبدع، لسُلْطَان السُّنَّة علىٰ النفوس هناك من غير منازع، بتناقل تلك الآثار جيلاً بعد جيل، إلىٰ أن جاء إمَام السُّنَّة فيها وراء النهر أبو مَنْصُوْر مُحَمَّد بن مُحَمَّد المَاتُرِيْدِيّ، المعروف بإمَام الهُدَىٰ، فتفرغ لتَحْقِيْق مَسَائِلها وتدقيق دلائلها، فأرضىٰ بمؤلفاته جانبي العقل والنقل في آنٍ واحدٍ). / إشارات المَرَام - مُقَدِّمَة الكَوْثَرِيّ ص٦ وتاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٧٨ نَقْلاً عن إشارات المَرَام ومُقَدِّمته.

(٢) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣٥٨.

(٣) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣٥٩.

ونُعِتَ أَيضاً بأَنَّه من كبار العُلَمَاء[١]، وإمَام المتكلمين، ومصحح عَقَائِد المُسْلِمِيْن[٢].

وكان إمَاماً جَلِيْلاً مناضلاً عن الدِّيْن، موطِّداً لعَقَائِد أَهْل السُّنَّة، قطع المُعْتَزِلَة وذوي البِدَع في مُنَاظَراتهم، وخصمهم في محاوراتهم حتىٰ أسكتهم، فهو نَاصِر السُّنَّة، وقامع البِدْعَة، ومُحْيِي الشَّرِيْعَة.

قال الزَّبِيْدِيّ: ووجدت في كلام بعض الأجلاء من شيوخ الطريقة: أنه كان مَهْدِيّ هٰذِهِ الأُمَّة في وقته[٣].

وفاته:

توفي سنة ٣٣٣هـ[٤]=٩٤٤م، بعد وفاة أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ بقليل[٥]، وقبرُه بسَمَرْقَنْد[٦].

---

(١) الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٣ ص٣٦٠.

(٢) الفَوَائِد البَهِيَّة ص٣١٩. وفي الفكر السَّامِي ج٢ ص١٠٨: إمَام المتكلمين. وفي الأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ ج٧ ص١٩: من أَئِمَّة عُلَمَاء الكلام.

(٣) إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٥.

(٤) الجَوَاهِر المُضِيَّة ج٣ ص٣٦١ وتَاج التَّرَاجُم ص٢٥٠ والفَوَائِد البَهِيَّة ص٣٢٠ وكَشْف الظُّنُوْن ص٢٦٢ و٣٣٥ و٥١٨ و١٤٠٨ و١٥٧٣ و١٧٨٢ وهَدِيَّة العَارِفِيْن ص٣٦ والفكر السَّامِي ص١٠٩ والأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ ج٧ ص١٩ ومُعْجَم المُؤَلِّفِيْن ج٣ ص٦٩٢ والتاريخ المِيْلَادِيّ منهما.

لٰكِن ورد في كَشْف الظُّنُوْن ص١٤٠٦ أن وفاته سنة ٣٣٢هـ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وهو خطأ، ولعله خطأٌ مطبعي.

(٥) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣٦٠ والجَوَاهِر المُضِيَّة السَّابِق.

(٦) الجَوَاهِر المُضِيَّة للقُرَشِيّ السَّابِق، ثم قال القُرَشِيّ بعدها: كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحَسَن عَلِيّ الحَنَفِيّ، ورأيت بخط شيخنا قُطْب الدِّيْن عبد الكَرِيْم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

مَذْهَب المَاتُرِيْدِيّ مَذْهَب الإمَام أبي حَنِيْفَة

المَاتُرِيْدِيَّة أخذوا مَذْهَبهم عن أَبي حَنِيْفَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]. قال ابن البَيَاضِيّ من عُلَمَاء المَاتُرِيْدِيَّة: وليس المَاتُرِيْدِيّ من أتباع الأَشْعَرِيّ لكونه أول من أظهر مَذْهَب أَهْل السُّنَّة كما ظُنَّ، لأن المَاتُرِيْدِيّ مُفَصِّل لمَذْهَب الإمَام أَبي حَنِيْفَة وأصحابه المُظْهِرِيْن قبل الأَشْعَرِيّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّة[2].

والمَاتُرِيْدِيّ بنىٰ كتبه علىٰ مَسَائِل أخذها من نصوص الإمَام أبي حَنِيْفَة وهي في خمسة كتب: الفِقْه الأكبر، والرِّسَالَة، والفِقْه الأبسط، والعالِم والمتعلِّم، والوصية المنسوبة إلىٰ الإمَام، واستفادها منها إمّا من: العبارة، أو الإشارة، أو الدَّلالة، أو الاقتضاء، أو مفهوم المخالفة[3].

أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة

إذا أُطلق أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة فالمُرَاد بهم الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة.

قال الخَيَالِيّ في حاشيته علىٰ شَرْح العَقَائِد: الأَشَاعِرَة هم أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، هٰذَا هو المشهور في ديار خُرَاسَان والعِرَاق والشَّام وأكثر الاقطار.

وفي ديار ما وراء النهر يُطلق ذٰلِكَ علىٰ المَاتُرِيْدِيَّة أصحاب الإمَام أبي مَنْصُوْر.

وإتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٥ نَقْلاً عن القُرَشِيّ، وذكر الحافظ قُطْب الدِّيْن عبد الكَرِيْم بن المُنِيْر الحَلَبِيّ الحَنَفِيّ.

وورد (مات بسَمَرْقَنْد) في: تَاج التَّرَاجُم، وهَدِيَّة العَارِفِيْن، والأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ، ومُعْجَم المُؤَلِّفِيْن، السَّابِقَة.

(١) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٣١٠.

(٢) إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٥.

(٣) إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص١٣.

وقال الكَسْتَلِيّ في حاشيته عليه: المشهور من أَهْل السُّنَّة في ديار خُرَاسَان والعِرَاق والشَّام وأكثر الأقطار هم الأَشَاعِرَة أصحاب أبي الحَسَن عَلِيّ بن إِسْمَاعِيْل الأَشْعَرِيّ أول من خالف أبا عَلِيّ الجُبَّائِيّ ورجع عن مَذْهَبه إلىٰ السُّنَّة أي: طريق النَّبِيّ ﷺ، والجَمَاعَة أي: طريقة الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وفي ديار ما وراء النهر المَاتُرِيْدِيَّة أصحاب أبي مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ تلميذ أبي نَصْر العِيَاضِيّ تلميذ أبي بَكْر الجُوْزْجَانِيّ صاحب أبي سُلَيْمَان الجُوْزْجَانِيّ صاحب مُحَمَّد بن الحَسَن الشَّيْبَانِيّ صاحب الإِمَام أبي حَنِيْفَة[1].

وأضاف السَّفَّارِيْنِيّ إليهم: الأَثَرِيَّة، وإِمَامهم أَحْمَد بن حَنْبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

الخلاف بين الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة

بين الطائفتين اختلاف في بعض الأُصُوْل كمَسْأَلَة التكوين، ومَسْأَلَة الاستثناء في الإيمان، ومَسْأَلَة إيمان المقَلِّد.

والمحققون من الفريقين لا ينسِب أحدُهما الآخرَ إلىٰ البدعة والضلالة[3].

وذهب التَّقِيّ السُّبْكِيّ إلىٰ أن الاختلاف بين الفريقين هو في ثلاث مَسَائِل فيما استنبطه من عَقِيْدَة أبي جَعْفَر الطَّحَاوِيّ.

وزاد ولده التَّاج ثلاثة أُخرىٰ استخرجها من كتاب المَاتُرِيْدِيَّة.

---

(١) إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص٦. وانظر ذٰلِكَ أَيضاً في: حَاشِيَة الخَيَالِيّ أَحْمَد بن مُوسَىٰ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦٠هـ علىٰ شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص٢١. وحَاشِيَة الكَسْتَلِيّ مصلح الدِّيْن مُصْطَفَىٰ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٠١هـ علىٰ شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧.

(٢) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٧٣. ووردت في الهامش ردودٌ مفادُها أن أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة هم الأَثَرِيَّة فقط.

(٣) إتْحَاف السَّادَة السَّابِق، والرَّوْضَة البَهِيَّة فيما بين الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة لابن أبي عَذْبَة ص٢٣.

وزاد غيره سبعة أُخرىٰ.

وأورد الفاضل عبد الرَّحِيْم بن عَلِيّ الحَنَفِيّ في كتابه نَظْم الفَرَائِد وجَمْع الفَوَائِد أَربَعِين مَسْأَلَة ببَرَاهِيْنها وحججها، وأطال الكلام فيها جداً.

وكذا العَلَّامَة مُلَّا عَلِيّ القَارِي في شَرْح الفِقْه الأكبر.

وذكر العَلَّامَة البَيَاضِيّ في كتابه إشارات المَرَام من عبارات الإمَام، خمسين مَسْأَلَة خلافية في التفاريع الكلامية، مُخْتَصَرَة وجَامِعَة لما تشتت من الأقوال[١].

وقال الشيخ مُحَمَّد أبو زُهْرَة: (كان كثيرون يعتقدون أن الخلاف بين الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة ليس كَبِيْراً، حتىٰ أن الأُستاذ الشيخ مُحَمَّد عَبْدُه قرر في تَعْلِيْقه علىٰ العَقَائِد العَضُدِيَّة أن الخلاف بين المَاتُرِيْدِيَّة والأَشَاعِرَة لم يتجاوز عشر مَسَائِل، الخلاف فيها لفظي.

ولٰكِن عند الدراسة العميقة لآراء المَاتُرِيْدِيّ وآراء الأَشْعَرِيّ في آخر ما انتهىٰ إليه، نجد ثَمَّةَ فَرْقاً في التفكير وفيما انتهىٰ إليه الإمَامَان)[٢].

وسنتعرض لبعض تلك الخلافيات في ثنايا بحوث العَقِيْدَة من هٰذَا الكتاب، عند مقارنة الآراء في المَذَاهِب المُخْتَلِفَة.

---

(١) إشَارَات المَرَام ص٥٣-٥٦. وانظر: إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص١٢-١٣ وسرد المَسَائِل الخمسين. وكتاب نَظْم الفَرَائِد وجَمْع الفَوَائِد للعَلَّامَة عبد الرَّحِيْم بن عَلِيّ الشهير بشَيْخ زَادَه، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٤٤هـ=١٥٣٧م، مطبوع بمِصْر سنة ١٣١٧هـ. وأَلَّف ابن أبي عَذْبَة حَسَن بن عبد المُحْسِن، المُتَوَفَّىٰ بعد سنة ١١٧٢هـ=١٧٥٨م كتابه (الرَّوْضَة البَهِيَّة فيما بين الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة)، ذكر في الفصل الأول منه المَسَائِل المختلف فيها اختلافاً لفظياً وعددها سبع مَسَائِل، وفي الفصل الثاني منه ذكر المَسَائِل المختلف فيها اختلافاً معنوياً وعددها سبع مَسَائِل أَيضاً.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٧٩.

آراء الإمَام أبي مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ

من أهم آرائه:

١- في مَعْرِفَة الله عَزَّ وجَلَّ:

يرىٰ المَاتُرِيْدِيّ أن مَعْرِفَة الله سُبْحَانَهُ يمكن أن يُدرِك العقلُ وجوبَها، لأن العقل لو خلا من الهوىٰ والتقليد، ونظر في ملكوت السماوات والأرض كما أمر الله تعالىٰ في الآيات الكثيرة، لوصل إلىٰ الإيمان بالله عَزَّ وجَلَّ.

فالمَاتُرِيْدِيّ يرىٰ أن العقل يمكن أن يستقل بمَعْرِفَة الله تعالىٰ، إلَّا أنه يرىٰ أنه لا يستقل بمَعْرِفَة الأَحْكَام التكليفية، وهٰذَا رأي الإمَام أبي حَنِيْفَة.

أما المُعْتَزِلَة فيرون أن مَعْرِفَة الله تعالىٰ يمكن أن يُدرِك العقلُ وجوبَها، ولٰكِن الوجوب لا يكون ممن يملك الإيجاب وهو الله تعالىٰ.

والأَشَاعِرَة يرون أن مَعْرِفَة الله واجبة بالشَّرْع[1].

٢- أثبت المَاتُرِيْدِيّ صفات المعاني لله تعالىٰ، وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة. لٰكِنه قال: إنها ليست شَيئاً غير الذات، فهي ليست صفات قائمة بذاتها، ولا مُنفكَّة عن الذات، فليس لها كينونة مستقلة عن الذات.

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٧٩-١٨٢.

قال الشيخ عَلِيّ القَارِي في شَرْح الفِقْه الأكبر ص٢٣٧-٢٣٨: (فالصبي العاقل عند المَاتُرِيْدِيّ وكثير من مشايخ العِرَاق تجب عليه مَعْرِفَة الله تعالىٰ، لعموم قوله ﷺ: رفع القلم عن ثلاث: الصبي حتىٰ يبلغ، أي: يحتلم...، وعند الأَشَاعِرَة لا تجب عليه مَعْرِفَة الله تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ - الإسراء ١٥. وثمرة الخلاف تظهر في حق من لم تبلغه الدعوة أَصلاً بأن نشأ ولم يسمع رَسُوْلاً، ومات ولم يؤمن بالله، فإنه يُعذَّب عند المَاتُرِيْدِيَّة ولا يُعذَّب عند الأَشَاعِرَة. وكذا من مات في أيام الفترة بين عِيسَىٰ ومُحَمَّد ﷺ ولم يؤمن بالله). وانظر: الرَّوْضَة البَهِيَّة فيما بين الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة ص٩٧.

فالمَاتُرِيْدِيّ يقرر أن الصفات ليست شَيئاً مغايراً للذات، وبهٰذَا يكاد يتفق مع المُعْتَزِلَة القائلين بأنه لا شيء غير الذات[1].

٣- النصوص الوَارِدَة في القُرْآن الكَرِيْم والأخبار المشتملة علىٰ الأوصاف الخبرية المُوهِمَة للتشبيه، التي تذكر أن لله سُبْحَانَهُ وجهاً ويداً وعيناً... إلخ، وقف منها المَاتُرِيْدِيّ موقف التأويل.

ففي قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ - الأعراف ٥٤، قال: يحتمل أن يكون قصد إليه وخلقه سَوِيّاً مُستقِيماً مستقراً.

وفسر قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ - ق ١٦، بأنه إشارة إلىٰ سُلْطَانه وكَمَال قدرته.

وبذٰلِكَ يوافق المُعْتَزِلَة، وكذٰلِكَ يوافق الأَشَاعِرَة القائلين بالتأويل[2].

٤- الله تعالىٰ مُنَزَّه عن العَبَث، وأفعاله سُبْحَانَهُ تكون علىٰ مُقْتَضَىٰ الحكمة، لأنه الحَكِيْم العَلِيْم كما وصف نفسه.

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٥-١٨٦.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٧.

سيأتي في بحث (النصوص الموهمة للمشابهة): أن القول بالتوقف في الاستواء هو قول المَاتُرِيْدِيّ في كتابه التَّوْحِيْد ص٧٤ وذكره مُحَقِّقُهُ في مُقَدِّمته ص م٤١، وذهب إليه الغَزْنَوِيّ من المَاتُرِيْدِيَّة في كتابه أُصُوْل الدِّيْن ص٧٥ بقوله: (استواؤه علىٰ العرش حقٌّ وصدقٌ، ونحن نؤمن ونعتقد علىٰ الوجه الذي أراده ولا نشتغل بكيفيته).

والذي يبدو أن للمَاتُرِيْدِيَّة قولين في ذٰلِكَ، ذكرهما اللَّامِشِيّ في التَّمْهِيْد ص٦٤ حيث قال: (إن بعض مشايخنا قالوا بالإيمان بها - المتشابهات - وبترك الاشتغال بتأويلها، وبعضهم قالوا نحمل ذٰلِكَ علىٰ ما لا يؤدي إلىٰ التناقض في حجج الله تعالىٰ. ووجه ذٰلِكَ: أن الاستواء قد يُذكر ويُراد به الاستقرار، وقد يُذكر ويُراد به الاستيلاءُ، فيُحمل علىٰ الاستيلاء دفعاً للتناقض).

ومعنى الاستيلاء في: بَحْر الكلام ص٥٠ واستدل بقول الشاعر:

قد استوىٰ بِشْرٌ على العِرَاقِ...، يعني: استولىٰ.

والله سُبْحَانَهُ في أفعاله قصد هٰذِهِ الحكمة، ولٰكِنه قصدها غير مُجْبَر عليها، لأنه مُخْتَار وفَعَّال لما يريد، فلا يقال: إنه يجب عليه فعل الصَّلَاح أو الأصلح، لأن الوجوب ينافي الإرادة، ويستلزم أن لغيره حقاً عليه، والله سُبْحَانَهُ لا يُسْأل عما يَفعل، والوجوب عليه يقتضي أن يُسْأل عما يَفعل[١].

٥- القبح ثَابِت بالعقل، أما العقاب فمتوقف علىٰ الشَّرْع.

وقول المَاتُرِيْدِيَّة هٰذَا حكوه عن أبي حَنِيْفَة، وبه قال سَعْد بن عَلِيّ الزِّنْجَانِيّ الشَّافِعِيّ من الأَشَاعِرَة، وأبو الخَطَّاب من الحَنَابِلَة[٢].

ورجَّحه عَبْد الوَهَّاب خَلَّاف وقال: هو مَذْهَب وسط معتدل[٣].

فالمَاتُرِيْدِيَّة يرون أن للأشياء حُسْناً ذاتياً وقُبْحاً ذاتياً، والعقل يستطيع أن يُدرِك حُسْن بعض الأشياء وقُبْحها، لٰكِن العقل لا يمكن أن يستقل بالتكليف الدِّيْنِيّ قط، إذ الحَاكِم في التكليف الدِّيْنِيّ هو الله سُبْحَانَهُ[٤]، لأن العُقُوْل مهما نضجت قد تُخْطِئ، فلا تلازم بين أَحْكَام الله وما تدركه العُقُوْل[٥].

وذٰلِكَ: لأن مَنْهَج المَاتُرِيْدِيّ يتميز بأن للعقل سُلْطَاناً كَبِيْراً فيه من غير إسراف، فهو لا يصل إلىٰ الدرجة التي اعتمدها المُعْتَزِلَة.

فالإمَام المَاتُرِيْدِيّ يرىٰ أن العقل مصدر من مصادر المَعْرِفَة، لٰكِنه يخشىٰ عليه

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٣. وذكر القول شَلَبِي في تَعْلِيْل الأَحْكَام ص٩٧ وقال: هو أعَدْل الأقوال وأبعدها عن المغالاة. وانظر: نَظْم الفَرَائِد وجَمْع الفَوَائِد للعَلَّامَة عبد الرَّحِيْم بن عَلِيّ الشهير بشَيْخ زَادَه ص٣١.

(٢) تَشْنِيْف المَسَامِع ج١ ص٤٦ وسمىٰ المَاتُرِيْدِيَّة بالحَنَفِيَّة. ونقله عَوَّاد المُعْتِق في المُعْتَزِلَة ص١٦٧ عن مدارج السالكين لابن القَيِّم ج١ ص٢٣١.

(٣) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٩٩.

(٤) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٢.

(٥) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف السَّابِق.

من الزلل، فاتخذ الوقاية من الزلل بالاعتماد علىٰ المَنْقُوْل بجوار المَعْقُوْل قال: (من أنكر ذٰلِكَ – أي: الاحتياط بالنقل – وأراد اكتناه ما استتر عن العقل وقصد الإحاطة بجميع حكمة الربوبية بعقله الناقص المحدود بدون إشارة منه – أي: الرَّسُوْل – فهو يظلم العقل، ويحمله ما لا يحتمله).

ونتيجة هٰذَا القول هي: أنه يأخذ بحكم العقل فيما لا يخالف الشَّرْع، فإن خالف الشَّرْع فلا بد من الخضوع لحكم الشَّرْع.

ومن هنا كان يرىٰ أن مصدر طلب علم العَقَائِد هو النقل والعقل معاً.

لذٰلِكَ: كانت آراؤه بين المُعْتَزِلَة والأَشَاعِرَة[١].

٦- أفعال العِبَاد مخلوقة لله تعالىٰ، لأن الله تعالىٰ خَالِق الأشياء كلها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ – الصافات ٩٦[٢] وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ – الزُّمَر ٦٢.

ورأىٰ المَاتُرِيْدِيّ كالأَشْعَرِيّ: أن العبد له الكسب، وهو مُخْتَار فيه، وبهٰذَا الكسب يكون الثواب والعقاب.

لٰكِن الكسب عند المَاتُرِيْدِيّ يكون بقدرة أودعها الله تعالىٰ العبد، فالعبد عنده يستطيع أن يكسب الفعل بقدرة مخلوقة فيه، ويستطيع أن لا يكسبه بهٰذِهِ القدرة، فهو حر مُخْتَار في هٰذَا الكسب، إن شاء فعل واقترن بالفعل الذي هو مخلوق لله تعالىٰ، وإن شاء ترك، وبذٰلِكَ يكون العقاب.

فالمَاتُرِيْدِيّ توسَّطَ بين المُعْتَزِلَة والأَشَاعِرَة.

فالمُعْتَزِلَة قرروا أن خلق الفعل بقدرة أودعها الله تعالىٰ العبد.

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٧٩-١٨١ ونقل عن الكَوْثَرِيّ قوله: (إن الأَشَاعِرَة بين المُعْتَزِلَة والمُحَدِّثِيْن، والمَاتُرِيْدِيَّة بين المُعْتَزِلَة والأَشَاعِرَة). وانظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام ص٥٠٥.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٤.

والأَشَاعِرَة قرروا أن لا قدرة للعبد في الفعل، ولٰكِن له الكسب، والكسب لا يكون إلَّا بالاقتران لا بتَأْثِيْر من العبد.

والمَاتُرِيْدِيّ قرر أن الكسب بقدرة العبد وبتَأْثِيْره[١].

٧- الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب فقط.

وقول أبي مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ هٰذَا هو مروي عن الإمَام أبي حَنِيْفَة، وهو المشهور من مَذْهَب الإمَام أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ[٢]. وقد تقدم في آراء الأَشْعَرِيّ.

وبناءً علىٰ قول المَاتُرِيْدِيَّة والأَشَاعِرَة بأن العَمَل ليس جزءاً من الإيمان، فإنهم يرون أن مرتكب الكَبِيْرَة لا يخرج من دائرة الإيمان، وإن كان له حساب وعقاب، وقد يتغمده الله برحمته.

وقد نصَّ المَاتُرِيْدِيّ علىٰ أن: (الحق في أصحاب الذنوب من المُؤْمِنين تفويض أمرهم إلىٰ الله تعالىٰ، إن شاء عفا عنهم فضلاً منه وإحساناً ورحمة، وإن شاء عذبهم بقدر ذنبهم، فلا يُخَلَّدُوْن في النار، فيكون أهل الإيمان بين الرجاء والخوف، فيجوز له تعالىٰ العقاب علىٰ الصَّغِيْرَة والعَفو عن الكَبِيْرَة، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ - النساء ٤٨)[٣].

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة السَّابِق. وانظر: التَّوْحِيْد للمَاتُرِيْدِيّ ص م٤١ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١٦٦و٢٩٧.

(٢) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٩٩ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص١٢٨ والكُلِّيَّات للكَفَوِيّ ص٢١٣. وقد نَصَّ المَاتُرِيْدِيّ علىٰ هٰذَا القول في كتابه التَّوْحِيْد ص٣٧٣ وانظر مُقَدِّمته ص م٤٦. وانظر مصادر أُخرىٰ ذكرتُها في بحثي: مفهوم الإيمان عند الفِرَق الإسلامِيَّة ص٣٠.

وذهب بعض المَاتُرِيْدِيَّة إلىٰ أن الإيمان هو تصديق بالقلب وإقرار باللِّسَان دون غيرهما من الجوارح. / انظر: بحثي مفهوم الإيمان السَّابِق ص٢٧ وفيه مصادره.

(٣) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٨-١٨٩.

السَّلفيَّة

السَّلَف في أصل اللُّغَة: سَلَف يَسْلُف سُلُوفاً: مضىٰ وانقضىٰ.

وسَلَفٌ وسُلَّافٌ: جمعٌ مفردُه سالف، مثل: خَدَم وخُدَّام: جمعٌ مفردُه خادم. ثم جُمع السَّلَف علىٰ أَسْلاف، مثل: سَبَب وأَسْبَاب[١].

والسَّلَف: كلُّ من تَقدَّمك من آبائك وقرابتك[٢]. ومنه قوله ﷺ لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (... ولا أُراني إلَّا قد حَضَرَ أَجَلي، وإنكِ أَوَّلُ أهلي لُحُوقاً بي، ونِعْمَ السَّلَف أنا لكِ)[٣].

والسَّلَف في الاصْطِلَاح هم: الصَّحابَة، والتابعون، وأتباع التَّابِعِيْن[٤].

وهٰذَا مأخوذ من حَدِيْث عبد الله بن مَسْعُوْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: (خَيْر الناسِ قَرْني، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم...)[٥].

---

(١) المِصْبَاح المُنِيْر مادة (سَلَف) ص٢٨٥. وفي القَامُوْس المُحِيْط مادة (سَلَف) ص١٠٦٠: (السَّلَف: جمعُه: سُلَّاف وأَسْلَاف).

فسُلَّاف: قد يكون جمعاً لسَالِف أو لسَلَف.

(٢) القَامُوْس المُحِيْط السَّابِق.

(٣) حَدِيْث: **ولا أُراني إلاَّ قد حضر أَجَلي**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٤ كتاب فَضَائِل الصَّحَابَة، ١٥ باب فَضَائِل فاطمة، رقم ٢٤٥٠، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للصَّاوِيّ ص٤٣٠ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣٤٣ والسِّرَاج الوَهَّاج لصِدِّيْق حَسَن خان ج١٠ ص١٢. وانظر أَيضاً: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٢٠.

(٥) حَدِيْث: **خَيْر الناس قَرْني**... إلخ. بهٰذَا اللفظ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٥٢ كتاب الشهادات، ٩ باب لا يَشهد علىٰ شهادة جَوْر، رقم ٢٦٥٢، عن عبد الله بن مَسْعُوْد. وللحَدِيْث ألفاظ وطرق عديدة عن عِمْرَان بن الحُصَيْن وعبد الله بن مَسْعُوْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في: ٥٢ كتاب

فالنَّوَوِيّ بعد أن ذكر أقوالاً عديدة في تحديد القَرْن قال: والصَّحِيْح أن قَرْنَه ﷺ الصَّحَابَةُ، والثاني التابعون، والثالث: تابعوهم(١).

وذهب الجُمْهُوْر إلىٰ أن فضيلة الصُّحْبَة لا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ، لمشَاهدة رَسُوْل الله ﷺ، وأما من اتفق له الذبُّ عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشَّرْع المتلقىٰ عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يَعْدِلُهُ أَحَدٌ ممن يأتي بعده، لأنه ما من خَصْلَة من الخصال المذكورة إلَّا وللذي سبق بها مثل أجر من عَمِلَ بها من بعده، فظهر فضلهم(٢).

وترىٰ كل فِرْقَة من الفِرَق الإسلامِيَّة عموماً أن آراءها تنتمي إلىٰ رِجَال السَّلَف الصالح.

لٰكِن السَّلَفِيّين اتخذوا من اسم (السَّلَف) عَلَماً لهم، وهم من الحَنَابِلَة، ظهروا في القرن الرابع الهِجْرِيّ، وتكلموا في التَّوْحِيْد والتأويل والتشبيه.

وآراؤهم كما يقولون تنتهي إلىٰ الإمَام أَحْمَد بن حَنْبَل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي أحيا عَقِيْدَة

الشهادات، و٦٢ كتاب فَضَائِل أصحاب النَّبِيّ ﷺ، و٨١ كتاب الرِّقَاق، و٨٣ كتاب الأيمان والنذور، وأرقام أَحَادِيْثهما هي: عن عِمْرَان بن حُصَيْن رقم ٢٦٥١ و٣٦٥٠ و٦٤٢٨ و٦٦٩٥ وعن عبد الله بن مَسْعُوْد رقم ٣٦٥١ و٦٤٢٩ و٦٦٥٨.

والحَدِيْث في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٤ كتاب فَضَائِل الصَّحَابَة من طُرُق: عن عِمْرَان بن حُصَيْن رقم ٢٥٣٥، وعبد الله بن مَسْعُوْد رقم ٢٥٣٣، وأبي هُرَيْرَة رقم ٢٥٣٤، وعَائِشَة رقم ٢٥٣٦.

وفي الجَامِع الصَّغِيْر ص٢٤٦: رواه أَحْمَد في مُسْنَده والبُخَارِيّ ومُسْلِم والتِّرمِذِيّ، عن ابن مَسْعُوْد.

(١) شَرْح النَّوَوِيّ علىٰ مُسْلِم (المِنْهَاج) ص١٨٢٠. وانظر: فَتْح البَارِي ج٧ ص٨ وإرْشَاد السَّارِي ج٤ ص٣٨٤ و ج٦ ص٨٠ و٨١.

(٢) فَتْح البَارِي ج٧ ص٩.

السَّلَف، وذاد عنها[١].

وكانت آراء بعضهم كالقَاضِي أبي يَعْلَىٰ مُحَمَّد بن الحُسَيْن الحَنْبَلِيّ البَغْدَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٥٨هـ، وابن الزَّاغُوْنِيّ عَلِيّ بن عُبَيْد الله الحَنْبَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٢٧هـ، مثار انتقاد شديد من الحَنَابِلَة أنفسهم، وأنكروا نسبتها إلىٰ الإمَام أَحْمَد.

فابن الجَوْزِيّ عبد الرَّحْمٰن بن عَلِيّ البَكْرِيّ الحَنْبَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٩٧هـ، أَلَّفَ كتاب (دَفْع شُبَه التشبيه) ردَّ فيه تلك الآراء، وقال بعض فُقَهَاء الحَنَابِلَة: (لقد شانَ أبو يَعْلَىٰ الحَنَابِلَةَ شَيْناً لا يَغسله ماءُ البحار). وقال بعضهم: (لابن الزَّاغُوْنِيّ في كتاب الإِيْضَاح من غرائب التشبيه ما يَحار فيه النَّبِيْه).

وأدىٰ استنكار هٰـؤُلَاءِ الحَنَابِلَة وأمثالهم تلك الآراء إلىٰ استتارها في القرنين الخامس والسادس[٢].

ثم تجدد ظهور هٰذَا المَـذْهَـب علىٰ يد شيخ الإسـلام تَقِيّ الـدِّيْن أَحْمَـد بن عبد الحَلِيْم بن تَيْمِيَّة، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٨هـ، وتلميذه ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة شمس الدِّيْن مُحَمَّد بن أبي بَكْر الزُّرَعِيّ الدِّمَشْقِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥١هـ.

ثم تجدد أَخِيْراً في الجزيرة العَرَبِيَّة علىٰ يد الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٠٦هـ.

وما زال الوَهَّابِيُّوْن يتحمَّسون لآرائهم، ووَافَقَهُم بها بعضُ عُلَمَاء المُسْلِمِيْن من أرجاء البلاد الإسلامِيَّة[٣].

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٩٠.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٩٧. وانظر من هٰذَا الكلام ونحوه في كتاب ابن الجَوْزِيّ: دَفْع شُبَه التَّشْبِيْه بأَكُفّ التَّنْزِيْه ص١٤ وما بعدها.

(٣) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٩٠.

آراء السَّلَفِيَّة

١- يرىٰ السَّلَفِيّون أن العَقَائِد وأدلتها والأَحْكَام وما يتصل بها إجمالاً وتفصيلاً لا تؤخذ إلَّا من القُرْآن الكَرِيْم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة.

وليس للعقل سُلْطَان في تأويل القُرْآن الكَرِيْم وتَفْسِيْره إلَّا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات، وما تضافرت عليه الأخبار.

وسُلْطَان العقل بعد ذٰلِكَ هو في التَّصْدِيْق والإذعان، وبَيَان تَقْرِيْب المَنْقُوْل من المَعْقُوْل وعدم المنافرة بينهما.

فالعقل مقرر ومُؤَيِّد للنصوص لا ناقض ولا رافض، وسائرٌ وراء النقل يُقَوِّيه، ولا يستقل بالاستدلال، وذٰلِكَ لأن العقل يضل.

أما الأساليب العقلية التي اتخذها الفَلَاسِفَة والمتكلمون كالمُعْتَزِلَة والأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة، التي خالطتها المناهج الفلسفية ومنطق اليونان، فلم تكن معروفة عند الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن. لأن القول بأنها أساليب ضرورية لفهم العَقَائِد يؤدي إلىٰ أن الرَّسُوْل ﷺ والسَّلَف لم يكونوا يفهمون العَقَائِد علىٰ وجهها ولا يدركون أدلتها، وهٰذَا باطل.

وهٰذَا ما بينه ابن تَيْمِيَّة الذي ضبط مِنْهَاجهم[1].

٢- قسموا التَّوْحِيْد كما ذكر ابن تَيْمِيَّة إلىٰ ثلاثة أنواع هي: تَوْحِيْد الربوبية، وتَوْحِيْد الأُلوهية، وتَوْحِيْد الأسماء والصفات.

النوع الأول: تَوْحِيْد الربوبية (وحدانية التكوين):

ومعناه: الإقرار بأن الله تعالىٰ خَالِق كل شيء ورَبُّه[2]، فيُقِرّ العبد أنه لا خَالِق ولا

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٩٢. وانظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام ص٥٠٨ وموقف ابن تَيْمِيَّة من الأَشَاعِرَة ج١ ص٥٤و٦٩.

(٢) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج١١ ص٥٠. وانظر: موقف ابن تَيْمِيَّة من الأَشَاعِرَة ج٣ ص٩٧٤.

رازق ولا معطي ولا مَانِع إلَّا الله وحده[١].

بدليل:

- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ - لقمان ٢٥ والزُّمَر ٣٨.

- وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ - المُؤْمنون[٢].

- وقوله ﷺ: اللهم لا مَانِع لما أَعطيتَ، ولا مُعطيَ لما منعتَ، ولا يَنفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ[٣].

وهٰذَا النوع من التَّوْحِيْد أقرَّ به جميع الكفار المُشْرِكِيْن، فهم مُقرُّون بالرب الحق الذي ليس له مثل في: ذاته، وصفاته، وجميع أفعاله، ولٰكِنهم مع هٰذَا مُشْرِكُوْن به في

(١) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج١٤ ص٣٧٩.

(٢) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج١١ ص٥١.

(٣) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج١٤ ص٣٧٦.

وحَدِيْث: **اللهم لا مَانِع لما أَعطيتَ**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١٠ كتاب الأذان، ١٥٥ باب الذِّكْر بعد الصلاة، رقم ٨٤٤، عن المُغِيْرَة بن شُعْبَة بهٰذَا اللفظ. وورد بهٰذَا اللفظ أيضاً في صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٠ كتاب الدَّعوَات، ١٨ باب الدعاء بعد الصلاة، رقم ٦٣٣٠. و ٨٢ كتاب القَدَر، ١٢ باب لا مَانِع لما أعطىٰ الله، رقم ٦٦١٥. و ٩٦ كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، ٣ باب ما يُكرَه من كثرة السؤال، رقم ٧٢٩٢.

وهو بهٰذَا اللفظ أيضاً في صَحِيْح مُسْلِم في: ٥ كتاب المساجد، ٢٦ باب استحباب الذِّكْر بعد الصلاة، رقم ٥٩٣، عن المُغِيْرَة بن شُعْبَة.

أُلوهيته، بأن يعبدوا معه آلهة أُخرىٰ، يتخذونها شفعاء أو شركاء[١]. وهٰذَا لا يختلف فيه أحد من المُسْلِمِيْن أَيضاً.

وتَوْحِيْد الربوبية الذي أقرَّ به الخَلْق، وقرره أهل الكلام، لا يكفي وحده، بل لا بد من تَوْحِيْد الأُلوهية، وهو حق الله علىٰ عِبَاده، بأن يعبدوه ولا يشركوا به شَيئاً كما ورد في الحَدِيْث الصَّحِيْح[٢].

ورأىٰ ابن تَيْمِيَّة بعد ذٰلِكَ: أن أفعال العبد تُنسب إليه لقدرة فيه، وتُنسب إلىٰ الله تعالىٰ باعتبار أن الله خلق هٰذِهِ القدرة فهو مسبب الأسباب[٣].

وبذٰلِكَ يَلْتَقِي ابن تَيْمِيَّة مع المُعْتَزِلَة إلىٰ حد كَبِيْر، لٰكِنه يختلف عنهم في أمرين:

أولهما: يرىٰ المُعْتَزِلَة أن هناك تلازماً بين أمر الله تعالىٰ وإرادته، فالله تعالىٰ لا يأمر بشيء إلَّا إذا كان يريده، ولا ينهىٰ عن شيء إلَّا إذا كان لا يريده، فالله سُبْحَانَهُ لا يريد المعاصي ولذٰلِكَ لا يأمر بها.

أما ابن تَيْمِيَّة فيرىٰ أن لا تلازم بين أمر الله تعالىٰ وإرادته، فالله تعالىٰ يريد الطاعات ويأمر بها، ولا يريد معاصي البشر وينهىٰ عنها[٤].

الأمر الثاني: يفرّق ابن تَيْمِيَّة بين الرضا والمحبة وبين الإرادة، فالله تعالىٰ لا يحب المعاصي ولا يرضاها، ولٰكِنه يريدها.

وذكر ابن تَيْمِيَّة بأن هٰذَا هو قول جُمْهُوْر أَهْل السُّنَّة وكثير من أصحاب الأَشْعَرِيّ،

---

(١) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج١١ ص٥٠-٥١.

(٢) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج١ ص٢٣.

(٣) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص٢٠٢.

(٤) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص٢٠٣.

وهو قول السَّلَف قاطبة[١].

وقول ابن تَيْمِيَّة في أن الله تعالىٰ خلق في العبد قدرة يكون بها التَّأْثِيْر في الأشياء، قريب من مَذْهَب المَاتُرِيْدِيّ، لٰكِن ابن تَيْمِيَّة يرىٰ أن التَّأْثِيْر في الأشياء يكون بفعلها.

أما المَاتُرِيْدِيّ فيرىٰ أن التَّأْثِيْر في الأفعال الذي يكون بهٰذِهِ القوة المودَعة، لا يتجاوز التَّأْثِيْر في الكسب للفعل[٢].

تَعْلِيْل أفعال الله تعالىٰ: أي: هل أن الله تعالىٰ فعل ما فعل، وخلق ما خلق، لغير بَاعِث؟

تقدم فيما سبق:

- قول الأَشَاعِرَة وهو أن الله تعالىٰ خلق الأشياء لا لعِلَّة ولا لبَاعِث، لأن في ذٰلِكَ تَقْيِيْد إرادة الله تعالىٰ، وهو سُبْحَانَهُ لا يُسأل عما يَفعل.

وقول المُعْتَزِلَة وهو أن الله تعالىٰ في أفعاله وأوامره ونواهيه لا يفعل إلَّا الحَسَن ولا يأمر إلَّا بالحَسَن، ويجتنب القبيح ولا يأمر بالقبيح.

وهٰذَان القولان رفضهما ابن تَيْمِيَّة.

- وقول المَاتُرِيْدِيَّة أن الله سُبْحَانَهُ خلق الخلق، وأمر بالمأمورات، ونهىٰ عن المنهيات، لحكمة مَحْمُوْدة، وهٰذِهِ الحكمة ليست أمراً ملزماً له تعالىٰ، لٰكِنها لبَيَان خلق الله تعالىٰ.

وهٰذَا القول هو الذي ارتضاه ابن تَيْمِيَّة وذكر أنه قول السَّلَف، وبه قالت طوائف

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة السَّابِق، وأشار إلىٰ: مِنْهَاج السُّنَّة ج١ ص٢٢٦ ومجموعة الرَّسَائِل والمَسَائِل ج٥ ص١٠٢.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة السَّابِق.

من أصحاب أَبي حَنِيْفَة ومَالِك والشَّافِعِيّ وأَحْمَد وغيرهم، وطوائف من عُلَمَاء الكلام[١].

النوع الثاني: تَوْحِيْد الأُلوهية (الوحدانية في العِبَادَة):

والمُرَاد به: عِبَادَة الله تعالىٰ وحده لا شَرِيْك له[٢]. بدليل:

- قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ - الأنبياء ٢٥.

- وقوله تعالىٰ: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ - الزخرف ٤٥.

- وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ - النَّحْل ٣٦[٣].

ورَدَّ العُلَمَاء علىٰ تقسيم التَّوْحِيْد إلىٰ تَوْحِيْد الربوبية وتَوْحِيْد الأُلوهية، فقالوا بأنهما وَاحِد لا فَرْق بينهما، بدليل:

- قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ - الأعراف ١٧٢، ولم يقل: ألستُ بإلٰهكم؟ فاكتفىٰ منهم بتَوْحِيْد الربوبية، ومن أَقَرَّ بالربوبية فقد أَقَرَّ بالأُلوهية، إذ ليس الرب غير الإلٰه، بل هو الإلٰه بعينه.

- وقوله ﷺ: (إن المَلَكَيْن يسألان العبدَ في قبره، فيقولان له: مَن رَبُّكَ؟) ولم

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص٢٠٣-٢٠٤. وانظر: موقف ابن تَيْمِيَّة من الأَشَاعِرَة ج٣ ص١٣١٠.

(٢) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج١١ ص٥٠-٥١ و ج١٤ ص٣٧٨.

(٣) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج١١ ص٥٢.

يقولا له: مَن إلٰهكَ؟ فدَلَّ علىٰ أَنَّ تَوْحِيْد الربوبية هو تَوْحِيْد الأُلوهية[١].

وذكر ابن تَيْمِيَّة أن تَوْحِيْد الأُلوهية يقتضي أمرين:

أولهما: أن لا يعبد إلَّا الله وحده، فمن أشرك في العِبَادَة مع الله سُبْحَانَهُ شخصاً أو شَيئاً فقد أشرك، وذٰلِكَ:

لأن مُشْرِكي العَرَب كانوا مُقِرِّيْن بأن الله وحده هو خَالِق السماوات والأرض كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ - لقمان ٢٥ والزُّمَر ٣٨، ومع ذٰلِكَ سُمُّوا مُشْرِكِيْن لأنهم يعبدون مع الله غيره.

الأمر الثاني: أن يعبد الله سُبْحَانَهُ بما شرعه علىٰ أَلسُنِ رسله.

قال ابن تَيْمِيَّة: (والدعاء من جُمْلَة العِبَادات، فمن دعا المخلوقين من الموتىٰ والغائبين واستغاث بهم... كان مبتدعاً في الدِّيْن، مُشْرِكاً برب العالمين، متبعاً غير سَبِيْل المُؤْمِنين. ومن سأل الله بالمخلوقين، أو أقسم عليه بالمخلوقين كان مبتدعاً بدعة ما أنزل الله بها من سُلْطَان)[٢].

---

(١) الدُّرَر السَّنِيَّة لأَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان ص٣٧.

وحَدِيْث المَلَكَيْن في: مُسْنَد الإمَام أَحْمَد ج٣٠ ص٤٩٩، أول مُسْنَد الكُوْفِيِّين من حَدِيْث البَرَاء بن عَازِب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، رقم ١٨٥٣٤، وفيه: (... فتُعاد روحُه في جسَده، فيأتيه مَلَكَان فيُجْلِسَانه، فيقولان له: مَن رَبُّكَ؟ فيقول: رَبِّي الله. فيقولان له: ما دِيْنُكَ؟ فيقول: دِيْنِي الإسلام...).

قال مُحَقِّق المُسْنَد الشيخ شُعَيْب: إسناده صَحِيْح، رِجَاله رِجَال الصَّحِيْح. ثم خَرَّجَهُ من كتب كثيرة.

وللحَدِيْث روايات أُخرىٰ في مُسْنَد أَحْمَد وغيره.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص٢٠٥ وأشار إلىٰ (قاعدة جَلِيْلة في التوسُّل والوسيلة) لابن تَيْمِيَّة. وانظر ذٰلِكَ في: قاعدة جَلِيْلة في التوسُّل والوسيلة، في: مجموع الفَتَاوَىٰ ج١ ص٣١١-٣١٢.

وقد بنىٰ ابنُ تَيْمِيَّة علىٰ قوله بتَوْحِيْد الأُلوهية الأُمور الآتية:

١- منع التقرب إلىٰ الله سُبْحَانَهُ بالصَّالِحِيْن والأَوْلِيَاء.

فبعض الصَّالِحِيْن وإن كانوا أصحاب كَرَامَات، فهم عِبَاد مكلَّفون شرعاً، وتلك الكَرَامَة لا تجعل صاحبها وسيلة يتقرب بها إلىٰ الله تعالىٰ، قال ﷺ: (يا معشرَ قُرَيْش - أو كلمةً نَحْوَها - اشتَرُوا أنفسَكم لا أُغْني عنكم من الله شَيئاً، يا بني عبدِ مَنَاف لا أُغْني عنكم من الله شَيئاً، يا عَبَّاس بنَ عَبْد المُطَّلِب لا أُغْني عنكَ من الله شَيئاً، يا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُوْل الله ﷺ لا أُغْني عنكِ من الله شَيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ مُحَمَّد سَلِيني ما شئتِ من مالي، لا أُغْني عنكِ من الله شَيئاً)[1].

٢- منع الاستغاثة والتوسُّل بالموتىٰ وغيرهم.

رأىٰ ابن تَيْمِيَّة أن الاستغاثة لا تكون إلَّا بالله تعالىٰ، أما الاستغاثة بغير الله تعالىٰ فهي ممنوعة مطلقاً. بدليل:

أن منافقاً كان يؤذي المُؤْمِنين، فقال أبو بَكْر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قوموا نستغث برَسُوْل الله

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص٢٠٦.

وانظر ذٰلِكَ في: قاعدة جَلِيْلة في التوسُّل والوسيلة، المتضمنة في الجزء الأول من مجموع الفَتَاوَىٰ من ص١٤٢-٣٦٨.

وحَدِيْث: يا معشر قُرَيْش... إلخ بهٰذَا اللفظ في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٥٥ كتاب الوصايا، ١١ باب هل يدخل النساء والوَلَد في الأقارب، رقم ٢٧٥٣، عن أبي هُرَيْرَة.

والحَدِيْث بلفظٍ مقاربٍ في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦١ كتاب المَنَاقِب، ١٣ باب من انتسب إلىٰ آبائه في الإسلام والجاهلية، رقم ٣٥٢٧، عن أبي هُرَيْرَة. و ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر، ٢ باب ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ - الشعراء ٢١٤، رقم ٤٧٧١، عن أبي هُرَيْرَة.

وهو في صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٨٧ باب قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ - الشعراء ٢١٤، رقم ٢٠٤، عن أبي هُرَيْرَة.

ﷺ من هٰذَا المنافق. فقال له النَّبِيّ ﷺ: (إنه لا يُستغاثُ بي، وإنما يُستغاثُ بالله).

ونقل ابن تَيْمِيَّة عن أبي يَزِيْد البَسْطَامِيّ قوله: (استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق).

وكذٰلِكَ لا يتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالأموات، ولا يستغاث بهم. قال ابن تَيْمِيَّة: (إننا ليس لنا أن نطلب من الأنبياء والصَّالِحِيْن شَيئاً بعد موتهم، وإن كانوا أحياء في قبورهم). وحجته هي:

(أنه لم يفعل ذٰلِكَ أحد من السَّلَف، ولأن ذٰلِكَ ذَرِيْعَة إلىٰ الشرك وعِبَادتهم من دون الله).

قال: (وهٰذَا بخلاف الطلب من أحدهم في حياته، فإنه لا يُفْضي إلىٰ الشرك).

وكذٰلِكَ لا يجوز النَّذْر للقبور أو لسكان القبور. قال ابن تَيْمِيَّة: (ومن اعتقد أن للقبور نفعاً أو ضَرّاً فهو ضال جاهل).

وقال أَيضاً: (إن من يعتقد أن هٰذِهِ النذور باب الحوائج إلىٰ الله تعالىٰ، وأنها تكشف الضُّرّ، وتفتح الرزق، وتحفظ المِصْر، فهو مُشْرِك يجب قتله)[(١)].

وردَّ العُلَمَاء علىٰ ابن تَيْمِيَّة، فقالوا:

إنَّ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة هو أن التوسُّل بجاه رَسُوْل الله ﷺ والصَّالِحِيْن مشروع جائز، لا فرق بين كونهم أحياءً وأمواتاً. ويتبرك بهم لكونهم أحباء لله تعالىٰ، أما

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص٢٠٦-٢٠٧ ونقل عن مجموعة الرَّسَائِل والمَسَائِل ج١ ص٥٥ لابن تَيْمِيَّة.

وانظر الاستغاثة بغير الله وبالأموات في: قاعدة جَلِيْلة في التوسُّل والوسيلة، في: مجموع الفَتَاوَىٰ ج١ ص١٤٢-٣٦٨.

وحَدِيْث: إنه لا يُستغاثُ بي... إلخ، في: المُعْجَم الكَبِيْر للطَّبَرَانِيّ.

النفع والضر والخلق فهو لله تعالىٰ وحده لا شَرِيْك له[1]. ومن أَدِلَّة أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة:

- عن عُثْمَان بن حُنَيْف أن رجلاً ضريرَ البصَر، أتىٰ النَّبِيّ ﷺ فقال: ادْعُ اللهَ أن يُعافيَني، قال: إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خَيْرٌ لكَ. قال: فادْعُه. قال: فأَمَرَه أن يتوضأ فيحسن وُضُوْءه، ويدعو بهٰذَا الدعاء: اللهم إني أسألُكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنَبِيِّكَ مُحَمَّد نَبِيّ الرحمة، إني تَوجَّهتُ بكَ إلىٰ ربي في حاجتي هٰذِهِ لتُقْضَىٰ لي، اللهم فشَفِّعْه فِيَّ.

- وعن أَبِي سَعِيْد الخُدْرِيّ قال: قال رَسُوْل الله ﷺ: مَن خرج من بيته إلىٰ الصلاة فقال: اللهم إني أسأَلُكَ بحقِّ السَّائِلين عليك... إلخ.

وهٰذَا توسُّل بكل عبد مُؤْمِن، وبه كان يدعو الصَّحَابَة إذا خرجوا إلىٰ الصلاة[2].

---

(١) رِسَالَة فيما يتعلق بأَدِلَّة جواز التوسُّل بالنَّبِيّ وزيارته ﷺ لأَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان ص١٨٠-١٨١.

(٢) رِسَالَة فيما يتعلق بأَدِلَّة جواز التوسُّل بالنَّبِيّ وزيارته ﷺ لأَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان ص١٧٤.

وحَدِيْث **عُثْمَان بن حُنَيْف** بهٰذَا اللفظ رواه التِّرْمِذِيّ في سُنَنه في: ٤٤ كتاب الدَّعَوَات، ١١٨ باب، رقم ٣٥٧٨، ص٥٦٢. وقال: حَدِيْث حَسَن صَحِيْح غَرِيْب لا نعرفه إلَّا من هٰذَا الوجه من حَدِيْث أبي جَعْفَر. وصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيّ.

ورواه ابن مَاجَه في سُنَنه مع اختلاف لفظي يسير في: ٥ كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، ١٨٩ باب ما جاء في صلاة الحاجة، رقم ١٣٨٥، ج١ ص٤٤١ وفيه بعده: قال أبو إِسْحَاق: هٰذَا حَدِيْث صَحِيْح. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج٢ ص٣٩٥: إسناده صَحِيْحٌ.

وهٰذَا الحَدِيْث رواه أَيضاً النَّسَائِيّ (في الكبرىٰ) والبَيْهَقِيّ والطَّبَرَانِيّ بإسناد صَحِيْح عن عُثْمَان بن حُنَيْف، وخَرَّجَهُ أَيضاً البُخَارِيّ في تاريخه والحَاكِم في المُسْتَدْرَك بإسناد صَحِيْح. / رِسَالَة فيما يتعلق بأَدِلَّة جواز التوسُّل بالنَّبِيّ وزيارته ﷺ لأَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان ص١٧٥-١٧٦.

والحَدِيْث في مُسْنَد أَحْمَد ج٢٨ ص٤٧٨ رقم ١٧٢٤٠، طَبْعَة مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة، وقال

- وعن أَنَس: أن عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان إذا قَحَطُوا استسقىٰ بالعَبَّاس بن عَبْد المُطَّلِب. فقال: اللهم إنا كنا نتوسَّلُ إليكَ بنَبِيّنا فتسقينا، وإنا نتوسَّلُ إليكَ بعَمِّ نَبِيّنا فاسْقِنا، قال: فيُسْقَوْن[1].

- والأَحَادِيْث الصَّحِيْحَة التي ورد فيها توسُّل الصَّحَابَة وتبرّكهم بعَرَق رَسُوْل الله ﷺ وشَعْره وفضلة ماء وُضوئه.

وأَحَادِيْث كثيرة أُخرىٰ في الصَّحِيْحَيْن وغيرهما[2].

ولا يُعلم أيّ نقاش دار حول ذٰلِكَ في عَصْر السَّلَف، وظل الأمر علىٰ ذٰلِكَ حتىٰ جاء الإِمَام ابن تَيْمِيَّة، ففرَّق بين التوسُّل بالأنبياء والصَّالِحِيْن في حال حياتهم وبعد مماتهم، فأجازه حال الحياة وحرّمه بعد الممات، مع أن النصوص لم تفرق بين الحالين.

المُحَقِّق شُعَيْب الأرنؤوط: إسناده صَحِيْح، رِجَاله ثقات. وذكر مخرجيه. وللحَدِيْث طريقان آخران فيه برقم ١٧٢٤١ و١٧٢٤٢.

وحَدِيْث أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ في سُنَن ابن مَاجَه، في: ٤ كتاب المساجد والجماعات، ١٤ باب المشي إلىٰ الصلاة، رقم ٧٧٨، ج١ ص٢٥٦. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج١ ص٤٩٨: إسناده ضعيفٌ، لضعف عَطِيَّة العَوْفِيّ. ومع ذٰلِكَ فقد حَسَّنَهُ الحَافِظ في نتائج الأفكار. ثم ذَكَرَ مُخَرِّجِيْه. ورواه ابن خُزَيْمَة في صَحِيْحه.

والحَدِيْث في مُسْنَد أَحْمَد ج١٧ ص٢٤٧ رقم ١١١٥٦، طَبْعَة مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة، من طريق آخر، قال فيه المحقِّق شُعَيْب: إسناده ضعيف، وقد روي موقوفاً وهو أشبه. وخَرَّجَهُ.

(١) رِسَالَة فيما يتعلق بأَدِلَّة جواز التوسُّل بالنَّبِيّ وزيارته ﷺ لأَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان ص١٧٨.

وحَدِيْث أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البُخَارِيّ في صَحِيْحه، في: ١٥ كتاب الاستسقاء، ٣ باب سؤال الناس الإِمَام الاستسقاء إذا قَحَطُوا، رقم ١٠١٠، ص٢١٦. وفي: ٦٢ كتاب فَضَائِل أصحاب النَّبِيّ ﷺ، ١١ باب ذكر العَبَّاس بن عَبْد المُطَّلِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم ٣٧١٠، ص٧٨١.

(٢) السَّلَفِيَّة لمُحَمَّد سَعِيْد رَمَضَان البُوْطِيّ ص١٥٤.

ومن الكتب التي بحثت مَسْأَلَة التوسُّل: شِفَاء السِّقَام في زيارة خَيْر الأنام للإِمَام تَقِيّ الدِّيْن أبي الحَسَن عَلِيّ بن عبد الكافي السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥٦هـ، وشواهد الحق في الاستغاثة بسَيِّد الخلق ﷺ للشيخ يُوْسُف بن إسْمَاعِيْل النَّبْهَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣٢م.

وهٰذِهِ المَسْأَلَة اجتهَادِية، لا توجب خلافاً بين المُسْلِمِيْن، ولا تستدعي تفسيق الآخر أو نسبته إلىٰ البِدْعَة، فضلاً عن نسبته إلىٰ الشرك والمُرُوق من الدِّيْن، ما دام الجميع يتفقون علىٰ أن التوسُّل هو بمكانة الرَّسُوْل ﷺ والصَّالِحِيْن عند الله تعالىٰ لا بأجسامهم المادية(١).

٣- منع زيارة قبور الصَّالِحِيْن والأنبياء للتَّيَمُّن والتَّقْدِيْس.

رأىٰ ابنُ تَيْمِيَّة أن زيارة قبور الصَّالِحِيْن بقصد التبرك والتقرب إلىٰ الله تعالىٰ لا تجوز. أما إذا كانت الزيارة بقصد العِظة والاعتبار فهي جائزة، بل مندوب إليها.

ورأىٰ كذٰلِكَ: أن زيارة قبر النَّبِيّ ﷺ للتبرّك لا تجوز، بحُجَّة:

أن النَّبِيّ ﷺ قال: (اللهم لا تجعل قبري وَثَناً يُعبد. اشتدَّ غضبُ الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

وأن النَّبِيّ ﷺ دُفن في بيت السَّيِّدة عَائِشَة علىٰ غير ما اعتاد الناس لكي لا يُتخذ قبره مزاراً.

وأن الصَّحَابَة كانوا إذا سلَّموا علىٰ النَّبِيّ ﷺ بعد مماته، وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلين القِبْلَة(٢).

وقد خالف ابن تَيْمِيَّة جُمْهُوْر عُلَمَاء المُسْلِمِيْن في زيارة الرَّوْضَة الشَّرِيْفَة، لأنهم رأوا أن منع الزيارة في الحَدِيْث كان خشية الوثنية، ولا خشية منها بعد تركز أُصُوْل الإسلام في النفوس.

---

(١) السَّلَفِيَّة لمُحَمَّد سَعِيْد رَمَضَان البُوْطِيّ ص١٥٤-١٥٦.

(٢) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص٢٠٧-٢٠٨.

وانظر: قاعدة جَلِيْلة في التوسُّل والوسيلة، في: مجموع الفَتَاوَىٰ، الجزء الأول ص١٤٢-٣٦٨.

وحَدِيْث: اللهم لا تجعل قبري وَثَناً يُعبد... إلخ، رواه مَالِك في مُوَطَّئِه.

وإذا كان فيها تَقْدِيْس لمُحَمَّد ﷺ فهو تَقْدِيْس للوحدانية والمعاني التي بعث من أجلها.

ثم إن في زيارة الرَّوْضَة الشَّرِيْفَة تذكيراً بمَوَاقِف النَّبِيّ ﷺ في الجِهَاد والصبر، والعَمَل علىٰ رفع شأن التَّوْحِيْد والدِّيْن.

قال نَافِع مَوْلَىٰ عبد الله بن عُمَر، كان ابن عُمَر يُسلِّم علىٰ القبر، رأيته مئة مرة أو أكثر يجيء إلىٰ القبر، ورؤي واضعاً يده علىٰ مقعد النَّبِيّ ﷺ من المنبر، ثم وضعها علىٰ وجهه.

ورَوَىٰ ابن تَيْمِيَّة: أن الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم كانوا يتجهون إلىٰ الرَّوْضَة الشَّرِيْفَة إذا أرادوا سفراً أو قدموا من سفر.

لذٰلِكَ رأىٰ الشيخ أبو زُهْرَة: (أن التبرّك بزيارة قبر النَّبِيّ ﷺ مُسْتَحْسَن، وليس هٰذَا التبرّك عِبَادَة أو قريباً منها، إنما هو التذكر والاعتبار بسيرته وهَدْيه...، والدعاء عند القبر دعاء والقلب خاشع، والعقل خاضع، والنفس مخلصة، والوجدان مستيقظ، وإن ذٰلِكَ أبرك الدعاء)[١].

النوع الثالث: تَوْحِيْد الأسماء والصفات:

والمُرَاد به: أن يوصف الله عَزَّ وجَلَّ بما وصف به نفسه وبما وصفه به رَسُوْله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وهٰذَا ما قاله ابن تَيْمِيَّة في بَيَان مَذْهَب السَّلَف[٢].

فأثبت لله المحبة والسخط، والغضب والرضا، والنداء، والكلام، والنُّزُوْل إلىٰ الناس في ظُلَل من الغَمَام، والاستقرار علىٰ العرش، والوجه، واليد، كما ورد في القُرْآن والسُّنَّة، من غير تأويل ولا تَفْسِيْر بغير الظَّاهِر.

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج٥ ص٢٦.

لٰكِن ليست يده كيد الحوادث، ولا نُزُوْله كَنْزُوْلهم، ولا وجهه كوجوههم، ويرىٰ أن هٰذَا هو مَذْهَب السَّلَف[١].

وذكر ابن تَيْمِيَّة روايات عن مَالِك بن أَنَس وسُفْيَان الثَّوْرِيّ وسُفْيَان بن عُيَيْنَة واللَّيْث بن سَعْد والأَوْزَاعِيّ وغيرهم حين سُئلوا عن الأخبار التي جاءت في الصفات، فقالوا كلهم: أَمِرُّوها كما جاءت، أو: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كَيْف[٢].

ونقل عن ابن عبد البَرّ: أن أَهْل السُّنَّة مُجْمِعُون علىٰ الإقرار بالصفات الوَارِدَة كلها في القُرْآن والسُّنَّة والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، إلَّا أنهم لا يكَيِّفون شَيئاً من ذٰلِكَ، ولا يحدون فيه صفة محصورة[٣].

إلَّا أن هٰذَا القول قد سبقه به الحَنَابِلَة في القرن الرابع الهِجْرِيّ، وقالوا: إن هٰذَا هو مَذْهَب السَّلَف.

لٰكِن ردَّ عليهم عُلَمَاء أَجِلَّاء من الحَنَابِلَة كابن الجَوْزِيّ، ونفىٰ أن يكون ذٰلِكَ مَذْهَب السَّلَف، وأثبت أن قولهم يؤدي إلىٰ التشبيه والتجسيم لا محالة[٤].

وذهب هٰؤُلَاءِ وغيرهم إلىٰ تأويل هٰذِهِ النصوص المُوْهِمَة للمُشَابَهَة، كتأويل اليد بالقوة أو النعمة، وتأويل الاستواء بالاستيلاء...، لأن اللُّغَة تتسع لهٰذَا التَّفْسِيْر، وأن التأويل أُوْلَىٰ من تَفْسِيْرها بمعانيها الظَّاهِرَة الحرفية والجهل بكيفياتها[٥].

وسيأتي أن تأويل النصوص المُوْهِمَة للمُشَابَهَة هو مَذْهَب المُعْتَزِلَة والأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة والزَّيْدِيَّة والإمَامِيَّة وعامة أهل الإسلام.

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٩٥-١٩٦.

(٢) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج٥ ص٣٩و٨٦.

(٣) مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج٥ ص٨٧.

(٤) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٩٦. وأشرنا آنفاً إلىٰ قول ابن الجَوْزِيّ.

(٥) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٩٨.

المَبْحَث الثالث

أُصُوْل الدِّيْن عند المَذَاهِب الإسلامِيَّة

بعد عرض المَذَاهِب الإسلامِيَّة في العَقَائِد تبين أن هناك اختلافات بينها في أُصُوْل الدِّيْن. ويقصد بأُصُوْل الدِّيْن: الأُسس التي يرتكز عليها الإيمان، فإذا فقد أحدها لا يكون إيمان.

وقد اختلفت المَذَاهِب الإسلامِيَّة في تعداد هٰذِهِ الأُصُوْل، مما قد يؤدي إلىٰ الظن بأن هناك اختلافات جوهرية بينها فيها. وسأقتصر علىٰ بَيَان أُصُوْل الدِّيْن عند ثلاثة من تلك المَذَاهِب وهي: **أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، والشِّيْعَة الإمَامِيَّة، والمُعْتَزِلَة**، والتي ترجع إليها عامة الفِرَق الأُخرىٰ، مبيناً حقيقة ذٰلِكَ الاختلاف بينهم.

١- أُصُوْل الدِّيْن عند أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة

أُصُوْل الدِّيْن عندهم ستة، وهي ما ورد في حَدِيْث جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سأل النَّبِيَّ ﷺ عن الإيمان، فقال رَسُوْل الله ﷺ: (أن تُؤمنَ بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليَوم الآخِر، وتُؤمنَ بالقَدَر خَيْره وشرِّه)[1].

---

(١) **حَدِيْث جِبْرِيْل** عَلَيْهِ السَّلَامُ في صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٢ كتاب الإيمان، ٣٧ باب سؤال جِبْرِيْل النَّبِيَّ ﷺ عن الإيمان...، رقم ٥٠، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ووَرَدَ عن أبي هُرَيْرَة أَيضاً في رقم ٤٧٧٧.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، أول باب بَيَان الإيمان والإسلام...، رقم ٨ (٢)، عن عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واللفظ لمُسْلِم.

- **الأصل الأول: الإيمان بالله:**

وهو الاعْتِقَاد بأن الله تعالىٰ مُوْجِد المخلوقات، وأنه وَاحِد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شَرِيْك له ولا شبيه له، ومتصف بصفات الكَمَال والجَلَال من قدرة وعلم وعَدْل...، ومنزه عن كل نقص من ظلم وعَبَث... .

- **الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة:**

الملائكة أجسام نورانية ليست أجساماً مادية، ووجودهم ثَابت بقوله تعالىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ - البقرة ٢٨٥.

وأوجب الله علينا الإيمان بهم، وجعل إنكار وجودهم كفراً، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ - النساء ١٣٦.

أما أوصافهم فلسنا مكلَّفين بتتبعها إلَّا من النص القطعي. ومن تلك الأوصاف:

١- هم معصومون عن الخطأ. قال تعالىٰ: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ - التحريم ٦.

٢- لهم أجنحة مَثْنَىٰ وثلاث ورباع. قال تعالىٰ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ ﴾ - فاطر ١.

٣- قَادِرُوْن علىٰ التمثُّل بصورة البشر. قال تعالىٰ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾ - مريم.

وأَعْمَالهم التي وكّلهم الله تعالىٰ بها كثيرة منها:

١- الاستغفار للمُؤْمنين والدعاء لهم. قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ

ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ - غافر.

٢- حمل عرش الرَّحْمٰن. قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾- الحَاقَّة ١٧.

٣- كتابة أَعْمَال البشر. قال تعالىٰ: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ - ق.

٤- رعاية البشر والمحافظة عليهم. قال تعالىٰ: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ ﴾- الرعد ١١.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ - الانفطار.

٥- إنزال الكتب السماوية. قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ - الشعراء.

٦- قبض الأرواح. قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ - السجدة ١١.

٧- حراسة الجنة ورعاية أهلها. قال تعالىٰ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ - الرعد.

٨- حراسة النار وتعذيب أهلها. قال تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ - الزُّمر ٧١.

وغير ذٰلِكَ من الأوصاف والوظائف الـوَارِدَة في القُرْآن الكَرِيْم والأَحَادِيْث الشَّرِيْفَة.

- **الأصل الثالث: الإيمان بالكتب السماوية:**

أمر الله سُبْحَانَهُ أن نصدِّق بالكتب السماوية إجمالاً، ونؤمن بأنها نزلت بالحق. قال سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ - المائدة ٤٤.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ - المائدة ٤٦.

وخُصّ القُرْآن الكَرِيْم بمزايا كثيرة منها:

أنه سُبْحَانَهُ تكفل بحفظه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ - الحِجْر ٩.

وأنه لا يطرأ عليه من الباطل شيء، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ - فُصِّلَت.

لذٰلِكَ لم يرد عليه تحريف كما ورد علىٰ الكتب السماوية السَّابِقَة.

وأَلزَمَنَا سُبْحَانَهُ العَمَل به، لأنه متضمن جميع التعاليم الإلٰهيَّة: قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ - المائدة ٤٨.

- **الأصل الرابع: الإيمان بالأنبياء والمُرْسَلين:**

وهٰؤُلَاءِ صَفْوَة الخلق، اختارهم الله تعالىٰ مبشِّرين ومُنْذِرِيْن، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ - فاطر ٢٤.

وجميع الأنبياء والرسل الذين ذكرت أسماؤهم في القُرْآن الكَرِيْم أو لم تذكر يجب أن نؤمن بهم إجمالاً، ونؤمن أن إنكار نُبُوَّة أحد منهم كفر، قال تعالىٰ: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ - البقرة ٢٨٥.

ونؤمن بأنهم يتصفون بأفضل صفات البشر، ويتنزهون عن كل نقيصة، قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ - الأنبياء ٧٣.

ونؤمن أن مُحَمَّداً ﷺ خاتم الأنبياء والمُرْسَلين، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ - الأحزاب ٤٠.

- **الأصل الخامس: الإيمان باليَوم الآخِر:**

وهو الاعْتِقَاد بوجود حياة أُخرىٰ بعد الموت، يجد الإنسان فيها جزاء عَمَله في الدنيا، فيثاب بنَعِيْم الجنة، أو يعاقب بعذاب النار.

قال تعالىٰ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ - التغابن ٧.

ومُنْكِرُ هٰذَا اليوم كافر باتفاق المُسْلِمِيْن، قال تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ - التوبة ٢٩.

وبهٰذَا الإيمان يحاسب الإنسان نفسه في الدنيا، لخوفه من حساب اليَوم الآخِر.

- **الأصل السادس: الإيمان بالقَدَر خَيْره وشَرّه:**

ذهب المَاتُرِيْدِيَّة إلىٰ أن القَضَاء هو: إيجاد الله تعالىٰ الأشياء علىٰ وجه الإحْكَام والإتْقَان.

والقَدَر هو: علمه تعالىٰ أزلاً صفاتِ المخلوقات، أي: بما تكون عليه من حُسْن وقُبْح ونفع وضرر.

وعَكَسَ ذٰلِكَ الأَشَاعِرَة، فجعلوا تعريف القَدَر للقَضَاء، والقَضَاء للقَدَر.

ومعنىٰ الإيمان بهما هو: الاعْتِقَاد بأن ما يصيب الإنسان من خَيْر وشر واقعٌ حسب تقدِير الله تعالىٰ وعلمه وإرادته.

ولا يعني هٰذَا الإيمان أن الإنسان مُجْبَر علىٰ أفعاله، لأنه إذا كان مُجْبَراً بطل الثواب والعقاب وانتفت بعثة الأنبياء. وسيأتي تفصيل ذٰلِكَ في موضوع القَضَاء والقَدَر.

٢- أُصُوْل الدِّيْن عند الشِّيْعَة الإمَامِيَّة الاثْنَي عَشَرِيَّة

ذهب جُمْهُوْرهم إلىٰ أن أُصُوْل الدِّيْن خمسة وهي:

التَّوْحِيْد، والعَدْل، والنُّبُوَّة، والإمَامَة، والمعاد[1].

- **الأصل الأول: التَّوْحِيْد:**

هو الاعْتِقَاد بأن الله سُبْحَانَهُ وَاحِد في:

أُلوهيته، فلا يعبد سواه.

وربوبيته، فلا شَرِيْك له في الخلق.

وأفعاله، فهو مستقل بالخلق والرزق والموت والحياة... .

ومراتبه: تَوْحِيْد الذات، وتَوْحِيْد الصفات، وتَوْحِيْد الأفعال.

- **الأصل الثاني: العَدْل:**

وهو الاعْتِقَاد أن الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ لا يظلم أحداً، ولا يفعل ما يستقبحه العقل السَّلِيْم.

فهم كالمُعْتَزِلَة يقولون بالتَّحْسِيْن والتَّقْبِيْح العقليين.

---

(١) أصل الشِّيْعَة وأُصُوْلها ص١٤١ وما بعدها.

وذكر النَّصِيْر الطُّوْسِيّ في تَجْرِيْد الاعْتِقَاد ص٣٢٧ هٰذِهِ الأُصُوْل إلَّا أصل العَدْل، لٰكِنه أدخله تحت أصل التَّوْحِيْد.

● **الأصل الثالث: النُّبُوَّة:**

جميع الأنبياء والمُرْسَلين الذين نصّ عليهم القُرْآن الكَرِيْم عِبَاد مكرمون، بعثهم اللهُ تعالىٰ لدعوة الخلق إلىٰ الحقّ. وأن مُحَمَّداً ﷺ خاتم الأنبياء وسَيِّد الرسل، وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة.

والقُرْآن الكَرِيْم أنزله الله تعالىٰ عليه للإعجاز والتحدي ولتَعْلِيْم الأَحْكَام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زِيَادَة، والأخبار الوَارِدَة الظَّاهِرَة في نقصه أو تحريفه شَاذَّة ضعيفة، وهي أخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عَمَلاً، وهي إما أن تؤول أو يضرب بها الجدار، كا قال الشيخ كاشف الغطاء.

ويعتقد الإمَامِيَّة أن كل من اعتقد أو ادعىٰ نُبُوَّةً بعد مُحَمَّد ﷺ أو نُزُوْلَ وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله.

● **الأصل الرابع: الإمَامَة:**

وهي منصب إلٰهيّ يختاره الله بسابق علمه بعِبَاده كما يختار النَّبِيَّ، ويأمر النَّبِيَّ بأن يَدُلّ الأُمَّة عليه ويأمرهم باتباعه.

ويعتقدون أن الله سُبْحَانَهُ أمر نبيه أن ينصّ علىٰ عَلِيّ.

ويرون وجوب وجود الإمَام في كل عَصْر، وأن الأرض لا تخلو من حُجَّة.

● **الأصل الخامس: المعاد:**

وهو أن يحيي الله سُبْحَانَهُ الخلائق بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، قال تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ - الزلزلة.

ويعاد الشخص بعينه وبجسده وروحه، بحيث لو رآه الرائي لقال هٰذَا فُلَان[1].

٣- أُصُوْل الدِّيْن عند المُعْتَزِلَة

قدمنا عند الكلام عن المُعْتَزِلَة أن أُصُوْلهم خمسة، وهي: التَّوْحِيْد، والعَدْل، والوعد والوعيد، والمَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر.

- **الأصل الأول: التَّوْحِيْد:**

وهو العلم بأن الله تعالىٰ وَاحِد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً علىٰ الحد الذي يستحقه، والإقرار به.

وبنوا علىٰ هٰذَا الأصل: قولهم بنفي الصفات الإلٰهِيَّة، ومما يَتَرَتَّب عليه القول بخَلْق القُرْآن، وقولهم باستحالة رؤية الله تعالىٰ من قبل المُؤْمِنين في الآخِرَة.

- **الأصل الثاني: العَدْل:**

وهو الاعْتِقَاد بأن أفعاله تعالىٰ كلها حَسَنَة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يُخلّ بما هو واجب عليه.

وبنوا عليه: قولهم بوجوب تَعْلِيْل أَفعال الله تعالىٰ، وبالتَّحْسِيْن والتَّقْبِيْح العقليين، وبأن العِبَاد يخلقون أفعالهم، وبوجوب اللطف الإلٰهِيّ، ووجوب الصَّلَاح والأصلح، ووجوب بعثة الرسل علىٰ الله تعالىٰ.

- **الأصل الثالث: الوعد والوعيد:**

وهو الاعْتِقَاد بأن الله تعالىٰ وعد المُطِيْعِيْن بالثواب، وتوعَّد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعّد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخُلْف ولا الكذب.

وبنوا عليه: إنكارهم شفاعة الرَّسُوْل ﷺ لأهل الكبائر من أُمَّته، وقَصَروها علىٰ

---

(١) أصل الشِّيْعَة وأُصُوْلها ص١٤١-١٥٧. وانظر: هٰذِهِ الأُصُوْل أَيضاً في: تَجْرِيْد الاعْتِقَاد للطُّوْسِيّ وشرحه كَشْف المُرَاد للحِلِّيّ ص٣٠٥ وما بعدها.

التائبين من المُؤْمِنين.

- **الأصل الرابع: المَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن:**

وهو أن مرتكب الكَبِيْرَة ليس مُؤْمِناً كما تقوله المُرْجِئَة، وليس كافراً كما تقول الخَوَارِج، وإنما هو في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان.

- **الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر:**

ومعنىٰ الأمر بالمعروف إيقاع المعروف، ومعنىٰ النهي عن المُنْكَر زوال المُنْكَر.

وبناءً علىٰ هٰذَا الأصل: تصدَّوا للزنادقة والمبطِلِين، وجاهدوا من خالف حكم الله تعالىٰ[١].

الأصل الدِّيْنِيّ والأصل المَذْهَبِيّ

أُصُوْل الدِّيْن نوعان: ديني، ومَذْهَبِيّ.

أ- الأصل الدِّيْنِيّ: وهو الذي يكون مُنْكِره خارجاً عن دين الإسلام.

ب- الأصل المَذْهَبِيّ: وهو الذي يكون مُنْكِره خارجاً عن دائرة المَذْهَب، ولا يكون خارجاً عن دين الإسلام[٢].

بعد بَيَان هٰذَا نورد الأُصُوْل التي أجمعت عليها هٰذِهِ المَذَاهِب، ونورد ما نصت عليه من أُصُوْل يوهم ذِكرُها الاختلافَ بينهم، لنتبين بعد النَّظَر فيه أن ذٰلِكَ الاختلاف ليس حقيقياً.

وهٰـذَا هو هدفنا في كتابنا هٰـذَا، **وهو أن نَجْمَعَ ولا نُفَرِّقَ** بين مَذَاهِب الأُمَّة الإسلامِيَّة.

---

(١) تَقَدَّمَ هٰذَا كله مُفَصَّلًا في كلامنا عن فرقة المُعْتَزِلَة.

(٢) كتابنا: أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ ص٦١.

أُصُوْل الـدِّيْـن التي أجمعوا عليها

اتفقت فِرَق أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، والشِّيْعَة الإمَامِيَّة، والمُعْتَزِلَة علىٰ الأُصُوْل الآتية:

١- الإيمان إجمالاً بوجود الله تعالىٰ، واتصافه بصفات الكَمَال، وتنزهه عن كل صفة من صفات النقص.

٢- الإيمان إجمالاً بالنُّبُوَّة عامة، ونُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ خاصة، وما بلّغ به من الله تعالىٰ.

وهٰذَا الأصل وإن لم يذكره المُعْتَزِلَة ضمن أُصُوْلهم الخمسة، لٰكِنه مَعْلُوْم مما كتبوه في إثبات نُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ وإعجاز القُرْآن، ومن مُنَاظَراتهم، ودفاعهم عن الشَّرِيْعَة الإسلامِيَّة ببراعتهم وحِدَّة عُقُوْلهم.

وتقدم قولهم في موضوع التَّحْسِيْن والتَّقْبِيْح العقليين: (إن من بلغتهم دعوة الرسل وشرائع الله مكلفون من الله بما تقضي به هٰذِهِ الشرائع).

٣- الإيمان إجمالاً باليَوم الآخِر، والناس فيه مجزيون علىٰ أَعْمَالهم.

وهٰذِهِ الأُصُوْل الثلاثة هي أُصُوْل دينية عند هٰذِهِ الفرق جميعها، لأن الذي لا يؤمن بأحدها يكون كافراً يخرج عن دائرة الإسلام بالاتفاق.

أُصُوْل الـدِّيْـن التي اختلفوا فيها

وردت عند كل فِرْقَة من الفِرَق الثلاث أُصُوْل لم تذكرها الفِرْقَة الأُخرىٰ، مما يوهم أن هناك اختلافاً بينها.

ولٰكِن عند التدقيق نرىٰ أن من تلك الأُصُوْل ما هو راجع الىٰ أحد الأُصُوْل الثلاثة المتقدمة التي أجمعوا عليها، ومنها ما هو منصوص عليه لاعتبار معين، فيكون أَصلاً مَذْهَبِيّاً بمعنىٰ أن الذي لا يؤمن به يخرج من المَذْهَب لا من الدِّيْن.

فأَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة انفردوا بالنص علىٰ أُصُوْل: (الإيمان بالملائكة، وبالكتب السماوية، وبالقَدَر).

والنَّاظِر فيها يجد أن (الإيمان بالملائكة، وبالكتب السماوية) أَصلان يندرجان تحت أصل الإيمان بالنُّبُوَّة، فمن آمن بالنَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ آمن بهما قطعاً.

أما أصل (الإيمان بالقَدَر خَيْره وشره) عندهم، فإن القول به يردّ علىٰ الجَبْرِيَّة القائلين بالجَبْر المطلق، وعلىٰ القَدَرِيَّة والمُعْتَزِلَة القائلين بحُرِّيَّة الإرادة الإنسانية المطلقة.. . .

لذٰلِكَ يمكن اعتبار أصل الإيمان بالقَدَر أَصلاً مَذْهَبِيّاً وليس أَصلاً دينياً.

والشِّيْعَة الإمَامِيَّة نصوا علىٰ (العَدْل، والإمَامَة).

والنَّاظِر يجد أن أصل العَدْل يندرج تحت أصل الإيمان بالله وتَوْحِيْده[1].

أما أصل (الإمَامَة) فلعُلَمَاء الإمَامِيَّة فيه قولان:

أولهما: إنه رُكْن الدِّيْن وأصله. وعلىٰ هٰذَا القول يعتبر أصل الإمَامَة أَصلاً دينياً، فالذي لا يؤمن به يخرج عن دائرة الإسلام.

القول الثاني: إنه رُكْن المَذْهَب، وهٰذَا القول يعتبر الإمَامَة أَصلاً مَذْهَبِيّاً، فالذي لا يؤمن به لا يخرج عن دائرة الإسلام، لٰكِنه لا يكون شِيْعِيّاً من الإمَامِيَّة الاثْنَي عَشَرِيَّة. وهٰذَا ما ذهب إليه بعض المحققين من علمائهم.

قال الشيخ مُحَمَّد عَلِيّ نَاصِر من عُلَمَاء الإمَامِيَّة: الإمَامَة كما عليه محققو الشِّيْعَة الإمَامِيَّة ليست من أُصُوْل الدِّيْن، أي: أركان الإيمان، ولا من أُصُوْل الإسلام، وإنما هي

---

(١) تقدم عند ذكر أُصُوْل الإمَامِيَّة أن النَّصِيْر الطُّوْسِيّ جعل أصل العَدْل تحت أصل التَّوْحِيْد. وقال الشيخ كاشف الغطاء في أصل الشِّيْعَة وأُصُوْلها ص١٥٣ عند شرحه أصل العَدْل من أُصُوْلهم الخمسة: (وليس – العَدْل – في الحقيقة أَصلاً مستقلاً بل هو مندرج في نعوت الحق...فهو شأن من شؤون التَّوْحِيْد).

أصل مَذْهَبِيّ من أُصُوْل مَذْهَب التشيع. بمعنىٰ أن من أنكرها لا يكون شِيْعِيّاً، لا أنه لا يكون مُؤْمِناً ولا مسلماً[(١)].

والمُعْتَزِلَة نصوا علىٰ: (العَدْل، والوعد والوعيد، والمَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر).

والنَّاظِر يجد أن أصل (العَدْل) يندرج تحت أصل الإيمان بالله وتَوْحِيْده.

وكذٰلِكَ (أصل الوعد والوعيد)، فإنه مندرج أَيضاً تحت أصل التَّوْحِيْد وأصل الإيمان باليَوم الآخِر.

أما أصل (الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر) فهو ثَابِت عند جميع المَذَاهِب، لأنه منصوص عليه في القُرْآن الكَرِيْم، قال تعالىٰ: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ** ﴾ - آل عِمْرَان ١١٠.

وفي السُّنَّة النَّبَوِيَّة، قال رَسُوْل الله ﷺ: (من رأىٰ منكم مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلِسَانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذٰلِكَ أضعف الإيمان)[(٢)].

وأجمع عليه المُسْلِمُوْن. فهو مما علم من الدِّيْن بالضرورة.

فهٰذِهِ الأُصُوْل في حقيقتها ترجع إلىٰ الأُصُوْل الدِّيْنِيَّة المتقدمة المُتَّفَق عليها بين المُسْلِمِيْن.

أما أصل (المَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن) فإنه أصل مَذْهَبِيّ، أرادوا به الردّ علىٰ الخَوَارِج

---

(١) أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ للشيخ مُحَمَّد عَلِيّ نَاصِر ص٢٥.

(٢) **وحَدِيْث: من رأىٰ منكم مُنْكَراً... إلخ**: أَخْرَجَهُ أَحْمَد في مُسْنَده ومُسْلِم وأبو دَاوُد والتِّرْمِذِيّ والنَّسَائِيّ وابن مَاجَة، عن أبي سَعِيْد. وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٥٢٦. وأَخْرَجَهُ البَيْهَقِيّ بسَنَده في شُعَب الإيمان السَّابِق. والحَدِيْث في صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٢٠ باب كون النهي عن المُنْكَر من الإيمان...، رقم ٤٩، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

القائلين بكفر مرتكب الكَبِيْرَة، وعلىٰ المُرْجِئَة القائلين بإيمانه... إلخ[١].

بعد هٰذَا:

يتضح أن المَذَاهِب المتقدمة تتفق علىٰ أن أُصُوْل الدِّيْن ثلاثة هي: الإيمان بالله تعالىٰ وتَوْحِيْده، والإيمان بالنُّبُوَّة ونُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ، والإيمان باليَوم الآخِر.

وهي أُصُوْل دينية يخرج جاحد أحدها عن دائرة الإسلام باتفاق المُسْلِمِيْن.

أما الأُصُوْل الأُخرىٰ التي ذكرتها تلك المَذَاهِب، فمنها ما هو مندرج في الأُصُوْل الثلاثة المذكورة، فتعد أُصُوْلاً دينية.

ومنها ما هو أُصُوْل مَذْهَبِيَّة تُخْرِجُ مُنْكِرَهَا عن دائرة المَذْهَب، ولا تُخرجه عن دائرة الإسلام، وهي: أصل (الإيمان بالقَدَر) عند أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، وأصل (الإمَامَة) عند محققي الإمَامِيَّة الاثْنَي عَشَرِيَّة، وأصل (المَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن) عند المُعْتَزِلَة.

وبذٰلِكَ يتبين أن الاختلاف المتقدم في **تعداد** أُصُوْل الدِّيْن عند تلك المَذَاهِب هو اختلاف صوري، وليس اختلافاً حقيقياً.

وبناءً علىٰ الأُصُوْل الدِّيْنِيَّة الثلاثة المُجْمَع عليها قالوا:

انقسمت مباحث علم الكلام الىٰ ثلاثة أقسام:

الإلٰهِيَّات: وهي المَسَائِل التي يبحث فيها عما يتعلق بالإلٰه.

والنَّبَوِيَّات: وهي المَسَائِل التي يبحث فيها عما يتعلق بالأنبياء.

والسَّمْعِيَّات: وهي المَسَائِل التي لا تُتَلَقَّىٰ أَحْكَامُهَا إلَّا من السمع[٢].

وهٰذَا التقسيم هو الذي سنعتمده في كتابنا هٰذَا.

---

(١) انظر كتابنا: أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ ص٥٨-٦٠.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٤.

الفَصْل الثالث

حَقيقةُ الإيمان وأَهَمِّيَّتُه في الحياة

وفيه مَبْحَثان:

المَبْحَث الأول: حقيقة الإيمان.

الإيمان لُغَةً واصْطِلَاحاً.

زِيَادَة الإيمان ونقصانه.

الإسلام.

الإحسان.

المَبْحَث الثاني: أهمية الإيمان في الحياة.

المَبْحَث الأول

حقيقة الإيمان

يتضح بعد عرض آراء المَذَاهِب الإسلامِيَّة في العَقَائِد أن أصل اختلافها كان في مفهوم الإيمان، وهٰذَا يدعو إلىٰ بَيَان حقيقته، وما يترتب علىٰ الاختلاف فيه عند أصحاب تلك المَذَاهِب.

الإيمان في اللُّغَة:

وردت معانٍ متعددة لكلمة الإيمان[1] منها:

١- التَّصْدِيْق[2]. وهو ما أجمع عليه أهل اللُّغَة قاطبةً قبل بعثة النَّبِيّ ﷺ، وهٰذَا قول البَاقِلَّانِيّ[3]، وذهب بعض الإبَاضِيَّة إلىٰ أن الإيمان لُغَة محصور في التَّصْدِيْق[4]،

(١) مُعْجَم مَقَايِيْس اللُّغَة ج١ ص١٣٣ وفيه: (أمن) الهَمْزَة والميم والنون أَصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، ومنه بيت آمن: ذو أمن. والآخر: التَّصْدِيْق. والمعنيان متدانيان.

(٢) القَامُوْس المُحِيْط مادة (الأمن)، وأُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص٢٤٧ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٢٥ وتَمْهِيْد الأوائل ص٣٨٩ وشُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٣٥ عن أبي عبد الله الحَلِيْمِيّ، والإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص١٥١ ونقل عن أبي عبد الله بن بطة، والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص١٢٧ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٢٢ وفَتْح البَارِي ج١ ص٦٠ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٠٣ وشَرْح عَقِيْدَة التَّوْحِيْد لأَطَّفَيِّش ص١٩٩ والأَسَاس لعَقَائِد الأكياس ص١٨٥.

(٣) تَمْهِيْد الأوائل السَّابِق.

(٤) البعد الحَضَارِيّ ص٤٩٢ نَقْلًا عن حَاشِيَة علىٰ كتاب الوضع لابن أبي ستة.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ - يُوْسُف ١٧، أي بمُصَدِّق[١] فيما حَدَّثْنَاك به، وفُلَان يؤمن بكذا أي: يصدِّقه ويعترف به[٢].

٢- وقيل: هو مشتق من الأمن ضد الخوف[٣].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ - البقرة ٢٣٩[٤].

قال ابن حَجَر: وفيه نظر لتباين مَدْلُوْلَي الأمن والتَّصْدِيْق، إلَّا إذا لوحظ معنَى مجازي، فيقال: أمنه إذا صدّقه، أي: أمنه التكذيب[٥].

الإيمان في الاصْطِلَاح:

اختلف العُلَمَاء في حقيقة الإيمان شرعاً، أي: فيما يقع عليه اسم الإيمان، علىٰ أقوال كثيرة، أهمها:

القول الأول: الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب، والإقرار باللِّسَان، والعَمَل بالأركان[٦].

(١) تَمْهِيْد الأوائل، والإيمان لأبي يَعْلَىٰ، والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ، والمَوَاقِف، السَّابِقَة. ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٠٤.

(٢) التَّمْهِيْد للَّامِشِيّ، وشَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف، السَّابِقَان.

(٣) القَامُوْس المُحِيْط السَّابِق، والكُلِّيَّات للكَفَوِيّ ص٢١٢.

(٤) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٣٥.

(٥) فَتْح البَارِي ج١ ص٦١.

(٦) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٩٨ ونقله عنه ابن أبي العِزّ في شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة ص٤٥٩و٤٦٢ وشُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٤٨ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٢٣ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٧٩ وفَتْح البَارِي ج١ ص٦١ وكِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٣٨ والغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص٦٩.

والمُرَاد من التَّصْدِيْق بالقلب هو: تصديق النَّبِيّ ﷺ فيما علم مجيئه به بالضرورة، أي: فيما اشتهر كونه من الدِّيْن، بحيث يعلمه من غير افتقار إلىٰ نظر واستدلال، كوحدة الصانع ووجوب الصلاة وحرمة الخمر ونحو ذٰلِكَ[١].

والمُرَاد بتصديق النَّبِيّ ﷺ في ذٰلِكَ هو الإذعان لما جاء به، والانقياد له، وسكون النفس إليه، واطمئنانها به، وقبولها بذٰلِكَ بترك الجحد والعناد، وبناء الأَعْمَال عليه[٢]. فالتَّصْدِيْق هو اليقين الجازم بكل ما ثبت بالضرورة أنه جاء من عند الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ علىٰ لِسَان رَسُوْله الكَرِيْم ﷺ.

ولا بد مع اليقين الجازم، الذي هو حكم عقلي، من أمر آخر قلبي وهو الرضا والارتياح النفساني لهٰذِهِ العَقِيْدَة، بحيث تكون طبقَ هواه وعاطفته، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ - النساء ٦٥.

وهٰذَا التَّصْدِيْق هو الجزء الأول من أجزاء الإيمان، لا غِنَى عنه بحال، فإذا تحقق وُجد أَسَاس الإيمان، وكتب لصاحبه عند الله تعالىٰ النجاة من الخلود في النار، إذا مات علىٰ ذٰلِكَ، ولو لم يتحقق معه الإقرار باللِّسَان والعَمَل بالأركان. وإن عدم عدمت حقيقة الإيمان، واستحق فاقده الخلود في النار.

بدليل أن فرعون وقومه كانوا مصدقين بآيات الله، لٰكِنهم لم يرضوا بها، قال تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ - النمل ١٤[٣].

---

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٧٧. وانظر: المَوَاقِف ج٨ ص٣٢٢ والقَوْل الفَصْل ص١٢ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٩٢.

(٢) شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ وحَاشِيَة الكَسْتَلِيّ عليه ص١٥٢.

(٣) المُخْتَار من كنوز السُّنَّة النَّبَوِيَّة ص٨٦.

فالتَّصْدِيْق بالقلب يفيد:

أن من تكلم بكلمة التَّوْحِيْد غير مُعْتَقِدٍ لها بقلبه فهو منافق وليس بمُؤْمِن.

وإن كان مصدقاً بقلبه غير ناطق بلِسَانه مع القدرة فليس بمُؤْمِن عند سَلَف الأُمَّة.

ومن قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرَّسُوْل ﷺ وما جاء به ويعاديه كاليَهُوْد وغيرهم ممن سماه الله كافراً، ولم يسمّهم مُؤْمِنين قَطُّ، ولا دخلوا في شيء من أَحْكَام الإيمان فهم كفار[١].

والإقرار باللِّسَان يفيد:

أَنَّ من لم يُقِرّ بلِسَانه مع القدرة لا يسمىٰ مصدِّقاً، فهو ليس بمُؤْمِن. وقد اتفق عليه سَلَف الأُمَّة من الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن[٢].

والعَمَل بالأركان يفيد:

أن الأَعْمَال كلها داخلة في مسمىٰ الإيمان[٣]. والمُرَاد بالأَعْمَال هو أفعال الخَيْر من الطاعة والعِبَادات مطلقاً، فيتناول البدنية والمالية وغيرهما كالصوم والصلاة والزكاة وحب الخَيْر للمُسْلِمِيْن[٤].

وقد أجمعوا علىٰ أنه لو صدَّق بقلبه، وأقرَّ بلِسَانه، وامتنع عن العَمَل بجوارحه، أنه عاصٍ لله ورَسُوْله مستحق الوعيد[٥].

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٠٤.
(٢) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق.
(٣) جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٠٤ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ص٤٠٥ نَقْلًا عن ابن رَجَب.
(٤) نُخْبَة اللآلي ص٩٥.
(٥) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٦٣.

وهٰذَا القول هو المشهور عن أهل السَّلَف وكثير من الأَئِمَّة[١]. وبه قال الزَّيْدِيَّة وأئمتهم[٢]. وهٰـذَا القـول بأجزائه الثلاثة هو مَـذْهَـب الإبَـاضِيَّـة[٣]، والخَـوَارِج والمُعْتَزِلَة[٤].

---

(١) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٤٨ وشَرْح عَقِيْدَة ابن أَبِي زَيْد القَيْرَوَانِيّ للقَاضِي عبد الوَهَّاب ص٣٤٢ وفَتْح البَارِي ج١ ص٦١. ونقله البَيْهَقِيّ أيضاً عن عَلِيّ بن أبي طَالِب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. / شُعَب الإيمان السَّابِق.

وبه قال الشَّافِعِيّ، وحكىٰ إجماع الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن ومن بعدهم ممن أدركهم. / جَامِع العُلُوْم والحِكَم السَّابِق.

وهو قول أَحْمَد بن حَنْبَل وإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وأبي عُبَيْد القَاسِم بن سَلَّام وغيرهم من الأَئِمَّة. ورُوِيَ عن البُخَارِيّ أنه قال: لقيتُ أكثر من ألف رجل من العُلَمَاء بالأمصار فما رأيت أَحَداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعَمَل، ويَزِيْد وينقص. / فَتْح البَارِي ج١ ص٦١.

وانظر: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤١٦ عن ابن عبد البَرّ في التَّمْهِيْد، وشَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ج١ ص١٤٦ عن ابن بَطَّال. وقول أبي عُبَيْد القَاسِم بن سَلَّام في كتابه الإيمان ص٥٣-٥٤و٦٦. ونقله اللَّامِشِيّ في التَّمْهِيْد ص١٣٠ عن بعض هٰؤُلَاءِ. وقال يَحْيَىٰ بن حَمْزَة في المَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص١١٧: هو مَذْهَب أكثر السَّلَف.

وبه قال الأَوْزَاعِيّ. / جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٠٤.

وبه قال اللَّيْث بن سَعْد ودَاوُد بن عَلِيّ والطَّبَرِيّ. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤١٦.

وهو قول ابن حَزْم الظَّاهِرِيّ. / علم الكلام لابن حَزْم ص٨٣.

(٢) الأَسَاس لعَقَائِد الأكياس ص١٨٥.

(٣) الجَامِع للبسيوي ج١ ص٢٣٥-٢٣٦. والموجز لأبي عَمَّار ج٢ ص٧٣ وشَرْح عَقِيْدَة التَّوْحِيْد لأَطَّفَيِّش ص١٩٩، ونقل فَرَحَات الجَعْبِيْرِيّ في البُعْد الحَضَارِيّ ص٤٩٣ ذٰلِكَ عن الشَّمَّاخِيّ والمُحَشِّي والبَرَّادي وأَطَّفَيِّش.

(٤) التَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص١٣٠ والقَوْل الفَصْل ص١٦ والكُلِّيَّات للكَفَوِيّ ص٢١٣. وقال أبو يَعْلَىٰ في الإيمان ص١٥٦: (وهو قول أكثر المُعْتَزِلَة).

وفي كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٣٨ نسب للمُعْتَزِلَة وجُمْهُوْر المُحَدِّثِيْن والمتكلمين

إلَّا أن أصحاب الفِرَق اختلفوا في ترك العَمَل:

فذهب الخَوَارِج إلىٰ أن الإيمان هو أَعْمَال الجوارح، فترك العَمَل يُخرج صاحبه عن الإيمان ويدخله في الكفر.

وذهب المُعْتَزِلَة إلىٰ أن ترك العَمَل يُخرجه من الإيمان، لٰكِن لا يُدخله في الكفر، فيكون في مَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن.

وذهب أهل الحَدِيْث إلىٰ أن ترك العَمَل لا يُخرج صاحبه عن الإيمان، وهم يُجْرون أَحْكَام الإسلام عليه[1].

وعليه: فإن العَمَل هو شطر من الإيمان، أي: جزء منه، وليس شرطاً له[2].

والفَرْق بين قول السَّلَف وقول المُعْتَزِلَة هو:

أن السَّلَف جعلوا الأَعْمَال شرطاً في كَمَال الإيمان، ومن هنا نشأ القول بزِيَادَة الإيمان ونقصه. أما المُعْتَزِلَة فإنهم جعلوها شرطاً في صحة الإيمان[3].

ومن أَدِلَّة دخول الأَعْمَال في الإيمان قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

والفُقَهَاء منهم ابن حَبِيْب. وفي الأَسَاس لعَقَائِد الأكياس ص١٨٥: (أئمتنا عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ وجُمْهُوْر المُعْتَزِلَة والشَّافِعِيّ وبعض الخَوَارِج). وذكر قول المُعْتَزِلَة في الإيمان: القَاضِي عبد الجَبَّار في شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٧٠٧ والرَّازِيّ في المُحَصِّل ص٢٣٧. وقال البَاجُوْرِيّ في شرحه علىٰ الجَوْهَرَة ص٩٥: (ذهبت المُعْتَزِلَة إلىٰ أن العَمَل شطر من الإيمان، لأنهم يقولون بأنه العَمَل والنطق والاعْتِقَاد، فمن ترك العَمَل فليس بمُؤْمِن لفقد جزء من الإيمان وهو العَمَل، ولا كافر لوجود التَّصْدِيْق، فهو عندهم مَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن، أي بين المُؤْمِن والكافر، ويخلد في النار ويعذب بأقل من عذاب الكافر).

(١) القَوْل الفَصْل السَّابِق. وذكر البَغْدَادِيّ في أُصُوْل الدِّيْن ص٢٤٩: أصحاب الحَدِيْث.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٩٥.

(٣) فَتْح البَارِي ج١ ص٦١.

ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ - الأنفال ٢-٤[1].

وذٰلِكَ مما يُصيِّر المُؤمِن مُؤْمِناً[2].

لأن المُؤمِنين هم الذين جمعوا هٰذِهِ الأَعْمَال، فدل ذٰلِكَ علىٰ أنها من جَوَامِع الإيمان، فالصلاة إشارة إلىٰ الطاعات التي تقام بالأَبْدَان خاصة، والإنفاق مما رزق الله إشارة إلىٰ الطاعات التي تقام بالأموال، ووَجَلُ القلب إشارة إلىٰ الاستقامة من كل وجه، ويدخل فيها إقامة الطاعات والانزجار عن المعاصي[3].

و(إنما) للحصر، فمن ليس من أهل الآية ليس بمُؤْمِن[4].

القول الثاني: الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب والإقرار باللِّسَان، دون غيرهما من الجوارح.

وهو قول الإمَام أبي حَنِيْفَة[5]، وبه قال بعض أَئِمَّة

(١) جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٠٤-١٠٥ ونقله عنه السَّفَّارِيْنِيّ في لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٠٥-٤٠٦. وانظر: الإيمان لأبي عُبَيْد القَاسِم ص٦٥ والإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص١٦٢ والبعد الحَضَارِيّ ص٤٩٦ نَقْلاً عن الشَّمَّاخِيّ، والأَسَاس لعَقَائِد الأكياس ص١٨٥.

(٢) الإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص١٦٢-١٦٣.

(٣) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٤٣ وأشار إلىٰ الحَلِيْمِيّ.

(٤) البعد الحَضَارِيّ السَّابِق.

(٥) الفِقْه الأكبر لأبي حَنِيْفَة - القَوْل الفَصْل ص٣٥٨ و ص١٥ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٢٣ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِي ج٥ ص١٧٨ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٩٥. وحكاه الطَّحَاوِيّ عن الإمَام أبي حَنِيْفَة وأصحابه. / شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٦٢ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤١٦. وفي المُعْتَقَد المُنْتَقَد ص١٩٩: مَنْقُوْل عن أبي حَنِيْفَة وأصحابه.

الحَنَفِيَّة[(١)]، وبعض الأَشَاعِرَة[(٢)]، ونسب إلىٰ الجُمْهُوْر[(٣)]، واختاره نَصِيْر الدِّيْن الطُّوْسِيّ من الإمَامِيَّة في التَّجْرِيْد[(٤)].

وعلىٰ هٰذَا: فمن صدق بقلبه ولم يُقِرّ بلِسَانه ولو مرة في العُمر لا يكون مُؤْمِناً عند الله تعالىٰ، ولا يستحق دخول الجنة ولا النجاة من الخلود في النار[(٥)].

فالتَّصْدِيْق لا ينجي وحده من النار، وأما النطق فهو وحده نفاق، فأحدهما ليس بإيمان، إذ لا بد منهما معاً[(٦)]. فالنطق شطر الإيمان عندهم[(٧)].

---

(١) العَقَائِد النَّسَفِيَّة وشَرْح التَّفْتَازَانِيّ عليها ص١٥٣ ونُخْبَة اللآلي ص٨٩. وقال النَّسَفِيّ في تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٩٨: وهو محكي عن كثير من أصحاب أبي حَنِيْفَة. وقال في بَحْر الكلام ص٧٧: عند أكثر أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة. وفي لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٢١و٤٢٢: وبه قال حَمَّاد بن أبي سُلَيْمَان ومن اتبعه من فُقَهَاء الكُوْفَة، وهو قول الفُقَهَاء من المُرْجِئَة.

(٢) المُعْتَقَد المُنْتَقَد ص١٩٩ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٩٥ وشَرْح الجَوْهَرَة للصَّاوِيّ ص١٣٢. وذهب إليه الأُبِّيّ والسَّنُوْسِيّ في شرحهما صَحِيْح مُسْلِم ج١ ص١٠٩.

(٣) القَوْل الفَصْل ص١٥.

(٤) تَجْرِيْد الاعْتِقَاد، وشرحه كَشْف المُرَاد للحِلِّيّ ص٤٥٤ ومِفْتَاح الباب ص٢١٢.

(٥) شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ السَّابِق. وفصَّل هٰذَا القولَ البَاجُوْرِيُّ في شرحه علىٰ الجَوْهَرَة ص٩٤ بقوله: (فمن صَدَّق بقلبه ولم يقر بلِسَانه لا لعذرٍ منعه ولا لإباءٍ، بل اتفق له ذٰلِكَ، فهو مُؤْمِن عند الله غير مُؤْمِن في الأَحْكَام الدنيوية. أما المعذور إذا قامت قرينةٌ علىٰ إسلامه بغير النطق كالإشارة فهو مُؤْمِن فيهما. وأما الآبِي – أي: الممتنع – بأن طُلِب منه النطق بالشهادتين فأبىٰ فهو كافرٌ فيهما، ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذٰلِكَ ولو في الآخِرَة، ومن أقر بلِسَانه ولم يصدِّق بقلبه كالمنافق فهو مُؤْمِن في الأَحْكَام الدنيوية غير مُؤْمِن عند الله تعالىٰ، ومحل كونه مُؤْمِناً في الأَحْكَام الدنيوية ما لم يطَّلع علىٰ كفره بعلامةٍ كسجودٍ لصنم، وإلَّا جَرَت عليه أَحْكَام الكفر).

(٦) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للأُبِّيّ والسَّنُوْسِيّ ج١ ص١٠٩.

(٧) نُخْبَة اللآلي ص٨٩ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٩٥ وشَرْح الجَوْهَرَة للصَّاوِيّ ص١٣٢.

واشترط أن يكون التَّصْدِيْق بالقلب والإقرار باللِّسَان معاً، ولا يكفي أحدهما فيه:

أما التَّصْدِيْق القلبي فإنه غير كاف لقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ - النمل ١٤، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ - البقرة ٨٩، فأثبت لهم المَعْرِفَة والكفر.

وأما التَّصْدِيْق اللِّسَاني (أي: الإقرار باللِّسَان) فإنه غير كاف أَيضاً لقوله تعالىٰ: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ - الحُجُرَات ١٤، ولا شك في أن أُوْلَٰئِكَ الأعراب صدَّقوا بألسنتهم(١).

ومما يؤيد رُكْنِيَّة الإقرار هو ذم الله تعالىٰ المعاندَ أكثر من ذمه الجاهلَ المقصرَ، فالإيمان أمر وَاحِد وإن كان مركباً وأجزاؤه متعددة(٢).

أما العَمَل فهو - كما قال البَاجُوْرِيّ - شرط كَمَال علىٰ المُخْتَار عند أَهْل السُّنَّة، فمن أتىٰ بالعَمَل فقد حصل الكَمَال، ومن تركه فهو مُؤْمِن لٰكِن فوَّت علىٰ نفسه الكَمَال إذا لم يكن مع ذٰلِكَ استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته، وإلَّا فهو كافر فيما علم من الدِّيْن بالضرورة(٣).

وعليه: فإن العَمَل شرط الإيمان، أي: خارج عن ماهِيَّته، فهو شرط لإجراء أَحْكَام المُؤْمِنين عليهم من التَّوَارُث والتناكح والصلاة خلفه وعليه، والدفن في مقابر المُسْلِمِيْن، ومُطَالَبته بالصلوات والزكوات... لأن التَّصْدِيْق القلبي وإن كان إيماناً إلَّا أنه بَاطِن خفي، فلا بد له من علامةٍ ظَاهِرَة تدلُّ عليه لتتعلق به تلك الأَحْكَام(٤).

---

(١) كَشْف المُرَاد في شَرْح تَجْرِيْد الاعْتِقَاد ص٤٥٤.

(٢) القَوْل الفَصْل ص١٥ وجاء بهٰذَا الدليل حكاية عن أصحاب هٰذَا القول. أما هو فيرىٰ أن الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب.

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٩٤.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ السَّابِق.

القول الثالث: الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب فقط.

وهو قول أبي مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ، وهو مروي عن أبي حَنِيْفَة. وبه قال الحُسَيْن بن الفَضْل البَجَلِيّ، وهو المشهور من مَذْهَب أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ[١]. ونصَّ عليه البَاقِلَّانِيّ[٢]، وهو قول الأُستاذ أبي إسْحَاق الإسْفَرَايِيْنِيّ، وبه قال الصَّالِحِيّ وابن الرَّاوَنْدِيّ من المُعْتَزِلَة[٣]، والرَّازِيّ[٤]، ونسبه التَّفْتَازَانِيّ إلىٰ الجُمْهُوْر[٥].

فإذا كان أصحاب هٰذَا القول قد جعلوا رُكْن الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب فقط،

---

(١) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٩٩، وذكر قول المَاتُرِيْدِيَّة في أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٥١. وعزاه البَغْدَادِيّ في أُصُوْل الدِّيْن ص٢٤٨ إلىٰ أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ وابن الرَّاوَنْدِيّ والحُسَيْن بن الفَضْل البَجَلِيّ. وفي المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٨٨ ذكر مَذْهَب الأَشْعَرِيّ.

وقال الإيْجِيّ: (فهو عندنا)، وبينه السَّيِّد الشَّرِيْف بقوله: (يعني أتباع الشيخ أبي الحَسَن) - أي: الأَشْعَرِيّ. / المَوَاقِف ج٨ ص٣٢٢-٣٢٣. وقال التَّفْتَازَانِيّ في شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة ص١٥٤: وهو اخْتِيَار الشيخ أبي مَنْصُوْر. وكذا قال الكَفَوِيّ في الكُلِّيَّات ص٢١٣.

وقال الرِّيْحَاوِيّ في نُخْبَة اللآلي ص٨٩: هو قول أبي مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ ومعظم الأَشَاعِرَة. ونحوه في المُعْتَقَد المُنْتَقَد ص١٩٩. وقال التَّهَانَوِيّ في كَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن ج١ ص٢٩٧: هو مُخْتَار جُمْهُوْر الأَشَاعِرَة وعليه المَاتُرِيْدِيَّة وأكثر الأَئِمَّة كالحُسَيْن بن الفَضْل... . وقال البَاجُوْرِيّ في شَرْح الجَوْهَرَة ص٩٤: وهو قول محققي الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة.

(٢) تَمْهِيْد الأوائل ص٣٨٩-٣٩٠ والإنْصَاف ص٢٢و٥٥. والمَوَاقِف ج٨ ص٣٢٣ وكَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن السَّابِق.

(٣) المَوَاقِف وشَرْح السَّيِّد الشَّرِيْف عليه، وكَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن، السَّابِقَة. وفي أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ السَّابِق ذكر ابن الرَّاوَنْدِيّ.

(٤) المُحَصِّل للرَّازِيّ ص٢٣٧.

(٥) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٧٧، وذكر في شرحه العَقَائِد النَّسَفِيَّة ص١٥٣: جُمْهُوْر المحققين. ومثله قال الرِّيْحَاوِيّ في نُخْبَة اللآلي ص٨٩.

فإن الإقرار باللِّسَان والعَمَل بالأركان ليسا برُكْنين للإيمان عندهم، وإنما هما فُرُوْعه علىٰ ما نقله الشَّهْرَسْتَانِيّ عن الأَشْعَرِيّ(١).

فمن صَدَّقَ بقلبه أي: أقر بوحدانية الله تعالىٰ، وبما جاء به الرسل من عند الله تعالىٰ، صح إيمانه، وكان مُؤْمِناً بينه وبين الله تعالىٰ، حتىٰ لو مات في الحال كان مُؤْمِناً ناجياً، ولا يخرج من الإيمان إلَّا بإنكار شيء من ذٰلِكَ(٢).

ومن أتىٰ بتصديق القلب وإقرار اللِّسَان كان مُؤْمِناً عند الله وعند الناس اتفاقاً(٣).

ومن صَدَّقَ بقلبه ولم يُقِرّ بلِسَانه، لا لعذر منعه، ولا لإباء، بل اتفق له ذٰلِكَ، فهو مُؤْمِن عند الله، غير مُؤْمِن في الأَحْكَام الدنيوية(٤).

ومن كان معذوراً عَاجِزاً كالأخرس، إذا قامت قرينة علىٰ إسلامه بغير النطق كالإشارة، فهو مُؤْمِن فيهما(٥) - أي: عند الله وفي الأَحْكَام الدنيوية -.

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٨٨. قال البَاقِلاَّنِيّ في الإنْصَاف ص٥٥: (محل التَّصْدِيْق القلب، وهو أن يصدِّق القلبُ بأن اللهَ إلٰه وَاحِد وأن الرَّسُوْل حقٌّ، وأن جميعَ ما جاء به الرَّسُوْل حقٌّ، وما يوجد من اللِّسَان وهو الإقرار، وما يوجد من الجوارح وهو العَمَل، فإنما ذٰلِكَ عبارةٌ عما في القلب ودليلٌ عليه. ويجوز أن يسمىٰ إيماناً حقيقةً علىٰ وجهٍ، ومجازاً علىٰ وجهٍ، ومعنىٰ ذٰلِكَ: أن العبد إذا صَدَّقَ قلبه بما قلنا، وأَقَرَّ بلِسَانه، وعَمِلت جوارحه، فهو المُؤْمِن الحقيقي عند الله وعندنا. وأما من كذَّب بقلبه، وأقر بالوحدانية بلِسَانه، وعَمِل الطاعات بجوارحه، فهٰذَا ليس بمُؤْمِن حقيقةً، وإنما هو مُؤْمِن مجازاً، لأن ذٰلِكَ يمنع دمه وماله في أَحْكَام الدنيا، لأنه مُؤْمِن من حيث الظَّاهِر، وهٰذَا عند الله غير مُؤْمِن).

(٢) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ السَّابِق، وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٥٢.

(٣) أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ السَّابِق، وكِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ وحَاشِيَة الصَّعِيْدِيّ عليه ج١ ص٣٨ نَقْلاً عن القَاضِي عِيَاض.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٩٤ وحَاشِيَة الصَّعِيْدِيّ السَّابِق.

(٥) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ السَّابِق، وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٧٩ ونُخْبَة اللآلي ص٨٩. وفي كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ السَّابِق عن القَاضِي عِيَاض: (فمُؤْمِن علىٰ المشهور).

أما الممتنع (الآبِي) بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبىٰ، فهو كافر فيهما، لأن ذٰلِكَ من أمارات عدم التَّصْدِيْق. ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذٰلِكَ ولو في الآخِرَة[1].

ومن أقرّ بلِسَانه ولم يصدِّق بقلبه كالمنافق فهو مُؤْمِن في الأَحْكَام الدنيوية غير مُؤْمِن عند الله تعالىٰ[2]. ومحل كونه مُؤْمِناً في الأَحْكَام الدنيوية ما لم يطلع علىٰ كفره بعلامة، كسجود لصنم، وإلَّا جرت عليه أَحْكَام الكفر[3].

ومن لم يُقِرّ بلِسَانه ولم يصدِّق بقلبه فهو كافر اتفاقاً[4].

أما الأَعْمَال كالصلاة والصيام والطاعات فليست هي برُكْن للإيمان عند أصحاب هٰذَا القول أَيضاً[5].

ومن أَدِلَّة هٰذَا القول:

١- الآيات والأَحَادِيْث الدالة علىٰ أن القلب محل للإيمان مثل:

قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ - المجادلة ٢٢.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ - النَّحْل ١٠٦.

وقوله ﷺ لأُسَامَة وقد قَتَلَ من قال لا إلٰه الا الله: (هلّا شَققتَ قلبَه).

فلما كان الإيمان فعل القلب وجب أن يكون عبارة عن التَّصْدِيْق، الذي من ضرورته

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ، وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ، ونُخْبَة اللآلي، السَّابِقَة.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٩٤ وفي كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٣٨ عن القَاضِي عِيَاض: (وإن وجد النطق وحده فمنافق في زمن الرَّسُوْل ﷺ، والآن زنديق).

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ السَّابِق.

(٤) كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٣٨ نَقْلًا عن القَاضِي عِيَاض.

(٥) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٧٩٩. ونقل أبو يَعْلَىٰ في الإيمان ص١٥٨ ذٰلِكَ عن الأَشْعَرِيَّة.

المَعْرِفَة. وهٰذَا هو مفهوم الإيمان اللُّغَوِيّ[١].

٢- خاطب الله تعالىٰ باسم المُؤْمِنين، ثم أوجب الأَعْمَال، فقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ - البقرة ١٨٣[٢].

فالله عَزَّ وجَلَّ خاطب بوجوب الإيمان قبل وجوب الأَحْكَام، فلو كانت الأَحْكَام من جُمْلَة الإيمان لما سماهم بالمُؤْمِنين قبل وجودها، ولما نزل فرضية شيء منها إلَّا بعد وجود الإيمان[٣].

وكذٰلِكَ قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ - المائدة ٦.

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ - النساء ١٠٣.

فسماهم الله تعالىٰ مُؤْمِنين قبل أن يتطهروا، وقبل أن يصلوا ويصوموا[٤].

الخُلَاصَة:

من خلال هٰذَا العرض لأقوال أشهر الفِرَق الإسلامِيَّة في الإيمان، يتضح لنا ما يأتي:

---

(١) المَوَاقِف وشَرْح السَّيِّد الشَّرِيْف عليه ج٨ ص٣٢٤. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٨٣ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٥٤ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٩٩ وشَرْح عَقِيْدَة التَّوْحِيْد لأَطَّفَيِّش ص٢٠٠.

والحَدِيْث: أَخْرَجَهُ مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٣٩ باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إلٰه إلَّا الله، رقم ٩٦، ص٦٨ بلفظ: (**أَفَلَا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَم لا**). وأَخْرَجَهُ أبو دَاوُد في سُنَنِهِ: كتاب الجهاد، ١٠٢ باب علىٰ ما يُقَاتَل المشركون، رقم ٢٦٤٣. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن أَبِي دَاوُد ج٤ ص٢٧٨: إسناده صَحِيْحٌ. وذَكَرَ مُخَرِّجِيْه.

(٢) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨٠١.

(٣) نُخْبَة اللآلي ص٩٦.

(٤) الإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص٢٣٩.

١- هٰذِهِ الأقوال الثلاثة هي المُعَوَّل عليها اليوم في المَذَاهِب الإسلامِيَّة، ولها أتباع، فهي تمثل السواد الأعظم من عُلَمَاء الأُمَّة وأتباعهم.

وهناك أقوال أُخرىٰ كثيرة انقرض أصحابها، ولم يبقَ منها إلَّا ما ذكر من حكاية مَقَالَاتهم في الكتب.

٢- جميع العُلَمَاء يتفقون علىٰ أن الإيمان هو تصديق القلب، لٰكِنهم اختلفوا في إطلاق اسم الإيمان علىٰ الإقرار باللِّسَان، وعلىٰ العَمَل بالأركان.

٣- جميع العُلَمَاء يتفقون علىٰ وجوب جميع الطاعات المَفْرُوْضَة، وعلىٰ استحباب النوافل المشروعة.

٤- خلاف أصحاب القول الثاني (الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب، والإقرار باللِّسَان)، مع أصحاب القول الأول (الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب، والإقرار باللِّسَان، والعَمَل بالأركان)، من أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، هو اختلاف صوري. بيَّنه ابن أبي العِزّ: بأن كون أَعْمَال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان، لاتفاق جميعهم علىٰ أن مرتكب الكَبِيْرَة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

لذٰلِكَ قال: هو نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعْتِقَاد[1].

ومُرَاد جُمْهُوْر المُحَدِّثِيْن والمتكلمين والفُقَهَاء والمُعْتَزِلَة من الإيمان المركب من الثلاثة هو الإيمان الكَامِل[2].

وعلىٰ هٰذَا:

فإن الأصل في الإيمان هو التَّصْدِيْق القلبي. وهٰذَا مُتَّفَق عليه. وهو الذي ينجي

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٦٣ في بَيَانه للاختلاف بين أبي حَنِيْفَة وأَهْل السُّنَّة.

(٢) حَاشِيَة الصَّعِيْدِيّ علىٰ كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٣٨. وانظر: القَوْل الفَصْل ص١٦.

صاحبه من الخلود في النار.

أما الإقرار باللِّسَان فهو شرط لإجراء الأَحْكَام في الدنيا.

وأما العَمَل بالأركان فهو لبَيَان الإيمان الكَامِل، لأنهم أجمعوا علىٰ أنه لو صدق بقلبه وأقر بلِسَانه، وامتنع عن العَمَل بجوارحه، أنه عاص لله تعالىٰ مستحق الوعيد، كما تقدم.

فالخلاف لم يكن حقيقياً بين الأقوال الثلاثة.

زِيَادَة الإيمان ونقصانه

اختلفوا في الإيمان هل يَزِيْد وينقص؟ فمنهم من أثبته ومنهم من نفاه. وقد جعل الإمَام الرَّازِيّ وكثير من المتكلمين ذٰلِكَ فرعاً عن تَفْسِيْر الإيمان[1].

وأيده الإيْجِيّ فذكر: أن الإيمان إذا فسر بالتَّصْدِيْق فلا يقبلهما، وإن فسر بالأَعْمَال فيقبلهما[2].

القول الأول: الإيمان يَزِيْد وينقص.

وهو مَذْهَب أَهْل السُّنَّة من سَلَف الأُمَّة وخَلَفها[3].

---

(١) المُحَصِّل للرَّازِيّ ص٢٢٩ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٣٠ نَقْلًا عن الرَّازِيّ.

(٢) المَوَاقِف السَّابِق، وشَرْح صَحِيْح مُسْلِم للأُبِّيّ والسَّنُوْسِيّ ج١ ص١٠٩و١١١. وانظر: أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص٢٥٢.

(٣) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ج١ ص١٤٦ عن ابن بَطَّال. وفي ص١٤٨ مَذْهَب السَّلَف والمُحَدِّثِيْن. ونقله السَّفَّارِيْنِيّ في لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤١١ عن ابن تَيْمِيَّة إذ قال: (مَذْهَب أَهْل السُّنَّة والحَدِيْث علىٰ أن الإيمان يتفاضل، وجُمْهُوْرهم يقولون: يَزِيْد وينقص).

قال عبد الرَّزَّاق – في مُصَنَّفِهِ –: سمعتُ من أدركتُ من شيوخنا وأصحابنا: سُفْيَان الثَّوْرِيّ

وذهب إليه بعض الأَشَاعِرَة والمُعْتَزِلَة[1]، وبه قال

ومَالِك بن أَنَس وعُبَيْد الله بن عُمَر والأَوْزَاعِيّ ومَعْمَر بن راشد وابن جُرَيْج وسُفْيَان بن عُيَيْنَة يقولون: الإيمان قول وعَمَل يَزِيْد وينقص.

وهٰذَا قول ابن مَسْعُوْد وحُذَيْفَة والنَّخَعِيّ والحَسَن البَصْرِيّ وعَطَاء وطاووس ومُجَاهِد وعبد الله بن المُبَارَك. / شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ج١ ص١٤٦ عن ابن بَطَّال.

وبه قال الشَّافِعِيّ وأَحْمَد بن حَنْبَل وإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وأبو عُبَيْد وغيرهم من الأَئِمَّة. / فَتْح البَارِي ج١ ص٦١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤١٦ عن التَّمْهِيْد لابن عبد البَرّ، وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢١٠ والقَوْل الفَصْل ص٣٥٨.

وأورد اللَّالِكَائِيّ أسماء عدد كَبِيْر ممن قال بأن الإيمان يَزِيْد بالطاعة وينقص بالمعصية، من الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن والفُقَهَاء وأقوالهم في كتابه شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ص١٤٥ وما بعدها.

وهو مَذْهَب الفُقَهَاء والمُحَدِّثِيْن. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٣٠. وبه قال البُخَارِيّ. / صَحِيْح البُخَارِيّ، ٢ كتاب الإيمان، ١ باب قول النَّبِيّ ﷺ: بني الإسلام علىٰ خمس. انظره بشَرْح فَتْح البَارِي ج١ ص٦٠. وبه قال الطَّبَرِيّ أيضاً. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤١٦ نَقْلاً عن التَّمْهِيْد لابن عبد البَرّ. وهو قول دَاوُد بن عَلِيّ. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق نَقْلاً عن التَّمْهِيْد. وتابعه ابن حَزْم الظَّاهِرِيّ. / علم الكلام لابن حَزْم ص٨٥. وبه قال البَيْهَقِيّ. / شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٦٠. واستظهره النَّوَوِيّ. / شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ج١ ص١٤٨. وهو قول الشيخ عبد القَادِر. / الغُنْيَة ج١ ص٦٩. وقال به ابن تَيْمِيَّة. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ص٤١١.

وجعله الحَقّ كلٌّ من الإيْجِيّ والسَّيِّد الشَّرِيْف. / المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٣١. وبه قال التَّفْتَازَانِيّ. / شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢١٠.

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢١٠ والقَوْل الفَصْل ص٣٥٨ والإِنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٥٧. وفي الإِرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٣٩٩: (مَالَ إليه القَلَانِسِيّ)، وفي لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٣٠: (ذهب إليه جَمَاعَة من محققي الأَشَاعِرَة كالقَلَانِسِيّ وغيره). وفي مُقَدِّمَة البَحْر الزَّخَّار لابن المُرْتَضَىٰ ص٨٧ نسبه للمُعْتَزِلَة.

ونسبه البَاجُوْرِيّ في شَرْح الجَوْهَرَة ص١٠٠ إلىٰ جُمْهُوْر الأَشَاعِرَة.

وفي رِسَالَة الأَشْعَرِيّ إلىٰ أهل الثَّغْر ص٢٧٢: (قال الأَشْعَرِيّ: وأجمعوا علىٰ أن الإيمان

الزَّيْدِيَّة[١]. وبعض الإبَاضِيَّة[٢].

وزِيَادَة الإيمان تكون بفعل الطاعات، ونقصانه بتركها وفعل المعاصي[٣]، قال الإمَام أَحْمَد في رِوَايَة مُحَمَّد بن مُوسَىٰ: (الإيمان قول وعَمَل، يَزِيْد وينقص، وإذا عَمِلت الحَسَن زاد، وإذا ضيعت نقص، والإيمان لا يكون إلَّا بعَمَل)[٤].

وجوه زِيَادَة الإيمان:

لِزيَادَة إيمان المُؤْمِنين الذي أمر الله تعالىٰ به وجوه منها:

١- التَّصْدِيْق المستلزم لعَمَل القلب أَكْمَل من التَّصْدِيْق الذي لا يستلزم عَمَله.

فالعلم الذي يعمَل به صاحبه أَكْمَل من العلم الذي لا يَعمَل به.

فمن يعلم أن الله حق، ورَسُوْله حق، والجنة حق، والنار حق، وعلمه هٰذَا أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والرَّهْبَة من النار، فعلمه أَكْمَل من الذي لم يوجب له ذٰلِكَ[٥].

٢- أَعْمَال القلوب مثل محبة الله ورَسُوْله وخشية الله تعالىٰ ورجائه هي كلها من

يَزِيْد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شكاً فيما أمرنا بالتَّصْدِيْق به، ولا جهلاً به، لأن ذٰلِكَ كفرٌ، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزِيَادَة البَيَان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النَّبِيّ ﷺ، وإن كنا جميعاً مؤدين للواجب علينا). وأُشير إليه في هامش البَاجُوْرِيّ السَّابِق.

(١) مُقَدِّمَة البَحْر الزَّخَّار لابن المُرْتَضَىٰ ص٨٧.

(٢) الموجز لأبي عَمَّار ج٢ ص٧٨ وبَهْجَة الأَنْوَار ص١٢٤ والبعد الحَضَارِيّ ص٤٩٨ ناقلًا عن أبي عَمَّار وخميس وأبي مَهْدِيّ وأبي خزر.

(٣) الإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص٣٩٥-٣٩٧.

(٤) الإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص١٥٣. وانظر: شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٦٠ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٣٠ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤١٦-٤١٧.

(٥) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤١٤.

الإيمان، ويتفاضل الناس فيها تفاضلاً ظَاهِراً.

٣- الأَعْمَال الظَّاهِرَة مع البَاطِنَة هي من الإيمان، والناس يتفاضلون فيها.

٤- ذكر الإنسان بقلبه واستحضاره ما أُمر به، بحيث لا يكون غافلاً عنه، هو أَكْمَل ممن صَدَّقَ به وغفل عنه، لأن الغفلة تنقصه، ولهٰذَا قال عُمَيْر بن حَبِيْب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبّحناه فتلك زِيَادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيّعنا فتلك نقصانه).

وأَدِلَّة القول بزِيَادَة الإيمان ونقصانه هي:

١- الآيات الكَرِيْمَة الدالة علىٰ ذٰلِكَ، منها:

قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ - الأنفال ٢.

وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ - التوبة ١٢٤.

وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ - الفَتْح ٤.

فهٰذِهِ الآيات دلت علىٰ أن الإيمان قابل للزِّيَادَة، وإذا كان قابلاً للزِّيَادَة فعُدمت الزِّيَادَة كان عدمها نقصاناً[1].

٢- الأَحَادِيْث الشَّرِيْفَة الدالة علىٰ ما دل عليه القُرْآن الكَرِيْم، منها:

- قال رَسُوْل الله ﷺ: أَكْمَل المُؤْمِنين إيماناً أَحسَنهم خُلُقاً، وخيارُكم خيارُكم لنسائكم.

(١) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٦٠. والآيات في: الإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص٤٠١-٤٠٢ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٢. وفي المَوَاقِف للإِيْجِيّ والسَّيِّد الشَّرِيْف عليه ج٨ ص٣٣١: الآية ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ... ﴾ قال: ونحوها. وذُكر بعضها في: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢١٣ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٧٩ والقَوْل الفَصْل ص٣٥٨ وبَحْر الكلام ص٨٥.

قال الحَلِيْميّ: دل هٰذَا القول علىٰ أن حُسْن الخُلُق إيمان، وأن عدمه نقصان إيمان، وأن المُؤْمِنين متفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أَكْمَل إيماناً من بعض[١].

- قال رَسُوْل الله ﷺ: (من رأىٰ منكم مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبِلِسَانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذٰلِكَ أضعف الإيمان)[٢].

ووجه الدلالة به أن الإنكار بالقلب هو أضعف الإيمان، يقابله التغيير باليد وهو أَكْمَل الإيمان، الذي يليه الإنكار باللِّسَان.

٣- الآثار عن الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن الدالة علىٰ أن الطاعات من الإيمان، وأن الإيمان يَزِيْد وينقص، وأن أهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان. منها:

قول عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (لو وُزِن إيمانُ أبي بَكْر بإيمان أهل الأرض لَرَجَحَ بهم)[٣].

وكان عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ربما أخذ بيد الرجُل والرجُلين يقول: (تعالَوا نزدادُ إيماناً)[٤].

وورد نحو هٰذَا القول في شُعَب البَيْهَقِيّ وغيره عن عَلِيّ بن أبي طَالِب ومُعَاذ بن

---

(١) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٦٠-٦١.

وحَدِيْث: **أَكْمَل المُؤْمِنين إيماناً أَحسَنهم خُلُقاً**... إلخ: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وابن حِبَّان في صَحِيْحه، عن أبي هُرَيْرَة. / الجَامِع الصَّغِيْر للسُّيُوْطِيّ ص٨٩ وصَحَّحَهُ.

(٢) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٦١.

(٣) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٦٩ ورواه بسنده. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢١٣ والقَوْل الفَصْل ص٣٥٩ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٢.

(٤) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٧٠ ورواه بسنده، ونقله السَّفَّارِيْنِيّ في لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤١٢ عن ابن تَيْمِيَّة بلفظ مقارب من رِوَايَة الإمَام أَحْمَد عن أبي ذَرّ. وهو في: الإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص٤٠٤ وفي شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٨١.

جَبَل وعبد الله بن مَسْعُوْد وعبد الله بن رَوَاحَة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤- الدليل العقلي علىٰ زِيَادَة الإيمان ونقصانه هو: أن الإيمان لو لم يتفاوت، لكان إيمان آحادِ الأُمَّة، بل المنهمك في الفسق، مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة، واللازم وهو المساواة باطل قطعاً[١].

القول الثاني: الإيمان لا يَزِيْد ولا ينقص:

الإيمان هو التَّصْدِيْق، وهو في نفسه مما لا يتزايد، وما لا يتزايد لا نقصان له إلَّا بالعدم، ولا زِيَادَة عليه إلَّا بانضمام مثله إليه. فلا زِيَادَة للإيمان بانضمام الطاعات إليه، ولا نقصان بارتكاب المعاصي، إذ التَّصْدِيْق في الحالين علىٰ ما كان قبلهما.

وهو قول أبي حَنِيْفَة[٢]، وأصحابه[٣]، وبه قال المَاتُرِيْدِيَّة[٤]، وبه قال أكثر المتكلمين[٥]، وهو اخْتِيَار إمَام الحَرَمَيْن[٦]، وقال به بعض الأَشَاعِرَة[٧]، والبسيوي من

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢١٣ والقَوْل الفَصْل ص٣٥٨ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٢.

(٢) الفِقْه الأكبر لأبي حَنِيْفَة - شرحه القَوْل الفَصْل ص٣٥٨-٣٥٩ وشرحه لِعَلِيّ القَارِي ص١٤٤ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ السَّابِق. ونصّ قول أبي حَنِيْفَة في الفِقْه الأكبر - شَرْح عَلِيّ القَارِي هو: (إيمان أهل السماء والأرض لا يَزِيْد ولا ينقص من جهة المُؤْمن به، ويَزِيْد وينقص من جهة اليقين والتَّصْدِيْق). وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨٠٩ وبَحْر الكلام ص٨٤ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢١١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٣١.

(٣) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ، والقَوْل الفَصْل، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة، وبَحْر الكلام، السَّابِقَة.

(٤) التَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص١٣٤ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٥٤.

(٥) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ج١ ص١٤٨.

(٦) الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٣٩٩ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ، والقَوْل الفَصْل، السَّابِقَان.

(٧) المُحَصَّل للرَّازِيّ ص٢٣٩. وقال الرِّيْحَاوِيّ في نُخْبَة اللآلي ص٩٧: (الإيمان عندنا لا يَزِيْد ولا ينقص، لٰكِنه يقوىٰ ويضعف).

الإبَاضِيَّة[١].

ومن حجج هٰذَا القول:

أن الزِّيَادَة والنقص شك، والشك كفر[٢].

وأَوَّلَ أَصحابُ هٰذَا القول النصوصَ الوَارِدَة في الزِّيَادَة والنقصان تأويلات منها:

أن معنىٰ الزِّيَادَة عليه هو أن يزداد نوره وضياؤه في القلوب بالأَعْمَال الصالحة، وينتقص ذٰلِكَ بالمعاصي، إذ الإيمان له نور وضِيَاء، علىٰ ما قال تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ - الصف ٨، وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ - الزُّمَر ٢٢.

أما الإيمان في ذاته فلا يحتمل الزِّيَادَة والنقصان[٣].

القول الثالث: الإيمان يَزِيْد ولا ينقص.

وهو قول الإمَام مَالِك، في إحدىٰ الروايتين عنه.

وعِلَّة ذٰلِكَ: أنه لو نقص لذهب كله، فيقع في مَذْهَب الخَوَارِج المكفِّرِين بالذنوب[٤].

وهو القول الراجح عند المَشَارِقة من الإبَاضِيَّة[٥]، وبه قال السَّالِمِيّ منهم[٦].

---

(١) الجَامِع للبسيوي ج١ ص٢٣٧. وانظر: بَهْجَة الأَنْوَار ص١٢٤ (بعض قومنا).

(٢) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ج١ ص١٤٨ ونقل الأُبِّيّ والسَّنُوْسِيّ السَّابِقَان ذٰلِكَ عن الآمِدِيّ.

(٣) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨٠٩.

(٤) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للأُبِّيّ والسَّنُوْسِيّ ج١ ص١١٢.

(٥) البعد الحَضَارِيّ ص٥٠٠.

(٦) مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٢٠٤. وفي بَهْجَة الأَنْوَار ص١٢٤: وذهب أصحابنا.

الإسلام

الإسلام في أصل اللُّغَة: الانقياد والاستسلام[١].

وفي الاصْطِلَاح: اختلف العُلَمَاء هل أن الإسلام هو الإيمان بمعنىٰ التَّصْدِيْق بما ورد عن الله سُبْحَانَهُ ورَسُوْله ﷺ، أو هو الانقياد في الظَّاهِر؟

يتضح هٰذَا في بَيَان الاختلاف في كون الإسلام والإيمان بمعنىٰ وَاحِد أو أنهما متغايران، وذٰلِكَ فيما يأتي:

القول الأول: الإيمان والإسلام شيء وَاحِد. فالاسمان من قبيل الأسماء المترادفة، وكل مُؤْمِن مُسْلِم، وكل مُسْلِم مُؤْمِن[٢].

وبه قال الإمَام أبو حَنِيْفَة[٣] وهو قول النَّسَفِيّ معبِّراً عن رأي أبي مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ[٤]، وبه قال المُعْتَزِلَة[٥]، وذهب إليه التَّفْتَازَانِيّ[٦]، ونقله عن الجُمْهُوْر[٧]،

---

(١) القَامُوْس المُحِيْط مادة (السلم). وفي مُعْجَم مَقَايِيْس اللُّغَة ج٣ ص٩٠: (سلم) السين واللام والميم، معظم بابه من الصحة والعافية، ومنه: الإسلام وهو الانقياد، لأنه يسلم من الإباء والامتناع.

(٢) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨١٧ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٦١-٢٦٣.

(٣) الفِقْه الأكبر لأبي حَنِيْفَة - شرحه القَوْل الفَصْل ص٣٦١ وشرحه لِعَلِيّ القَارِي ص١٤٩.

(٤) تَبْصِرَة الأَدِلَّة السَّابِق. وانظر: أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٦١ والكِفَايَة للصَّابُوْنِيّ - القَوْل الفَصْل ص٣٦٢.

(٥) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٧٠٥ وذُكر في: الإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص٤٣٦ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٢٦ ومُقَدِّمَة البَحْر الزَّخَّار لابن المُرْتَضَىٰ ص٨٦.

(٦) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٠٧.

(٧) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ السَّابِق. ونقل عن الجُمْهُوْر أَيضاً في: القَوْل الفَصْل ص٣٦٢.

وهو قول البَيْهَقِيّ[١]، ونسبه إلىٰ جُمْهُور أَهْل السُّنَّة: مُحَمَّد بن نَصر المَرْوَزِيّ، وابن عبد البَرّ. ورُوِيَ هٰذَا القول عن سُفْيَان الثَّوْرِيّ[٢]. وقال به الرِّيْحَاوِيّ[٣] وابن حَزْم الظَّاهِرِيّ[٤] والزَّيْدِيَّة[٥] والإبَاضِيَّة[٦].

وحُجَّة هٰذَا القول:

١- قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ - آل عِمْرَان ١٠٢[٧]. فأثبت الإسلام للمُؤْمِنين.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ - آل عِمْرَان ٨٥. والإيمان دين، فلو كان الإيمان غير الإسلام لكان ينبغي أَلَّا يقبل من مُبْتَغِيْه[٨].

٣- قوله تعالىٰ في قصة لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦﴾ - الذاريات. فسماهم مرةً «مُؤْمِنين» ومرةً «مُسْلِمِيْن»، وإنما أراد تَمْيِيْزهم عن غيرهم بأديانهم، فصح أن الإيمان والإسلام اسمان لدين وَاحِد[٩].

---

(١) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٥٠.

(٢) جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٠٧.

(٣) نُخْبَة اللآلي ص٩٨.

(٤) علم الكلام لابن حَزْم ص٨٢و٨٥.

(٥) مُقَدِّمَة البَحْر الزَّخَّار لابن المُرْتَضَىٰ ص٨٦.

(٦) الجَامِع للبسيوي ج١ ص٢٤٤ وبَهْجَة الأَنْوَار ص١٢٤.

(٧) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨١٨ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٠٩.

(٨) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨١٨ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٦٣ والقَوْل الفَصْل ص٣٦٢ نَقْلاً عن التَّبْصِرَة. وذكرها الإيْجِيّ في المَوَاقِف ج٨ ص٣٢٦ حين ذكر حجج المُعْتَزِلَة. وانظره في شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٠٨.

(٩) شُعَب الإيمان للبَيْهَقِيّ ج١ ص٥٠. وذكر النَّسَفِيّ الآية في تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨١٨.

٤- لو كان الاسمان لمتغايرين لَتُصُوِّرَ وجود أحدهما بدون الآخر، ولَتُصُوِّرَ مُؤْمِن ليس بمُسْلِم، ومُسْلِم ليس بمُؤْمِن.

ولو كان كذٰلِكَ فما هو القول في مُؤْمِن ليس بمُسْلِم، أو مُسْلِم ليس بمُؤْمِن في أَحْكَام الدنيا والآخِرَة؟

فإن أُثبت لأحدهما حكم ليس للآخر ظهر ضلاله، وإن لم يثبت ظهر بطلان قوله[1].

القول الثاني: الإسلام والإيمان متغايران.

فالإسلام: هو الانقياد والاستسلام، وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالىٰ واستسلم فيها لأمره فهي إسلام[2]. والإيمان: هو خَصْلَة من خصال الإسلام، وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً[3]. فالمُسْلِم قد يكون مُؤْمِناً في بعض الأحوال، ولا يكون مُؤْمِناً في بعضها، والمُؤْمِن مُسْلِم في جميع الأحوال، فكل مُؤْمِن مُسْلِم، وليس كل مُسْلِم مُؤْمِناً. وأصل الإيمان التَّصْدِيْق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلماً في الظَّاهِر غير منقاد في البَاطِن، وقد يكون صَادِقاً في البَاطِن غير منقاد في الظَّاهِر[4].

وهو قول الخَطَّابِيّ وصَحَّحَهُ[5]، وقال به أبو عَمْرو بن الصَّلَاح، وذكر أنه

وذكرها أَيضاً الخَطَّابِيّ في مَعَالِم السُّنَن ج٤ ص٣١٥ وهٰذِهِ الآية أوردها ابن حَزْم في علم الكلام ص٨٢ والرِّيْحَاوِيّ في نُخْبَة اللآلي ص٩٨.

(١) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨١٩. وأُشير إليه في: القَوْل الفَصْل ص٣٦٢ نَقْلًا عن التَّبْصِرَة.

(٢) تَمْهِيْد الأوائل ص٣٩٢. وفي القَامُوْس المُحِيْط مادة السلم: **أَسْلَمَ**: انقاد.

(٣) تَمْهِيْد الأوائل السَّابق، والإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص٥٨.

(٤) مَعَالِم السُّنَن للخَطَّابِيّ ج٤ ص٣١٥ ونقله عنه النَّوَوِيّ في شَرْح صَحِيْح مُسْلِم ج١ ص١٤٥.

(٥) مَعَالِم السُّنَن السَّابِق، ونقله عنه النَّوَوِيّ في شَرْح مُسْلِم السَّابِق.

موافق لجماهير العُلَمَاء من أهل الحَدِيْث وغيرهم[١]. ونقل هٰذَا التفريق عن كثير من السَّلَف[٢]. وهو قول البَاقِلاَّنِيّ[٣]، ونسبه النَّسَفِيّ إلىٰ بعض الحَشْوِيَّة[٤]. وقال بتغاير الإسلام والإيمان أيضاً: أبو يَعْلَىٰ[٥]، والإيْجِيّ والسَّيِّد الشَّرِيْف من الأَشَاعِرَة[٦]، وبعض المُعْتَزِلَة[٧]. وبعض الإمَامِيَّة[٨].

وحُجَّة هٰذَا القول:

١ - قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ - الحُجُرَات ١٤. فنفىٰ عن الأعراب الإيمان، وأثبت لهم الإسلام، أي: الانقياد والاستسلام[٩].

---

(١) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ج١ ص١٤٨ نَقْلًا عن أبي عَمْرو بن الصَّلَاح.

(٢) جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٠٧، وفيه ذكر ابن رَجَب منهم: قَتَادَة، ودَاوُد بن أبي هِنْد، وأبو جَعْفَر الباقر، والزُّهْرِيّ، وحَمَّاد بن زَيْد، وابن مَهْدِيّ، وشَرِيْك، وابن أبي ذئب، وأَحْمَد بن حَنْبَل، وأبو خَيْثَمَة، ويَحْيَىٰ بن مَعِيْن، وغيرهم. علىٰ اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما. وكان الحَسَن وابن سِيْرِيْن يقولان: مُسْلِم، ويهابان: مُؤْمِن.

(٣) تَمْهِيْد الأوائل ص٣٩٢.

(٤) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٨١٧. وفي شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٠٩: هو قول الحَشْوِيَّة. وكذا في القَوْل الفَصْل ص٣٦١.

(٥) الإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص٤٣٧.

(٦) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٢٧.

(٧) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٠٩.

(٨) مُقَدِّمَة البَحْر الزَّخَّار لابن المُرْتَضَىٰ ص٨٦.

(٩) تَمْهِيْد الأوائل ص٣٩٢ والإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص٥٩ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨١٧ حاكياً حُجَّة بعض الحَشْوِيَّة. وكذٰلِكَ في القَوْل الفَصْل ص٣٦١، وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٠٩ عن الحَشْوِيَّة وبعض المُعْتَزِلَة. وهٰذِهِ الآية هي حُجَّة الزُّهْرِيّ كما ذكره الخَطَّابِيّ في مَعَالِم السُّنَن ج٤ ص٣١٥.

٢- عطف أحدهما علىٰ الآخر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ - الأحزاب ٣٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ - الأحزاب ٢٢[(١)].

فعطَفَ الإيمانَ علىٰ الإسلام في الآية الأُوْلَـىٰ، والشيء لا يعطف علىٰ نفسه[(٢)]. وكذٰلِكَ العطف في الآية الثانية.

٣- خبر جِبْرِيْل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث سأل النَّبِيّ ﷺ عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليَوم الآخِر والقَدَر خَيْره وشره.

وسأله عن الإسلام فقال: أن تشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وتُقِيْم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رَمَضَان وتحج البيت.

ففرقت السُّنَّة النَّبَوِيَّة بين الأمرين، فالأول مُؤْمِن، والثاني مُسْلِم[(٣)].

فالحَدِيْث بيَّن أصل الإيمان وهو التَّصْدِيْق البَاطِن، وبيَّن أصل الإسلام وهو الاستسلام، والانقياد الظَّاهِر.

قال أبو عَمْرو بن الصَّلَاح: الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مُؤْمِن مُسْلِم، وليس كل مُسْلِم مُؤْمِناً[(٤)].

---

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٠٩ عن الحَشْوِيَّة وبعض المُعْتَزِلَة، والقَوْل الفَصْل ص٣٦١ عن بعض الحَشْوِيَّة.

(٢) الإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص٤٣٧.

(٣) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج٢ ص٨١٧ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٠٩ والإيمان لأبي يَعْلَىٰ ص٤٣٧-٤٣٨ ونُخْبَة اللآلي ص٩٨ والقَوْل الفَصْل ص٣٦١ والإِنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٥٥ والغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص٧٠.

(٤) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ج١ ص١٤٨ نَقْلًا عن أبي عَمْرو بن الصَّلَاح.

القول الثالث: إن قُرِنَ بين الإسلام والإيمان كان بينهما فرق.

فالإيمان جنس تصديق القلب، والإسلام جنس العَمَل. كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ - الأحزاب ٣٥.

وقوله ﷺ: (الإسلام عَلَانِيَة، والإيمان في القلب).

وإذا انفرد أحدهما بالذكْر، شمل معنىٰ الآخر وحُكْمَه، فلا فرق بينهما.

فالإسلام والإيمان لفظان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فهما كلفظي الفَقِيْر والمسكين، فقوله تعالىٰ: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ - المائدة ٨٩، شامل للمُقِلّ والمُعْدَم معاً.

وهو قول ابن رَجَب[(١)]، وابن أبي العِزّ[(٢)].

الاحسان

الإحسان: مصدر الفعل أَحْسَنَ، ويُستعمل لمعنيين:

١- متعدٍّ بنفسه، كقولك: أَحْسَنت كذا، إذا حَسَّنته وكمَّلته.

٢- متعدٍّ بَحْرف الجر، كقولك: أَحْسَنت إلىٰ فُلَان، أي: أَوصلت إليه النفع.

والإحسان الوارد في حَدِيْث جِبْرِيْل وهو (قال - أي: جِبْرِيْل - فَأَخْبِرْنِي عن الإحسان، قال - أي: النَّبِيّ ﷺ -: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، هو

(١) جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٠٧-١٠٨. وفي هامشه:

حَدِيْث: الإسلام عَلَانِيَة... إلخ، في: مُسْنَد أَحْمَد عن أَنَس. ورواه أَيضاً ابن أبي شَيْبَة وأبو يَعْلَىٰ والبَزَّار وأبو عُبَيْد في الإيمان. قال مُحَقِّقُهُ الشيخ شُعَيْب: وفي إسناده عَلِيّ بن مَسْعَدَة، وهو ضعيف. وانظر: مَجْمَع الزَّوَائِد ج١ ص٥٢.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٩٠و٤٩٢-٤٩٣.

بالمعنىٰ الأول، لا الثاني، إذ إنه يرجع إلىٰ إتْقَان العِبَادات ومراعاة حقوق الله تعالىٰ[(١)].

والإحسان في حَدِيْث جِبْرِيْل شامل للمقامات الثلاثة في العِبَادَة وهي:

المقام الأول: أن يفعل العِبَادَة مستكملاً شروطها وأركانها، فيكون قد أَدَّىٰ ما عليه من التكاليف الشَّرْعِيَّة[(٢)].

المقام الثاني: وهو المُرَاد بقوله ﷺ في حَدِيْث جِبْرِيْل: (أن تعبد الله كأنك تراه)، فهو يعبد الله وكأنه يراه، وهٰذَا مقام المشَاهدة. وهو مقام الرَّسُوْل ﷺ، كما قال: (وجعلت قُرَّة عيني في الصلاة)، لحصول التلذذ بالطاعة[(٣)].

المقام الثالث: وهو المُرَاد بقوله ﷺ: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فهو يعبد الله تعالىٰ وقد غلب عليه أن الله تعالىٰ يشَاهده.

وهٰذَا هو مقام المُرَاقَبَة[(٤)]، أو مقام الإخلاص[(٥)]. وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ - الشعراء[(٦)].

وكل من المقامات الثلاثة إحسان، لٰكِن الإحسان الذي هو شرط في صحة العِبَادَة إنما هو المقام الأول.

---

(١) المُفْهِم للقُرْطُبِيّ ج١ ص١٤٢-١٤٣ وعُمْدَة القَارِي ج١ ص٢٨٨.

وحَدِيْث جِبْرِيْل هو حَدِيْث عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الإيمان والإسلام والإحسان وأمارات الساعة، المتقدم آنِفاً.

(٢) إرْشَاد السَّارِي ج١ ص١٤٠.

(٣) إرْشَاد السَّارِي السَّابِق. وذكره القُرْطُبِيّ في المُفْهِم ج١ ص١٤٣ والعَيْنِيّ في عُمْدَة القَارِي ج١ ص٢٨٨.

(٤) إرْشَاد السَّارِي، والمُفْهِم، وعُمْدَة القَارِي، السَّابِقَة.

(٥) جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٢٩.

(٦) المُفْهِم للقُرْطُبِيّ السَّابِق.

أما المقامان الآخران فهما من صفة الخواص، ويتعذران علىٰ الكثير[١].

وهٰذَا التَّفْسِيْر (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، يشير إلىٰ أن العبد يعبد الله مستحضراً قربه كأنه يراه، وذٰلِكَ يوجب الخشية والخوف والهيبة والتَّعْظِيْم ومراعاة الأدب ما دام في عِبَادته، ويوجب النصح في العِبَادَة، وبذل الجهد في تَحْسِيْنها وإتمامها وإكْمَالها[٢].

وقد أوصىٰ النَّبِيّ ﷺ أصحابه بمثل هٰذَا:

فقد ورد عن أبي ذَرّ قال: أوصاني خَلِيْلِي ﷺ أن أخشىٰ الله كأني أراه، فإن لم أكن أراه فإنه يراني.

ويُرْوَىٰ من حَدِيْث زَيْد بن أَرْقَم مرفوعاً وموقوفاً: (كن كأنك ترىٰ الله، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك).

ويُـرْوَىٰ أن رجلاً قال: يا رَسُوْل الله، حَدِّثْنِي بحَدِيْث، واجعله موجزاً، فقال: (صَلِّ صلاةَ مودِّعٍ، فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك)[٣].

وفي الحَدِيْث الشَّرِيْف: (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت).

وفي الحَدِيْث القُدْسِيّ: (يقول الله عَزَّ وجَلَّ: أنا مع عبدي إذا ذكرني، وتحركت بي

---

(١) إرْشَاد السَّارِي ج١ ص١٤٠.

(٢) جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٢٦-١٢٧.

(٣) جَامِع العُلُوْم والحِكَم، السَّابِق. وفي هامش جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٢٧:

(**حَدِيْث زَيْد بن أَرْقَم** رواه أبو نُعَيْم في الحِلْيَة ج٨ ص٢٠٢ بلفظ: اعبد الله كأنك تراه... .

وحَدِيْث: صلِّ صلاةَ مودِّعٍ... إلخ: أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيّ عن أَنَس في الأَوْسط، كما في مَجْمَع الزَّوَائِد ج١٠ ص٢٢٩، وهو من حَدِيْث ابن عُمَر لا من حَدِيْث أَنَس كما قال الهَيْثَمِيّ وغيره. وقال الهَيْثَمِيّ: وفيه من لم أعرفهم).

شفتاه).

وفي الحَدِيْث القُدْسِيّ أَيضاً: (يقول الله عَزَّ وجَلَّ: أنا مع ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حيث ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خَيْرٍ منه، وإن تقرَّب مني شبراً تقرَّبت منه ذراعاً، وإن تقرَّب مني ذراعاً تقرَّبت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة).

ومن كان يستحضر هٰذَا في حال ذكره الله تعالىٰ وعِبَادته اسْتَأْنَس بالله عَزَّ وجَلَّ. قال إبْرَاهِيْم بن أَدْهَم: (أعلىٰ الدرجات أن تنقطع إلىٰ ربك، وتَسْتَأْنِس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك، حتىٰ لا ترجو إلَّا ربك، ولا تخاف إلَّا ذنبك).

وقال مَعْرُوْف الكَرْخِيّ لرجل: (توكَّلْ علىٰ الله حتىٰ يكون جليسَك وأَنِيْسَك وموضعَ شكواك)[1].

---

(١) جَامِع العُلُوْم والحِكَم ج١ ص١٣٠-١٣٤، وخرج مُحَقِّقُهُ تلك الأَحَادِيْث في هامش ص١٣١ وذكر:

حَدِيْث: **أنا مع عبدي إذا ذكرني**... إلخ: رواه من حَدِيْث أبي هُرَيْرَة، أَحْمَد في مُسْنَده والبُخَارِيّ في خلق أفعال العِبَاد وابن مَاجه وصَحَّحَهُ ابن حِبَّان، والحَاكِم ووَافَقَهُ الذَّهَبِيّ.

وحَدِيْث: **يقول الله عَزَّ وجَلَّ: أنا مع ظنِّ عبدي بي**... إلخ: رواه من حَدِيْث أبي هُرَيْرَة: أَحْمَد في مُسْنَده والبُخَارِيّ ومُسْلِم والتِّرْمِذِيّ وابن مَاجَة وصَحَّحَهُ ابن حِبَّان.

المَبْحَث الثاني

أهمية الإيمان في الحياة

للإيمان بالله تعالىٰ ورَسُوْله ﷺ آثار عَظِيْمَة علىٰ حياة المُسْلِم. تنقله من الظلمات إلىٰ النُّوْر، وتميز حياته عن حياة الملحد والمُشْرِك. تتجلَّىٰ في ما يأتي:

١- الإيمان بالله تعالىٰ، وبأنه وَاحِد يمكِّن المرء من العلم بأن السماوات والأرض لها رب يَكلؤها برعايته، ويرعىٰ من فيها بعنايته، فيرزقهم ويربيهم، ويعلِّمه بأن ليس في هٰذَا الكون شيء يقوم بنفسه.

أما المُشْرِك والملحد فلا يقول بمثل هٰذَا.

٢- الإيمان بالله ووحدانيته ينشئ في الإنسان العزة والأنفة. فالله هو القَوِيّ، ولا ضَارّ ولا نَافِع ولا مُحْيِي ولا مُمِيْت إلَّا هو، فلا يطأطِئ رأسه لأحد، ولا يتضرع إليه، ولا يرتعب من كبريائه.

أما المُشْرِك والملحد فيرىٰ غيره قَادِراً علىٰ نفعه وضره، فيتضرع إليه، ويرتعب منه.

٣- الإيمان ينشئ في المرء التواضع. فلا تراه يفخر بماله وعزته وكفاءته، وإنما يقول: هي هِبَة من الله تعالىٰ.

بخلاف الملحد الذي يبطر إذا حدثت له نعمة عاجلة، ويشمخ بأنفه علىٰ غيره.

٤- المُؤْمِن بالله ووحدانيته يرىٰ أن النجاة والفلاح لا تكون إلَّا بتَزْكِيَة النفس، والعَمَل الصالح، والبِر، والتُّقىٰ.

أما المُـشْرِك فيقول: إنَّ ابن الله قد أصبح كفارة عن ذنوبنا، أو نحن أبناء الله وأحباؤه، فلن يعذبنا بذنوبنا، أو نستشفع بكبرائنا وأتقيائنا، أو بتقديم النذور والقرابين إلىٰ الآلهة.

والملحد يقول: لا نُسأل عن أَعْمَالنا، فالشهوات النفسية هي آلهتهم.

٥- المُؤْمِن لا يتسرب إليه اليأس، بل هو مطمئن مملوء سكينةً وأملاً. ولو أُهين، ولو أُوذي.

أما المُشْرِك والملحد فلا يقوىٰ قلبه علىٰ الوقوف بالمحن، وقد يفضي اليأس بهم إلىٰ الانتحار.

٦- المُؤْمِن علىٰ قوة عَظِيْمَة من العزم والإقدام، والصبر والثبات، والتوكل، فإذا كان حَاكِماً لا يبتغي إلَّا مرضاة الله عَزَّ وجَلَّ، ولا يهمه إلَّا إقامة العَدْل، لأن وراءه قوة علوية، تكلؤه، وترعاه، وتأخذ بيده.

أما المُشْرِك والملحد فلا ينتظر مثل هٰذِهِ القوة، فلا يملك عندئذٍ من العزم والتوكل ما يملكه المُؤْمِن.

٧- المُؤْمِن علىٰ قدر كَبِيْر من الشَّجَاعَة والجرأة. لأن الذي يوهن عزم الإنسان، أمران، هما:

أ- حبه للنفس والمال والأهل.

ب- اعْتِقَاده بأن هناك أحداً يميت غير الله، وأنه قَادِر علىٰ أن يدرأ عن نفسه الموت بحيلة من الحيل.

فالمُؤْمِن يؤمن بأن مَالِك النفس والمال والأهل هو الله تعالىٰ، وأن المُمِيْت هو الله وحده بالأجل المحتوم المخصص، فلا يخشىٰ عندئذٍ رجلاً أو حَرْباً، فلا يكون أجرأَ ولا أشجع من المُؤْمِن الحق.

بخلاف الملحد والمُشْرِك الجبان، الذي يخشىٰ زحف الجيوش وقوة العدو.

٨- الإيمان يرفع قدر الإنسان، وينشئ فيه: الترفع والقَنَاعَة والاستغناء، ويطهر قلبه من الطمع واللؤم، والعواطف السافلة، والصفات القبيحة الأُخرىٰ، فالرزق لا يكون إلَّا بيد الله وحده، فلا نجاح ولا خسران إلَّا بيده تعالىٰ.

أما الملحد والمُشْرِك فهو عبد الطمع والشَّرَه، وهمُّه الكسب بالسُّبُل المشروعة وغير المشروعة.

٩- الإيمان يجعل الإنسان مُتَقَيِّداً بقَانُوْن الله، ومحافظاً عليه. فهو إن خلا بنفسه ليلاً ونهاراً، يعلم أن عليه رَقِيْباً، يحاسبه علىٰ كل صَغِيْرَة وكَبِيْرَة، فتراه يُسَارع إلىٰ الخَيْرَات، ويأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المُنْكَر. فوازعه النفسي يحضه علىٰ الخَيْر، وينهاه عن كل رذيلة.

أما الملحد والمُشْرِك فلا يرىٰ شَيئاً من هٰذَا[1].

(١) مبادئ الإسلام ص٧١-٧٧.

الفَصْل الرَّابع

الإلٰهِيَّات

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَث الأول: وجود الله تعالىٰ وأدلته.

المصادَفَة، سبب الإلحاد.

المَبْحَث الثاني: الأسماء الحُسْنَىٰ.

المَبْحَث الثالث: الصفات الإلٰهِيَّة، وما يترتب عليها.

أولاً: ما يجب في حقه تعالىٰ من الصفات:

الصفة النَّفْسِيَّة: وهي الوجود.

الصفات السَّلبية: القِدَم، البَقَاء، مخالفة الحوادث، القيام بالنفْس، الوحدانية.

صفات المعاني: القدرة، الإرادة، السمع، البصر، العِلْم، الكلام، الحياة.

ثانياً: ما يستحيل في حقه تعالىٰ.

ثالثاً: ما يجوز في حقه تعالىٰ: رؤية الله تعالىٰ.

القَضَاء والقَدَر.

المَبْحَث الأول

وجود اللّه تعالى وأدلته

الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ هو الرُّكْن الأول من أركان الإيمان الوارد في حَدِيْث جِبْرِيْل: (أن تؤمن بالله...)، وهو الرُّكْن الأول من أركان الإسلام الوارد في الحَدِيْث المذكور: (أن تشهد أن لا إلٰه إلَّا الله...)، فهو أَسَاس مَسَائِل العَقِيْدَة جَميعاً.

وهنا نبحث مَسْأَلَة وجود الله تعالىٰ وصفاته، متخذين طريقين ينتهيان إلىٰ اليقين الذي لا شك فيه:

الطريق الأول: اعتماد الدليل النقلي من القُرْآن الكَرِيْم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحة الثَّابِتَة عن الرَّسُوْل ﷺ، مُعْرِضين عن الأَحَادِيْث الضعيفة.

والطريق الثاني: النَّظَر العقلي السَّلِيْم، إذ هو عُمْدَة دراستنا في العَقَائِد.

وبذٰلِكَ تبنىٰ العَقِيْدَة الإسلامِيَّة في النفوس علىٰ أَسَاس مَتِيْن، يعتمد البَرَاهِيْن اليقينية التي لا تقبل الجدل.

وُجود اللّه سُبْحَانَهُ وتَعَالَى

آمن جُمْهُوْر الناس بوجود الله عَزَّ وجَلَّ، بعد أن تَفَكَّروا في الكون ودَقَائِقه، وحَكَّموا عُقُوْلهم، وجَنَّبوها الهوىٰ.

وأنكره الضالّون، مدّعين حرية العقل، بحُجَّة أن الحواس لم تدركه، والغيب لا يُعَوَّل عليه في إثبات وجوده.

لذٰلِكَ رد العُلَمَاء علىٰ المنكِرين بأَدِلَّة نقلية وعقلية صريحة كثيرة، تثبت للعاقل

المتمحّص وجودَ الله تعالىٰ، وأنه مُوْجِد الكون.

وفيما يأتي أهم تلك الأَدِلَّة.

أَدِلَّة وجود الله تعالى

استدل العُلَمَاء علىٰ وجود الله تعالىٰ بأَدِلَّة كثيرة منها: دليل الحدوث، ودليل الوجوب، ودليل العِنَايَة والاختراع، والدليل الوجودي، والدليل الأخلاقي.

الدليل الأول: دليل الحدوث

بنىٰ المتكلمون هٰذَا الدليل علىٰ المُقَدِّمَتَيْن الآتيتين:

المُقَدِّمَة الأُوْلَىٰ: العالَم حادِث.

المُقَدِّمَة الثانية: كل حادِث لا بد له من مُحْدِث.

النتيجة: العالَم لا بد له من مُحْدِث[1] يُحْدِثه، أي: يرجِّح وجوده علىٰ عدمه[2]،

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٤٤.

وهاتان المُقَدِّمتان في: إحياء عُلُوْم الدِّيْن للغَزَالِيّ، انظره بشرحه إتْحَاف السَّادَة للزَّبِيْدِيّ ج٢ ص٩٠ والمَوَاقِف ج٨ ص٢ والمُسَايَرَة لابن الهُمَام، وشرحه المُسَامَرَة لابن أبي شَرِيْف ص١٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٤. وانظر: المَطَالِب العالية للرَّازِيّ ج١ ص٢٠٠.

(٢) المُسَامَرَة لابن أبي شَرِيْف السَّابِق.

العالَم: هو كل ما عدا الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ من الموجودات.

والحادِث: هو ما كان مَعْدُوْماً ثم وجد. وسمي حادثاً لأنه حدث وظهر لعِلَّة أوجدته بعد أن لم يكن. / المُسَامَرَة لابن أبي شَرِيْف، وإتْحَاف السَّادَة، السَّابِقَان.

وتعريف العالَم هٰذَا في: العَقِيْدَة النِّظَامِيَّة للجُوَيْنِيّ ص١٢٩ والإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٣٠ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص٤٥ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٤.

وهو الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

ولكي تظهر لنا صحة هٰـذِهِ النتيجة يجب أن نقيم الدليل علىٰ صحة كلٍّ من المُقَدِّمَتَيْن السَّابِقتين.

الدليل علىٰ أن العالَم حادِث:

هو تَغيّره من حال إلىٰ حال، ويمكن صياغته علىٰ النَّحْو الآتي:

العالَمَ متركب من جَوَاهِر وأعراض.

وكلٌّ من الجَوَاهِر والأعراض متغير.

فالعالَم متغير[1]. والتغير دليل الحدوث.

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٤٤-٤٥. وانظر: المُسَايَرَة لابن الهُمَام، وشرحه المُسَامَرَة لابن أبي شَرِيْف ص١٨. وذكر أبو المُعِيْن النَّسَفِيّ: (إن العالَم عند عامة المتكلمين أقسام ثلاثة: جَوَاهِر وأجسام وأعراض. ولم يرضَ الإمَام أبو مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ هٰذِهِ القسمة لأن فيها تداخلاً، فقال: العالَمَ قسمان: أَعْيَان وأعراض. والأَعْيَان قسمان: غير متركبة وهي في عرف المتكلمين الجَوَاهِر، ومتركبة وهي في عرفهم الأجسام، قال: وبهٰذَا يعرف أن كل جسم جوهر). / تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٤-٤٥.

الجوهر: ما قام بنفسه.

والعَرَض: ما قام بغيره. وبعض الأعراض تدرك بالحواس الظَّاهِرَة: كالحلاوة، والصوت، والألوان، والروائح، والبرودة، والخشونة. وبعضها يدرك بالعقل: كالقدرة، والإرادة، والعلم. / شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٤٣ وشَرْح الصَّاوِيّ عليه.

وذكر الجُوَيْنِيّ في الإرْشَاد ص١٧: (الجوهر هو المتحيِّز، وكل ذي حجم متحيِّز، والعَرَض هو المعنىٰ القائم بالجوهر كالألوان والطعوم والروائح والحياة والموت والعُلُوْم والإرادات والقُدَر القائمة بالجَوَاهِر). وقال أَيضاً في الإرْشَاد ص٢٣: (الجَوَاهِر في اصْطِلَاح الملحِدة - الفَلَاسِفَة - تسمىٰ الهيولىٰ، والأعراض تسمىٰ الصورة).

والأعراض حادثة، بدليل:

أ- تغيرها من عدم إلىٰ وجود، ومن وجود إلىٰ عدم، وذٰلِكَ:

إما بالمشَاهدة كالحركة بعد السكون، والضَّوْء بعد الظلمة، والسواد بعد البياض، والحرارة بعد البرودة، إلىٰ غير ذٰلِكَ، وبالعكس.

وإما بالدليل، وذٰلِكَ لأن ما شوهد سكونه مثلاً علىٰ الدوام كالجبال، جازت عليه الحركة بزلزال(١).

ب- احتياجها إلىٰ مُخَصِّص يُخَصِّصُها بوقت حدوثها دون ما قبله وما بعده، فلا بد من مرجِّح لوقوعه في ذٰلِكَ الوقت، لأن الترجيح من غير مرجِّح محال.

ج- افتقارها إلىٰ جسم تقوم به(٢).

والجَوَاهِر حادثة أَيضاً، وذٰلِكَ:

لأنها ملازمة للأعراض لا تنفصل عنها، فهي لا تخلو عن الحركة والسكون والألوان...، والأعراض حادثة كما تقدم، وكل ما لا ينفكّ عن الحادث فهو حادث.

فإذا ثبت أن الجَوَاهِر والأعراض حادثة لزم أن يكون العالَمَ المكوَّن منهما

والجسم: هو المؤلف المركب من جوهرين فأكثر. / المُسَامَرَة لابن أبي شَرِيْف السَّابِق. وانظر: تَمْهِيْد الأوائل ص٣٧ والإِنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص١٦ والإِرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص١٧ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص٤٦.

وقد يعبر بعضُهم مثل ابن الهُمَام عن الجَوَاهِر بالأجسام، وهما في اللُّغَة بمعنىٰ وَاحِد. / المُسَامَرَة لابن أبي شَرِيْف ص١٨.

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر، والمُسَامَرَة لابن أبي شَرِيْف، السَّابِقَان. وانظر: تَمْهِيْد الأوائل والإِنْصَاف السَّابِقين، وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٨٨ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ والدُّسُوْقِيّ عليه ص١٥١.

(٢) المُسَايَرَة لابن الهُمَام، وشرحه المُسَامَرَة لابن أبي شَرِيْف، السَّابِقَان.

حادثاً[١].

وبذٰلِكَ تَسْلم المُقَدِّمَة الأُوْلَىٰ (العالَم حادِث).

الدليل علىٰ أن كل حادِث لا بد له من مُحْدِث يُحْدِثه:

هو أن المصنوع لو حدث بلا صانع، للزم أن يكون المصنوع قد حدث بنفسه، فيلزم ترجيح أحد الأمرين المتساويين - أي: الوجود والعدم - علىٰ مساويه بلا سبب، وهو محال[٢].

فلو حدث حادث بلا مُحْدِث، للزم أن يترجح وجوده علىٰ عدمه بلا مرجِّح، وهو مستحيل بالبداهة.

ومعنىٰ الرجحان بدون مرجِّح هو: أن يكون الشيء جارياً علىٰ نَسَق معين، ثم يتحول عن نَسَقه بدون وجود أي مغيِّر.

وهٰذَا واضح البطلان لأن جميع العقلاء يعلمون أن لا بد لتحويل الشيء عن حاله السَّابِقَة من محَوِّل، يفرض عليه هٰذَا الوضع الجديد، وينسخ حاله القديمة. فإنك لو تَركتَ كفَّتَي مِيْزَان متساويتين، لا ثقل في أحداهما، وزعمت أن إحداهما قد ترجحت، دون أي مؤثر خارجي، كنفخة هواء أو سقوط حَجَر... ولو زعمت للناس أن جهاز المذياع أوصل إليك أخبار العالم دون أن تدير صمامه لضحكوا منك وأشفقوا عليك.

وعلىٰ ذٰلِكَ نَقُوْل: كان العدم هو المنبسط محل العالَم قبل وجوده، فالعدم أرجح من الوجود لسبقه، ولٰكِن حين خُلق هٰذَا العالَم ترجح وجودُه علىٰ العدم، والوجود والعدم أمران متساويان في الأصل، وترجيح أحد هٰذَيْنِ الأمرين المتساويين علىٰ الآخر

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٤٥.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٤٥ وقال: (هٰذَا هو البُرْهَان المشهور بينهم في بَيَان حدوث العالَمَ وافتقاره إلىٰ صانع)، وانظر: ص٥١ وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه.

بلا مرجِّح مستحيلٌ وباطل بالبداهة.

فالقول بأن العدم قد تحوَّل إلىٰ وجود العالَم دون مسبب لهٰذَا الوجود، باطل ومستحيل استحالة دعوىٰ صاحب المِيْزَان والمذياع(١).

وبذٰلِكَ تسلم لنا المُقَدِّمَة الثانية، وهي: (كل حادِث لا بد له من مُحْدِث).

فإذا سلمت المُقَدِّمتان سلمت النتيجة، وهي: العالَم لا بد له من مُحْدِث يُحْدِثه.

الدليل الثاني: دليل الوجوب

موجِد هٰذَا الكون إما أن يكون: مستحيلاً، أو ممكناً، أو واجباً، لأن كل أمر لا بد أن يتصف بوَاحِد من الأُمور الثلاثة السَّابِقَة ولا رابع لها، لأنها أقسام الحكم العقلي(٢).

---

(١) انظر: كبرىٰ اليقينيات الكونية ص٨١و٨٣ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٤٥. وانظر الرجحان بلا مرجِّح في: المَطَالِب العالية للرَّازِيّ ج١ ص٧٥ وما بعدها.

(٢) **الحكم**: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، بواسطة: الشَّرْع، أو العادة، أو العقل. فهو ثلاثة أقسام:

١- الحكم الشَّرْعِيّ: وهو الذي تكون وسيلة إثباته الشَّرْع، كإثبات الوجوب للصلاة.

٢- الحكم العادي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته العادة والتَّجْرِبَة، كإثبات الإحراق للنار.

٣- الحكم العقلي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته العقل، كإثبات الزوجية للعدد (٢) و(٤)...، والحكم العقلي هو عُمْدَة دراستنا في العَقَائِد.

الحكم العقلي: ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: واجب، ومستحيل، وممكن (جائز).

١- الواجب: وهو الثَّابِت الذي لا يقبل الانتفاء، أو هو ما لا يُتَصور في العقل عدمُه. كوجوب القدرة لله تعالىٰ، وكوجوب الزوجية للعدد (٤).

٢- المستحيل: هو المنفي الذي لا يقبل الثُّبُوْت فلا يمكن وجوده، ولا يُتَصور حدوثه مطلقاً،

١- فلا يجوز أن يكون مُوجِد العالَم مستحيلاً، لأن المستحيل لا يُتَصور وجوده مطلقاً، فهو عدم مَحْض، فلا يمكن أن يوجِد غيرَه، إذ إن (فاقد الشيء لا يعطيه)، فكيف يكون المستحيل مصدراً للوجود؟

٢- كما لا يجوز أن يكون مُوجِدُ العالَم ممكناً، لأن الممكن لا يوجد إلَّا إذا وجد سبب وجوده، وهٰذَا السبب إن كان ممكناً فعندئذٍ يحتاج إلىٰ سبب آخر... إلخ وهٰكَذَا. وهٰذَا يلزم منه الدَّوْر أو التسلسل، وكلاهما باطل، كما سيأتي بَيَانه بعد قليل، فما أدىٰ إليهما فهو باطل. فلزم أَنْ لا يكون موجِد الكون ممكناً.

٣- ولما ثبت أن مُوجِد العالَم ليس بمستحيل ولا بممكن، وجب أن يكون مُوجِد العالَم واجب الوجود. فلا يحتاج وجوده إلىٰ سبب، بل هو سبب وجود العالَم[1].

أو هو ما لا يُتَصور في العقل وجوده. كإثبات شَرِيْك لله، وكتقدم الابن علىٰ أبيه في الوجود.

٣- الممكن (الجائز): هو الذي يقبل الثُّبُوْت تارة والنفي تارة أُخرىٰ علىٰ التعاقب. أي: يمكن وجوده إذا وجد السبب الذي يرجح وجوده. أو هو ما يَصِحّ في العقل وجوده وعدمه علىٰ السواء، ولا يوجد إلَّا بمرجح، كوجود الجنة الآن، وكوجودك الآن في هٰذِهِ الغرفة.

السَّنُوْسِيَّة وشرحها للبَاجُوْرِيّ ص٣٤ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص٣٠ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٢٩-٣٣و٣٨-٤١ والمُعْتَقَد المُنْتَقَد ص١٣-١٥ والكُلِّيَّات للكَفَوِيّ ص٣٨٠.

(١) انظر: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٤ وحَاشِيَة الدَّوَّانِيّ والكَلَنْبَوِيّ عليه ج١ ص٢٢٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٤ ونِهَايَة الإقدام ص١٥ والرَّازِيّ مفسراً ص٢٨٢.

معنىٰ واجب الوجود: هو أنه لا يجوز عليه العَدَم، فلا يقبل العَدَم لا أزلاً ولا أَبداً. / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٤ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٠.

وذكر الرَّازِيّ أن المتكلمين فسروا واجب الوجود لذاته بأُمور ثلاثة:

معنىٰ الدَّوْر ودليل بطلانه:

الدَّوْر: هو أن يكون شيئان، كلٌّ منهما عِلَّة للآخر[١]. كقولك: زَيْد أوجد عَمْراً، وعَمْرو أوجد زيداً.

فكلٌّ من زَيْد وعَمْرو، يتوقف وجود أحدهما علىٰ الآخر. وهو الدَّوْر الباطل[٢]، وكلٌّ منهما يظل مَعْدُوْماً حتىٰ يأتي مؤثر خارجي.

دليل بطلان الدَّوْر:

هو أن يستلزم أن يكونَ كلُّ وَاحِد منهما سَابِقاً صاحبَه، ومتأخراً عنه، في وقت وَاحِد. وهٰذَا يعني استلزام تقدم الشيء علىٰ نفسه وهو تناقض[٣].

(أ- إنه هو الذي يستحق الوجود من ذاته. وهٰذَا يفيد أن ذاته عِلَّة لوجود نفسه.

ب- إنه هو الذي لا يقبل العَدَم، أو إنه الذي لا يَصِحّ عليه العَدَم.

ج- إنه هو الذي لا يتوقف وجوده علىٰ سببٍ منفصل، أو الذي لا يكون وجوده مُعَلَّلاً بسببٍ منفصل). / المَطَالِب العالية للرَّازِيّ ج١ ص٢٨١.

(١) المَوَاقِف ج٤ ص١٥٠.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٥.

الدَّوْر باطل سواء كان:

من مرتبة وَاحِدَة: (ويسمىٰ الدَّوْر المُصَرّح)، كما يتوقف أ علىٰ ب، وبالعكس.

أو من مراتب متعددة: (ويسمىٰ الدَّوْر المضمَر)، كما يتوقف أ علىٰ ب، و ب علىٰ ج، و ج علىٰ أ.

انظر: التَّعْرِيْفَات ص٩٤ كلمة (الدَّوْر). وبهٰذَا المعنىٰ: مَقَاصِد الطَّالِبِيْن وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٢ ص١١٢ ومِفْتَاح الباب ص٨٦.

(٣) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٤ ص١٥١ والمَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٢ ص١١٢ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٦ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٥ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن

فعَمْرو يتوقف وجوده علىٰ زَيْد، وزَيْد يتوقف وجوده علىٰ عَمْرو. وهٰذَا يعني أن عَمْراً يتوقف وجوده علىٰ عَمْرو، بعد حذف الحد الأَوْسط (زَيْد).

وهٰذَا يستلزم تقدم الشيء علىٰ نفسه، أي: يلزم أن يتقدم عَمْرو علىٰ عَمْرو، لأنه سابق ومسبوق، فيلزم أن يكون عَمْرو موجوداً قبل أن يُوْجَد، وهٰذَا باطل[1].

ومثال بطلان الدَّوْر:

وجود البيض متوقف علىٰ وجود الدجاج. ووجود الدجاج متوقف علىٰ وجود البيض. فلو فرضنا أن لا وسيلة إلىٰ وجود هٰذَا ولا ذاك إلَّا عن هٰذَا الطريق فإن من البديهي أن كلّاً من الأمرين يظلان مَعْدُوْمَيْن حتىٰ يأتي مؤثر خارجي، يُوْجِد البيضَ ويُوْجِد الدجاجَ، فينتهي الدَّوْر عندئذٍ.

فإذا قيل:

إنَّ سببَ حدوثِ العالَم هو: التفاعل الذاتي في الموجودات بتَأْثِيْر الضغط والحرارة والبرودة بمرور الزمان.

أُجيب: بأنَّ هٰذَا هو الدَّوْر الباطل، لأنه يعني: أنَّ وجود العالَمَ متوقف علىٰ بعضه (الضغط والحرارة والبرودة...)، وبعضه متوقف في وجوده علىٰ العالَم. وهٰذَا يعني: تقدم الشيء علىٰ نفسه، وهو باطل كما تقدم[2].

معنىٰ التسلسل ودليل بطلانه:

التسلسل: هو أن يستند الممكن في وجوده إلىٰ عِلَّة مؤثرة فيه، وتستند تلك العِلَّة

للسَّنُوْسِيّ ص١٥٥ والمَطَالِب العالية للرَّازِيّ ج١ ص١٣٦ والمُحَصِّل للرَّازِيّ ص١٤٩ وكَشْف المُرَاد ص١١٧ والوسيلة في شَرْح الفضيلة ص٤٦١.

(١) انظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٥.

(٢) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص٨٩-٩٠.

المؤثرة إلىٰ عِلَّة أُخرىٰ مؤثرة فيها، وهَلُمَّ جَرّاً إلىٰ ما لا نِهَايَة[١].

فالتسلسل يعني: أنَّ المخلوقات متوالدة عن بعضها، إلىٰ ما لا نِهَايَة، بحيث يكون كل وَاحِد منها معلولاً لما قبله، وعِلَّة لما بعده، دون أن تنبع هٰذِهِ السلسلة من عِلَّة واجبة الوجود[٢].

دليل بطلان التسلسل:

١- إنه يؤدي إلىٰ وجود آلهة لا نِهَايَة لها، كلٌّ منها متصفٌ بالحدوث والعجز والافتقار، وهو باطل قطعاً، لأنه منافٍ لمقام الأُلوهية من القدرة والغنىٰ المطلق، إذ العَاجِز الفَقِيْر لا يَصِحّ أن يكون خَالِقاً للعالَم البَدِيْع الإتقان[٣].

٢- التسلسل منقوض بالحس والمشَاهدة، ذٰلِكَ لأن هناك مخلوقات انقرضت. فلو صح أنَّ الموجودات تتسلسل إلىٰ ما لا نِهَايَة - بأن تكون كلُّ حلقةٍ فيها معلولاً لما قبلها، وعِلَّة تامةً لما بعدها - لما انقرضت هٰذِهِ الموجودات، لأن الحلقةَ الأَخِيْرَةَ فيها معلولة فقط، وليست بعِلَّة كسابقتها[٤].

٣- بُرْهَان التَّطْبِيْق وهو أشهر أَدِلَّة المتكلمين وهو:

أنك لو فرضتَ سلسلتين، وجعلت إحداهما من الآن إلىٰ ما لا نِهَايَة. والأُخرىٰ من الطوفان إلىٰ ما لا نِهَايَة. وطبقتَ بينهما بأن قابلتَ بين أفرادهما من أولهما.

فكلما طَرَحت من الآنية (نسبة إلىٰ الآن، أي: الوقت الحاضر) حلقة وَاحِدَة، طَرَحتَ في مقابلتها من الطوفانية (نسبة إلىٰ الطوفان) وَاحِدَة وهٰكَذَا... .

---

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٤ ص١٦٠.

(٢) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص٨٤.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٦. وانظر: المُحَصِّل للرَّازِيّ ص١٤٩.

(٤) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص٨٤ وما بعدها. وأشار إلىٰ كتاب: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين للأُستاذ الشيخ مُصْطَفَىٰ صبري ج٢ ص١٨٢.

فلا يخلو:

إما أن يفرغا معاً، فيكون كل منهما له نِهَايَة، وهو خلاف الفرض.

وإنْ لم يفرغا - كما فرضنا -، لزم مساواة الناقصِ للكَامِلِ، وهو باطل.

وإنْ فرغت الطوفانية دون الآنية، كانت الطوفانية متناهية، والآنية أَيضاً كذٰلِكَ، لأنها إنما زادت علىٰ الطوفانية بقدرٍ متناهٍ وهو ما من الطوفان إلىٰ الآن، ومن المَعْلُوْم أنَّ الزائد علىٰ شيء مُتَنَاهٍ بقدر مُتَنَاهٍ يكون متناهياً بالضرورة[1].

ومثال بطلان التسلسل:

١- إذا رأيت رقماً حسابياً طَوِيْلاً، يتراصف إلىٰ جانبه عدد كَبِيْر من الأصفار، فإِنَّكَ تسرع لتنظر قبل كل شيء إلىٰ الرقم العددي الأول، وما لم تقع عيناك علىٰ ذٰلِكَ الرقم، فإنك لا تعطي قيمة للأصفار الكثيرة، ما لم تستند إلىٰ رقم ذاتي قبلها، لأن الرقم الذي يملك قيمة ذاتية في داخله، هو الذي يضفي الحياة والقيمة علىٰ الأصفار المتسلسلة التي عن يمينه، فسلسلةُ الأصفار التي لم تنتهِ إلىٰ رقم عددي هي خالية عن أية قيمة، وافتراض التسلسل اللانهائي فيها لا يجعل لها أية قيمة.

٢- لو ادعيتُ أمامك حقيقةً عِلْمِيَّة، وحين سألتني عن الدليل أَجَبْتُك ببُرْهَان يتوقفُ علىٰ بُرْهَان آخر. وحين سألتني عن بُرْهَان أجبتك ببُرْهَان يتوقف علىٰ آخر... وهٰكَذَا، فإنك تكذِّبني في دعواي، بل تكذِّبُ وجودَها أَصلاً.

فكلٌّ من هٰذِهِ البَرَاهِيْن المتسلسلة، التي فرضنا أنه لا نِهَايَة لها، ليست إلَّا ظلالاً تنتظر أصلها الأول. فإن لم يوجد ذٰلِكَ الأصل، فهٰذِهِ الظلال نفسها غير موجودة، ومن

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٥. وانظر: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٤ ص١٦٧ وما بعدها، والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٢ ص١٢٠ وما بعدها، وكَشْف المُرَاد ص١١٩ والوسيلة في شَرْح الفضيلة ص٤٦١-٤٦٥.

ثم فإن الحقيقة المدعاة أيضاً تكون غير موجودة[١].

وإذا بطل الـدَّوْر والتسلسل، بطل ما أَدَّىٰ إليهما، وهو كونُ موجِد العالَم ممكناً، وعندئذٍ وجب أن يكونَ الموجِدُ واجبَ الوجود.

ولا يَخرج عن هٰذَيْنِ الدليلين الدليلُ الذي ذكره بعض فَلَاسِفَة الغرب، وهو أقوىٰ الأَدِلَّة وأبسطها لديهم، المسمىٰ ببُرْهَان الخَلْق، أو الدليل الكوني[٢].

الدليل الثالث: دليل العِنَايَة والاختراع (البُرْهَان العِلْمِيّ)

وهٰذَا الدليل هو أجلىٰ الأَدِلَّة علىٰ وجود الله تعالىٰ وأوضحها. وهو الذي ذكره ابن رُشْد في مناهج الأَدِلَّة باسم العِنَايَة والاختراع، وذكر أنه يمكن أن يتخذه:

أ- الجُمْهُوْر طريقاً لإثبات وجود الله تعالىٰ، فيقتصرون منه علىٰ ما هو مدرَك بالمَعْرِفَة الأُوْلَىٰ المبنية علىٰ الحس.

ب- والعُلَمَاء، فيَزَيْدُوْن علىٰ ما يُدرَك من هٰذِهِ الأشياء بالحس ما يُدرَك بالبُرْهَان.

---

(١) كبرىٰ اليقينيات الكونية السَّابِق.

(٢) **وملخص هٰذَا الدليل**: هو أن الموجودات لا بد لها من موجِد، لأننا نرىٰ كل موجود منها يتوقف علىٰ غيره، ويرىٰ غيره هٰذَا يتوقف علىٰ موجود آخر، دون أن نعرف ضرورة توجب وجوده لذاته.

انظر: الكلام عن هٰذَا الدليل في: (الله) للعقاد ص١٩٢-١٩٣ وعَرَض لأحد طرقه وهو: دليل الحركة (بُرْهَان المحَرِّك الذي لا يتحرك) وفحواه: أن المتحَرِّك لا بد له من مُحرِّك، وأن هٰذَا المحَرِّك لا بد أن يستمد الحركة من غيره، وهٰكَذَا إلىٰ أن يقف العقل عند محرِّك وَاحِد، لا تجوز عليه الحركة، لأنه قائم بغير حدود من المكان أو الزمان. وهٰذَا هو الله.

وانظر: دراسات في الفِرَق ص١٩٠ وما بعدها، وعرض لطريقتين من طرقه الخمسة المشهورة التي لخصها القديس توما الأكويني وهما: بُرْهَان الحركة، وبُرْهَان الإمكان والوجوب.

وهٰذَا الدليل هو الذي نبه عليه القُرْآن الكَرِيْم، واعتمده الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. وبَيَان هٰذَا الدليل بشطريه فيما يأتي:

الأول: دليل العِنَايَة:

وهٰـذَا يظهر في العِنَايَة بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله. ويبنىٰ علىٰ أصلين هما:

١- إن جميع الموجودات التي هٰهُنَا موافقةٌ لوجود الإنسان.

٢- إن هٰذِهِ الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قَاصِد لذٰلِكَ مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هٰذِهِ الموافقة بالاتفاق.

والموافقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذٰلِكَ موافقة الزمان والمكان الذي هو فيه أَيضاً، والحيوان والنبات والجماد والأمطار والأنهار والبحار والنار والهواء.... .

وكذٰلِكَ أَيضاً تظهر العِنَايَة في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان. أي: كونها موافقة لحياته ووجوده.

ومن آيات القُرْآن الكَرِيْم التي بينت هٰذَا الدليل:

- قوله تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ - الفُرْقَان ٦١.

- قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ - النبأ.

- قوله تعالىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا

﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ ﴾ - عَبَس.

الثاني: دليل الاختراع:

وهو ما يظهر من اختراع جَوَاهِر الأشياء الموجودات. كاختراع الحياة في الجماد، والإدراكات الحسية، والعقل. ويدخل فيه: وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السماوات.

وهٰذَا الدليل يبنىٰ علىٰ أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس هما:

١- أن هٰذِهِ الموجودات مختَرَعَة، فإنا نرىٰ أجساماً جمادية، ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعاً أنَّ هٰهُنَا موجِداً للحياة ومُنْعِماً بها، وهو الله تبارك وتعالىٰ.

وأما السماوات، فنعلم من قِبَلِ حركتها التي لا تفتر، أنها مَأْمُوْرَة بالعِنَايَة بما هٰهُنَا ومسخَّرة لنا، والمسخَّر المَأْمُوْر مختَرَع من قبل غيره ضرورة.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ - الحج ٧٣.

ب- إنَّ كل مختَرَع فله مختَرِع، فعلىٰ من أراد مَعْرِفَة اللهِ حقّ معرفته، أن يعرف جَوَاهِر الأشياء، ليقف علىٰ الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء، لم يعرف حقيقة الاختراع.

- قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ - الأعراف ١٨٥.

- وقال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ ﴾ - الطارق.

- وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ - الغاشية ١٧.

وأما الآيات القُرْآنية التي تجمع بين هٰذَيْنِ الدليلين فمنها:

- قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ

تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ - البقرة.

فقوله تعالىٰ: ﴿ خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، تَنْبِيه علىٰ دلالة الاختراع.

وقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾، تَنْبِيه علىٰ دلالة العِنَايَة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ - آل عِمْرَان ١٩١[(١)].

والدليل العِلْمِيّ هو الذي أكد عليه العُلَمَاء في العَصْر الحاضر خاصةً، بعد أن اتسعَ نطاقُ العلم، وظهرت المخترعاتُ الحَدِيْثَة التي كانت سبباً في استكشاف آفاق الفضاء، والوقوف علىٰ أسرار الطبيعة، ومَعْرِفَة خفاياها، مما دعا رِجَال العلم في مُخْتَلف ميادينه إلىٰ أن يتحدثوا بقدرة الله تعالىٰ وإبداعه وعظمته وحيرة العقل الإنساني أمام تلك الأسرار في كل مخلوق.

وما نذكره هنا من نظرات في بعض ميادين العلم، ووقوف العُلَمَاء علىٰ بعض أسرار الكون، ما هي إلَّا مِفْتَاح للذهن، يدفعه للتفكير في أمر هٰذَا الكون المترامي الأطراف، ولا ريب فإن كل جزئية فيه ناطقة بربوبية (خَالِقية) الله تعالىٰ ووحدانيته.

فيا عَجَباً كيفَ يُعْصَىٰ الإلٰـهُ أَم كيفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وفي كُلِّ شَيءٍ لـه آيَـةٌ تَدُلُّ علىٰ أَنَّـهُ وَاحِـدُ

ومن هٰذِهِ الأمثلة:

١- النجوم عبارة عن كتل ملتهِبَة بعيدة عن الأرض.

---

(١) مناهج الأَدِلَّة في عَقَائِد المِلَّة لابن رُشْد ص١٥١-١٥٥ ونقله الدكتور عِرْفَان عبد الحميد في: دراسات في الفِرَق ص١٧٥.

فأقرب نَجْم إلينا يساوي أربع سنوات وربع من السنين الضوئية[١]. وألمع نَجْم نراه في السماء هو نَجْم الشِّعْرَىٰ اليَمَانِيَّة، والذي عَبَدَهُ فريقٌ من العَرَب قبل الإسلام، يبعد عنا ثماني سنوات ونصف من السنين الضوئية[٢].

وأعلن الفلكيون عن رصدهم نَجْماً يبعد عنا اثْنَي عَشَر ونصف بليون (والبليون يساوي مليون مليون) سنة ضوئية[٣].

ودرجات حرارة سطوحها متفاوتة. لذا اختلفت ألوانها من أَحْمَر داكن إلىٰ أَحْمَر فاتح إلىٰ برتقالي إلىٰ أصفر إلىٰ أبيض إلىٰ أزرق، فالنجوم الزرقاء تصل درجة حرارة سطوحها عشرات الأُلوف من الدرجات.

ودرجة حرارة سطح نَجْم الشِّعْرَىٰ اليَمَانِيَّة تبلغ أحد عشر ألف درجة مئوية.

أما حجومها، فمنها ما يقدر بحجم الشمس، ومنها ما ينقص عنها أو يَزِيْد عليها بعشرات أو مئات بل آلاف وملايين المرات.

٢- المَجَرَّات: يقول الأُستاذ (جامو): إنَّ (هبل) مدير مرصد مونت ولسن، نظر بمرصده إلىٰ مسافة تقرب من ٥٠٠ مليون سنة ضوئية، وأحصىٰ من المَجَرَّات الخارجية نحو ١٠٠ مليون مَجَرَّة، وأنه يحتمل وجود مَجَرَّات أُخرىٰ علىٰ مسافات أعظم لم يشَاهدها هبل. ويقول: إنَّ مَجَرَّتنا يبلغ قُطرها مئة ألف سنة ضوئية، وسمكها عشرة آلاف سنة ضوئية، وهي تجري بسرعة عَظِيْمَة جداً.

٣- يتمدد الفضاء بشكل عَظِيْم. وقدَّروه - كما يقول السير جيمس جينز - بنحو

---

(١) **السنة الضوئية**: هي المسافة التي يقطعها الضَّوْء خلال سنة وَاحِدَة، وذٰلِكَ نحو ستة ملايين مليون ميل، علماً بأن الضَّوْء يسير مقدار (١٨٦) ألف ميل بالثانية الوَاحِدَة.

(٢) التَّفْسِيْر العِلْمِيّ للآيات الكونية في القُرْآن ص٥٦و٥٩و٦٢.

(٣) النشرة الفلكية الأخبارية من مديرية الرعاية العِلْمِيَّة ببَغْدَاد.

مائة وخمسة أميال في الثانية الوَاحِدَة، لكل بُعْدٍ قدرُهُ مليون سنة ضوئية[١].

٤- وشمسنا هٰذِهِ يبلغ حجمها نحو مليون وثلاثمائة قدر حجم الأرض. وهي كتلة من صخور، ومعادن سَائِلَة، وغازات محترقة، تبلغ درجة حرارة سطحها ستة آلاف درجة مئوية، ودرجة حرارة مركزها تبلغ عشرين مليون درجة مئوية.

وطاقتها الحرارية - ومثلها النجوم المُشِعَّة - ناتجة عن تفاعلات نووية حرارية تحدث في مراكزها، حين تتحطم الذرة في بَاطِن الشمس، تحت وطأة الحرارة العالية جداً.

ويبلغ لِسَان اللهيب ١٤٠ كم في الأحوال العادية، أما في الانفجارات المستمرة، فيبلغ بعدُ قذائفها آلاف الأميال[٢].

٥- القمر تابع للأرض، يبعد عنها ٢٨٦ ألف ميل، فلو بَعُدَ عنها ٥٠ ألف ميل، لَغطَّىٰ الماء في المدّ الأرضَ كلها، ويكون عمقه بمُعَدَّل ميل ونصف، والمدّ في الهواء يُحدث الأعاصير كل يوم... إلخ. لأن جاذبية القمر - في الوضع الحالي - تجذب مياه المُحِيْط إلىٰ ستين قدماً في بعض الأماكن، وتحني قشرة الأرض مرتين نحو الخارج يومياً، مسافة عدة بوصات[٣].

٦- تدور الأرض حول الشمس بسرعة ١٨,٥ ميل في الثانية تَقْرِيْباً، في فَلَكٍ طولُه

---

(١) التَّفْسِيْر العِلْمِيّ للآيات الكونية ص٥٦-٦٩.

(٢) التَّفْسِيْر العِلْمِيّ للآيات الكونية ص٦٥-٦٨و٧٣و٧٥و٨٥ والعلم يدعو للإيمان طَبْعَة ٤ ص٥٥ ومع الله في السماء ص١٤٦.

(٣) العلم يدعو للإيمان ص٥٧-٥٨.

يجري القمر في فلكه بمقدار ٢٣٠٠ ميل بالساعة، ويلفُّ حولَ نفسه مرةً في كل دورة في فلكه شهرياً، ولذٰلِكَ يواجه الأرضَ بجانب وَاحِد دائماً، فنرىٰ أوجه الضِّيَاء المُخْتَلِفَة، من هلال إلىٰ بَدْر وبالعكس. / التَّفْسِيْر العِلْمِيّ للآيات الكونية ص٦٧-٦٨.

٦٠٠ مليون ميل.

وتدور الأرض حول نفسها بسرعة قدرها ١٠٠٠ ميل بالساعة (أي: مرة كل ٢٤ ساعة).

فلو فرضنا أنها تدور حول نفسها بمُعَدَّل ١٠٠ ميل بالساعة، فعندئذٍ يكون نهارنا وليلنا أطول مما هو عليه الآن عشر مرات، فتحرق الشمس النباتات نهاراً وتتجمد ليلاً.

ولو فرضنا أنها تدور حول الشمس بسرعة ٦ أميال في الثانية أو ٤٠ ميلاً، لكان قربنا وبعدنا عن الشمس يجعل حياتنا مستحيلة[1].

٧- والماء الذي يكوِّن أربعة أخماس الكرة الأرضية، يتكون من غاز: ذرتين هيدروجين وذرة أُوكسجين: H_2O، والهواء يتكون من عنَاصِر، بنسب معينة عَظِيْمَة الأهمية للحياة، إذا اختلت لم تستقم الحياة.

٨- وملح الطعام الذي تستحيل حياة الإنسان بدونه، يتكون من أخطر عنصرين هما: الصوديوم الذي يدخل في تَرْكِيْب المتفجرات، والكلور الغاز الخانق القاتل: NaCl.

---

(١) التَّفْسِيْر العِلْمِيّ للآيات الكونية ص٦٧ والعلم يدعو للإيمان ص٥٥.

ولو كانت قشرة الأرض أسمك عشرة أقدام، لنفد الأُوكسجين، وانعدمت الحياة.

ولو كانت البحار أعمق بضعة أقدام مما هي عليه الآن، لانجذب الأُوكسجين وثاني أُوكسيد الكاربون فاستحالت الحياة.

ولو كان جو الأرض أَرَقَّ مما هو عليه، لتهاوت النيازك فأحرقت الأرض. / الإسلام يتحدىٰ ص٥٩.

لأن النيازك والشهب تتهاوىٰ في كل يوم بالملايين في الهواء الخارجي، وهي تسير بسرعة ستة أميال إلىٰ أَربَعِين ميلاً في الثانية، فلو لم يكن ذٰلِكَ مَانِعاً لأحرقت الأرض ومن فيها، إذ إن الإنسان إن اصطدم بشِهَاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة، كان يمزقه إرْباً من مجرد حرارة مروره. / العلم يدعو للإيمان ص٦٥.

٩- إذا نظرت في المجهر إلىٰ قطرة من المياه الآسنة، تجد عـالمَاً من الأحياء فيه العجائب(١).

١٠- الزُّنْبور حين يصيد الجُنْدُب، يخدِّره، فيحمله، ليتغذىٰ عليه صغاره حين يولدون(٢).

١١- لو أن ذبابتين توالدتا، ولم يأت الموت عليهما وعلىٰ خَلَفهما، فإنه بعد خمس سنوات، يَتكون من الذباب ما يمكن أن يشكل طبقة حول الكرة الأرضية، ارتفاعها ٥ سم. وهٰذَا جنس وَاحِد، فكيف بالمخلوقات جَميعاً، إذا لم يأت عليها الموت؟(٣).

١٢- والإنسان ذٰلِكَ اللغز المحير للعقل، يتكون من عنَاصِر تساوي: برميلاً صَغِيْراً من الماء. مع عنَاصِر مَعْدَنِيَّة تكوّن مسماراً صَغِيْراً، ورأس عود ثقاب من الكبريت، وكمية من الكلس يمكن أن يُطلىٰ بها جدار، وعنَاصِر أُخرىٰ قليلة جداً لا تساوي قيمتها نصف دِيْنَار، والسر لا يكمن في نوعية المواد، وإنما يكمن في تَرْكِيْبها، وتكوين ذرات الخلية، ثم التَّرْكِيْبَات الحيوية المتولدة في الجسم(٤).

- فالإنسان يَتِمّ سَمَاعه بدخول الصوت إلىٰ الصيوان، ثم إلىٰ داخل الأُذن، ويمر

(١) هٰذِهِ من الأُمور الأولية التي يدرسها الطُّلَّاب في علم الكيمياء.

(٢) الله: سَعِيْد حوىٰ ص٧٦.

- عشّ بعض العناكب يكون علىٰ شكل منطاد تحت الماء، ينفخ بفقاعات الماء، التي تحملها في شعر تحت جسمها، وعندئذٍ تلد صغارها، لا يؤثر عليها هبوب الرياح. / العلم يدعو للإيمان ص١١٩.

- يطير الخفاش ليلاً، وهو الضعيف البصر، ولا يصطدم بحاجز، لأنه يرسل اهتزازات ترجع إليه إذا اصطدمت بجسم أمامه، فيحس به دون أن يراه، وهٰذَا شبيه بالرادار. / الله: سَعِيْد حوىٰ ص٩٨.

(٣) الله: سَعِيْد حوىٰ ص٩٢.

(٤) الطب محراب للإيمان ص٥٩.

بجزء فيه ٤٠٠٠ حنية (قوس)، تشبه سُلَّماً موسيقياً، تنقل إلىٰ المخ بشكل ما[1]، أما كيف يحصل فهم المسموع؟ وكيف يَتِمّ تَمْيِيْز الأصوات العديدة جداً عن بعضها البعض؟ وأين تقع خزائن الذَّاكِرَة للمسموعات...؟ فهٰذِهِ لم يُتَوَصل إليها[2].

وهٰكَذَا في بقية الحواس الأُخرىٰ.

- في جسم الإنسان ألف مليون مليون خلية، ويستهلك الجسم من خلاياه حوالي ١٢٥ مليون خلية في الثانيةالـوَاحِدَة. وعدد خلايا الجُمْلَة العَصَبِيَّة المركزية (المخ والمخيخ والجذع الدماغي) يقدر بحوالي ١٤ مليار (المليار يساوي ألف مليون) خلية عَصَبِيَّة، تسيطر علىٰ نشاط البدن وفعاليته، ويكمن فيها النشاط الفكري والشخصية الإنسانية[3].

- بصمة الإصْبَـع لأي شخص امـرأة أو طفل أو رجـل، لا تشبه بصمةَ أي شخص آخر، ولذا تتخذ التَّحْقِيْقات الجنائية بصمات الأصابع دليلاً علىٰ كَشْف هوية المجرمين.

- أما العَمَلِيَّات المحيرة الدقيقة التي تجري في البصر، وسائر الحواس، والتخلق الإنساني، وتكوُّن الخلايا، ووزارات الجسم وغيرها، فإنه ليعجز عن وصفها القلم، وكلها ألغاز محيرة وأسرار مدهشة، بقي الكثير منها طي الكتمان، حتىٰ يحين الوقت لكَشْف شيء منه.

---

(١) العلم يدعو للإيمان ص١١٩.

(٢) الطب محراب للإيمان ص١٩١-١٩٢.

(٣) الطب محراب للإيمان ص٩٤ وما بعدها و ص٤٠-٤٢. ذكر الرَّازِيّ في المَطَالِب العالية ج١ ص٢١٨ وما بعدها الاستدلال علىٰ وجود الإله الحَكِيْم الرَّحِيْم بكيفية تولد الإنسان من النطفة. و ص٢٣٣ وما بعدها ببناء العالم علىٰ الوجه الأصلح وعجائب المخلوقات، وأقوال الأكابر في ذٰلِكَ.

وبعد هٰذَا نَقُوْل: هٰذِهِ أمثلة يَسِيْرَة[١] مما ذكره العُلَمَاء من نظرات في أرجاء هٰذَا الكون الفسيح، الذي يقف أمامها الإنسان مشدوهاً حائراً، نتساءل فيه: من دبَّره؟ ومن كوَّنه؟ ومن سيَّره علىٰ هٰذَا الشكل البَدِيْع المتناسق، الذي يكشف العلم يوماً بعد آخر عجائب هٰذَا النِّظَام الذي يجري عليه هٰذَا الكون؟ أهٰذَا من صنع الإنسان الذي يعجز عن أن يدفع عنه المكروه، ويعجز عن أن يغير ما في الطبيعة من ظروف قاهرة كالمطر والفيضان والرياح... إلخ؟

إنَّ العاقل ليدرك أنَّ تآلف هٰذِهِ الجزيئات علىٰ هٰذَا النَّحْو، الذي تتجلىٰ فيه صورة الحياة، واستمرار هٰذَا التآلف والحياة مدىٰ الأزمان، لا يتخلف ولا يتريث، لم يكن من صنع الطبيعة الصماء العمياء.

إنَّ التَّفْسِيْر الحقيقي لهٰذَا النِّظَام، هو أن تؤمن بقدرة خارقة، وقوة جَبَّارَة، وعظمة إلٰهيَّة، بسطت يديها، فسيرت الكون علىٰ النَّحْو العجيب الذي نراه.

ودليل العِنَايَة والاختراع هو الذي ذكره بعض فَلَاسِفَة الغرب باسم الدليل الغَائِيّ أو بُرْهَان الغَايَة، الذي يتخذ من المخلوقات دليلاً علىٰ وجود الخَالِق. وهٰذِهِ المخلوقات تدل علىٰ قصد في تكوينها، وحكمة في تسييرها وتدبيرها، فالنِّظَام والقصد والانسجام والحكمة الظَّاهِرَة في الطبيعة ومظَاهِرها المُخْتَلِفَة المتنوعة، طريقٌ ظَاهِرَة لإثبات وجود الله تعالىٰ'[٢].

---

(١) انظر أمثلة أُخرىٰ في: الكتب التي أشرنا إليها، وكتاب الله يتجلى في عَصْر العلم لجَمَاعَة من العُلَمَاء، ومع الله في السماء للدكتور أَحْمَد زَكِيّ، والإنسان ذٰلِكَ المجهول للدكتور الكسيس كارل، وكُتُب عبد الرَّزَّاق نوفل، وقصة الإيمان للشيخ نديم الجسر، والطريق إلىٰ النجوم لفان درويت وللي ترجمة الدكتور عُمَر فروخ، والنجوم في مَسَالِكها للدكتور جيمس جينز.

(٢) الله: العقاد ص١٩٦-١٩٧ ودراسات في الفِرَق ص١٧٩.

الدليل الرابع: الدليل الوجودي

ويسمىٰ بُرْهَان الاسْتِعْلَاء والاسْتِكْمَال، أو بُرْهَان المثل الأعلىٰ.

وقد صاغه القديس أَنْسْلِم في صورته الأُوْلَىٰ، وقد صدر عن مبدأ معترف به من المُؤْمِنِين والملحدين جَميعاً، وهو: أنَّ فكرة الإلٰه موجودة في العُقُوْل، فالملحدون لا يجحدون تصورهم للأُلوهية، وإنما يجحدون وجود الإلٰه.

ونقَّح هٰذَا الدليل اللاحقون بأَنْسْلِم، حتىٰ بلغ كَمَاله في فلسفة ديكارت، وأوشك أن ينسب إليه، وفحواه في صورته الجَامِعَة:

أنَّ العقل الإنساني كلما تصور شَيئاً عَظِيْماً، تصور ما هو أعظم منه، لأن الوقوف عند مرتبة قاصرة يحتاج إلىٰ سبب، والعقل الإنساني لا يعرف سبب القصور، فما من شيء كَامِل إلَّا والعقل الإنساني متطلع إلىٰ أَكْمَل منه، ثم أَكْمَل منه، إلىٰ نِهَايَة النهايات، وهي غَايَة الكَمَال المطلق التي لا مَزِيْد عليها ولا نقص فيها. وهٰذَا الوجود الكَامِل موجود لا محالة، لأن وجوده في التصور أقل من وجوده في الحقيقة، فهو في الحقيقة موجود. لأن الكَمَال المطلق ينتفي عنه بسبب عدم الوجود، ولا يبقىٰ له شيء من الكَمَال، بل نقص مطلق، وهو عدم الوجود. فمجرد تصور هٰذَا الكَمَال مثبت لوجوده[1].

الدليل الخامس: الدليل الأخلاقي

وقد صاغ هٰذَا الدليل الفيلسوف الألماني كنت. وصورته هي:

أنَّ علامة الوازع الأخلاقي، أو علامة الواجب، أو علامة الضمير، لا توجد في النفس الإنسانية بغير وجود إلٰه، إذ كيف يدين الإنسان نفسه بالحق، إن لم يكن في الكون

---

(١) الله: العقاد ص٢٠٠. وانظر: دراسات في الفِرَق ص١٨٦ وما بعدها، وفيه رأي أَنْسْلِم وديكارت وسبينوزا وغيرهم.

قسطاس للحق يغرس في نفسه هٰذَا الوجوب؟ وكيف تقرر في طبع الإنسان، أَنَّ الواجب الكريه لديه أَوْلَىٰ به من طاعة الهوىٰ المحبب إليه، وإن لم يطلع علىٰ دخيلة سره أحد؟

فإن قيل:

إنَّ العادة الاجتماعية هي التي رسخت في النفس، حتىٰ استحالت إلىٰ رغبة مقبولة، أُجيب:

بأن مَعْرِفَة السبب لا تقضي بإبطال الغَايَة أو بفقدان الحكمة، فنحن نعلم أَنَّ القطار يتحرك بغليان المِرْجَل فيه. وأَنَّ المُهَنْدِس قد مد قضبانه، لأنه يكافأ علىٰ مدها بأجر يحتاج إليه. وأنَّ نُظَّار المحطات يسيِّرون حركة القطار، لأنهم مجزيون علىٰ ذٰلِكَ، أو معاقبون علىٰ إهماله.

ولٰكِن ذٰلِكَ كله، لا يُبْطِلُ الغَايَة، ولا يقضي بمسير القطار لغير حكمة، وقيام العَمَل كله بغير تدبير[1].

المصادفة

قالوا: إنَّ المصادفة هي التي أوجدت، ودبرت ما في الكون علىٰ هٰذَا الشكل.

والجواب: لا بد من التفريق بين أمرين:

أولهما: خلق الشيء. وفكرة المصادفة تُستبعد منه، لأنه يؤدي إلىٰ الدَّوْر الباطل كما تقدم.

ثانيهما: تَرْتِيْب الشيء وتَرْكِيْبه. وهي محل النَّظَر والبَحْث.

صيغة قَانُوْن المصادفة الحرفية هي: (أنَّ حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص، بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانات المتكافئة المزدحمة).

---

(١) انظر: الله: العقاد ص٢٠٠-٢٠١. وانظر تفصيل هٰـذَا القول في: دراسات في الفِرَق ص١٩٨.

لٰكِن تَطْبِيْق هٰذَا القَانُوْن، إنما يَتِمّ علىٰ المادة غير الحية، فدراسة الاحتمال علىٰ ضغط غاز في وعاء أو خليط من غازات قد يَصِحّ، ولٰكِن علىٰ الخلية والأحياء الأُخرىٰ فإنه يقف، لأن الترابط في الخلية مع ظَاهِرَة الحياة معجز ومحير، إلىٰ حدٍّ يجعل هٰذَا القَانُوْن غير ساري المفعول في هٰذَا المجال[1].

ولكي نفهم هٰذَا القَانُوْن وعدم سريانه لا بد من الأمثلة، منها:

١- يقول الأُستاذ كريسي موريسون: ضع عشرة بنسات مرقمة من ١-١٠ في كيس وابدأ بسحبها، ترىٰ أنَّ:

فرصة سحب رقم ١ هي بنسبة ١ إلىٰ ١٠، لأن كل رقم قد يكون له الحظ بالسحب.

وفرصة سحب رقم ١و٢ مُتَتَابِعَيْن هي بنسبة ١ إلىٰ ١٠٠.

وفرصة سحب رقم ١و٢و٣ متتابعات هي بنسبة ١ إلىٰ ١٠٠٠.

وفرصة سحب رقم ١و٢و٣و٤ متتابعات هي بنسبة ١ إلىٰ ١٠٠٠٠.

وهٰكَذَا... حتىٰ تصبح فرصة سحب الأرقام من ١ إلىٰ ١٠ متتابعة، هي بنسبة ١ إلىٰ ١٠ مليارات[2].

٢- لو فرضنا أنك تملك عدداً هائلاً من الحروف، إذا حاولتَ آلاف المرات سحب حرف بعد حرف من هٰذِهِ المجاميع الكَبِيْرَة، وسطَّرتها وَاحِداً بعد الآخر، فهل يظهر لك، مهما كررت عَمَلِيَّة السحب، ديوانُ المتنبي أو إلياذة هوميروس أو القُرْآن الكَرِيْم...؟

٣- يقول الأُستاذ فرانك ألن: البروتينات من المركبات الأَسَاسِيَّة في جميع الخلايا الحية. تتكون من خمسة عنَاصِر هي: الكربون والإيدروجين والنيتروجين والأُوكسجين

(١) الطب محراب للإيمان ص١٤.

(٢) العلم يدعو للإيمان ص٥١ والطب محراب للإيمان ص١٥.

والكبريت.

ويبلغ عدد الذرات في الجُزَيْء البروتيني الوَاحِد ٤٠٠٠٠ ذرة، ولما كان عدد العنَاصِر الكيمياوية في الطبيعة ٩٢ عنصراً، موزعة كلها توزيعاً عشوائياً، فإنَّ احتمال اجتماع هٰذِهِ العنَاصِر الخمسة، لكي تكوِّن جزيئاً من جزيئات البروتين، يمكن حسابه، لمَعْرِفَة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطاً مستمراً، لكي تؤلف هٰذَا الجُزَيْء، ثم لمَعْرِفَة طول الفترة الزمنية اللازمة، لكي يحدث هٰذَا الاجتماع بين ذرات الجُزَيْء الوَاحِد.

وقد قام العالم الرِّيَاضي السويسري شارلس يوجين جاي بحساب هٰذِهِ العوامل جيداً، فوجد:

أنَّ الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جُزَيْء بروتيني وَاحِد، إلَّا بنسبة ١ إلىٰ (١٠)^١٦٠ (أي بنسبة ١ إلىٰ الرقم ١٠ مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة)، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات.

وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هٰذَا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جُزَيْء وَاحِد أكثر مما يتسع له كل هٰذَا الكون بملايين المرات.

ويتطلب تكوين هٰذَا الجُزَيْء علىٰ سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة مدة (١٠)^٢٤٣ (أي عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين).

وقد حسب العالم الإنجليزي ج. ب. ليثز الطرق التي يمكن أن تتآلف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة البروتينات فوجد أنَّ عددها (١٠)^٤٨.

وعلىٰ ذٰلِكَ فإنه من المحال عقلاً أن تتآلف كل هٰذِهِ المصادفات لكي تبني جزيئاً بروتينياً وَاحِداً. ولٰكِن البروتينات ليست إلَّا مواد كيمياوية عديمة الحياة، ولا تدب فيها الحياة إلَّا عندما يحل فيها ذٰلِكَ السر العجيب، الذي لا ندري من كُنْهه شَيئاً، إنه العقل

اللانهائي، وهو الله وحده[١].

(١) الله يتجلىٰ في عَصْر العلم ص٩-١٠.

وقال الأُستاذ ليثز في خطاب الرئاسة السنوي بقسم الفزيولوجي في جَامِعَة أكسفورد عام ١٩٣٦م ما فحواه: إن كل خلية من البروتين تتألف من سلسلة فيها بضع مئات من الحلقات، وإن كل حلقة منها هي تَرْكِيْبَة من ذرات، قوامها حمض من الأحماض النوشادرية، وهي أحماض يبلغ المعروف منها نحو العشرين، ويجوز أن يقع كل منها موقعه علىٰ اختلاف في النسبة والتَّرْتِيْب، ولٰكِننا لا نراها في بعض الأَنْسِجَة إلَّا علىٰ تَرْتِيْب وَاحِد ونسبة وَاحِدَة بغير شُذُوْذ ولا اختلاف. فهل تستطيع أن تتخيل مبلغ الدقة في هٰذِهِ الإصَابَة بين احتمالات الخطأ التي لا تحصيها أرقامنا المألوفة؟

يكفي لتَقْرِيْب هٰذِهِ الدقة من الخيال، أن نذكر أن الحروف الأبجدية في لُغَات البشر كافة، لا تتجاوز الثلاثين، ويتألف من تراكيبها المُتغيرَة كل ما تلفظ به الأُمَم من الكلمات والعبارات، فإذا كانت خلية البروتين في حجمها الخفي قابلة لأضعاف ذٰلِكَ التكرار، ثم لا نشَاهد فيها إلَّا كلمة وَاحِدَة في تَرْتِيْب وَاحِد لا يتغير، فقد عرفنا علىٰ التَّقْرِيْب معنىٰ تلك الإصَابَة في التوثيق والتَّرْكِيْب.

يقول الأُستاذ ليثز لتَقْرِيْب هٰذَا الخيال: إن الضَّوْء يصل من طرف المَجَرَّة إلىٰ الطرف الآخر في ثلاثمائة ألف سنة، فإذا أَردنا أن نشبه إصَابَة الخلية في تَرْكِيْبها بمَثَل مفهوم، فهٰذِهِ الإصَابَة تضارع إصَابَة الرصاصة التي تنطلق من الأرض، فتصيب هدفاً في نهر المَجَرَّة بحجم عَيْن الثور ولا تخطئه مرة من المرات، وهٰذَا علىٰ فرض أن حلقات الخلية خمسون فقط، وليست بضع مئات. / الله: العقاد ص٢٠٦-٢٠٧.

وقال العالم جون كليفلاند كوثران: وقد أثبت اكتشاف تَرْكِيْب الذرة، أنَّ التفاعلات الكيمياوية التي نشَاهدها، والخواص التي نلاحظها ترجع إلىٰ وجود قوانين خاصة، وليست محض مصادفة عمياء....

ومع ما يبدو من التعقيد في تَرْكِيْب كل ذرة من ذرات العنَاصِر العديدة، فإنها تتكون جَميعاً من نفس الأنواع الثلاثة من الجزيئات الكهربية، وهي البروتونات الموجبة والإلكترونات السالبة والنيترونات، والتي يعتبر كل منها ناشئاً عن اتحاد بروتون وَاحِد مع إلكترون وَاحِد.

٤- يقول العُلَمَاء بأن الإلكترون في الذرة يدور حول البروتون بسرعة ١ من ١٠٠ من سرعة الضَّوْء، ولٰكِن لا يمكن بالضبط مَعْرِفَة أين توجد الإلكترونات في لحظة معينة؟

ووزن أجزاء الذرة كما يأتي:

وزن البروتون: هو جزء من مليون مليار مليار من الغرام تَقْرِيْباً.

ووزن النيترون: يقترب بالوزن من البروتون.

أما وزن الإلكترون: فإن البروتون يساوي ١٨٣٧ مرة وزن الإلكترون.

وأبعاد أجزاء الذرة كما يأتي:

الذرة تشبه شكلاً كروياً يساوي قطرها جزءاً من مئة مليون من السنتمتر. وقطر النواة أصغر من الذرة بعشرة آلاف مرة.

فهناك فراغ هائل بين البروتونات والإلكترونات، يدعو إلىٰ الدهشة والحيرة، ولو أنَّ عشرة ملايين ذرة اجتمع بعضها بجانب بعض، فإنها تبلغ طولاً قدره مليمتر وَاحِد.

والغرام الوَاحِد من الهيدروجين فيه ٦٠٠ ألف مليار مليار ذرة[1].

٥- يقول الدكتور واين أولت: هل تم اختراع جهاز الراديو نتيجة للمصادفة، أم

وجميع البروتونات والنيترونات التي بالذرة تقع في نواة مركزية، أما الإلكترونات فإنها تدور حول محاورها، في مدارات مُخْتَلِفَة حول النواة، وعلىٰ أبعاد شاسعة منها، مكونة ما يشبه مجموعة شمسية مصغرة. وعلىٰ ذٰلِكَ فإن معظم حجم الذرة، يعتبر فراغاً، كما هي الحال في المجموعة الشمسية.

والفرق بين ذرة عنصر معين وعنصر آخر، يرجع إلىٰ الفرق في عدد البروتونات والنيترونات التي بالنواة، وإلىٰ عدد وطريقة تنظيم الإلكترونات التي في خارج النواة. / الله يتجلىٰ في عَصْر العلم ص٢٣-٢٤.

(١) الطب محراب للإيمان ص٢٥ وما بعدها، وفيه الكلام عن الذرة وبنائها ووزنها وأبعادها وأسرارها المدهشة.

عن طريق التصميم والاختراع؟

ثم هل تم تكوين جهاز الرادار الموجود بجسم الوطواط، والذي لا يحتاج من الحيوان إلىٰ انتباه، ولا يتطلب منه إصْلَاحاً، والذي يستطيع أن يورِّثه لذريته عبر الأجيال؟

نَقُوْل: هل تم كل ذٰلِكَ عن طريق المصادفة، أم عن طريق التصميم والإبداع؟ إنَّ الخبرة العِلْمِيَّة للإنسان تقوم علىٰ التصميم وعلىٰ إدراك الأسباب، وعلىٰ ذٰلِكَ فإن المشتغل بالعُلُوْم هو أول من يجب عليه التَّسْليم منطقياً بوجود عقل مُبْدِع، لا حدود لعلمه أو قدرته، موجود في كل مكان، يحيط مخلوقاته برعايته[١]. ولذٰلِكَ:

قال الرِّيَاضي الكَبِيْر جوزيف برترند: إنَّ المصادفة ليس لها وجدان ولا ذَاكِرَة[٢].

وقال بول كلارنس ابرسولد: إنَّ هٰذَا النِّظَام الرائع المَعْقُوْل الذي يسود هٰذَا الكون، يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان، وإنَّ معجزة وَاحِدَة في حد ذاتها لها بِدَايَة، كما أنَّ وراءها توجيهاً وتدبيراً خارج دائرة الإنسان[٣].

وقال أحد كبار عُلَمَاء الطبيعة: إنَّ العلم لا يملك أي تَفْسِيْر للحَقَائِق، والقول بأنه حدثت (اتفاقاً) إنما يعتبر تحدياً وتصادماً مع الرِّيَاضيات[٤].

وقال شادفاش: إنَّ من الممكن أن نسأل أيّ رجل مُؤْمِناً بالله كان أو مُنْكِراً له، نسأله أن يُثبت، كيف يمكن أن يكون هٰذَا التوازن في صالحه، إذا كان الكون قد وجد بمحض الصدفة؟[٥].

وقد عُدَّ أفلاطون من أوائل الفَلَاسِفَة القائلين بوجود الله تعالىٰ، وبأنه الخَالِق

(١) الله يتجلىٰ في عَصْر العلم ص١٣٢.

(٢) الطب محراب للإيمان ص١٤.

(٣) الله يتجلىٰ في عَصْر العلم ص٣٨.

(٤) الإسلام يتحدىٰ ص٦٠.

(٥) الإسلام يتحدىٰ ص٥٦.

للعالَم، والمدبر لأمره. وبرهن علىٰ ذٰلِكَ بعدة بَرَاهِيْن أهمها: **بُرْهَان النِّظَام**، حيث قال: إنَّ العالَم آية في الجمال والنِّظَام. ولا يمكن أَبداً أن يكون هٰذَا نتيجة علل اتفاقية (مصادفة)، بل هو صنع عاقل كَامِل، توخىٰ الخَيْر، ورتب كل شيء عن قصد وحكمة[١].

وقد تناقلت وكالات الأنباء ومنها وكالة تاس السوفيتية سنة ١٩٥٩م ما يأتي: أعلن الكسندر أوبارين رئيس معهد الكيمياء الحيوية في روسيا، بعد أن ظل يبحث ٣٧ عاماً في أصل الحياة، وعما إذا كان من الممكن إيجاد الخلية الأُوْلَىٰ عن طريق تفاعل كيمياوي قائلاً: (إنَّ الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم، أو أن تتوالد من التفاعل الكيمياوي والتوالد الذاتي، وإن العلم لا يمكن أن يخوض فيها وراء حدود المادة)[٢].

وبعد هٰذَا كله نقول:

بعد أن انتفت المصادفة في خلق هٰذَا الكون، وفي تَرْتِيْب مخلوقاته، وبعد إقامة الدليل علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ هو خَالِق الكون ومدبر أمره، ثبت بالدليل العقلي والعِلْمِيّ الذي لا يقبل الرَّيْبَ، أنَّ الله تعالىٰ واجب الوجود وأنَّه مُوْجِد الكون ومبدأ المخلوقات.

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ – سورة الإخلاص.

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ – البقرة ٢٥٥.

---

(١) قصة الإيمان ص٤٠. ودراسات في الفِرَق ص١٩٥ نَقْلًا عن قصة الإيمان. وانظر: الأديان لـ د. رشدي عليان و د. سَعْدون الساموك ص٧٧.

(٢) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٣١.

لا محل للإلحاد في الذهن المتفتح

قال الدكتور جون كليفلاند كوثران: قال لورد كيلفي: وهو من عُلَمَاء الطبيعة البَارِزِيْن في العالَمِ - هٰذِهِ العبارة القَيِّمة: (إذا فكَّرتَ تفكيراً عميقاً، فإنَّ العُلُوْم سوف تضطرك إلىٰ الاعْتِقَاد في وجود الله)، ولا بد أن أُعلن موافقتي كل الموافقة علىٰ هٰذِهِ العبارة[1].

ويقول الفيلسوف الإنجليزي بيكون: (إنَّ قليلاً من الفلسفة يقرِّبُ الإنسان من الإلحاد، أما التعمق في الفلسفة فيردُّه إلىٰ الدِّيْن)[2].

وقال الدكتور وتز عميد كُلِّيَّة الطب بباريس وعضو أكاديمية العُلُوْم وكيميائي: (إذا أحسست في حين من الأَحْيَان أنَّ عقيدتي بالله قد تزعزعت، وجهتُ وجهي إلىٰ أكاديمية العُلُوْم لتثبيتها).

وقال باسكال: (صنفان فقط من الناس يجوز أن نسميهم عقلاء: الذين يعرفون الله، والذين يجدُّون في البَحْث عنه، لأنهم لا يعرفونه).

وقال انشتاين: (إنَّ الإيمان هو أقوىٰ وأنبل نتائج البحوث العِلْمِيَّة).

وقال أَيضاً: (إنَّ الإيمان بلا علم، لَيَمشي مشية الأعرج. وإنَّ العلم بلا إيمان، ليتلمس تلمس الأعمىٰ).

وقال ادمون هربرت، وهو جيولوجي ذائع الصيت، ومدرس بجَامِعَة السوربون: (العلم لا يمكن أن يؤدي إلىٰ الكفر، ولا إلىٰ المادية، ولا يفضي إلىٰ التشكيك)[3].

---

(١) الله يتجلىٰ في عَصْر العلم ص٢١ وقريب من هٰذَا ما قاله العالم الطبيعي (أوليفر وندل) ص٥٢.

(٢) الله يتجلىٰ في عَصْر العلم ص٣٥.

(٣) الطب محراب للإيمان ص٢٥٧ وروح الدِّيْن الإسلامِيّ ص٦١.

هٰذَا هو الصواب، لأن الحق لا ينطلي علىٰ العُلَمَاء المتنورين، الذين يدركون الأَدِلَّة التي ذكرناها آنِفاً، والتي تثبت وجود الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

أما الذين ينكرون وجود الله، بحُجَّة أنهم لم يدركوه، بحواسهم، فهٰؤُلَاءِ يتصورون بأن الحواس هي طريق المَعْرِفَة.

إن واقعهم يكذبهم فهم يؤمنون بالجاذبية والمغناطيسية والكهربائية، وبوجود الإلكترون والبروتون والنيترون، وبوجود العقل، ولم يروا شَيئاً منها، بل رأوا آثارها فقط.

فمن أنكر وجود الله تعالىٰ بحُجَّة أنه لم يره، وآمن بما ذكرت، فما هو إلَّا مخادع لنفسه، لأن العقل هو الذي أدرك هٰذِهِ الأُمور وغيرها وليست الحواس، لأنها خادعة أَحيَاناً، وما الحواس إلَّا آلات أعطت العقل أدوات الحكم ليصدر حكمه.

خداع الحواس

لا يمكن الاعتماد علىٰ الحواس، لأنها تخدع صاحبها في كثير من الأَحْيَان. وأمثلة ذٰلِكَ كثيرة منها:

خداع البصر:

١- العصا المُستقِيمة المغمورة في الماء تبدو للنَّاظِر مكسورة.

٢- لا ترىٰ العينُ الزجاجةَ الصَّافِيَةَ، مع أنها موجودة مَنْظُوْرَة.

٣- يرىٰ المريض أشباحاً لا يراها غيره.

خداع الأُذُن:

لا تسمع الأُذُن الأصوات الخافتة، كما لا تسمع الأصوات الشديدة، كصوت الأجرام السماوية، ومثلها تفجر القنابل الذَّرِّيَّة التي لا تسمع الأُذُن منها إلَّا الصيحة الأُوْلَىٰ، أما الانفجارات التي تليها، فلا تسمعها الأُذُن، مع أن آلات التسجيل تسجل

أرقاماً عاليةً جداً، وذٰلِكَ لأن أوتار كورتي في الأُذُن، تسمع ذبذبة معينة محدودة، لا تسمع ما دونها، ولا ما فوقها.

خداع اللمس:

لو وضعتَ في ثلاث أوانٍ ماء حاراً ودافئاً وبارداً، ونقلتَ يدك من الماء الحار إلىٰ الدافئ، تجده بارداً. وإذا نقلتها من الدافئ إلىٰ البارد، تحسه بارداً جداً. وهٰذَا من خداع اللمس.

خداع الذوق:

١- إذا تذوقتَ مادةً شديدة الحلاوة، ثم انتقلتَ بعدها إلىٰ مادةٍ أقل حلاوة من الأُوْلَىٰ، تجدها خالية من الحلاوة.

٢- لا تستطيع حاستا اللمس والذوق مَعْرِفَة الحوامض والمركبات الكيمياوية المحرِقة[1].

هٰذِهِ الأمثلة وغيرها تبين لنا أنَّ الحواس كَثيراً ما تخدع، فلا يَصِحّ الاعتماد عليها في كَشْف الحَقَائِق، لذٰلِكَ كان العقل هو الحَاكِم علىٰ الحواس. وهٰذِهِ أدوات لا غير.

فلا يقال عندئذٍ: بأن الله سُبْحَانَهُ لم يُدرَك بالحواس، فلا ينبغي الإيمان به. هٰذَا لا يقوله إلَّا جاهل.

سبب الإلحاد

الاعْتِقَاد بوجود الله تعالىٰ، هو الفطرة التي فطر الناس عليها، أما الإلحاد فهو طارئ علىٰ الفطرة. وقد حدد القُرْآن الكَرِيْم أسبابه، بما يأتي:

١- الكِبْر: قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ

(١) نداء الروح ص٢٣-٢٧.

لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ - الفُرْقَان ٢١-٢٢.

ففي الآية بَيَان: أن الكِبْر وحده هو الذي دفعهم إلىٰ أن يتصوروا أنَّ الحياة هي كل شيء، وليس وراءها إلَّا العَدَم.

٢- الانحراف: قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ ﴾ - غافر ٣٦-٣٧.

ففي الآية بَيَان: أن طريق فرعون طريق خاطئ، دفعه إليه انحرافه عن الطريق السوي، الذي يعرف به الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

٣- الظلم: قال تعالىٰ: ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ﴾ - النساء ١٥٣.

فكلمة ﴿ بِظُلْمِهِمْ ۚ ﴾ تبين أن الذي دفعهم إلىٰ أن يطلبوا مثل هٰذَا الطلب، هو الظلم، ظلم النفوس للحق، إذ تعرفه وتتنكّر له.

وهٰذَا الظلم (غير العَدْل) هو الذي دفع الكفار إلىٰ اتهام المُؤْمِنين بالله بأنهم: متوهمون وكاذبون وعاطفيون... وهٰذَا ما نراه اليوم من اتهاماتهم بأنهم: غير عِلْمِيّين، وغير صَادِقين، مشوشون، مخدوعون.

٤- الجهل: قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ - البقرة ١١٨.

ففي الآية بَيَان أن هٰذَا القول كلام جهال غير عالمين، وأنه ليس بجديد، بل هو منطق الكافرين دائماً، لتشابه قلوبهم، وقررت أن الطريق إلىٰ الله هي آياته وآثاره الدالة عليها[1].

---

(١) الله: سَعِيْد حوىٰ ص١١-١٣.

العلم داعية الإيمان

لم يَدْعُ العلم في يوم ما إلىٰ الكفر والإلحاد، لأنه يتبع المَنْهَج السَّلِيْم في الوُصُوْل إلىٰ حَقَائِق الوجود ومظَاهِر الكون.

ولم يقل في يوم: إنَّ هٰذَا النِّظَام الذي يجري عليه العالم قد نشأ صدفة، لأن الصدفة فوضىٰ. والعالِم الذي حلل في المختبر، أو عاش مع المنظار والمرصد، أو تعامل مع الأعداد... لا يعترف إلَّا بالنِّظَام، وربط الأسباب بالمسبَّبَات، والمُقَدِّمات بالنتائج، ويقطع متيقناً بأن قوانين الطبيعة كالجاذبية والكهرباء واللاسلكي... وغيرها من ملايين الصور، ما هي إلَّا آثار تدل علىٰ المؤثِّر وهو الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ... وقد أكد العُلَمَاء هٰذَا الجانب بشكل جليّ.

يقول د. ماريت شانلي كونجدن، أحد كبار عُلَمَاء الطبيعة في العالم: (إنَّ جميع ما في الكون يشهد بوجود الله، ويَدُلّ علىٰ قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العُلَمَاء بتحليل ظواهر هٰذَا الكون ودراستها حتىٰ باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته).

وعندما كان انشتاين جالساً في مكتبة الجَامِعَة، التي يدرس فيها، سأله صحفي: أمن العلم أن تؤمن بالله، وهٰذِهِ العَقِيْدَة فكرة غيبية، غير خاضعة لمختبر العلم؟

فأجابه: انظر إلىٰ هٰذِهِ المكتبة بكتبها الملايين، أليس لكل كتاب مؤلِّف؟ قال: نعم.

قال: فإن دخل طفل إلىٰ المكتبة، فهل يدرك ما في هٰذِهِ المكتبة من العُلُوْم والمَعَارِف؟ قال: لا.

قال: فهل يعرف مؤلفيها؟ قال: لا.

قال: فهل عدم إدراك الطفل للكتب ومؤلفيها، يقوم دليلاً عِلْمِيّاً علىٰ عدم وجودها؟ قال: لا.

قال: فكذٰلِكَ الكون بما فيه من صور ومشَاهد وقوانين. فإنّ عَدَمَ إدراكِ العُقُوْل السطحية الجاهلة التي لا تتأمل خَالِقه، لا يقوم دليلاً عِلْمِيّاً علىٰ نفي وجوده. ثم أخذ

يشرح له دقة النِّظَام الذي لاحظه في الوجود، مما لا يَدَعُ مجالاً للشك في وجود الله تعالىٰ.

وقد يذهب البعض إلىٰ القول بأن هٰذِهِ نماذج من أقوال، لم تكن إلَّا من أنفار، لا يلتفت إليهم، إزاء الأعداد الكَبِيْرَة من الملحدين.

لٰكِن الحق هو أنَّ السواد الأعظم من العُلَمَاء يذهبون هٰذَا المَذْهَب، وأنهم أكدوا أنَّ العلم هو طريق الإيمان، فقد نشر العالم الدكتور (دينرت) الألماني بحثاً، حلل فيه آراء أكابر العُلَمَاء في القرون الأربعة الأَخِيْرَة، ودرس عقيدتهم فتبين له من دراسة ٢٩٠ عالماً أَنَّ:

٢٤٢ عالماً أعلنوا في كتبهم ودراساتهم الإيمان بالله.

و٢٨ عالماً لم يصلوا إلىٰ عَقِيْدَة ما.

و٢٠ عالماً كانوا ملاحدة لم يبالوا بالناحية الدِّيْنِيَّة.

فهٰذَا يعني أنَّ ٩٢٪ منهم مُؤْمِنون بالله تعالىٰ.

وإذا راجعتَ كتاب (الله بحث في نشأة العَقِيْدَة الإلٰهِيَّة) للعَقَّاد، و(عَقَائِد المفكرين في القرن العشرين) للعَقَّاد أَيضاً، و(العلم يدعو للإيمان) لكريسي موريسون، و(الله يتجلىٰ في عَصْر العلم) لمجموعة من العُلَمَاء، و(قصة الإيمان) للشيخ نديم الجسر، وجدتَ أسماء كثيرة جداً من العُلَمَاء الأَعْلَام، يؤكدون عَقِيْدَة الإيمان بالله تعالىٰ.

ثم إنَّ كَثيراً ممن اتُّهِمَ بالإلحاد لم يكن ملحداً حقاً بنظر العلم، وإنما هو ملحد بنظر الكنيسة التي كانت تحكم علىٰ من يخالفها بالإلحاد، فتولستوي مثلاً كان ملحداً في نظر الكنيسة، ولٰكِنه مُؤْمِن عميق الإيمان بالله تعالىٰ. كما هو واضح في كتابه (اعترافات تولستوي).

والعُلَمَاء الذين كفروا بالله تعالىٰ، لم يكن كفرهم نتيجة بحث عِلْمِيّ دقيق، وإنما كان لأُمور منها:

١- موقف الكنيسة التعسفي من العُلَمَاء وعدم تشجيعها الفكر الحر، إذ حكمت علىٰ المخالفين منهم بالكفر والزندقة، ونفذت بكل همجية حكم الإحراق والتمثيل والقتل بالعشرات منهم، وأحرقت كتبهم، وهددت بالقتل كل من وجدت بحوزته.

وفي كتاب (قصة النزاع بين الدِّيْن والفلسفة) للدكتور توفيق الطَّوِيْل قوائم بأسماء العُلَمَاء الذين أُعدموا بهمجية تفوق الخيال، حتىٰ استقر في ذهن بعض العُلَمَاء أَنَّ الدعوة إلىٰ الإلحاد أمر ضروري، لإنقاذ العُلَمَاء من تلك الوحشية.

والحقّ أَنَّ إلحادَ هٰؤُلَاءِ لم يكن مبدأ، وإنما كان موقفاً اتخذوه أمام الكنيسة، حتىٰ إذا زال ذٰلِكَ الكابوس تراجعوا إلىٰ القول بالإيمان، بدليل أَنَّ عدد المُؤْمِنين بالله من العُلَمَاء الآن يتزايد يوماً بعد آخر.

٢- موقف الكنيسة الظالم من الكادحين والأرقاء والمظلومين، وكونها بجانب الملوك المستبدين من الإقطاعيين، وكون البابوات هم أصحاب السلطة الحقيقية وأصحاب المال وأصحاب صكوك الغُفْران... .

هٰذَا الموقف دفع الكثير من المفكرين إلىٰ الدعوة إلىٰ نبذ الكنيسة، وإلىٰ الإلحاد لإنقاذ المغلوب علىٰ أمرهم، مما يعانون به من شقاء وعَنَتٍ.

٣- تغلغل اليَهُوْدِيَّة العالمية عن طريق الماسونية، التي كانت تتبنىٰ الإلحاد لهدم مقاومة المجتمع المَسِيْحِيّ والسَّيْطَرَة عليه، وهٰذَا الاتجاه الماسوني الملحد ظهر واضحاً في جَمَاعَة (الانسكلوبيديا) وأتباعهم وتلامذتهم، وقد قامت الثورة الفرنسية علىٰ أكتاف هٰؤُلَاءِ.

٤- الإلحاد في كل زمان ومكان طريق للإباحية والتملُّص من المثل العالية، لذٰلِكَ كان ملاذ أصحاب الشهوات والمنحرفين عن الخلق الرفيع.

ومُجْمَل القول:

فالإلحاد لم يكن موقفاً أَصِيْلاً للعلم وإنما أحدثته ظروف خاصة، أما المَنْهَج العِلْمِيّ فهو منطلق الإيمان بالله عَزَّ وجَلَّ ومعرفته وتقدِيره حق قدره[1].

---

(١) العلم ليس كافراً ص٨ وما بعدها. وانظر: إحصائية دينرت في كتاب روح الدِّيْن الإسلامِيّ ص٦٠، والطب محراب للإيمان ص٢٥٦.

المَبْحَث الثاني

الأسماء الحُسْنَى

وردت لفظة الأسماء الحُسْنَىٰ في القُرْآن الكَرِيْم بأربعة مواضع هي:

١- قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ - الأعراف ١٨٠.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ - الإسراء ١١٠.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ - طه ٨.

٤- قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ - الحشر ٢٤.

سبب نُزُوْل الآية:

هو أن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرَّحْمٰن، فقال أبو جَهْل: أليس يزعم مُحَمَّد وأصحابه أنهم يعبدون رباً وَاحِداً، فما بال هٰذَا يدعو ربين اثنين؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ - الأعراف ١٨٠ الرَّحْمٰن الرَّحِيْم الملِك القُدُّوْس ونحوه، فدعا النَّبِيُّ ﷺ الرجلَ، فقال: ادعُ اللهَ، أو ادعُ الرَّحْمٰنَ، رغماً لأنف المُشْرِكِيْن[١].

واختلف المُفَسِّرُوْن في معنىٰ الدعاء الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟

(١) بَحْر العُلُوْم للسَّمَرْقَنْدِيّ ج١ ص٥٨٤. وانظر: تَفْسِيْر الكَشَّاف ج٢ ص٤٧٠ عن ابن عَبَّاس، وتَفْسِيْر ابن عَطِيَّة ج٦ ص١٥٣. وكلهم ذكروا هٰذَا السبب في نُزُوْل آية الأعراف ١٨٠: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾.

ٱلرَّحۡمَٰنَۖ ﴾ - الأسراء ١١٠ علىٰ أقوال:

القول الأول: الدعاء بمعنىٰ التسمية (أي: سمّوا) لا بمعنىٰ النداء، فالفعل (ادعُ) يتعدىٰ إلىٰ مفعولين، تقول: دعوته زيداً، ثم ترك أحدهما استغناء عنه، فيقال: دعوت زيداً، و(أو) للتخيير، فيكون المعنىٰ: أيّ هٰذَيْنِ الاسمين سَمَّيْتُم وذكرتم ﴿ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾، لأنه إذا حَسُنت أسماؤه كلها حَسُن هٰذَان الاسمان لأنهما منها.

وهٰذَا هو قول الزَّمَخْشَرِيّ[1].

فالدعاء بمعنىٰ (سمّوا)، وهو يتعدىٰ إلىٰ مفعولين، والتقدِير: سَمُّوا ربَّكم اللهَ، أو سمُّوه الرَّحْمٰنَ، وحذف المفعول الأول وأبقىٰ الثاني، لدلالة المقام[2].

القول الثاني: الدعاء بمعنىٰ النداء:

لأن الظَّاهِر من أسباب النُّزُوْل أن الدعاء هنا قوله يا رَحْمٰن يا رَحِيْم، أو يا الله يا رَحْمٰن. والمعنىٰ: إن دعوتم الله فهو اسمه، وإن دعوتم الرَّحْمٰن فهو صفته.

وبه قال: ابن حَيَّان[3].

القول الثالث: إن كانت الآية رداً علىٰ المُشْرِكِيْن فالدعاء بمعنىٰ التسمية، وإن كانت رداً علىٰ اليَهُوْد فهو بمعنىٰ النداء[4].

والأسماء: جمع اسم، واختلفوا في المُرَاد بها في الآية علىٰ ما يأتي:

---

(١) تَفْسِيْر الكَشَّاف ج٢ ص٤٧٠ ونقله الـرَّازِيّ في تَفْسِيْره ج٢١ ص٧١ وابن حَيَّان في البَحْر المُحِيْط ج٦ ص٨٦. وانظر: روح المعاني ج٩ ص١٢١ ونقله عن الزَّمَخْشَرِيّ في ج١٥ ص١٩٢.

(٢) التَّحْرِيْر والتَّنْوِيْر ج١٥ ص٢٣٧.

(٣) البَحْر المُحِيْط لابن حَيَّان ج٦ ص٨٦. وانظر: روح المعاني ج٩ ص١٢١ ونقله عن ابن حَيَّان وغيره في ج١٥ ص١٩٢ والتَّحْرِيْر والتَّنْوِيْر ج١٥ ص٢٣٧.

(٤) روح المعاني ج١٥ ص١٩٢ وعبر عنه بـ(قيل).

القول الأول: هي الألفاظ المَصُوْغة الدالة علىٰ المعاني المُخْتَلِفَة.

وهو قول الإمَام الغَزَالِيّ[(١)]، وبه قال الرَّازِيّ[(٢)] وابن عَطِيَّة[(٣)] ومُحَمَّد أَطَّفَيِّش[(٤)] وجُمْهُوْر العُلَمَاء[(٥)].

وذٰلِكَ: لأن (الحُسْنَىٰ) تدل علىٰ أن أسماء الله تعالىٰ هي أَحْسَن الأسماء وأجلُّها، لإنبائها عن أَحْسَن المعاني وأَشْرَفها[(٦)].

القول الثاني: الأسماء هي الصفات، كالأُلوهية والرحمة والعلم والخَلْق، ونحو ذٰلِكَ من صفات الذات وصفات الفعل.

ويكون ذٰلِكَ من قولهم: طار اسمه في البلاد، أي: صِيْته ونَعْته، أو شاع ذكْره بالمَحَاسِن كالجود والشَّجَاعَة[(٧)].

الحُسْنَىٰ

اختلفوا في تَفْسِيْرها علىٰ أقوال منها:

القول الأول: الحُسْنَىٰ: تأنيث الأَحْسَن، وصفت بها الأسماء لأن حكمها حكم المؤنث كقولك: الجَمَاعَة الحُسْنَىٰ[(٨)].

---

(١) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٣٠ وروح المعاني ج٩ ص١٢٠ نَقْلًا عن الغَزَالِيّ.

(٢) تَفْسِيْر الرَّازِيّ ج١٥ ص٧٠.

(٣) تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة ج٦ ص١٥٣ ونقل الإجماع عليه.

(٤) تَيْسِيْر التَّفْسِيْر لأَطَّفَيِّش ج٤ ص٢٦٣ وصَحَّحَهُ.

(٥) روح المعاني ج٩ ص١٢١.

(٦) روح المعاني ج٩ ص١٢٠-١٢١.

(٧) روح المعاني ج٩ ص١٢١ وتَيْسِيْر التَّفْسِيْر لأَطَّفَيِّش ج٤ ص٢٦٤.

(٨) تَفْسِيْر الكَشَّاف ج٢ ص٥٣٠. وانظر: تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة ج٦ ص١٥٤ وتَفْسِيْر النَّسَفِيّ ج٢ ص٣٥٧ والبَحْر المُحِيْط لابن حَيَّان ج٦ ص٢١٥ وروح المعاني ج٩ ص١٢٠ و ج١٦ ص١٦٤ والتَّحْرِيْر والتَّنْوِيْر ج٩ ص١٨٦.

القول الثاني: الحُسْنَىٰ: جمع الأَحْسَن[١].

القول الثالث: الأسماء الحُسْنَىٰ: الصفات العلىٰ[٢]. وهي الوصف بالعَدْل والخَيْر والإحسان وانتفاء شبه الخلق[٣].

وحُسْن الأسماء كان بأمرين معاً:

أولهما: تَحْسِيْن الشَّرْع لإطلاقها والنص عليها[٤].

والثاني: دلالتها علىٰ معاني التَّمْجِيْد والتَّقْدِيْس والتَّعْظِيْم والربوبية والأفعال التي هي النِّهَايَة في الحُسْن، والتي لا يمكن صدورها إلَّا منه عَزَّ وجَلَّ[٥].

أقسام أسماء الله تعالى

لأسماء الله تعالىٰ تقسيمات من وجوه مُخْتَلِفَة منها:

التقسيم الأول: من حيث إطلاقها علىٰ غير الله تعالىٰ، تنقسم إلىٰ قسمين:

أولهما: ما يجوز إطلاقها علىٰ غير الله تعالىٰ، ومنه: قولنا: الكَرِيْم، الرَّحِيْم، العَزِيْز، اللَّطِيْف، الكَبِيْر، الخَالِق.

فهٰذِهِ الألفاظ يجوز إطلاقها علىٰ العِبَاد، وإن كان معناها في حق الله تعالىٰ مغايراً

---

(١) تَفْسِيْر المَنَار ج٩ ص٤٣١.

(٢) بَحْر العُلُوْم للسَّمَرْقَنْدِيّ ج١ ص٥٨٤ و ج٢ ص٢٨٧و٣٣٧ و ج٣ ص٣٤٨ وتَفْسِيْر النَّسَفِيّ ج٣ ص٤٦٤ والنُّوْر للأصم ص٣٨٩.

(٣) تَفْسِيْر الكَشَّاف ج٢ ص١٣٢ وشَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٤٥.

(٤) تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة ج٦ ص١٥٤.

(٥) تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة السَّابِق، وتَفْسِيْر الكَشَّاف ج٢ ص١٣٢و٤٧٠و٥٣٠ وتَفْسِيْر الرَّازِيّ ج٢١ ص٧١ وتَفْسِيْر النَّسَفِيّ ج٢ ص٢٨٣ والبَحْر المُحِيْط لابن حَيَّان ج٦ ص٢١٥. وانظر: روح المعاني ج١٥ ص١٩٣ وتَيْسِيْر التَّفْسِيْر لأَطَّفَيِّش ج٧ ص٢٧٩ وتَفْسِيْر المَنَار ج٩ ص٤٣٢ والأسماء الحُسْنَىٰ لمُحَمَّد حَسَنَيْن مخلوف ص١٨.

لمعناها في حق العِبَاد.

لٰكِن قد تقيّد بقيود مخصوصة بحيث لا يمكن إطلاقها إلَّا في حق الله تعالىٰ، مثل قولنا: يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، ويا خَالِق السماوات والأرضين.

والثاني: لا يجوز إطلاقها علىٰ غير الله تعالىٰ، كقولنا: الله، الرَّحْمٰن[١].

التقسيم الثاني: من حيث ذِكْرُه وَحدَه، تنقسم إلىٰ قسمين:

أولهما: منها ما يباح ذكْره وَحدَه، كقولنا: يا الله، يا رَحْمٰن، يا حي، يا حَكِيْم، وأكثر الأسماء الحُسْنَىٰ.

الثاني: ما لا يكون كذٰلِكَ، كقولنا: مُمِيْت وضَارّ. فلا يجوز إفراده بالذكْر، بل يجب أن يقال: يا مُحْيِي يا مُمِيْت، يا ضَارّ يا نَافِع[٢]. تأدباً في حقه تعالىٰ، وتفادياً من إيهام ما لا يليق بجَلَاله تعالىٰ[٣].

فإذا قيل:

ما هي الحكمة في أنه نهىٰ عِبَاده عن مدح أنفسهم بقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ - النَّجْم ٣٢، مع أنه مدح نفسه بهٰذِهِ الأسماء الحُسْنَىٰ؟

أُجيب:

بأن العبد وإن كان فيه خصال الخَيْر فهو ناقص، وإن كان ناقصاً فلا يجوز له أن يمدح نفسه، والله سُبْحَانَهُ تام الملك والقدرة فيستوجب به المدح، فمدح نفسه ليعلم عِبَاده فيمدحوه[٤].

---

(١) تَفْسِيْر الرَّازِيّ ج١٥ ص٧١. وانظر: روح المعاني ج٩ ص١٢٣ وتَيْسِيْر التَّفْسِيْر لأَطَّفَيِّش ج٤ ص٢٦٣.

(٢) تَفْسِيْر الرَّازِيّ، وروح المعاني، السَّابِقَان.

(٣) الأسماء الحُسْنَىٰ لمُحَمَّد حَسَنَيْن مخلوف ص١٩.

(٤) بَحْر العُلُوْم للسَّمَرْقَنْدِيّ ج٣ ص٣٤٩.

عدد أسماء الله تعالى

في الحَدِيْث الصَّحِيْح: قال رَسُوْل الله ﷺ: (إن لله تسعةً وتسعين اسماً، مئةً إلَّا وَاحِداً، من أحصاها دخل الجنة)[1].

وهٰـذَا العدد التسعة والتسعون اسماً هو المُـرَاد من الأسماء الحُسْنَىٰ الـوَارِدَة بالآية[2].

ورَوَىٰ التِّرْمِذِيّ حَدِيْث أبي هُرَيْرَة الذي فيه عدد تلك الأسماء وهو:

(٣٥٠٦- حَدَّثَنَا يُوْسُف بن حَمَّاد البَصْرِيّ. حَدَّثَنَا عبدُ الأعلىٰ عن سَعِيْد عن قَتَادَة عن أبي رَافِع عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيّ ﷺ قال: إن لله تسعةً وتسعين اسماً: مائةً غيرَ وَاحِد من أحصاها دخل الجنة.

قال يُوْسُف: وحَدَّثَنَا عبد الأَعلَىٰ عن هِشَام بن حَسَّان عن مُحَمَّد بن سِيْرِيْن عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيّ ﷺ بمثله. قال أبو عِيسَىٰ: هٰذَا حَدِيْث حَسَن صَحِيْح، وقد رُوِيَ من غيرِ وجهٍ عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيّ ﷺ.

---

(١) حَدِيْث: **إن لله تسعة وتسعين اسمًا**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٥٤ كتاب الشروط، ١٨ باب ما يجوز من الاشتراط والثُّنْيا في الإقرار، رقم ٢٧٣٦، بهٰذَا اللفظ. وفي: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٦٨ باب لله مائة اسم...، رقم ٦٤١٠. وفي: ٩٧ كتاب التَّوْحِيْد، ١٢ باب إن لله مائة اسم إلَّا وَاحِداً، رقم ٧٣٩٢. وكل هٰذِهِ الروايات عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٨ كتاب الذكْر والدعاء، ٢ باب في أسماء الله تعالىٰ...، رقم ٢٦٧٧، عن أبي هُرَيْرَة. وفيه: وزاد هَمَّام عن أبي هُرَيْرَة عن النَّبِيّ ﷺ: (إنَّه وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْر).

وسُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٤٤ كتاب الدَّعَوَات، ٨٢ باب، رقم ٣٥٠٦، ص٥٥٢ عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما سيأتي، ولفظه (... مئةً غيرَ وَاحِد...). وأفاض ابن حَجَر في تَخْرِيْجه في فَتْح البَارِي ج١١ ص٢١٨ وما بعدها.

(٢) تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة ج١٠ ص٦ و ج١٤ ص٣٩٤.

٣٥٠٧- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيْم بن يَعْقُوْب الجُوْزْجَانِيّ، حَدَّثَنِي صَفْوَان بن صَالِح، حَدَّثَنَا الوَلِيْدُ بن مُسْلِم، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بن أبي حَمْزَة، عن أبي الزِّنَاد عن الأَعْرَج عن أبي هُرَيْرَة قال: قال رَسُوْل الله ﷺ: إنَّ للهِ تعالىٰ تِسعةً وتِسعين اسماً مئةً غيرَ وَاحِد، من أحصاها دَخلَ الجنةَ، هو الله الذي لا إلٰه إلَّا هو، الرَّحْمٰنُ، الرَّحِيْم، المَلِكُ، القُدُّوْس، السَّلَام، المُؤْمِن، المُهَيْمِنُ، العَزِيْزُ، الجَبَّار، المُتَكَبِّر، الخَالِق، البَارِئ، المُصَوِّر، الغَفَّار، القَهَّار، الوَهَّاب، الرَّزَّاق، الفَتَّاح، العَلِيْم، القَابِض، البَاسِط، الخَافِض، الرَّافِع، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيْع، البَصِيْر، الحَكَم، العَدْل، اللَّطِيْف، الخَبِيْر، الحَلِيْم، العَظِيْم، الغَفُوْر، الشَّكُوْرُ، العَلِيُّ، الكَبِيْر، الحَفِيْظ، المُقِيْت، الحَسِيْبُ، الجَلِيْل، الكَرِيْم، الرَّقِيْب، المُجِيْب، الوَاسِع، الحَكِيْم، الوَدُوْد، المَجِيْد، البَاعِث، الشَّهِيْد، الحَقُّ، الوَكِيْل، القَوِيّ، المَتِيْن، الوَلِيّ، الحَمِيد، المُحْصِي، المُبْدِئ، المُعِيْد، المُحْيِي، المُمِيْت، الحَيُّ، القَيُّوْم، الوَاجِد، المَاجِد، الوَاحِد، الصَّمَد، القَادِر، المُقْتَدِر، المُقَدِّم، المُؤَخِّر، الأَوَّل، الآخِر، الظَّاهِر، البَاطِن، الوَالِي، المُتَعَالِي، البَرّ، التَّوَّاب، المُنْتَقِم، العَفُوُّ، الرَّؤُوْف، مَالِك المُلْك، ذو الجَلَال والإِكْرَام، المُقْسِط، الجَامِع، الغَنِيّ، المُغْنِي، المَانِع، الضَّارّ، النَّافِع، النُّوْر، الهَادِي، البَدِيْع، البَاقِي، الوَارِث، الرَّشِيْد، الصَّبُوْر.

قال أبو عِيسَىٰ: هٰذَا حَدِيْث غَرِيْب، حَدَّثَنَا به غير وَاحِد عن صَفْوَان بن صالح، ولا نعرفه إلَّا من حَدِيْث صَفْوَان بن صالح، وهو ثِقَة عند أهل الحَدِيْث.

وقد رُوِيَ هٰذَا الحَدِيْث من غير وجه عن أبي هُرَيْرَة عن النَّبِيّ ﷺ ولا نعلم في كَبِير شيء من الروايات له إسناد صَحِيْح ذِكْرَ الأسماء إلَّا في هٰذَا الحَدِيْث)[1].

وهناك أسماء وردت في القُرْآن الكَرِيْم بصيغة الاسم لم تذكر في رِوَايَة التِّرمِذِيّ وهي سبعة وعشرون اسماً:

---

(١) سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٤٤ كتاب الدَّعَوَات، ٨٢ باب، رقم الحَدِيْث ٣٥٠٦-٣٥٠٧، ٣١٩، ص٥٥٢.

الرب، الإلٰه، المُحِيْط، القَدِيْر، الكافي، الشاكر، الشديد، القائم، الحَاكِم، الفاطِر، الغافِر، القاهر، المَوْلَىٰ، النَّصِيْر، الغالب، الخَالِق، الرفيع، المليك، الكفيل، الخلَّاق، الأكرم، الأعلىٰ، المُبِين، الحَفِيّ، القريب، الأحد، الحافظ.

وقد ورد بعضها بالإضافة مثل: الشديد من قوله تعالىٰ: ﴿ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ - البقرة ١٩٦، والرفيع من قوله تعالىٰ: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ - غافر ١٥، والعالِم من قوله تعالىٰ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ - الحشر ٢٢.

وذٰلِكَ مثل بعض الأسماء الوَارِدَة في رِوَايَة التِّرْمِذِيّ مثل: المُحْيِي من قوله تعالىٰ: ﴿ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾ - الرُّوْم ٥٠، والمَالِك من قوله تعالىٰ: ﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ - آل عِمْرَان ٢٦، والنُّوْر من قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ - النُّوْر ٣٥.

والأسماء التي تقابل هٰذِهِ مما وقع في رِوَايَة التِّرْمِذِيّ مما لم تقع في القُرْآن بصيغة الاسم وهي سبعة وعشرون اسماً:

القَابِض، البَاسِط، الخَافِض، الرَّافِع، المُعِزّ، المُذِلّ، العَدْل، الجَلِيْل، البَاعِث، المُحْصِي، المُبْدِئ، المُعِيْد، المُمِيْت، الوَاجِد، المَاجِد، المُقَدِّم، المُؤَخِّر، الوَالِي، ذو الجَلَال والإكْرَام، المُقْسِط، المُغْنِي، المَانِع، الضَّارّ، النَّافِع، البَاقِي، الرَّشِيْد، الصَّبُوْر.

قال ابن حَجَر: فإذا اقتصر من رِوَايَة التِّرْمِذِيّ علىٰ ما عدا هٰذِهِ الأسماء، وأُبدلت بالسبعة والعشرين التي ذكرتها خرج من ذٰلِكَ تسعة وتسعون اسماً وكلها في القُرْآن وَارِدَة بصيغة الاسم، ومواضعها كلها ظَاهِرَة من القُرْآن، إلَّا قوله (الحَفِيّ) فإنه في سورة مريم في قول إبْرَاهِيْم: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ - مريم ٤٧.

قال: وقلَّ من نَبَّهَ إلىٰ ذٰلِكَ[1].

---

(١) فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٢.

واختلف العُلَمَاء في العدد الوارد بالحَدِيْث، هل المُرَاد به حصر الأسماء الحُسْنَىٰ في هٰذَا العدد أو أنها أكثر من ذٰلِكَ؟ علىٰ قولين:

القول الأول: الأسماء الحُسْنَىٰ محصورة بهٰذَا العدد. وهو قول ابن حَزْم، بدليل:

ظَاهِر الحَدِيْث، فقد صَحَّ أَنَّها تسعة وتسعون اسماً فقط، ولا يَحِلُّ لأَحَدٍ أن يُجيز أَنْ يكونَ له اسمٌ زائدٌ، لأنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: (مائة غير وَاحِد)، فلو جاز أن يكون له تعالىٰ اسمٌ زائدٌ لكانت مائة اسمٍ، ولو كان هٰذَا لكان قوله ﷺ: (مائة غير وَاحِد) كذباً، ومن أجاز هٰذَا فهو كافرٌ[1].

القول الثاني: الأسماء أكثر من هٰذَا العدد المذكور، وهو قول الجُمْهُوْر، ونص عليه الخَطَّابِيّ والبَاقِلَّانِيّ وابن العَرَبِيّ، ونقل النَّوَوِيّ اتفاق العُلَمَاء عليه، وذكر أنه ليس في الحَدِيْث حصر أسماء الله تعالىٰ، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هٰذِهِ التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحَدِيْث هو أن من أحصىٰ هٰذِهِ الأسماء دخل الجنة، فالمُرَاد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء. بدليل:

أ- حَدِيْث ابن مَسْعُوْد: (أسألك بكل اسم هو لك سميتَ به نفسك، أو أنزلتَهُ في كتابك، أو عَلَّمْتَهُ أَحَداً من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك).

ب- أكثر الأسماء صفات، وصفات الله لا تتناهىٰ[2].

---

(١) علم الكلام لابن حَزْم ص٦٧ وفَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٤ والأَسْنَىٰ للقُرْطُبِيّ ص٣٦.

(٢) فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٣-٢٢٤. وانظر كلام النَّوَوِيّ في شرحه علىٰ صَحِيْح مُسْلِم ج١٧ ص٨، ومثله في تُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٢ ص٢٦٠ والمَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص١٤٧-١٤٨. وإلىٰ هٰذَا القول ذهب أَطَّفَيِّش في تَيْسِير التَّفْسِيْر ج٤ ص٢٦٤. ورَجَّحَ هٰذَا القول الآلُوْسِيُّ في روح المعاني ج٩ ص١٢٣-١٢٤. وانظر: الأَسْنَىٰ للقُرْطُبِيّ السَّابِق.

وحَدِيْث ابن مَسْعُوْد: أسألك بكل اسم...إلخ: أَخْرَجَهُ أَحْمَد وصَحَّحَهُ ابن حِبَّان. / فَتْح البَارِي السَّابِق.

وورد في معنىٰ قوله ﷺ: (أحصاها) أقوال منها:

١- عدَّها وحفظها، وتضمن ذٰلِكَ الإيمان بها والتَّعْظِيْم لها والرغبة فيها والعِبَرة في معانيها.

وهو ما ورد في إحدىٰ روايات حَدِيْث البُخَارِيّ[1]: (... لا يحفظها أحد إلاَّ دخل الجنة...) ورِوَايَة لمُسْلِم: (... من حفظها دخل الجنة...).

وصَحَّحَهُ النَّوَوِيّ[2]. وهو قول أكثر المحققين[3].

٢- عدَّها حتىٰ استوفاها، أي: أن لا يقتصر علىٰ بعضها لٰكِن يدعو الله بها كلها، ويثني عليه بجميعها.

٣- أطاقها، أي: من أطاق القيام بحق هٰذِهِ الأسماء والعَمَل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها.

فإذا قال العبد: (الرَّحْمٰن الرَّحِيْم) علم أنه لا يجد الرحمة إلَّا منه،

وإذا قال العبد: (الملك)، علم أن كل الممكنات ملكه، ويعامل ربه كما يعامل العبد الذليل الملك العَزِيْز.

وإذا قال العبد: (الرازق)، علم أنه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ هو المتكفل برزقه فيثق بوعده.

وإذا قال العبد: (المُنْتَقِم)، يستشعر الخوف من نقمته، وهٰكَذَا سائر الأسماء.

---

(١) تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة ج٦ ص١٥٦. ونقله ابن حَجَر في فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٩.

ورِوَايَة البُخَارِيّ في حَدِيْث رقم ٦٤١٠، **ورِوَايَة مُسْلِم** في حَدِيْث رقم ٢٦٧٧، وتقدمتا آنِفاً.

(٢) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ج١٧ ص٨.

(٣) تَيْسِيْر التَّفْسِيْر لأَطَّفَيّش ج٤ ص٢٦٤ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٢ ص٢٦٠.

٤ - أحاط بمعانيها[١].

فإذا وصف العبد ربه بأنه (الملك) استحضر في عقله أقسام ملك الله تعالىٰ وملكوته.

وإذا قال العبد: (القُدُّوْس) استحضر في عقله كونه مقدساً في ذاته وصفاته وأفعاله وأَحْكَامه وأسمائه عن كل ما لا ينبغي... وهٰكَذَا[٢].

٥ - عَمِلَ بها، فإذا قال: (الحَكِيْم) مثلاً سلَّم جميع أوامره، لأن جميعها علىٰ مُقْتَضَىٰ الحكمة.

قال الأَصِيْلِيّ: ليس المُرَاد بالإحصاء عدَّها فقط، لأنه قد يعدّها الفاجر، وإنما المُرَاد العَمَل بها[٣].

التوقيف في أسماء الله تعالى

اتفق العُلَمَاء علىٰ جواز إطلاق الأسماء والصفات علىٰ الباري عَزَّ وجَلَّ إذا ورد بها الإذن من الشارع.

وعلىٰ امتناعه إذا ورد المنع منه.

واختلفوا حيث لا إذن ولا منع في جواز إطلاق ما يتصف الله سُبْحَانَهُ بمعناه، ولم

---

(١) فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٨-٢٢٩، وشَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ السَّابِق. وانظر: شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٧٩-٨٠ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٢ ص٢٦٠ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص١٢٧.

(٢) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٧٩.

(٣) فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٩ وسرد أقوالًا أُخرىٰ. وانظر: أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١٢١ وشَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ السَّابق، وتَيْسِيْر التَّفْسِيْر لأَطَّفَيِّش ج٤ ص٢٦٤ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٢ ص٢٦٠ والأسماء الحُسْنَىٰ لمُحَمَّد حَسَنَيْن مخلوف ص٢١. وانظر معاني (أحصاها) أَيضاً في: الأَسْنَىٰ للقُرْطُبِيّ ص٣٢و١٠١.

يكن من الأسماء الأَعْلَام الموضوعة في سائر اللُّغَات، ولم يكن إطلاقه موهماً نقصاً بل كان مشعراً بالمدح[١].

أي اختلفوا في الأسماء الحُسْنَىٰ هل هي توقيفية؟ بمعنىٰ أنه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثَّابِتَة لله أسماء، إلَّا إذا ورد نص في الكتاب والسُّنَّة[٢]، علىٰ أقوال منها:

القول الأول: إنها توقيفية.

وهو ما ذهب إليه الإمَام أبو الحَسَن الأَشْعَرِيّ[٣]، وهو المَذْهَب عند الأَشَاعِرَة[٤]، وصَوَّبَه ابن عَطِيَّة[٥]، ونقل عن أبي القَاسِم القُشَيْرِيّ والزَّجَّاج[٦]، ورجَّحه ابن حَجَر[٧]، وبه قال أبو مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ[٨]، والمَاتُرِيْدِيَّة[٩]،

---

(١) روح المعاني ج٩ ص١٢١، ونقل فيه أيضاً ما يفيد هٰذَا عن أبكار الأفكار للآمِدِيّ.

(٢) فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٦.

قال السَّفَّارِيْنِيّ في لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص١٢٥: (التوقيفي: ما ورد به كتاب، أو سُنَّة صَحِيْحة أو حَسَنَة، أو إجماع، لأنه لا يخرج عنها، أما السُّنَّة الضعيفة والقياس فلا يثبت بها، لأن المَسْأَلَة من العِلْمِيّات). وأورد البَاجُوْرِيّ ذٰلِكَ، وفسر العِلْمِيّات بقوله: (أي: الاعْتِقَادِيَّات بحيث يعتقد أن ذٰلِكَ الاسم من أسمائه تعالىٰ). / شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيْد للبَاجُوْرِيّ ص١٥٤.

(٣) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص١٥٤ وتَفْسِيْر ابن عَطِيَّة ج٦ ص١٥٤ والتَّحْرِيْر والتَّنْوِيْر ج٩ ص١٨٨ عن ابن عَطِيَّة.

(٤) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٣٣ وفيه: (مَذْهَب أصحابنا). ونقله عنه ابن حَجَر في فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٦ بلفظ: (المشهور عن أصحابنا).

(٥) تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة السَّابِق.

(٦) فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٦.

(٧) فَتْح البَارِي السَّابِق.

(٨) التَّوْحِيْد للمَاتُرِيْدِيّ ص م٣٨ و ٣٨.

(٩) أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١٨٠ وفيه: (وأسماء الله عَزَّ وجَلَّ تؤخذ توقيفاً، ولا يجوز أخذها قياساً).

والجُمْهُوْر[١]، والفُقَهَاء[٢]، وبه قال الإبَاضِيَّة[٣].

قال صاحب الجَوْهَرَة:

واخْـتِـيْـر أَنَّ اسـمـاهُ تـوقـيفيهْ   كذا الصفاتُ، فاحفظِ السَّمعيهْ[٤]

وحُجَّة هٰذَا القول:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ - الأعراف ١٨٠، وهو يَدُلّ علىٰ أنه تعالىٰ حصلت له أسماء حَسَنَة، وأنه يجب علىٰ الإنسان أن يدعو الله بها[٥].

ب- يجوز أن يقال: يا جواد، ولا يجوز أن يقال: يا سَخِيّ، ويجوز أن يقال: يا عَالِم، ولا يجوز أن يقال: يا عاقل يا طبيب يا فقيه[٦] يا فاهم يا لَبِيْب يا عارف، مع أنها مُرَادفة لعالِم في اللُّغَة، وهٰذَا يفيد أن الاسْتِعْمَال توقيفي متوقف علىٰ الإذن به[٧].

ج- الشرط في جواز إطلاق الاسم علىٰ الله تعالىٰ - وهو أن يكون مدحاً خالصاً لا شبهة فيه ولا اشتراك - أمرٌ لا يحسنه إلَّا الأقل من أهل العُلُوْم، فإذا أُبيح ذٰلِكَ تسوَّر عليه من يظن بنفسه أنه يحسن وهو لا يحسن، فعندئذٍ يدخل في أسماء الله تعالىٰ ما لا يجوز بالإجماع[٨].

---

(١) تَفسِيْر ابن عَطِيَّة ج٦ ص١٥٤ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص١٢٥ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٤.

(٢) تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة السَّابِق، ونقله أَيضاً عن القَاضِي أبي مُحَمَّد في ج٩ ص٢٢٠.

(٣) تَيْسِيْر التَّفْسِيْر لأَطَّفَيِّش ج٤ ص٢٦٤ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج١ ص٣٤٠، ونقله الجَعْبِيْرِيّ في البُعْد الحَضَارِيّ ص٢٢٢ عن التلاتي والمُحَشّي.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٤.

(٥) تَفْسِيْر الرَّازِيّ ج١٥ ص٧٤.

(٦) تَفْسِيْر الرَّازِيّ السَّابِق.

(٧) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٣٣.

(٨) تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة ج٦ ص١٥٤.

القول الثاني: إذا دل العقل علىٰ أن معنىٰ اللفظ ثَابِت في حق الله تعالىٰ جاز إطلاقه علىٰ الله.

وهو قول المُعْتَزِلَة والكَرَّامِيَّة[١]. والفَلَاسِفَة[٢]. ومال إليه القَاضِي أبو بَكْر البَاقِلَّانِيّ بحُجَّة:

شيوع إطلاق نحو خدا (وهو الله تعالىٰ بالفَارِسِيَّة)، وتكري (وهو الله بالتُّرْكِيَّة) من غير نكير فكان إجماعاً[٣].

فأهل كل لُغَة يسمونه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ باسم مُخْتَصّ بلغتهم، كقولهم (خداي)، وشاع من غير نكير.

وردّ هٰذَا: بأنه لو ثبت لكان كافياً في الإذن الشَّرْعِيّ[٤].

---

(١) فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٦ وشَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٣٣ وروح المعاني ج٩ ص١٢١ وتَفْسِيْر المَنَار ج٩ ص٤٤٤. وانظر: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص١٢٥ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٤ وكلاهما عن المُعْتَزِلَة.

(٢) تَفْسِيْر المَنَار السَّابِق.

(٣) روح المعاني ج٩ ص١٢١-١٢٢ وشَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٣٣و٣٦ ورَوَىٰ الآلُوْسِيّ عن البَاقِلَّانِيّ أيضاً التوقف، ونقل تفصيلاً لقوله عن شَرْح المَوَاقِف بما يخالف المُعْتَزِلَة.

إِلَّا أنّ ابن حَجَر في فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٦ نقل قول البَاقِلَّانِيّ مثل قول الغَزَالِيّ وهو التفصيل. لٰكِن الغَزَالِيّ في المَقْصَد الأَسْنَىٰ ص١٥٤ ذكر أن الذي مال إليه القَاضِي أبو بَكْر أن الصفات والأَسَامِي المطلقة علىٰ الله تعالىٰ تجوز بطريق العقل إِلَّا ما منع منه الشَّرْع أو أشعر بما يستحيل معناه علىٰ الله تعالىٰ. فأما ما لا مَانِع فيه فإنه جائز.

وأشار إلىٰ ميل البَاقِلَّانِيّ: السَّفَّارِيْنِيُّ في لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص١٢٥ والبَاجُوْرِيُّ في شَرْح الجَوْهَرَة ص٨٩.

(٤) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق.

القول الثالث: التفصيل. وهو قول الغَزَالِيّ. فجاز إطلاق الصفة وهو ما دل علىٰ معنىٰ زائد علىٰ الذات، وامتنع إطلاق الاسم وهو ما يَدُلّ علىٰ نفس الذات(١). وقال الرَّازِيّ: هو المُخْتَار(٢).

وحُجَّة هٰذَا القول هي:

الاتفاق علىٰ أنه لا يجوز لنا أن نسمي رَسُوْل الله ﷺ باسم لم يسمه به أبوه ولا سمىٰ به نفسه وكذا كل كَبِيْر من الخلق، قال: فإذا امتنع ذٰلِكَ في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أَوْلَىٰ(٣).

معنىٰ الإلحاد في قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ - الأعراف ١٨٠:

الإلحاد لُغَةً: الانحراف والميلان، ومنه: لَحْدُ القبر: المائل إلىٰ أحد شقيه(٤).

والإلحاد في أسماء الله تعالىٰ يقع علىٰ عدة أوجه منها:

١- إطلاق أسماء الله تعالىٰ المقدسة علىٰ غير الله تعالىٰ، كتسمية الكفارِ أوثانَهم بالآلهة.

وتسميتهم الأصنام بـ(اللات) حيث اشتقوها من الإلٰه، و(العُزَّىٰ) من العَزِيْز،

---

(١) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص١٥٤. وذكر قول الغَزَالِيّ في: روح المعاني ج٩ ص١٢٢ وتَفْسِيْر المَنَار ج٩ ص٤٤٤ وأشار إلىٰ الآلُوْسِيّ، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص١٢٥ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٤.

(٢) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٣٣ قال: (واخْتِيَار الشيخ الغَزَالِيّ أن الأسماء موقوفةٌ علىٰ الإذن، وأما الصفات فغير موقوفةٍ علىٰ الإذن، وهٰذَا هو المُخْتَار).

(٣) فَتْح البَارِي ج١١ ص٢٢٦.

(٤) بَحْر العُلُوْم للسَّمَرْقَنْدِيّ ج١ ص٥٨٥ وشَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٤٥ وتَفْسِيْر ابن عَطِيَّة ج٦ ص١٥٦-١٥٧ وروح المعاني ج٩ ص١٢١.

و(مَنَاة) من المَنَّان.

وكان مُسَيْلِمَة يسمي نفسه بـ(الرَّحْمٰن)[١].

٢- أن يسموا الله تعالىٰ بما لا يجوز تسميته به، كتسميته بما يوهم معنىٰ فاسداً، مثل: يا أبيض الوجه، يا سَخِيّ، ونحو ذٰلِكَ[٢].

فلا يطلق عليه:

الزارع، وإن ورد فيه قوله تعالىٰ: ﴿ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ - الواقعة ٦٤.

والرامي، وإن ورد فيه قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ - الأنفال ١٧.

والمستهزِئ، وإن ورد فيه قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ - البقرة ١٥.

والماكر، وإن ورد فيه قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ - آل عِمْرَان ٥٤[٣].

فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سَخِيّ، لأنه لم يسم به نفسه.

ويقول: يا قَوِيّ، ولا يقول: يا شُجَاع[٤].

ويقول: يا عالِم، ولا يقول: يا عارف، يا فقيه، يا عاقل، يا لَبِيْب، يا فَطِن، يا مُدرِك، مع أنها مُرَادفة لُغَة لعالِم[٥].

---

(١) تَفْسِيْر الرَّازِيّ ج١٥ ص٧٥ وشَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٤٦ وتَفْسِيْر ابن عَطِيَّة السَّابِق، وتَيْسِيْر التَّفْسِيْر لأَطَّفَيِّش ج٤ ص٢٦٥ وتَفْسِيْر المَنَار ج٩ ص٤٤٢ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص١٢٨.

(٢) روح المعاني ج٩ ص١٢١. وهو في تَفْسِيْر الكَشَّاف ج٢ ص١٣٢. وانظر: تَفْسِيْر النَّسَفِيّ ج١ ص٦٢٠.

(٣) روح المعاني ج٩ ص١٢٢.

(٤) بَحْر العُلُوْم للسَّمَرْقَنْدِيّ ج١ ص٥٨٥ ونقل رأي الزَّجَّاج. وانظر: تَفْسِيْر الرَّازِيّ ج١٥ ص٧٤ والنُّوْر للأصم ص٤٥٤.

(٥) الأسماء الحُسْنَىٰ لمُحَمَّد حَسَنَيْن مخلوف ص٢٢.

لأن اسم (جواد، وقَوِيّ، وعالِم) وردت ضمن الأسماء الحُسْنَىٰ، أما ما قابلها من الأسماء فلم يسم الله بها نفسه.

وما ورد في اصْطِلَاح المتكلمين من أسماء يطلقونها علىٰ الله تعالىٰ مثل: (الواجب، واجب الوجود، الموجود، الصانع، المتقن، المذكور، الذات، المَعْلُوْم، الحقيقة، الشيء، الثَّابِت...)، فهي ليست من أسماء الله الحُسْنَىٰ، وفي الإخبار بها عن الله تعالىٰ تفصيل:

أ- إن كان المقصود أنه تعالىٰ في نفسه واجب وذات... إلخ فهو كذٰلِكَ بلا شك ولا شبهة، فنَقُوْل: إن الله واجب الوجود، وذات، وموجود، وهو صانع كل شيء، ومتقن لكل ما خلقه....

وعليه يجوز الإخبار بهٰذِهِ الصفات عنه تعالىٰ.

ب- وإن كان المقصود هو المناداة بهٰذِهِ الألفاظ، فلا يجوز ذٰلِكَ في الدعاء والنداء. لأن السَّلَف كانوا يقولون: يا الله، يا رَحْمٰن، يا رَحِيْم... إلىٰ سائر الأسماء الشَّرِيْفَة، ولم يُسمع أن أحداً منهم قال: يا ذات، يا حقيقة، يا مَعْلُوْم، يا مفهوم، اغفر لي.

فكان الامتناع عن مثل هٰذِهِ الألفاظ في معرض النداء والدعاء واجباً لله تعالىٰ[1].

معاني بعض أسماء الله الحُسْنَى

الله: اتفق العُلَمَاء الذين تكلموا في معاني أسماء الله الحُسْنَىٰ، أن ما سوىٰ لفظة (الله) من أسماء الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ هو من باب الصفات المشتقة.

واختلفوا في اشتقاق لفظة (الله) علىٰ قولين:

أولهما: إنها لفظة غير مشتقة من شيء أَصلاً، بل هو اسم عَلَمٌ انفرد به الحق سُبْحَانَهُ،

---

(١) تَفْسِيْر الرَّازِيّ ج١٥ ص٧٣ وتَفْسِيْر المَنَار ج٩ ص٤٤٣. وذكر الآلُوْسِيّ في روح المعاني ج٩ ص١٢٢: (ومن الثَّابِت بالإجماع: الصانع والموجود والواجب والقديم، قيل: والعِلَّة...).

كأسماء الأَعْلَام. وهو قول: الشَّافِعِيّ وأبي حَنِيْفَة والحُسَيْن بن الفَضْل البَجَلِيّ والقَفَّال الشَّاشِيّ والخَطَّابِيّ وأبي يَزِيْد البَلْخِيّ والغَزَالِيّ وأكثر المحققين، واختاره الرَّازِيّ. وهو أحد قولي الخَلِيْل، وسِيْبَوَيْه، والمُبَرِّد[١]، وبه قال الإبَاضِيَّة[٢]، وصَحَّحَهُ الجُوَيْنِيّ[٣].

ومن حجج هٰذَا القول:

قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ - مريم ٦٥، أي: ليس في الوجود شيء يسمىٰ باسم الله إلَّا الله، فثبت أن هٰذَا اللفظ اسم، ولو كان مشتقاً لما كان اسماً بل كان صفة.

ومن العرف، أن يقال: الملك القُدُّوْس السَّلَام اسماً لله تعالىٰ، ولا يقال: الله اسم للملك الخَالِق البَارِئ[٤].

القول الثاني: هي لفظة من الأسماء المشتقة.

وهو قول جُمْهُوْر المُعْتَزِلَة وكثير من الأُدَبَاء[٥].

ومن حججهم:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ - الأعراف ١٨٠، فيه الحكم بأن أسماءه موصوفة بالحُسْن، والاسم إنما يكون حَسَناً إذا كان المسمىٰ به كذٰلِكَ، والمسمىٰ إنما يكون حَسَناً بحسب صفاته لا بحسب ذاته، فوجب أن تكون جميع أسماء الله تعالىٰ دالة علىٰ صفاته لا علىٰ ذاته.

---

(١) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٠٦. وانظر قول الغَزَالِيّ في كتابه المَقْصَد الأَسْنَىٰ ص٦٠.

(٢) النُّوْر للأصم ص٢٨٩ قال: وأظن هٰذَا الذي يذهب إليه أصحابنا.

(٣) الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص١٤٤.

(٤) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٠٧. وانظر: النُّوْر للأصم السَّابِق.

(٥) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٠٦.

وأُجيب بما يأتي:

إن الأسماء في الآية أُضيفت إلىٰ الله تعالىٰ، فوجب أن يكون هٰذَا الاسم خارجاً عنها.

والاسم إنما يحسن لأن مسماه شَرِيْف، فهٰذَا الاسم المسمىٰ به هو الذات، فوجب أن يكون أَشْرَف الأسماء[1].

وأصحاب هٰذَا القول اختلفوا في اشتقاق لفظة (الله) علىٰ أقوال منها:

١- مشتقة من أَلِهَ الرجل إلىٰ الرجل يَأْلَهُ إليه، إذا فَزِع إليه من أمر نزل به. وأَلَهَهُ أي: أَجَارَه وآمَنَه، فيسمىٰ إلٰهاً كما يسمىٰ الرجل إمَاماً إذا أَمَّ النَاسَ.

ولما كان اسماً لعَظِيْم، فَخَّموه بأل التعريف فقالوا: الإلاه، ثم استثقلوا الهَمْزَة في كلمة يكثر اسْتِعْمَالهم لها، لأن للهمزة في وسط الكلمة ضغطة شديدة، فحذفوها، فصار الاسم (الله) كما نزل في القُرْآن.

وهو قول الحَارِث المُحَاسِبِيّ وغيره.

٢- مشتقة من لاه يلوه إذا ارتفع، والحق سُبْحَانَهُ مرتفع لا بالمكان.

٣- مشتقة من التألُّه وهو التعبد، يقال: أَلِهَ يَأْلَهُ إلاهَة، أي: عَبَد يعبُد عِبَادَة. ولما كان الباري مَعْبُوْداً حقيقة سُمِّيَ إلٰهاً[2].

وثمرة هٰذَا الاسم في الإنسان هي التألُّه، أي أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله

---

(١) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٠٨-١٠٩.

(٢) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٠٩-١١٧ وفيه ذكر وجوهاً أُخرىٰ لاشتقاق اللفظة. وانظر: الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص١٤٥ والنُّوْر للأصم ص٢٨٩ والقَامُوْس المُحِيْط، والمِصْبَاح المُنِيْر، وكلاهما في مادة (أله)، والأَسْنَىٰ للقُرْطُبِيّ ص٢٨٨.

تعالىٰ، لا يرىٰ غيره، ولا يرجو ولا يخاف إلَّا إياه[١].

الرَّحْمٰن الرَّحِيْم: اسمان مشتقان من الرحمة[٢]، وهما من أبنية المُبَالغَة[٣].

والرَّحْمٰن أخص من الرَّحِيْم، ولذٰلِكَ لا يسمىٰ به غير الله تعالىٰ، والرَّحِيْم قد يطلق علىٰ غيره، فيقال: رجل رَحِيْم، ولا يقال: رَحْمٰن.

فهو من هٰذَا الوجه قريب من اسم الله الجاري مجرىٰ العَلَم، وإن كان هٰذَا مشتقاً من الرحمة، ولذٰلِكَ جمع الله بينهما بقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ - الإسراء ١١٠[٤].

وقيل: الرَّحْمٰن هو رَحْمٰن بجميع الخلق في الدنيا والآخِرَة، والرَّحِيْم: بالمُؤْمِنين خاصة[٥].

وثمرة اسم الرَّحْمٰن في الإنسان هي أن يرحم عِبَاد الله الغافلين فينصحهم باللطف، وأن ينظر إلىٰ العصاة بعين الرحمة لا بعين الإيذاء، وأن لا يألو جهداً في إزالة المعاصي رحمة بالعصاة.

وثمرة اسم الرَّحِيْم فيه أن لا يَدَعَ فاقةً لمُحْتَاج إلَّا يسدّها بقدر طاقته بماله أو جاهه، فإن عجز عن ذٰلِكَ فيعينه بالدعاء، ويعطف عليه حتىٰ يبدو أنه مساهم في دفع ضره[٦].

---

(١) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٦٠.

(٢) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٦١. وانظر: شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٥٠-١٦٩.

(٣) تُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٢ ص٢٦٠.

(٤) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ السَّابِق. وانظر: النُّوْر للأصم ص٢٩١ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ السَّابِق.

(٥) النُّوْر للأصم السَّابِق.

(٦) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٦٢.

القُدُّوْس: الطاهر المنزَّه عن العيوب، وفُعُّول من أبنية المُبَالغَة[١].

المُؤْمِن: هو الذي يُعْزَىٰ إليه الأمن والأمان بإفادته أسبابه، وسده طرق المخاوف.

والمُؤْمِن المطلق هو الذي لا يتصور أمن وأمان إلَّا ويكون مُسْتَفَاداً من جهته، وهو الله تعالىٰ[٢].

وهو مأخوذ من:

أ- الإيمان بمعنىٰ التَّصْدِيْق، أي: صدّق أنبياءه بإظهار المعجزة، وصدق عِبَاده ما وعدهم به من الثواب.

ب- الإيمان بمعنىٰ الأمان والأمن ضد الخوف، أي: يؤمنهم يوم القيامة من عذابه[٣].

المُهَيْمِن: القائم علىٰ خَلقه بأَعْمَالهم وأَرْزَاقهم وآجالهم، وإنما قيامه عليهم باطلاعه، واستيلائه، وحفظه. والاطلاع يعود إلىٰ العلم، والاستيلاء الىٰ كَمَال القدرة، والحفظ إلىٰ العقل، والجَامع بين هٰذِهِ المعاني اسمه المُهَيْمِن، ولن يجمع ذٰلِكَ علىٰ الكَمَال إلَّا الله تعالىٰ[٤].

فالمُهَيْمِن هو الرَّقِيْب المبالغ في المُرَاقَبَة والحفظ[٥].

أو هو الشَّاهد، لأنه تعالىٰ شَاهد علىٰ خلقه بما يصدر منهم من قول أو فعل. أو هو

---

(١) تُحْفَة الأَحْوَذِيّ السَّابِق. وهو في شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٨١، وقارن بما قاله الإمَام الغَزَالِيّ في المَقْصَد الأَسْنَىٰ ص٦٥ والقُرْطُبِيّ في الأَسْنَىٰ ص٢٢٩.

(٢) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٦٧.

(٣) تُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٢ ص٢٦٠ وشَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٨٥ والنُّوْر للأصم ص٢٩٧.

(٤) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٦٩.

(٥) تُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٢ ص٢٦٠.

الحَدِب المشفق[١].

العَزِيْز: الغالب الذي لا يُغلَب. ومنه قول العَرَب: من عَزَّ بَزَّ، أي: من غلب سلب[٢].

وقال الغَزَالِيّ: هو الذي يقل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوُصُوْل إليه. فما لم يجتمع عليه هٰذِهِ المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العَزِيْز[٣].

الرَّزَّاق: هو الذي خلق الأَرْزَاق، وأعطىٰ الخلائق أَرْزَاقها.

والرزق نوعان: رزق ظَاهِر: وهو الأقوات والأطعمة، وهي للأَبْدَان. ورزق بَاطِن: وهو المَعَارِف والعُلُوْم، وهي للقلوب[٤].

الحَكَم: هو الحَاكِم الذي لا رادَّ لحكمه، ولا معقِّب لقضائه.

وثمرة هٰذَا الاسم في الإنسان هي أن يعلم أن القلم قد جفَّ بما هو كائن، وأن الأسباب قد توجهت إلىٰ مسبَّبَاتها.

فالله قدّر المسبَّب وقدر له سببه، فإذا جرىٰ سببه كان حصول المسبَّب واجباً، بقدر مَعْلُوْم لا يَزِيْد ولا ينقص.

فإذا علم الإنسان أن المقدور كائن، أصبح في رزقه مُجْمِلاً في الطلب، مطمئن النفس، غير مُضْطَرِب القلب[٥]، ويصير مشغول القلب بأنه ما يصيبه إلَّا الذي جرىٰ

---

(١) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٨٨ . وانظر: تُحْفَة الأَحْوَذِيّ السَّابِق، والنُّوْر للأصم ص٢٩٨.

(٢) أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص١٩٠ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٢ ص٢٦١ والنُّوْر للأصم ص٢٩٩.

(٣) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٦٩. وانظر: الأَسْنَىٰ للقُرْطُبِيّ ص٢٠٤.

(٤) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٧٩ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ السَّابِق. وانظر: شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٢٢١.

(٥) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٨٥-٨٩ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٤ ص٢٦١.

في الأزل، ولهٰذَا قال عليه الصلاة والسَّلَام: (من عرف سرَّ الله في القَدَر هانت عليه المصائب)[١].

اللَّطِيْف: هو الذي يعلم دَقَائِق المصالح وغوامضها، ويوصلها إلىٰ مستحقِّها بطريق الرفق دون العنف.

فإذا اجتمعت الدقة في العلم، مع الرفق في الفعل، تَمَّ معنىٰ اللطف، ولا يتصور كَمَال ذٰلِكَ في العلم والفعل إلَّا لله تعالىٰ.

وثمرة هٰذَا الاسم في الإنسان هي الرفق بعِبَاد الله تعالىٰ والتلطف بهم في الدعوة إلىٰ الله والهِدَايَة إلىٰ سَعَادَة الآخِرَة، من غير ازدراء وعنف، ومن غير خصام وتعصب.

وأَحْسَن وجوه اللطف التحلِّي بالشَّمَائِل والسِّيْرَة المرضية والعَمَل الصالح، فإنه أوقع في الجذب من الألفاظ المُزَيَّنَة[٢].

الحَلِيْم: هو الذي يشَاهد معصية العصاة، ويرىٰ مخالفة الأمر، ثم لا يستفزّه غضب، ولا يسرع في الانتقام، مع غَايَة الاقتدار.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ ﴾ - فاطر ٤٥.

وثمرة هٰذَا الاسم في الإنسان مَعْلُوْمَة، وهي أن الحلم من مَحَاسِن خصال العِبَاد[٣].

---

(١) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٢٣٧.

(٢) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٩٢. وانظر: شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٢٤٠ وأشار إلىٰ الغَزَالِيّ، وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٤ ص٢٦١.

يقال: **لَطَف به وله يَلْطُف (كنصر) لُطْفاً**: رَفَقَ به. ولَطُف يَلْطُف (ككرم): صَغُر ودَقَّ. / القَامُوْس المُحِيْط مادة (لطف) وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ السَّابِق.

(٣) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص٩٤. وانظر: شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٢٤٢-٢٤٤ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ السَّابِق، والنُّوْر للأصم ص٣١٤.

المُقِيْت: هو خَالِق الأقوات ومَوْصِلها إلىٰ الأَبْدَان وهي الأطعمة، وإلىٰ القلوب وهي المَعْرِفَة.

أو هو المستولي علىٰ الشيء، القَادِر عليه. والاستيلاء يَتِمّ بالقدرة والعلم. قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ - النساء ٨٥، أي: مطلعاً قَادِراً. فمعناه يعود إلىٰ اجتماع القدرة والعلم معاً[١].

أو هو الحَفِيْظ[٢].

الحَسِيْب: هو الكافي. الذي كفا الإنسان حين خلق طعامه وشرابه وما حوله من أجل أن يَعِيْش[٣].

وثمرته في الإنسان أن يجتهد في أن يصير سبباً في الظَّاهِر لكِفَايَة حاجات المُحْتَاجين.

أو هو المحاسب.

وثمرته في الإنسان أن يحاسب نفسه قال ﷺ: (حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا).

أو هو الشَّرِيْف الذي له خصال الشَّرَف.

وثمرته في الإنسان أن يعلم أن شَرَفه هو في مَعْرِفَة الله وطاعته[٤].

---

(١) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص١٠٢. وانظر: شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٢٥٩-٢٦٠ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٤ ص٢٦١ والنُّوْر للأصم ص٣٣٩.

(٢) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ، والنُّوْر للأصم، السَّابِقَان، وكلاهما عن أبي عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّىٰ، وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ السَّابق.

(٣) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص١٠٢ وشَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٢٦٠ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ السَّابق.

(٤) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ السَّابِق. وتقدّم تَخْرِيج (حاسِبوا أنفسَكم...) في: (أهمية العَقِيْدَة).

الوَدُوْد: هو الذي يحب الخَيْر لجميع الخلق، فيحسن اليهم.

وهٰذَا التَّفْسِيْر قريب من معنىٰ الرَّحِيْم، لٰكِن الفرق بينهما هو أن: الرحمة تستدعي مرحوماً ضعيفاً، والود لا يستدعي ذٰلِكَ، بل الإنعام علىٰ سَبِيْل الابتداء من نتائج الود[١].

وثمرة هٰذَا الاسم في الإنسان أن يكون كثير التودد الىٰ الناس بالطرق المشروعة. ومن ذٰلِكَ لما كسرت رَبَاعِيَة النَّبِيّ ﷺ في غزوة أُحُد قال: (اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون)[٢].

والوَدُوْد من الناس من يريد للآخرين ما يريده لنفسه، وأعلىٰ من ذٰلِكَ من يُؤْثِرهم علىٰ نفسه. كما قال أحدهم: (أريد أن أكون جِسراً علىٰ النار يعبر عَلَيَّ الخَلْقُ ولا يتأذون بها)[٣].

الصَّمَد: هو المقصود إليه في جميع الحوائج[٤].

العَفُوّ: هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي.

وهو قريب من الغَفُوْر، ولٰكِنه أبلغ منه، فإن الغفران يُنبِئ عن الستر، والعَفُوّ يُنبِئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر.

وثمرة هٰذَا الاسم في الإنسان هي أن يعفو عمن ظلمه، بل يحسن إليه[٥].

---

(١) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص١٠٩ وشَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٢٧٤.

(٢) شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ السَّابِق.

(٣) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ السَّابِق.

(٤) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص١١٩. وانظر: شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٣٠٤ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ ج٤ ص٢٦٢ والنُّوْر للأصم ص٣٨٦.

(٥) المَقْصَد الأَسْنَىٰ للغَزَالِيّ ص١٢٤. وانظر: شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ للرَّازِيّ ص٣٢٦ وتُحْفَة الأَحْوَذِيّ السَّابِق. وورد تَفْسِيْر هٰذِهِ الأسماء أَيضاً في: الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص١٤٣-١٥٥ وأَبْكَار الأَفْكَار للآمِدِيّ ج٢ ص٥٠٣ وما بعدها.

المَبْحَث الثالث

الصفات الإلهيَّة وما يترتب عليها

ذكر المتكلمون هنا: ما يجب في حقه تعالىٰ، وما يستحيل، وما يجوز.

أولاً: ما يجب في حقه تعالى

قسم بعض عُلَمَاء الكلام الصفات الإلٰهِيَّة الواجبة في حقه تعالىٰ إلىٰ ما يأتي:

١- **الصفة النَّفْسِيَّة**: وهي الوجود.

٢- **الصفات السَّلْبِيَّة**: وهي خمس: القِدَم، والبَقَاء، ومخالفة الحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية.

٣- **صفات المَعَانِي**: وهي سبع: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة. واختلفوا في صفة التكوين، علىٰ ما سيأتي بَيَانه في صفات المعاني[1].

---

(١) انظر هٰذَا التقسيم في: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٥٤ وما بعدها، وفي شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٤ وما بعدها، وفي رِسَالَة في التَّوْحِيْد والفِرَق المعاصرة للشيخ كَمَال الدِّيْن الطَّائِيّ ص٢٤ وما بعدها.

وهنالك **قسم رابع هو**: «**الصفات المعنوية**» وهي: كونه تعالىٰ: قَدِيْراً، مُرِيداً، سَمِيْعاً، بَصِيْراً، عالماً، متكلماً، حياً. وفيها خلافٌ بين العُلَمَاء لا نريد الدخول فيه سوىٰ أن نَقُوْل إنها نتائج لصفات المعاني.

قال الدُّسُوْقِيّ في حاشيته علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن ص١١٩: (أي: فالكونية المذكورة صفة ثَابِتَة في نفسها قائمة بالذات لازمة للقدرة. فعندنا صفتان إحداهما وجودية وهي القدرة، والثانية

١- الصفة النَّفْسِيَّة: الوجود

وجود الله عَزَّ وجَلَّ

هي صفة ثُبُوْتِيَّة، يَدُلّ الوصف بها علىٰ نفس الذات، دون معنى زائد عليها.

شَرْح التعريف:

صفة: جنس يدخل فيه سائر الصفات.

ثُبُوْتِيَّة: نسبة إلىٰ الثُّبُوْت، لكونها ثَابِتَة في الذهن. فتخرج الصفات السلبية كالقدم والبَقَاء... .

بها: أي المشتق منها، لا بها بنفسها، لعدم صحة ذٰلِكَ، فنَقُوْل: الله موجود، ولا يَصِحّ أن نَقُوْل: الله وجود.

علىٰ نفس الذات: أي أنها لا تَدُلُّ علىٰ شيء زائد علىٰ الذات، فالذات نفسها لا تتعقَّل إلَّا بوجودها، ولذٰلِكَ سميت نفسية. فتخرج صفات المعاني والمعنوية.

ثُبُوْتِيَّة لا يمكن رؤيتها وهي الكون قَادِراً، وهٰكَذَا يقال في البَاقِي. واعلم أن هٰذِهِ الصفات المعنوية السبع واجبة له تعالىٰ إجماعاً علىٰ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة والمُعْتَزِلَة وعلىٰ القول بثُبُوْت الحال وعلىٰ القول بنفيها. والخلاف إنما هو في معنىٰ قيامها بالذات العلية. فمن قال بنفي الحال – وأنه لا واسطة بين الوجود والعدم وهو مَذْهَب الأَشْعَرِيّ – قال: معنىٰ كونه عالماً مثلاً هو قيام العلم به، وليس هناك صفة أُخرىٰ زائدة علىٰ قيام العلم ثَابِتَة في خارج الذهن. ومن قال بالحال قال: معنىٰ كونه عالماً صفة أُخرىٰ زائدة علىٰ قيام العلم بالذات، وهٰذِهِ الصفة ليست موجودة بالاستقلال ولا مَعْدُوْمَة عدماً صرفاً بل هي واسطة بين الموجود والمَعْدُوْم، أي أنها لم تبلغ درجة الوجود ولم تنحط لدرجة العدم).

دون معنىٰ زائد عليها: تَفْسِيْر للقول (علىٰ نفس الذات)[1].

ووجود الله تعالىٰ وجود كَامِل ذاتي، أي: أنه موجود لذاته، لا لعِلَّة مؤثرة فيه، لأن من خصائص الذاتي: أنَّه لا يقبل العدم.

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٥٤، وعزا الصَّاوِيّ هٰذَا التعريف إلىٰ التَّفْتَازَانِيّ، وانظر هٰذَا التعريف في: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ج١ ص١٠٧.

قال الشيخ السَّنُوْسِيّ في شرحه علىٰ أُمّ البَرَاهِيْن ص٧٤-٧٥: (في عدّ الوجود صفةً علىٰ مَذْهَب الشيخ الأَشْعَرِيّ تسامح، لأنه عنده عَيْن الذات، وليس بزائدٍ عليها، والذات ليست بصفةٍ، لٰكِن لما كان الوجود توصف به الذات في اللفظ، فيقال ذات مولانا جَلَّ وعَزَّ موجودةٌ صح أن يُعَدَّ صفةً علىٰ الجُمْلَة.

وأما علىٰ مَذْهَب من جعل الوجود زائداً علىٰ الذات كالإمَام الرَّازِيّ فعدّه من الصفات صَحِيْح لا تسامح فيه.

ومنهم من جعله زائداً علىٰ الذات في الحادث دون القديم، وهو مَذْهَب الفَلَاسِفَة).

ولخَّص الدُّسُوْقِيّ في حاشيته علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن ص٧٥-٧٦ الأقوال الثلاثة التي ذكرها الشارح السَّنُوْسِيّ في الوجود بأنها هي:

١- أن الوجود عَيْن الموجود في القديم والحادث، وهو مَذْهَب الأَشْعَرِيّ.

٢- أن الوجود زائدٌ علىٰ الذات قديمةً كانت أو حادثةً، بمعنىٰ أنه أمرٌ اعتباري، وهو مَذْهَب الرَّازِيّ.

٣- التفصيل بين القديم والحادث، فهو عَيْن الموجود في القديم، وزائدٌ عليه في الحادث، وهو مَذْهَب الفَلَاسِفَة.

وأضاف الدُّسُوْقِيّ قولين آخرين هما:

٤- الوجود حالٌ ثَابِتَة في نفسها، وهو قول القَاضِي وإمَام الحَرَمَيْن.

٥- الوجود صفة معنى، وهو قول الكَرَّامِيَّة.

أما وجود غيره (كل ما سوىٰ الله تعالىٰ) فهو وجود ناقص تَبَعِي، أي: أنه مستمَد من غيره، ومتوقف علىٰ من أوجده، لأَنَّ من خصائص التَّبَعِي: أنه لا بد أن يقوم بين عَدَمين سابق ولاحق[١].

ومَسْأَلَة وجود الله تعالىٰ سبق الكلام عنها مُفَصَّلاً في المَبْحَث الأول (وجود الله جل جَلَاله).

وبعضهم لا يشَاهد لغيره تعالىٰ وجوداً، وهٰذَا يسمىٰ عندهم **وحدة الوجود**. وقد غرق فيه من غرق حتىٰ وقع من بعض الأَوْلِيَاء ما يوهم الاتحاد والحُلُوْل، كقول الحَلَّاج: (أنا الله)، وكقول بعضهم: (ما في الجُبَّة إلَّا الله). وهٰذَا اللفظ لا يجوز شرعاً لإيهامه، لٰكِن الصُّوْفِيَّة تارة تغلبهم الأحوال فيؤوَّل ما يقع منهم بما يناسبه. وممن أفتىٰ بقتل الحَلَّاج حين قال المَقَالَة السَّابِقَة الجُنَيْدُ البَغْدَادِيّ[٢].

٢- الصفات السَّلْبِيَّة

وهي خمس: القِدَم، والبَقَاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية[٣].

وتُسمَّىٰ هٰذِهِ الصفات بمُهمَّات الأُمَّهَات، لأنه يلزم من نفي ضِدّ هٰذِهِ الخمسة تنزيهُه تعالىٰ عن جميع النقائص[٤].

---

(١) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١١٣ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٧.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٥. وانظر: خَيْر القلائد ص٣٧-٣٩ وكبرىٰ اليقينيات الكونية السَّابِق.

(٣) حصرها بهٰذَا العدد: اللَّقَانِيُّ في الجَوْهَرَة، والبَاجُوْرِيُّ في شرحها ص١٠٥ والدَّرْدِيْر في الخَرِيْدَة وشرحها وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٥٥ والطَّائِيّ في رِسَالَة في التَّوْحِيْد والفِرَق المعاصرة ص٢٥.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للصَّاوِيّ ص١٤٥.

وليس المُرَاد بكونها سَلْبية، أنها مسلوبة عن الله ومنفية عنه، وإلَّا لزم أن يثبت له الحدوث وطروُّ العدم والمماثلة للحوادث، بل المُرَاد بكونها سَلْبية: أَنَّ كل وَاحِدَة منها سَلَبت (نَفَت) أمراً لا يَليق به جَلَّ وعَزَّ[١].

فالقِدَم سَلْبٌ (نَفْيٌ) لأوليَّة الوجود، والبَقَاء سَلْبٌ لآخرية الوجود... وهٰكَذَا.

والحق أَنَّ الصفات السلبية لا تنحصر في هٰذِهِ الخمسة، إذ من جملتها: أنه لا ولد له، ولا زوجة، ولا بسيطاً، ولا مركباً، ولا في مكان، ولا في زمان، ولا جهة، وغير ذٰلِكَ، وإنما اقتصر علىٰ هٰذِهِ الخمسة، لأنها أُمَّهَاتها[٢].

وهٰذِهِ الصفات لم يختلف بها العُلَمَاء، بل يتفق الجميع علىٰ القول بها[٣].

١ - القِدَم

القِدَم في حقه تعالىٰ بمعنىٰ الأزلية، التي هي كونُ وجوده غيرَ مستفتَح، فليس معناه تطاول الزمن، فإنَّ ذٰلِكَ وصف الحادثات[٤].

---

(١) حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٧٠. وانظر: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٥.

(٢) حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٥٥-٥٦ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٧.

(٣) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٦٩.

(٤) المُسَامَرَة ص٢٢ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص٧٧.

قال البَاجُوْرِيّ في شَرْح الجَوْهَرَة ص١٠٨: (**في القديم والأزل ثلاثة أقوال:**

الأول: أن القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده، والأزلي ما لا أول له، عَدَمِيّاً أو وجودياً. فكل قديم أزلي ولا عكس.

الثاني: أن القديم هو القائم بنفسه الذي لا أول لوجوده، والأزلي ما لا أول له عَدَمِيّاً أو وجودياً قائماً بنفسه أو بغيره. وهٰذَا هو الذي يفهم من كلام السَّعْد.

الثالث: أن كلّاً منهما ما لا أول له عَدَمِيّاً أو وجودياً، قائماً بنفسه أو لا. وعلىٰ هٰذَا فهما

أو بعبارة أُخرىٰ: معنىٰ القِدَم: هو أَنَّ وجود الله غير مسبوق بالعدم، فالله ليس له بِدَايَة[1].

وضد القِدَم: الحدوث.

الدليل العقلي علىٰ قِدَمه تعالىٰ:

أَنَّ الله تعالىٰ لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذْ لا وسط بينهما. ولو كان حادثاً لاحتاج إلىٰ مُحْدِث يُحْدِثه، ومُحْدِثُهُ يحتاج إلىٰ مُحْدِث... وهٰكَذَا. فيلزم الدَّوْر أو التسلسل، وكلٌّ منهما محال، فوجب أن يكون قديماً[2].

الدليل النقلي علىٰ قِدَمه تعالىٰ:

قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْأَوَّلُ ﴾، في الآية: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ ﴾ - الحديد ٣.

تصور صفة القِدَم:

من السهل علىٰ الإنسان أن يفهم صفة الرحمة والعَدْل والجَلَال... في ذات الله

مترادفان.

فعلىٰ الأول: الصفات السلبية لا توصف بالقِدَم وتوصف بالأزلية، بخلاف الذات العلية والصفات الثُّبُوْتِيَّة فإنها توصف بالقِدَم والأزلية.

وعلىٰ الثاني: الصفات مطلقاً لا توصف بالقِدَم وتوصف بالأزلية، بخلاف الذات العلية فإنها توصف بكل منهما.

وعلىٰ الثالث: كل من الذات والصفات مطلقاً توصف بالقِدَم والأزلية).

(١) المُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٢. وفي الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٣٢: القديم هو الذي لا أول لوجوده.

(٢) شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص١٤ والمُسَامَرَة ص٢٢ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٦ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٥٤ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٧ والاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٣٠ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٦٥.

تعالىٰ، لأنه يفهم آثارها، ويستطيع أن يدرك معانيها في الحياة بحواسه، إلَّا أنه يستحيل عليه أن يدرك صفة القِدَم أو صفة البَقَاء، لأنه لا يحتفظ بصورة لها في الحياة، لأنها خاصة بذات الله تعالىٰ. لٰكِن لا تعني الاستحالة الخيالية إنكار هاتين الصفتين، لأن العقل يجزم بثُبُوْتهما، كما بينا ذٰلِكَ في الدليل العقلي.

فرُبَّ أمر يدرك العقل إمكانه أو وجوده، وهو في الوقت نفسه يعجز عن تصوره وإدراك كُنْهه، وقديماً قال الفَلَاسِفَة وعامة العقلاء: (عدم الوجدان للشيء لا يستلزم عدم وجوده في الواقع)[1].

٢- البَقَاء

ومعناه: أَنَّ الله تعالىٰ أَبَدِيّ، ليس لوجوده آخر، فيستحيل أن يلحقه عَدَم[2].

وضد البَقَاء: الفناء.

الدليل العقلي علىٰ بقائه تعالىٰ:

١- لو لم يكن الله تعالىٰ بَاقِياً، لكان فانياً، ولو كان فانياً لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لاحتاج إلىٰ مُحْدِث، ومُحْدِثُهُ يحتاج إلىٰ مُحْدِث،... وهٰكَذَا، فيلزم الدَّوْر أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت بقاؤه تعالىٰ.

٢- لو جاز عليه تعالىٰ العَدَم لاستحال عليه القِدَم، وهو باطل بثُبُوْت قِدَمه تعالىٰ[3]. قال اللَّقَانِيّ في الجَوْهَرَة:

وكُلُّ ما جاز عليه العَدَمُ عليه قَطْعاً يَستحيلُ القِدَمُ[4]

(١) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١١٨-١١٩.

(٢) المُسَايَرَة ص٢٤. وفي شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٨٨: العَدَم هو الفَنَاء.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٥٦-٥٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٠٧. وانظر: شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٥٧.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٨٨و١٠٨.

٣- لو جاز عدمه لاحتاج انعدامه بعد وجوده إلىٰ عِلَّةٍ، لاستحالة الترجيح بلا مرجح.

٤- وإذا جاز انعدامه، فإما أن ينعدم:

أ- بنفسه (بأن يكون انعدامه أثراً لقدرته) وهو باطل، لأنه ثبت أَنَّه مُوْجِد الموجودات، فلا يقبل الانتفاء بحال، فيلزم بقاؤه كما يلزم قِدَمه.

ب- بمُعْدِمٍ يُضادّه، وهو باطل أَيضاً، لأن الضد إما:

- قديم: فيلزم انتفاء الباري سُبْحَانَهُ معه من الابتداء أَصلاً، لأن التضاد يمنع الاجتماع بين الشيئين اللذين اتصفا به، وقد ثبت وجوده تعالىٰ.

- أو حادث: فيلزم اندفاع وجوده بمضاده القديم، لأن القديم أقوىٰ من الحادث[1].

الدليل النقلي علىٰ بقائه تعالىٰ:

- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ في الآية: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ - الحديد ٣.

- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ - القصص ٨٨.

- وقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ - الرَّحْمٰن.

٣- المخالفة للحوادث

معناها: أَنَّ الله تعالىٰ ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمَعْدُوْمَة مطلقاً. فهي عبارة عن:

(١) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٢٤-٢٥. وانظر: الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٣١ وشَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص١٤.

سَلْب الجِرْمِيَّة، والعَرَضِيَّة، والكُلِّيَّة، والجزئية[١]، ولوازمها عنه تعالىٰ.

فلازم الجِرْمِيَّة هو التحيُّز، ولازم العَرَضِيَّة هو القيام بالغير، ولازم الكُلِّيَّة هو الكِبَر، ولازم الجزئية هو الصِّغَر[٢].

وضدها: المماثلة للحوادث.

الدليل العقلي علىٰ مخالفته تعالىٰ للحوادث:

١- أنَّه تعالىٰ لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها، ولو كان مماثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها، ولو كان حادثاً لاحتاج إلىٰ مُحْدِث، ومُحْدِثُهُ يحتاج إلىٰ مُحْدِث... وهٰكَذَا فيلزم الدَّوْر أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبتت مخالفته للحوادث.

٢- كل من وجب له القِدَم، استحال عليه العَدَم، ولا شيء من الحوادث يستحيل عليه العَدَم، فلا شيء منها بقديم فثبتت المخالفة[٣].

الدليل النقلي علىٰ مخالفته تعالىٰ للحوادث:

قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ - الشُّوْرَىٰ ١١[٤].

---

(١) أي: ليس الله تعالىٰ جِرماً ولا عَرَضاً ولا كُلّاً ولا جزءاً.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١١٠ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٨.

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١١١. وانظر: شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٥٨.

(٤) في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ - الشُّوْرَىٰ ١١ سؤال مشهور، وهو أن الجمع بين (الكاف ومثل) يوهم محالاً في حقه تعالىٰ، لأن الكاف بمعنىٰ مثل، والنفي إنما تسلَّط عليها. وهو باطل من وجهين:

أحدهما: أن المقصود من الآية نفي مثل ذاته، لا نفي مثل مثله.

والآخر: أن نفي مثل المثل يقتضي إثبات المثل، وهو محال.

ونفي المماثلة يفيد الأُمور الآتية[١]:

١ - أنه تعالىٰ ليس بعَرَض، لما يأتي:

أ- لأن العَرَض يحتاج إلىٰ جسم يقوم به، فيستحيل وجود العَرَض قبل الجسم، وقد ثبت أن الله قبل كل شيء، وموجدُه[٢].

وأُجيب عنه بستة أجوبة:

أحدها: أن الكاف زائدةٌ لغير توكيد.

الثاني: أنها مؤكدة لنفي الشبيه، أي انتفىٰ المثل انتفاءً مؤكداً، لا أنه من نفي المؤكد الذي هو مثل المثل حتىٰ يتوهم بَقَاء المثل.

الثالث: أن مِثْل بمعنىٰ المَثَل بفتحتين، أي الصفة.

الرابع: أنه بمعنىٰ نفس، نحو: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ - البقرة ١٣٧.

الخامس: أنه من باب الكِناية، وفيها طريقان، ثانيهما هو السادس.

وتَقْرِير أولهما: أن نفي مِثْل المِثْل أُريد به نفي المِثْل، لأن مِثْل المِثْل لازمٌ للمِثْل، ونفي اللازم يَدُلّ علىٰ نفي الملزوم.

الثاني: أنها من باب مِثْلُك لا يبخل، بمعنىٰ أنت لا تبخل. فالقصد نفي مثله تعالىٰ بأبلغ وجهٍ، إذ هي أبلغ من الصريح، لتضمنها إثبات الشيء بدليله.

حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٦٠ وشَرْح الجَوْهَرَة للصَّاوِيّ ص١٦٤ عن تَقْرِيْر النَّفْرَاوِيّ علىٰ المصنف. وانظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٦٢-١٦٤.

(١) انظر هٰذِهِ الأُمور ونحوها في: المُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٥-٣٧ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٥٨و٦٧ وأَبْكَار الأَفْكَار للآمِدِيّ ج٢ ص١٩ وما بعدها، والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص١٩ وما بعدها، وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٤٣ وما بعدها، وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٦٧ وعَقَائِد الإمَامِيَّة ص٣٦.

(٢) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٢٩.

ب- لأن احتياجه إلىٰ شيء يقوم به علامةُ الحدوث. وتقدم هٰذَا في أَدِلَّة حدوث العَرَض.

٢- وليس بجوهر، لما يأتي:

أ- لأن من شأن الجوهر الاختصاص بحيِّزِه، وكل مُتحيِّز مُحْتَاج إلىٰ حَيِّزه، والإلٰه ليس بمُحْتَاج[1].

ب- لأن الجوهر ملازم للعَرَض، والعَرَض حادث، فيلزم حدوثه. وتقدم هٰذَا في أَدِلَّة حدوث الجوهر.

٣- وليس بجسم[2]، لأن الجسم مؤلف من جَوَاهِر وأعراض، وقد أثبتنا حدوثهما فيما تقدم.

وذٰلِكَ خلافاً للمُجَسِّمَة الذين قالوا بأنه تعالىٰ جسم حقيقة، لٰكِنهم اختلفوا: فقال بعضُهم: هو مركب من لحم ودم، وبعضُهم: إنه نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء، وبعضُهم:

---

(١) المُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٥.

(٢) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٢٧ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٥. وانظر الأَدِلَّة علىٰ أنه تعالىٰ ليس بجسم في: المَطَالِب العالية للرَّازِيّ ج٢ ص٢٥.

- كل موجود إما أن يكون مُتحيِّزاً أو غير مُتَحَيِّز.

فإن كان متحيزاً فهو قسمان: أولهما: الجوهر الفرد، أي: الجزء الذي لا يتجزأ، لا ائتلاف فيه. وثانيهما: الجسم، وهو الذي يتألف من جَوَاهِر فَردة.

وإن كان غير مُتَحَيِّزٍ، فهو قسمان: أولهما: العَرَض، وهو الذي يستدعي وجوده جسماً. وثانيهما: اللهُ تعالىٰ، ووجوده تعالىٰ لا يستدعي جسماً يقوم به. / شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٣٠.

فالجسم أخصُّ من الجوهر، لأن الجسم خاص بالمركّب، والجوهر صَادِق به وبالجوهر الفرد. / حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٥٨. وانظر ص٢٧٩-٢٨٠ من هٰذَا الكتاب.

علىٰ صورة إنسان شاب أمرد، وبعضُهم: علىٰ صورة شيخ أَشْمَط الرأس واللحية... تعالىٰ الله عما يقولون[١].

٤- وليست له صورة أو لون أو رائحة أو شكل أو عوارض النفس من لذة وألم وفرح، لأن ذٰلِكَ من خواص الأجسام.

خلافاً للمُشَبِّهَة الذين شبهوا الله بالمخلوقات.

أما ما ورد في الكتاب والسُّنَّة من ذكر الرضا والغضب والفرح ونحوها، فيجب التنزيه عن ظَاهِره علىٰ النَّحْو الذي سيأتي في النصوص الموهمة للمشابهة[٢].

٥- ولا يوصف تعالىٰ بالصِّغَر أو بالكِبَر.

والكِبَر يراد به الحسي، أما الكِبَر المعنوي بمعنىٰ العِظَم فيوصف به، كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ - غافر ١٢[٣].

٦- وليس سُبْحَانَهُ حالّاً بمكان، لأن الله تعالىٰ لو كان في مكانٍ لزم قِدَم المكان. وتقدم أن لا قديم سوىٰ الله تعالىٰ[٤].

وما جاء بالحَدِيْث القُدْسِيّ: (ما وَسِعني أرضي ولا سمائي، وإنما وَسِعني قلبُ عبدي المُؤْمِن)، فيجب تأويله فيكون المُرَاد من (وَسِعني) هو وسع هيبتي ورحمتي[٥].

---

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف السَّابِق.

أَشْمَط: أبيض. / القَامُوْس المُحِيْط، مادة: الشمط.

(٢) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٢٩.

(٣) حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٥٨.

(٤) المَوَاقِف ج٨ ص٢٠. وانظر: صفة القيام بالنفس.

(٥) حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٥٨.

٧- ولا مُخْتَصّاً بجهةٍ، لما يأتي:

أ- لأن الله تعالىٰ لو كان في جهةٍ لزم قِدَم الجهة. وتقدم أن لا قديم سوىٰ الله تعالىٰ[١]. فلا يقال: إنه فوق الجِرم ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، ولا خلفه ولا أمامه[٢].

ب- لأن الجهات الست حادثة بإحداث الإنسان ونحوه مما يمشي علىٰ رِجْلَين كالطائر، فإنَّ معنىٰ الفَوْق: ما يحاذي رأسَ الإنسان، أو ظَهْرَ ما يمشي علىٰ أربع من جهة العُلُوّ، وهي جهة السماء. ومعنىٰ السُّفْل: ما يحاذي رِجْله من جهة الأرض.

ثم إنَّ الجهات اعتبارية غير حقيقية، فإنَّ النملة إذا مشت علىٰ سقف، كان الفوق بالنسبة لها جهة الأرض، لأنها تحاذي ظهرها. ولو كان كل حادث مستديراً كالكرة، لم توجد وَاحِدَة من هٰذِهِ الجهات.

ج- إن الله تعالىٰ موجود في الأزل، ولم يكن شيء من المخلوقات، لأن كل ما سواه حادث، كما مرَّ دليله[٣].

د- إن الاختصاص بجهةٍ هو اختصاص بحَيِّز، والحَيِّز مُخْتَصّ بالجوهر والجسم[٤]، وقد مر تنزيهه عنهما.

فإن قيل:

لِمَ ترفع الأيدي إلىٰ السماء وهي جهة العُلُوّ؟ أُجيب: بأن السماء قِبلة الدعاء، كما أَنَّ الكَعْبَة قِبلة الصلاة[٥].

---

(١) شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص١٩-٢٠.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٦٧.

(٣) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٣٠-٣١. وانظر امتناع كونه مُخْتَصّاً بمكانٍ وجهةٍ في: المَطَالِب العالية للرَّازِيّ ج٢ ص٣٧ والمُحَصِّل للرَّازِيّ ص١٥٧ وكَشْف المُرَاد ص٣١٩.

(٤) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٣١.

(٥) المُسَايَرَة ص٣١. وفي أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٧١: (إنما ترفع - الأيدي - لأنها قِبلة

فهو تعالىٰ غير مُخْتَصّ بجهةٍ، خلافاً:

للكَرَّامِيَّة: الذين أثبتوا لله جهة الفوق، من غير استقرار علىٰ العرش.

والمُشَبِّهَة والمُجَسِّمَة: الذين قالوا باستقراره علىٰ العرش[1].

وهو باطل بإجماع العقلاء.

٨- وهو تعالىٰ ليس في زمانٍ، أي: ليس وجوده وجوداً زمانياً. ومعنىٰ كون الوجود زمانياً هو أنه لا يمكن حصوله إلَّا في زمان[2].

الدعاء، كالتوجه إلىٰ الكَعْبَة في الصلاة، ووضع الوجه علىٰ الأرض عند السجود، وإن لم يكن اللهُ عَزَّ وجَلَّ في الكَعْبَة ولا تحت الأرض).

(١) المُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٣٢-٣٣.

- **يُثْبت كثير من الحَنَابِلَة جهة العُلُوّ لله تعالىٰ، واستواءه علىٰ العرش،** مع قولهم بنفي التجسيم، وذكروا أن النصوص الـوَارِدَة في عُلُوّ الله علىٰ خلقه، وكونه فوق عِبَاده، تقرب من عشرين نوعاً منها:

أ- التصريح بالفوقية مقروناً بأداة (مِن) المُعَيِّنَةِ للفوقية بالذات، كقوله تعالىٰ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ - النَّحل ٥٠.

ب- التصريح بالعروج إليه، نحو: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ - المعارج ٤.

ج- التصريح بالصعود إليه، نحو: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ - فاطر ١٠.

د- التصريح بتنزيل الكتاب منه، نحو ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ - النَّحل ١٠٢.

هـ- التصريح بنُزُوْله كل ليلةٍ إلىٰ سماء الدنيا... إلخ.

انظر: شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة ص٣٧٥ وما بعدها، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص١٩٠ وما بعدها.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٧.

٩- ولا يوصف بأنه سُبْحَانَهُ متحركٌ أو ساكنٌ[(١)].

١٠- وهو تعالىٰ مُنَزَّه عن الاتصال في الذات: بأن يكون مركباً، تتصل أجزاؤها ببعضها. أو بالغير: فهو ليس مُتَّصِلاً بالعالَم، بحيث يكون حالّاً، أو سارياً فيه[(٢)].

أما ما ورد مما يوهم الاتصال كما في الحَدِيْث القُدْسِيّ: (وما يزال عبدي يَتقرَّب إِلَيَّ بالنوافل حتىٰ أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصَرَهُ الذي يُبصر به، ويدَه التي يَبطِش بها، ورِجْلَه التي يَمشي بها. وإن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعِيْذَنَّه)، فهو مؤوَّلٌ، فيكون المُرَاد منه هو كناية عن استيلاء محبة الله علىٰ الشخص، حتىٰ أغنته عن شهود سواه[(٣)].

١١- وهو تعالىٰ منزَّه عن الانفصال عن العالَم، لأن هٰذِهِ الأُمور من صفات الحوادث، والله ليس بحادث[(٤)].

١٢- وهو تعالىٰ منزَّه عن الاتحاد بأَحَدٍ، وعن الحُلُوْل فيه. خلافاً: للنَّصَارَىٰ القائلين باتحاد ذاته بجسد المَسِيْح، ولغُلَاة الشِّيْعَة القائلين بحُلُوْله بعَلِيّ وأولاده، ولغُلَاة الصُّوْفِيَّة القائلين بحُلُوْله أو اتحاده بالسالكين المنتهين في سُلُوْكهم إلىٰ النِّهَايَة[(٥)].

والقول بنفي المماثلة المذكور هو ما ذهب إليه جميع فِرَق الإسلام، من مُعْتَزِلَة

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٨.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٥٨و٦٧.

(٣) حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٥٨.

وحَدِيْث: **وما يزال عبدي**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٣٨ باب التَّوَاضُع، رقم ٦٥٠٢ عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٦٧.

(٥) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٨-٣١. وانظر: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٨.

ومَاتُرِيْدِيَّة وأَشَاعِرَة وإبَاضِيَّة وشِيْعَة، عدا من ذكرناهم من المُشَبِّهَة والمُجَسِّمَة وأمثالهم.

النصوص المُوْهِمَة للمشابَهَة:

وردت في القُرْآن الكَرِيْم والأَحَادِيْث الشَّرِيْفَة نصوص، تُضيف إلىٰ الباري عَزَّ وجَلَّ صفاتٍ خَبَرية توهم التشبيه، كالاستواء والمجيء والنُّزُوْل...، التي ستأتي بعد قليل.

اختلف المُسْلِمُوْن فيها علىٰ أقوال ثلاثة[1]، مع اتفاقهم علىٰ تنزيه الله تعالىٰ عما لا يليق به، وهي: التوقف، والتوغُّل في التشبيه، والتأويل.

القول الأول: التوقف.

أي: التوقف الكَامِل من غير جنُوْح إلىٰ التأويل أو سقوط في التشبيه، وهو مَذْهَب السَّلَف[2]، فهٰؤُلَاءِ آمنوا بهٰذِهِ الصفات الخبرية، وأجروها علىٰ ظَاهِرها، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل، مع تغليبهم أَدِلَّة التنزيه، لكثرتها ووضوح دلالتها، وعلمهم باستحالة التشبيه. لذا قال كثير منهم: (اقرؤوها كما جاءت). أي: آمنوا بأنها من عند الله، ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتَفْسِيْرها[3].

لأن التأويل أمر مظنون بالاتفاق، والقول في صفات الباري عَزَّ وجَلَّ بالظن غير

(١) قال ابن الجَوْزِيّ في دفع شُبَه التشبيه ص٧٩: (واعلم أن الناس في أخبار الصفات علىٰ ثلاث مراتب: أحدها: إمرارها علىٰ ما جاءت من غير تَفْسِيْر ولا تأويلٍ إلَّا أن تقع ضرورةٌ، كقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ - الفجر ٢٢، أي: جاء أمره. وهٰذَا مَذْهَب السَّلَف. والمرتبة الثانية: التأويل، وهو مقام خطر. والمرتبة الثالثة: القول فيها بمُقْتَضَىٰ الحس...).

(٢) دراسات في الفِرَق ص٢١١ نَقْلًا عن ابن الجَوْزِيّ.

(٣) مُقَدِّمَة ابن خَلْدُوْن ص٤٣٤. وانظر: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٩٢ والغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص٦٣ ودراسات في الفِرَق ص٢٠٥.

جائزٍ، احترازاً من الوقوع في الزَّيْغ، لذٰلِكَ نفوّض معانيها إلىٰ الله تعالىٰ[(١)].

وفسر الإمَـام مَالِـك بن أَنَـس الاستواء في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ - طه ٥ بقوله: (الاستواء مَعْقُوْل، وكيفيته مجهولة، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب)[(٢)].

وعدم الاشتغال بالتأويل هو المروي عن كثيرٍ من كبار مشايخ المَاتُرِيْدِيَّة، حيث قالوا: نؤمن بتنزيلها ولا نشتغل بتأويلها[(٣)].

وفي ذٰلِكَ يقول ابن رُشْـد: (إن الصدر الأول إنما صار إلىٰ الفضيلة الكَامِلَة والتقوىٰ، باسْتِعْمَال هٰذِهِ الأقاويل، دون تأويلات فيها).

وقد ظل هٰذَا الرأي مستمراً إلىٰ أيام أَحْمَد بن حَنْبَل ويَحْيَىٰ بن مَعِيْن وإسْحَاق بن رَاهَوَيْه الذين نَاصِروه، إلَّا أنه لم يستمر طَوِيْلاً، لأنها تتضمن (الإحالة إلىٰ مجهولات لا نفهم مؤداها ولا غاياتها)، بل اعتبرها ابن حَزْم (مدخلاً لطريق ينتهي بالتشبيه)[(٤)].

القول الثاني: التوغل في التشبيه.

وأصحاب هٰذَا القول هم المُشَبِّهَة.

فمنهم من شبه في الذات باعْتِقَاد اليد والقَدَم والوجه...، فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق.

ومنهم من شبه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والنُّزُوْل والصوت والحرف وأمثال ذٰلِكَ. فآل قولهم إلىٰ التجسيم، وذٰلِكَ تمسكاً بظواهر الآيات والأَحَادِيْث الموهمة

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٩٣ ودراسات في الفِرَق ص٢٠٩.

(٢) أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١١٣. ولقول الإمَام مَالِك ألفاظ متقاربة انظر بعضها في: شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٣ ص٤٢ والإتْقَان للسُّيُوْطِيّ ص٤٨٤ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٧ ودراسات في الفِرَق ص٢٠٦. وفي المَوَاقِف ج٨ ص٢٤ رواه عن أَحْمَد.

(٣) التَّوْحِيْد للَّامِشِيّ ص٥٨.

(٤) دراسات في الفِرَق ص٢٠٧ وقول ابن رُشْد في فَصْل المقال ص٦٥.

للتشبيه والتجسيم[١].

قال ابن الجَوْزِيّ الحَنْبَلِيّ (وهو من نُفَاة التشبيه): (اعلم أَنَّ عموم المُحَدِّثِيْن حملوا ظَاهِر ما تعلق من صفات الباري سُبْحَانَهُ علىٰ مُقْتَضَىٰ الحس، فشبَّهوا، لأنهم لم يخالطوا الفُقَهَاء، فيعرفوا حمل المتشابه علىٰ مُقْتَضَىٰ الحكم)[٢].

وهٰؤُلَاءِ فِرَق عديدة مثل: أصحاب الحَدِيْث الحَشْوِيَّة، ومنهم: مُقَاتِل بن سُلَيْمَان المُتَوَفَّىٰ سنة ١٥٠هـ المفسِّر، ومُشَبِّهَة الشِّيْعَة ومنهم: هِشَام بن الحَكَم المُتَوَفَّىٰ سنة ١٧٩هـ، وفِرْقَة الكَرَّامِيَّة أتباع ابن كَرَّام السِّجِسْتَانِيّ المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٥٥هـ[٣].

القول الثالث: التأويل.

وهو ما ذهب إليه المُعْتَزِلَة، وأخذ به - مع تعديلات طفيفة - عامة المُسْلِمِيْن من شِيْعَة وأهل سُنَّة: مَاتُرِيْدِيَّة وأَشَاعِرَة، وبه قال الإبَاضِيَّة. وفي ذٰلِكَ يقول الإمَام الـرَّازِيّ: (جميع فِرَق الإسلام مُقِرُّون بأنه: لا بد من التأويل في بعض ظواهر القُرْآن والأخبار)[٤].

وقال البَاجُوْرِيّ: إذا ورد في القُرْآن أو السُّنَّة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المُجَسِّمَة والمُشَبِّهَة علىٰ تأويل ذٰلِكَ[٥].

---

(١) مُقَدِّمَة ابن خَلْدُوْن ص٤٣٤.

(٢) تَلْبِيْس إبْلِيْس ص١١٣.

(٣) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٩٢ وما بعدها. وانظر: دراسات في الفِرَق ص٢١٣-٢١٥.

(٤) أَسَاس التَّقْدِيْس للرَّازِيّ ص٦٧. وانظر رأي الإبَاضِيَّة في: الموجز لأبي عَمَّار ج١ ص١٢٦ وما بعدها.

(٥) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٧.

وقال البَاجُوْرِيّ في حاشيته علىٰ السُّلَّم ص٢٤: (اعلم أنه إذا ورد في كتابٍ أو سُنَّةٍ ما

وذٰلِكَ لأنه ثبت عندهم بالدليلِ العقلي، أَنَّ الله تعالىٰ مُنَزَّه عن الجسمية والجهة، ولا سَبِيْل للقَضَاء علىٰ التشبيه، إلّا إذا أُوِّلَت الصفات الخبرية الوَارِدَة بالنصوص[1].

قال الجُوَيْنِيّ: والإعراض عن التأويل حذاراً من مواقعة محذورٍ في الاعْتِقَاد يَجرُّ إلىٰ اللبس والإيهام، واستزلال العوام، وتطريق الشبهات إلىٰ أُصُوْل الدِّيْن، وتعريض بعض كتاب الله تعالىٰ لرجم الظُّنُوْن[2].

وحين رأىٰ العُلَمَاء أَنَّ فتح باب التأويل له أضراره الجسيمة، وضعوا له القَوَاعِد، حتىٰ لا يؤدي إلىٰ التلاعب بالنصوص وَفْق الهوىٰ، دون الالتفات إلىٰ أُصُوْل الشَّرِيْعَة ومَقَاصِدها[3].

يوهم أنه تعالىٰ له وجه أو يد أو نحو ذٰلِكَ فلا بد من تأويله، بمعنىٰ صرفه عن ظَاهِره، وهٰذَا محل وفاق من السَّلَف والخَلَف، غَايَة الأمر أنهم اختلفوا في تعيين المعنىٰ المُرَاد، السَّلَف لا يعيّنونه بل يُفَوضونه إليه تعالىٰ، فيقولون في نحو قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ - الرَّحْمٰن ٢٧، وقوله تعالىٰ: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ - الفَتْح ١٠، ليس له وجه كوجهنا، ولا يدٌ كيدِنا، ولا يَعلم المُرَادَ من ذٰلِكَ إلَّا اللهُ تعالىٰ، والخَلَف يعيّنونه فيقولون فيما ذكر: ليس له وجه كوجهنا ولا يدٌ كيدِنا، المُرَاد من الوجه الذات ومن اليد القدرة).

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٧ ودراسات في الفِرَق ص٢١٩.

(٢) الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٤٢، ثم جاء في ص١٥٥-١٦٤ بعدة نصوص من القُرْآن والحَدِيْث وذكر تأويلها.

(٣) دراسات في الفِرَق ص٢١٩. وانظر: المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٣٤ وما بعدها، والمَوَاقِف ج٨ ص٢٤ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٧.

قال اللَّامِشِيّ: (هٰذِهِ الألفاظ تحتمل وجوهاً، فيجب حملها علىٰ وجهٍ يوافق الدليلَ القطعيَّ العقليَّ، والآيَةَ المُحْكمةَ وهي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ - الشُّوْرَىٰ ١١، حتىٰ لا يقع التناقض في حُجج الله تعالىٰ. وبَيَان ذٰلِكَ هو أن اليد قد تذكر للنعمةِ والقوةِ والسَّلْطَنَة، وقد تُذكر للحُجَّة، وقد تُذكر لليُسرِ والغَناءِ، وقد تُذكر للجارحةِ. وكذٰلِكَ العينُ قد تُذكر للحفظِ، وقد تُذكر للجارحةِ، فيُحمَل كلُّ وَاحِد منها علىٰ ما يوافق الدليلَ العقليَّ والآيَةَ المُحْكمةَ). / التَّوْحِيْد للَّامِشِيّ ص٥٩ وفيه: أن هٰذَا هو المروي عن بعض مشايخنا، أي: المَاتُرِيْدِيَّة.

قال الشيخ عِزّ الدِّيْن بن عبد السَّلَام: (طريقةُ التأويل بشرطها، أقربُهما إلىٰ الحق). ويعني بشرطها: أن يكون علىٰ مُقْتَضَىٰ لِسَان العَرَب[1].

ومن أمثلة تأويلات هٰـؤُلَاءِ للنصوص المتشابهة بما يتفق وتنزيه الله تعالىٰ عما لا يليق به:

ما يوهم الجهة:

١ - ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ - طه ٥. الاستواء هو: الاستيلاء[2] والمُلْك،

---

(١) المُسَامَرَة ص٣٧، وفيه أَيضاً: مال إلىٰ التأويل أَيضاً إِمَام الحَرَمَيْن في الإرْشَاد، لٰكِنه اختار في الرِّسَالَة النِّظَامِيَّة طريق التفويض، وهي متأخرةٌ في التأليف عن الإرْشَاد، فكأنه رجع عن القول بالتأويل. وتوسَّط ابن دَقِيْق العِيْد فقال: يُقبل التأويل إذا كان المعنىٰ الذي أُوِّلَ به قريباً مفهوماً من تخاطُب العَرَب، ويُتوقف فيه إذا كان بعيداً. وذهب ابنُ الهُمَام إلىٰ التوسط بين أن تدعو الحاجة إليه لخلل في فهم العوام وبين أن لا تدعو الحاجة لذٰلِكَ.

وفي شَرْح الفِقْه الأكبر لِعَلِيّ القَارِي ص٧٠ نحو ما في المُسَامَرَة.

والتَّأْوِيْل عند الجُوَيْنِيّ في كتابه الإرْشَاد السَّابِق. وأَيضاً في كتابه: غِيَاث الأُمَم ص٤٤، حيث قال فيه: (... جل جَلَاله، وتقدست أسماؤه، استواؤه استيلاؤه، ونُزُوْله بِرُّهُ وحِبَاؤُهُ، ومجيئه حكمه وقضاؤه، ووجهه بقاؤه، وتَقْرِيْبه اصطفاؤه، ومحبته آلاؤه، وسخطه بلاؤه، وبعده علاؤه، العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه...).

والتفويض في كتابه: العَقِيْدَة النِّظَامِيَّة ص١٦٦.

(٢) اقتصر الغَزَالِيّ في الإحياء في تَفْسِيْر (استوىٰ) علىٰ معنىٰ الاستيلاء، وعلَّق عليه الزَّبِيْدِيّ في إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص١٠٦-١٠٨ وذكر أقوال العُلَمَاء. ومما ذكر في ص١٠٧: (قال ابن بَطَّال: اختلفوا في الاستواء هنا، فقالت المُعْتَزِلَة: معناه الاستيلاء بالقهر والغَلَبَة. وقالت المُجَسِّمَة: معناه الاستقرار. وقال بعض أَهْل السُّنَّة: معناه ارتفع، وبعضهم: معناه علا، وبعضهم: معناه المُلْك والقدرة. وقيل: الاستواء التَّمَام والفراغ من فعل الشيء. ثم رَدَّ قول المُعْتَزِلَة والمُجَسِّمَة وصحح القول بأن معناه علا). وفيه أقوال أُخرىٰ مع الأَدِلَّة. وللاستواء تَفْسِيْرات أُخرىٰ في أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١١٢ والإتْقَان للسُّيُوْطِيّ ص٤٨٥ وكِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ص٤٩و٥٠.

كقول الشاعر:

قد استوىٰ بِشْرٌ علىٰ العِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ ودَمٍ مُهْرَاقِ[(١)]

٢- ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ - النَّحْل ٥٠. فالفوقية تعني: التعالي في العظمة. أي: أن الملائكة يخافون ربهم من أجل تعاليه وارتفاعه في العظمة[(٢)].

وتَفْسِيره بمعنىٰ الاستيلاء أيضاً في: الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٤٠ وغِيَاث الأُمَم للجُوَيْنِيّ ص٤٤ والاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٤٠ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص٦٤ وأَبْكَار الأَفْكَار للآمِدِيّ ج١ ص٤٦٢ والمَوَاقِف ج٨ ص٢٤ والمُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٣٤-٣٥ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٧ والموجز لأبي عَمَّار ج١ ص١٣٢ عن ابن عَبَّاس، ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج١ ص٤٠٥ وشَرْح غَايَة المُرَاد ص٤٣. وفي إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص١٠٦: نسبه الجَاحِظ أيضاً إلىٰ ابن عَبَّاس، لٰكِن ردَّه ابن تَيْمِيَّة.

وفي الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٤١-٤٢: (فإن قيل: هلَّا أَجْرَيْتُم الآية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ - طه ٥ علىٰ ظَاهِرها من غير تعرّض للتأويل، مصيراً إلىٰ أنها من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلَّا اللهُ؟ قلنا: إنْ رام السَّائِل إجراء الاستواء علىٰ ما ينبئ عنه في ظَاهِر اللِّسَان وهو الاستقرار فهو التزام للتجسيم. وإنْ تشكك في ذٰلِكَ كان في حكم المصمم علىٰ اعْتِقَاد التجسيم. وإنْ قطع باستحالة الاستقرار فقد زال الظَّاهِر. والذي دعا إليه من إجراء الآية علىٰ ظَاهِرها لم يستقم له. وإذا أُزِيل الظَّاهِر قطعاً فلا بد بعده في حمل الآية علىٰ محمل مُستقِيم في العُقُوْل مستقر في موجب الشَّرْع).

والقول بالتوقف في الاستواء قال به المَاتُرِيْدِيّ في التَّوْحِيْد ص م٤١ و ٧٤ والغَزْنَوِيّ من المَاتُرِيْدِيَّة في أُصُوْل الدِّيْن ص٧٥. وذكر اللَّامِشِيّ قولين للمَاتُرِيْدِيَّة هما: التوقف والاستيلاء في: التَّمْهِيْد ص٦٤، وتقدم ذٰلِكَ عند ذكر آراء المَاتُرِيْدِيّ.

(١) الشاعر هو البَعِيْث، كما قاله الصاحب إسْمَاعِيْل بن عَبَّاد، أو هو الأَخْطَل كما قاله الجَوْهَرِيّ. وبِشْر هو بِشْر بن مَرْوَان. / إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص١٠٦.

والبيت في: الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ، وبَحْر الكلام للنَّسَفِيّ ص٥٠، والموجز لأبي عَمَّار، والمُسَايَرَة، وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ، السَّابِقَة. وفي المَوَاقِف السَّابِق: عَمْرو بدلاً من بِشْر.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٧.

٣- ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ - فُصِّلَت ٣٨. فالعِنْدِيَّة: تعني الاصطفاء والإكْرَام.

٤- ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ - فاطر ١٠. أي: يرتضيه، لأن الكَلِم عَرَض، يمتنع عليه الانتقال.

٥- ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ - المعارج ٤. أي: العروج إلىٰ موضع يتقرب إليه بالطاعات فيه.

٦- ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ - المُلْك ١٦. من في السماء: أي حكمه وسُلْطَانه، أو مَلَك موكَّل بالعذاب.

٧- ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ ﴾ - النَّجْم. الدُّنُوّ: قرب الرَّسُوْل إليه بالطاعة، والتقدِير بقاب قوسين تصوير للمَعْقُوْل بالمحسوس.

٨- قوله ﷺ للجارية الخرساء: أين الله؟ فأشارت إلىٰ السماء، فقرر.

فأراد بالسؤال بـ(أين): أن يستكشف عن مُعْتَقَدها، فلما أشارت إلىٰ السماء، علم أنها ليست وثنية، وحمل إشارتها علىٰ أنها أرادت كونه تعالىٰ خَالِق السماء، فحكم بإيمانها[1].

ما يوهم الجسمية:

١- ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ - الفجر ٢٢. أي: وجاء أمر ربك الشَّامل للعذاب، أو عذاب

---

(١) المَوَاقِف ج٨ ص٢٤-٢٥.

اختلف العُلَمَاء في تكفير مُعْتَقِد الجهة علىٰ ما يأتي:

١- لا يكفر. وهو قول العِزّ بن عبد السَّلَام. وقيَّده النَّوَوِيّ بكونه من العامة، وابن أبي جَمْرَة بعُسْر فهم نفيها.

٢- التفصيل. فإن اعتقد جهة العُلُوّ لم يكفر، لأن جهة العُلُوّ فيها شَرَف رفعةٍ في الجُمْلَة. وإن اعتقد جهة السُّفْل كفر، لأن جهة السُّفْل خِسَّة ودناءة.

شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٦٥.

ربك[١].

٢- ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ - البقرة ٢١٠. أي: إتيان عذابه.

٣- قوله ﷺ: (ينزِل ربُّنا تبارك وتعالىٰ كلَّ ليلة إلىٰ السماء الدنيا حين يَبقىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخِرُ، يقول: من يدعوني فأستجيبَ له، من يسألُني فأُعطيَهُ، من يستغفرُني فأغفرَ له)، أي: ينزل مَلَكُ ربنا فيقول عن الله[٢].

ما يوهم الصورة:

قوله ﷺ: (إذا قاتل أحدُكم أخاه فَلْيجتنبِ الوجه، فإن الله خَلَق آدمَ علىٰ صورته). والمُرَاد بالصورة: الصفة، من سمع وبصر وحياة وعلم، فهو علىٰ صفته بالجُمْلَة[٣].

---

(١) المَوَاقِف ج٨ ص٢٤ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٨. ونقله أبو عَمَّار في الموجز ج١ ص١٣٥ عن ابن عَبَّاس.

(٢) المَوَاقِف ج٨ ص٢٤-٢٥ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٨.

وحَدِيْث: **ينزل ربنا**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١٩ كتاب التهجد، ١٤ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم ١١٤٥، بهٰذَا اللفظ، عن أبي هُرَيْرَة.

وورد عن أبي هُرَيْرَة أَيضاً في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ١٤ باب الدعاء نصفَ الليل، رقم ٦٣٢١. وفي: ٩٧ كتاب التَّوْحِيْد، ٣٥ باب قول الله تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ - الفتح ١٥، رقم ٧٤٩٤.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٦ كتاب صلاة المسافرين، ٢٤ باب التَّرْغِيْب في الدعاء، رقم ٧٥٨ عن أبي هُرَيْرَة أَيضاً.

وأَخْرَجَهُ أبو دَاوُد والتِّرمِذِيّ وابن مَاجَة ومَالِك وأَحْمَد... وغيرهم. / شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ، هامش ص٢٦٩ لمُحَقِّقِهِ شُعَيْب الأَرْنَاؤُوط.

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٩.

ما يوهم الجوارح:

١- ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ - الرَّحْمٰن ٢٧. الوجه: أي: الذات[١].

٢- ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ - الفَتْح ١٠. اليد: أي: القدرة[٢].

٣- قوله ﷺ: (إن قلوب بني آدم كلَّها، بين إصْبَعيْن من أصابع الرَّحْمٰن، كقلب وَاحِد، يُصَرِّفُه حيثُ يَشاء). فالمُرَاد بالإصْبَعين: أي صفتين من صفاته، وهما القدرة والإرادة[٣].

وبهٰذَا يتضح أَنَّ الجُمْهُوْر من السَّلَف والخَلَف اتفقوا[٤] علىٰ تنزيه الله تعالىٰ من التشبيه، إلَّا أنهم اختلفوا في طريقة تَفْسِيْر النصوص المتشابهة تَبَعاً لعصورهم التي

وحَدِيْث: **إذا قاتل أحدكم أخاه**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٥ كتاب البِرّ والصِّلَة، ٣٢ باب النهي عن ضرب الوجه، رقم ٢٦١٢ (١١٥)، عن أبي هُرَيْرَة. ومُسْنَد الإمَام أَحْمَد ج٢ ص٢٤٤.

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٩ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج١ ص٤٠٢.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٩.

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٩. وانظر من هٰذِهِ التأويلات في: أَبْكَار الأَفْكَار للآمِدِيّ ج١ ص٤٥١ وما بعدها.

وحَدِيْث: **إن قلوب بني آدم**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٦ كتاب القَدَر، ٣ باب تصريف الله تعالىٰ القلوب، رقم ٢٦٥٤، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص.

(٤) قال الإيْجِيّ في المَوَاقِف ج٨ ص٢٤: (مهما تعارض دليلان وجب العَمَل بهما ما أمكن، فتؤول الظواهر إما إجمالاً ويفوض تفصيله إلىٰ الله... وعليه أكثر السَّلَف...، وإما تفصيلاً كما هو رأي طائفةٍ، فنَقُوْل الاستواء الاستيلاء...).

وفي جَوْهَرَة التَّوْحِيْد:

وكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التشبيها ... أَوِّلْه أو فَوِّضْ ورُمْ تنزيها

وشرحه البَاجُوْرِيّ ذَاكِراً أَنَّ:

(قوله: «النص» هو الدليل من الكتاب والسُّنَّة.

عاشوا بها، وهو خلاف شكلي بحت.

ولم يخالف في ذٰلِكَ إِلَّا المُشَبِّهَة، الذين صوروا الذات الإلٰهِيَّة كالجسم، فأخذوا ينعتونه بصفات الأجسام، وهٰـؤُلَاءِ لا يُعتدّ بكلامهم في مِيْزَان النقد العِلْمِيّ عند مقارنة النصوص، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ - آل عِمْرَان ٧.

٤- القيام بالنفس

معنىٰ القيام بالنفس، أمران:

وقوله: «أَوِّلْه» أي: احمله علىٰ خلاف ظَاهِره مع بَيَان المعنىٰ المُرَاد، فالمُرَاد: أَوِّلْه تأويلاً تفصيلياً بأن يكون فيه بَيَان المعنىٰ المُرَاد كما هو مَذْهَب الخَلَف، وهم من كانوا بعد الخمسمائة، وقيل من بعد القرون الثلاثة.

وقوله: «أو فَوِّضْ» أي: بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظَاهِره. فبعد هٰذَا التأويل فَوِّضْ المُرَاد من النص الموهم إليه تعالىٰ علىٰ طريقة السَّلَف، وهم من كانوا قبل الخمسمائة، وقيل: القرون الثلاثة الصَّحَابَة والتابعون وأتباع التَّابِعِيْن.

وطريقة الخَلَف أعلم وأحكم لما فيها من مَزِيْد الإِيْضَاح والرد علىٰ الخصوم وهي الأرجح، ولذٰلِكَ قدمها المصنف «صاحب الجَوْهَرَة». وطريقة السَّلَف أسلم لما فيها من السَّلَامَة من تعيين معنى قد يكون غير مُرَاد له تعالىٰ.

وقوله: «ورُمْ تنزيها» أي: واقصد تنزيهاً له تعالىٰ عما لا يليق به مع تفويض علم المعنىٰ المُرَاد.

فظهر مما قررناه اتفاق السَّلَف والخَلَف علىٰ التأويل الإجمالي، لأنهم يصرفون المُوهِم عن ظَاهِره المحال عليه تعالىٰ. لٰكِنهم اختلفوا بعد ذٰلِكَ في تعيين المُرَاد من ذٰلِكَ النص وعدم التعيين). / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٥٦. وانظر: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٦٨-٦٩.

أولهما: عدم افتقاره تعالىٰ إلىٰ محل. وللمحل تَفْسِيْران:

١- الذات التي يقوم بها، لا بمعنىٰ المكان، لأن ذٰلِكَ عُلم من مخالفة الحوادث.

٢- الذات والمكان معاً. قاله الغُنَيْمِيّ.

ثانيهما: عدم افتقاره إلىٰ المخصِّص، أي الموجِد[1].

وضدها: الاحتياج إلىٰ غيره.

الدليل العقلي علىٰ ذٰلِكَ:

١- الدليل علىٰ عدم افتقاره إلىٰ محل هو:

أ- أنه لو افتقر إلىٰ محل، لكان صفة. ولو كان صفة، لم يتصف بصفات المعاني والمعنوية، وهي واجبة القيام به تعالىٰ، للأَدِلَّة الدالة علىٰ ذٰلِكَ، وذٰلِكَ باطل فثبت عدم افتقاره إلىٰ محل[2].

ب- المتمكِّن مُحْتَاج إلىٰ مكانه، بحيث يستحيل وجوده بدونه. والمكان مستغنٍ عن المتمكِّن لجواز الخَلَاء، فيلزم إمكان الواجب، ووجوب المكان، وكلاهما باطل[3].

٢- الدليل علىٰ عدم افتقاره إلىٰ مُخَصِّص هو: أنه لو افتقر إلىٰ مُخَصِّص، لكان حادثاً، كيف وقد سبق وجوب وجوده وقِدَمه وبقائه ذاتاً وصفات؟

الدليل النقلي علىٰ قيامه تعالىٰ بنفسه:

- قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ - فاطر ١٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ - العنكبوت ٦.

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ج١ ص١١٣.

(٢) المصدر السَّابِق، وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٧ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٥٩.

(٣) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٠.

فإن قيل:

كيف يُتصور عدم تحيُّزه تعالىٰ في مكان؟

فالجواب هو: أن تصور المكان لأي جسم، يكون نتيجة ملاحظة واسْتِقْرَاء أحوال الأجسام التي نراها حالَّة في مكان ما، أما قياس الله تعالىٰ علىٰ الأجسام في وجوب التحيُّز، فهو قياس باطل، ولا عِلَّة جَامِعَة بين الأصل والفرع، وذٰلِكَ:

لأن العقل البشري محدود وقاصر عن إدراك كثير من الأُمور، فهو يحكم بوجود أشياء كثيرة كالروح والعقل في الجسم، والكهرباء في الأسلاك المُعَدَّة لجريانها بها... إلخ، وإن لم يعرف حقيقتها أو كُنهها ولا يدرك من سِرِّها شَيئاً.

فإذا كان العقل البشري قاصراً عن إدراك كثير مما فيه وحوله، فكيف يمكن أن يتصور عدم تحيُّزه تعالىٰ في مكان؟ مع أنه قطع بوجوده تعالىٰ، وقصر عن إدراك كُنهه وتصوره وفهمه؟

فحسبُ الإنسانِ إذن أن يؤمن بوجوده تعالىٰ وبصفاته، ثم يَحَار في فهمه وتصوّره. وهٰذِهِ هي حقيقة الإيمان بالغيب التي أمر الله به عِبَاده[١].

٥- الوحدانية

معناها: عدم التعدد في الذات، أو الصفات، أو الأفعال.

فالوحدانية في الذات: تنفي (الكَمَّ المُتَّصِل) الذي هو التَّرْكِيْب، أي: تَرْكِيْب الذات من أجزاء، وتنفي (الكَمَّ المنفصل) الذي هو التعدد، بحيث يكون هناك إلٰهان فأكثر.

والوحدانية في الصفات: تنفي (الكَمَّ المُتَّصِل) الذي هو تعدد صفتين من جنس

---

(١) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٢٠-١٢١.

وَاحِد كقدرتين فأكثر، وتنفي: (الكَمَّ المنفصل) الذي هو إثبات صفة لغيره تعالىٰ تشبه صفته، كأن يكون لزَيْد قدرة يوجِد بها ويعدم كقدرته تعالىٰ، أو إرادة تخصص الشيء ببعض الممكنات.

والوحدانية في الأفعال: تنفي (الكَمَّ المنفصل)[1] فقط، الذي هو إثبات فعلٍ لغيره تعالىٰ علىٰ طريق الإيجاد والخلق[2].

---

(١) **أما الكَمّ المُتَّصِل في الأفعال:** فإن صوَّرناه بتعدد الأفعال، فهو ثَابِت، لا يَصِحّ نفيه، لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء...، وإن صورناه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال، فهو منفي أيضاً بوحدانية الأفعال. / انظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١١٤ وحَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٥٩.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١١٤. وانظر: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٩ وكِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ وحَاشِيَة العَدَوِيّ عليها ج١ ص٤٠ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد والفِرَق المعاصرة للطَّائِيّ ص٣٩-٤٢.

قَسَّمَ فريقٌ من العُلَمَاء التَّوْحِيْد إلىٰ ثلاثة أقسام:

١- **تَوْحِيْد الربوبية**، ويعني: أن لا خَالِق ولا رازقَ ولا مُحْيِي ولا مُمِيْت ولا موجِد ولا مُعْدِم إلَّا اللهُ تعالىٰ.

٢- **تَوْحِيْد الإلٰهِيَّة**، ويعني: إفراده تعالىٰ بالعِبَادَة والخضوع والحب والافتقار والتوجه إليه تعالىٰ.

٣- **تَوْحِيْد الصفات**، ويعني: أن يوصفَ اللهُ تعالىٰ بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه ﷺ، فيثبت له ما أثبته لنفسه من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذٰلِكَ ينفي عنه ما نفاه عن نفسه من غير إلحادٍ في الأسماء ولا في الآيات. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص١٢٨-١٢٩.

وذكر هٰذَا التقسيم ابن أبي العِزّ في شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة، وأوضح أن نُفاة الصفات كالجَهْم بن صَفْوَان وموافقيه أدخلوا نفي الصفات في مسمَّىٰ التَّوْحِيْد، فقالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب. فرَدَّهُ قائلاً: هٰذَا القول مَعْلُوْم الفساد بالضرورة، فإن إثبات ذاتٍ مجردة عن

وضدها: التعدد في الذات أو الصفات (اتصالاً وانفصالاً)، وفي الأفعال (انفصالاً).

أَدِلَّة نفي الكموم الخمسة

أولاً: الدليل علىٰ نفي الكَمّ المُتَّصِل في الذات، (أي: أنه تعالىٰ ليس مركَّباً من أجزاء)، هو:

جميع الصفات لا يُتصوَّر لها وجودٌ في الخارج... . وتَوْحِيْد الربوبية لم يذهب إلىٰ نقيضه طائفةٌ، والمشهور عند أهل النَّظَر إثباته بدليل التَّمَانُع. وتَوْحِيْد الإلٰهيَّة الذي بينه القُرْآن ودعت إليه الرسل يتضمن تَوْحِيْد الربوبية لا العكس، لأن المُشْرِكِيْن من العَرَب كانوا يقرون بتَوْحِيْد الربوبية، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ - لقمان ٢٥، لٰكنهم كانوا كفاراً مُشْرِكِيْن. / شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة ص٢٤ وما بعدها، وتبنّاه الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب.

وردَّ هٰذَا التفريقَ بين أنواع التَّوْحِيْد كثيرٌ من العُلَمَاء، منهم: الشيخ أَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان في كتبه: الدُّرَر السَّنِيَّة في الرد علىٰ الوَهَّابيَّة، وفتنة الوَهَّابيَّة، وأَدِلَّة جواز التوسُّل بالنَّبِيّ ﷺ. والشيخ عبد الله بن علوي الحَدَّاد في: مِصْبَاح الأنام. وإبْرَاهِيْم الرِّفَاعِيّ الرَّاوِي في: الأوراق البَغْدَادِيَّة في الحوادث النَّجْدِيّة. وأمين الحق مولانا شَاه فضل رَسُوْل في كتابه: سَيْف الجَبَّار المسلول. ودَاوُد بن سُلَيْمَان البَغْدَادِيّ في كتابه: المِنْحَة الوَهْبِيَّة في رد الوَهَّابيَّة. وغيرهم. وهي كتب مطبوعة، وصوّرتها مكتبة الحقيقة بإستانبول.

ومما ذكره بعضُهم: أن هٰذَا التفريق أدىٰ بالوَهَّابيَّة إلىٰ تكفير المُسْلِمِيْن، وذكروا أنه لا فرق بين تَوْحِيْد الربوبية وتَوْحِيْد الأُلوهية، فاللهُ تعالىٰ يقول: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ - الأعراف ١٧٢، ولم يقل: ألستُ بإلٰهكم. فاكتفىٰ منهم بتَوْحِيْد الربوبية، ومن أَقرَّ بالربوبية فقد أَقرَّ بالأُلوهية، إذ ليس الرب غير الإلٰه، بل هو الإلٰه بعينه. وكذٰلِكَ في الحَدِيْث: (إن المَلَكَيْن يسألان العبد في قبره فيقولان: من ربُّك؟)، ولم يقولا له: من إلٰهك؟ فالتَّوْحِيْدان وَاحِد. إن الذي أوقع المُشْرِكِيْن والكفار في الكفر ليس مجرد قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ - الزُّمَر ٣، بل هو اعْتِقَادهم أن غير الألوهية والعِبَادَة غير الله تعالىٰ. / الدُّرَر السَّنِيَّة لأَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان ص٣٧-٣٩. وقد أشرنا إلىٰ بعض هٰذَا عند كلامنا عن مَذْهَب السَّلَفِيَّة.

أنه تعالىٰ لو كان مركباً من أجزاء، لكان مُحْتَاجاً إلىٰ تلك الأجزاء، وإلىٰ من يركِّبها، وعندئذٍ يكون حادثاً، وهو باطل لما تقدم من: إثبات أنه تعالىٰ مخالف للحوادث[1].

ثانياً: الدليل علىٰ نفي الكَمّ المنفصل في الذات، (أي: أنه تعالىٰ إلٰه وَاحِد لا شَرِيْك له، يشاركه التصرف في المخلوقات)، هو:

أنه لو لم يكن وَاحِداً لكان متعدداً، بأن يكون هناك إلٰهان فأكثر، ولو كان هناك إلٰهان أو أكثر، فإما أن يتفقا، وإما أن يختلفا:

١ - فإن اتفقا[2] علىٰ إيجاد شيء مثلًا:

أ- فإما أن يوجِداه معاً، وعندئذٍ لزم اجتماع مؤَثِّرين تامّين علىٰ أثر وَاحِد، وهو باطل بالبداهة.

ب- وإما أن يوجِداه مرتَّبين (بأن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر)، وعندئذٍ لزم تَحْصِيْل الحاصل، وهو باطل بالبداهة.

ج- وإما أن يوجِده أحدُهما دون الآخر، وعندئذٍ كان الموجِد هو الإلٰه، والثاني باطل.

د- وإما أن يوجِد كل منهما بعض الشيء دون البعض الآخر، وعندئذٍ لزم عجزهما، لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد علىٰ الآخر طريق تعلق قدرته به، فلا يقدر علىٰ مخالفته، وهٰذَا عجز، وكل ذٰلِكَ باطل، فبطل ما أدىٰ إليه، وهو وجود إلٰهَيْن مُتَّفِقين.

وهٰذَا البُرْهَان يسمىٰ: **بُرْهَان التَّوارُد،** لما فيه من تواردهما علىٰ شيء.

---

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٣١ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٥٩.

(٢) قال اللَّامِشِيّ في التَّوْحِيْد ص٥٢: (إن كانا متوافقين في تخليق الأشياء فالموافقة دليل عجزهما أو دليل عجز أحدهما، إذ الفاعل المُخْتَار لا يوافق غيره في الأُمور بكل حال إلَّا عن عجز واضطرار، والعَاجِز لا يكون إلٰهاً).

٢- وإن اختلفا، بأن أراد أحدهما إيجاد العالَم، وأراد الآخر إعدامه:

أ- فإما أن يَنْفُذ مُرَادهما معاً، وعندئذٍ لزم اجتماع الضدين، وهو باطل بالبداهة[١].

ب- وإما أن يَنْفُذ مُرَاد أحدهما فقط دون الآخر، وعندئذٍ يلزم عجز من لم يَنْفُذ مُرَاده، والآخر مثله، لانعقاد المماثلة بينهما. وعن البَاقِلَّانِيّ وابن رُشْد: أَنَّ الذي نفذ أمره هو الإلٰه دون الآخر.

ج- وإن لم يَنْفُذ مُرَاد أحدهما، لزم عجز كل منهما، ولزم ارتفاع (زوال) الضدين، وهو باطل.

فبَطَلَ ما أدىٰ إلىٰ ذٰلِكَ، وهو وجود إلٰهَيْن مُخْتَلفين. وهٰذَا البُرْهَان يسمىٰ: **بُرْهَان التَّمَانُع**، لتمَانُعهما وتخالفهما.

فإذا بَطَلَ وجود إلٰهَيْن مُتَّفِقَيْن أو مُخْتَلفين، وجب أن يكون الإلٰه وَاحِداً[٢].

ويمكن التعبير عن هٰذَا الدليل بما قاله الغَزَالِيّ في إحياء عُلُوْم الدِّيْن: (وبُرْهَانه قوله تعالىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ - الأنبياء ٢٢، وبَيَانه: لو كانا اثنين - يتصف كل منهما بصفات الأُلوهية، ومنها الإرادة وتمام القدرة - وأراد أحدهما أمراً: فالثاني إن كان مضطراً إلىٰ مساعدته، كان هٰذَا الثاني مقهوراً عَاجِزاً، ولم يكن إلٰهاً قَادِراً، وإن كان الثاني قَادِراً علىٰ مخالفته ومدافعته، كان هٰذَا الثاني قَوِيّاً قاهراً، والأول ضعيفاً قاصراً فلم يكن إلٰهاً قَادِراً)[٣].

---

(١) لأن في إتمام مُرَاد أحدهما عجز الآخر، لأنه تم ما لا يريد، وفي ذٰلِكَ تعجيز لكل وَاحِد منهما، والعَاجِز ليس بإلٰه. / الإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٣٤ وتَمْهِيْد الأوائل ص٤٥.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١١٥. وانظر: المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٣٥-٣٧ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٥٩-٦٠ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص٥٢ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٦٤ ونِهَايَة الإقدام للشَّهْرَسْتَانِيّ ص٩٢ والوسيلة ص٤٨٤.

(٣) إحياء عُلُوْم الدِّيْن وشَرْحُهُ: إتْحَاف السَّادَة ج٢ ص١٢٧ والمُسَامَرَة ص٤٥ عن الغَزَالِيّ.

ثالثاً: الدليل علىٰ نفي الكَمّ المُتَّصِل في الصفات، هو:

أنه تعالىٰ لو كان له صفتان من جنس وَاحِد كقدرتين مثلاً:

فإما أن تكون إحداهما كَامِلَة، وعندئذٍ تكون الثانية عَبَثاً.

وإما أن تكونا غير كَامِلتين (ناقصتين)، وعندئذٍ يكون ناقصاً، وكلٌّ من العَبَث والنقص مُحال عليه.

وإما أن تكونا كَامِلتين، فيلزم منه اجتماع مؤثِّرين علىٰ أثر وَاحِد، وهو باطل، فبطل تعدد صفتين من جنس وَاحِد.

رابعاً: الدليل علىٰ نفي الكَمّ المنفصل في الصفات، هو:

أنه لو كان لغيره تعالىٰ صفة تُشابه صفاته، لكان مماثلاً للحوادث، ولو كان مماثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها.

ولو كان حادثاً لاحتاج إلىٰ مُحْدِث، ومُحْدِثُهُ يحتاج إلىٰ مُحْدِث... وهٰكَذَا، فيلزم الدَّوْر أو التسلسل، وكلاهما باطل.

فبطل القول بوجود صفة لغيره تشبه صفاته.

خامساً: الدليل علىٰ نفي الكَمّ المنفصل في الأفعال، هو:

أنه لو كان لغيره فعل من الأفعال - علىٰ سَبِيْل الإيجاد والإعدام - لكان له شَرِيْك،

قال الصَّاوِيّ: إيْضَاح الآية، أنه لو تعدد الإلٰه لم تتكون السماوات والأرض، لأن تكونهما إما بمجموع القدرتين أو بإحداهما، والكل باطل. أما الأول فلأن شأن الإلٰه كَمَال القدرة، فإذا توجهت لشيءٍ أبرزته، وأما الآخر فلما مرَّ، فيلزم عجزه فلا يوجد شيءٌ من العالَم، وعدم وجود العالَم محالٌ، لأنه خلاف الحسّ والعيان، فيكون معنىٰ فسدتا لم توجدا. / حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٦٠.

والشَّرِيْك محال، كما مرَّ في نفي الكَمّ المنفصل في الذات[1].

والدليل النقلي على وحدانية الله تعالىٰ:

- قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④ ﴾ - الإخلاص.

- قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ - البقرة ١٦٣.

- قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ - مُحمَّد ١٩.

- قوله تعالىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ - الأنبياء ٢٢.

- قوله تعالىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ - المُؤْمنون ٩١.

---

(١) قال أبو إسْحَاق الإسْفَرَايِيْنِيّ: أجمع أهل الحق علىٰ أن جميع ما قاله المتكلمون في التَّوْحِيْد يرجع إلىٰ كلمتين: إحداهما: اعْتِقَاد أن كل ما تصور في الأذهان فالله بخلافه. ثانيهما: اعْتِقَاد أن ذاته تعالىٰ ليست مُشَبَّهَة بذاتٍ ولا خالية عن الصفات. وناهيك بسورة الإخلاص دليلاً، فإنها نفت أُصُوْل الكفر الثمانية:

الكثرة بمعنىٰ التَّرْكِيْب، والعدد، انتفيا بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ - الإخلاص ١.

والنقص بمعنىٰ الاحتياج، والقلة بمعنىٰ البساطة، انتفيا بقوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ - الإخلاص ٢.

والعِلَّة والمعلول، انتفيا بقوله تعالىٰ: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ - الإخلاص ٣.

والشبيه والنظير، انتفيا بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ - الإخلاص ٤. / حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٦٠. وانظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١١٨.

٣- صفات المعاني

وهي سبع: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة[١].

ومعنىٰ كونها صفات معانٍ: أَنَّ كل صفة منها معنى قائم بذات الله تعالىٰ.

وسميت ذاتية: لأنها لا تنفكُّ عن الذات.

ووجودية: لأنها متحققة باعتبار نفسها. أي: التي لها وجود في نفسها، قديمة كعلمه تعالىٰ، أو حادثة كعلمنا[٢].

---

(١) أضاف المَاتُرِيْدِيَّة إلىٰ هٰذِهِ الصفات السبع صفة **(التكوين)**، ويريدون بها: صفة قديمة قائمة بذاته تعالىٰ، يوجد بها ويعدم بها، لٰكِن إن تعلقت بالوجود تسمىٰ إيجاداً، وإن تعلقت بالعَدَم تسمىٰ إعداماً، وإن تعلقت بالحياة تسمىٰ إحياءً، وهٰكَذَا. فصفات الأفعال عندهم قديمة، لأنها هي صفة التكوين، وهي قديمة. ونفاها الأَشَاعِرَة، وجعلوا صفات الأفعال هي تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة. / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٥.

أي: أن الإيجاد والخلق والرزق والإحياء والإماتة والإشقاء والإسعاد والتصوير وغيرها من صفات الأفعال هي بمجموعها عند محققي المَاتُرِيْدِيَّة عبارة عن صفة وَاحِدَة تسمىٰ بالتكوين – المشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ – يس ٨٢. وهٰذِهِ الصفة عند المَاتُرِيْدِيَّة قديمة، لأنها صفة أزلية، بها صدور العالم وكل جزء من أجزائه. لٰكِن إن تعلقت بوجود الشيء سميت إيجاداً وخلقاً، أو بموته سميت إماتةً، أو بصورته سميت تصويراً، وهي زائدة علىٰ القدرة والإرادة.

أما عند الأَشَاعِرَة فصفات الأفعال هٰذِهِ حادثة، لأنها عبارة عن تعلق القدرة بالمقدور. / شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٨٨-٨٩.

وانظر الكلام عن صفة التكوين في: شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص٩٦ وشَرْح الفِقْه الأكبر لِعَلِيّ القَارِي ص٤٢ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١١٢.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٧٠ وشَرْح الجَوْهَرَة للصَّاوِيّ ص١٦٥ والوسيلة ص٤٩١.

وهٰذَا القسم هو الذي تنازع فيه المُعْتَزِلَة والأَشَاعِرَة ومن وَافَقَهُم، أما الصفة النفسية (الوجود) والصفات السلبية فلا نزاع فيها بينهم[١].

النزاع في صفات المعاني

يتفق المُسْلِمُوْن جَمِيعاً من فَلَاسِفَة ومتكلمين، علىٰ أن الله تعالىٰ وَاحِد، يتصف بصفات الكَمَال الثُّبُوْتِيَّة الواجبة لذاته تعالىٰ، والتي أطلقها الله تعالىٰ علىٰ نفسه، إلَّا أنهم اختلفوا في تَفْسِيْر صفات المعاني، علىٰ قولين:

القول الأول: وهو قول الجُمْهُوْر: الأَشَاعِرَة[٢] والمَاتُرِيْدِيَّة[٣]، وهو:

أن الله سَمِيْع بصفة تسمىٰ سمعاً، وبَصِيْر بصفة تسمىٰ بصراً، وكذا في سائر الصفات، فهو قَدِيْر بقدرة، ومريد بإرادة، وعَلِيْم بعلم، ومتكلم بكلام، وحي بحياة[٤].

وهٰذِهِ الصفات:

١- أَزَلية. أي: ليست حادثة، لأن الله تعالىٰ الواجب الوجود لا تقوم الحوادث بذاته.

٢- وقائمة بذاته. أي: ليست قائمة بذاتها، أي: ليست وجوداً خارجياً مستقلاً.

٣- وهي ليست غير الذات، ولا عَيْن الذات، ولٰكِنها زائدة علىٰ مفهوم الذات[٥].

---

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٦٩.

(٢) المَوَاقِف ج٨ ص٤٥ والمُسَايَرَة ص٧٠ وشَرْح غَايَة المُرَاد ص٣٢.

(٣) المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٦٩.

(٤) المَوَاقِف ج٨ ص٤٥ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٦٩ والمُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٧٠ وشَرْح غَايَة المُرَاد ص٣٢.

(٥) المُسَامَرَة ص٧٠ والمَوَاقِف ج٨ ص٤٤-٤٥. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٦٩. وذكر ابن أبي شَرِيْف في المُسَامَرَة ص٧٢: لا نَقُوْل إنها غير الذات ولا عَيْن الذات، (لأن

أي: أَنَّ كُلّاً من الذات المقدسة وصفاتها لا يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر[١] من حيث الوجود، وإن كان مفهوم الذات غير مفهوم الصفة[٢].

وعندئذٍ لا تؤدي إلىٰ تعدد وكثرة، لأنه لا غَيْرِيَّة بين الصفة والذات، ولا انفكاك بينهما ولا انتقال[٣].

ومن أدلتهم:

١- أَنَّ الله تعالىٰ أطلق علىٰ نفسه هٰذِهِ الأسماء في كتابه وعلىٰ لِسَان نبيه، والمفهوم في اللُّغَة من عَلِيْم: ذاتٌ له علم، ومن قَدِيْر: ذاتٌ له قدرة... إلخ من الأوصاف المشتقة. بل يستحيل عند أهل اللُّغَة: عَلِيْم بلا علم، كاستحالة علم بلا مَعْلُوْم، أو كاستحالة عَلِيْم بلا مَعْلُوْم، فلا يجوز صَرْفه عن معناه لُغَة إِلَّا لقاطع عقلي يوجب نفي معناه لُغَة، ولم يوجد فيه ما يَصْلُح شُبْهَة، فضلاً عن وجود دليل[٤].

٢- لو كان العلم نفس الذات، والقدرة نفس الذات، كما قالوا، لكان العلم نفس القدرة، فكان المفهوم من العلم والقدرة أمراً وَاحِداً، وأَنَّه ضروري البطلان، وكذا الحال في بَاقِي الصفات، التي ادُّعِيَ أنها عَيْن الذات[٥].

٣- لو كان علمه ذاته، كما قالوا، لكان العلم - مثلاً - واجباً مَعْبُوْداً صانعاً للعالَم

الغيرين هما المفهومان اللذان ينفكّ أحدهما عن الآخر في الوجود، بحيث يُتصَوَّر وجود أحدهما مع عدم الآخر).

(١) المُسَامَرَة ص٧٢ وحَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٨٢.

(٢) حَاشِيَة مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد علىٰ المُسَامَرَة ص٧٢.

(٣) وقد لزم النَّصَارَىٰ الكفرُ، لأنهم قالوا بالغَيْرِيَّة، وجوزوا الانتقال والانفكاك بين الذات والصفة. / شَرْح رَمَضَان أفندي علىٰ شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة ص١٢٢-١٢٣ وحَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٨٢ ودراسات في الفِرَق ص٢٤٩.

(٤) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٧١-٧٢.

(٥) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٤٦-٤٧.

موصوفاً بالكَمَالات، وهو باطل[١].

القول الثاني: وهو مَذْهَب المُعْتَزِلَة[٢]، والفَلَاسِفَة[٣]، والشِّيْعَة الإمَامِيَّة[٤]، والإبَاضِيَّة[٥]، والجَهْمِيَّة[٦].

وهو نفي الصفات الزائدة علىٰ الذات.

فالله عالم بالذات بلا علم، وقَادِر بالذات بلا قدرة، وسَمِيْع بالذات بلا سمع...[٧]، فهم قالوا: إنَّ القديم ذاتٌ وَاحِدَة قديمة، ولا يجوز إثبات ذوات قديمة متعددة[٨].

---

(١) المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٧٢و٧٤ وشَرْح قَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا علىٰ المُسَايَرَة ص٧٢.

(٢) المَوَاقِف ج٨ ص٤٥و٤٧ والمَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٦٩و٧٢ والاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٧٥ والمُسَامَرَة ص٧١ وشَرْح قَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا علىٰ المُسَايَرَة ص٧٠-٧١ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج١ ص٣٤٧ وشَرْح غَايَة المُرَاد ص٣١.

(٣) الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٧٥ والمَوَاقِف ج٨ ص٤٥ والمَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٦٩و٧٢ والمُسَامَرَة ص٧٠.

(٤) المَوَاقِف ج٨ ص٤٥و٤٧ والمُسَامَرَة ص٧٠ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج١ ص٣٤٧، وفيها كلها: الشِّيْعَة. وعَقَائِد الإمَامِيَّة ص٣٩.

(٥) الموجز لأبي عَمَّار ج٢ ص١٤٨ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج١ ص٣٤٧ وشَرْح غَايَة المُرَاد ص٣١ والبعد الحَضَارِيّ ص٢٢٩ وما بعدها.

(٦) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٢١و١٢٥و١٣٥.

(٧) الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٧٥ والمَوَاقِف ج٨ ص٤٥ والمُسَامَرَة ص٧١ والبعد الحَضَارِيّ ص٢٣٨.

(٨) الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٧٥ وحَاشِيَة مُحَمَّد مُحيِي الدِّيْن عبد الحميد علىٰ المُسَامَرَة ص٧٠.

ولٰكِن المُعْتَزِلَة ناقضوا في نفي الصفات في صفتي الكلام والإرادة، فاعتبروهما معنيين وراء الذات - أي صفتين زائدتين علىٰ ذاته -. وزعموا أنهما مُحْدَثَتَان قائمتان بذواتهما، غير قَائِمَتَيْن

واحتجوا علىٰ قولهم هٰذَا:

بأن القولَ بتعدد القدماء - الذات والصفات - كفرٌ بالإجماع، وبه كفرت النَّصَارَىٰ حين قالوا: الذات الإلٰهِيَّة أقانيم ثلاثة قديمة.

ورُدَّ: بأن الكفر إثبات ذوات قديمة، لا إثبات ذات وَاحِدَة وصفات قدماء[1].

ثم إن نفي الصفات يجعل الألُوهية فكرة مجردة. لا مضمون فيها[2].

قال الفَخْر الرَّازِيّ: (المُشَبِّه يعبُد صَنَماً، والمُعَطِّل يعبُد عَدَماً).

وقال ابن تَيْمِيَّة: (إنَّ إثباتَ حي عَلِيْم قَدِيْر حَكِيْم سَمِيْع بَصِيْر، بلا حياة ولا علم ولا قدرة ولا حكمة ولا سمع ولا بصر، مكابرةٌ للعقل كإثبات مُصَلٍّ بلا صلاة، وصائم

بذاته تعالىٰ، فالإرادة يخلقها في غير محل، والكلام يخلقه في جسم جماد، ويكون هو المتكلم به. / شَرْح قَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا علىٰ المُسَايَرَة، وحَاشِيَة مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد ص٧٠-٧١. وانظر: المَوَاقِف وشرحه ج٨ ص٨٥و٩٢و٩٥ والاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٧٥.

أما الفَلَاسِفَة فلم يتناقضوا إلَّا في الكلام فقالوا: إنه متكلم، بمعنىٰ: أنَّه يخلق في ذات النَّبِيّ ﷺ سَمَاع أصوات منظومة، إما في النوم أو في اليقظة، ولا وجود لتلك الأصوات في الخارج البَتَّةَ، وإنما يقتصر وجودها علىٰ سمع النَّبِيّ كالنائم حين يرىٰ أشخاصاً، أو يسمع أصواتاً لا وجود لها في الخارج، وإنما وجودها في دماغه، حتىٰ لو فرض أن بجوار النائم أشخاصاً لم يسمعوها. ورُدَّ:

أ- بأنه لو كان متكلماً بكلام غيره، لجاز أن يكون متحركاً ومصوِّتاً بَحْركة غيره وصوته، وذٰلِكَ محال.

ب- وإذا أرجعنا مَعْرِفَة النَّبِيّ ﷺ إلىٰ أضغاث الأحلام، فذٰلِكَ لا يكون عِلْماً، ويكون الشَّرْع كله مردوداً، لانعدام الثِّقَة به. / حَاشِيَة مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن علىٰ المُسَامَرَة ص٧٠-٧١. وانظر: الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٧٨-٧٩.

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٤٧-٤٨ وذكر أن هٰذِهِ الحُجَّة التي ردها هي حُجَّة المُعْتَزِلَة والشِّيْعَة. وانظر: المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٨٠و٨٢ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٨٢-٨٣.

(٢) دراسات في الفِرَق ص٢٤٢و٢٤٥.

بلا صيام، وقائم بلا قيام)[(١)].

وقد صَوَّر السَّيِّد الشَّرِيْف الجُرْجَانِيّ مَذْهَب المُعْتَزِلَة ومن وَافَقَهُم بقوله: (فإن قلتَ: كيف يُتَصور كونُ صفةِ الشيء عَيْنَ حقيقته، مع أن كل وَاحِد من الموصوف والصفة يشهد بمغايرته لصاحبه؟ وهل هٰذَا إلَّا كلام مُخَيْل، لا يمكن أن يصدق به، كما في سائر القضايا المُخِيْلَة، التي يمتنع التَّصْدِيْق بها؟ فلا حاجة بنا إلىٰ الاستدلال علىٰ بطلانه.

قلتُ: ليس معنىٰ ما ذكروه، أن هناك ذاتاً وله صفة، وهما مُتَّحِدان حقيقة، كما تخيلتَهُ، بل معناه: أَنَّ ذاته تعالىٰ يترتب عليه ما يترتب علىٰ ذات وصفة معاً. مثلاً: ذاتك ليست كافية في انكشاف الأشياء عليك، بل تحتاج في ذٰلِكَ إلىٰ صفة العلم، التي تقوم بك، بخلاف ذاته تعالىٰ فإنه لا يحتاج في انكشاف الأشياء وظهورها عليه إلىٰ صفة تقوم به، بل المفهومات بأسرها منكشفة عليه لأجل ذاته تعالىٰ، فذاته بهٰذَا الاعتبار حقيقة العلم، وكذا الحال في القدرة، فإنَّ ذاته تعالىٰ مؤثرة بذاتها، لا بصفة زائدة عليها، كما في ذواتنا فهي بهٰذَا الاعتبار حقيقة القدرة، وعلىٰ هٰذَا تكون الذات والصفات مُتَّحِدَة في الحقيقة، متغايرة بالاعتبار والمفهوم. ومرجعه إذا حقق: إلىٰ نفي الصفات مع حصول نتائجها وثمراتها من الذات وحدها)[(٢)].

والذي أراه:

أن هٰذَا الاختلاف بين الأَشَاعِرَة وموافقيهم وبين المُعْتَزِلَة وموافقيهم ينتهي جَميعاً إلىٰ القول بوحدانية الله تعالىٰ وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، وهٰذَا الخلاف لا يؤدي الىٰ تكفير أحد الفريقين.

---

(١) دراسات في الفِرَق ص٢٤٢ وفيه قول الـرَّازِيّ، وأورد د. عِرْفَان عبد الحميد في هامش ص٢٤٦ قول ابن تَيْمِيَّة نَقْلاً عن كتابه النُّبُوَّات ص٤٢. وأورد فيه أَيضاً بَيَان الفرق وأَسَاسه بين النفي المحض للصفات عند الفَلَاسِفَة المؤدي إلىٰ التعطيل الكَامِل، وبين النفي المعتدل عند المُعْتَزِلَة، حين أثبتوا أن صفاته عَيْن ذاته، ونفوا زِيَادتها علىٰ ذاته.

(٢) شَرْح المَوَاقِف ج٨ ص٤٧.

إلَّا أَنَّ سِيَاسَة المُعْتَزِلَة أيام المأمون والمُعْتَصِم والوَاثِق، انتهجت سَبِيْل الشدة تجاه مخالفيهم، فوسّعت شُقَّة الخلاف بين الطرفين.

ولٰكِن حين وضحت المَعَالِم، ومحصت الأقوال، وهدأت النفوس، ذكر المتكلمون: بأن هٰذَا النزاع لا يعني تكفير أحد الطرفين.

قال الإمَام الدَّوَّانِيّ في حاشيته علىٰ العَقَائِد العَضُدِيَّة: (واعلم أَنَّ مَسْأَلَة زِيَادَة الصفات وعدم زِيَادتها، ليست من الأُصُوْل التي يتعلق بها تكفير أحد الطرفين. وقد سمعت بعض الأصفياء أنه قال: عندي إن زِيَادَة الصفات وعدم زِيَادتها وأمثالها، مما لا يدرك إلَّا بالكَشْف، ومن أسنده إلىٰ غير الكَشْف، فإنما يتراءىٰ منه ما كان غَالباً علىٰ اعْتِقَاده بحسب النَّظَر الفكري، ولا أرىٰ بأساً في اعْتِقَاد أحد طرفي النفي والإثبات في هٰذِهِ المَسْأَلَة)[1].

وحتىٰ أن الإمَام مُحَمَّد عَبْدُه نهىٰ عن الخوض فيها، لأن البَحْث فيها بعيد عن مقصد الشَّرْع، فقال: (أما كون الصفات زائدة علىٰ الذات... فمما لا يجوز الخوض فيه، إذ لا يمكن لعُقُوْل البشر أن تصل إليه، والاستدلال علىٰ شيء منه بالألفاظ الوَارِدَة ضعف في العقل وتغرير بالشَّرْع، لأن اسْتِعْمَال اللُّغَة لا ينحصر في الحقيقة، ولئن انحصر فيها فوضع اللُّغَة لا تراعىٰ فيه الوجودات بكُنْهها الحقيقي، وإنما تلك مَذَاهِب فلسفة إن لم يضل فيها أمثلهم، فلم يهتد فيها فريقٌ إلىٰ مُقْنِع، فما علينا إلَّا الوقوف عند ما تبلغه عُقُوْلنا)[2].

وإنما مررنا علىٰ هٰذَا الاختلاف بسرعة، حتىٰ يتضح للقَارِئ صحة ما ذكره الإمَام الدَّوَّانِيّ، ويتعرف علىٰ مناهج المتكلمين في تَفْسِيْر الصفات.

---

(١) حَاشِيَة الدَّوَّانِيّ علىٰ العَقَائِد العَضُدِيَّة ج١ ص٣٠٠-٣٠١. وانظر: خَيْر القلائد ص٤٥.

(٢) رِسَالَة التَّوْحِيْد للشيخ مُحَمَّد عَبْدُه ص٥٢.

سبب ظهور المشكلة:

اختلف الباحثون في سبب ظهور مشكلة الصفات الإلٰهيَّة علىٰ قولين:

القول الأول: ظهرت بتَأْثِير أجنبي خارجي. لٰكِنهم اختلفوا في هٰذَا المصدر علىٰ أقوال:

١- علم الكلام المَسِيْحِيّ. وخاصة عن طريق كتابات القديس يوحنا الدِّمَشْقِيّ، بحُجَّة: التشابه بين الفكرين المَسِيْحِيّ والإسلامِيّ في أكثر من فكرة في معالجة هٰذِهِ المشكلة، ويؤيد هٰذَا الرأي:

ما قاله الشَّهْرَسْتَانِيّ في صدد الرد علىٰ أبي الهُذَيْل العَلَّاف: (وإذا أثبت أبو الهُذَيْل هٰذِهِ الصفات وجوهاً للذات، فهي بعينها أقانيم النَّصَارَىٰ).

٢- اليَهُوْدِيَّة. بحُجَّة:

أن قول المُعْتَزِلَة: (القُرْآن مخلوق)، مقتبس من قول اليَهُوْد (التوراة مخلوقة).

قال ابن الأَثِيْر في تاريخه (الكَامِل): (إن أول من نشر مَقَالَة خلق القُرْآن هو لَبِيْد بن الأَعصَم، ثم أخذ ابن أُخْته طالوت هٰذِهِ المَقَالَة عنه، وصنَّف في القُرْآن. فكان أول من فعل ذٰلِكَ في الإسلام، وكان طالوت هٰذَا زنديقاً، فأفشىٰ الزندقة).

وذكر ابن قُتَيْبَة أَنَّ: (أول من قال بخلق القُرْآن هو المُغِيْرَة بن سَعِيْد العِجْلِيّ، وكان من أتباع عبد الله بن سَبَأ اليَهُوْدِيّ).

٣- الفَلَاسِفَة:

وذٰلِكَ للصلات الفكرية بين الفَلَاسِفَة والمتكلمين، وخاصة بين المُعْتَزِلَة وبين الفلسفة اليونانية.

القول الثاني: ظهرت نتيجة حتمية للتطور الفكري داخل الإسلام نفسه، بحُجَّة:

١- أَنَّ المشكلة ظهرت نتيجة النقاش الدِّيْنِيّ، الذي دار في صفوف الخَوَارِج حول مرتكب الكَبِيْرَة، الذي جرَّ إلىٰ بحث مشكلة القَضَاء والقدر، ثم مشكلة

الصفات الإلٰهِيَّة.

٢- التمسك بَحْرفية الصفات الخبرية الـوَارِدَة في الـقُرْآن الـكَرِيْـم، وحمل تلك الصفات علىٰ معانيها الحقيقية دون المجاز، الذي تطور من مشكلة لُغَوِيَّة إلىٰ فلسفية بمعناها المُصْطَلَح[١].

تاريخ المشكلة:

أول من نفىٰ الصفات الإلـٰهِيَّة هو الجَعْد بن دِرْهَـم، وأخذها عنه الجَهْم بن صَفْوَان، وقد بنىٰ الجَهْم فكرته علىٰ رُكْنين هما:

أ- لُغَوِيّ: قال جَهْم: المماثلة هي الاشتراك في الاسم. ولذٰلِكَ كان يقول: لا أصف الباري تعالىٰ بوصف يجوز إطلاقه علىٰ غيره كحي وعالم ومريد... . ولذا أثبت الجَهْم لله تعالىٰ صفة القدرة والخلق والإيجاد، لأنه لا أحد يوصف بهٰذَا من الخلق.

ب- فلسفي: كان الجَهْم جَبْرِيّاً، فنفىٰ القدرة الإنسانية والاستطاعة، فالإنسان مُجْبَر في أفعاله جميعاً.

وجاء المُعْتَزِلَة فنفوا الصفات الإلٰهِيَّة. ويعتبر وَاصِل بن عَطَاء شيخ المُعْتَزِلَة أول من نفىٰ الصفات منهم، قال: (من أثبت معنى أو صفة قديمة فقد أثبت إلٰهَيْن)[٢].

صفات المعاني وتعلقاتها

صفات المعاني سبعٌ: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة.

ومعنىٰ التعلُّق هو: اقتضاء الصفة أمراً زائداً علىٰ قيامها بالذات، كاقتضاء العلم

---

(١) دراسات في الفِرَق ص٢٢٧-٢٣١، وأشار إلىٰ المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٦٣ والكَامِل لابن الأَثِيْر ج٧ ص٤٩ وعُيُوْن الأخبار لابن قُتَيْبَة ج١ ص١٤٨.

(٢) دراسات في الفِرَق ص٢٣٢-٢٣٦.

مَعْلُوْماً يَنْكَشِف به، واقتضاء الإرادة مُرَاداً يتخصص بها، واقتضاء القدرة مقدوراً يتأَتَّىٰ بها إيجاده وإعدامه، واقتضاء السمع مسموعاً يُسْمَع به، واقتضاء البصر مُبْصَراً يُبْصَر به، واقتضاء الكلام معنى يَدُلّ عليه. أما الحياة فلا تقتضي شَيئاً زائداً علىٰ الذات، لأنها صفة تصحح الإدراك لمن قامت به من غير أن تطلب أمراً زائداً علىٰ قيامها بمحلها[(١)].

والمتعلّق قد يتعلق بالواجب والمستحيل والممكن، وهو العلم والكلام. أو يتعلق بالممكن فقط، وهو القدرة والإرادة. أو يتعلق بالواجب والممكن، وهو السمع والبصر[(٢)].

١- القدرة

هي صفة أزلية يتأَتَّىٰ بها إيجاد كل ممكن وإعدامه[(٣)].

وضدها: العجز.

الدليل العقلي علىٰ ذٰلِكَ:

أ- هو أنه تعالىٰ لو لم يتَّصف بالقدرة، لكان عَاجِزاً.

ولو كان عَاجِزاً، لما وجد شيء من هٰذِهِ الحوادث المُحْكَمَة الصَّنْعَة المرَتَّبة المتْقَنة، وعدم وجود شيء من الحوادث باطل بالمشَاهدة والحسّ[(٤)].

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٧٨-٨١ وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه، وشَرْح الجَوْهَرَة للصَّاوِيّ ص١٩٤-١٩٥.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٤٢.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٧٢ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص٩٩.

(٤) انظر: حَاشِيَة مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد علىٰ المُسَامَرَة ص٥٨ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٩٦ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٦٧.

ب- الله صانع قديم، له مصنوع حادث، وكل من كان كذٰلِكَ تجب له القدرة، فالله تجب له القدرة[١]. فصدور الحادث عن القديم، لا يتصور إلاَّ بطريق القدرة.

ج- لو كان عَاجِزاً، لكان ناقصاً، والنقص علىٰ الإلٰه محال.

د- لو كان عَاجِزاً، لكان ناقصاً.

ولو كان ناقصاً، لاحتاج إلىٰ من يكمله، ومكمله يحتاج إلىٰ مكمل آخر... وهٰكَذَا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل.

الدليل النقلي:

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ - البقرة ١٠٩.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾ - فاطر ٤٤.

تعلق القدرة:

١- لا تتعلق القدرة إلَّا بالممكن دون الواجب والمستحيل[٢]. أي: لا تؤثر القدرة إلَّا في الممكنات فقط، لأن الممكن هو الذي يقبل الوجود والعَدَم.

أما الواجب: فلا يقبل التَّأْثِيْر، لأن القدرة إن تعلقت بالواجب فلا يَصِحّ أن تعدمه، لأنه موجود لا يقبل العَدَم، ولا يَصِحّ أن توجده لأنه يلزم منه تَحْصِيْل الحاصل.

وكذا المستحيل: لا يقبل التَّأْثِيْر أَيضاً، لأن القدرة إن تعلقت بالمستحيل فلا يَصِحّ أن توجده، لأنه مَعْدُوْم لا يقبل الوجود، ولا يَصِحّ أن تعدمه لأنه يلزم منه تَحْصِيْل

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٢. وانظر: المَقَاصِد وشرحه ج٤ ص٩٢-٩٥.

(٢) المُسَامَرَة ص٦٢ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢١. وانظر: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٦٠ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص٩٨.

الحاصل[١].

فإن سأل سَائِل:

هل يقدر الله تعالىٰ أن يُوجِد إلٰهاً مثله؟ أو نحو ذٰلِكَ من التَّأْثِيْر في الواجب والمستحيل؟

فجوابه هو: أَنَّ هٰذَا وإن ورد بصيغة السؤال، فليس بسؤال حقيقة، وإنما هو تأليف كلام فارغ، ذٰلِكَ لأنه لو أوجد الله تعالىٰ شَرِيْكاً له، لم يكن هٰذَا الشَّرِيْك واجب الوجود، لأنه مسبوق بالعَدَم... .

فهٰذَا السؤال كقول القائل لك: هل تتكرم عَلَيّ بأن تكون مشَاهداً أمامي وغائباً عني في لحظة وَاحِدَة؟ فهو سؤال لا معنى له، ولا فائدة من ورائه، كأي كلام مختلط، لم يقل صاحبه شَيئاً يحتاج إلىٰ جواب، إنما هو تصوُّر وهميّ يشبه أسئلة الطفل الفارغة التي لا معنى لها.

فالسَّائِل هٰذَا يحتاج إلىٰ تَعْلِيْم ما هو المستحيل والواجب والممكن، وجوابك له يكون من قبيل تَعْلِيْم الجاهل لا جواب السَّائِل[٢].

قال البَاجُوْرِيّ: ولذٰلِكَ شَنَّع السَّنُوْسِيّ في شَرْح الصغرىٰ علىٰ ابن حَزْم، في قوله: الله قَادِر أن يتخذ ولداً، وإلَّا كان عَاجِزاً[٣].

٢- للقدرة تعلقات، منها:

أ- تعلق صُلُوحِيّ قديم. أي: أن قدرة الله تعالىٰ صالحة في الأزل لأن توجِد وتعدِم الممكنات فيما لا يزال، فهي صالحة أزلاً لإيجاد الممكن وإعدامه.

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢١.

(٢) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٣٧-١٤٠.

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢١. وانظر التشنيع المذكور في: شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ (العَقِيْدَة الصغرىٰ) ص١٠٤.

ب- تعلق تَنْجِيْزِيّ حادث. أي: أنه تعالىٰ يوجِد الممكن ويعدِمه فيما لا يزال بقدرته[١].

٣- القدرة صفة من شأنها تنفيذ ما خصصته الإرادة، كإِخْرَاج الممكن من العَدَم إلىٰ الوجود فعلاً إذا توجهت إلىٰ إيجاده. أو صرفه من الوجود إلىٰ العَدَم إذا توجهت الإرادة إلىٰ إعدامه[٢].

٢- الإرادة

صفة أزلية، تخصِّصُ الممكنَ ببعض ما يجوز عليه، من وجود أو عَدَم، ومقدار وزمان ومكان وجهة[٣]. وترادفها المشيئة[٤].

وضدها: الإكراه، أو الكراهية، أي: عدم الإرادة[٥].

الدليل العقلي علىٰ ذٰلِكَ:

١- الله صانع للعالَم بالاخْتِيَار، وكلُّ مَن كان كذٰلِكَ تجب له الإرادة، فالله تجب له الإرادة[٦].

٢- لو لم يكن الله تعالىٰ مُرِيداً، لكان مُكْرَهاً.

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٠-١٢١ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص٦٣ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٤٣.

(٢) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٤٧.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٧٢.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٢. وهناك من فَرَّقَ بين المشيئة والإرادة. / انظر: شَرْح الفِقْه الأكبر لِعَلِيّ القَارِي ص٣٩.

(٥) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٨٦.

(٦) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٤ وشَرْح المَقَاصِد ج٤ ص١٢٨.

ولو كان مُكْرَهاً، لكان عَاجِزاً.

ولو كان عَاجِزاً، لما وجد شيء من هٰذِهِ المخلوقات.

وعدم وجود شيء من هٰذِهِ المخلوقات باطل بالمشَاهدة، فثبتت إرادته تعالىٰ[1].

٣- لو لم يكن الله تعالىٰ مريداً، لكان مُكْرَهاً، والإكراه في حقه تعالىٰ نقص، وهو باطل.

٤- لو كان تعالىٰ مُكْرَهاً لما اتصف بالقدرة، لأن تعلق القدرة موقوف علىٰ تعلق الإرادة (أي القصد إلىٰ الفعل)، فلا تتعلق القدرة إلَّا بما تعلقت به الإرادة.

الدليل النقلي:

قوله تعالىٰ: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ - هود ١٠٧ والبروج ١٦.

وقوله تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ - البقرة ١٨٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ - يس ٨٢.

تعلق الإرادة:

الإرادة كالقدرة في التعلُّق. فهي لا تتعلق إلَّا بالممكن، دون الواجب والمستحيل[2].

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٧٣.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٣ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص٩٨.

وبقوله (الممكن) شمل الخَيْر والشر، أي: أراد اللهُ تعالىٰ الخَيْر والشر، خلافاً للمُعْتَزِلَة القائلين بأن إرادة الله لا تتعلق بالشرور والقبائح، أي: يريد اللهُ الخَيْر ولا يريد الشر. / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٤. وانظر: الإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص١٥٢.

حُكِيَ أن القَاضِي عبد الجَبَّار الهَمَدَانِيّ أحد شيوخ المُعْتَزِلَة دخل علىٰ الصاحب بن

وللإرادة تعلقان:

أ- تعلق صُلُوحِيّ قديم، وهو صَلَاحيتها في الأزل لتخصيص الممكن بالوجود أو بالعَدَم، وبالغنىٰ أو بالفقر[١].

ب- تعلق تَنْجِيْزِيّ قديم. فالإرادة في الأزل متعلقة بتخصيص الحوادث بأوقاتها[٢]، وبالصفات التي توجد عليها في الخارج[٣].

فالله تعالىٰ أراد أزلاً: أن تكون موجوداً، وأن يبعث مُحَمَّداً رَسُوْلاً.

الإرادة لا تستلزم الرضا:

ذكر شارح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة أَنَّ الذي عليه أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة: أَنَّ الله تعالىٰ

عَبَّاد، وعنده الأُستاذ أبو إسْحَاق الإسْفَرَائِيْنِيّ أحد أَئِمَّة أَهْل السُّنَّة، فلما رأىٰ الأُستاذَ قال: سُبْحَانَ من تنزه عن الفحشاء. فقال الأُستاذُ فوراً: سُبْحَانَ من لا يقع في ملكه إلَّا ما يشاء. فقال القَاضِي: أيشاءُ ربنا أن يُعصَىٰ؟ قال الأُستاذ: أَيُعصَىٰ ربنا قهراً؟ فقال القَاضِي: أرأيتَ إن منعني الهُدَىٰ وقضىٰ عَلَيّ بالردىٰ أَحْسَن إلي أم أساءَ؟ فقال الأُستاذُ: إن منعكَ ما هو لكَ فقد أساءَ، وإن منعكَ ما هو له فهو يختصّ برحمته من يشاء. فبُهِتَ القَاضِي. / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١١٤.

والقصة ودلالتها في شَرْح الفِقْه الأكبر لِعَلِيّ القَارِي ص٩٧ ولفظها له. وفقرتُها الأُوْلَىٰ إلىٰ قوله: سُبْحَانَ من لا يجري في ملكه إلَّا ما يشاء، في: شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١١٤ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص٢٧٥.

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٤٤.

(٢) المُسَايَرَة ص٦٤.

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٣.

والتنجيز بالنسبة للإرادة هو محضُ تعلقها بممكن من الممكنات، سواء ظهر هٰذَا الممكن إلىٰ طور الوجود أم لم يظهر بعد، وقد تتعلق إرادة الإنسان بعَمَل من الأَعْمَال، ثم يطويه عن التنفيذ إلىٰ ما بعد سنوات كثيرة، فتسمىٰ إرادته هٰذِهِ تنجيزية، أي: ليست مجرد قابلية محضة، بل هي توجه فعلي إلىٰ مُرَاد معين. / كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٢٦.

يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يُحبه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديناً.

وخالف في ذٰلِكَ القَدَرِيَّة والمُعْتَزِلَة، وزعموا أَنَّ الله شاء الإيمانَ من الكافر، ولٰكِن الكافرَ شاء الكفر، فَرُّوا إلىٰ هٰذَا، لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذَّبه عليه، ولٰكِن صاروا كالمستجير من الرَّمْضَاء بالنار، فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه، فإنه يلزمهم أَنَّ مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالىٰ، فإن الله قد شاء الإيمانَ منه – علىٰ قولهم – والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئةُ الكافر دون مشيئة الله تعالىٰ. وهٰذَا من أقبح الاعْتِقَاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل...[1].

رَوَىٰ عَمْرو بن الهَيْثَم قال: خرجنا في سفينة، وصحِبنا فيها قَدَرِيّ ومَجُوْسِيّ. فقال القَدَرِيّ للمَجُوْسِيّ: أَسْلِم. قال المَجُوْسِيُّ: حتىٰ يريدَ الله. فقال القَدَرِيّ: إن الله يُريد، ولٰكِن الشيطان لا يريد. قال المَجُوْسِيُّ: أراد الله، وأَراد الشيطان، فكان ما أَراد الشيطان. هٰذَا شيطان قَوِيّ. وفي رِوَايَة أنه قال: فأنا مع أقواهما.

ووقف أَعرابي علىٰ حلْقة فيها عَمْرو بن عُبَيْد. فقال: يا هٰؤُلَاءِ، إن ناقتي سُرقت، فادعوا الله أن يردها عَلَيّ. فقال عَمْرو بين عُبَيْد: اللهم إنك لم تُرِدْ أن تُسرق ناقته فسُرقتْ، فارْدُدْها عليه. فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولِمَ؟ قال: أخاف كما أراد أن لا تُسرق فسُرقت، أن يريد رَدَّها فلا تُرد[2].

ومنشأ الضَّلال كان من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا. فسوَّىٰ بينهما الجَبْرِيَّة والقَدَرِيَّة، ثم اختلفوا:

فقالت الجَبْرِيَّة: الكون كله بقضائه وقَدَره، فيكون محبوباً مَرْضياً.

وقالت القَدَرِيَّة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدَّرة ولا مقْضِية، فهي خارجة عن مشيئته وخلْقه.

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٣٢١.

(٢) المصدر السَّابِق ص٣٢٣.

إلَّا أن أَهْل السُّنَّة والجَماعَة فرَّقوا بين المشيئة والمحبة، واستدلوا علىٰ المشيئة والإرادة بأَدِلَّة منها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ - الإنسان ٣٠، والتكوير ٢٩.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ - الأنعام ٣٩.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ - الأنعام ١٢٥[(١)].

واستدلوا علىٰ المحبة والرضا بأَدِلَّة منها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ - البقرة ٢٠٥.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ - الزُّمَر ٧.

٣- قوله تعالىٰ عَقِيْبَ ما نهىٰ عنه من الشرك والظلم والفواحش والكِبْر: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ - الإسراء ٣٨.

٤- قوله ﷺ: (إنَّ اللهَ كَرِهَ لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرةَ السؤال، وإضاعةَ المال).

٥- قوله ﷺ: (إنَّ اللهَ يُحِبَّ أن يُؤْخذ برُخَصه، كما يكره أن تُؤتَىٰ معصيته)[(٢)].

---

(١) المصدر السَّابِق ص٣٢٤.

ومعنىٰ الآية ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: أن الخلق لو اجتمعوا علىٰ أن يحركوا في العالم ذرةً أو يسكنوها مرةً بدون إرادته لما قدروا علىٰ ذٰلِكَ، بل ولا أرادوا خلاف ما هنالك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. فهو سُبْحَانَهُ لم يزل موصوفاً بإرادته ومريداً في الأزل وجودَ الأشياء في أوقاتها التي قدرها، فوجدت فيها كما علمها وأرادها وقدّرها من غير تقدم ولا تأخر وتبدل وتغير. / شَرْح الفِقْه الأكبر لِعَلِيّ القَارِي ص٣٩. وانظر نحو هٰذَا في: العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة وشرحها لابن أبي العِزّ ص١٣٣.

(٢) المصدر السَّابِق ص٣٢٥.

فإن قيل:

كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يُحبه؟ وكيف يشاؤه ويكوّنه؟ وكيف يجتمع إرادتُه له وبُغْضُه وكراهتُه؟

أُجيب: بأن المُرَاد نوعان: مُرَاد لنفسه، ومُرَاد لغيره.

فالمُرَاد لنفسه: مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخَيْر، فهو مُرَاد إرادةَ الغايات والمَقَاصِد.

والمُرَاد لغيره: قد لا يكون مقصوداً للمُريد، ولا فيه مصلحةٌ له بالنَّظَر إلىٰ ذاته. وإن كان وسيلةً إلىٰ مقصوده ومُرَاده، فهو مكروه له من حيث نفسُه وذاتُه، مُرَاد له من حيث إفضاؤه وإيصالُه إلىٰ مُرَاده. فيجتمع فيه الأمران: بغضُه وإرادتُهُ، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما. وهٰذَا كالدواء الكَريه، إذا عَلِمَ المتناوِلُ له أَنَّ فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل إذا عَلِم أَنَّ في قطعه بَقَاءَ جسده، وكقطع المسافة الشاقة إذا عَلِمَ أنها توصل إلىٰ مُرَاده ومحبوبه.

بل العاقل يكتفي في إيثار هٰذَا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف بمن لا يخفَىٰ عليه خافية.

فهو سُبْحَانَهُ يَكره الشيءَ، ولا يُنافي ذٰلِكَ إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلىٰ أمر هو أَحَبُّ إليه من فوته، من ذٰلِكَ: أنه خَلَقَ إبْلِيْس الذي هو مادة فساد الأديان والأَعْمَال والاعْتِقَادات والإرادات، وهو سببٌ لشقاوة كثير من العِبَاد، ومع هٰذَا فهو وسيلةٌ إلىٰ محابّ كثيرة للرب تعالىٰ ترتبت علىٰ خلقه، منها: أن تظهر للعِبَاد قدرة الرب تعالىٰ علىٰ خلق المتضادات، ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية مثل القَهَّار والمُنْتَقِم،

وحَدِيْث: **إن الله كره لكم ثلاثاً...** إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ وصَحِيْح مُسْلِم وأَحْمَد والدَّارِمِيّ وغيرهم.

وحَدِيْث: **إن الله يحب أن يؤخذ برُخَصه...** إلخ، رواه أَحْمَد وغيره بسند صَحِيْح.

انظر تَخْرِيْج الحَدِيْثَيْن في هامش شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة السَّابِق.

ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعَفوه ومغفرته وستره[١].

٣، ٤- السمع والبصر

السمع: صفة أزلية شأنُها إدراكُ كل مسموع، وإن خفي[٢].

فهي صفة تَنْكَشِف بها المسموعات من غير آلة. فلا يَغْرُب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يحجب سمعَه بُعْدٌ، ويسمع من غير أصمخة وآذان.

وضدها: الصَّمَم.

البصر: صفة أزلية شأنُها إدراكُ كل مُبْصَر، وإن لطف[٣].

فهي صفة تَنْكَشِف بها المرئيات من غير آلة، فلا يغيب عن بَصرِهِ مرئي وإن دَقَّ، ولا يدفع رؤيته ظلام، ويَرىٰ من غير حَدَقة وأجفان.

وضدها: العَمَىٰ.

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٣٢٧-٣٢٩.

وفي شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص١٣٧: مَذْهَب أهل الحق أن كلَّ ما أراد الله تعالىٰ فهو كائن، وأن كل كائن فهو مُرَاد له، وإن لم يكن مرضياً ولا مَأْمُوْراً به، بل منهياً عنه، وهٰذَا ما اشتهر من السَّلَف: أن ما شاء الله كانَ، وما لم يشأ لم يكن. وخالفت المُعْتَزِلَة... .

(٢) المُسَامَرَة ص٦٨.

ذكر الرَّازِيّ أن المُسْلِمِيْن اتفقوا علىٰ أنه سَمِيْع بَصِيْر، لٰكِنهم اختلفوا في معناه علىٰ قولين:

الأول: إنهما صفتان زائدتان علىٰ العلم، وهو قول الجُمْهُوْر من الأَشَاعِرَة ومن المُعْتَزِلَة والكَرَّامِيَّة.

الثاني: إنهما عبارة عن علمه تعالىٰ بالمسموعات والمبصَرات، وهو قول الفَلَاسِفَة والكَعْبِيّ وأبي الحُسَيْن البَصْرِيّ.

المُحَصِّل للرَّازِيّ ص١٧١. وانظر: كَشْف المُرَاد ص٣١٤.

(٣) المُسَامَرَة السَّابِق.

فهاتان الصفتان ليستا محدودتين. خلافاً لسمع الإنسان وبصره.

وانكشاف جميع الموجودات بالسمع والبصر يغاير الانكشاف بالعلم، كما أن الانكشاف بإحداهما يغاير الانكشاف بالأُخرىٰ[١]، ولكلٍّ حقيقةٌ يُفوَّض علمُها لله تعالىٰ، وليس الأمر علىٰ ما نعهده من أن البصر يفيد بالمشَاهدة وضوحاً فوق العلم، بل جميع صفاته تامةٌ كَامِلَة، يستحيل عليه الخفاءُ والزِّيَادَة والنقصُ إلىٰ غير ذٰلِكَ[٢].

الدليل العقلي علىٰ ذٰلِكَ:

أ- السمع والبصر صفتا كَمَال، وقد اتصف بهما المخلوق، فهو تعالىٰ الأَحَقُّ بالاتصاف بهما. وإلَّا لزم أن يكون للمخلوق من صفات الكَمَال ما ليس للخَالِق[٣].

ب- هو أن الله تعالىٰ لو لم يتصف بالسمع والبصر، لزم أن يتصف بضدهما، وإذا ثبت اتصافه بضدهما، كان ذٰلِكَ نقصاً، والنقص عليه محال[٤].

فثبت اتصافه بالسمع والبصر.

ج- لو ثبت اتصافه بالصَّمَم والعَمَىٰ، لكان ذٰلِكَ نقصاً.

ولو كان ناقصاً، لاحتاج إلىٰ من يكمله، ومكمله يحتاج إلىٰ مكمل آخر... وهٰكَذَا، فيلزم الدَّوْر أو التسلسل، وكلاهما باطل.

الدليل النقلي:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ - الحج ٧٥، ولقمان ٢٨.

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٨١ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٢.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٢.

(٣) المُسَامَرَة ص٦٩.

(٤) انظر: المُسَامَرَة ص٦٩ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٧٠ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٩٨.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ - الشُّوْرَىٰ ١١.

تعلق السمع والبصر:

اختلف العُلَمَاء في متعلَّق السمع والبصر علىٰ قولين:

القول الأول: السمع والبصر يتعلقان بكل الموجودات: الأصوات والذوات. وهو قول السَّنُوْسِيّ[١] والدَّرْدِيْر[٢]. فسمعه وبصره تعالىٰ يخالفان سمعنا وبصرنا في التعلق، لأن سمعنا يتعلق ببعض الموجودات وهي الأصوات المسموعة، وبصرنا يتعلق ببعض الموجودات كالأجسام وألوانها[٣].

وللسمع والبصر علىٰ هٰذَا القول - إنهما يتعلقان بكل موجود - ثلاثُ تعلقات:

أ- **تعلق تَنْجِيْزِيّ** قديم، وهو التعلق بذات الله تعالىٰ وصفاته.

ب- **تعلق صُلُوحِيّ** قديم، وهو التعلق بنا قبل وجودنا.

ج- **تعلق تَنْجِيْزِيّ** حادث، وهو التعلق بنا بعد وجودنا[٤].

القول الثاني: صفة السمع تتعلق بالمسموعات، وصفة البصر تتعلق بالمبصَرات. وهو قول السَّعْد التَّفْتَازَانِيّ[٥]. لٰكِن احتمل قوله تَفْسِيْرَيْن:

أ- إن مُـرَاده بالمسموعات في حقنا وهي الأصوات، والمبصَرات في حقنا وهي الذوات والألوان. فيكون مخالفاً للسَّنُوْسِيّ ومن تبعه.

---

(١) شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٠٩ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣١ نَقْلاً عنه.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٨٠.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٨١.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٤٩.

(٥) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٢.

ب- أن يكون مُـرَاده المسموعات في حقه تعالىٰ وهي الموجودات: الأصوات وغيرها، والمبصَرات في حقه تعالىٰ وهي الموجودات: الذوات وغيرها. فيكون موافقاً للسَّنُوْسِيّ[١].

أما المَعْدُوْمَات فلا تتعلقان بها بالاتفاق، إذْ لا يعقل ذٰلِكَ، وإلَّا كانت من قبيل الموجودات[٢].

٥- العلم

صفة أزلية تَنْكَشِف المَعْلُوْمَات عند تعلقها بها[٣].

وضدها: الجهل وما في معناه، كالظن والشك والوهم والذهول والغفلة والنسيان والسهو[٤].

الدليل العقلي علىٰ ذٰلِكَ:

أ- الله فاعل فعلاً متقَناً محكَماً، وهٰذَا ظَاهِر لمن نظر في الآفاق والأنفس والأحياء، ومن كان فعله متقَناً كان عالماً.

لأن من رأىٰ خَطّاً حَسَناً يتضمن ألفاظاً عَذْبَة رشيقة، تدل علىٰ معانٍ دقيقةٍ، علم بالضرورة أن كاتبه عالِم، فالنتيجة أن اللهَ تعالىٰ عالِم[٥].

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٢، وانظر ص١٤٨.

(٢) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٢٨و١٤٠.

(٣) شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة ص٨٣.

(٤) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٤٨.

(٥) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٦٥ والمَقَاصِد وشرحه ج٤ ص١١٠. وانظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٧ والمُسَامَرَة ص٥٩ والمَطَالِب العالية ج٣ ص١٠٧ وكَشْف المُرَاد ص٣٠٩ والمَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص٦٩. وقال الشَّهْرَسْتَانِيّ في نِهَايَة الإقدام ص٦٧: وهٰذِهِ طريقة الشيخ أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ.

وهٰذَا يفيد أن الله تعالىٰ لو لم يكن عالِماً، لكان جاهلاً.

ولو كان جاهلاً، لما وجد هٰذَا العالَم علىٰ هٰذَا النِّظَام الدقيق، الذي يَدُلّ علىٰ أن خَالِقه عالم بها تقتضيه مصلحته علماً كَامِلاً.

فثبت أن الله تعالىٰ عالِم.

ب- لو كان جاهلاً، لكان ناقصاً، لأن العلم صفة كَمَال، والجهلَ صفة نقصانٍ، والنقص علىٰ الإلٰه محال[١].

ج- لو كان ناقصاً لاحتاج إلىٰ من يكمله، ومكمله يحتاج إلىٰ مكمل آخر... وهٰكَذَا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت علمه تعالىٰ[٢].

الدليل النقلي:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ - لقمان ٢٣.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ - البقرة ٢٩.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ - المائدة ١٠٩و١١٦.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ - الأنعام ٥٩.

تعلق العلم:

١- يتعلق العلم بجميع المفهومات وجودية كانت أو عَدَمية. أي: بالممكنات

---

(١) شَرْح قَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا علىٰ المُسَايَرَة ص٦٠ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٩٥.

(٢) انظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٧.

والواجبات والمستحيلات[١]، فهو يعلم أزلًا كل الأشياء وجزئياتها تفصيلًا وإجمالًا[٢].

٢- تعلق العلم تَنْجِيْزِيّ قديم:

فهو تعالىٰ عالم بالأشياء أزلاً علىٰ ما هي عليه. وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحاضر، أو توجد في المستقبل، أطوار في المَعْلُوْمَات، لا توجب تغيراً في تعلق العلم. فالمتغير هو صفة المَعْلُوْم لا تعلق العلم.

وليس لها تعلق صُلُوحِيّ، وإلَّا لزم الجهل، لأن الصالح للعلم ليس بعالم. ولا تعلق تَنْجِيْزِيّ حادث، لأنه يستلزم سبق الجهل[٣].

٦- الكلام

صفة تَدُلُّ علىٰ جميع المَعْلُوْمَات.

وسيأتي اختلاف المتكلمين في تحديد هٰذِهِ الصفة.

وضدها: البَكَم.

الدليل العقلي علىٰ ذٰلِكَ:

هو أنه تعالىٰ لو لم يكن متكلماً، للزم أن يتصف بضده وهو الخَرَس.

واتصافه بضده نقص، وهو باطل، لأن النقص لا يرضىٰ به المخلوق، فكيف

---

(١) المُسَامَرَة ص٦٢ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٧٠ وشَرْح المَقَاصِد ج٤ ص١١٨ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٦ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٠٦.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٦.

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٦ تبعاً للسَّنُوْسِيّ وصَحَّحَهُ، ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٤٨.

بالخَالِق؟ فثبت اتصافه بصفة الكلام[١].

وأجمع الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ علىٰ أنه تعالىٰ متكلم، وتواتر عنهم إثبات أنه تعالىٰ متصف بالكلام، فقالوا: أمر تعالىٰ بكذا ونهىٰ عن كذا وأخبر بكذا، وكل ذٰلِكَ من أقسام الكلام[٢].

الدليل النقلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ - النساء ١٦٤.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ - الشُّوْرَىٰ ٥١.

اختلاف المتكلمين في كلامه تعالىٰ:

لا خلاف لأرباب المِلَل والمَذَاهِب في كون الباري تعالىٰ متكلماً، وإنما الخلاف في معنىٰ كلامه وفي قِدَمه وحدوثه[٣].

اختلف المتكلمون في كلامه تعالىٰ علىٰ أقوال[٤]، أشهرها ما ذكره أَهْل السُّنَّة، والمُعْتَزِلَة، والشِّيْعَة الإمَامِيَّة، ومبتدعة الحَنَابِلَة، والكَرَّامِيَّة.

١- أَهْل السُّنَّة ومنهم الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة:

قالوا: كلامه تعالىٰ نوعان:

أ- كلام نفسي: وهو الكلام حقيقة، المعبَّر عنه بالألفاظ، ليس من جنس الأصوات

---

(١) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٥٣. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٤ ص١٤٣-١٤٤ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١٠١.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف وحَاشِيَة عبد الحَكِيْم عليه ج٨ ص٩١.

(٣) شَرْح المَقَاصِد ج٤ ص١٤٤. وانظر: المُحَصِّل للرَّازِيّ ص١٧٢.

(٤) انظر تسعة أقوال في معنىٰ الكلام في: شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص١٧٢ ونقلها عنه عَلِيّ القَارِي في شَرْح الفِقْه الأكبر ص٥٨.

والحروف، بل صفة أزلية قائمة بذاته تعالىٰ، منافية للسكوت والآفة، كما في الخَرَس والطفولية، وهو بها آمرٌ ناهٍ مخبرٌ وغير ذٰلِكَ[1]، وهو قديم (لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالىٰ). وهو قائم بذاته تعالىٰ[2].

والكلام النفسي هو:

غير العبارات: إذْ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام[3]، ولا يختلف في ذٰلِكَ المعنىٰ النفسي، بل قد يَدُلّ عليه بالإشارة والكتابة، كما يَدُلّ عليه بالعبارة والطلب، الذي هو معنى قائم بالنفس، وَاحِد لا يتغير مع تغير العبارات، ولا يختلف باختلاف الدلالات[4].

وغير العلم: إذْ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه، بل يعلم خلافه، أو يشك فيه[5].

وغير الإرادة: إذْ قد يأمر الرجل بما لا يريده، كالمختبِر لعَبْدِهِ، هل يعطيه أم لا؟[6].

---

(١) شَرْح المَقَاصِد ج٤ ص١٤٤. وانظر: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٩٣ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٩.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٩٣و٩٥.

(٣) اختلاف العبارات بالأزمنة، لأن التعبير عن إرسال زَيْد مثلًا قبل وقوعه يكون بـ(ترسل)، وبعد وقوعه يكون بـ(أرسلنا).

واختلافها بالأمكنة، لأن الإشارة إليه إذا كان قريباً يكون بـ(هٰذَا)، وإذا كان متوسطاً يكون بـ(ذاك)، وإذا كان بعيداً يكون بـ(ذٰلِكَ).

واختلافها بالأقوام، لأن التعبير بالعَرَبِيّ في القُرْآن، وبالسُّرْيَانِيّ في الزَّبُور، وبالعِبْرِيّ في التوراة، وباليُونانِيّ في الإنجيل. / حَاشِيَة عبد الحَكِيْم علىٰ شَرْح المَوَاقِف ج٨ ص٩٣-٩٤.

(٤) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٩٣-٩٤.

(٥) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٩٣-٩٤ والمُسَامَرَة ص٧٧.

(٦) المَوَاقِف وشرحه السَّابِق.

والكلام النفسي صورة للعلم الذاتي في النفس، كما أن العلم صورة للمَعْلُوْم فيها، ولذا كان كلامه تعالىٰ لا نِهَايَة له كعلمه[١].

وذٰلِكَ لأن الكلام النفسي ثَابِت لُغَة، لأنه شاع إطلاق اسم الكلام والقول علىٰ المعنىٰ القائم بالنفس، يقولون: (في نفسي كلام)، و(زَوَّرْتُ في نفسي مَقَالَة)، وقال الأَخْطَل:

إنَّ الكلامَ لَفي الفؤادِ وإنما جُعِلَ اللِّسَانُ علىٰ الفؤاد دليلا

وفي القُرْآن الكَرِيْم: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ - المجادلة ٨[٢].

ب- كلام لفظي: وهو أصوات وحروف. وهٰؤُلَاءِ يقولون بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالىٰ، وهو القُرْآن الكَرِيْم وسائر الكتب المنزلة[٣].

فالقُرْآن بمعنىٰ الكلام النفسي ليس بحادث، وأما القُرْآن بمعنىٰ اللفظ الذي نقرؤه فهو حادث. لٰكِنه يمتنع أن يقال: القُرْآن حادث، إلَّا في مقام التَّعْلِيْم، لأنه ربما أوهم أن القُرْآن بمعنىٰ كلامه تعالىٰ النفسي حادث. ولذٰلِكَ ضُرب الإمَام أَحْمَد بن حَنْبَل، وحُبس علىٰ أن يقول بخلق القُرْآن فلم يرضَ[٤].

٢- المُعْتَزِلَة والشِّيْعَة الإمَامِيَّة:

كلامه تعالىٰ أصوات وحروف، ولٰكِنها ليست قائمة بذاته تعالىٰ، بل يخلقها اللهُ في غيره كاللوح المحفوظ أو الملك جِبْرِيْل أو النَّبِيّ، وهو حادث[٥].

---

(١) من تَعْلِيْقات السَّيِّد مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا علىٰ رِسَالَة التَّوْحِيْد لمُحَمَّد عَبْدُه ص٤٥.

(٢) شَرْح المَقَاصِد ج٤ ص١٥٠. وانظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠ والإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص١١٠ وتَمْهِيْد الأوائل ص٢٨٤.

(٣) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف وحَاشِيَة عبد الحَكِيْم عليه ج٨ ص٩٣-٩٤.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠. وانظر: أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١٠١.

(٥) المَوَاقِف ج٨ ص٩٢-٩٣ وشَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٧٩ والمُسَامَرَة

فمعنىٰ كونه تعالىٰ متكلماً عندهم: أنه خَالِق للكلام في بعض الأجسام، لزعمهم أن الكلام لا يكون إلَّا بَحْروف وأصوات، فكلام الله تعالىٰ عندهم حادث[1].

فالمُعْتَزِلَة يقولون إن الكلام لا يكون إلَّا حروفاً وأصواتاً، وحينئذٍ فلا يتصف به المَوْلَىٰ بحيث يكون قائماً به، لئلا يلزم قيام الحوادث به[2].

وبقول المُعْتَزِلَة قال الإمَامِيَّة[3]، والزَّيْدِيَّة[4]، والإبَاضِيَّة[5]: إن الكلام قائمٌ بغيرهِ تعالَىٰ لا بذاته.

ورَدَّ عليهم الأَشَاعِرَة:

بأن هٰذَا القول لا ننكره، بل نَقُوْل به، ونسميه كلاماً لفظياً، ونعترف بحدوثه، وعدم قيامه بذاته تعالىٰ، ولٰكِنا نثبت أمراً وراء ذٰلِكَ وهو الكلام النفسي، الذي نعبر عنه

ص٧٧. وانظر: تَمْهِيْد الأوائل ص٢٨٧ والشِّيْعَة بين الأَشَاعِرَة والمُعْتَزِلَة لهَاشِم الحَسَنِيّ ص١٨٩ نَقْلاً عن كَشْف الحق للعَلَّامة الحِلِّيّ ص١٨و١٩ وتَوْحِيْد الصَّدُوْق ص٢٢٨ وأوائل المَقَالَات للشيخ المُفِيْد ص١٩.

ورأي المُعْتَزِلَة في خَلْق القُرْآن في: شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٥٢٧ والفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص١٧٩.

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠. وانظر: حَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن ص١١٤.

(٢) حَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن ص١١٤.

(٣) كَشْف المُرَاد ص٣١٥ والباب الحادي عشر وعليه النَّافِع ص١٦ ومِفْتَاح الباب ص١٢٤ والشِّيْعَة بين الأَشَاعِرَة والمُعْتَزِلَة لهَاشِم الحَسَنِيّ نَقْلاً عن كَشْف الحق للعَلَّامة الحِلِّيّ ص١٨و١٩ وتَوْحِيْد الصَّدُوْق ص٢٢٨ وخُلَاصَة علم الكلام ص١٢٣.

(٤) المَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص٧٧ والأَسَاس لعَقَائِد الأكياس ص١٤٨ وخُلَاصَة علم الكلام السَّابِق.

(٥) مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٦٠ وخُلَاصَة علم الكلام السَّابِق.

بالألفاظ، ونَقُوْل هو الكلام حقيقةً[(١)].

لٰكِن المُعْتَزِلَة قالوا: بأن هٰذَا الذي تسمونه (الكلام النفسي) راجع إلىٰ صفة العلم إن كان المدلول خبراً، وراجع إلىٰ صفة الإرادة إن كان أمراً أو نهياً[(٢)].

وحين ذهب المُعْتَزِلَة إلىٰ هٰذَا الرأي قالوا: القُرْآن كلام الله مخلوق.

وذهب أَيضاً إلىٰ القول بخلق القُرْآن الإمَامِيَّة[(٣)]، والزَّيْدِيَّة[(٤)]، والإبَاضِيَّة[(٥)].

والمُعْتَزِلَة رأوا أن مَقَالَة أَهْل السُّنَّة، بأن القُرْآن كلام الله غير مخلوق، قد يتخذه النَّصَارَىٰ حُجَّة للتشكيك، لحمل المُسْلِمِيْن علىٰ اعْتِقَاد: أن المَسِيْح إلٰه أو قديم قِدَم الإلٰه.

روي عن (يوحنا الدِّمَشْقِيّ) الذي كان في خدمة الأُمَوِيّين إلىٰ عهد هِشَام بن عبد الملك، أنه كان يلقن بعض المَسِيْحِيّين، ليجادلوا المُسْلِمِيْن، فيقول: (إذا سألك المُسْلِم: ما تقول في المَسِيْح؟ فقل: إنه كلمة الله. ثم ليسأل النَّصْرَانِيّ المُسْلِمَ: بم سُمِّيَ المَسِيْح في القُرْآن؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتىٰ يجيبه المسلم، فإنه سيضطر إلىٰ أن يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ - النساء ١٧١. فليسأله عن كلمة الله وروحه، أمخلوقة هي أم غير مخلوقة؟ فإن قال مخلوقة، فليرد عليه: بأن الله كان ولم تكن كلمة ولا روح. فإن قلت ذٰلِكَ فَسَيُفْحَم

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٩٣ والمُسَامَرَة ص٧٧ وشَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٧٩.

(٢) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٣١.

(٣) خُلَاصَة علم الكلام ص١٣٤.

(٤) المصدر السَّابِق.

(٥) شَرْح عَقِيْدَة التَّوْحِيْد لأَطَّفَيِّش ص٢٠٥ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٥٨ والحق الدامغ ص٩٧. وذكر الجَعْبِيْرِيّ في البُعْد الحَضَارِيّ ص٣٥٢-٣٥٤ الخلاف بين عُلَمَاء الإبَاضِيَّة في مَسْأَلَة خلق القُرْآن.

المُسْلِمُ، لأن من يرىٰ هٰذَا الرأي زنديق في نظر المُسْلِمِيْن)[١].

والمُعْتَزِلَة حين قالوا بخلق القُرْآن، لم يكن في الحقيقة رداً علىٰ النَّصَارَىٰ، وإنما صدر عن مَسْأَلَة فلسفية تتضح فيما قدمناه من رأيهم في صفة الكلام. ولٰكِن مع هٰذَا رأوا: أن القول بأن القُرْآن غير مخلوق، قد يؤدي إلىٰ ما يضاهي قول النَّصَارَىٰ في المَسِيْح، وإلىٰ القول بتعدد القدماء، كما هو مَعْلُوْم من قولهم بنفي الصفات كما تقدم.

أما الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ - النساء ١٧١. فإن معنىٰ (كلمته) فيها هو:

أنه حصل بكلمة (كن)، من غير مادة معتادة، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾- يس ٨٢. وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾- آل عِمْرَان ٥٩.

قال الإِمَام الغَزَالِيّ: لكل مولود سبب قريب وبعيد، فالأول: المَنِي، والثاني: قول كن. ولما دل الدليل علىٰ عدم القريب في حق عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أضافَهُ إلىٰ البعيد، وهو كن، إشارة إلىٰ انتفاء القريب. وأوضحه بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ - النساء ١٧١، أي: أوصلها إليها، وحصلها فيها، فجعله كالمني الذي يُلقىٰ في الرحم[٢].

أَسَاس الخلاف بين المُعْتَزِلَة وأَهْل السُّنَّة في مَسْأَلَة الكلام:

قال التَّفْتَازَانِيّ في شَرْح المَقَاصِد مبيناً أَسَاس الخلاف بين المُعْتَزِلَة وأَهْل السُّنَّة:

---

(١) تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٥٩ ونقل النص عن كتاب تُرَاث الإسلام. وأشار إليه البُوْطِيّ في كبرىٰ اليقينيات الكونية السَّابِق.

(٢) روح المعاني ج٦ ص٢٤، وانظر ج٣ ص١٦٠. وقول الغَزَالِيّ في كتابه: الرد الجميل لإلٰهِيَّة عِيسَىٰ بصَرِيْح الإنجيل ص٥٨-٥٩.

(وهو في التَّحْقِيْق عائد إلىٰ إثبات كلام النفس ونفيه، وأن القُرْآن هو المتلوّ هٰذَا المؤلَّف من الحروف الذي هو كلام حسي. وإلَّا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي - أي: اللفظي -، ولا لهم في قِدَم النفسي لو ثبت - أي: عندهم بالدليل القطعي -)[١].

إذن فالخلاف القائم بين أَهْل السُّنَّة والمُعْتَزِلَة ينحصر في تسمية الكلام النفسي.

فالمُعْتَزِلَة يقولون: بأن الكلام النفسي لا يسمىٰ كلاماً، وإنما هو راجع إلىٰ صفة الإرادة إن كان المدلول أمراً أو نهياً، وراجع إلىٰ صفة العلم إن كان خبراً.

أي: أَنَّ هناك معنى لألفاظ القُرْآن الكَرِيْم يتكون منه الأمر والنهي والإخبار المتوجه إلىٰ الناس، فاسم هٰذَا المعنىٰ عند المُعْتَزِلَة هو الإرادة إذا كان أمراً أو نهياً، والعلم إذا كان إخباراً.

أما أَهْل السُّنَّة فيقولون نسميه الكلام النفسي، وهو صفة زائدة علىٰ الإرادة والعلم، قائمة بذاته تعالىٰ[٢].

وجعل البعضُ الاختلافَ لفظياً[٣].

---

(١) شَرْح المَقَاصِد ج٤ ص١٤٦. وانظر: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٩٥ والمُعْتَقَد الإيْمَانِيّ شَرْح منظومة الشَّيْبَانِيّ ص١٥-١٦. وما بين الشرطتين من تَفْسِيْر هو لِعَلِيّ القَارِي في شَرْح الفِقْه الأكبر ص٥٢.

وقال التَّفْتَازَانِيّ في شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة ص٩٢: (وتَحْقِيْق الخلاف بيننا وبينهم يرجع إلىٰ إثبات الكلام النفسي ونفيه، وإلَّا فنحن لا نَقُوْل بقدم الألفاظ والحروف، وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي. ودليلنا ما مَرَّ أنه ثبت بالإجماع وتواتر النقل من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنه تعالىٰ متكلم، ولا معنىٰ له سوىٰ أنه متصف بالكلام، ويمتنع قيام اللفظ الحادث بذاته تعالىٰ، فتعين النفسي القديم...). ونقله عنه عَلِيّ القَارِي في شَرْح الفِقْه الأكبر ص٤٩.

(٢) انظر: كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٣١. وهو في المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٩٥.

(٣) وَضَّح أبو يَعْقُوْب الوَارْجَلَانِيّ في الدليل طريقي القائلين بخلق القُرْآن وقدمه. فذكر أن

٣- مبتدعة الحَنَابِلَة:

كلامه تعالىٰ عبارة عن حرف وصوت، يقومان بذاته تعالىٰ، وهو قديم، حتىٰ غلا بعضهم جهلاً، فقال: الجِلْد والغلاف قديمان، فضلاً: عن المُصْحَف[١].

وهو قول باطل بالضرورة، لأن حصول كل حرف ووجوده لا يمكن تَحَقُّقُهُ إلَّا بعد انْقِضَاء الحرف الذي قبله، فيكون الحرف الأول منقضياً، ويكون الذي بعده أول. وقد علمنا أن ما ينقضي ويتناهىٰ أو يكون له أول، لا يمكن أن يكون قديماً، فيكون حادثاً[٢]، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

٤- الكَرَّامِيَّة:

وهٰؤُلَاءِ وافقوا الحَنَابِلَة في أن كلامه تعالىٰ حروف وأصوات، ولٰكِنهم سمّوا ذٰلِكَ قولاً له، وسلَّموا أنه حادث، وقالوا: هو قائم بذاته، لتجويزهم قيام الحوادث به وهو باطل[٣]. لأن ما يقوم به الحادث فهو حادث، وقد ثبت أَنَّ الله تعالىٰ قديم فيما تقدم.

القائلين بخلق القُرْآن قصروا علىٰ القُرْآن المتلو المحفوظ في الصدور، وأن القائلين بقدمه قصروا علىٰ القُرْآن القديم الذي هو علم الله وصفته. وعلَّق عليه الشيخ إبْرَاهِيْم أَطَّفَيِّش بأن الاختلاف لفظي بين الفريقين لا غير. / البعد الحَضَارِيّ ص٣٩٥.

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٩٢ والمُسَامَرَة ص٧٧. وانظر: شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٧٩ وشَرْح الفِقْه الأكبر لِعَلِيّ القَارِي ص٣٨.

(٢) شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا، والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف، السَّابِقَة.

(٣) المُسَامَرَة، والمَوَاقِف، وشَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا، السَّابِقَة. وقال التَّفْتَازَانِيّ في شَرْح المَقَاصِد ج٤ ص١٤٥: (ذهب الكَرَّامِيَّة إلىٰ أن المُنْتَظَم من الحروف المسموعة مع حدوثه قائم بذات الله تعالىٰ، وأنه قول الله تعالىٰ لا كلامه، وإنما كلامه قدرته علىٰ التكلم، وهو قديم).

تعلق صفة الكلام:

تتعلق صفة الكلام بالواجبات والممكِنَات والمستحيلات[١]، لأن تعلقها **تعلق** دلالة وبَيَان أو أمر ونهي، وقد احتوىٰ بَيَانه تعالىٰ وأمره ونهيه الحَدِيْث عن الواجب والممكن والمستحيل، كما تشهد بذٰلِكَ آيات القُرْآن الكَرِيْم[٢].

٧- الحياة

صفة أزلية توجب صحة العلم والإرادة وبَاقِي صفات المعاني والمعنوية[٣]. وليس معنىٰ الحياة في حقه تعالىٰ، ما يقوله الطبيعي من قوة الحس ولا قوة التغذية ولا القوة

---

(١) شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ ص١١٢.

(٢) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٣٦-١٣٧.

كلامه تعالىٰ صفةٌ وَاحِدَة لا تعدد فيها، لٰكِن لها أقسام اعتبارية: فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلاً: أمرٌ. ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلاً: نهيٌ. ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا مثلاً: خبرٌ. ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة: وعدٌ. ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار: وعيدٌ. إلىٰ غير ذٰلِكَ. وتعلقه بالنسبة لغير الأمر والنهي تعلّقٌ تَنْجِيْزِيٌّ قديم. أما بالنسبة للأمر والنهي: فإن لم يُشترط فيهما وجود المَأْمُوْر والمنهي فكذٰلِكَ (أي: تَنْجِيْزِيٌّ قديم). وإن اشتُرِطَ فيهما ذٰلِكَ كان التعلّق فيهما صُلُوحِيّاً قبل وجود المَأْمُوْر والمنهي، وتَنْجِيْزِيّاً حادثاً بعد وجودهما. / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٧٢.

ذكر الرَّازِيّ أن العقلاء اتفقوا علىٰ أنه حيٌّ، **لٰكِن العُلَمَاء اختلفوا في معنىٰ كونه حيّاً علىٰ** قولين:

الأول: إنه صفةٌ، وهو مَذْهَب الجُمْهُوْر من الأَشَاعِرَة والمُعْتَزِلَة.

الثاني: معناه هو أنه لا يستحيل أن يكون عالماً قَادِراً، فليس هناك إلّا الذات المستلزمة لانتفاء الامتناع، وهو قول الجُمْهُوْر من الفَلَاسِفَة، وأبي الحُسَيْن البَصْرِيّ من المُعْتَزِلَة. / المُحَصّل للرَّازِيّ ص١٦٧. وانظر: كَشْف المُرَاد ص٣١٣.

التابعة للاعْتِدَال النوعي التي تفيض عنها سائر القوىٰ الحيوانية[١]، ثم إن حياة الله بلا روح، بخلاف حياة الحادث فإنها بالروح[٢].

وضدها: الموت.

الدليل العقلي علىٰ ذٰلِكَ:

أ- اللهُ تعالىٰ عالِمٌ قَادِر، وكلُّ عالِمٍ قَادِر حيٌّ بالضرورة، فاللهُ تجبُ له الحياة[٣].

ب- الحياة صفة كَمَال، ونقيضها نقص، والله منزَّه عن النقائص[٤].

ج- اتصافه تعالىٰ بضد الحياة، لا تجعله واهب الحياة، لأن فاقد الشيء لا يعطيه[٥].

فوجود هٰذَا العَالَمِ البَدِيْعِ صنعتُه لن يُتصوَّرَ إلَّا من حيٍّ قَادِرٍ[٦].

الدليل النقلي:

قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ - البقرة ٢٥٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ - غافر ٦٥.

تعلق صفة الحياة:

صفة الحياة لا تتعلق بموجود أو مَعْدُوْم، فلا تستلزم أمراً زائداً علىٰ القيام بمحلها[٧]، كما تقدم في بَيَان معنىٰ التعلق.

---

(١) المُسَامَرَة ص٦٢.

(٢) حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٧٢.

(٣) المَوَاقِف ج٨ ص٨٠ والمَقَاصِد وشرحه ج٤ ص١٣٨ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٩. وانظر: المُحِيْط بالتكليف ص١٢٨.

(٤) شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٦٢.

(٥) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٤٩.

(٦) أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٩٣.

(٧) شَرْح أُمّ البَرَاهِين للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٠٨.

ثانياً: ما يستحيل في حقه تعالى

يستحيل علىٰ الله تبارك وتعالىٰ أضداد الصفات الواجبة له المتقدمة التي أثبتناها وهي:

العَدَم ضد الوجود، والحدوث ضد القِدَم، والفناء ضد البَقَاء، والمماثلة للحوادث ضد المخالفة للحوادث، والافتقار إلىٰ المحل والمخصِّص ضد القيام بالنفس، والتعدد ضد الوحدانية، والعَجْز ضد القدرة، والكراهية ضد الإرادة، والصَّمَم ضد السمع، والعَمَىٰ ضد البصر، والجهل ضد العلم، والبَكَم ضد الكلام، والموت ضد الحياة[1].

الدليل علىٰ ذٰلِكَ:

أن كل قابل الشيء لا يخلو عنه أو ضده.

وهو تعالىٰ قابل لتلك الصفات الواجبة، فلو لم يتصف بها لزم أن يتصف بأضدادها، وهٰذِهِ الأضداد نقائص، والنقص عليه تعالىٰ محال.

فهٰذِهِ الأضداد محالة عليه تعالىٰ[2].

ثالثاً: ما يجوز في حقه تعالى

يجوز في حقه تعالىٰ فعل كل ممكن أو تركه[3]، كالخلق والرحمة والعذاب والإماتة والإحياء... .

فلا يجب عليه شيء، فهو الفاعل المُخْتَار المتصرف في ملكه كيف يشاء، لا يشاركه

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٨٦ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٢٠ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٦٣-١٦٥ تبعاً للسَّنُوْسِيّ، ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٢٧.

(٢) شَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١١٤ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر السَّابِق.

(٣) شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٤٦.

في التصرف، ولا يحول دون تصرفه أحد.

وأفعاله جَميعاً جارية وَفْقَ الحكمة والعَدْل والصواب، سواء علمت تلك الحكمة أو جهلت(١). وهٰذَا ما ذهب إليه الجُمْهُوْر.

وخالف في ذٰلِكَ المُعْتَزِلَة حين قالوا بوجوب بعض الممكنات عليه تعالىٰ، فإنهم قالوا بوجوب الصَّلَاح والأصلح عليه تعالىٰ.

وخالف فيه أَيضاً البَرَاهِمَة حين قالوا باستحالة إرسال الرسل مع أنه من الممكنات(٢).

الدليل العقلي علىٰ قول الجُمْهُوْر:

هو أنه لو وجب عليه تعالىٰ فعل شيء من الممكنات عقلاً، أو استحال عليه عقلاً، لصار الممكن واجباً أو مستحيلاً، وهو باطل(٣).

الدليل النقلي:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ - القصص ٦٨.

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ - الإسراء ٥٤.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ - يُوْنُس ١٠٧.

ومن الجائز عقلاً عليه تعالىٰ رؤيتُه بالأَبْصَار من قبل المُؤْمنين في اليَوم الآخِر.

---

(١) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٢٧ وغَايَة المَرَام في عَقَائِد أهل الإسلام للحاج حَمْدِي الأَعْظَمِيّ ص٣٠.

(٢) حَاشِيَة الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٦٦ عن الأَمِيْر والشَّنَوَانِيّ.

(٣) شَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١١٥ وفيه ذكر البَاجُوْرِيّ أن الذي أوجب عليه تعالىٰ شيءٌ من الممكنات عقلاً هم المُعْتَزِلَة بقولهم بوجوب الصَّلَاح والأصلح عليه تعالىٰ. والذي قال باستحالة شيء من الممكنات عقلاً عليه تعالىٰ هم المُعْتَزِلَة بقولهم باستحالة الرؤية عليه تعالىٰ.

رُؤيـة اللّه تعالى

رؤيـة اللّه تعالى من قِبَـل المُؤْمنين في الآخِـرَة

اختلفت فِرَق المُسْلِمِيْن في رؤية الله سُبْحَانَهُ من قبل المُؤْمِنين في اليَوم الآخِر علىٰ قولين:

القول الأول:

تجوز الرؤية بالأَبْصَار. وهو قول الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة وجُمْهُوْر المُسْلِمِيْن.

قالوا: يُرَىٰ بالأَبْصَار من غير تكيّف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام، ومن غير إحاطة، بل يَحار العبد في العظمة والجَلَال، حتىٰ لا يعرف اسمه، ولا يشعر بمن حوله من الخلائق، فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم، ويتلاشىٰ الكل في جنب عظمة الله تعالىٰ[1].

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩٣. وانظر: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص٩٠-٩١. وفي المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٤٣: (إن الرؤية نوع علم خاص، يخلقه الله تعالىٰ في الحي، غير مشروط بمُقَابَلَة ولا غيرها). وانظر أيضاً: التَّوْحِيْد للمَاتُرِيْدِيّ ص م٣٩ و٧٧ وبَحْر الكلام للنَّسَفِيّ ص٥٦ وأُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١١٦ والإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص١٧٦ وعلم الكلام لابن حَزْم ص٧٥.

قال الإمَام الأَشْعَرِيّ في الإبَانَة ص٢٥: (ونَدِيْنُ بأَنَّ اللهَ يُرَىٰ في الآخِرَة بالأَبْصَار، كما يُرَىٰ القمر ليلة البَدْر، يراه المُؤْمِنون كما جاءت الروايات عن رَسُوْل الله ﷺ). ونحوه في رسالته إلىٰ أهل الثَّغْر ص٢٣٧.

القائلون بالرؤية من الصَّحَابَة: أبو بَكْر وعَلِيّ بن أبي طَالِب وابن مَسْعُوْد ومُعَاذ بن جَبَل وأبو مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ وابن عَبَّاس وابن عُمَر وأَنَس وأبو هُرَيْرَة وزَيْد بن ثَابِت وحُذَيْفَة ومُعَاوِيَة وعَمَّار...

ودليله من المَنْقُوْل:

١- قوله تعالىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ - القيامة. وناضرة: أي: جميلة، ونَاظِرَة: من النَّظَر أي: الرؤية.

ذٰلِكَ لأن النَّظَر:

يفيد الرؤية والمعاينة بالأَبْصَار إذا تعدىٰ بإلىٰ، كما في هٰذِهِ الآية، وفي آية: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾- الأنعام ٩٩.

ويفيد الانتظار إذا تعدىٰ بنفسه، كقوله تعالىٰ: ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ - الحديد ١٣.

ويفيد معنىٰ التفكر والاعتبار إذا تعدىٰ بفي، مثل: قوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾- الأعراف ١٨٥، ومثل: نظرتُ في الكتاب والأمر، أي: تفكرتُ واعتبرتُ.

ويفيد معنىٰ الرأفة إذا تعدىٰ باللام، مثل: نظر السُّلْطَان لفُلَان[1].

ومن التَّابِعِيْن: سَعِيْد بن المُسَيَّب وطاوس ومُجَاهِد وعِكْرِمَة وعبد الرَّحْمٰن بن أبي لَيْلَىٰ وقَتَادَة والسَّبِيْعِيّ والضَّحَّاك بن مُزَاحِم... .

ومن الفُقَهَاء: مَالِك واللَّيْث بن سَعْد والأَوْزَاعِيّ والسُّفْيَانَان وشَرِيْك وابن المُبَارَك والشَّافِعِيّ وأَحْمَد بن حَنْبَل وأبو ثَوْر وإسْحَاق بن رَاهَوَيْه والطَّبَرِيّ وابن خُزَيْمَة وعبد الرَّحْمٰن ابن أبي حَاتِم... وغيرهم.

انظر أسماء هٰؤُلَاءِ وغيرهم والروايات عنهم في: شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٣ ص١٣٢ وما بعدها.

(١) شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص١٧٦ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص١٣٠-١٣١ والإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص١٨٢ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة ص٢٠٩ وحادي الأرواح ص٢٣٠. وانظر: أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١٠٠. وقارن بما ذكره الأَشْعَرِيّ في الإبَانَة ص٣٥.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ - يُوْنُس ٢٦. والحُسْنَىٰ: الجنة، والزِّيَادَة: هي النَّظَر إلىٰ وجهه الكَرِيْم، كما ثبت بحَدِيْث صُهَيْب الصَّحِيْح[1]، قال: إن رَسُوْل الله ﷺ تلا هٰذِهِ الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ - يُوْنُس ٢٦، قال: إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، نادىٰ منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً، يريد أن يُنْجِزَكُموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يُثَقِّل موازيننا، ويُبَيِّضْ وجوهَنا، ويُدخلْنا الجنةَ، ويُجِرْنا من النار؟ قال: فيَكشف لهم الحِجابَ، فينظرون إليه، قال: فوالله ما أعطاهم شَيئاً أَحَبَّ إليهم من النَّظَر إليه، ولا أَقَرَّ بأعينهم[2].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ - الأعراف ١٤٣. والاستدلال بها علىٰ الرؤية من وجوه:

أ- إنه لا يُظَنُّ بكليم الله ورَسُوْله الكَرِيْم، وأعلمِ الناس بربه في وقته، أن يَسأل ما

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢١١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٤١ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩١. وانظر: الغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص٦٢.

قال أبو بَكْر الصِّدِّيْق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الزِّيَادَة النَّظَر إلىٰ وجهه الكَرِيْم. / الإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٤٧.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢١١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٤١.

قال العُلَمَاء: كان التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي لا المرئي، والمعنىٰ: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، وتنتفي معها الريبة، كرؤيتكم القمر، لا ترتابون ولا تمترون. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٤٣.

وحَدِيْث صُهَيْب في: مُسْنَد أَحْمَد، واللفظ له ج٤ ص٣٣٣. وصَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٧٨ باب إثبات رؤية المُؤْمِنين في الآخِرَة ربهم سُبْحَانَهُ، رقم ١٨١. وسُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٥ كتاب صفة الجنة، ١٦ باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالىٰ، رقم ٢٥٥٢، ص٤١٤. وسُنَن ابن مَاجَة في: المُقَدِّمَة، ١٣ باب فيما أنكرت الجَهْمِيَّة، رقم ١٨٧، ج١ ص٦٧. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج١ ص١٢٩: إسناده صَحِيْحٌ. وذَكَرَ مُخَرِّجِيْه.

لا يجوز عليه، بل هو من أعظم المحال[١]، إذ لا يجوز علىٰ أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أَحْكَام الأُلوهية[٢]. فكيف يجوز للمُعْتَزِلِيّ - المُنْكِر للرؤية كما سيأتي - أن يكون أعلم من مُوسَىٰ، فيما يجب لله تعالىٰ ويستحيل عليه، مع أن المقصود من بعثة الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ الدعوة إلىٰ العَقَائِد الحقة والأَعْمَال الصالحة؟[٣].

ب- قال تعالىٰ: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ - الأعراف ١٤٣، ولم يقل: إني لا أُرىٰ، أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظَاهِر، ألا ترىٰ أن من كان في كُمِّهِ حَجَر، فظنه رجل طعاماً، فقال: أَطْعِمْنِيه، فالجواب الصَّحِيْح: أنه لا يُؤكل. أما إذا كان طعاماً، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهٰذَا يَدُلّ علىٰ أن سُبْحَانَهُ مرئي، ولٰكِن مُوسَىٰ لا تحتمل قواه رؤيته في هٰذِهِ الدار - أي: الدنيا -، لضعف قوىٰ البشر فيها عن رؤيته تعالىٰ. يوضحه قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ - الأعراف ١٤٣. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتَّجَلِّي في هٰذِهِ الدار، فكيف بالبشر الذي خُلق من ضَعْفٍ[٤].

٤- قوله تعالىٰ: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ - الأنعام ١٠٣.

ووجه الاستدلال بها: أن الله تعالىٰ إنما ذكرها في سياق التَّمَدُّح، ومَعْلُوْم أن المدح إنما يكون بالصفات الثُّبُوْتِيَّة، ويكون بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه تعالىٰ بنفي

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة ص٢١٣ وحادي الأرواح ص٢٢٣ والمُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٤٠ والإِنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص١٧٧ وتَمْهِيْد الأوائل ص٣٠٢ وأُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص٩٩ والإِرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص١٨٣ وبَحْر الكلام للنَّسَفِيّ ص٥٧.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩٥. وانظر: المَوَاقِف ج٨ ص١١٧.

(٣) المُسَامَرَة ص٤٠-٤١ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص١٦٨. وانظر: الإِبَانَة للأَشْعَرِيّ ص٤١.

(٤) حادي الأرواح ص٢٢٣ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة ص٢١٣. وانظر وجوهاً أُخرىٰ فيهما غير ما ذكرت. وانظر أيضاً: الإِبَانَة للأَشْعَرِيّ ص٤٣.

السِّنَة والنوم المتضمن كَمَال القَيُّوْمِيَّة. وبنفي الموت الذي يتضمن كَمَال الحياة. وبنفي اللُّغُوب والإعياء المتضمن كَمَال القدرة... .

فالآية تدل علىٰ كَمَال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه يرىٰ، ولٰكِن تعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود والجوانب، لا يدرك بالأَبْصَار، ولا يحاط به، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ - طه ١١٠[(١)].

٥- قوله ﷺ: (إنَّ الناسَ قالوا يا رَسُوْل الله: هل نرىٰ ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رَسُوْل الله ﷺ: هل تُضَارُّون في القمر ليلةَ البَدْر؟ قالوا: لا يا رَسُوْل الله. قال: فهل تُضَارُّون في الشمس ليس دونَها سَحَابٌ؟ قالوا: لا يا رَسُوْل الله. قال: فإنكم ترونه كذٰلِكَ)[(٢)].

وعَدَّ ابن القَيِّم في حادي الأرواح رُوَاة من رَوَىٰ رؤية الباري عَزَّ وجَلَّ. فزادوا علىٰ الحد[(٣)]، نحو ثلاثين صَحَابِيّاً[(٤)].

وبعد أن ذكر النَّسَفِيّ وَاحِداً وعشرين من الصَّحَابَة منهم: ابن عُمَر وابن مَسْعُوْد وابن عَبَّاس وصُهَيْب وأَنَس... قال: كلهم رووا عن رَسُوْل الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في إثبات الرؤية، فمن رَدَّ هٰذَا فقد قَصَدَ تكذيب هٰؤُلَاءِ[(٥)].

---

(١) حادي الأرواح ص٢٢٨ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢١٤، وانظر وجوهاً أُخرىٰ فيها أيضاً. وانظر: التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٤٩٢ وما بعدها.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢١٦ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٤٣.

وحَدِيْث: إن الناس قالوا يا رَسُوْل الله... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ، واللفظ له، في: ٩٧ كتاب التَّوْحِيْد، ٢٤ باب قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ - القيامة، رقم ٧٤٣٧. وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٧٩ باب مَعْرِفَة طريق الرؤية، رقم ١٨٢. وكلاهما عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حادي الأرواح ص٢٣١ وما بعدها، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٤٣.

(٤) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢١٧.

(٥) تَبْصِرَة الأَدِلَّة للنَّسَفِيّ ج١ ص٤٠٠، ونقله اللَّامِشِيّ في التَّمْهِيْد ص٨٠.

فالصَّحَابَة اتفقوا علىٰ: أن الله يُرَىٰ في الآخِرَة، لابتهالهم إلىٰ الله سُبْحَانَهُ في طلب لَذَّةِ النَّظَر إلىٰ وجهه الكَرِيْم واعْتِقَادهم بذٰلِكَ، وقد فهموا ذٰلِكَ بقرائن من أحوال رَسُوْل الله ﷺ، وجُمْلَة من ألفاظه الصريحة التي لا تدخل تحت الحَصْر[1].

وقال الإمَام مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لما حُجِب أعداؤه فلم يَروه تجلَّىٰ لأوليائه حتىٰ رأوه، ولو لم يرَ المُؤْمِنون ربهم يوم القيامة، لم يُعَيَّر الكافرون بالحجاب، قال تعالىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ - المطففين ١٥[2].

وقال الشَّافِعِيّ: لما أن حُجِبَ هٰؤُلَاءِ في السُّخْط، كان في هٰذَا دليلٌ علىٰ أن أَوْلِيَاءه يرونه في الرضا[3].

ودليل المَعْقُوْل:

أ- أن الله تعالىٰ موجود، وكل موجود يَصِحّ أن يُرَىٰ، فالباري عَزَّ وجَلَّ يَصِحّ أن يُرَىٰ[4].

ب- كما جاز أن يُعلم الباري عَزَّ وجَلَّ من غير كيفية وصورة، جاز أن يُرَىٰ من غير كيفية وصورة[5].

---

(١) نقل البَاقِلاَّنِيّ في الإنْصَاف ص١٨١ إجماع الصَّحَابَة علىٰ جواز الرؤية في الجُمْلَة، أما الاختلاف فكان في بعض الجزئيات. وذَكَرَ الغَزَالِيّ في كتابه الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد ص٤٦ إمكانية دعوىٰ الاجماع لابتهالهم إلىٰ الله سُبْحَانَهُ في طلب لذة النَّظَر إلىٰ وجهه الكَرِيْم. وانظر من ابتهل بالدعاء في: حادي الأرواح ص٢٥٨.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩١.

(٣) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢١٢ وحادي الأرواح ص٢٢٨. وانظر قول الإمَام الشَّافِعِيّ في كتابه أَحْكَام القُرْآن ص٤٠ وفي شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٣ ص١٨٤.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩١ والإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص١٨١ وتَمْهِيْد الأوائل ص٣٠٢.

(٥) المُسَامَرَة ص٤٣.

القول الثاني:

لا تجوز الرؤية بالأَبْصَار. وهو قول الجَهْمِيَّة[١] والمُعْتَزِلَة[٢] والخَوَارِج[٣] والإِبَاضِيَّة[٤] والإمَامِيَّة[٥] والنَّجَّارِيَّة[٦] والزَّيْدِيَّة[٧] والرَّاوَنْدِيَّة[٨].

ودليل هٰذَا القول من المَنْقُوْل:

قوله تعالىٰ: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ - الأعراف ١٤٣، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ - الأنعام ١٠٣.

ورُدَّ عليهم: بأن هاتين الآيتين دليل عليهم لا لهم كما تقدم[٩].

وزعم الزَّمَخْشَرِيّ - وهو من المُعْتَزِلَة - بأن (لن) تفيد التأبيد، تأييداً لما ذهبوا

(١) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١١٦ والإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص١٧٦ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٤ والمَوَاقِف ج٨ ص٣٩٩ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩و٣٥١ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٠٧.

(٢) شَرْح الأُصُوْل الخمسة ص٢٣٢ والفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٥٤ والإبَانَة للأَشْعَرِيّ ص٥٥ والإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص١٧٦ والتَّمْهِيْد للاَّمِشِيّ ص٨٢ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٠٧ والمَوَاقِف ج٨ ص١١٥ وشَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٣٧.

(٣) الإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص١٧٧ والتَّمْهِيْد للاَّمِشِيّ، وشَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا، وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ، السَّابِقَة.

(٤) مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج١ ص٣٦٢ وشَرْح غَايَة المُرَاد ص٣٦ والحق الدامغ ص٢٥ والبعد الحَضَارِيّ ص٣٠٢.

(٥) كَشْف المُرَاد ص٣٢١ والباب الحادي عشر وشرحه النَّافِع ص٢٢ ومِفْتَاح الباب ص١٣٨. وفي خُلَاصَة علم الكلام ص٢٢١ نصوصٌ تفيد أن الرؤية للمُؤْمنين في الآخِرَة قلبية.

(٦) الإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص١٧٦ والتَّمْهِيْد للاَّمِشِيّ ص٨٢.

(٧) الأَسَاس لعَقَائِد الأكياس ص٧٩ والمَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص٨٢.

(٨) التَّوْحِيْد للاَّمِشِيّ ص٨٢.

(٩) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢١٢.

إليه من استحالة الرؤية. ورُدَّ بما يأتي:

أ- أن (لن) لا تفيد التأبيد، والدليل علىٰ ذٰلِكَ: أن الله تعالىٰ أخبر عن اليَهُوْد بأنهم لن يتمنوا الموت أَبداً، بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ - البقرة ٩٥، مع أنهم يتمنون الموت في الآخِرَة، ليتخلصوا من العذاب: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ - الزخرف ٧٧، فلو كانت (لن) للتأبيد الشَّامل للدنيا والآخِرَة كما يزعم المُعْتَزِلَة لما جاز أن يَتَمَنَّىٰ اليَهُوْد الموت في الآخِرَة.

ب- (لن) للتوكيد، بدلالة قوله: (أَبداً)، قال ابنُ مَالِك:

ومن رأىٰ النفيَ بلَنْ مُؤَبَّدا فقولَه ارْدُدْ وسِوَاهُ فاعَضُدا

وإذا أُريد بها التأبيد فهو علىٰ تأبيد النفي في الدنيا لا بالآخِرَة، بدلالة (لن) في الآية المتقدمة: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ ﴾ - البقرة ٩٥[1].

والدليل علىٰ نفي الرؤية من المَعْقُوْل:

أنه لو كان تعالىٰ مرئياً، لكان مقابلاً للرائي بالضرورة، فيكون في جهة وحَيِّز.

ورُدَّ: بأن لزوم الجهة والحَيِّز ممنوع، لأن الرؤية قوةٌ يجعلها اللهُ في خلقه لا يشترط

---

(١) انظر: شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢١٤ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص١٤٢ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ص١٨٠-١٨١ وأُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص٩٩. والرَّدّ في (أ-) وَرَدَ في بَحْر الكلام للنَّسَفِيّ ص٥٩.

لم يذكر الزَّمَخْشَرِيّ في تَفْسِيْره ولا في كتابه (المُفَصَّل في النَّحْو) أن (لن) تفيد التأبيد، وإنما ذكر أنها تفيد تأكيد النفي. ولٰكِن في بعض نسخ كتابه (الأُنمُوذَج في النَّحْو): أن (لن) للتأبيد. وفي نسخ أُخرىٰ: أنها للتأكيد، كما صرح الأَرْدَبِيْلِيّ في شرحه علىٰ الأُنمُوذَج ص٢٩٢.

وقال بأن (لن) للتأبيد من الإبَاضِيَّة يُوْسُف المُصْعَبي وسَعِيْد بن تعاريت. / البعد الحَضَارِيّ ص٣٢٧.

فيها مُقَابَلَة المرئي ولا كونه في جهةٍ وحَيِّز ولا غير ذٰلِكَ[١].

وأَخِيْراً:

فإن هٰذَا الخلاف ليس بالأمر الخَطِيْر، ما دام الفريقان ينزهان الله تعالىٰ عن الجهة والتجسيم.

فالفريق الذي ينكر الرؤية، يريد بإنكارها تنزيهَ الله تعالىٰ عن الجهة والتجسيم.

والفريق الذي يثبت الرؤية، رأىٰ النصوص والأَدِلَّة صريحة بإثباتها فأثبتها، لٰكِنه ينزه الله تعالىٰ عن الجهة والتجسيم فقال: يُرىٰ من غير كيفية ولا إحاطة.

ثم إن الرؤية التي قالوا بها تكون في الآخِرَة، وأوضاع الآخِرَة لا تُشبه الحياة الدنيا، كما هو مَعْلُوْم.

رؤية الله تعالى في الدنيا

واتفقت الأُمَّة علىٰ أن الله تعالىٰ لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينيه.

إلَّا أنهم اختلفوا في رؤية النَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ بالعين ربه في الدنيا، فمنهم من أثبتها،

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩٢ والمُسَامَرَة ص٤١و٤٣ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص١٧٨ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٩٣.

إلَّا أن شارح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة، وهو ممن يثبتون صفة العلو لله تعالىٰ، بعد أن جاء بأَدِلَّة الرؤية من الكتاب والسُّنَّة، قال في ص٢١٩: (وفيه دليل علىٰ عُلُوّ الله علىٰ خلقه، وإلَّا فهل تُعقل رؤيةٌ بلا مُقَابَلَة، ومن قال يُرَىٰ لا في جهة، فليراجع عقله، فإما أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شيء. وإلَّا فإذا قال: يُرَىٰ لا أَمامَ الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يَسَاره ولا فوقَه ولا تحتَه، رَدَّ عليه كلُّ من سمعه بفطرته السَّلِيْمَة). وانظر: حادي الأرواح ص٢٦٩.

قال الغَزَالِيّ: وهٰذَا قول الحَشْوِيَّة الذين أثبتوا الجهة. / الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد للغَزَالِيّ ص٤٧.

وجوازُ رؤية الباري تعالىٰ عقلاً ووجوبها سمعاً، وعَرْضُ آراء القائلين بالرؤية والمخالفين وحججهم في: نِهَايَة الإقدام ص٣٥٦ والإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص١٦٦.

ومنهم من نفاها، وكل من الفريقين يستدل بالأَدِلَّة السمعية.

ولما كان التنازع في هٰذِهِ المَسْأَلَة مَأْثُوْراً، فقال بكلٍّ منهما بعضُ الصَّحَابَة، ولما كان الاحتمال للقولين ممكناً، فلا يدعو عندئذٍ إلىٰ الجزم بوَاحِد من القولين[1].

القَضَاء والقَدَر[2]

اختلف المتكلمون في تَفْسِيْر القَضَاء والقَدَر علىٰ أقوال متعددة، منها: ما قاله المَاتُرِيْدِيَّة:

القَضَاء: هو إيجاد الله تعالىٰ الأشياءَ مع زِيَادَة الإِحْكَام والإِتْقَان.

والقَدَر: هو تحديد الله تعالىٰ أزلاً كُلَّ مخلوقٍ بحدِّه الذي يوجد عليه من حُسْن وقبح ونفع وضر... إلخ، أي: علمه تعالىٰ أزلاً صفات المخلوقات.

وعليه: فيكون القَضَاء حادثاً، فهو صفة فعل عندهم، لأنه عبارة عن الإيجاد، والإيجاد من صفات الأفعال.

ويكون القَدَر قديماً، لأنه راجع إلىٰ صفة العلم، وهي من صفات الذات.

وقال الأَشَاعِرَة بعكس ذٰلِكَ، فجعلوا تعريف القَضَاء للقَدَر وتعريف القَدَر للقَضَاء[3].

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٢٢ ونقل عن القَاضِي عِيَاض. وانظر كلام القَاضِي عِيَاض في: الشفا ص١٩٥.

(٢) قال اللَّامِشِيّ في التَّمْهِيْد ص١١٣: (مَسْأَلَة القَضَاء والقَدَر، ومَسْأَلَة الهُدَىٰ والإضلال، عَيْن مَسْأَلَة خلق الأفعال، لأن المعنيَّ بقولنا: إن الكفر وغيره من المعاصي بقَضَاء الله وقَدَره، أي: بإحداث الله تعالىٰ وتخليقه، لأن القَضَاء يُذكر ويُراد به التخليقُ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾ - فُصِّلَت ١٢).

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٨٨-١٨٩ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٣٤٥ وحَاشِيَة

فالقَضَاء والقَدَر راجعان لما تقدم من العلم والإرادة وتعلُّق القدرة، لٰكِن لما كان خطر الجهل في هٰذَا الفن عَظِيْماً صرح المتكلمون بهما[1].

الإيمان بالقَضَاء والقَدَر وعلاقته بالجَبر

الإيمان بالقَضَاء والقَدَر رُكْن من أركان الإيمان. وَرَدَ ذٰلِكَ بالحَدِيْث الصَّحِيْح حين جاء جِبْرِيْل يسأل النَّبيّ ﷺ عن الإسلام والإيمان يريد تَعْلِيْم المُسْلِمِيْن أَحْكَام دينهم. قال جِبْرِيْل: (فأَخْبِرْنِي عن الإيمان: قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتُبه ورسُله واليَوم الآخِر، وتؤمن بالقَدَر خَيْره وشره، قال: صَدَقتَ).

والمُرَاد من الإيمان بالقَضَاء والقَدَر هو:

١- التَّصْدِيْق بأن الباري عَزَّ وجَلَّ عالم بالمخلوقات جَميعاً في الأزل، وما يتعلق بها في المستقبل، كعلمه أَزلاً بأن المرء يباشر الأسباب بإرادته واخْتِيَاره المحض، ثم يجازيه علىٰ ما فعل.

٢- التَّصْدِيْق بأن المخلوقات جَميعاً وجدت بإرادته ووَفْـقَ علمه الأزلي. قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ - يس ١٢.

وعلىٰ ذٰلِكَ فلا علاقة بين الإيمان بالقَضَاء والقَدَر، وبين الجَبْر والاخْتِيَار. لأن العلم كاشف عما سيقع.

العَدَوِيّ علىٰ كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٥٣ عن ابن قَاسِم، ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص١٢٣. وتعريف الأَشَاعِرَة في شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص١٨٠. وانظر قول المَاتُرِيْدِيَّة في: أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١٨٤. وبمثل قول المَاتُرِيْدِيَّة فَسَّرَ السدويكشي القَدَر، وعَمْرو التلاتي القَضَاء، وهما من الإبَاضِيَّة. وبمثل قول الأَشَاعِرَة فَسَّرَ مُحَمَّد أَطَّفَيِّش من الإبَاضِيَّة القَضَاء والقَدَر. / البعد الحَضَارِيّ ص٤٢١-٤٢٢.

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٨٩.

ذكر الإمَام النَّوَوِيّ: (قال الخَطَّابِيّ: وقد يحسب كثير من الناس أَنَّ معنىٰ القَضَاء والقَدَر إِجْبَار الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ العبدَ وقهره علىٰ ما قدَّره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه: الإخبار عن تقدّم علم الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدِير منه، وخلق لها خَيْرها وشرها)[1].

سئل عبد الله بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عمَّن يرتكب الموبِقات، ويقولون كان ذٰلِكَ في علم الله، فغضب، وقال: كان ذٰلِكَ في علمه، ولم يكن علمه يحملهم عليها[2]، فالله تعالىٰ يعلم بعلمه الأزلي أن الناس سيختارون طرقاً مُخْتَلِفَة، فيَسَّرَ لهم ما يختارون، وأَقَرَّهم عليه.

فعلمه تعالىٰ لا يعني جَبْرَ الإنسان علىٰ فعلٍ ما، فالأُستاذ مثلاً يعلم مُقَدَّماً أَنَّ التلميذ المهمل سيرسب في الامتحان. فهل يمكن للراسب أن يحتج علىٰ الأُستاذ فيقول له: إن علمك برسوبي هو الذي رسَّبني؟ لا يقول بهٰذَا أحد.

فعلم الله تعالىٰ صفة كاشفة، ليس لها تَأْثِيْر كالقدرة، فلا تعني إجْبَار العبد علىٰ شيء ما.

الأخذ بالأسباب والإيمان بالقَضَاء والقَدَر

والإيمان بالقَضَاء والقَدَر لا ينافي الأخذ بالأسباب: بل علىٰ الإنسان أن يجدَّ ويسعَىٰ.

---

(١) انظر: كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٦٨-١٦٩ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص١٢٣. وانظر: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٣٤٥.

وحَدِيْث جِبْرِيْل: فأَخْبِرْني عن الإيمان... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، أول باب بَيَان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم ٨، عن عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وانظر قول النَّوَوِيّ في شرحه علىٰ صَحِيْح مُسْلِم ج١ ص١٩٩ بهامش إرْشَاد السَّارِي للقَسْطَلَّانِيّ.

(٢) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص١٢٤.

قال تعالىٰ: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ – المُلْك ١٥.

فلا كسل ولا تواكل.

وأمره أن لا يُلقي بنفسه إلىٰ التهلكة. قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ – البقرة ١٩٥.

وأمره أن يجاهد في سَبِيْل الله، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ – التوبة ٤١، وقال تعالىٰ: ﴿ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ – النساء ٧١[١].

ظهور مَسْأَلَة القَضَاء والقَدَر

أُثِيْرت مَسْأَلَة القَضَاء والقَدَر عند عُلَمَاء المُسْلِمِيْن، لما رأوا أن أَدِلَّة الكتاب والسُّنَّة والمَعْقُوْل متعَارِضَة بينها[٢].

فمما يَدُلّ علىٰ أن الإنسان مُجْبَر علىٰ فعله:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ – التوبة ٥١.

ب- قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ – الصافات ٩٦.

ج- قوله ﷺ: (الشقيُّ من شَقِي في بطن أُمه، والسَّعِيْد من وُعِظ بغيره).

د- ومن حجج العقل: أننا لو قلنا بأن العبد مُخَيَّر وهو خَالِق أفعاله، لكانت قدرة الله تعالىٰ محدودة وغير شاملة، وأن العبد شَرِيْك الله تعالىٰ في إيجاد العالم.

ومما يَدُلّ علىٰ أن الإنسان مُخَيَّر ليس مجبوراً:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ – المُدَّثِّر ٣٨.

---

(١) السَّابِق ص١٢٣.

(٢) قال ابن رُشْد في مناهج الأَدِلَّة ص٢٢٣: (إذا تُؤُمِّلَتْ دلائل السمع في ذٰلِكَ وُجِدَت متعَارِضَة، وكذٰلِكَ حجج العُقُوْل).

ب- قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ - الكهف ٢٩.

ج- ومن حجج العقل: أننا لو قلنا بأن الإنسان مُجْبَر، فقدرته لا أثر لها، وإذا لم تكن له قدرة، لم يكن للأوامر والنواهي وللثواب والعقاب معنى[1].

مَذاهِب المُسْلِمِيْن في القَضَاء والقَدَر

قسم العُلَمَاء الأفعال إلىٰ قسمين:

١- أفعال اضطرارية: وهي التي لا قدرة للإنسان ولا اخْتِيَار له فيها، كحركة ارتعاش اليد وحركة الجهاز العَصَبِيّ والهضمي.

وقد اتفقت الفِرَق الإسلامِيَّة جميعها علىٰ أنها مخلوقة لله وليس للعبد دخل فيها، فلا تكليف فيها ولا ثواب ولا عقاب بها.

٢- أفعال اخْتِيَارِيَّة: وهي التي للإنسان فيها قدرة واخْتِيَار كالسَّير والكلام. وهٰذِهِ هي محل الخلاف بين عُلَمَاء الفِرَق الإسلامِيَّة الذين ذهبوا فيها مَذَاهِب مُخْتَلِفَة هي[2]:

أولاً: مَذْهَب الجَبْرِيَّة:

وهم أتباع الجَعْد بن دِرْهَم والجَهْم بن صَفْوَان الرَّاسِبِيّ، وهٰؤُلَاءِ نفوا القدرة والاخْتِيَار والإرادة عن الإنسان، وقالوا: بأن الإنسان مُجْبَر علىٰ جميع أفعاله، فهو كالريشة في مهبّ الريح.

---

(١) انظر: دراسات في الفِرَق ص٢٥٥-٢٥٧.

وحَدِيْث: **الشقيُّ من شقي**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٦ كتاب القَدَر، ١ باب كيفية الخلق الآدمي...، رقم ٢٦٤٥، عن عبد الله بن مَسْعُوْد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) انظر: شَرح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٦٧-١٦٨ و١٧٨ وكبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٦٩ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص١٢٧.

وأن الله تعالىٰ خلق في الإنسان أفعاله بنوعيها الاضطرارية والاخْتِيَارِيَّة التي يخيل إلىٰ بعضهم أنها اخْتِيَارِيَّة، ونسبتها إلىٰ الإنسان علىٰ سَبِيْل المجاز، كما تنسب إلىٰ الجمادات والنباتات، فنَقُوْل: تَغذَّىٰ النبات، وتحرك الحَجَر.

وقالوا: الثواب والعقاب جَبْر، والتكاليف الشَّرْعِيَّة أَيضاً جَبْر.

واستدلوا علىٰ قولهم بالنصوص السَّابِقَة التي تفيد الجَبْر[1].

ورُدَّ:

بأن هٰذِهِ النصوص يجب تأويلها كي تستقيم مع النصوص التي تعارضها، التي تثبت للعبد عَمَلاً يستحق عليه العقاب والثواب والمدح والذم، لأن الله تعالىٰ نفىٰ الظلم عن نفسه، وأنه لا يحاسب إلَّا علىٰ العَمَل الذي اكتسبه العبد.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ - النَّحْل ١١١.

وقولهم هٰذَا يؤدي إلىٰ أنه لا تكليف بالأوامر والنواهي، ولا معنىٰ لإرسال الرسل، ولا فائدة من تَرْتِيْب الثواب علىٰ الطاعات والعقاب علىٰ المعاصي.

ثانياً: مَذْهَب المُعْتَزِلَة:

وهم يُجمعون علىٰ أُمور منها:

---

(١) تقدم الكلام عن رأي الجَبْرِيَّة ومَذْهَبهم في مَبْحَث الفِرَق الإسلامِيَّة. وانظر من المصادر التي ذكرناها: مَقَالَات الإسلامِيِّيْن ج١ ص٣٣٨ والفَرْق بين الفِرَق ص٢١١ وأُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص٣٣٣ والمِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج١ ص٧٣ والتَّبْصِيْر في الدِّيْن ص٩٠ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٩٨ وخِطَط المَقْرِيْزِيّ ج٢ ص٣٤٩ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٧٥ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٨٦ ودراسات في الفِرَق ص٢٦٣ وتاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٠٢ ومُقَدِّمَة مناهج الأَدِلَّة ص١٠٥.

١- أَنَّ العِبَاد هم الذين يخلقون أفعالهم الاخْتِيَارِيَّة بقدرةٍ خلقها اللهُ فيهم[١]، وليس لله تعالىٰ صنع ولا تقدِير فيها لا بإيجاد ولا نفي.

٢- الله عالم أزلاً بأفعال خلقه، فلم يزل عالماً بمن سيؤمن وبمن سيكفر. وهٰذَا يميزهم عن القَدَرِيَّة الخالصة - أتباع مَعْبَد الجُهَنِيّ وغَيْلَان الدِّمَشْقِيّ - الذين أنكروا علم الله الأزلي، فالله عندهم لا يعلم أفعال الفرد إلَّا بعد وقوعها.

٣- الإنسان فاعل مُخْتَار، يَعْمَل بالقدرة الحادثة التي منحتها إياه العِنَايَة الإلٰهِيَّة، فيوجهها حسبما يريد.

٤- أمر الله تعالىٰ وإرادته متلازمان.

فالله تعالىٰ يريدنا أن نُوَحِّدَهُ، وأن نؤمن برسله، ونقيم الصلاة... ويأمرنا بذٰلِكَ، ولا يريد منا المعاصي والكفر ولا يأمر به، وإنما هو من إرادة الإنسان واخْتِيَاره وفعله.

واحتج المُعْتَزِلَة بما يأتي:

لو كان الله تعالىٰ خَالِقاً أفعالَ العِبَاد، والعِبَاد لا اخْتِيَار لهم:

أ- لَبَطَلَ التكليف الشَّرْعِيّ من الأوامر والنواهي.

ب- ولَبَطَلَ الثواب والعقاب.

ج- ولانتفت فائدة بعثة الأنبياء[٢].

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٦٨و١٧٥.

(٢) تقدم الكلام عن رأي المُعْتَزِلَة ومَذْهَبهم في مَبْحَث الفِرَق الإسلامِيَّة. وانظر: دراسات في الفِرَق ص٢٦٨-٢٦٩ ومَذَاهِب الإسلامِيِّيْن لعبد الرَّحْمٰن بَدَوِيّ ج١ ص٤٨ وما بعدها، ومُقَدِّمَة مناهج الأَدِلَّة ص١٠٦.

قال الدَّرْدِيْر في شَرْح الخَرِيْدَة ص٦٢-٦٣: (فبَطَلَ قول الجَبْرِيَّة بأنه لا قدرةَ للعبدِ تُقارِنُ فعلاً له أَصلاً، بل هو مجبورٌ ظَاهِراً وبَاطِناً، كالخيط المعلَّق في الهواء تُميلُه الرياح بلا اخْتِيَار له

ورُدَّ هٰذَا القول:

بأن أفعال العِبَاد الاخْتِيَارِيَّة مخلوقة لله، بدليل:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ - الفُرْقَان ٢، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ - الصافات ٩٦[1]. وبما استدل به الأَشَاعِرَة علىٰ قولهم كما سيأتي.

ثالثاً: مَذْهَب الأَشَاعِرَة:

ويرون أن أفعال الفرد الاخْتِيَارِيَّة مخلوقة لله تعالىٰ، وليس للعبد تَأْثِيْر في إيجادها، وأن الله تعالىٰ يخلق فيه قدرة علىٰ إصدار ذٰلِكَ الفعل للعبد.

فالفعل إبداع وإحداث لله وكسب للعبد[2].

في شيءٍ أَصلاً. وقول القَدَرِيَّة بتَأْثِيْر القدرة الحادثة في الأفعال علىٰ طِبْقِ إرادة العبد. والجَبْرِيَّة كفارٌ قطعاً، لأن مَذْهَبهم ينفي التكليف الذي جاء به الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وفي كفر القَدَرِيَّة خلافٌ، الأَصحُّ عدم كفرهم، لأنهم وإن لزمهم إثبات الشَّرِيْك لله تعالىٰ إلَّا أنهم لما أثبتوا لله تعالىٰ خلقَ العبدِ وقدرتَهُ وإرادتَهُ صار فعلُ العبدِ في الحقيقةِ مخلوقاً له تعالىٰ).

(١) أوضح البَاقِلاَّنِيّ في الإنْصَاف ص١٤٤ وما بعدها، مَذْهَب أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة في أن الخَالِق هو الله تعالىٰ وحده للأشخاص والأفعال...، ورَدَّ علىٰ قول المُعْتَزِلَة والنَّجَّارِيَّة والجَهْمِيَّة والرَّوَافِض بأن أفعال العِبَاد مخلوقةٌ للعِبَاد بقدرة العِبَاد... مع الأَدِلَّة والمناقشات. ونقل عن ابن فُوْرَك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان مع الصاحب بن عَبَّاد في بُسْتَان وكان يعتقد شَيئاً من ذٰلِكَ، فأخذ سَفَرْجَلَةً وقطعها من الشَّجَرَة، وقال له: أَلستُ أنا قطعتُ هٰذِهِ السَّفَرْجَلَةَ؟ فقال له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُجِيْباً: إن كنتَ تزعمُ أنك خلقتَ هٰذِهِ التفرقةَ فيها فاخلق وصلها بالشَّجَرَة حتىٰ تعود كما كانت. فبُهِتَ وتَحَيَّرَ ولم يقدر علىٰ جواب.

(٢) تقدم الكلام عن رأي الأَشَاعِرَة ومَذْهَبهم في مَبْحَث الفِرَق الإسلامِيَّة. وانظر: دراسات في الفِرَق ص٢٦٩ وتاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة ص١٨٤.

والأَشَاعِرَة مع أنهم يقولون بأن الفعلَ خَيْره وشره من الله، قالوا: إن الأَدَبَ أن لا يُنسب لله تعالىٰ إلَّا الخَيْر، أما الشر فإنه يُنسب للنفس كسباً، وإن كان منسوباً لله إيجاداً، قال تعالىٰ: ﴿ مَّآ

والكسب هو اقتران قدرة العبد بفعل الله، بمعنىٰ:

أنَّ الإنسان إذا أراد أن يفعل فعلاً من الأفعال، فإن الله يخلق له في هٰذِهِ اللحظة نفسها قدرةً علىٰ هٰذَا الفعل، وهٰذِهِ الأَخِيْرَة هي التي تكتسبه، لٰكِنها لا تخلقه[١].

أو الكسبُ هو: أَنَّ العبدَ إذا صَمَّمَ العَزْمَ فاللهُ يخلق الفعلَ فيه[٢].

فقدرة العبد مهمتها كسب الفعل، وقدرة الله مهمتها خلق الفعل. وعليه: فإن الإنسان قد منحه اللهُ قدرةً كاسبةً ليس لها تَأْثِيْر في خلق الفعل، وإنما يفيض اللهُ عليها هٰذِهِ القدرةَ الحادثة، فتكتسب الفعلَ بقدرة الله، وهٰذَا القصد هو مناط التكليف والثواب والعقاب[٣]، قال تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ - البقرة ٢٨٦، فالآية صريحةٌ في إثبات الكسب والاكتساب لها.

والقول بالكسب هو قول الإبَاضِيَّة الذين وافقوا الأَشَاعِرَة فقالوا: أفعالنا خلقٌ لله

أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ - النساء ٧٩، أي: كسباً، يفسره قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ - الشُّوْرَىٰ ٣٠. أما قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ - النساء ٧٨، فرجوعٌ للحقيقة، تأَمَّل قول إبْرَاهِيْم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ - الشعراء، فلم يقل إبْرَاهِيْم عَلَيْهِ السَّلَامُ: أمرضني، تأدُّباً، وإلَّا فالكل من الله تعالىٰ. / شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٦٨. وانظر: الإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص١٥٢.

(١) مُقَدِّمَة مناهج الأَدِلَّة ص١٠٨. قال البَغْدَادِيّ في أُصُوْل الدِّيْن ص١٣٣-١٣٤: (وقد ضرب بعضُ أصحابنا للاكتساب مثلاً، في الحَجَر الكَبِيْر، قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر آخر علىٰ حمله منفرداً به، إذا اجتمعا جميعاً علىٰ حمله، كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما بذٰلِكَ عن كونه حاملاً. كذٰلِكَ العبدُ لا يقدر علىٰ الانفراد بفعله، ولو أرادَ اللهُ الانفرادَ بإحداثِ ما هو كسبٌ للعبدِ قَدَرَ عليه ووُجِدَ مقدورُهُ. فوجوده علىٰ الحقيقة بقدرة الله تعالىٰ، ولا يخرج مع ذٰلِكَ المُكتسِب من كونه فاعلاً وإن وُجِدَ الفعلُ بقدرة الله تعالىٰ. فهٰذَا قولٌ مَعْقُوْل).

(٢) طَوَالِع الأَنْوَار ص٢٠٠.

(٣) البعد الحَضَارِيّ ص٤٥٣.

عَزَّ وجَلَّ، وهي لنا اكتسابٌ، فنُثَابُ ونُعاقبُ علىٰ اكتسابنا لا علىٰ خلق الله أفعالنا[١].

والقول بالكسب هو قول المَاتُرِيْدِيَّة[٢]. وقال بالكسب أيضاً تَقِيّ الدِّيْن بن تَيْمِيَّة[٣].

ورأيهم هٰذَا توسط بين الجَبْرِيَّة والمُعْتَزِلَة[٤].

واستدلوا بما يأتي:

أ- بقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ - الفُرْقَان ٢. وبقوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ - الأنعام ١٠٢ والرعد ١٦ والزُّمَر ٦٢ وغافر ٦٢، والفعل من جُمْلَة الأشياء، فهو مخلوق لله تعالىٰ.

ب- لو كان العبد موجِداً لأفعاله بالاخْتِيَار والاستقلال، لوجب أن يعلم تفاصيلها، ويستحيل علىٰ الإنسان أن يحيط بجميع وجوه الفعل، إذ تصدر منه أفعال في غفلته وذهوله، وهي علىٰ الانسجام والانتظام وصفة الإتْقَان والإحْكَام، والعبد غير عالم بما يصدر منه، فوجب أن يكون مصدر ذٰلِكَ هو الله تعالىٰ[٥].

---

(١) مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٧١. وانظر: البعد الحَضَارِيّ ص٤٦٤.

(٢) التَّوحِيْد للمَاتُرِيْدِيّ ص م٤١ و ٢٢٥ وقال الغَزْنَوِيّ في أُصُوْل الدِّيْن ص١٨٩: (اعلم أن المَذْهَب المُستقِيم أن تقدِير الخَيْر والشر من الله تعالىٰ، وفعل الخَيْر والشر من العبد، والعبد مُخْتَار في فعله اخْتِيَار تَمْيِيْز وتَحْصِيْل، لا اخْتِيَار مشيئةٍ وقدرةٍ،... وليس للعبد أن يقول عاذراً لنفسه: بأن القَضَاء والقدر هٰكَذَا أُجريَ عَلَيّ، فما ذنبي؟ بل العبدُ ملزمٌ بمراعاة الأمر والنهي...). وانظر رأي المَاتُرِيْدِيَّة في: مُقَدِّمَة مناهج الأَدِلَّة ص١١١.

(٣) قال تَقِيّ الدِّيْن بن تَيْمِيَّة: (للعبد قدرةٌ وإرادةٌ وفعلٌ وَهَبَهَا اللهُ له، لتكون أفعالُه منه حقيقةً لا مجازاً، فهي من العبد كسباً، ومن الله خلقاً). / خُلَاصَة علم الكلام ص١٦٣ عن العَقِيْدَة الوَاسِطِيّة لابن تَيْمِيَّة.

(٤) مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٧١.

(٥) دراسات في الفِرَق ص٢٧٣.

وبعد عرض رأي الجَبْرِيَّة والقائلين بالكسب يتضح أن الفريقين يذهبان إلىٰ أن الفعل من خلق الله تعالىٰ، إلَّا أن الجَبْرِيَّة يقولون هو بقدرة الله تعالىٰ القديمة، والقائلين بالكسب يقولون هو بالقدرة الحادثة التي يخلقها اللهُ في العبد عند اخْتِيَاره للفعل[1].

رابعاً: مَذْهَب الإمَامِيَّة:

يصوره لنا الشيخ المُظَفَّر بقوله: (إن أفعالنا من جهة، هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية، وهي تحت قدرتنا واخْتِيَارنا، ومن جهة أُخرىٰ هي مقدورة لله تعالىٰ وداخلة في سُلْطَانه، لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا علىٰ أفعالنا حتىٰ يكون قد ظلمنا في عقابنا علىٰ المعاصي، لأن لنا القدرة والاخْتِيَار فيما نفعل، ولم يفوض إلينا خلق أفعالنا، حتىٰ يكون قد أَخْرَجَهَا عن سُلْطَانه، بل له الخلق والحكم والأمر، وهو قَادِر علىٰ كل شيء ومُحِيْط بالعِبَاد)[2].

وهٰذَا معنىٰ ما رُوي عن الأَئِمَّة: لا جَبْر ولا تفويض، ولٰكِن أمرٌ بين أمرين[3].

والفرق بين قول الإمَامِيَّة وقول الأَشَاعِرَة هو أن الإمَامِيَّة يذهبون إلىٰ أن الإنسان هو الذي يختار الفعل ويخلقه، ولٰكِن بالقدرة الإنسانية التي منحها الله إياه. أما الأَشَاعِرَة فيقولون: إن الإنسان هو الذي يختار الفعلَ أَيضاً، إلَّا أن اللهَ تعالىٰ هو الذي يخلقه عن طريق خلق القدرة الحادثة فيه المقارنة للاخْتِيَار[4].

---

(١) خُلَاصَة علم الكلام ص١٦٦، وفيه: ومن هنا ذهب البعض إلىٰ القول بأن القائلين بالكسب هم جَبْرِيَّة.

(٢) عَقَائِد الإمَامِيَّة ص٤٤.

(٣) عَقَائِد الإمَامِيَّة السَّابِق، والشِّيْعَة بين الأَشَاعِرَة والمُعْتَزِلَة للحَسَنِيّ ص٢١٢. وانظر: أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ لمُحَمَّد عَلِيّ نَاصِر ص٤٠ وما بعدها، وعَقَائِد الإمَامِيَّة الاثْنَي عَشَرِيَّة للسَّيِّد إبْرَاهِيْم الزِّنْجَانِيّ ص٣٦-٣٧.

(٤) خُلَاصَة علم الكلام ص١٦٥-١٦٦.

خامساً: مَذْهَب ابن رُشْد:

يرىٰ ابن رُشْد أَنَّ التعارض الوارد بالنصوص لم يأت عَبَثاً، بل كان مقصوداً من الشارع، لكي يوحيَ إلىٰ العُلَمَاء القَادِرِيْن علىٰ فهم الكتاب والسُّنَّة فهماً صَحِيْحاً بالحل الذي يجب أن يُذهب الشبهة، التي ربما فرقت بين أهل الجدل.

ورأىٰ: أَنَّ الجَبْر لا يمكن أن يكون محضاً، وأَنَّ الاخْتِيَار لا يجوز أن يكون مطلقاً، بل الحق هو في التوسط بين هٰذَيْنِ الرأيين، وذٰلِكَ: بأن نقرر أن أفعال الإنسان ليست اخْتِيَارِيَّة تماماً ولا اضطرارية تماماً، وإنما تتوقف علىٰ عاملين: إرادة حرة ترتبط في الوقت نفسه بأسباب خارجية تجري دائماً علىٰ نمط وَاحِد أودعها الله في الكون[1].

وعليه رأىٰ الأُستاذ مَحْمُوْد قَاسِم أنه حَلٌّ أقرب من أي حَلٍّ آخر إلىٰ العقل وإلىٰ ما يرتضيه الشَّرْع[2]. وهو ما يميل إليه العلم الحَدِيْث، الذي لا ينفي حرية الاخْتِيَار، والذي يعترف بوجود القوانين المُطَّرِدَة في الطبيعة[3].

أسئلة وأجوبتها

فإذا قيل:

إنَّ إيجاد الله المخلوقات علىٰ القدر المعين الذي سبق العلم به يفيد: أَنَّ الإنسان مكره علىٰ أفعاله.

فالجواب هو: أن الأفعال الاضطرارية لا تكليف فيها، كما تقدم.

أما الأفعال الاخْتِيَارِيَّة فهي مخلوقة، كما مَرَّ في قول الأَشَاعِرَة، ولٰكِن هٰذَا الخلق لا يعني إكراه الإنسان عليها، وذٰلِكَ:

---

(١) مُقَدِّمَة مناهج الأَدِلَّة ص١١٨-١١٩.

(٢) المصدر السَّابِق ص١٠٤.

(٣) المصدر السَّابِق ص١١٩.

لأن الإنسان مُخْتَار بوصفه كاسباً لفعله الاخْتِيَارِيّ لا بوصفه خَالِقاً له.

ذٰلِكَ لأن كسب الفعل (أي تَلَبُّسَكَ به) يتوقف علىٰ أمرين:

أ- وجود مقومات هٰذَا الفعل في الخارج كلها المادية والمعنوية.

ب- اكتسابك له عن طريق انبعاثك نحوه.

فأنت مريد ومُخْتَار بوصفك كاسباً ومَنْبَعثاً إليه، لا بوصفك خَالِقاً وموجِداً لمقوماته وعنَاصِره.

وإيْضَاح ذٰلِكَ يكون بالمثال الحسي الآتي:

اليد وما فيها من شرايين وأعصاب وقدرة من خلق الله عَزَّ وجَلَّ.

والوَرَق بصورته وخصائصه من خلقه عَزَّ وجَلَّ.

والقلم بقابليته للكتابة من خلقه تعالىٰ أَيضاً.

وتلاقي هٰذِهِ العنَاصِر كلها لترسم خَطّاً علىٰ الوَرَق من خلق الله أَيضاً.

فهٰذَا معنىٰ أن الله عَزَّ وجَلَّ هو الخَالِق لأفعال الإنسان.

ولا بد لكي توجد الكتابة منك، أن تعزم في نفسك علىٰ الكتابة، وأن تنبعث إرادتك علىٰ التنفيذ، فحينئذٍ يأذن الله تعالىٰ للقوة التي أودعها في يدك أن تلبيَ، وللشرايين والأوردة أن تساعدكَ علىٰ قصدكَ، وللحبر أن ينسابَ كما تشاء، وللورق أن يتأثر بذٰلِكَ علىٰ النَّحْو الذي تتحقق فيه الكتابة، وعندئذٍ تسمىٰ كاتباً، ويُنسب إليك كسب هٰذَا الفعل علىٰ الرغم من أن الله عَزَّ وجَلَّ هو الخَالِق له. فالقصد والعزيمة والكسب منك، وذٰلِكَ بسر الإرادة التي ركَّبها الله فيك.

وخلق الفعل وأسبابه من الله تعالىٰ، وإنما تكون المقاضاة والمحاسبة علىٰ القصد والكسب، لا علىٰ خلق الأسباب وخلق الفعل لنفسه.

كمن يدهس بسيارته إنساناً فيقتله، لا يقاضىٰ علىٰ الفعل لأنه ليس هو صاحب

الفعل بالذات، بل صاحب الفعل المباشر هو السيارة نفسها، ولٰكِنه يُقاضىٰ علىٰ الكسب.

والذي جاء بالعُمَّال فحفروا له في قارعة الطريق حوضاً أو بئراً لا يُعاقب علىٰ إفساده للطريق العام لأنه هو الفاعل، بل لأنه هو الكاسب.

واللهُ عَزَّ وجَلَّ إنما يحاسب عِبَاده علىٰ الكسب، أي علىٰ الانبعاث النفسي إلىٰ التلبس بالفعل، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ - البقرة ٢٨٦، وقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ ﴾ - غافر ١٧، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾ - الأنعام ١٢٠. فهٰذِهِ الآيات تَدُلُّ علىٰ أن مناط الأجر والعقاب إنما هو كسب الإنسان، أي: انبعاثه نحو الشيء الذي أُمر به أو نُهِيَ عنه. وإنما شاءَ اللهُ تعالىٰ أن يجعل خلقه وقدرته وفقاً لانبعاثاتهم، حتىٰ يكون ذٰلِكَ بمثابة السجل الذي تُثبتُ فيه هٰذِهِ الانبعاثات مجسَّدةً في مظهر الفعل الذي ظهرت فيه.

وإذا قيل:

إن الله تعالىٰ يقول: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ - النَّحْل ٩. ويقول تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ - يُونُس ٩٩. وهٰذَا يثبت أن إرادة الإنسان أَسِيْرَة في يد الله عَزَّ وجَلَّ.

فالجواب: أن معنىٰ هٰذِهِ الآيات: أن الله عَزَّ وجَلَّ لو شاء لأمدَّهم بلطف من عنده، يجعلهم يختارون الإيمان والانصياع للحق، ويرفضون أَهْوَاءهم، ولٰكِنه لم يشأ، وشاء أن يجعل الإنسان بين جانبين يتجاذبانه، وهما: النفس بشهواتها والعقل بتدبيره، ليظهر معنىٰ التكليف ومُجَاهَدَة النفس في سَبِيْله تعالىٰ، وإلَّا لما أعدَّ الأجر والثواب للطائعين المُستقِيمين علىٰ طاعته، والعقاب للعصاة المارقين عن سَبِيْله.

وهنا جعل الله تعالىٰ الإرادة الإنسانية بين لطف الله وعقابه. فمن آمن بالله وبرسالته

ﷺ، وصمم علىٰ عدم معاندة الحق، وجاهد نفسه ضد الشهوات، فإن الله تعالىٰ يُوَفِّقُهُ ويُعِينه.

قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ - مُحَمَّد ١٧، وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ - مريم ٧٦، وقال تعالىٰ: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ - المائدة ١٦.

أما من عاند الله ورَسُوْله، ولم يلبّ إلَّا شهواته وأَهْوَاءه، وإذا ذُكِّر بآيات الله أَصَمَّ أُذُنَهُ عنها، فإن هٰؤُلَاءِ يزجّ بهم في الغواية والضلال، قال تعالىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ - الأعراف ١٤٦، وقال تعالىٰ: ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ - البقرة ٢٦.

وهٰذِهِ السُّنَّة الإلٰهِيَّة هي تَفْسِيْر قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ - فاطر ٨، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ - الرعد ٣٣.

أي: أن الله لا يعجزه شيء عن أن يقذف أسباب الهِدَايَة في قلب أضل الكافرين، وأن يقذف أسباب الضلالة في قلب أصلح عِبَاده المُؤْمِنين.

ولٰكِنه سُبْحَانَهُ تَفَضُّلاً منه وإحساناً كتب علىٰ نفسه: أن لا يُضل من الناس إلَّا من صرف نفسه عن أسباب الهِدَايَة، وأن يقرب أسباب الهِدَايَة لكل عازم علىٰ استجابة ما أمر الله به(١).

---

(١) **الهِدَايَة من الله تعالىٰ لعِبَاده عند أَهْل السُّنَّة علىٰ وجهين:**

أحدهما: من جهة إبَانَة الحق والدعاء إليه وإقامة الأَدِلَّة عليه. وعلىٰ هٰذَا الوجه يَصِحّ إضافة الهِدَايَة إلىٰ الرسل وإلىٰ كل داعٍ إلىٰ دين الله عَزَّ وجَلَّ، لأنهم مرشدون إليه. وهٰذَا تأويل قول

وإذا قيل:

إن قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ - التكوير ٢٩، يَدُلّ علىٰ أن الإنسان لا يملك لنفسه أي مشيئة إلَّا بإذن الله ومشيئته.

فالجواب: إن الآية توضح أن الإنسان ما كان ليتمتع بإرادة في كيانه يتجه بسرها إلىٰ

الله عَزَّ وجَلَّ في رَسُوْله ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ - الشُّوْرَىٰ ٥٢، أي: تدعو إليه. وهٰذِهِ الهِدَايَة من الله تعالىٰ شاملة جميعَ المكلَّفين.

الثاني: من هِدَايَة الله تعالىٰ لعِبَاده خَلْقُهُ في قلوبهم الاهتداء، كما ذكره الله عَزَّ وجَلَّ في قوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ - الأنعام ١٢٥. وهٰذِهِ الهِدَايَة منه تعالىٰ خاصةٌ للمهتدين. وفي تَحْقِيْق ذٰلِكَ نزل قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ - يُوْنُس ٢٥، يعني به: اهتداء القلوب الذي لا يقدر عليه غير الله عَزَّ وجَلَّ. ولهٰذَا قال في نبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ - القصص ٥٦، وقد وصفه بأنه يهدي إلىٰ صراط مُستقِيم. فالهِدَايَة التي أثبتها اللهُ تعالىٰ للرَّسُوْل ﷺ من طريق البَيَان والدعوة، والهِدَايَة التي نفاها عنه من جهة شَرْح الصدور وقبولها للحق.

والإضلال من الله عَزَّ وجَلَّ لأهل الضلال علىٰ معنىٰ خلق الضلالة عن الحق في قلوبهم. وعلىٰ ذٰلِكَ يُحمل قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ - الأنعام ١٢٥، وقوله تعالىٰ: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ - النَّحْل ٩٣ وفاطر ٨، فمن أضله فبعَدْله، ومن هداه فبفضله.

والهِدَايَة من الله تعالىٰ عند القَدَرِيَّة - والمُعْتَزِلَة - علىٰ معنىٰ الإرْشَاد والدعاء وإبَانَة الحق، وليس إليه من هِدَايَة القلوب شيء. وعندهم الإضلال منه تعالىٰ علىٰ وجهين: أحدهما: أن يقال إنه أضلَّ عبداً بمعنىٰ أنه سمَّاه ضالاً. والثاني: علىٰ معنىٰ أنه جازاه علىٰ ضلالته. وخَطَّأهم البَغْدَادِيّ من طريقي اللُّغَة والمعنىٰ.

وزعمت الثَّنَوِيَّة أن الهِدَايَة من النُّوْر، والضلال من الظلمة.

وزعمت المجوس أن الهِدَايَة من الإلٰه، والإضلال من الشيطان المسمىٰ أَهْرَمن). / أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١٤٠-١٤٢، وانظر: ص٨٣.

اخْتِيَار ما يشاء من التصرفات والأَعْمَال، لو لم يشأ الله عَزَّ وجَلَّ أن يضع في كيانه هٰذَا السر العَظِيْم[١].

وإذا قيل:

إن إرادة الله تعالىٰ مطلقة وكَامِلَة، فكيف يمكن أن نتصور للإنسان أَيضاً إرادة إلىٰ جانبها، بعد أن قررنا أن الإنسان حر مُخْتَار في إرادته؟

فالجواب: أن تصرفات الإنسان الاضطرارية ليس للإنسان فيها كسب أو مشيئة، أما تصرفاته الناتجة عن اخْتِيَاره وإرادته فهي مركز التكليف فيه. فإرادة الله تعالىٰ تعلقت بأن تكون مُريداً، فسَرَت إرادة الله عَزَّ وجَلَّ إلىٰ كل ما تريده وتختاره من الأَعْمَال، فلا تعارض بين إرادة الله تعالىٰ وما تختاره عن طريق إرادتك الخاصة.

فلو فرضنا أن الله غير مُريد لعَمَل قد اخترته بإرادتك، فمعنىٰ ذٰلِكَ أنه سُبْحَانَهُ غير مُريد لإرادتك التي وجهتك إلىٰ ذٰلِكَ الفعل، وهو مناقض لما ثبت من أن الله عَزَّ وجَلَّ قد شاء لك أن تكون مُريداً، فبَطَلَ فرضُ أن الله تعالىٰ قد لا يريد العَمَل الذي تختاره.

ومثاله: عندك خادم تريد أن تعلم صدقه في الخدمة ومعاملته، تعطيه مبلغاً من المال، ليقضي بها الحوائج في السوق، فيتصرف به بكل حريته دون رَقِيْب عليه.

فأنت بهٰذَا قد أردت أن يكون حراً فيما يفعل ويترك، لا يستجيب إلَّا لنداء ضميره، فإرادتك قد تعلقت بأن يكون هٰذَا الخادم مُريداً لما يصنع بلا قسر حتىٰ تعلم طَوِيَّته، فإذا خان الأمانة أو صانها فأنت مُريد لهاتين النتيجتين معاً، سواء كنت تحبها وترضاها أم لا.

---

(١) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٦٦ وما بعدها. وانظر: رِسَالَة القَضَاء والقَدَر للشيخ مُحَمَّد مُتولّي شَعْرَاوِي.

وعليه فمصير إرادة الإنسان في جنب إرادة الله هي مصير إرادة الخادم في جنب إرادة سَيِّده، فلا يقع في ملكه تعالىٰ إلَّا ما يشاء، ولا يناقضه أنه أعطاك إرادة ومشيئة، تكسب بها كل ما تحب دون إكراه، لتتجلىٰ طَوِيَّتُك في سُلُوْكك، فتستحق بذٰلِكَ ثواب الله أو عقابه(١).

(١) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٦٢.

قال الدَّرْدِيْر في شَرْح الخَرِيْدَة ص٦١-٦٢: (فإن قلتَ: إذا لم يكن لنا قدرةٌ علىٰ إيجاد شيءٍ، فكيف يُنسبُ لنا العَمَل، وكيف يَصِحّ تكليفنا به ونُخاطب به، قال تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ - التوبة ١٠٥؟ وذٰلِكَ كثيرٌ في الكتاب والسُّنَّة.

قلنا: النسبة إلينا ومخاطبتنا بتَحْصِيْله من حيث إنه كسبٌ أو اكتساب، لا من حيث إنه إيجادٌ واختراع. تَوْضِيْح ذٰلِكَ أن قدرته تعالىٰ أبرزت الأشياء علىٰ طبق إرادته من العدم إلىٰ الوجود، وهٰذَا الإبراز هو المسمىٰ بالإيجاد والاختراع، وهو المُرَاد بتعلق القدرة القديمة، وأما قدرتنا فقد تعلقت ببعض الأفعال وهي الأفعال الاخْتِيَارِيَّة، أي: التي لنا فيها الاخْتِيَار والميل والقصد من غير إيجاد واختراع. وهٰذَا التعلق علىٰ طبق إرادتنا هو المسمىٰ بالكسب والاكتساب. فتعلق قدرة الله تعالىٰ علىٰ وفق إرادته تعلق إيجادٍ، وتعلق قدرتنا علىٰ طبق إرادتنا تعلق كسبٍ، أي تعلقٌ هو كسبٌ لا إيجاد. فأفعالنا الاخْتِيَارِيَّة قد تعلقت بها القدرتان، القدرة القديمة والقدرة الحادثة، وليس للقدرة الحادثة تَأْثِيْر، وإنما لها مجرد مقارنةٍ. فاللهُ تعالىٰ يخلق الفعل عندها لا بها كالإحراق عند مماسة النار للحطب، فمن حيث إنه خلق لنا ميلاً إلىٰ الشيء وقصداً إليه، وخلق لنا قدرةً مصاحبةً لخلقه تعالىٰ، ذٰلِكَ الذي قصدناه نُسب إلينا ذٰلِكَ الفعل وطُلبنا به، إذ هو في ظَاهِر الحال يتراءىٰ أنه فعلٌ للعبد. وإذا نُظِرَ إلىٰ دليل التَّوْحِيْد قَطَعَ النَّاظِر بأن الفعلَ ليس مخلوقاً إلَّا لله تعالىٰ، وإلَّا لَزِمَ الشَّرِيْك له تعالىٰ عن ذٰلِكَ. فعُلِمَ أن هٰذَا التعلق عبارةٌ عن مقارنة القدرة الحادثة من غير تَأْثِيْر، وبحسبه تضاف الأفعال للعبد كقوله تعالىٰ: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ - البقرة ٢٨٦، ويترتب الثواب والعقاب بمحض الفَضْل أو العَدْل. ويسمىٰ العبد حينئذٍ مُخْتَاراً، وعند خلق الله تعالىٰ الفعلَ في العبدِ بلا قدرةٍ له مقارنة يسمىٰ مجبوراً ومضطراً، وقد تفضَّل اللهُ سُبْحَانَهُ علينا في هٰذِهِ الحالة بإسقاط التكليف، ولو شاء لكلَّفنا عندها أَيضاً).

الفَصْلُ الخَامِس
النَّبَوِيَّات

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَث الأول: حاجة الإنسان إلىٰ النُّبُوَّة، مناقشة منكِري النُّبُوَّات.

المَبْحَث الثاني: النُّبُوَّة العامة.

النَّبِيّ والرَّسُوْل لُغَةً واصْطِلَاحاً، حكم إرسال الرسل، إثبات النُّبُوَّة، القُرْآن الكَرِيْم والكتب السماوية.

صفات الرسل والأنبياء.

الوَحْي.

المعجِزة.

المَبْحَث الثالث: النُّبُوَّة الخاصة: نُبُوَّة سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ.

معجزاته ﷺ، إعجاز القُرْآن ووجوهه.

شواهد أُخرىٰ علىٰ نُبُوَّته ﷺ.

رسالته خاتمة الشرائع، عمومها.

منزلته، شفاعته، أُصُوْل دعوته، واجبنا نحوه ﷺ.

المَبْحَث الأول

حاجة الإنسان إلى النُّبُوَّة

يتفق عامة العقلاء علىٰ أن العقل الإنساني أحد الطرق المُوْصِلَة إلىٰ العلم والمَعْرِفَة.

ولٰكِن عَارَضَ هٰذَا الأمر فريقان:

الفريق الأول: اعترف بوجود العقل، لٰكِنه لا يقيمُ وزناً لإدراكاته. وهو مَذْهَب السُّوْفُسْطَائِيِّيْن من فَلَاسِفَة اليونان، ومَذْهَب الإسْمَاعِيْلِيَّة القائلين بأنه لا بد من معونةِ معلِّمٍ إلٰهِيّ، وهو الإمَام المعصوم عن الخطأ عمداً أو سهواً، وهو وحده الذي يميز الحق من الباطل، والحقيقةُ وقفٌ عليه وحده.

وهو أَيضاً مَذْهَب بعض المُتَصَوِّفَة القائلين بأن الإلْهَام طريق المَعْرِفَة، لا العقل.

ورَدَّ العقلانيون هٰذَا الرأي، ومنهم الغَزَالِيّ في كتابيه: (القِسْطَاس المُستقِيم) و(مِشْكَاة الأَنْوَار) مبيناً أن العقل يُدرك المَعَارِف، ويفهم حَقَائِق الأشياء المحسوسات والمَعْقُوْلات، ويُطلق عليها أَحْكَاماً يقينيةً صَادِقَة، كحكمه علىٰ الأعداد مهما تضاعفت.

ورَدَّ ابن حَزْم علىٰ القول بالإلْهَام بأنه لا يتفق اثنان منهم علىٰ ما يدعيه كُلُّ وَاحِد منهم إلْهَاماً، فلو أُعطي كل امرئٍ بدعواه المُعَرَّاة لما ثبت حقٌّ ولا بَطَل باطل[1].

---

(١) كتابنا أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ ص١٧٧ وفيه الإشارة إلىٰ مُقَدِّمَة القِسْطَاس المُستقِيم، وإلىٰ الإحْكَام لابن حَزْم وغيرهما.

الفريق الثاني: أنكر العقلَ بمفهومه السَّابِق، وذهب إلىٰ أن الحواس هي وَسَائِل المَعْرِفَة الوَحِيْدَة، وما يسمىٰ بالعقل إنما يرجع إليها. وهٰؤُلَاءِ هم الحسّيون أو التجريبيون أو الماديون. وظهر هٰذَا المَذْهَب في أوربا، وأهم رِجَاله: فرنسيس بيكون، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٦٢٦م، وجون لوك، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٧٠٤م، ودفيد هيوم، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٧٧٦م. وصار لهٰذَا المَذْهَب أتباع في العالم.

ورَدَّهُ العُلَمَاء بأبحاث عِلْمِيَّة أثبتوا فيها قدرةَ العقل علىٰ الإدراك دون تدخُّل الحواس، ومثَّلوا لذٰلِكَ بظَاهِرَة (التلباثي) وهو انتقال الفكر، أو الإحساس بأفكار شخصٍ آخر بدون تدخل الحواس، وبظَاهِرَة (الاستشفاف، أو الجلاء البَصَرِيّ) وهو الإحساس بالحوادث دون تدخُّل الحواس. وأُقرت نتائج تلك الأبحاث بمؤتمرات عديدة[1].

أما المَذَاهِب الإسلامِيَّة فقد اتفقت علىٰ أهمية العقل في الإدراك، لٰكِنها قررت أن العقلَ لا يستقل بإدراك كثير من الأُمور، مثل الاعْتِقَاد بالله تعالىٰ وصفاته، وما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقه عَزَّ وجَلَّ وفي حق النَّبِيّ، وأحوال الآخِرَة، وغيرها من أَحْكَام العَقَائِد، ومثل الأخلاق، والأَحْكَام العَمَلِيَّة، وما يحسن منها وما يقبح.

وفِرَق السُّوْفُسْطَائِيَّة هي:

أ- اللا أَدْرِيَّة: قالوا: نحن شاكُّون، وشاكُّون في أننا شاكُّون، وهلمَّ جَرّاً.

ب- العِنَادِيَّة: قالوا: ما من قضيةٍ بدهية أو نَظَرِيَّة إلَّا ولها مُعَارَضَة ومقاومةٌ لمثلها في القوة والقبول عند الأذهان.

ج- العِنْدِيَّة: قالوا: مَذْهَب كل قوم حقٌّ بالقياس إليهم، وباطلٌ بالقياس إلىٰ خصومهم. وقد يكون طرفا النقيض حقّاً بالقياس إلىٰ شخصين، وليس في نفس الأمر شيءٌ بحقٍّ.

انظر هٰذِهِ الفِرَق في: حَاشِيَة الطُّوْسِيّ علىٰ مُحَصِّل أفكار المُتَقَدِّمِيْن والمُتَأَخِّرِيْن ص٤٠ والفِصَل لابن حَزْم ج١ ص٤٣ والمَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص٤٩.

(١) كتابنا أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ ص١٧٩.

لأن أنظار الناس مُخْتَلِفَة، فقد تكون المصلحةُ عند قومٍ مفسدةً عند آخرين، وقد تكون الفضيلةُ عند أُناسٍ رذيلةً عند آخرين، فلم يترك الإسلامُ التشريع لعُقُوْل الناس، لأن ذٰلِكَ يؤدي إلىٰ الفوضىٰ. لهٰذَا كان هَدْيُ النَّبِيّ ضرورةً للإنسان.

مناقشة منكري النُّبُوَّات

ذهب قومٌ إلىٰ القول بعدم حاجة الإنسان إلىٰ هَدْي النُّبُوَّة، فأنكروها زاعمين أن الإنسان يستطيع أن يكتفي بعقله في تنظيم حياته.

ومُنْكِرو النُّبُوَّة فريقان:

الفريق الأول: فريق ينكر النُّبُوَّات، لأنه ينكر الإلٰه تعالىٰ، ومَعْلُوْم أن من ينكر وجود المُرْسِل لا بد وأن ينكر رَسُوْله.

ومناقشة هٰذَا الفريق لا تكون في إثبات النُّبُوَّات، وإنما تكون في إثبات وجود الله عَزَّ وجَلَّ[1]. وتقدَّم الكلام عن ذٰلِكَ في فصل الإلٰهِيَّات.

الفريق الثاني: يعترف بوجود الله تعالىٰ، ويؤمن به، ولٰكِنه ينكر النُّبُوَّات، مكتفين بما تدركه عُقُوْلهم من خَيْر أو شر.

وعلىٰ رأس هٰذَا الفريق كثيرٌ من بَرَاهِمَة الهِنْد والصَّابِئَة وبعض الفَلَاسِفَة، وقد تأثر بفلسفتهم بعض الزنادقة من المُسْلِمِيْن كأبي الحُسَيْن أَحْمَد بن يَحْيَىٰ الرَّاوَنْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٤٥هـ.

ومن أَدِلَّة إنكار النُّبُوَّات:

١- إن ما يأتي به الرَّسُوْل لا يخلو: إما أن يكون مما يدركه العقل، أو مما لا يدركه.

فإن جاء بما يوصل إليه العقل كان لا فائدة من بعثه، ويكون في العقل كِفَايَة، وإذا

(١) تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٤٦و٤٤٨.

خلا عن غرض صَحِيْح فهو عَبَثٌ وسَفَهٌ.

وإن جاء بما لا يَدُلّ عليه العقل، فلا يُتلقىٰ بالقبول، لأن المقبول هو الذي تدركه العُقُوْل[1].

وأُجيب: بأن هٰذَا الدليل واضح البطلان، لأن كل مطلع علىٰ الرسالات السماوية يعلم أنها قد اشتملت علىٰ ما يعرفه العقل وعلىٰ ما لا يعرفه:

فأما ما يعرفه العقل فكان لهٰذِهِ الرسالات مهمة التأكيد عليه.

وأما ما لا يعرفه العقل - وهو الأكثر - فإن للرسالات السماوية دور إرْشَاد العقل إليه، وتَنْبِيْهه إلىٰ ما فيه النَّافِع الصالح[2].

٢- إن الرَّسُوْل من جنس المُرْسَل إليه، وجوهرهما وَاحِد، وتفضيل أحد المتماثلين المتساويين علىٰ مثله ونوعه حَيف ومحاباة وخروج عن الحكمة، وذٰلِكَ غير جائز علىٰ الحَكِيْم سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ[3].

وأُجيب بما يأتي:

أ- إن الله تعالىٰ أن يخص بفضله من يشاء من خلقه، كما أن له أن يُسوِّي بين سائرهم، فإن ذٰلِكَ عَدْل منه وصواب من تدبيره. واللهُ تعالىٰ لا يفضل أحد الشخصين علىٰ الآخر المجانس له ابتداءً ولا لأجل جنسه، ولٰكِن لأجل أنه مستحقٌّ للتفضيل بالرِّسَالَة وإخلاصه في الاجتهاد[4].

---

(١) الإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٣٠٣. وانظر: تَبْصِرَة الأَدِلَّة للنَّسَفِيّ ج١ ص٤٤٤ وهي حُجَّة البَرَاهِمَة. وانظر أَيضاً: الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٢٩٩.

(٢) كَشْف المُرَاد ص٣٧٥.

(٣) تَمْهِيْد الأوائل ص١٢٧. وانظر: تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٤٤.

(٤) تَمْهِيْد الأوائل ص١٢٨-١٢٩.

ب- يلزم من قولكم أن يكون الله غير عادل، لأنه خص بعض خلقه بالعلم والقوة وكَمَال العقل والحواس، وخلق في بعضٍ آخر الجهلَ والعمىٰ والزَّمَانَة.

وأنتم لا تقولون بذٰلِكَ، بل تقولون إن ذٰلِكَ لمصلحة الطرفين وسَبِيْل لهم إلىٰ نفع عَظِيْم، وهو تعالىٰ أعلم به، لذٰلِكَ فإن إرساله تعالىٰ بعضَ الخلق مصلحة للطرفين، الرَّسُوْل والمُرْسَل إليه، ولطفاً لهم في النَّظَر في حجج العُقُوْل التي أمرهم بالرجوع إليها والعَمَل علىٰ موجبها(١).

٣- لا يجوز في حكمة الله عَزَّ وجَلَّ أن يبعث رَسُوْلاً إلىٰ من يعلم أنه يكفر به، ويَردُّ قوله، فوجب نفي بعث الرسل إلىٰ هٰؤُلَاءِ، لأن ذٰلِكَ خلاف الصواب.

وأُجيب: بأنه يترتب علىٰ قولكم هٰذَا:

أ- جواز بعث الرسل إلىٰ من يعلم قبوله منهم وانتفاعه بهم.

ب- أن لا يخلق الله سُبْحَانَهُ من يعلم أنه يكفر به.

ج- أن لا يحتج الله تعالىٰ بالعُقُوْل، وما وضعه فيها من الأَدِلَّة علىٰ من يعلم أنه يجحدها ولا يستعملها(٢).

فإن قالوا: لقد استدل بها كثير.

قيل لهم: وقد صدق بالرسل أَيضاً كثير(٣).

٤- إن كان الله تعالىٰ إنما بعث الرسل إلىٰ الناس، ليُخرجهم من الضلال إلىٰ الإيمان، فقد كان أَوْلَىٰ به في حكمته، وأتم لمُرَاده أن يضطر العُقُوْل إلىٰ الإيمان به.

وأُجيب: بأنه يلزم من دليلكم القول بأنه كان أَوْلَىٰ في حكمته أن لا يدعو الناس

---

(١) تَمْهِيْد الأوائل ص١٢٩-١٣٠.

(٢) تَمْهِيْد الأوائل ص١٤٢. وانظر: تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٤٤و٤٦٤.

(٣) الفِصَل لابن حَزْم ج١ ص١٣٨.

إلىٰ الاستدلال، لكي يؤمنوا، لا سِيَّمَا وأنه تعالىٰ يعلم أَنَّ في الناس من لا يستدل، وفيهم من يغمض عليه الاستدلال.

فكان أَوْلَىٰ به أن يضطر عُقُوْلهم إلىٰ الإيمان به، ولا يكلفهم مؤونة النَّظَر والاستدلال، وأن يلطف بهم ألطافاً يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة[1].

٥- إن مما يُبْطِل الرِّسَالَة هو أنا وجدنا المدعين لها يستدلون علىٰ صدقهم بمستحيلات عقلية. مثل: فلق البَحْر، وخلق ناقة من صَخْرة، وقلب العصا حَيَّة، وإحياء الموتىٰ، وإبراء الأكمه والأبرص، والمشي علىٰ الماء، وإنطاق الذئب والحصا...، ونحو ذٰلِكَ[2].

وأُجيب: بأن امتناع هٰذِهِ الأُمور في نظركم، لا يخلو:

إما أن يكون في قدرة الصانع عَزَّ وجَلَّ، أو في العادة.

فإن قالوا: إنه ممتنع في قدرة الصانع. فقد ألحدوا وتركوا دينهم، لأنه يلزم أن يقولوا بامتناع خلقه تعالىٰ لآدم وسائر المخلوقات[3]. ولما قام الدليل علىٰ أن الله تعالىٰ له الأمر والخلق والملك فله أن يتصرف في عِبَاده بالأمر والنهي، وله أن يختار منهم وَاحِداً لتعريف أمره ونهيه، فيبلغ عنه إليهم، فلا استحالة في ذٰلِكَ[4].

فإن قالوا: بل ذٰلِكَ ممتنع في العادة.

قيل لهم: وما المَانِع من أن ينقض الله تعالىٰ العادات، ويظهر المعجزات علىٰ أيدي رسله[5]، كدليل قاطع علىٰ صدقهم؟

٦- إن الإنسان يمكنه الاكتفاء بالعلم في تنظيم حياته.

---

(١) الفِصَل لابن حَزْم ج١ ص١٣٨.

(٢) تَمْهِيْد الأوائل ص١٣٥.

(٣) تَمْهِيْد الأوائل ص١٣٥-١٣٦.

(٤) نِهَايَة الإقدام للشَّهْرَسْتَانِيّ ص٤٢١.

(٥) تَمْهِيْد الأوائل ص١٣٦.

أُجيب: بأن العلم مع تقدمه لا يزال باعتراف أقطاب العلم عَاجِزاً عن استكناه الكثير من أسرار الكون وألغاز الحياة. ثم إن أغلب نَظَرِيَّاته ظنية دُحِضَ منها اليوم ما كان مسلَّماً به بالأمس.

ولو فرضنا أن العلم بعد نضوجه وبُلُوْغه مَرْحَلَة الكَمَال يستطيع أن يضمن للبَشَرِيَّة سعادتها وينظم لها شؤونها. فمن المحقق أنه لن يهيمن علىٰ النفس البَشَرِيَّة هيمنة النُّبُوَّة والتشريعات الإلٰهِيَّة، لذٰلِكَ يبقىٰ للنُّبُوَّة سُلْطَانها ودورها الرئيس في تَهْذِيْب النفس وكبح جماحها، وتوجيهها نحو الخَيْر والحب والسَّلَام[1].

٧- إن النُّظُم والتشريعات التي يضعها الإنسان من وحي تجربته، وحاجاته المتطورة تُغني عن هَدْي النُّبُوَّة فلا حاجة للبشر إليها.

أُجيب: بأن سَيْطَرَة القوانين الوضعية علىٰ النفس هي سَيْطَرَة ظَاهِرِيَّة فقط غَالباً، وامتثال الفرد لها امتثالٌ شكليٌّ في الغالب، وإذا تهرَّب الفردُ منها فقد لا تراه عَيْن القَانُوْن، وقد يتباهىٰ البعض بمهارته في الانفلات من عقوبة القَانُوْن.

في حين أن الدِّيْن يسيطر علىٰ نفسية الفرد المتدين ومشاعره، فيكون امتثاله حقيقياً ظَاهِراً وبَاطِناً، لاعْتِقَاده أن الله تعالىٰ ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ - غافر ١٩، وامتثال أوامره مدعاة إلىٰ رضوانه ونعمائه، وعصيانه بَاعِث علىٰ سخطه وعقابه.

فالرسالات السماوية فضلٌ من الله ورحمةٌ للبَشَرِيَّة. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ - النساء.

---

(١) كتابنا أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ ص١٩٦.

المَبْحَث الثاني
النُّبُوَّة العَامَّة

النَّبِيّ والرَّسُوْل في اللُّغَة والاصْطِلَاح

النَّبِيّ في أصل اللُّغَة: وردت لفظة (النَّبِيّ) مهموزة وغير مهموزة(١):

١ - فإذا كانت اللفظة بالهمز (النَّبِيء) فهي:

أ- إما مشتقة من النَّبَأ، وهو الخَبَر، فالنَّبِيء بزِنَة (فَعِيْل) يأتي بمعنىٰ اسم الفاعل، أي: المُنْبِئ (المُخبِر) عن الله تعالىٰ. أو (فَعِيْل) بمعنىٰ اسم المفعول، أي: هو المُنْبَأ (المُخبَر)، لأن المَلَك يُنبئه عن الله بالوحي(٢).

ب- أو أن تكون من (النَّبِيء)، الذي هو الطريق الواضح، لأن الأنبياء هم الطرق المُوْصِلَة إلىٰ الله تعالىٰ(٣).

٢- وإن كانت بلا همز (النَّبِيّ) فهي:

أ- إما أن تكون همزتها مخففة.

ب- وإما أن تكون مشتقة من النُّبُوَّة أو النَّبَاوَة، أي: الارتفاع. وهو أيضاً (فَعِيْل) بمعنىٰ اسم الفاعل أو اسم المفعول، لأن النَّبِيّ مرتفع الرتبة علىٰ غيره أو مرفوعها(٤).

---

(١) النَّبِيء بالهمز قِرَاءَة نَافِع، والنَّبِيّ بغير الهمز قِرَاءَة الجُمْهُوْر. / المُسَامَرَة ص٢٣٢.

(٢) المُسَامَرَة ص٢٣٢. ونحوه في: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٩.

(٣) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٩.

(٤) المُسَامَرَة ص٢٣٢. وانظر: القَامُوْس المُحِيْط مادة (النبأ)، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١

والرَّسُوْل في أصل اللُّغَة: لفظة مأخوذة:

أ- من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً، أي: متتابعة، فالرَّسُوْل هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه[١].

ب- من رسل اللَّبَن إذا تتابع درُّه، لأن الرَّسُوْل هو الذي يتتابع عليه الوحي[٢].

النَّبِيّ والرَّسُوْل في الاصْطِلَاح

جاء القُرْآن الكَرِيْم بهاتين الكَلِمَتَيْن معاً في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ** ﴾ - الحج ٥٢. وقد اختلف العُلَمَاء في بَيَان معناهما علىٰ أقوال أهمها:

القول الأول: النَّبِيّ: إنسان أُوحي إليه بشرعٍ (أي: أَحْكَام)، سواء أُمر بتبليغه والدعوة إليه أم لا، فإن أُمر بذٰلِكَ فهو نَبِيّ رَسُوْل، وإن لم يُؤمَر فهو نَبِيّ غير رَسُوْل.

فالفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه[٣].

فالنَّبِيّ أعم من الرَّسُوْل، أي: يلزم من كونه رَسُوْلاً أن يكون نَبِيّاً، ولا عكس[٤].

ص٤٩ والمَوَاقِف ج٨ ص٢١٧-٢١٨ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥ وأُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١٥٤.

(١) لِسَان العَرَب مادة (رسل).

(٢) أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١٥٤.

(٣) المُسَامَرَة ص٢٣١. وانظر: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣٣.

(٤) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص١٧ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص١٥٥ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٩ و ج٢ ص٢٥٨. قال البَاجُوْرِيّ في شَرْح الجَوْهَرَة ص٣٣: (فبينهما العموم والخصوص المطلَق، لأن كل رَسُوْل نَبِيّ ولا عكس). وذكر في شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة ص١٥٥ أيضاً: (ولٰكِن الرِّسَالَة أعم من جهة نفسها، فالنُّبُوَّة جزء من الرِّسَالَة، إذ الرِّسَالَة تتناول النُّبُوَّة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل

وهٰـذَا القول هو المشهور[١]. وبه قال الجُمْهُوْر وعامة الأَشَـاعِـرَة[٢] وصَحَّحَهُ المهدوي والقَاضِي عِيَاض في كتابه الشفا، حيث قال: (والصَّحِيْح والذي عليه الجَمَّاء الغَفِيْر، أَنَّ كل رَسُوْل نَبِيّ، وليس كل نَبِيّ رَسُوْلاً)[٣].

القول الثاني: النَّبِيّ: إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحىٰ إليه، وكذا الرَّسُوْل، فلا فرق بينهما، بل هما بمعنى وَاحِد[٤]. وهو الذي عَزَاه ابن الهُمَام إلىٰ بعض المحققين[٥]. وهو مَذْهَب جُمْهُوْر المُعْتَزِلَة[٦].

وردَّ هٰذَا القول بما يأتي:

١- بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ - الحج ٥٢، فلو كان النَّبِيّ مساوياً للرَّسُوْل لما عطف عليه، لأن نفي أحد المتساويين يستلزم نفي الآخر[٧].

٢- حَدِيْث أبي ذَرّ في بَيَان عدد الرسل والأنبياء يقتضي أن الرسل هم غير الأنبياء،

الأمر بالعكس. فالرِّسَالَة أعم من جهة نفسها. وأخص من جهة أهلها). وقال البَاجُوْرِيّ في شَرْح الجَوْهَرَة ص٣٣: (وجعل بعضُهم الرَّسُوْل أعم، لأن الرسل تكون من الملائكة).

(١) المُسَامَرَة ص٢٣١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٤٩ وحَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص١٧. وفي شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص١٥٥: هو (أَحْسَنها).

(٢) حَاشِيَة المَرْجَانِيّ ج١ ص١٢ وحَاشِيَة الكَلَنْبَوِيّ ج١ ص٩ وكِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص١٦.

(٣) الشفا ج١ ص٢٥١ وتَفْسِيْر القُرْطُبِيّ ج٧ ص٤٤٧٢ نَقْلًا عن الشفا.

(٤) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٢٣١ وحَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص١٧ وأَعْلَام النُّبُوَّة للمَاوَرْدِيّ ص٣٨ والمَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣٣ نَقْلاً عن السَّعْد التَّفْتَازَانِيّ، وخَيْر القلائد ص١٢٠ نَقْلاً عن التَّفْتَازَانِيّ.

(٥) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص٢٣١.

(٦) حَاشِيَة المَرْجَانِيّ ج١ ص١٢ وحَاشِيَة الكَلَنْبَوِيّ ج١ ص٩.

(٧) حَاشِيَة الكَلَنْبَوِيّ علىٰ الدَّوَّانِيّ ج١ ص٩.

وهٰذَا القول يقتضي اتحادهما، فهو مخالف للحَدِيْث[١].

وهناك أقوال أُخرىٰ لا مجال لذكرها هنا[٢].

حكم إرسال الرسل

اختلفوا في حكم إرسال الرسل جميعهم علىٰ الأقوال الآتية:

١- **الجواز.** فيجوز عقلاً في حقه تعالىٰ إرساله لجميع الرسل من آدم إلىٰ سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ. فلا يجب عليه تعالىٰ، ولا يستحيل، بل إرساله تعالىٰ الرسل هو بإحسانه وفضله الخالص. وهٰذَا قول الأَشَاعِرَة[٣].

٢- **الوجوب.** فيجب علىٰ الله تعالىٰ إرسال الرسل. وهو قول المُعْتَزِلَة والفَلَاسِفَة. ومبنىٰ كلام المُعْتَزِلَة علىٰ قاعدة وجوب الصَّلَاح والأصلح، فقالوا: النِّظَام المؤدي إلىٰ صَلَاح النوع الإنساني علىٰ العموم في المعاش والمعاد لا يَتِمّ إلَّا ببعثة الرسل. وكل ما كان كذٰلِكَ فهو واجب علىٰ الله تعالىٰ. وتقدم رد الأَشَاعِرَة علىٰ هٰذَا القول عند الكلام علىٰ الصَّلَاح والأصلح عند المُعْتَزِلَة[٤].

---

(١) المُسَامَرَة ص٢٣٢ وشَرْح المَقَاصِد ج٥ ص٦ وحَاشِيَة الكَلَنْبَوِيّ السَّابِقَة. وسيأتي حَدِيْث أبي ذَرّ في (الإيمان بالأنبياء والرسل).

(٢) انظرها في: حَاشِيَة الكَلَنْبَوِيّ علىٰ الدَّوَّانِيّ ج١ ص٩ وحَاشِيَة المَرْجَانِيّ علىٰ الدَّوَّانِيّ ج١ ص١١-١٣ وأَعْلَام النُّبُوَّة ص٣٨ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥ وتَفْسِيْر القُرْطُبِيّ ج٧ ص٤٤٧٢ وتَفْسِيْر البَيْضَاوِيّ ص٣٣٠ والمُسَامَرَة ص٢٣١.

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩٨. وانظر: الإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٦١. وفي نِهَايَة الإقدام للشَّهْرَسْتَانِيّ ص٤١٧: (صارت الأَشْعَرِيَّة وجَمَاعَة من أَهْل السُّنَّة إلىٰ القول بجواز وجود النُّبُوَّات عقلاً ووقوعها في الوجود عِيَاناً، وتنتفي استحالتها بتَحْقِيْق وجودها كما ثبت تصورها بنفي استحالتها).

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩٨. وفي نِهَايَة الإقدام للشَّهْرَسْتَانِيّ ص٤١٧: (صارت المُعْتَزِلَة وجَمَاعَة من الشِّيْعَة إلىٰ القول بوجوب وجود النُّبُوَّات عقلاً من جهة اللطف).

ومبنىٰ كلام الفَلَاسِفَة هو علىٰ قاعدة التَّعْلِيْل أو الطبيعة، فيقولون: يلزم من وجود الله وجود العالم بالتَّعْلِيْل أو بالطبع، ويلزم من وجود العالم وجود من يُصْلِحُهُ.

ورَدَّ الأَشَاعِرَة علىٰ القول بالوجوب، بأنه تعالىٰ فاعلٌ بالاخْتِيَار لا بطريق الإِجْبَار[١].

٣- الاستحالة. فيستحيل علىٰ الله تعالىٰ إرسال الرسل. وهو قول السُّمَنِيَّة والبَرَاهِمَة. فزعموا أن إرسال الرسل عَبَثٌ لا يليق بالحَكِيْم، لأن العقلَ يُغْني عن الرسل، فإن الشيءَ إن كان حَسَناً عند العقل فَعَلَه وإن لم تأتِ به الرسل. وإن كان قبيحاً عنده تَرَكَه وإن لم تأتِ به الرسل. وإن لم يكن عنده حَسَناً ولا قبيحاً فإن احتاج إليه فَعَلَه وإلَّا تَرَكَه[٢].

وتَقَدَّمَ الرَّدُّ علىٰ هٰذِهِ الشبهة في موضوع (مناقشة منكِري النُّبُوَّات).

طريق إثبات النُّبُوَّة

لا يكون إثبات النُّبُوَّة إلَّا باجتماع أمرين:

أولهما: ادعاء النُّبُوَّة.

ثانيهما: إظهار المعجزة.

فكل من ادعىٰ النُّبُوَّة وأظهر المعجزة تصديقاً لدعواه، فهو نَبِيّ[٣].

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩٨.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص١٩٨. وفي نِهَايَة الإقدام للشَّهْرَسْتَانِيّ ص٤١٧: (صارت البَرَاهِمَة والصَّابِئَة إلىٰ القول باستحالة النُّبُوَّات عقلاً). وذكر هٰذِهِ الأَحْكَام عُثْمَان الكليسي في خَيْر القلائد ص١٢٦.

(٣) المُسَامَرَة ص٢٤٠ وشَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٤٣ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٧ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٦٨ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٧٧ وكَشْف المُرَاد ص٣٧٧ والمَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص٩٦.

وسيأتي تفصيل ذٰلِكَ فيما بعد.

النُّبُوَّة اصطفاء واخْتِيَار من الله عَزَّ وجَلَّ

النُّبُوَّة فضل وهِبَة من الله تعالىٰ لمن يشاء من عِبَاده، فلا تُنال بالكسب، ولا بتكلف العِبَادَة واقتحام أشق الطاعات، ولا تدرك بتَهْذِيْب الروح وبتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء فيها، ولا تَأْثِيْر للمجتمع فيها[1].

قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ - الحج ٧٥.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ ﴾ - يُوْنُس ١٥.

وقال تعالىٰ: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ - النَّحْل ٢.

بشرية الرسل والأنبياء

الأنبياء والرسل بَشَر، يأكلون ويشربون، ويجوعون ويعطشون، ويحزنون ويفَرْحُوْن، وينامون، ويمرضون، ويغضبون، وينسون، ويتعبون، ويستشيرون، ويتزوجون،... ونحو ذٰلِكَ من صفات البشر التي لا نقص فيها عليهم.

وإنما اختارهم الله عَزَّ وجَلَّ من جنس المُرْسَل إليهم، ليكونوا علىٰ صِلَة وثيقة بهم، شاعرين بأحاسيسهم، مطلعين علىٰ ما يعانونه من آلام، مقيمين عليهم الحُجَّة الدامغة، بإيْضَاح الطريق المُستقِيم لهم. ودليل ذٰلِكَ:

---

(١) انظر: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢١١ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢١٨ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥و٨ ونِهَايَة الإقدام ص٤٦٢.

أولاً: من القُرْآن الكَرِيْم:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾- التوبة ١٢٨.

ب- وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ - الكهف ١١٠ وفُصِّلَت ٦.

ج- وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ﴾ - الأعراف ١٨٨.

د- وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ﴾ - الرعد ٣٨.

هـ- وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾ - الأنعام ٥٠.

ثانياً: ومن السُّنَّة النَّبوِيَّة:

أ- حَدِيْث أبي مَسْعُوْد قال: أتىٰ النَّبِيَّ ﷺ رجلٌ فكلَّمه، فجعل تُرْعَدُ فرائصُهُ، فقال له: هَوِّنْ عليك، فإني لستُ بملِك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القَدِيْد[1].

ب- قوله ﷺ: (إنما أنا بَشَر مثلُكم أَنْسَىٰ كما تَنْسَوْن، فإذا نَسِيْتُ فذَكِّروني)[2].

---

(١) **حَدِيْث أبي مَسْعُوْد** في: سُنَن ابن مَاجَة في: ٢٩ كتاب الأطعمة، ٣٠ باب القَدِيْد، رقم ٣٣١٢ ج٢ ص١١٠١. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج٤ ص٤٣٠: صَحِيْحٌ ورِجَاله ثِقَات.

(٢) **حَدِيْث: إنما أنا بَشَر مثلكم**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨ كتاب الصلاة، ٣١ باب التوجه نحو القِبْلَة، رقم ٤٠١، بهٰذَا اللفظ، عن عبد الله بن مَسْعُوْد. وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٥ كتاب المساجد، ١٩ باب السهو في الصلاة، رقم ٥٧٢، عن عبد الله بن مَسْعُوْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ج- تواضع الرَّسُوْل الأعظم ﷺ وسيرته تشهد ببشريته، ولا مجال لأحد في إنكار ذٰلِكَ.

د- عبوديته ﷺ لله تعالىٰ الظَّاهِرَة في كلامه وأدعيته، كما في قوله ﷺ: (اللهم إني عبدُكَ وابن عبدك، ابن أَمَتِكَ، ناصِيَتي بيدك، ماضٍ فِيَّ حكمُك، عَدْل فِيَّ قضاؤك)[1]، وأمثاله كثير.

فَوَائِد وقوع الأعراض البَشَرِيَّة بالأنبياء:

تقدم أن الأنبياء بَشَر، يقع عليهم من الأعراض البَشَرِيَّة كالابتلاء والمرض والنسيان والفقر... إلخ ما يقع علىٰ سائر الناس، إلَّا أن لوقوع هٰذِهِ الأعراض بالأنبياء فَوَائِد تتلخص بما يأتي:

١- تَعْظِيْم أُجورهم: فالبلاء والأمراض يترتب عليه الأجر العَظِيْم، لهٰذَا قال النَّبِيّ ﷺ: أشد الناس بلاءً الأَنبياءُ، ثم الأَمثَلُ فالأَمثَلُ[2].

وقال الإمَام القُشَيْرِيّ: ليس كل أحد أهلاً للبلاء، إذ البلاء للأَوْلِيَاء، وأما الأجانب فيتجاوز عنهم، ويخلي سَبِيْلهم[3].

واللهُ تعالىٰ وإن كان قَادِراً علىٰ أن يعظِّمَ أجورهم من غير ابتلاء ومشقة، إلَّا أن حكمته تعالىٰ اقتضت ترتب ذٰلِكَ علىٰ الابتلاء ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ - الأنبياء ٢٣[4].

---

(١) **حَدِيْث: اللهم إني عبدك**... إلخ، رواه أَحْمَد في مُسْنَده ج١ ص٤٥٢.

(٢) شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ ص١٨٥-١٨٦ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠. وانظر: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠١.

وحَدِيْث: أشد الناس بلاءً... إلخ، أَخْرَجَهُ أَحْمَد والبُخَارِيّ والتِّرْمِذِيّ وابن مَاجَة، عن سَعْد، وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٦٩.

(٣) شَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠.

(٤) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠١ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه

٢- التشريع: فسهو رَسُوْل الله ﷺ في الصلاة تشريع للناس، وتَعْلِيْم لهم كيفية سجود السهو، لأن دلالة الفعل أقوىٰ من دلالة القول[(١)].

٣- التَّسَلِّي بأحوال الأنبياء، إذا نزل بنا ما نزل بهم: فإذا نظر العاقل في أحوال الأنبياء، من مرض وأسقام، وقلة مال وأذىٰ الناس لهم، مع عُلُوّ مقامهم ورفعة شأنهم، فإنه يتسلَّىٰ ويتصبر، فلم يحزن علىٰ ما نزل به من بلاء[(٢)].

٤- تَنْبِيْه غير الأنبياء علىٰ خِسَّة قدر الدنيا عند الله تعالىٰ، حين يرون الأنبياء قد أعرضوا عنها، وانصرفوا عن ملاذها ومغانمها[(٣)].

وذم الدنيا الوارد في بعض النصوص، إنما هو في الدنيا الشاغلة عن الله تعالىٰ، وعليه يحمل قوله ﷺ: (ألا إن الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلَّا ذِكْرَ الله وما والَاهُ وعالماً أو متعلماً) أي: من التسبيح والتحميد والتهليل.

أما الدنيا التي لم تشغل عنه فلا ذم فيها، بل هي مَحْمُوْدة، وعليه يحمل قوله ﷺ: (نِعْمَ الدنيا مطيَّةُ المُؤْمِن، بها يصل إلىٰ الخَيْر، وبها ينجو من الشر).

وبذٰلِكَ يعلم: أن الدنيا ليست مَحْمُوْدة، ولا مذمومة لذاتها[(٤)].

ص١٨٥-١٨٦.

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠١ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٨٥ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص١٠١-١٠٢ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٨٥ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣١.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠١ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ ص١٨٥ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣١.

(٤) شَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٢ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ السَّابِق.

وحَدِيْث: أَلَا إن الدنيا ملعونةٌ... إلخ، في: سُنَن التِّرمِذِيّ في: ٣٣ كتاب الزهد، ١٤ باب منه، رقم ٢٣٢٢، ص٣٨٣، عن أبي هُرَيْرَة، وقال: حَدِيْث حَسَن غَرِيْب. وفيه: (... إلَّا ذِكْرُ الله

عدد الأنبياء

قدّر الله تعالىٰ ما يحتاج إليه الناس بمجموعهم من المَوَاهِب والكفاءات المُخْتَلِفَة التي تهيئ لهم الحياة الرغيدة والعيش السَّعِيْد، فقسمها بين الأفراد بناء علىٰ حاجتهم إليها، فرِجَال الجيش والنَّجَّارون والحَدَّادون والزرَّاعون وأصحاب المهن كثيرون جداً، بينما يقل عدد ذوي الكفاءات القيادية أو العِلْمِيَّة، ويهبط عدد مَالِكِيّ المهارة والحذق في لون معين، ويتضاءل عدد مَالِكِيّ قيادة العالم الفكرية وأصحاب الهِدَايَة إلىٰ سواء السَّبِيْل وهم الأنبياء والرسل، لأن أَعْمَالهم تغني البشر إلىٰ أجيال طَوِيْلَة.

فلو أخذنا بحَدِيْث الأنبياء وهم (١٢٤٠٠٠) نَبِيّ، والرسل منهم (٣١٣) رَسُوْلاً، نرىٰ العدد ضئيلاً جداً بالنسبة لأُمَم العالم جَميعاً من بَدْء الخليقة إلىٰ زمن الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ، ولا يقاس إلىٰ تلك الأجيال القادمة[1].

لٰكِن لا ينبغي في الإيمان بالأنبياء القطع بحصرهم في عدد معين، لأنه:

أ- لم يرد بحصرهم دليل قطعي، وحصر عددهم يخالف ظَاهِر قوله تعالىٰ: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ - غافر ٧٨، والحَدِيْث الوارد في عددهم ضعيف، وهو: خبر وَاحِد، لم يقترن بما يفيد القطع، وخبر الوَاحِد لا يفيد إلَّا الظن، ولا عبرة بالظن في باب الاعْتِقَادات.

٢- وقد يؤدي حصرهم بهٰذَا العدد إلىٰ أن يدخل فيهم من ليس منهم، أو يخرج من هو منهم[2].

وما والاهُ وعَالِمٌ أو مُتَعَلِّمٌ).

(١) مبادئ الإسلام ص٣٣.

(٢) المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٢٥. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٦١-٦٢ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة ص١٦٩-١٧٠ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١١١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٥٨ وبَحْر الكَلَام للنَّسَفِيّ ص١٨٧.

لٰكِن القُرْآن الكَرِيْم ذكر أسماء خمسة وعشرين، وهم: آدم، وإدْرِيْس، ونُوْح، وهُوْد، وصالح، وإبْرَاهِيْم، ولُوْط، وإسْمَاعِيْل، وإسْحَاق، ويَعْقُوْب، ويُوْسُف، وشُعَيْب، وأَيُّوْب، وذو الكِفْل، ومُوسَىٰ، وهارون، وسُلَيْمَان، ودَاوُد، وإلياس، واليَسَع، ويُوْنُس، وزَكَرِيَّا، ويَحْيَىٰ، وعِيسَىٰ، ومُحَمَّد ﷺ[1].

مهمة الأنبياء وبعثتهم إلى أُمَم العالم جميعاً

الأنبياء والرسل هُدَاة البشر إلىٰ الصراط المُستقِيم، وأهل المبادئ التَّهْذِيْبِيَّة التي عالجت المشاكل المادية والروحية يبشرون بالجنة أهل التقىٰ، وينذرون بالنار أهل الفساد والكفر، ويبينون للناس ما يحتاجون إليه من أُمور الدِّيْن والدنيا.

الحَدِيْث الوارد في عدد الأنبياء، في: مُسْنَد أَحْمَد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حَدِيْث أبي ذَرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قلت يا نَبِيّ الله: كم عدد الأنبياء؟ قال مئة ألف وأربعة عشرون، الرسل من ذٰلِكَ ثلاثمائة وخمسة عشر جَمّاً غَفِيْراً).

ورواه الطَّبَرَانِيّ في المُعْجَم الكَبِيْر بلفظ: وأربعة وعشرون ألفاً. وهي مُصَرّحَة بما أُبهم في رِوَايَة أَحْمَد.

ومدار الحَدِيْث علىٰ عَلِيّ بن يَزِيْد وهو ضعيف. / المُسَامَرَة ص٢٢٦.

وله لفظ آخر في صَحِيْح ابن حِبَّان: عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر. وفي رِوَايَة: وأربعة عشر. وفي رِوَايَة: وخمسة عشر. / كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص١٧. وانظر: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٥٨.

وتكلم فيه ولي الدِّيْن العِرَاقِيّ، وردَّ علىٰ ابن حِبَّان جَمَاعَة من الحُفَّاظ، لإدخاله هٰذَا الحَدِيْث في الصَّحِيْح. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٤. وللحَدِيْث ألفاظ أُخرىٰ بأسانيد أُخرىٰ في مُسْنَد أَحْمَد والبَزَّار والطَّبَرَانِيّ في الأَوْسط الذي ذكر في مَجْمَع الزَّوَائِد. / المُسَامَرَة ص٢٢٦. وذكر قَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا الخبر عن رواته إسْحَاق بن رَاهَوَيْه وابن أبي شَيْبَة ومُحَمَّد بن أبي عُمَر وأبي يَعْلَىٰ. / شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٢٥.

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١١٠-١١١.

وقد أرسلهم الله تعالىٰ إلىٰ أُمَم العالم جَميعاً، فكل أُمَّة لها رَسُوْل، وإن لم يخبرنا الله بأسمائهم بدلالة قوله تعالىٰ:

أ- ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ - فاطر ٢٤.

ب- ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ - النَّحْل ٣٦.

ج- ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ - القصص ٥٩.

هٰذِهِ النصوص جَميعاً تدل علىٰ أن بعث الأنبياء، لا ينحصر في أُمَّة معينة، أو مكان معين كالجزيرة العَرَبِيَّة.

وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل

الإيمان بالأنبياء والرسل جميعهم، وتصديقُهم في أخبارهم، وطاعتُهم في أوامرهم ونواهيهم، فرضٌ علىٰ كل مُسْلِم، بدليل:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ - البقرة ١٣٦[١].

ب- وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ - البقرة ٢٨٥.

ج- وجعل سُبْحَانَهُ للذين يؤمنون بالجميع الأجر العَظِيْم، قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٣.

ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ – النساء ١٥٢.

تكذيب الأنبياء أو تنقيصهم كفر:

وهم جميعاً يشتركون في قدر وَاحِد وهو: النُّبُوَّة.

ولذا اتفق عُلَمَاء الإسلام جميعاً علىٰ كفر من كذَّب نَبِيّاً مَعْلُوم النُّبُوَّة، وكذا من سب نَبِيّاً أو انتقصه، ويجب قتله. بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ – النساء[1].

القُرآن الكَرِيم والكتب السماوية الأُخرى

أُصُوْل الرسالات السماوية وعَقَائِدها وهدفها وَاحِد، وهو: توجيه البشر إلىٰ طريق الصَّلَاح، قال تعالىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ – الشُّوْرَىٰ ١٣.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ – النساء ٥٩.

ولذٰلِكَ طلب القُرْآن الكَرِيْم الإيمان بجميع الرسل، وما أُنزل عليهم من كتب: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ – البقرة ٤.

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٣.

لٰكِن الإيمان المطلوب شرعاً بالكتب السماوية - ومنها الإنجيل والتوراة والزبور -، إنما يراد به التَّصْدِيْق بأن هٰذِهِ الكتب كانت من عند الله تعالىٰ، وكانت صَادِقَة، وما جاءت إلَّا للغرض الذي جاء لإتمامه القُرْآن. فما جاء بها مخالفاً لما في القُرْآن الكَرِيْم فهو مُحَرَّف قطعاً، لا يعوَّل عليه.

وهنا لا بد أن نبين **أهم فُرُوْق القُرْآن الكَرِيْم عن الكتب السماوية** فيما يأتي:

١- الكتب التي نزلت قبل القُرْآن ضاعت نُسخُها الأصلية، ولم يبقَ منها إلَّا ترجمتها.

أما القُرْآن فهو محفوظ بلفظه وبكلماته، التي أنزلها الله تعالىٰ علىٰ نبيه مُحَمَّد ﷺ، ووصل إلينا بهٰذَا الشكل متواتراً.

٢- اختلط كلام الناس من فُقَهَاء أو مُفَسِّرِيْن أو مؤرخين بتلك الكتب.

أما القُرْآن فلم يختلط به شيء حتىٰ من كلام رَسُوْل الله ﷺ. ولقد منع النَّبِيّ ﷺ من كتابة الحَدِيْث في بِدَايَة نُزُوْل القُرْآن، لئلا يختلط الحَدِيْث بالقُرْآن. وكتب التَّفْسِيْر والحَدِيْث والفِقْه مستقلة تماماً عن القُرْآن، كما هو معروف.

٣- لم يستطع أحد أن يثبت باستناد تاريخي أن أيّاً من هٰذِهِ الكتب الموجودة الآن نزل علىٰ النَّبِيّ الذي نسب إليه ذٰلِكَ الكتاب، كما لم يمكن تعيين الزمن الذي نزل به.

أما القُرْآن فالتاريخ قاطع بشواهده أنه نزل علىٰ مُحَمَّد ﷺ، وأن آياته منها ما عُيِّنَ مكان نُزُوْله أو زمنه أو سببه.

٤- لُغَات الكتب السماوية القديمة اندرست منذ زمن طَوِيْل، فلم نجد متكلماً بها، بل إن من يفهمها قليل جداً.

أما لُغَة القُرْآن الكَرِيْم فهي لُغَة حية يتكلم بها إلىٰ الآن مئات الملايين من المُسْلِمِيْن في أقطار العالم المُخْتَلِفَة.

٥- أَحْكَام كل من الكتب القديمة - كما يبدو من قِرَاءتها - خاصةٌ بالزمن وبالأُمَّة التي نزل فيها ذٰلِكَ الكتاب، جاءت تلبية لحاجاته ووفق أحواله.

في حين أن أَحْكَام القُرْآن عامة لجميع الناس ولكل زمان.

٦- كل من الكتب القديمة وإن كان فيه من الدعوة إلىٰ الخَيْر والصَّلَاح والأخلاق، فإنه لم يستوفِ الفَضَائِل.

لٰكِن القُرْآن استوفىٰ الفَضَائِل كَامِلَة، سواء نُصَّ عليها في الكتاب القديم أم لم يُنَصّ.

٧- تسرَّب إلىٰ كل من الكتب القديمة التحريف، والأُمور التي لا توافق العقل، وتقوم علىٰ الظلم، بل تحوي أُموراً من قبيل الفحشاء والمُنْكَر.

أما القُرْآن فإنه صَلَاح كله ومنزَّه عن الفاحشة وليس فيه ما يخالف العقل[1].

٨- الشرائع القديمة اختصت بالعلاج الروحي.

أما الشَّرِيْعَة الإسلامِيَّة فقد وضعت المبادئ الكفيلة بحلِّ مشاكل الإنسان وتلبية حاجاته المادية والروحية في كل زمان ومكان.

هٰذِهِ المزايا هي التي لأجلها أمر الناس باتباع القُرْآن وحده دون سواه.

---

(١) انظر: مبادئ الإسلام ص٨٠-٨٤.

وانظر الفصل الذي كتبه العالم الجَلِيْل رحمة الله الهِنْدِيّ في كتابه (إظهار الحق) الذي أثبت فيه تحريف الكتب السماوية التي سبقت القُرْآن.

صفات الرسُل والأنبياء

جَبَل الله تعالىٰ بعض الناس علىٰ مَوَاهِب معينة كالقوة والشعر والفُنُوْن... يتفوق بها علىٰ الآخرين، ووَهَبَ الأنبياء والرسل الكفاءة العالية لقيادة الناس وهدايتهم إلىٰ الصراط المُستقِيم، لذٰلِكَ امتازوا بصفات فيها جميع خصال الخَيْر، بعيدة عن جميع النقائض، التي لا تليق بهم.

وهٰذِهِ الصفات الواجبة في حقهم هي: العِصْمَة، والتبليغ، والفطانة، والذكورة، والسَّلَامَة من النقائص[1].

الصفة الأُوْلَى: العِصْمَة

العِصْمَة لُغَةً: الحفظ.

واصْطِلَاحاً: هي أن لا يخلق الله تعالىٰ فيهم ذنباً[2].

---

(١) اختلفوا في تعداد الصفات الواجبة في حق الرسل، فذكر السَّنُوْسِيّ ثلاث صفاتٍ هي: الصدق، والأمانة، والتبليغ. / أُمّ البَرَاهِيْن وشرحها للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٧٣.

وأضاف الدَّرْدِيْر في شَرْح الخَرِيْدَة ص٩٦ صفةً رابعةً وهي الفطانةُ، بقوله:

وصِفْ جميعَ الرُّسْلِ بالأمانهْ والصِّدْقِ والتبليغِ والفَطَانهْ

وهٰذِهِ الصفات الأربع ذكرها اللَّقَانِيّ في جَوْهَرَة التَّوْحِيْد. / انظرها في شرحها للبَاجُوْرِيّ ص٢٠٠.

ويُعبِّر المتكلمون عن الأمانة بالعِصْمَة. / حَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن ص١٧٨.

وهٰذَا التعداد أُرِيدَ به التَّوْضِيْح والبَيَان، وفي بعض جزئياته تداخل، وما عَدَدْتُهُ من الصفات مستقاةٌ من أقوال الجُمْهُوْر كما سيأتي، وتعدادها للتَّوْضِيْح أَيضاً.

(٢) شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٧٩ والمَوَاقِف ج٨ ص٢٨٠ وفيه قال: (عندنا، بناءً علىٰ ما يقتضيه أصلنا من استناد الأشياء كلها إلىٰ الفاعل المُخْتَار ابتداءً. خلافاً للفَلَاسِفَة...).

أو هي لُطف من الله تعالىٰ، يحمله علىٰ فعل الخَيْر، ويزجره عن فعل الشر. مع بَقَاء الاخْتِيَار، تَحْقِيْقاً للابتلاء[1].

والذنب إما أن يكون من الكبائر أو من الصغائر.

النوع الأول: العِصْمَة من الكبائر

للكبائر تَعْرِيْفَات مُخْتَلِفَة، أرجحها:

أَنَّ **الكبائر** هي: ما تَرتب عليها حَدٌّ أو توعد عليه بالنار أو اللعنة أو الغضب.

أما **الصغائر** فهي: ما ليس فيها حَدٌّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخِرَة[2].

والكبائر إما كفر أو كذب أو غيرهما من الذنوب الكَبِيْرَة الأُخرىٰ. وتفصيل عِصْمَة الأنبياء عن هٰذِهِ الأنواع من الكبائر هو:

أولاً: العِصْمَة من الكفر:

اتفق جُمْهُوْر المُسْلِمِيْن علىٰ أن الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده، ولا يجوز الكفر عليهم في حال صِغَرهم تَبَعاً للوالدَيْن، لأنهم مُؤْمِنون

وفي المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٢٧-٢٢٨: (العِصْمَة تخصيص القدرة بالطاعة، فلا يخلق لمن وُصِفَ بها قدرة المعصية. ولَخَّصَ ابنُ الهُمَام في التَّحْرِيْر هٰذَا التعريف، وذكر معه تعريفاً آخر فقال: العِصْمَةُ عدم قدرة المعصية، أو هي خلقٌ مَانِع منها غير ملجئ إلىٰ تركها، بل يبقىٰ معه الاخْتِيَار. والتعريف الثاني يلائم قول الإمَام أبي مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ: العِصْمَةُ لا تزيل المحنةَ. أي الابتلاء المقتضي لبَقَاء الاخْتِيَار. قال صاحب البِدَايَة: ومعناه - يعني قول أبي مَنْصُوْر - أنها لا تجبره علىٰ الطاعة، ولا تعجزه عن المعصية، بل هي لُطْفٌ من الله تعالىٰ يحمله علىٰ فعل الخَيْر... للابتلاء). وانظر: التَّحْرِيْر وشرحه التَّقْرِيْر والتَّحْبِيْر ج٢ ص٢٢٣.

(١) المُسَامَرَة ص٢٢٩ ومِفْتَاح الباب ص١٧٥.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٣٥٦ وكتابنا: الشُّوْرَىٰ بين النَّظَرِيَّة والتَّطْبِيْق ص١١٤-١١٥.

بالله، عارفون به حقيقة، فلا يجري عليهم حكم الكفر تَبَعاً[1].

ثانياً: العِصْمَة من الكذب:

الصدق: هو مطابقة حكم الخبر للواقع. وأنواعه ثلاثة:

١- الصدق في دعوىٰ الرِّسَالَة.

٢- الصدق في ما يبلغونه عن الله عَزَّ وجَلَّ إلىٰ الناس من الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة.

٣- الصدق في جميع ما ينطق به مما يتعلق بأُمور الدنيا[2].

وضده: الكذب. فيستحيل صدور الكذب عن الأنبياء فيما دَلَّ المُعجِز القاطِع علىٰ صدقهم فيه كدعوىٰ الرِّسَالَة، وما يبلغونه عن الله تعالىٰ إلىٰ الخلائق، علىٰ سَبِيْل العمد بإجماع أهل المِلَل والشرائع كلها، ويستحيل صدوره علىٰ سَبِيْل السهو والنسيان عند أكثر الأَئِمَّة الأَعْلَام. وهو المعتمد علىٰ ما أفاده المحققون[3].

---

(١) شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٢٧-٢٢٨. ونقل الإيْجِيّ في المَوَاقِف ج٨ ص٢٦٤ إجماع الأُمَّة علىٰ عِصْمَة الأنبياء من الكفر قبل النُّبُوَّة وبعدها. وانظر: شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ السَّابِق، وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧٠ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٩ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٠٤.

غير أن الأزراقة من الخَوَارِج جَوَّزوا عليهم الذنب، وكلُّ ذنبٍ عندهم كفرٌ، فلزمهم تجويز الكفر، بل يُحكىٰ عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نَبِيّ عَلِمَ اللهُ تعالىٰ أنه يكفر بعد نبوته. / المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٤. وانظر: المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٩-٥٠ والتَّقْرِيْر والتَّحْبِيْر ج٢ ص٢٢٤ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٩٧ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٦٧.

الصدق من الصفات الأربع عند الدَّرْدِيْر واللَّقَانِيّ كما تَقَدَّم، وأنواعه هي هٰذِهِ الثلاثة، لٰكِنهم قالوا بأن الصدق هو النوعان الأولان، أما النوع الثالث منه فهو من جزئيات الأمانة. / حَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ ص١٧٣ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٠٢.

(٣) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٣، وفيه: الخلاف في جواز صدور الكذب عنهم علىٰ سَبِيْل السهو والنسيان، قال: (منعه الأُستاذ أبو إسْحَاق وكثير من الأَئِمَّة الأَعْلَام لدلالة

أما الكذب فيما يتعلَّق بغير الإرسال والتبليغ فالحقُّ أنه من عِداد سائر الذنوب علىٰ التفصيل الذي سيأتي[١].

والدليل العقلي علىٰ صدق الأنبياء هو:

أ- لو جاز عليهم الكذب والافتراء، للزم الكذب في خبره تعالىٰ، وهو مُحال، لأنه تعالىٰ صدَّقهم بالمعجزات[٢].

ب- الكذب معصية، وهم معصومون منها.

ج- لو كذبوا، وعرف الناس منهم ذٰلِكَ، لانتفت فائدة الرِّسَالَة[٣].

المعجزة علىٰ صدقهم في تبليغ الأَحْكَام، فلو جاز الخُلْفُ في ذٰلِكَ لكان نقضاً لدلالة المعجِزة وهو ممتنع. وجَوَّزَهُ القَاضِي أبو بَكْر مصيراً منه إلىٰ عدم دخوله في التَّصْدِيْق المقصود بالمعجِزة، فإن المعجِزة إنما دَلَّت علىٰ صدقه فيما هو مُتذكِّرٌ له عامدٌ إليه، وأما ما كان من النسيان وفَلَتَات اللِّسَان فلا دلالة لها علىٰ الصدق فيه، فلا يَلْزَم من الكذب هناك نقضٌ لدلالتها).

وفي شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧٠: (الأنبياء معصومون عن الكذب خصوصاً فيما يتعلَّقُ بأمر الشرائع وتبليغ الأَحْكَام وإرْشَاد الأُمَّة، إما عمداً فبالإجماع، وإما سهواً فعند الأكثرين. وعَلَّقَ الكَسْتَلِيّ علىٰ قوله: «إما عمداً فبالإجماع، وإما سهواً فعند الأكثرين» بقوله: هٰذَا في الكذب فيما يتعلَّق بالتبليغ والإرسال، إذ قد دَلَّت المعجزةُ علىٰ صدقهم فيه دلالةً قطعيةً، لٰكِن القَاضِي أبا بَكْر خصَّصها بما يعمدونه ويتذكرونه، فجَوَّز صدور الكذب عنهم سهواً أو نسياناً في الأُمور التبليغية بناءً علىٰ أنه لا دلالة للمعجزة علىٰ عصمتهم عن ذٰلِكَ).

وانظر: شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٧٩ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥٠ والتَّقْرِيْر والتَّحْبِيْر ج٢ ص٢٢٤ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٠٧ والوسيلة ص٦٩٥.

(١) حَاشِيَة الكَسْتَلِيّ ص١٧٠.

(٢) المَوَاقِف ج٨ ص٢٦٣ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٩٧ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٦٧ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٠٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُورِيّ ص٢٠٢.

(٣) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ السَّابِقَة.

والدليل النقلي علىٰ صدقهم:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ - النَّجْم[1].

ب- قوله تعالىٰ: ﴿ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ - يس ٥٢.

ج- قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ - الحَاقَّة.

د- في الحَدِيْث: قالوا يا رَسُوْل الله: إنك تداعبنا. قال: إني لا أقول إلَّا حقاً.

أما ما ظَاهِره الكذب في حق الأنبياء، كما في واقعة إِبْرَاهِيْم الخَلِيْل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين كسر الأصنام، وأبقىٰ كَبِيْرها فقط، فلما سئل ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ - الأنبياء، فإنه يؤول بأن قصده عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التهديد والتبكيت والاستهزاء، لأنه لم يكن عند الأصنام غيره، فما فائدة قولهم من فعل هٰذَا؟[2].

وقيل معناه: سلوهم إن نطقوا فإنهم يصدقون، وإن لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل. وفي ضمن هٰذَا الكلام اعتراف بأنه هو الفاعل. فقوله هٰذَا من المعاريض، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، وهو الذي صَحَّحَهُ القُرْطُبِيّ[3] وقيل غيره[4].

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص٩٧.

(٢) حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص٩٧ وتَفْسِيْر البَيْضَاوِيّ ص٣٢١.

وحَدِيْث المداعبة، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٢٤ كتاب البرّ والصِّلَة، ٥٧ باب ما جاء في المِزَاح، رقم ١٩٩٠، ص٣٣٢، عن أبي هُرَيْرَة، وهو حَدِيْث حَسَن صَحِيْح.

(٣) تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ ج٦ ص٤٣٤٠.

(٤) انظر: تَفْسِيْر البَيْضَاوِيّ السَّابِق.

ثالثاً: العِصْمَة من الكبائر الأُخرىٰ:

ونبين هنا حال صدور الكَبِيْرَة عنهم عمداً أو سهواً، قبل البعثة أو بعدها.

قبل البعثة:

الأنبياء قبل بعثتهم معصومون عن صدور الكَبِيْرَة، التي توجب النُّفْرَة منهم مطلقاً، كعُهْر الأُمَّهَات والفجور في الآباء[١].

أما الكبائر الأُخرىٰ فلا يمتنع صدورها عنهم عند أكثر الأَشَاعِرَة وجمع من المُعْتَزِلَة، إذ لا دلالة للمعجزة علىٰ امتناع الكَبِيْرَة قبل البعثة. وبه قال الإبَاضِيَّة.

وقال أكثر المُعْتَزِلَة: يمتنع صدور الكَبِيْرَة منهم، لأنها توجب النُّفْرَة عمن ارتكبها، وهي تمنع عن اتباعه، فتفوت مصلحة البعثة[٢].

وبعد البعثة:

هم معصومون منها عمداً، وهو قول الجُمْهُوْر من المحققين والأَئِمَّة. ومعصومون منها سهواً أو علىٰ سَبِيْل الخطأ في التأويل، وهو المُخْتَار[٣].

وأطلق الزَّيْدِيَّة والإمَامِيَّة المنعَ من وقوع الكبائر منهم، علىٰ ما سيأتي.

---

(١) المَوَاقِف ج٨ ص٢٦٥ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧١ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٧٩ نَقْلاً عن شَرْح العَقَائِد.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٥. وانظر: شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧١. وقول الإبَاضِيَّة في: مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٢٥.

(٣) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٤-٢٦٥ وفيه: (صدور الكبائر عنهم عمداً بعد الوحي منعه الجُمْهُوْر من المحققين والأَئِمَّة، ولم يخالف فيه إلَّا الحَشْوِيَّة. أما صدورها عنهم سهواً أوعلىٰ سَبِيْل الخطأ في التأويل فجَوَّزَهُ الأكثرون، والمُخْتَار خلافه). وانظر: المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٣٢ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧٠-١٧١ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥١ والوسيلة ص٦٩٥ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٢٥.

النوع الثاني: العِصْمَة من الصغائر

الصغائر نوعان:

أ- صغائر الخِسَّة التي تلحق فاعلها بالأراذل، كسرقة حَبَّة أو لقمة والتطفيف بتمرة.

والأنبياء قبل البعثة: معصومون منها[١].

وبعد البعثة كذٰلِكَ، فلا تصدر عنهم أَصلاً، لا عمداً ولا سهواً بالاتفاق[٢].

ب- الصغائر الأُخرىٰ:

والأنبياء غير معصومين منها، قبل البعثة عمداً وسهواً.

أما بعد البعثة فهم معصومون منها عمداً، وتجوز سهواً، لٰكِن لا يُصِرُّون عليها، ولا يُقَرُّون من الله تعالىٰ عليها، بل يُنَبَّهُون فيتنبهون. وعليه المحققون من المُحَدِّثِيْن والسَّلَف الصالح[٣]، لقوله ﷺ: (إنما أنا بَشَر أَنْسَىٰ كما تَنسَون، فإذا نَسِيت فذكّروني)[٤]. هٰذَا قول الأَشَاعِرَة.

وذهب المُعْتَزِلَة إلىٰ تجويز الصغائر علىٰ الأنبياء، إما علىٰ سَبِيْل السهو علىٰ

---

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٥ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ، وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ، السَّابِقَان، والمُسَامَرَة ص٢٣٣-٢٣٤.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف، وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ، والوسيلة، ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل، السَّابِقَة، والمُسَامَرَة ص٢٣٣.

(٣) شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٧٩ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥١. وانظر: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٥ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٠٤-٣٠٥ والمُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٣٢. وهناك أقوال أُخرىٰ في هٰذِهِ المصادر وفي شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧١ والوسيلة ص٦٩٥. وفي شَرْح المَقَاصِد السَّابِق: ذهب إمَام الحَرَمَيْن وأبو هَاشِم من المُعْتَزِلَة إلىٰ تجويز الصغائر عمداً.

(٤) المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٣٤. وقد تقدم تَخْرِيْج الحَدِيْث آنِفاً.

قول بعضهم، أو علىٰ سَبِيْل التأويل علىٰ قول قومٍ منهم، أو لأنها تقع محبَطةً بكثرة ثوابهم[١].

فعِصْمَة الأنبياء عند المُعْتَزِلَة هي عن الكبائر عمداً أو سهواً، والصَّغِيْرَة عندهم لا تُخِلُّ بالعِصْمَة[٢].

وذهب الزَّيْدِيَّة كالمُعْتَزِلَة إلىٰ تجويز الصغائر علىٰ الأنبياء، والمنع من وقوع الكبائر منهم[٣].

وقالت الإمَامِيَّة: يجب عصمتهم عن الذنوب كلها صَغِيْرَة أو كَبِيْرَة[٤]، عمداً وسهواً، قبل الوحي وبعده[٥].

أَدِلَّة عِصْمَة الأنبياء

استدل العُلَمَاء علىٰ عِصْمَة الأنبياء بأَدِلَّة كثيرة منها:

١- لو صدر منهم الذنب، لحرم أتباعهم فيما يصدر عنهم، مع أن أتباعهم فرض، وللإجماع، ولقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ - آل عِمْرَان ٣١.

٢- لو أذنبوا لردت شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ - الحُجُرَات ٦، لأن من لا تُقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا، كيف تسمع شهادته في الدِّيْن القَيِّم؟ أي: القائم إلىٰ يوم القيامة.

٣- إنْ صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم، لعموم وجوب الأمر

---

(١) كَشْف المُرَاد ص٣٧٦.

(٢) خُلَاصَة علم الكلام ص٢٦٧.

(٣) المَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص٩٥.

(٤) كَشْف المُرَاد ص٣٧٦ والباب الحادي عشر وشرحه النَّافِع ص٣٧ ومِفْتَاح الباب ص١٧٦ وخُلَاصَة علم الكلام ص٢٦٧ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٥.

(٥) المصادر السَّابِقَة، إلاَّ كَشْف المُرَاد.

بالمعروف والنهي عن المُنْكَر، ولا شك أَنَّ زجرهم إيذاء لهم، وإيذاؤهم حرام إجماعاً، لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ - الأحزاب ٥٧.

٤- لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن، لدخولهم تحت قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ - الجن ٢٣، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ - البقرة ٤٤، لٰكِن ذٰلِكَ منتفٍ بالإجماع، ولكونه من أعظم المنفِّرات.

٥- قوله تعالىٰ في إبْرَاهِيْم وإسْحَاق ويَعْقُوْب ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ - الأنبياء ٩٠، والجمع المُحَلَّىٰ بالألف واللام للعموم، فيتناول جميع الخَيْرَات من الأفعال والتروك، وقوله ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ - ص ٤٧، أي: من المصطفين الأخيار في كل الأُمور، فلا يجوز صدور ذنب عنهم[١].

٦- لو جاز عنهم أن يخونوا الله تعالىٰ بفعل محرم أو مكروه، للزم أن يكون ذٰلِكَ المحرم أو المكروه طاعة، لأن الله تعالىٰ أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل، إلَّا فيما ثبت اختصاصهم به، فكل ما صدر منهم فنحن مَأْمُوْرون به، وكل مَأْمُوْر به، فهو طاعة، لأن الله تعالىٰ لا يأمر بالفحشاء[٢].

وما نقل عن الأنبياء مما يشعر بمعصية:

فما نقل بطريق خبر الآحاد فمردود، لأن نسبة الخطأ إلىٰ الرُّوَاة أهون من نسبة المعاصي إلىٰ الأنبياء.

أما ما نقل بطريق التواتر فما دام له مَحْمَل آخر حملناه عليه وصرفناه عن ظَاهِره

---

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٥-٢٦٧ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥١-٥٢ وفيهما أَدِلَّة أُخرىٰ.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِير ص٩٧ وشَرْح أُمّ البَرَاهِين للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٧٦ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٢٦ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٠١.

لدلائل العِصْمَة، أما إذا لم نجد له مَحْمَلاً فنفسره علىٰ:

أنه كان قبل البعثة، أو أنه من قبيل ترك الأَوْلَىٰ، أو أنه من قبيل صغائر صدرت عنهم سهواً[1].

ومن النصوص التي تشعر بمعاصي الأنبياء:

أولاً: ما ورد في قصة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القُرْآن الكَرِيْم:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ – طه ١٢١.

والعصيان من الكبائر، بدلالة قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ – الجن ٢٣.

والغواية تؤكد ذٰلِكَ لأنها اتباع الشيطان، لقوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ – الحِجْر ٤٢. وقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ – البقرة ٣٦. واستحقاق الإخْرَاج من الجنة بسبب إزلال الشيطان لهما، يَدُلّ علىٰ أن الصادر منهما كَبِيْرَة.

وخالف آدم النهي عن الأكل من الشَّجَرَة، وارتكاب المنهي عنه ذنب.

وأُجيب عنها:

بأن ذٰلِكَ كان قبل النُّبُوَّة، لأنه لم تكن له في الجنة أُمَّة. وإنما صار نَبِيّاً بعد خروجه من الجنة، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ – طه ١٢٢، إذ الاجتباء كان متأخِّراً عن الواقعة.

وكان ذٰلِكَ عن نسيان، لقوله تعالىٰ: ﴿ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ – طه ١١٥.

---

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٨. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥٣ وشَرْح العَقَائِد للتَّفْتَازَانِيّ والخَيَالي عليه ص١٧١-١٧٢ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٧٩ عن شَرْح العَقَائِد.

أو كان زلة وسهواً، حيث ظن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ المنهي عنها شَجَرَة بعينها، وقد قَرَّبَ فرداً آخر من جنسها[1].

ثانياً: ما ورد في قصة مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من قتله المِصْرِيّ في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ - القصص ١٥.

وقتله كان عدواناً، لقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ - القصص ١٥، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ - القصص ١٦، وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ - الشعراء ٢٠.

أُجيب:

بأن قتله المِصْرِيّ كان قبل النُّبُوَّة.

وجاز أن يكون قتله خطأً.

وما صدر منه من أقوال، فهو محمول علىٰ التواضع وهضم النفس[2].

ثالثاً: ما ورد في حق نبينا مُحَمَّد ﷺ من نصوص، مثل:

١- قوله تعالىٰ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ - الفَتْح ٢، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ - غافر ٥٥ ومُحَمَّد ١٩، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ - التوبة ١١٧، فأسند الذنب للنَّبِيّ ﷺ وتاب عليه، ولا وجود للتوبة إلَّا مع الذنب.

أُجيب:

---

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٨-٢٦٩ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥٣ وشَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٣٢.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٧١. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥٥.

بأن ذٰلِكَ الذنب كان قبل النُّبُوَّة.

أو إنه محمول علىٰ ما فرط منه من الزلة وترك الأفضل.

أو نسب إليه ذنب قومه، فإن رئيس القوم قد ينسب إليه ما فعله بعض أتباعه. والمعنىٰ: ليغفر لأجلك ما تقدم من ذنب أُمتك، وما تأخر عنه، واستغفر لذنب أُمتك، وتاب الله علىٰ أُمَّة النَّبِيّ[1].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ ﴾ - عَبَس.

أُجيب:

بأنه محمول علىٰ أنه عتاب علىٰ ترك الأفضل والأَوْلَىٰ مما يليق بخلقه العَظِيْم، ومثله يُعاتَب علىٰ مثله[2]، فأخطأ في اجتهاده، فعَبَس في وجه الأعمىٰ ابن أُمّ مَكْتُوْم، حين جاء يسأله عن الدِّيْن، لأنه رأىٰ أن مجادلة صناديد قُرَيْش قد تؤدي إلىٰ أنهم سيميلون إليه فيسلمون، وأن الإعراض عنهم قد يَزِيْد في حقدهم ونفرتهم عن الإسلام.

لذٰلِكَ انشغل بهم عن ابن مَكْتُوْم الأعمىٰ المسلم، الذي جاء مستَزِيْداً من الإسلام. فالأَوْلَىٰ أن لا يَعْبِسَ بوجهه، فيتولَّىٰ عنه، بل يتلطَّف معه، لما له من منزلة الإسلام.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ - التوبة ٤٣.

أُجيب:

بأنه تلطف في الخطاب، وعتاب علىٰ ترك الأفضل، وإرْشَاد إلىٰ الاحتياط في تدبيره الخَيْرَات[3]. فإنه ﷺ أذن لجَمَاعَة تعللوا بأعذار - كان الأَوْلَىٰ أن لا تُقبل

---

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٧٩ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥٨.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٧٩ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥٩.

(٣) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥٩.

منهم - فتخلفوا عن غزوة تَبُوْك، وتارك الأفضل في أُمور الحَرْب قد يعاقب.

٤- قوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ - الأنفال.

أُجيب:

بأنه عتاب علىٰ ترك الأَوْلَىٰ الذي هو الإثخان، فإن تحريم الفِدَاء مُسْتَفَاد من هٰذِهِ الآية، فقبل نُزُوْلها لا تحريم. ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾- الأنفال ٦٨: أنه لولا سبق تحليل الغنائم لعذَّبتكم بسبب أخذكم هٰذَا الفِدَاء[١]، لأن الرَّسُوْل ﷺ حين استشار أصحابه في أخذ الفِدَاء من أسرىٰ بَدْر، ومنهم سبعون من أشراف قُرَيْش، وآثر أكثرهم أخذ الفِدَاء علىٰ القتل، اجتهد فأيدهم، لأنه رق لحالهم، ورجا أن يسلموا، أو يخرج من أصلابهم المُؤْمِنون، ولينتفع المُسْلِمُوْن بمال الفدية في شؤونهم، فأخطأ في اجتهاده وكان الأفضل أن لا يؤثر أخذ الفِدَاء علىٰ نصرة الإسلام.

وبعد كل هٰذَا:

فإن الله تعالىٰ لم يُبْقِ رَسُوْله علىٰ خطأ، لأنه لو أقره علىٰ الخطأ، لتساوىٰ الخطأ والصواب في الشَّرْع، وفي ذٰلِكَ تضليل ومدعاة إلىٰ التشكيك في الشَّرِيْعَة.

وكان الرَّسُوْل ﷺ يرجع إلىٰ الصواب الذي بينه الله تعالىٰ له، ولا يكتم من الوحي شَيئاً من تسجيل الخطأ عليه، أو توجيه العتاب إليه[٢].

---

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٧٨. وانظر أمثلة أُخرىٰ من هٰذَا في: شَرْح المَوَاقِف، وشَرْح المَقَاصِد، وشَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢) مناهل العِرْفَان ج٢ ص٢٨٨.

حكمة تسجيل زلة الأنبياء

فإن قيل: فما بال زلة الأنبياء حكيت في القُرْآن، بحيث تتلىٰ علىٰ مر الزمان، مع أن الله تعالىٰ غَفَّار ستار، وقد أمرنا بالسِّتْر علىٰ مرتكب الذنب؟

أُجيب:

بأن تسجيل زلتهم يَدُلّ علىٰ:

١- صدق الأنبياء، وأن ما يبلغونه يكون بأمر الله تعالىٰ بلا إخفاء شيء منه.

٢- أن الأنبياء علىٰ جَلَالَة قدرهم وكثرة طاعتهم، يلجؤون إلىٰ الله تعالىٰ دائماً بالاستغفار والتضرع في أدنىٰ زلة، فعلىٰ الناس - وهم أدنىٰ مرتبة منهم بكثير - أن يتضرعوا إلىٰ الباري كل حين.

٣- أن الصغائر ليست مما يقدح في الإيمان، فلا تكفِّر الإنسان[١].

الصفة الثانية: التبليغ

هو إيصال الأَحْكَام التي أُمروا بتبليغها إلىٰ المُرْسَل إليهم[٢]، ليرشدوهم إلىٰ سَعَادَة الدنيا والآخِرَة، وكل منهم لم يُخفِ عن الناس من ذٰلِكَ شَيئاً عمداً أو سهواً[٣].

وأقسام الموحىٰ به ثلاثة:

١- قسم أُمروا بكتمانه، كبعض الأسرار الإلٰهِيَّة، فهو خاص بينهم وبين ربهم، لم

---

(١) انظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٦٠.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠٠.

(٣) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٦٨.

يُبلِّغوا منه حرفاً.

٢- قسم خُيِّرُوا فيه بين التبليغ وعدمه، بلغوا بعضه وكتموا البعض الآخر.

٣- قسم أُمروا بتبليغه، فلم يكتموا منه حرفاً.

وهٰذَا القسم (الأَخِيْر) هو الذي بَلَّغوه إلىٰ من أُرسلوا إليه، لأنهم مَأْمُوْرون بتبليغه، لوجوبه عليهم[١].

والدليل العقلي علىٰ وجوبه:

١- أنهم لو كتموا شَيئاً مما أُمروا بتبليغه للخلق، لأَصبحنا مَأْمُوْرين بكتمان العلم، لأن الله أمرنا بالاقتداء بهم، مع أن الأَحَادِيْث صريحة في أن كاتم العلم ملعون[٢].

٢- أنهم لو كتموا شَيئاً مما أُمروا بتبليغه، لكانوا خائنين، مع أنهم معصومون عن الخيانة[٣].

٣- أنهم مبشرون ومُنْذِرون، لقوله تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ - النساء ١٦٥، ولا يَتِمّ التبشير والإنذار إلّا بالتبليغ.

٤- لو أنهم كتموا ما أُمروا بتبليغه لكانوا ملعونين بنص الكتاب، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ - البقرة ١٥٩[٤].

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص١٠١. وانظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٠٣ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ السَّابِقَة.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٠٣.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠٠ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٦٩. وانظر: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٠٨.

(٤) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠٠-١٠١.

والدليل النقلي:

قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ - المائدة ٩٩.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ - المائدة ٦٧[١].

الصفة الثالثة: الفطانة

هي: التَّيَقُّظ والتَّفَطُّن[٢] وحِدَّة العقل وذكاؤه[٣] وقوة الرأي[٤].

فلا يجوز أن يكون النَّبِيّ مُغَفَّلاً أو بليداً أو أبله[٥].

الدليل العقلي علىٰ وجوب هٰذِهِ الصفة للأنبياء:

١- لأنهم أُرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شُبَه المجادلين، ولا يكون ذٰلِكَ من أبله ولا من مُغَفَّل[٦].

٢- لأنهم ساسة الجميع ومرجعهم في المشكلات[٧].

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر، ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ، السَّابِقَان.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٠٢.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠٠.

(٤) في المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٦١: (من شروط النُّبُوَّة: كَمَال العقل والذكاء والفِطْنَة وقوة الرأي، ولو في الصِّبَا كعِيسَىٰ ويَحْيَىٰ عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ). وكذا في لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٧.

(٥) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠٠ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٠٢ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق.

(٦) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر، وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ، السَّابِقَان، ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٧٠.

(٧) المُسَامَرَة ص٢٢٦.

٣- لأننا مَأْمُوْرون بالاقتداء بهم في الأقوال والأفعال، والمقتدىٰ به لا يكون بليداً.

٤- البلادة صفة نقص، تُخِلّ بمنصبهم الشَّرِيْف[١].

والدليل النقلي عليها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ - الأنبياء ٧٩.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ - ص ٢٠.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ - النَّحْل ١٢٥. أي: بالطريق التي هي أرفق بهم، والجدال لا يكون إلَّا من فَطِنٍ ذكيّ[٢].

الصفة الرابعة: الذكورة

اختلف العُلَمَاء في أن الذكورة شرطٌ في الأنبياء علىٰ قولين:

القول الأول: الذكورة شرط في النَّبِيّ، وهو الذي اتفق عليه جُمْهُوْر العُلَمَاء، فلا يجوز أن تكون المرأة نبية، بل إن بعضهم[٣] نقل الإجماع علىٰ هٰذَا القول. ومن أَدِلَّة هٰذَا الشرط ما يأتي:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ - يُوْسُف ١٠٩[٤].

---

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠٠ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ السَّابِقَة.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٠٢ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ السَّابِقَة.

(٣) قال الإمَام جَلَال الدِّيْن جَارُ الله: اتفق أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة أن الذكورة شرط النُّبُوَّة، خلافاً للأَشْعَرِيّ. / شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٣٠.

ونقل الإجماعَ علىٰ عدم نُبُوَّة النساء، الكَرْمَانِيُّ في شَرْح البُخَارِيّ. / حَاشِيَة المَرْجَانِيّ علىٰ شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة ج١ ص٩. وحكىٰ الإجماعَ علىٰ عدم نُبُوَّة مريم، البَيْضَاوِيُّ وغيره. / المُسَامَرَة ص٢٣١ وتَفْسِيْر البَيْضَاوِيّ ص٦٨.

(٤) شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٣٠.

فأثبت الرِّسَالَة للرِّجَال الموحىٰ إليهم، وأشعر بنفي ذٰلِكَ عن غيرهم، فلا تكون أُنثىٰ نَبِيَّةً[١].

ب- وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ - الأنعام ٩.

ج- النُّبُوَّة والرِّسَالَة تقتضي: الاشتهار بالدعوة، وإظهار المعجزة، ولزوم الاقتداء. والأُنوثة توجب السِّتْر، فبينهما تَنَافٍ[٢].

د- النساء لا يَصْلُحن للإمارة والسَّلْطَنَة والقَضَاء وإقامة الصلاة بالإجماع، فلا يَصْلُحن للنُّبُوَّة من باب أَوْلَىٰ[٣].

القول الثاني: لا تُشترط الذكورة في النَّبِيّ، وهو قول الأَشْعَرِيّ[٤] والقُرْطُبِيّ[٥] وبعض أهل الظَّاهِر والحَدِيْث[٦]، فقالوا بنُبُوَّة مريم، بدليل:

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ - مريم ١٦، فذكرها تعالىٰ في عداد الأنبياء[٧].

وبإرسال جِبْرِيْل إليها بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ - مريم ١٧[٨].

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٥.

(٢) شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٣٠ عن الصَّابُوْنِيّ الذي صَحَّحَ هٰذَا القول. ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٦.

(٣) شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا السَّابِق.

(٤) شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا عن الإِمَام جَلَال الدِّيْن جَار الله، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة، السَّابِقَان.

(٥) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق. وانظر رأي القُرْطُبِيّ في تَفْسِيْره عند تَفْسِيْر الآية ٤٢ من آل عِمْرَان و١٦ من مريم.

(٦) المُسَايَرَة ص٢٣٠.

(٧) شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٣٠-٢٣١ وذكر أنها حُجَّة الأَشْعَرِيّ.

(٨) شَرْح المُسَايَرَة لقَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا ص٢٣١ وذكر أنها حُجَّة الأَشْعَرِيّ. والمُسَامَرَة ص٢٣١.

وباصطفاء الله تعالىٰ لها بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ – آل عِمْرَان ٤٢(١).

وقال البعضُ بنُبُوَّة أُمّ مُوسَىٰ(٢)، بدليل:

وحي الله تعالىٰ إليها، بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ – القصص ٧.

ورَدَّ الجُمْهُوْر هٰذَا القول بأن اصطفاء مريم وإرسال جِبْرِيْل إليها لم يكن وحياً بشرع، إذ لا دلالة عليه في الآيات المذكورة(٣)، والوَحْي إلىٰ أُمِّ مُوسَىٰ لا يراد به إلاَّ معنىٰ الإلْهَام، كقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ – النَّحْل ٦٨.

الصفة الخامسة: السَّلاَمَة من النقائص

وأعني بهٰذَا الشرط الأُمور الآتية:

أ- أن يكون سالماً من نقص الخِلْقَة. فشرطه أن يكون أَكْمَل أهل زمانه خَلْقاً حال الإرسال (أي: حال بعثه إلىٰ الناس).

وقد يُعترَض بعُقْدَة لِسَان مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيُجاب:

بأن عُقْدَة لِسَان مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانت قبل الإرسال، وأُزيلت بدعوته عند الإرسال، بدليل:

دعاء مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين أوحىٰ الله تعالىٰ إليه، وأمره بالدعوة قال: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً

---

(١) المُسَامَرَة السَّابِق.

(٢) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٦. لٰكِن في تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ عند تَفْسِيْر الآية ٧ من سورة القصص: (وأجمع الكل علىٰ أَنَّ أُمَّ مُوسَىٰ لم تكن نَبِيَّة).

(٣) المُسَامَرَة ص٢٣١.

﴿مِن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ۝٢٨﴾ – طه، فأجابه تعالىٰ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ – طه ٣٦[١].

ب– أن يكون سالماً من العيوب المُنَفِّرَة للطِّبَاع من الأمراض والأسقام كالبَرَص والجُذَام[٢].

وقد يُعتَرَض ببلاء أَيُّوْب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي أُصيب بداء جِلْدِيّ نَفَّرَ الناس منه، فيُجاب:

بأن بلاءه كان قبل نبوته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٣]، وقد زال بعدها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ – الأنبياء ٨٤.

ج– أن يكون سالماً من دناءة الصِّنَاعَة كالحِجامة، ومن قلة المروءة كالأكل علىٰ الطريق[٤]. وهٰذَا مبني علىٰ تقدِير: أن العُرف كان يستنكر ذٰلِكَ في زمن النَّبِيّ ﷺ[٥].

د– أن يكون سالماً من القسوة[٦] والفَظَاظَة والغلظة[٧]، لأن قسوة القلب مُوجِبَةٌ للبعد عن الله تعالىٰ، إذ هي مَنْبَع المعاصي، لأن القلب هو المُضْغَة التي إذا صَلَحَت

---

(١) المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٢٦.

(٢) المُسَامَرَة ص٢٢٦ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٦١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٧.

(٣) المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٣٢.

(٤) المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٢٦ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٦١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٧ والوسيلة ص٦٩٣.

(٥) المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٣٢.

(٦) المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٢٦.

(٧) المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٦١ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٧.

صَلَحَ الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما نطق به الحَدِيْث الصَّحِيْح، قال ﷺ: (إن أبعد الناس من الله القلبُ القاسي)(١).

ولأن الغلظة والشدة وعدم اللين مع الناس، يوجب النُّفْرَة من النَّبِيّ، لذٰلِكَ يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ - آل عِمْرَان ١٥٩.

وأخيراً:

فإن هٰـذِهِ الصفات التي مرت بنا الواجبة للأنبياء، تعني اتصافهم بكل كَمَال إنساني، وتنفي عنهم كل نقص بشري، لأن النُّبُوَّة أَشْرَف مناصب الخلق، ومقتضية لغَايَة الإجْلَال اللائق بها، فيعتبر لها انتفاء ما ينافي ذٰلِكَ(٢).

لذا يستحيل علىٰ الأنبياء أضداد الصفات المتقدِّمة الواجبة في حقهم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فيستحيل عليهم:

ما هو ضد العِصْمَة، مثل الخيانة والكذب والكفر وارتكاب الذنوب.

وما هو ضد التبليغ، مثل كتمان ما أُمروا بتبليغه.

وما هو ضد الفَطَانَة، مثل البلادة والغفلة والبَلَاهَة(٣).

وما هو ضد السَّلَامَة من النقائص، كالعيوب التي تُخِلُّ بالشخصية، التي تُخِلُّ بحكمة بعثتهم رسلاً مبشرين ومُنْذِرِيْن.

---

(١) المُسَامَرَة ص٢٢٦.

وحَدِيْث: إن أبعد الناس... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٣ كتاب الزهد، ٦٢ باب منه، رقم ٢٤١١، ص٣٩٤، وقال: حَدِيْث حَسَن غَرِيْب.

(٢) المُسَامَرَة ص٢٢٧.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠٠-١٠١. وانظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٠٤.

الوَحْي

الوَحْي لُغَةً: قال أبو إسْحَاق: أصل الوَحْي في اللُّغَة كلها إعْلَام في خفاء. ولذٰلِكَ صار الإلْهَام يسمىٰ وَحْياً، قال الأَزْهَرِيّ: وكذٰلِكَ الإشارة والإيماء يسمىٰ وَحْياً، والكتابة تسمىٰ وَحْياً... وكل هٰذَا إعْلَام، وإن اختلفت أسباب الإعْلَام فيها[1].

والوَحْي اصْطِلَاحاً: هو أن يُعْلِمَ الله تعالىٰ من اصطفاه من عِبَاده كلَّ ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهِدَايَة والعلم، ولٰكِن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر[2].

سُئِلَ الزُّهْرِيّ عن الوَحْي فقال: الوَحْي ما يوحي الله إلىٰ نَبِيّ من الأنبياء، فيثبته في قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به، ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته، ولٰكِنه يحدِّث به الناس حَدِيْثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس، ويبلغهم

---

(١) لِسَان العَرَب مادة (وحي).

من المعاني اللُّغَوِيَّة لكلمة (الوَحْي) في القُرْآن الكَرِيْم ما يأتي:

أ- الكلام الخفي: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ - الأنعام ١١٢، أي: يُسِرُّ بعضهم إلىٰ بعض.

ب- الإلْهَام: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ - النَّحْل ٦٨، أي: أَلْهَمَ النَّحْل.

ج- الإشارة: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ - مريم ١١، أي: أشار إليهم.

د- الأمر: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ - الزلزلة ٥.

انظر: المفردات للرَّاغِب، مادة (وحي).

وذكر القَاضِي عِيَاض في الشفا ج١ ص٢٥٢ قولين في أصل الوَحْي: أولهما: الإسراع، ومنه تلقي النَّبِيّ لأنه علىٰ عَجَل، ومنه الإلْهَام، ومنه الخط لسرعة حركة اليد... . وثانيهما: السر والإخفاء ومنه الإلْهَام، وإيحاء الشياطين، أي: وسوستهم.

(٢) مناهل العِرْفَان ج١ ص٥٦.

إياه[١].

فإذا أُطلق (الوَحْي) في لِسَان أهل الشَّرْع انصرف إلىٰ التَّعْلِيْم السِّرِّيّ الصادر من الله تعالىٰ الوارد إلىٰ الأنبياء، فهو أخص من المعنىٰ اللُّغَوِيّ بخصوص مصدره ومورده[٢].

أنواع الوَحْي

جمع أنواعَ الوَحْي قولُه عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ - الشُّوْرَىٰ ٥١.

تفيد هٰذِهِ الآية الكَرِيْمَة أنه: ما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلَّا علىٰ أحد ثلاثة أوجه[٣]:

الوجه الأول: وَحْياً. أي: إما عن الوَحْي وهو:

أ- الإلْهَام والقذف في القلب: كما أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ أُمّ مُوسَىٰ أن أرضعيه، ومنه قوله ﷺ: (إن رُوح القُدُس نَفَثَ في رُوْعي: أن نفساً لن تموت حتىٰ تستكمل أَجَلَهَا وتَستوعِبَ رزقَها...).

ب- الرؤيا في المنام: كما أوحىٰ الله إلىٰ إبْرَاهِيْم بذبح ولده إسْمَاعِيْل، ومنه مبدأ وَحْي النَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرىٰ رؤيا إلَّا جاءت مثل فلق الصبح، كما جاء في الحَدِيْث الصَّحِيْح.

---

(١) الإتْقَان ص١٢٠، وفيه: أَخْرَجَهُ ابن أبي حَاتِم من طريق عُقَيْل عن الزُّهْرِيّ.

(٢) المُخْتَار من كنوز السُّنَّة النَّبَوِيَّة ص١.

(٣) قال الإمَام الرَّازِيّ في تَفْسِيْر هٰذِهِ الآية ج٢٧ ص١٨٧: (واعلم أن كل وَاحِد من هٰذِهِ الأقسام الثلاثة وحي، إلَّا أنه تعالىٰ خصص القسم الأول باسم الوَحْي لأن ما يقع في القلب علىٰ سَبِيْل الإلْهَام، فهو يقع دفعة، فكان تخصيص لفظ الوَحْي به أَوْلَىٰ. فهٰذَا هو الكلام في تَمْيِيْز هٰذِهِ الأقسام بعضها عن بعض). وانظر أقوالاً أُخرىٰ أَيضاً في: سُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٢ ص٣٥٢.

الوجه الثاني: أو من وراء حجاب. أي: وإما علىٰ أن يسمعه من غير واسطة مبلغ، كما أسمع الله تعالىٰ مُوسَىٰ كلامه من غير واسطة، وكذا الملائكة الذين كلمهم الله تعالىٰ في خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الوجه الثالث: أو يرسل رَسُوْلاً. أي: وإما علىٰ أن يرسل إليه رَسُوْلاً من الملائكة، فيبلغ ذٰلِكَ المَلَك ذٰلِكَ الوَحْي إلىٰ الرَّسُوْل البشري. ورَسُوْل الملائكة هو جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ(1).

أساليب نُزُوْل جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ على رَسُوْل الله مُحَمَّد ﷺ

لنُزُوْل جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ أساليب مُخْتَلِفَة هي:

أ- أن يأتي إلىٰ النَّبِيّ ﷺ علىٰ صورته الحقيقية المَلَكِيَّة.

ب- أن يأتي إلىٰ النَّبِيّ ﷺ علىٰ صورة رجل فيكلمه، كما في الصَّحِيْح: (وأَحيَاناً يَتَمَثَّل لي المَلَكُ رَجُلاً فيكلِّمني، فأعِي ما يقول). وزاد أبو عَوَانَة في صَحِيْحه: (وهو أهونه عَلَيّ).

فيراه الحاضرون ويستمعون إليه، كما في حَدِيْث عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قال: بينما نحن عندَ رَسُوْل الله ﷺ ذاتَ يومٍ، إذْ طَلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب، شديدُ

---

(1) انظر: تَفْسِيْر الرَّازِيّ ج٢٧ ص١٨٦ وتَفْسِيْر القُرْطُبِيّ ج٨ ص٥٨٧٣ وروح المعاني للآلُوْسِيّ ج٢٥ ص٥٤ وزاد المعاد ج١ ص١٨ والإتْقَان ص١٢٠.

وحَدِيْث: إن رُوح القُدُس... إلخ، رواه أبو نُعَيْم في الحِلْيَة عن أبي أُمَامَة. / الجَامِع الصَّغِيْر ص١٣٨ وضَعَّفَهُ السُّيُوْطِيّ.

الرُّوْع (بضم الراء): العقل والقلب.

وحَدِيْث: أول ما بدئ به رَسُوْل الله ﷺ من الوَحْي الرؤيا الصالحة... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١ كتاب بَدْء الوَحْي، ٣ باب، رقم ٣، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بَدْء الوَحْي إلىٰ رَسُوْل الله ﷺ، رقم ١٦٠، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

سواد الشَّعَرِ، لا يُرَىٰ عليه أَثَرُ السفَر، ولا يَعرفه منا أَحَدٌ، حتىٰ جلس إلىٰ النَّبِيّ ﷺ، فأسند رُكْبَتَيْهِ إلىٰ رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ علىٰ فَخِذَيْهِ، وقال: يا مُحَمَّد أَخْبِرْني عن الإسلام... إلخ).

وكان قد سأل النَّبِيّ ﷺ عن الإسلام والإيمان وأمارات الساعة، ورَسُوْل الله ﷺ يجيبه، حتىٰ إذا انتهىٰ من أسئلته وذهب، قال رَسُوْل الله ﷺ: (فإنه جِبْرِيْل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أتاكم يُعلمُكم دينكم).

ج- أن يأتي إلىٰ النَّبِيّ ﷺ خفية دون أن يراه أحد، فيظهر عليه أثر التغير والانفعال.

والرَّسُوْل ﷺ يصف حالته عند الوَحْي فيقول: (أَحيَاناً يأتيني مِثْلَ صَلْصَلَة الجَرَس، وهو أَشَدُّه عَلَيّ، فيُفْصَم عني، وقد وَعَيْتُ عنه ما قال).

قال الخَطَّابِيّ: والمُرَاد أنه صوت متدارك يسمعه، ولا يتثبته أول ما يقرع سمعه، حتىٰ يفهمه من بعد ذٰلِكَ.

والحكمة في تقدمه: أن يفرغ سمعه للوَحْي، فلا يبقىٰ فيه مكان لغيره.

وفي الصَّحِيْح كما تقدم آنِفاً أن هٰذِهِ الحالة أشد حالات الوَحْي عليه.

قيل: إنه إنما كان ينزل هٰكَذَا، إذا نزلت آية وعيد أو تهديد[1].

---

(١) الإتْقَان، وزاد المعاد، السَّابِقَان، وإرْشَاد السَّارِي ج١ ص٥٨ وشَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ بهامش إرْشَاد السَّارِي ج٩ ص١٨٣.

وحَدِيْث: وأَحيَاناً يَتَمَثَّل لي المَلَك... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١ كتاب بَدْء الوَحْي، ٢ باب، رقم ٢، بهٰذَا اللفظ، عن عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا. و٥٩ كتاب بَدْء الخلق، ٦ باب ذكر الملائكة، رقم ٣٢١٥، عن عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا. وصَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٢٣ باب عَرَق النَّبِيّ ﷺ في البرد وحين يأتيه الوَحْي، رقم ٢٣٣٣، عن عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

وحَدِيْث: بينما نحن عند رَسُوْل الله ﷺ ذات يوم... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، أول باب الإيمان والإسلام والإحسان...، رقم ٨، عن عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وسيأتي كلام آخر عن أحوال النَّبِيّ ﷺ عند الوَحْي، وذٰلِكَ عند الكلام عن الوَحْي (الوَحْي أمر خارج عن النفس) بعد قليل.

كيفية الوَحْي ونُزُوْله على النَّبِيّ ﷺ

العلم بكيفية الوَحْي سِرٌّ من الأسرار التي لا يدرك كيفيتها العقل، وسَمَاع المَلَك من الله تعالىٰ ليس بَحْرف أو صوت، بل يخلق الله تعالىٰ للسامع علماً ضرورياً. فكما أن كلامه تعالىٰ ليس من جنس كلام البشر، فسَمَاعه الذي يخلقه لعَبْده ليس من جنس سَمَاع الأصوات[1].

ولنُزُوْل الوَحْي علىٰ النَّبِيّ ﷺ طريقان:

أحدهما: أن النَّبِيّ ﷺ انخلع من صورة البَشَرِيَّة إلىٰ صورة المَلَكِيَّة، وأخذه من جِبْرِيْل.

وثانيهما: أن المَلَك انخلع إلىٰ البَشَرِيَّة حتىٰ يأخذه الرَّسُوْل منه[2].

وفي الحالتين صعوبة وشدة علىٰ الجِبِلَّة البَشَرِيَّة، لذٰلِكَ كان يحدث في تلك الحالة غيبة وغَطِيْط[3].

وحَدِيْث: **أَحيَاناً يأتيني مثل صَلْصَلَة الجَرَس**... إلخ، في الحَدِيْث المتقدم: (وأَحيَاناً يَتَمَثَّل لي المَلَك رَجُلاً...)، وتَخْرِيْجه هناك.

(١) إرْشَاد السَّارِي ج١ ص٥٩.

(٢) الإتْقَان ص١١٨ والوَحْي المُحَمَّدِيّ ص٨٣ وفيه قول ابن خَلْدُوْن. وإرْشَاد السَّارِي ج١ ص٥٩ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٢ ص٣٤٢.

(٣) إرْشَاد السَّارِي ج١ ص٦٠.

الجِبِلَّة: الخِلْقَة والطبيعة والغريزة. / المِصْبَاح المُنِيْر مادة (جَبَل)، والقَامُوْس المُحِيْط مادة (الجبل).

الغَطِيْط: تردُّد النَّفَس صاعداً إلىٰ الحلق حتىٰ يسمعه من حوله. / المِصْبَاح المُنِيْر مادة (غطه).

وصورة اندماج النَّبِيّ بالمَلَك يمكن أن يتصورها الذهن، حين يتصور التنويم المغناطيسي، الذي كَشَفَهُ الدكتور مسمر الألماني في القرن الثامن عشر، وأقام عليه البَرَاهِيْن، حتىٰ اعترف به العُلَمَاء عِلْمِيّاً، بعد أن اختبروا الآلاف من الخلق، وله في الغرب أَنْصَار كثيرون، وله دور وكتب ومستشفيات يؤمها الناس للتداوي به.

وفيه يسيطر الأُستاذ المنوِّم علىٰ الوَسِيْط بإيحاءاته، فيغط الوَسِيْط بنومه، فيسأله عما يريد، فيجد الجواب حاضراً، وقد يأمره أو ينهاه، فينفذ الوَسِيْط ذٰلِكَ ولو بعد صحوه. ولا بد أن يكون بين نفسين مُخْتَلفي الطبائع أحدهما أقوىٰ إرادة من الأُخرىٰ، فلا يستطيع امرؤ أن يقوم بهٰذِهِ التَّجْرِبَة علىٰ نفسه.

فالتنويم المغناطيسي يقرِّب أمر الوَحْي، فاتصال المَلَك بالرَّسُوْل يؤثر به لاستعداد خاص فيهما، ففي المَلَك قوة الإلقاء والتَّأْثِيْر لأنه روحاني محض، والثاني فيه قابلية التَّلَقِّي عن هٰذَا المَلَك، لصفاء روحانيته وطهارة نفسه المناسبة لطهارة المَلَك، وعند تسلط المَلَك ينسلخ الرَّسُوْل عن حالته العادية، فيظهر التغير عليه، فيتلقىٰ من المَلَك، وينطبع في قلبه ما تلقاه، حتىٰ إذا انجلىٰ عن الوَحْي، وجد ما تلقاه منقوشاً علىٰ قلبه، لا ينساه[1].

ثم إننا لم نجد ما يدفع هٰذَا الاتصال بين المَلَك والنَّبِيّ، بدليل:

أن العلم الحَدِيْث يَسَّرَ لنا الأجهزة العِلْمِيَّة، التي أدركنا بها ما كان مجهولاً من قبل. فمن هٰذِهِ الأجهزة ما سجل تصادم الأشعة الكونية في الفضاء، ومنها ما يَدُلّنا علىٰ صوت ذباب طائر علىٰ بعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك، وهٰذِهِ الآلات الحَدِيْثَة تستطيع إدراك ما لا يمكننا سَمَاعه بالطرق السمعية التقليدية.

وهٰذِهِ الطاقة غير العادية للسَّمَاع لا تخص الآلات العِلْمِيَّة الحَدِيْثَة وإنما وَهْبها الله

---

(١) مناهل العِرْفَان ج١ ص٥٩-٦٠ وفيه أمثلة عن تَجَارِب التنويم المغناطيسي، والنبأ العَظِيْم ص٧٥-٧٦.

تعالىٰ لبعض الحيوانات.

فالكلب يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذي مر من الطريق، وقد استُغلت هٰذِهِ الحاسة لكَشْف المجرمين، فالقفل الذي كسره اللص يشمه الكلب المدرب، ثم يقتفي أثره، فيميزه من بين الآلاف.

وحشرة (العُثَّة) مجنَّحة، لو وضعتها علىٰ نافذة فستحدث صوتاً يسمعه قرينها علىٰ مسافة بعيدة جداً، ويجيبها بطريقته الخاصة.

والجُنْدُب يحك رجليه وجناحيه، ويصوت بطريقة غير عادية، ويسمع علىٰ بُعد نصف ميل.

ولأبي النطيط قدرة خارقة، فهو يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر من ذرة الهيدروجين....

وهناك أمثلة أُخرىٰ كثيرة تدل علىٰ أن هناك وَسَائِل غير مرئية لدىٰ ذوي الحواس الخاصة، وإذا كان الأمر كذٰلِكَ فلا غرابة في ادعاء النَّبِيّ أنه يسمع صوتاً من ربه لا يدركه عامة الناس، ما دام من الممكن أن توجد في هٰذَا العالم حركات وأصوات لا يسمعها الإنسان، ولٰكِن تسجلها الآلات، وما دامت هناك رَسَائِل تدركها حيوانات دون أُخرىٰ[1].

الوَحْي أمر خارج عن النفس

الاعْتِقَاد بالوَحْي الإِلٰهِيّ هو الأَسَاس الذي يبنىٰ عليه الإيمان بالنُّبُوَّات، وهو الطريقة التي جاءت بها العَقَائِد والأَحْكَام الشَّرْعِيَّة وغيرها.

لذٰلِكَ اهتم كثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوَحْي مقتفين أثر جهلاء قُرَيْش، وسفهاء المُشْرِكِيْن في ادعاءاتهم الملفقة الكاذبة حول الرَّسُوْل الأعظم ﷺ،

---

(١) الإسلام يتحدىٰ ص٩٦-٩٧.

حين قالوا عنه: إنه ساحر أو مجنون أو شاعر.

حتىٰ قال هٰؤُلَاءِ من المستشرقين[١] وغيرهم: إن الوَحْي ما هو إلاَّ حَدِيْث النفس وإلْهَامها.

أما نحن فنعتقد: أن الوَحْي ليس هو من قبيل الحدس، والشعور البَاطِنِيّ، ودلالات النفس، والفراسة السَّرِيْعَة، التي غَالباً ما تتأثر بالرِّيَاضات الروحية، والتفكير المستديم الطَّوِيْل. أي: إنه ليس من قبيل الوَحْي النفسي، الذي هو الإلْهَام الفائض من استعداد النفس العالية والسَّرِيْرَة الطاهرة[٢].

لأن هٰذِهِ لا تنشئ المَعْرِفَة التامة واليقين الكَامِل، الذي لا ريب فيه فلا تسمو بصاحبها إلىٰ درجة النُّبُوَّة.

بل إن الوَحْي هو (أمر طارئ زائد علىٰ الطباع البَشَرِيَّة)[٣]، خارجي عن النفس والبَاطِن، لا يخضع لأي تَأْثِيْر يطرأ عليهما، يتلقاه النَّبِيّ ﷺ من الذات الإلٰهِيَّة، بواسطة المَلَك الموكل بذٰلِكَ.

والذي يدقق النَّظَر في كيفية الوَحْي ومَعَالِمه، وما يطرأ علىٰ النَّبِيّ ﷺ من ظواهر، يدرك أن الوَحْي لا يتصل بهوىٰ النفس.

يتضح ذٰلِكَ في الأُمور الآتية[٤]:

١- حين جاء المَلَك جِبْرِيْل في غار حِرَاء إلىٰ النَّبِيّ ﷺ أمره بالقِرَاءَة - وهو

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العَرَبِيّ لبروكلمان ج١ ص١٣٤.

(٢) الكلام عن الوَحْي النفسي في: الوَحْي المُحَمَّدِيّ ص٦٦.

(٣) إرْشَاد السَّارِي ج١ ص٦٠.

(٤) انظر: الوَحْي المُحَمَّدِيّ ص٨٩ وما بعدها، ومناهل العِرْفَان ج١ ص٥٦ وما بعدها، وج٢ ص٢٨٥ وما بعدها، والنبأ العَظِيْم ص٢٠ وما بعدها، والظَّاهِرَة القُرْآنية ص١٦٥ وما بعدها، ومباحث في عُلُوْم القُرْآن ص٢٢ وما بعدها، وكبرىٰ اليقينيات الكونية ص١٩٨ وما بعدها، والرَّسُوْل لسَعِيْد حوىٰ ج٢ ص١٣ وما بعدها.

أُمِّيّ - كما جاء في الصَّحِيْح: (فقال - له جِبْرِيْل - اقرأ[١]. قال: ما أنا بقارئ، قال: - أي: النَّبِيّ ﷺ - فأَخَذَني فغَطَّني حتىٰ بَلَغَ مني الجَهْدَ، ثم أَرسلَني فقال: اقرأ. قلتُ: ما أنا بقارئ. فأَخَذَني فغَطَّني الثانيةَ، حتىٰ بَلَغَ مني الجَهْدَ، ثم أَرسلَني، فقال: اقرأ. فقلتُ: ما أنا بقارئ. فأَخَذَني فغَطَّني الثالثةَ، ثم أَرسلَني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ - العَلَق.

فَرَجع بها رَسُوْل الله ﷺ يَرْجُفُ فؤادُه، فدخل علىٰ خَدِيْجَة بنت خُوَيْلِد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني، فَزَمَّلُوه، حتىٰ ذهبَ عنه الرَّوْعُ. فقال لخَدِيْجَة، وأخبرها الخبرَ: (لقد خَشِيْتُ علىٰ نفسي)[٢].

وفي رِوَايَة أُخرىٰ للبُخَارِيّ: (فَجَئِثْتُ منه رُعباً)[٣]، وفي رِوَايَة أُخرىٰ: (فَجَئِثْتُ

---

(١) الأمر بالقِرَاءَة أمر تكوين لا تكليف، أي: كن قارئاً. ولذٰلِكَ قال له في الثالثة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ - العلق ١، أي: كن قارئاً باسمه ومن قبله وبإقداره إياك علىٰ القِرَاءَة، لا بحولك وقوتك، فهو يعلم أنك أُمِّيّ، أما وقد شاء ربك أن يخلق الإنسان من عَلَق، ويجعله بَصِيْراً وسَمِيْعاً، شاء أن يجعلك قارئاً، لما يوحيه إليك، لتقرأه علىٰ الناس، فأنت تكون قارئاً. / الوَحْي المُحَمَّدِيّ هامش ص٨٥.

وغَطُّ جِبْرِيْل الرَّسُوْلَ ﷺ ليفرغه عن النَّظَر إلىٰ أُمور الدنيا، ويُقبل بكُلِّيته إلىٰ ما يُلقىٰ إليه، وكرره للمُبَالغَة، وقيل: غيره. / إِرْشَاد السَّارِي ج١ ص٦٣.

(٢) **حَدِيْث: فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١ كتاب بَدْء الوَحْي، ٣ باب، رقم ٣، بهٰذَا اللفظ، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وصَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بَدْء الوَحْي إلىٰ رَسُوْل الله ﷺ، رقم ١٦٠، عن عَائِشَة أُمّ المُؤْمنين.

غَطَّني: ضَمَّني بشدَّة وعَصْرني.

(٣) **كلمة: (فَجَئِثْتُ منه رُعباً)**، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر - تَفْسِيْر سورة المُدَّثِّر، ٤ باب ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ - المُدَّثِّر ٤، رقم ٤٩٢٥، عن جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

منه حتىٰ هَوَيْتُ إلىٰ الأرض)[١]، وجَئِثْتُ بمعنىٰ: فزعتُ وخفتُ.

فلجأت زوجته خَدِيْجَة لتُطَمْئِنَ النَّبِيّ ﷺ علىٰ نفسه، وتَطْمَئِنَّ هي عليه، إلىٰ سؤال ابن عمها وَرَقَة بن نَوْفَل، الذي قرأ كتب اليَهُوْد والنَّصَارَىٰ فطمأنهما، وقال: هٰذَا الناموس الذي نَزَّلَ الله علىٰ مُوسَىٰ.

فضَمُّ جِبْرِيْل للنَّبِيّ ﷺ بشدة، وأَمْرُهُ بالقِرَاءَة ثلاثاً، تأكيدٌ لهٰذَا التَّلَقِّي الخارجي، ونفيُ كونه خيالياً، ولذٰلِكَ أسرع إلىٰ زوجته خائفاً من هول ما رآه، فقال لها: (زَمِّلُوني زَمِّلُوني)، فدَثَّروه حتىٰ ذهب عنه الرَّوْع.

ويعاوده الوَحْي بعد مدة، يأمره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ - المُدَّثِّر، فقال لخَدِيْجَةَ متحيِّراً: لقد أمرني جِبْرِيْل أن أُنذر الناسَ، فمن ذا أدعو، ومن ذا يستجيب؟

وهٰذَا يَدُلّ علىٰ أن الوَحْي أمر خارجي عن نفس النَّبِيّ ﷺ من الله تعالىٰ بواسطة المَلَك جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢- الظواهر التي تصاحب النَّبِيّ ﷺ حين يوحىٰ إليه، تشهد أن الوَحْي لم يكن من قبيل حَدِيْث النفس منها:

أ- يسمع النَّبِيّ ﷺ صَلْصَلَة شديدة عليه، كصَلْصَلَة الجَرَس المُتَّصِلَة الشديدة المتداركة. قال ﷺ: (أَحيَاناً يأتيني مِثْلَ صَلْصَلَة الجَرَس، وهو أَشدُّهُ عَلِيّ، فيُفْصَمُ عني، وقد وَعَيْتُ عنه ما قال)[٢].

---

(١) كلمة: **(فَجَئِثْتُ منه حتىٰ هَوَيْتُ إلىٰ الأرض)**، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر - تَفْسِيْر سورة المُدَّثِّر، ٥ باب قوله ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ - المُدَّثِّر ٥، رقم ٤٩٢٦، عن جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) **حَدِيْث: أَحيَاناً يأتيني مثل صَلْصَلَة الجَرَس**... إلخ، تَقَدَّمَ آنِفاً.

وفي مُسْنَد أَحْمَد ج٢ ص٢٢٢: عن عبد الله بن عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سألت النَّبِيّ ﷺ هل تحسّ بالوَحْي؟ فقال: نعم أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذٰلِكَ، فما من مرة يوحىٰ إِلَيَّ، إلَّا ظننت أن نفسي تفيض.

ب- يَتَفَصَّدُ عَرَقاً في اليوم الشديد البرد:

فعن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (ولقد رأيتُه يَنزِل عليه الوَحْيُ في اليوم الشديد البَرْد، فيُفْصَمُ عنه، وإنَّ جبينه لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً)[١].

ج- يَغِطُّ في رأسه، ويتربَّد وجهه، (أي: يتغير فيصبح كلون الرماد):

قال عُبَادَة بن الصَّامِت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان نَبِيّ الله ﷺ إذا أُنزِل عليه الوَحْيُ كُرِبَ لذٰلِكَ، وتَرَبَّدَ وجهُه)[٢].

لذٰلِكَ كان يُستر وجهه بثوب عند نُزُوْل الوَحْي عليه، وله غَطِيْط من الآلام التي

---

(١) **حَدِيْث: ولقد رأيته ينزل عليه الوَحْي**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١ كتاب بَدْء الوَحْي، ٢ باب، رقم ٢.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٢٣ باب عَرَق النَّبِيّ ﷺ في البرد وحين يأتيه الوَحْي، رقم ٢٣٣٣، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (إن كان ليُنْزَلُ علىٰ رَسُوْل الله ﷺ في الغَدَاة الباردة، ثم تَفِيض جَبهتُه عَرَقاً). وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٩ كتاب التوبة، ١٠ باب في حَدِيْث الإفك...، رقم ٢٧٧٠، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (... حتىٰ أنزل الله عَزَّ وجَلَّ علىٰ نبيه ﷺ فأَخَذَه ما كان يأخُذُه من البُرَحَاء عندَ الوَحْي، حتىٰ إنه لَيَتَحَدَّرُ منه مِثْلُ الجُمَان من العَرَق في اليوم الشَّات، من ثِقَل القول الذي أُنزل عليه). وهو في صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٥٢ كتاب الشهادات، ١٥ باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، رقم ٢٦٦١، عن عَائِشَة. وفي: ٦٤ كتاب المَغَازِي، ٣٤ باب حَدِيْث الإفك، رقم ٤١٤١، عن عَائِشَة. و٦٥ كتاب التَّفْسِيْر - سورة النُّوْر، ٦ باب: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم... ﴾ - النُّوْر ١٦، رقم ٤٧٥٠، عن عَائِشَة.

(٢) **حَدِيْث: كان نَبِيّ الله ﷺ إذا أُنزل عليه الوَحْي**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٢٣ باب عَرَق النَّبِيّ ﷺ في البَرْد...، رقم ٢٣٣٤.

وفي رِوَايَة أُخرىٰ بعدها في رقم ٢٣٣٥، عن عُبَادَة بن الصَّامِت: (كان النَّبِيّ ﷺ إذا أُنزِلَ عليه الوَحْيُ، نَكَسَ رأسَه، ونَكَسَ أصحابُه رؤوسَهم، فلما أُتْلِيَ عنه - أي: ارتفع عنه الوَحْي - رَفَعَ رأسه).

يعانيها من الوَحْي.

فعن يَعْلَىٰ بن أُمَيَّة: أن رجلاً أتىٰ النَّبِيّ ﷺ وهو بالجِعْرَانَة، وعليه جُبَّة، وعليه أثر الخَلُوق، أو قال: صُفْرَة، فقال: كيف تأمُرُني أن أصنع في عُمْرَتِي؟ فأنزل الله علىٰ النَّبِيّ ﷺ، فسُتِر بثوب، ووَدِدْتُ أَنِّي قد رأيتُ النَّبِيّ ﷺ وقد أُنزل عليه الوَحْيُ، فقال عُمَر: تَعالَ، أَيَسُرُّكَ أن تَنْظُرَ إلىٰ النَّبِيّ ﷺ وقد أَنزلَ اللهُ الوَحْيَ؟ قلتُ: نعم. فرَفع طَرَف الثوب، فنظرتُ إليه، له غَطِيطٌ، وأَحسِبُه قال: كغَطِيْط البَكْر. فلما سُرِّيَ عنه، قال: أين السَّائِل عن العُمْرَة؟ اخلَعْ عنك الجُبَّة، واغسِل أَثَرَ الخَلُوق عنك، وأَنْقِ الصُّفْرَة، واصنع في عُمْرَتِكَ كما تصنع في حَجِّكَ[1].

د- يسمع الصَّحَابَة عند وجه النَّبِيّ ﷺ حين الوَحْي دَوِيّاً شديداً، كدَوِيّ النَّحْل حين ينطلق من خليته. قال عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كان النَّبِيّ ﷺ إذا أُنزل عليه الوَحْي، سُمِعَ عندَ وجهه كدَوِيِّ النَّحْل)[2].

هـ- يثقل جسمه ﷺ عليه:

ففي حَدِيْث البُخَارِيّ عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (كان رَسُوْل الله ﷺ يُعالج من التنزيل - أي القُرْآني لثقله عليه - شدةً).

وسيأتي الحَدِيْث بلفظه كَامِلاً بعد قليل.

وفي زاد المعاد: يذكر حال نُزُوْل الوَحْي عليه ﷺ: (حتىٰ إن رَاحِلَتَه لَتَبْرُكُ به إلىٰ

---

(١) **حَدِيْث يَعْلَىٰ بن أُمَيَّة: أن رجلًا**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٢٦ كتاب العُمْرَة، ١٠ باب يَفْعَلُ في العُمْرَة ما يَفْعَلُ في الحَجِّ، رقم ١٧٨٩.

الخَلُوق: نوع من الطِّيْب.

البَكْر: الفتىٰ من الإبل.

(٢) **حَدِيْث عُمَر بن الخَطَّاب: كان النَّبِيّ ﷺ**... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٤٣ كتاب تَفْسِيْر القُرْآن، ٢٣ باب ومن سورة المُؤْمِنين، رقم ٣١٧٣، ص٥٠٤.

الأرض، إذا كان راكبَها، ولقد جاء الوَحْي مرة كذٰلِكَ وفَخِذُهُ علىٰ فَخِذِ زَيْد بن ثَابِت فثَقُلَت عليه، حتىٰ كادت تَرُضُّها)[1].

وهٰذَا مصداق قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ - المُزَّمِّل ٥.

ولا يحتمل هٰذَا الثقل إلَّا نَبيّ، ليرتاض جسده علىٰ تحمُّل عِبْء النُّبُوَّة.

كل هٰذِهِ الظواهر من الآلام، والغَطِيْط، وتَرَبُّد الوجه، وتَفَصُّد العَرَق في اليوم الشديد البرد...، تدل علىٰ أن الوَحْي مستقل عن نفس مُحَمَّد ﷺ، لأن حَدِيْث النفس والإلْهَام والتأمل لا يستدعي ظهورها.

٣- الوعي الكَامِل والحفظ المضبوط لما أُنزل عليه ﷺ عند الوَحْي وبعده.

وعرض جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ القُرْآن الكَرِيْم كلَّ سَنَة علىٰ النَّبِيّ ﷺ، لا يدخل في هوىٰ النفس، ولا يعتبر من إلْهَاماتها بأية حال.

ففي صَحِيْح البُخَارِيّ يقول النَّبِيّ ﷺ: (أَحيَاناً يأتيني مثل صَلْصَلَة الجَرَس، وهو أَشَدُّه عَلِيّ، فيُفْصَم عني، وقد وعيتُ عنه ما قال، وأَحيَاناً يَتَمَثَّل لي المَلَك رَجُلاً، فيكلِّمني، فأعي ما يقول)، وتَقَدَّمَ آنِفاً.

ففي الحالتين يحصل الوعي الكَامِل لكل ما أُوحي عليه.

وكان رَسُوْل الله ﷺ في أول نُزُوْل الوَحْي يحرك لِسَانه، متابعاً جِبْرِيْل أثناء الوَحْي،

---

(١) زاد المعاد ج١ ص١٨.

وحَدِيْث الرَّض، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٥٦ كتاب الجِهَاد والسِّيَر، ٣١ باب قوله تعالىٰ: ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ - النساء ٩٥، رقم ٢٨٣٢، عن سَهْل بن سَعْد السَّاعِدِيّ. و٦٥ كتاب التَّفْسِيْر، ١٨ باب ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ - النساء ٩٥، رقم ٤٥٩٢، عن سَهْل بن سَعْد السَّاعِدِيّ.

وانظر: سُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٢ ص٣٤٤.

يردد ما أُوحي إليه مخافة أن ينساه، فطمأنه تعالىٰ، بأن يتكفل له بحفظه، فلا مُسَوِّغ لتحريك اللِّسَان به، قال تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ – القيامة[1].

---

(١) وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ – طه ١١٤.

وفي صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١ كتاب بَدْء الوَحْي، ٤ باب، رقم ٥: (عن سَعِيْد بن جُبَيْر عن ابن عَبَّاس في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ – القيامة ١٦، قال: كان رَسُوْل الله ﷺ يُعَالِج من التنزيل – أي: القُرْآني لِثقله عليه – شِدَّةً، وكان مما يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فقال ابنُ عَبَّاس: فأنا أُحرِّكُهما لكم كما كان رَسُوْل الله ﷺ يُحرِّكُهما. وقال سَعِيْد: أنا أُحَرِّكُهما، كما رأيتُ ابنَ عَبَّاس يُحَرِّكُهما، فحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ – القيامة، قال – أي: ابن عَبَّاس –: جَمْعُهُ له في صدرك، وتَقْرَأه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ – القيامة ١٨، قال: فاستَمِعْ له وأَنْصِتْ. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ – القيامة ١٩، ثم إن علينا أن تَقْرَأَه. فكان رَسُوْل الله ﷺ بعدَ ذٰلِكَ إذا أتاه جِبْرِيْل اسْتَمَعَ، فإذا انطلق جِبْرِيْل، قرأه النَّبيّ ﷺ كما قرأه).

وهو في صَحِيْح مُسْلِم في: ٤ كتاب الصلاة، ٣٢ باب الاستماع للقِرَاءَة، رقم ٤٤٨، عن سَعِيْد بن جُبَيْر عن ابن عَبَّاس.

ولذٰلِكَ كان جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ يلقاه في كل ليلة من رَمَضَان، فيدارسه القُرْآن. ففي صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٦ كتاب فَضَائِل القُرْآن، ٧ باب كان جِبْرِيْل يعرِض القُرْآن علىٰ النَّبيّ ﷺ، قبل رقم ٤٩٩٧، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ: (أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبيّ ﷺ أن جِبْرِيْل يُعارِضُني بالقُرْآن كُلَّ سَنَةٍ، وإنه عارَضَني العامَ مرتين، ولا أراه إلَّا حَضَرَ أَجَلي).

قال ابن كَثِيْر: هٰكَذَا رواه البُخَارِيّ مُعَلَّقاً، وقد أسنده في مواضع أُخر في أَحَادِيْث عن ابن عَبَّاس (رقم ٤٩٩٧) وأبي هُرَيْرَة (رقم ٤٩٩٨)، ورواه أبو دَاوُد والنَّسَائِيّ وابن مَاجَة.

والمُرَاد من معارضته له بالقُرْآن كل سَنَة، مقابلته علىٰ ما أوحاه إليه عن الله تعالىٰ، وذٰلِكَ حتىٰ يكون أثبت وأرسخ. فلا ينساه. وانظر مُعَارَضَة جِبْرِيْل للنَّبيّ ﷺ بالقُرْآن في: فَضَائِل القُرْآن لابن كَثِيْر وهو ذيل تَفْسِيْره ص٢٦-٢٧.

٤- انقطاع الوَحْي وإبطاؤه عن النَّبِيّ ﷺ، وهو يَتحرَّق شوقاً إليه، دليل علىٰ أن الوَحْي لا يصدر عن ذاته، فلا ينزل عليه إلَّا إذا شاء الله. ومن أمثلة انقطاعه:

أ- بعد نُزُوْل جِبْرِيْل بآيات ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ - سورة العَلَق، انقطع عنه ثلاثة أعوام، وفي بعض الأَحَادِيْث سنتين ونصف[1]. فحَزِنَ النَّبِيّ ﷺ حزناً، حتىٰ غدا منه مراراً أن يَتَرَدَّىٰ من رؤوس شواهق الجبال، كما رَوَىٰ البُخَارِيّ[2].

ب- وفَتَرَ الوَحْيُ شهراً كما في صَحِيْح البُخَارِيّ، والنَّبِيّ في أشد الشوق إليه، ليحل أزمة الإفْكِ، الذي رمىٰ المنافقون فيه أُمَّ المُؤْمِنين عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالفاحشة، حتىٰ قال لها النَّبِيّ ﷺ: (يا عَائِشَةُ، إنه بَلَغَنِي عنكِ كذا وكذا، فإن كنتِ بَرِيئةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وإن كنتِ أَلْمَمْتِ بذنبٍ، فاستغفري الله)، فنزلت آيات سورة النُّوْر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ - النُّوْر ١١، في تبرئتها بعد كلام الناس بشهر، كما ورد في الحَدِيْث المذكور: (وقد لَبِثَ شهراً لا يُوحَىٰ إليه في شأني بشيءٍ)[3].

والمتأمل يرىٰ أن هٰذَا الشهر أطول من سنين، والنَّبِيّ ﷺ فيه ينتظر الوَحْي مع القلق والشك المستديم، فلو كان الوَحْيُ ذاتياً لادَّعىٰ نُزُوْله حين حدث الإفْك، وقطع النزاع فيه.

---

(١) إرْشَاد السَّارِي ج١ ص٦٧.

(٢) في صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٩١ كتاب التعبير، ١ باب أول ما بُدِئَ به رَسُوْل الله ﷺ من الوَحْي الرؤيا الصالحة، رقم ٦٩٨٢، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (**وفَتَرَ الوَحْيُ فترةً حتىٰ حَزِنَ النَّبِيّ - فيما بَلَغنا - حُزْناً**، غدا منه مِرَاراً كي يَتَرَدَّىٰ من رؤوس شواهِق الجبال، فكلما أَوْفَىٰ منه بذِرْوَة جَبَل، لكي يُلقيَ منه نفسَه، تَبَدَّىٰ له جِبْرِيْلُ، فقال: يا مُحَمَّد إنك رَسُوْل الله حَقّاً، فَيَسْكُنُ لذٰلِكَ جَأْشُهُ، وتَقِرُّ نفسُه، فيرجِعُ، فإذا طالت عليه فترة الوَحْي غَدَا لمثل ذٰلِكَ، فإذا أَوْفَىٰ بذِرْوَة جبل تَبَدَّىٰ له جِبْرِيْلُ، فقال له مثلَ ذٰلِكَ). وانظر: إرْشَاد السَّارِي ج١٠ ص١٢١.

(٣) **حَدِيْث: يا عَائِشَة، إنه بَلغَنِي**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٤ كتاب المَغَازِي، ٣٤ باب حَدِيْث الإفك، رقم ٤١٤١، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ج- ولم ينزل الوَحْي ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، بشأن تحويل القِبْلَة من بَيْت المَقْدِس إلىٰ الكَعْبَة، مع حبه التحويل، فنزل الوَحْي بعد ذٰلِكَ بالآية: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ - البقرة ١٤٤[1].

٥- من أسباب نُزُوْل القُرْآن الكَرِيْم أن النَّبِيّ ﷺ كان يُسأل في بعض الأَحْيَان، فلا يملك للسؤال جواباً، فيسكت، وقد يستمر سكوته مدة طَوِيْلَة.

فإذا نزلت الآية، دعا بالسَّائِل، وتلا عليه ما نزل من القُرْآن بشأن سؤاله.

وكان يجيب أَحيَاناً فيأتي الوَحْيُ بخلاف جوابه، وفيه بعض العتاب أو الملامة.

فهٰذَا دليل علىٰ أن الوَحْي أمر خارجي عن النفس، إذ لو كان بوحي نفسي، لا يحتاج إذا سئل إلىٰ انتظار الجواب، ولا إلىٰ تَصْحِيْح إذا أجاب أول الأمر.

٦- نهي النَّبِيّ عليه الصلاة والسَّلَام عن تدوين كلامه إبان نُزُوْل الوَحْي، خشية اختلاطه بالقُرْآن الكَرِيْم، لأنه يعلم تماماً، أن القُرْآن كلام أُوحي إليه من الله تعالىٰ بلفظه ومعناه، ولا يملك أن يغير منه حرفاً وَاحِداً.

وشَتَّان ما بين أُسْلُوْب القُرْآن، لأنه من الله رب البشر، وبين أُسْلُوْب الحَدِيْث، وإن كان من أفصح الناس.

---

(١) في سُنَن التِّرمِذِيّ في: ٤٣ كتاب تَفْسِيْر القُرْآن، ٢ باب ومن سورة البقرة، رقم ٢٩٦٢، ص٤٧٤: (عن البَرَاء بن عَازِب قال: **لما قَدِمَ رَسُوْل الله ﷺ المَدِيْنَةَ صلىٰ نحو بَيْت المَقْدِس ستةَ أو سبعةَ عشرَ شهراً**، وكان رَسُوْل الله ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إلىٰ الكَعْبَة، فأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾- البقرة ١٤٤. فَوُجِّهَ نحو الكَعْبَة، وكان يُحِبُّ ذٰلِكَ). قال: هٰذَا حَدِيْث حَسَن صَحِيْح.

كما ذكر هٰذِهِ المدة البُخَارِيّ في صَحِيْحِهِ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر، ١٢ باب ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ - البقرة ١٤٢، رقم ٤٤٨٦، عن البَرَاء بن عَازِب أَيضاً.

٧- موضوع الوَحْي:

الرَّسُوْل ﷺ أُمِّيّ، لا يعرف القِرَاءَة والكتابة[1]، عاش في بيئة بَدَوِيَّة وثنية، ومَعَارِف أهلها وعُلُوْمهم بدائية بسيطة، لا تقارن بمَعَارِف الرُّوْم وفَارِس.

وكان الرَّسُوْل ﷺ يَتَعَبَّد في غار حِرَاء، معتزلاً الناس، ولم يكن له من علم إلَّا ما تعلمه من مجتمعه البدائي.

وهو في هٰذِهِ الحال ينزل عليه الوَحْي بالقُرْآن الكَرِيْم، وفيه من الحَقَائِق التاريخية والكونية والنَّظَرِيَّات الاجتماعية والاقْتِصَادِيَّة والسياسية وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المُخْتَلِفَة، التي لم يسبق أن فكر بها، أو ذكرها، أو اهتم بها، هو أو أي وَاحِد في عَصْره من بيئته أو غيرها.

وتلك الحَقَائِق دقيقة محددة - وسيأتي الكلام عنها في إعجاز القُرْآن - ليس لأحدٍ إنكارها، حتىٰ إن أحبار اليَهُوْد الذين كانوا يجادلون النَّبِيّ ﷺ كانوا يذهلون، حين يرون القُرْآن يقص عليهم أنباء بني إسرائيل وأنبيائهم.

كل ذٰلِكَ يَدُلّ علىٰ أن هٰذَا النَّبِيّ الأُمِّيّ في وسطه البدائي لا يستطيع أن يأتي بهٰذِهِ التشريعات والحَقَائِق العِلْمِيَّة والغيبية من نفسه وفكره. فلا بد إذن من مصدر خارج ذات النَّبِيّ، هو الوَحْي المنزل عليه من الله تعالىٰ.

٨- الرَّسُوْل ﷺ بَشَر. وقد تقدَّمت الآيات علىٰ بشرية الرسل والأنبياء، ولٰكِنه يفترق عن البشر بأنه أوحىٰ الله إليه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ - الكهف ١١٠ وفُصِّلَت ٦.

وتصدير الآيات بكلمة ﴿قُلْ﴾، التي تكررت في القُرْآن أكثر من ثلاثمائة مرة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ﴾ - العَلَق ١.

(١) انظر كتابنا: أُمِّيَّة الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ.

و﴿ وَٱتۡلُ ﴾ - الكهف ٢٧.

و﴿ وَرَتِّلِ ﴾ - المُزَّمِّل ٤.

دليل علىٰ أن هناك من يوجه النَّبِيّ ﷺ إلىٰ القول بكذا وكذا، ودليل علىٰ أن القُرْآن الكَرِيْم من عند الله تعالىٰ بلفظه ومعناه.

٩- تَمْيِيْز الرَّسُوْل ﷺ بين تجربته الإنسانية الظنية التي تحتمل الشك والوهم، وبين يقينه الصادر عن الوَحْي، يَدُلّ علىٰ أنه يتلقىٰ ما يوحىٰ إليه تلقياً لا يقبل الشك. وحادثة تأبير النخل شَاهدة علىٰ ذٰلِكَ(١).

١٠- العتاب الشديد أو اللين، الذي جاء في القُرْآن الكَرِيْم للرَّسُوْل ﷺ كقوله تعالىٰ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ - عبس ١، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ - التوبة ٤٣، وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ - الأنفال ٦٧ ... إلخ، مما تقدم ذكره في (عِصْمَة الأنبياء)، يَدُلّ علىٰ أن النَّبِيّ ﷺ مُبلِّغ، وأَنَّ ما أُوحي به إليه كان أمراً خارجياً، ولو كان نفسياً لكتمه. وما ذكر منه شَيئاً يتلىٰ علىٰ ألسنة الناس.

---

(١) في صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٣٨ باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً...، رقم ٢٣٦١، عن مُوسَىٰ بن طَلْحَة عن أبيه قال: (مررتُ مع رَسُوْل الله ﷺ **بقوم علىٰ رُؤوس النَّخْل**، فقال: ما يصنعُ هٰؤُلَاءِ؟ فقالوا: يُلَقِّحُونه، يجعلون الذَّكَرَ في الأُنثىٰ فتَلْقَح، فقال رَسُوْل الله ﷺ: ما أَظُنُّ يُغْني ذٰلِكَ شَيئاً، قال: فأُخبروا بذٰلِكَ فتركوه. فأُخبر رَسُوْلُ الله ﷺ بذٰلِكَ فقال: إن كان يَنفعُهم ذٰلِكَ فَلْيَصنَعوه، فإني إنما ظننتُ ظَنّاً، فلا تُؤَاخِذُوني بالظَّنِّ، ولٰكِن إذا حَدَّثْتُكم عن الله شَيئاً، فخُذُوا به، فإنِّي لن أَكذِبَ علىٰ الله عَزَّ وجَلَّ).

وفي رِوَايَة له بعدَ هٰذَا الحَدِيْث، رقم ٢٣٦٣: (**أَنتم أَعلَمُ بأمر دنياكم**).

وفي رِوَايَة لابن مَاجَة في سُنَنه في: ١٦ كتاب الرهون، ١٥ باب تلقيح النخل، رقم ٢٤٧١، ج٢ ص٨٢٥ عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قال: (إن كان شَيئاً من أمر دنياكم فشَأْنُكُم به، وإن كان من أُمور دينكم فإِلَيَّ). وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج٣ ص٥٢٨: إسناده صَحِيْحٌ.

١١- التهديد الشديد والإنذار المخيف الموجَّهُ من الله تعالىٰ إلىٰ نبيه، يَدُلّ علىٰ أن الله عَزَّ وجَلَّ هو مصدر الوَحْي، والنَّبِيّ شخص مَأْمُوْر بتبليغ ما كلفه اللهُ به فقط.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ - الإسراء.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ - الحَاقَّة.

قال الزَّمَخْشَرِيّ في تَفْسِيْر آيات الحَاقَّة: (والمعنىٰ: ولو ادعىٰ علينا شَيئاً لم نقله، لقتلناه صبراً، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم، معاجلةً بالسخط والانتقام، فصوَّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو: أن يؤخذ بيده، وتضرب رقبته. وخص اليمين عن اليَسَار، لأن القَتَّال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه، أخذ بيَسَاره، وإذا أراد أن يوقعه في جِيده، وأن يكفحه بالسَّيْف، وهو أشد علىٰ المَصْبُوْر، لنظرِهِ إلىٰ السَّيْف، أخذ بيمينه)[1].

١٢- لو كان مصدر القُرْآن العَظِيْم من ذات النَّبِيّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن عبقريته وذكائه، لكان من الفَخْر له أن ينسبه إلىٰ نفسه، إذ لا يوجد من ينسب لغيره أنفس آثار عقله، وأغلىٰ ما تجود به قريحته، أو أنه يدعي الأُلوهية لا النُّبُوَّة، وشَتَّان ما بين مقامها ومقام الأُلوهية، لٰكنه ﷺ يؤكد دائماً بأنه عبدٌ لله وبَشَر، وهو يقيم الليل ويتضرع ويتوسل، فيقول في دعائه: (اللهم اغفِرْ لي خطيئتي وجَهلي، وإسرافي في أمري، وما أَنتَ أَعلمُ به مِنِّي، اللهم اغفِرْ لي جِدِّي وهَزْلي، وخَطئي وعَمْدي، وكُلُّ ذٰلِكَ عندي، اللهم اغفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، وما أَنتَ أعلم به مني، أَنتَ المُقَدِّم وأَنتَ المُؤَخِّر، وأَنتَ علىٰ كل شيءٍ قَدِيْر)[2].

---

(١) تَفْسِيْر الكَشَّاف للزَّمَخْشَرِيّ ج٣ ص٢٦٦.

(٢) حَدِيْث: **اللهم اغفر لي خَطِيْئَتِي وجهلي... إلخ**، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٨ كتاب الذِّكْر

١٣- حين نزل الوَحْي علىٰ مُحَمَّد ﷺ يأمره بالقِرَاءَة وإنذار الناس، تحيَّر في هٰذَا الأمر الطارئ، وأخذ يشك، أهي النفس أم غيرها؟ فجاء قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ - يُوْنُس ٩٤.

لذٰلِكَ قال ﷺ بعد نُزُوْل هٰذِهِ الآية: (لا أَشكُّ ولا أَسأل)[١].

هٰذِهِ الأُمور وغيرها جعلت النَّبِيّ ﷺ يتيقن الوَحْي تيقناً دفعه لتَحَمُّل الأعباء الشديدة، مع إغراء المُشْرِكِيْن له بالمال والملك إذا ترك دعوته، فرفض إغراءاتهم، وقاسىٰ هو وأصحابه الآلام، التي تنوء بها الرواسي في سَبِيْل دعوته، وعادىٰ أهله وقبيلته، والعَرَب وغيرهم، فأعلن حَرْباً شعواء علىٰ مُعْتقداتهم، فنصره الله تعالىٰ علىٰ أعدائه وأظهر رِسَالَة الإسلام في الأرض، فلم يقف أمامه عائق مهما عظم، ولم يصمد بوجهه جَبَّار مهما عتىٰ وتجبر.

شبهات حول الوَحْي[٢]

تَقَوَّلَ البعضُ علىٰ النَّبِيّ ﷺ فقالوا: بأن الوَحْيَ إليه هو رؤىٰ النائم، أو افتراءات الكاذب، أو أخيلة الشاعر، أو أقاويل المجنون، وأن علمه ﷺ مستقى من بَحِيْرا ووَرَقَة بن نَوْفَل والحَدَّاد الرُّوْمِيّ.

والدعاء، ١٨ باب التعوذ من شر ما عَمل ومن شر ما لم يعمل، رقم ٢٧١٩، عن أبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ.

(١) الظَّاهِرَة القُرْآنية ص١٨٨ ناقلًا الحَدِيْث عن تَفْسِيْر السُّيُوْطِيّ. وذكره ابن كَثِيْر في تَفْسِيْره ج٢ ص٤٣٢ عن قَتَادَة وقال: وكذا قال ابن عَبَّاس وسَعِيْد بن جُبَيْر والحَسَن البَصْرِيّ.

وفيه: حَدِيْث: **لا أشك ولا أسأل**، أَخْرَجَهُ عبد الرَّزَّاق وابن جَرِيْر عن قَتَادَة.

(٢) انظر: الوَحْي المُحَمَّدِيّ ص٩٠ وما بعدها، ومناهل العِرْفَان ج٢ ص٣١٧ والظَّاهِرَة القُرْآنية ص١٨٢ ومباحث في عُلُوْم القُرْآن ص٣٨ والرَّسُوْل: سَعِيْد حوىٰ ج٢ ص١٤.

وتفصيل هٰذِهِ الشبهات ورَدُّها فيما يأتي:

١- قيل:

إن الوَحْي من قبيل رُؤَىٰ النائم. وحكىٰ القُرْآن الكَرِيْم هٰذِهِ الشبهة بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ - الأنبياء ٥.

هٰذِهِ الشبهة مردودة بيقظة النَّبِيِّ ﷺ المستديمة منذ نُزُوْل الوَحْي عليه.

ورِوَايَة الصَّحِيْحَيْن: البُخَارِيّ ومُسْلِم[1]، قاطعة في أن الوَحْي فاجأه وهو يقظان متأمل في الوجود وخَالِقه، فقال له: اقرأ، ويَعْصِره حتىٰ يبلغ الجهد ثلاثاً، وبعدها يذهب إلىٰ خَدِيْجَة زوجته مرتعباً، يرجف فؤاده، يقول: زَمِّلُوني زَمِّلُوني، فأخبرها بالخبر... .

وهٰذَا يَدُلّ علىٰ أن الوَحْي لو كان مناماً لزال خوفه ورعبه في اليقظة.

ويرد علىٰ هٰذَا الزعم أَيضاً ما تقدم آنِفاً من الظواهر التي تبدو علىٰ الرَّسُوْل ﷺ عند الوَحْي، والعتاب والتهديد وغيرها التي تقطع بأن الوَحْي لم يكن مناماً، بل هو حقيقة.

٢- وقيل:

إن الوَحْي من افتراءات الكاذب. وأشارت الآية الكَرِيْمَة المذكورة آنِفاً إلىٰ هٰذِهِ الشبهة.

وهي شبهة مردودة بشهادة العَرَب قبل النُّبُوَّة حتىٰ سموه بالصَّادِق الأمين، وكانوا يأتمنونه علىٰ أموالهم.

وكذٰلِكَ بعد النُّبُوَّة بشهادة العَرَب جميعاً من أعدائه وأَنْصَاره، بدليل سؤال

---

(١) صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١ كتاب بَدْء الوَحْي، ٣ باب، رقم ٣، عن عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وصَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٧٣ باب بَدْء الوَحْي...، رقم ١٦٠، عن عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

هِرَقْل ملك الرُّوْم لأبي سُفْيَان، عن النَّبِيّ ﷺ كما ورد ذٰلِكَ في صَحِيْح البُخَارِيّ[١]: (قال - أي: هِرَقْل -: فهل كنتم تَتَّهِمُوْنَه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت - أي: أبو سُفْيَان -: لا...).

وحين أتم هِرَقْل أسئلته لأبي سُفْيَان، أجابه عن كل سؤال وَجَّهه إليه، وكان جوابه عن سؤاله السَّابِق: (وسألتُكَ هل كنتُم تَتَّهِمُوْنَهُ بالكَذِب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرتَ أن لا، فقد أَعرِفُ أنه لم يَكُنْ لِيَذَرَ الكذبَ علىٰ الناس ويَكذِبَ علىٰ الله).

وما جاء به القُرْآن من أخبار ماضية ومستقبله وتشريعات نَيِّرة صالحة لكل زمان ومكان، يَدُلّ علىٰ أن ذٰلِكَ لا يصدر من كاذب.

وقد تقرر ذٰلِكَ عند الكلام عن عصمة الأنبياء وعن إعجاز القُرْآن في هٰذَا الكتاب فراجعه.

٣- وقيل:

إن الوَحْيَ من أخيلة الشعراء. وأشارت الآية الكَرِيْمَة المذكورة آنِفاً إلىٰ هٰذِهِ الشبهة.

وهي شبهة مردودة بما يظهر من احتقان ورعب عند الوَحْي، وهٰذَا لا يظهر علىٰ الشاعر إن أراد نظم شعره، ولأن المعجزة الكبرىٰ التي جاء بها رَسُوْل الله ﷺ هي القُرْآن الكَرِيْم في أُسْلُوْبه وتشريعاته وأخباره... والعَرَب في وقتهم أرباب الفصاحة والبَلَاغَة بُهروا وتحيروا فيه، حين سمعوا آياته تتلىٰ، كما أن القُرْآن تحداهم بأن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذٰلِكَ كما سيأتي في إعجاز القُرْآن.

---

(١) **سؤال هِرَقْل لأبي سُفْيَان في**: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١ كتاب بَدْء الوَحْي، ٦ باب، رقم ٧، عن ابن عَبَّاس عن أبي سُفْيَان.

٤- وقيل:

إن الوَحْيَ قد صدر من مجنون. وأشار إلىٰ ذٰلِكَ قوله تعالىٰ: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ - الدخان ١٤، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ - الشعراء ٢٧.

هٰـذِهِ الشبهة تردها حالة النَّبِيّ ﷺ عند تلقي الوَحْي كل مرة، بكَمَال الوعي، ووفرة النشاط، وقوة الأعصاب. وقوله ﷺ لخَدِيْجَة: (زَمِّلُوني) لا يفيد أكثر من لجوئه إلىٰ الفراش، ليستريح بعد المنظر الرهيب الذي رآه.

ولذٰلِكَ يأمره بالقيام بإنذار الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ - المُدَّثِّر.

ثم إن المجنون لا يمكنه أن يأتي بهٰذِهِ الشَّرِيْعَة المتكَامِلَة لجميع جوانب الحياة، التي لا يكون مصدرها إلَّا العقل الكَامِل النَّيِّر المبين.

٥- وإذا قيل:

إن احتقان الوجه والشحوب يمكن أن يفسر بأنه من أعراض التَّشَنُّج.

فيُرَدُّ بأن التشنج يُحدث شللاً ارتعاشياً عند الفرد المحروم مؤقتاً من قواه العقلية والجسمية، لٰكِن أحوال النَّبِيّ ﷺ حين ينزل عليه الوَحْي - كما مر وصفها -، تشهد: أن الوجه هو وحده الذي يتغير، بينما يتمتع هو بحالة عادية وحرية عقلية، بحيث يستخدم ذَاكِرته استخداماً كَامِلاً خلال الوَحْي، في حين يُمحىٰ وعي المتشنج وذَاكِرته خلال تشنجه.

ثم إن تلك الأعراض الجسمية التي تظهر علىٰ النَّبِيّ ﷺ حين نُزُوْل الوَحْي، لا تظهر عليه إلَّا في تلك اللحظة الخاطفة للوَحْي.

والحالة المَرَضِيَّة لا يرافِقْها تصَبب عَرَق، ولا يرافِقْها ظهور نص قُرْآني معجز في حد ذاته. وقد يكون سورة طَوِيْلَة كسورة الأنعام، أو يكون نصاً فيه تشريع دقيق كنص المواريث، الذي يعتبر من أدق النصوص التشريعية في العالم.

٦- وقيل:

إن الرَّسُوْل ﷺ تلقىٰ عُلُوْمه من الراهب بَحِيْرا، ووَرَقَة بن نَوْفَل، والقَيْن (الحَدَّاد) الرُّوْمِيّ.

فالراهب بَحِيْرا، وهو من أتباع آريوس في التَّوْحِيْد وينكر أُلوهية المَسِيْح وعَقِيْدَة التثليث، عَلَّمَ النَّبِيّ ذٰلِكَ، حيت التقىٰ به في بُصْرَىٰ بالشَّام.

هٰذَا مردود بما يأتي:

أ- إن الراهب بَحِيْرا القي النَّبِيّ ﷺ مع عمه أبي طَالِب ومعشر من قُرَيْش في رحلتهما إلىٰ الشَّام مرةً وَاحِدَة فقط، وكان عُمر النَّبِيّ ﷺ تسع سنين، وقيل اثنتي عشرة سنة. وكان الراهب بَحِيْرا قد رأىٰ في صَومعته في رؤياه أن رَسُوْل الله ﷺ قد جاء في رَكْب، وقد أَظَلَّته غَمامةٌ، وصنع طعاماً لمعشر قُرَيْش، وكان سَابِقاً لا يلتفت إليهم، وهم يمرون به، ودعاهم إليه، فتخلف رَسُوْل الله ﷺ لحَداثة سِنِّهِ، فقال الراهبُ لا يَتَخَلَّفَنَّ أحدٌ منكم عن طعامي، فأخبروه بتخلُّف الغلام، أي النَّبِيّ ﷺ، فأتوا به، وكان يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلىٰ أشياء من جسده، وبعد فراغهم من الطعام دعا به، واستحلفه باللَّات والعُزَّىٰ، لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فقال له: لا تسألني باللَّات والعُزَّىٰ، فوالله ما أبغضتُ شَيئاً قطّ بغضهما، فقال له بَحِيْرا: فبالله إلَّا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني ما بدا لك. وأخذ يسأله عن حاله في نومه وهيئته وأُموره، فجعل رَسُوْل الله ﷺ يخبره، فيوافق ذٰلِكَ ما عند بَحِيْرا من صفته، ثم نظر إلىٰ ظهره، فرأىٰ خاتَمَ النُّبُوَّة بين كتفيه. فسأل عَمَّه عن أبيه، فقال له: هو ابني، فقال له: ما ينبغي أن يكون أبوه حَيّاً. فأجابه: إنه ابن أخي. فقال له أَخِيْراً: ارجع به إلىٰ بلده، واحذر عليه يَهُوْد، فإنه كائن لابن أخيك هٰذَا شأن عَظِيْم. فأسرع به إلىٰ بلاده[١].

وللقصة غير تلك الرِّوَايَة[٢]، وليس في جميع الروايات ما يفيد أنه ﷺ سمع شَيئاً من

---

(١) سِيْرَة ابن هِشَام – قصة بَحِيْرا الراهب.

(٢) وممن رواها الحَاكِم في مُسْتَدْرَكه ج٢ ص٦١٥-٦١٦ وقال هٰذَا حَدِيْث صَحِيْح علىٰ شرط

بَحِيْرا عن عقيدته ودينه.

كما أن هٰذِهِ الرِّحْلَة القصيرة - وهو صَغِيْر، ووجود عَمّه معه، حين التقىٰ ببَحِيْرا - كل ذٰلِكَ لا يعلّم النَّبِيّ التشريعَ، ولا يعطيه مفاتيح الغيب، لٰكِن قول بَحِيْرا يؤكد نُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ حين سأله عن أحواله المُخْتَلِفَة، فيوافق ما عند بَحِيْرا، من هيئات النَّبِيّ الذي بَشَّرَ به عِيسَىٰ ومُوسَىٰ، فتنبأ أن يكون له شأن عَظِيْم.

ب- أما بشأن **وَرَقَة بن نَوْفَل**، فإن الثَّابِت في الصَّحِيْح: أن خَدِيْجَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا انطلقت بالنَّبِيّ عليه الصلاة والسَّلَام، - وذٰلِكَ بعد أن جاءه جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ في حِرَاء - إلىٰ وَرَقَةَ بن نَوْفَل بن أَسَد، ابن عمها، وكان امرءً تنصَّرَ في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العِبْرَانِيّ فيكتب من الإنجيل بالعِبْرَانِيَّة ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كَبِيْراً قد عمي، فقالت له خَدِيْجَة: يا ابن عَمٍّ، اسمع من ابن أخيك. فقال له وَرَقَة: يا ابن أخي ماذا ترىٰ؟ فأخبره رَسُوْل الله ﷺ بخبر ما رأىٰ، فقال له وَرَقَة: هٰذَا الناموس - أي: أمين الوَحْي جِبْرِيْل - الذي نزل الله علىٰ مُوسَىٰ، يا ليتني فيها جَذَعاً، ليتني أكون حَيّاً، إذ يُخرجك قومك. فقال رَسُوْل الله ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هم؟ قال: نعم. لم يأتِ رجل قَطُّ

الشَّيْخَيْن ولم يخرجاه. لٰكِن علَّق الذَّهَبِيّ عليه بقوله: قلت: أظنه موضوعاً فبعضه باطل. / انظر: هامش المُسْتَدْرَك.

ورواها التِّرْمِذِيّ في سُنَنه في: ٤٥ كتاب المَنَاقِب، ٣ باب ما جاء في بَدْء نُبُوَّة النَّبِيّ ﷺ، رقم ٣٦٢٠، ص٥٦٨، وقال: حَسَن غَرِيْب لا نعرفه إلَّا من هٰذَا الوجه. وانظره بشَرْح عَارِضَة الأَحْوَذِيّ ج١٣ ص١٠٦

واستقصىٰ طرق هٰذِهِ القصة ورواياتها الحافظ ابن كَثِيْر في السِّيْرَة النَّبَوِيَّة ج١ ص٢٤٣ وما بعدها وقال بعد ذٰلِكَ: وعلىٰ كل تقدِير فهو مُرْسَل، فإن هٰذِهِ القصة كانت ولرَسُوْل الله ﷺ فيما ذكره بعضهم اثنتا عشرة سنة، ولعل أبا مُوسَىٰ تلقاه من النَّبِيّ ﷺ، فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصَّحَابَة، أو كان هٰذَا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة.

بمثل ما جئتَ به إلَّا عُودِيَ، وإن يُدرِكْني يومُك أنصُرْك نصراً مؤزَّراً، ثم لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أن توفي[1].

فوَرَقَة لم يلتقِ بالنَّبِيّ وحده، كما ورد في الصَّحِيْح، بل كانت معه خَدِيْجَة، ثم إنَّ وَرَقَة عَلِمَ بمقارنة ما جرىٰ للنَّبِيّ ﷺ بما وقع لمُوسَىٰ، فقال له: هٰذَا الناموس، أي: أمين الوَحْي جِبْرِيْل، لأن الوَحْي وَاحِد لكل الأنبياء، وتوقَّع إخْرَاجه حين يدعوهم. وتَمَنَّىٰ نصره آنئذٍ.

كل هٰذَا يَدُلّ علىٰ أن الوَحْي الذي نزل عليه وعلىٰ الأنبياء من قبله هو من عند الله تعالىٰ، الذي علمه وألهمه وهداه، فليس لوَرَقَة من ذٰلِكَ شيء سوىٰ التَّصْدِيْق بأنه سيكون رَسُوْل الناس، فكيف يكون مصدر علم النَّبِيّ ﷺ؟

ج- الثَّابِت هو أنه حين التقىٰ ببَحِيْرا، كان معه عمه أبو طَالِب، وحين التقىٰ بوَرَقَة كانت معه خَدِيْجَة، ولم يكن سراً مَصُوناً، فلِمَ لم يذكر المؤرخون ما سمعه هٰذَان الرفيقان من عُلُوْم الأُستاذين: لِمَ لَمْ يستفد هٰذَان الرفيقان ما استفاده مُحَمَّد من هٰذَيْنِ الأُستاذين؟ إن سكوت التاريخ عن هٰذَا الأمر حُجَّة كافية علىٰ أن هٰذِهِ الدعوىٰ كلام فارغ لا معنى له.

د- إذا كان بَحِيْرا ووَرَقَة بهٰذِهِ الدرجة من العلم، فلماذا لم يأتوا بما أتىٰ به النَّبِيّ ﷺ كالقُرْآن الكَرِيْم، ولماذا لم يدَّعوا النُّبُوَّة، وإنما بشَّروا بنُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ؟

---

(١) **الحَدِيْث مُتَّفَق عليه.** / اللُّؤْلُؤ والمَرْجَان فيما اتفق عليه الشَّيْخَان ص٣٢.

وهو في صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١ كتاب بَدْء الوَحْي، ٣ باب، رقم ٣، عن عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنها. وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بَدْء الوَحْي...، رقم ١٦٠، عن عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنها.

جَذَعاً: شَابّاً.

لم يَنْشَب: لم يلبث.

هـ- لو كان تلقيه علىٰ بَحِيْرا ووَرَقَة حقاً، لاتهمته قُرَيْش بذٰلِكَ، حين كانت تلفق التُّهم عليه تلفيقاً. فإنهم اتهموه بأنه كان يتعلم من حَدَّاد رُوْمِيّ نَصْرَانِيّ في مَكَّة يصنع السيوف، وكان النَّبِيّ ﷺ يقف عنده أَحيَاناً، ليشَاهد صنعته، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ - النَّحل ١٠٣.

و- طبيعة النَّصْرَانِيَّة، وهي دين بَحِيْرا ووَرَقَة **والقَيْن (الحَدَّاد) الرُّوْمِيّ**، لا تتفق مع ما جاء به مُحَمَّد ﷺ فكيف تكون مصدراً لديانته وقُرْآنه؟

ز- في القُرْآن الكَرِيْم أنباء المغيبات حدثت بعد موت بَحِيْرا ووَرَقَة، فكيف يتصور أن القُرْآن من تَعْلِيْمهما؟

كما أن المعروف أن آيات القُرْآن كانت تنزل وَفْقَ الحوادث والوقائع الطارئة.

ح- لو تلقَّىٰ النَّبِيّ ﷺ عن بَحِيْرا أو غيره، لنَقل ذٰلِكَ أتباعُه الذين لم يتركوا شَيئاً صَغِيْراً أو كَبِيْراً إلَّا ودونوه، ولو لم يثبت عندهم، لأنهم يتركون أمره إلىٰ رُوَاة الخبر وإسناده.

ط- لم يثبت في الأَحَادِيْث الصَّحِيْحة أن مُحَمَّداً ﷺ كان ينتظر نُزُوْل الوَحْي عليه، ولو رُوِيَ عنه شيء من ذٰلِكَ لدونوه.

ي- إن الرَّسُوْل ﷺ لم يلقَ أحبار اليَهُوْد ولا رُهْبَان النَّصَارَىٰ، ولم يثبت اتصاله بهم، وهٰذَا ما أكده الباحثون.

ك- القُرْآن الكَرِيْم بأَحْكَامه القاطعة بالصحة، المتتابعة، النازلة في مدة ثلاث وعشرين سنة، المتشُعْبَة الكثيرة، في العَقَائِد والمعاملات والحكم والأخبار الغيبية وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المُخْتَلِفَة، يحكم العقل بالبداهة أنها ليست مأخوذة عن جلسة سريعة، والتقاء بسيط مع راهب أو غيره، إذ كيف يقطع بصحة تلك الأَحْكَام علىٰ

كثرتها والأخبار الغيبية من وراء تلك الجلسة؟ كل ذٰلِكَ يَدُلّ علىٰ أن ما جاء به كان تلقياً من الله تعالىٰ قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ - يُوْنُس ٣٧.

٧- وإذا قيل:

إن سولون فيلسوف اليونان قد جاء بشرع منه، فليس بعجيب أن يأتي الرَّسُوْل بشريعته من فكره وعبقريته.

فالرد عليه هو:

أن سولون أحد فَلَاسِفَة اليونان في القرن السابع قبل المِيْلَاد، ووالدته من أَنسباء بستراتوس آخر ملوك أثينا.

وكان من رِجَال المال والحَرْب، وقد تولَّىٰ في بلاده بعض الإدارات وقيادة الجيش، وانتخب سنة ٥٩٤ قبل المِيْلَاد (أرجونا)، أي: رئيساً للأُمَّة، بإجماع أحزابها كلهم، وأعطوه سلطة مطلقة في نظم البلاد وقَانُوْنها، الذي وضعه (زراكوت) من قبله، فوضع سولون نِظَاماً جديداً اتبعته الحكومة. لٰكِن هٰذَا النِّظَام الجديد كان عبارة عن تَنْقِيْح القوانين السَّابِقَة التي صنعتها أعظم الأُمَم فلسفة وحَضَارَة وتقدماً آنئذٍ، وكان سولون متعلماً فيلسوفاً وقائداً لأعظم الجيوش المنظمة لأكبر دولة في العالم.

فأين هٰذَا من مُحَمَّد ﷺ، الأُمِّيّ الذي لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يعرف السِّيَاسَة أو قيادة الجيوش. وما جاء به من تشريعات لم يكن مسبوقاً بقوانين تحكم جزيرة العَرَب كقوانين اليونان والرُّوْمان، لأن في الجزيرة قبائل متفرقة لا يجمع شملها نِظَام، ولا يحكمها قَانُوْن.

إذن ما جاء به لم يكن إلَّا وحياً من الله تعالىٰ، فيه العَقَائِد والآداب والأَحْكَام وكل ما يحتاج إليه الناس، فكان صالحاً لكل زمان ومكان.

المُعجِزَة

المُعْجِزَة لُغَةً: مأخوذة من العَجْز ضد القُدرة[١].

واصْطِلَاحاً: هي عبارة عن ما قصد به إظهار صدق من ادَّعَىٰ أنه رَسُوْل الله[٢].

(١) شَرْح المَقَاصِد ج٥ ص١١ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٢٠. وفي تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٦٨: (الهاء الداخلة في لفظها هاء المُبَالغَة، كما في العَلَّامَة والنَّسَّابَة والرَّاوِيَة، فكانت داخلةً فيها للمُبَالغَة في الخبر عن عجز المُرْسَل إليهم).

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٢٢-٢٢٣.

ومن تعاريف المُعْجِزَة: هي أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتَّحَدِّي، الذي هو دعوىٰ الرِّسَالَة أو النُّبُوَّة، مع عدم المُعَارَضَة. / المُحَصَّل للرَّازِيّ ص٢٠٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٢٠.

أو: هي أمرٌ يظهر بخلاف العادة، علىٰ يد من يَدَّعِي النُّبُوَّة، عند تحدِّي المنكِرين، علىٰ وجهٍ يُعجِز المنكِرين عن الإتيان بمثله. / شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة ص١٦٦.

وقال الصَّالِحِيّ في سُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٥٩: (قال المحققون: المُعْجِزَةُ هي الأمرُ الخارق للعادة، المقرون بالتَّحَدِّي، الدالّ علىٰ صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسَّلَام، والواقع علىٰ وَفْق دَعوَىٰ المُتَحَدَّىٰ بها، مع أمن المُعَارَضَة). وحين ذَكَرَ شرط اقترانها بالتَّحَدِّي، قال: (ولم يَشترِط بعضُهم التَّحَدِّي، قال: لأن أكثر الخوارق الصادرة من النَّبِيّ ﷺ خالٍ من التَّحَدِّي، وعلىٰ القول بالتَّحَدِّي لا يُسَمَّىٰ مُعْجِزَةً، وذٰلِكَ باطل).

وفي المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٢٤: (هل يُشتَرَط التصريح بالتَّحَدِّي وطلب المُعَارَضَة كما ذهب إليه بعضُهم؟ الحق أنه لا يُشتَرَط، بل يكفي قرائن الأحوال، مثل: أن يُقالَ لمُدَّعِي النُّبُوَّة: إن كنتَ نَبِيّاً فأظهر مُعجِزاً، ففَعَلَ بأن دَعَا اللهَ فأظهره، فيكون ظهوره دليلاً علىٰ صدقه ونازلاً منزلة التصريح بالتَّحَدِّي).

ولذٰلِكَ قال البَاجُوْرِيّ في شَرْح الجَوْهَرَة ص٢٢٩: (المُرَاد من معجزات نبينا ﷺ هي الأُمور الخارقة للعادة، الظَّاهِرَة علىٰ يده ﷺ، سواءٌ كانت مقرونةً بالتَّحَدِّي أم لا).

شروط المُعْجِزَة

اشترط المحققون فيها الشروط الآتية(١):

١- أن تكون أمراً من الله تعالىٰ، ليصدِّق مدعي النُّبُوَّة.

والأمر يشمل:

أ- القول: كالقُرْآن الكَرِيْم.

ب- والفعل: كنبع الماء من بين أصابع الرَّسُوْل ﷺ.

ج- والترك: كعدم إحراق النار لإبْرَاهِيْم الخَلِيْل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٢- أن تكون خارقةً للعادة، التي اعتاد عليها الناس، واستمروا عليها مرة بعد أُخرىٰ.

وهٰذَا الشرط يفيد أن غير الخارق لا يكون مُعْجِزَة، كما إذا قال آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع، وغروبها من حيث تغرب.

---

(١) هٰذِهِ الشروط الثمانية ذكرها: البَاجُوْرِيّ في شَرْح الجَوْهَرَة ص٢٢١ والسَّالِمِيّ في مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٢ نَقْلاً عن البَاجُوْرِيّ.

وهٰذِهِ الشروط في: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٢٣-٢٢٧ إلَّا الشرط الثامن منها.

وانظر بعضَ هٰذِهِ الشروط في: أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١٧٠-١٧١ والإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٣٠٨ والعَقِيْدَة النِّظَامِيَّة ص٢١٨ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٦٩ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١١ والمُسَامَرَة ص٢٤٠-٢٤٢ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٥٩ وكَشْف المُرَاد ص٣٧٧ ورِسَالَة التَّوْحِيْد ص٩٩ ط١٠ ورِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص٧٣-٧٤ وحُجَّة الله علىٰ العالمين في معجزات سَيِّد المُرْسَلين ص٨ وما بعدها، وَاليَوَاقِيْت والجَوَاهِر للشَّعْرَانِيّ ج١ ص١٥٦-١٦١.

٣- أن تكون علىٰ يد مدعي النُّبُوَّة أو الرِّسَالَة.

أي أن صاحبها يقوم بدعوة إلىٰ دين، فيه سَعَادَة الناس في الدنيا والآخِرَة. وعندئذٍ لا تدخل في المُعْجِزَة الأُمور الآتية:

أ- الإهانة: وهي ما يظهر علىٰ يد فاسق أو كافر تكذيباً له، كما وقع لمُسَيْلِمَة الكَذَّاب حين بصق في عَيْن أعور لتبرأ، فعميت الصَّحِيْحة.

ب- الاستدراج: وهي ما يظهر علىٰ يد فاسق أو كافر، خديعةً أو مكراً به، أي: استدراجاً لهم، وزِيَادَة في غَيِّهم، حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم غافلون، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ - الأنعام.

وقال رَسُوْل الله ﷺ: (إذا رأيتَ اللهَ يُعطي العبدَ في الدنيا، وهو مُقيمٌ علىٰ معاصيه، ما يحب، فإنما هو استدراج). ثم تلا رَسُوْل الله ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾... الآية، والآية التي بعدها[1].

ج- المعونة: وهي ما يظهر علىٰ يد العوام تخليصاً لهم من شِدَّة.

د- الكَرَامَة[2]: وهي ما يظهر علىٰ يد صالح تَقِيّ ظَاهِر الصَّلَاح.

---

(١) **حَدِيْث: إذا رأيتَ اللهَ يُعطي العبدَ**... إلخ، أَخْرَجَهُ أَحْمَد وابن جَرِيْر وابن أبي حَاتِم وابن المُنْذِر والطَّبَرَانِيّ في الكَبِيْر وأبو الشيخ وابن مَرْدَوَيْه والبَيْهَقِيّ في الشُّعَب عن عُقْبَة بن عَامِر عن النَّبِيّ ﷺ. / الدُّرّ المَنْثُوْر ج٣ ص١٢.

وهو في الجَامِع الصَّغِيْر ص٤٤ وفيه: هو حَدِيْث حَسَن، ولم يذكر الآية.

(٢) **الكَرَامَة**: هي ظهور أمر خارق للعادة علىٰ يد الوَلِيّ، غير مقارِن لدعوىٰ النُّبُوَّة.

والوَلِيّ: هو العارف بالله تعالىٰ وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب علىٰ الطاعات، المجتنب

. . . .

عن المعاصي، المعرِض عن الانهماك في اللذات والشهوات[1].

وسبب الكَرَامَات الإيمان والتقوىٰ[2]. قال تعالىٰ يصف الأَوْلِيَاء: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ - يُونُس.

وقد أثبتها جُمْهُوْر المُسْلِمِيْن من السَّلَف والخَلَف، وأبو الحُسَيْن البَصْرِيّ من المُعْتَزِلَة[3]، حتىٰ أنكر الإمَام أَحْمَد بن حَنْبَل علىٰ من أنكرها، وضلَّلَه[4]، بل جعل بعضهم إنكارها فسقاً وابتداعاً[5]، وحجتهم:

أ- ما ورد في القُرْآن الكَرِيْم: مثل:

حمل مريم من غير ذَكَر.

وتساقط الرُّطَب الجَنِيّ عليها من النخلة اليابسة، قال تعالىٰ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ - مريم ٢٥.

ووجود الرزق عندها بلا سبب، قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ - آل عِمْرَان ٣٧.

ولبث أهل الكهف ثلاثمائة وتسع سنوات بلا طعام وشراب، نياماً أحياءً بلا آفةٍ، قال

....

(١) شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧٥. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٧٢ والإرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٣١٦ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٥٣٦ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٨٢ وشَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص١١٣ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٩٢ وفيه ذكر شروط الوَلِيّ، والرِّسَالَة القُشَيْرِيَّة ص١٥٨ وما بعدها، وكتاب الفُرْقَان بين أَوْلِيَاء الرَّحْمٰن وأَوْلِيَاء الشيطان لابن تَيْمِيَّة، وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٥٣ وحُجَّة الله علىٰ العالمين في معجزات سَيِّد المُرْسَلين، واليَوَاقِيْت والجَوَاهِر ج١ ص١٦٠-١٦٢ ورِسَالَة التَّوْحِيْد لمُحَمَّد عَبْدُه ط١٠ ص٢٣٦.

(٢) الفُرْقَان لابن تَيْمِيَّة ص٨٩.

(٣) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٩٣و٣٩٦. وانظر: المَوَاقِف ج٨ ص٢٨٨. ووَرَدَ رأي أبي الحُسَيْن في: الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٣١٨.

(٤) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٩٣ عن نِهَايَة المبتدئين لابن حمدان.

(٥) حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص١١٣.

. . . .

سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعٗا ﴾ - الكهف ٢٥.

وإتيان وَزِيْر سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلَامُ (آصف بن برخيا) بعرش بلقيس بطرفة عَيْن مع المسافة البعيدة قال تعالىٰ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٞ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ ﴾ - النمل ٤٠.

ب- تواتر عن الصَّحَابَة الكرام عدد كَبِيْر من الكَرَامَات بحيث لا يمكن إنكاره منها:

لمَّا أرسل عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جيشاً إلىٰ نَهَاوَنْد، أَمَّر عليهم رجلاً يسمىٰ سارية، فبينما عُمَر يَخْطُب، فجعل يصيح علىٰ المنبر: يا ساريةُ الجَبَلَ. فقدم رَسُوْل الجيش فسأله، فقال: يا أَمِيْر المُؤْمِنِين لقينا عدوَّنا فهزمونا، فإذا بصائح: يا ساريةُ الجَبَلَ، يا ساريةُ الجَبَلَ، فأسندنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم الله.

ولما حاصر خالد بن الوَلِيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِصْناً مَنيعاً، قالوا لا نسلم حتىٰ تشرب السُّم، فشربه فلم يضرّه[1].

ج- إثبات الكَرَامَة للوَلِيّ هو إثبات مُعْجِزَة الرَّسُوْل ﷺ، لأنه لن يكون وَلِيّاً إلَّا بعد أن يكون محقاً في ديانته، وديانتُه الإقرار بالقلب واللِّسَان برِسَالَة رَسُوْل الله ﷺ مع الطاعة له في أوامره ونواهيه، لأن الوَلِيّ لو ادعىٰ الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة للنَّبِيّ، لم يكن وَلِيّاً، ولم تظهر الكَرَامَة علىٰ يده، ولو فُرِضَ ظهورها فهو حينئذٍ من قبيل الاستدراج[2].

د- الكَرَامَة أمر ممكن، ووجود الممكنات مستند إلىٰ قدرته تعالىٰ الشَّامِلَة لجميعها، فلا يمتنع شيء منها علىٰ قدرته[3].

وأنكر الكَرَامَة: أبو إسْحَاق الإسْفَرَايِيْنِيّ، وأبو عبد الله الحَلِيْمِيّ من الأَشَاعِرَة، وأكثر

....

(١) انظر هٰذِهِ الأمثلة وغيرها في: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٨٨ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٧٥ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧٥ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٩٤ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج١٠ ص٨١١ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٥٢.

(٢) شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٧٧ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٩٦ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج١٠ ص٨١٠.

(٣) شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٨٨. وانظر: أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص١٦٢.

. . . .

المُعْتَزِلَة[١]، وابن حَزْم الظَّاهِرِيّ[٢]، بحُجَّة:

أنها لا تتميز عن المُعْجِزَة، فلا تكون المُعْجِزَةُ حينئذٍ دالـةً علىٰ النُّبُوَّة، ويَنْسَدُّ بابُ إثباتها[٣].

ورُدَّ بما يأتي:

١- الكَرَامَة ثَابِتَة بالقُرْآن، وتواترها في كل عَصْر يشهد بأنها حق لا يمكن إنكاره، كما تَقَدَّم.

٢- إن المُعْجِزَة تفترق عن الكَرَامَة بالأُمور الآتية:

أ- المُعْجِزَة تتميز بالتَّحَدِّي مع ادِّعَاء النُّبُوَّة، أما الكَرَامَة فليس فيها ذٰلِكَ[٤].

ب- المُعْجِزَة مقارِنة لدعوىٰ النُّبُوَّة، أما الكَرَامَة فهي غير مقارِنة لها، فصاحب الكَرَامَة لا يدعي النُّبُوَّة، بل هو متبع للنَّبِيّ متمسك بشرعه، ولو ادَّعَاها صار عدواً لله، لا يستحق الكَرَامَة بل اللعنة والإهانة[٥]، فلا تلتبس عندئذٍ الكَرَامَة بالمُعْجِزَة.

ج- المُعْجِزَة مقدورة للأنبياء متىٰ أرادوها، إما باخْتِيَارهم، وإما باقْتِرَاح الأُمَّة. أما الكَرَامَة فقد يأتي بها الوَلِيّ، وقد لا يستطيع الإتيان بها[٦].

....

(١) شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٨٢، وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٧٣، والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٨٨، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٣٩٤، وحَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر ص١١٣، وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٥٣. والرِّسَالَة القُشَيْرِيَّة ص١٥٨ والإِرْشَاد للجُوَيْنِيّ ص٣١٦ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص٩١ والمُحَصَّل للرَّازِيّ ص٢٢١.

وجاء في الفَائق في أُصُوْل الدِّيْن ص٣١٧: (مَنَع شيوخُنا أبو عَلِيّ وأبو هَاشِم وأصحابهما من جواز ظهور المعجِز علىٰ الصالح، والكذاب علىٰ العكس، وعلىٰ من سيُبْعَثُ إرهاصاً لنبوته).

(٢) الفِصَل لابن حَزْم ج٥ ص١٠٩. وذكر رأي أهل الظَّاهِر الطُّوْسِيُّ في اللُّمَع ص٣٩٣.

(٣) المَوَاقِف ج٨ ص٢٨٩ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج١٠ ص٨١٢.

(٤) المَوَاقِف ج٨ ص٢٨٩.

(٥) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٧٣ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٥٣.

(٦) شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة لرَمَضَان أفندي ص٢٨٩-٢٩٠ والرِّسَالَة القُشَيْرِيَّة ص١٥٩ وبَحْر الكَلَام للنَّسَفِيّ ص١١٦.

٤- أن لا تكون متقدمة علىٰ دعوىٰ النُّبُوَّة، بل مقارنة لها أو متأخرة عنها بزمن يسير يعتاد مثله.

لأن المُعْجِزَة شهادة من الله تعالىٰ علىٰ صدق المدعي، والشهادة لا تتقدم علىٰ الدعوىٰ.

فخرج بذٰلِكَ: الإرهَاص (مشتق من أَرهَصْتُ الحائطَ، أي: أَسَّسْتُهُ): وهو ما كان قبل النُّبُوَّة من الخوارق تأسيساً لها، كإظلال الغَمَام له ﷺ قبل بعثته، وشق صدره، وككلام عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في المهد. وهٰذِهِ الإرهاصات هي كَرَامَات، لأن الأنبياء قبل نُبُوَّتهم لا يقصرون عن درجة الأَوْلِيَاء.

د- الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم علىٰ المُشْرِكِيْن، لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله عَزَّ وجَلَّ، والأَوْلِيَاء يحتجون بالكَرَامَة علىٰ نفوسهم، حتىٰ تطمئن، وتوقن، ولا تضطرب، ولا تجزع عند فوت الرزق، لأنها أَمَّارَة بالسوء جاحدة مُشْرِكة مجبولة علىٰ الشك، ليس عندها يقين بما ضمن لها خَالِقها من الرزق[١].

هـ- إن الأنبياء كلما زيدت لهم من المعجزات، يكون أتم لمعانيهم وفضلهم، وهٰؤُلَاءِ الذين لهم الكَرَامَات من الأَوْلِيَاء كلما زيدت في كرامتهم، يكون وَجَلُهم أكثر، وخوفهم أكثر، حذراً أن يكون ذٰلِكَ من المكر الخفي لهم والاستدراج، وأن يكون ذٰلِكَ نصيبهم من الله عَزَّ وجَلَّ، وسبباً لسقوط منزلتهم عند الله عَزَّ وجَلَّ[٢].

ولٰكِن الذي يجب الالتفات إليه هو أن أَهْل السُّنَّة وغيرهم في اتفاقٍ علىٰ أنه لا يجب الاعْتِقَاد بوقوع كَرَامَة معينةٍ علىٰ يد وَلِيٍّ معين بعد ظهور الإسلام، فيجوز لكل مُسْلِم بإجماع الأُمَّة أن ينكر صدور أي كَرَامَة كانت من أي وَلِيٍّ كان، ولا يكون بإنكار هٰذَا مخالفاً لشيءٍ من أُصُوْل الدِّيْن، ولا مائلاً عن سُنَّةٍ صَحِيْحَة، اللهم إلَّا أن يكون مما صَحَّ في السُّنَّة عن الصَّحَابَة[٣].

---

(١) اللُّمَع للطُّوْسِيّ ص٣٩٣.

(٢) اللُّمَع للطُّوْسِيّ ص٣٩٥. وهناك فُرُوْق أُخرىٰ في: أُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١٧٤-١٧٥.

(٣) رِسَالَة التَّوْحِيْد لمُحَمَّد عَبْدُه ط١٠ ص٢٣٨.

٥- أن تكون موافقة لدعوىٰ النُّبُوَّة.

فخرج بذٰلِكَ المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البَحْر، فانفلق الجبل.

٦- أن لا تكون مكذِّبة له.

فخرج بذٰلِكَ ما إذاكانت مكذبة له، كما إذا قال: آية صدقي نطقُ هٰذَا الجماد، فنطق بأنه مُفْتَرٍ كَذَّاب.

٧- أن تتعذر معارضته.

وخرج بذٰلِكَ:

السِّحْر: وهو قَوَاعِد تكتسب بالتَّعْلِيْم يقتدر بها علىٰ أفعال غَرِيْبَة.

والكَهَانَة: وهي التنبؤ بالمغيبات لا عن دليل.

والشَّعْبَذَة: (أو الشَّعْوَذَة): وهي خفة في اليد يرىٰ أن لهاحقيقة ولا حقيقة لها، كما يقع للحُوَاة (جمع حاوي).

٨- أن لا تكون في زمان نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مَغْرِبها، لأن ما يظهر عند ظهور أشراط الساعة وانتهاء التكاليف لا يشهد بصدق الدعوىٰ لكونه زمان نقض العادات.

مُعْجِزَة الرَّسُوْل دليل صدقه

إظهار المُعْجِزَة علىٰ يد مُدَّعِي النُّبُوَّة يفيد العلم بصدقه، ويفيد تصديق الله سُبْحَانَهُ له، فكأنها - علىٰ ما قال إمَام الحَرَمَيْن - بمنزلة أن يقول: جعلتُه رَسُوْلاً، أو أنشأتُ الرِّسَالَة فيه[1].

---

(١) شَرْح المَقَاصِد ج٥ ص١٨ ونِهَايَة الإقدام ص٤٢١.

ومَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ من يَدَّعِي أنه أُرسل من مَلِكٍ حاضرٍ محتجبٍ بسِترٍ، والجَمَاعَة علىٰ كثرتها

مُعْجِزَة كل نَبِيّ من جنس ما اشتهر أهل زمانه به

مُعْجِزَة الأنبياء بخرقها العادة أعجزت المُتَحَدِّيْن عن معارضتها، مع فرط اهتمامهم بالمُعَارَضَة وتوفر دواعيهم.

ولهٰذَا كانت مُعْجِزَة كل نَبِيّ من جنس ما غلب علىٰ أهل زمانه، وتهالكوا عليه وتفاخروا به، فاشتهر قوم دَاوُد بالموسيقىٰ، وعجزوا عن مُعَارَضَة مُعْجِزَة دَاوُد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهي مزاميره.

واشتهر قوم مُوسَىٰ بالسحر، وعجزوا عن مُعَارَضَة مُعْجِزَة مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قلب العَصَا حَيَّة.

واشتهر قوم عِيسَىٰ بالطب، وعجزوا عن مُعَارَضَة مُعْجِزَة عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في إحياء الموتىٰ، وإبراء الأكمه والأبرص.

واشتهر العَرَب قوم مُحَمَّد ﷺ بالفصاحة والبَلَاغَة، وعجزوا عن مُعَارَضَة مُعْجِزَة الرَّسُوْل ﷺ (القُرْآن الكَرِيم) في بلاغته[1].

حضور. فإذا قام المُدَّعِي بين ذٰلِكَ الجمع وقال: أيها الناس إني رَسُوْل هٰذَا الملك إليكم، وآية صدقي في دعواي أنه يُحَرِّكُ هٰذَا السِّتر إذا طلبتُ ذٰلِكَ منه، ثم قال: أيها المَلِك، إن كنتُ صَادِقاً في دعواي الرِّسَالَة عنك فحَرِّك هٰذَا السِّتر فحُرِّكَ في الحال، عُلِمَ قطعاً ويقيناً بقرينة الحال أنه أراد بذٰلِكَ الفعل تصديق المُدَّعِي، ونُزِّلَ تحريك السِّتر منه منزلة التَّصْدِيْق بالقول. فالمُرَجِّحُ للصدق في المُعْجِزَة هي القرائنُ الحاصِلَة من اجتماع أُمور كثيرة منها: الخارق للعادة، ومنها كونه مقروناً بالدعوىٰ، ومنها سَلَامته عن المُعَارَضَة، فانتهضت هٰذِهِ القرائن بمجموعها دالةً علىٰ صدق المُدَّعِي، نازلةً منزلة التَّصْدِيْق بالقول. / نِهَايَة الإقدام ص٤٢١-٤٢٢.

(١) المَقَاصِد وشرحه ج٥ ص١٨. وانظر: الإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص٦١-٦٢ وأَعْلَام النُّبُوَّة للمَاوَرْدِيّ ص٥٧ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٥٢ والبُرْهَان للزَّرْكَشِيّ ج٢ ص٩٨ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٧٣ والغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص٨٤.

حكم الإيمان بالمُعْجِزَة

الإيمان بأن الله تعالىٰ قد أيد أنبياءه ورسله بالمعجزات واجبٌ، لا يجوز الاعْتِقَاد بخلافه، لأن إثبات النُّبُوَّة لا يَتِمّ إلَّا باجتماع أمرين:

أولهما: ادعاؤه النُّبُوَّة.

ثانيهما: إظهاره المُعْجِزَة، لكي يظهر صدقه أمام من أُرسل إليهم.

قال تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ - الأنعام ٨٣.

وقال النَّبِيّ ﷺ: (ما من الأنبياء من نَبِيّ إلَّا قد أُعطيَ من الآيات ما مثلُه آمنَ عليه البَشَرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وَحْياً أوحىٰ اللهُ إلَيَّ. فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة)[١].

وسَبِيْل تعريف الله تعالىٰ عِبَاده صدق الرسل بالمعجزات كسَبِيْل تعريفه إياهم إلٰهِيَّته بالآيات الدالة عليها، والتعريف قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل[٢].

شبهة ورَدّ

ذهب بعض المعاصرين إلىٰ إنكار المُعْجِزَة بحُجَّة:

أ- أنها خروج عن العادة المألوفة المُشَاهدَة.

ب- لأن العلم الحَدِيْث وأُصُوْل البَحْث يقتضي عدم التعويل علىٰ الروايات في

---

(١) حَدِيْث: ما من الأنبياء... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٩٦ كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، ١ باب قول النَّبِيّ ﷺ بُعثتُ بجَوَامِع الكَلِم، رقم ٧٢٧٤، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وفي صَحِيْح مُسْلِم، واللفظ له، في: ١ كتاب الإيمان، ٧٠ باب وجوب الإيمان برِسَالَة نبينا مُحَمَّد ﷺ إلىٰ جميع الناس...، رقم ١٥٢، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) نِهَايَة الإقدام ص٤٢٥.

هٰذَا الشأن.

ورُدَّ هٰذَا القول بما يأتي:

١- إن طرق إثبات المعجزات صَحِيْحَة قطعاً، وقد ورد بعضها في القُرْآن والبعض الآخر في الحَدِيْث الصَّحِيْح، الذي قد يصل إلىٰ درجة التواتر.

فإنكارها هو إنكار للقُرْآن وصَحِيْح الروايات من الحَدِيْث الشَّرِيْف، وبالتالي إنكار كل ما ورد من أخبار دينية أو غير دينية وصلتنا بطرق صَحِيْحَة متواترة.

٢- تجاهل المعجزات وعدم الإيمان بها، يعتبر الخطوة الأُوْلَىٰ لإنكار الغيبيات، وفي مُقَدِّمتها الإيمان بالله تعالىٰ. وفي ذٰلِكَ هدم للشَّرِيْعَة الإسلامِيَّة من الأَسَاس.

٣- إن نواميس الكون بذاتها معجزات، لأن خلق الإنسان وأعاجيب تَرْكِيْب أجزائه مُعْجِزَة، وكذٰلِكَ خلق الشجر وخلق الماء والجمادات والحيوانات كلٌّ منها مُعْجِزَة بذاتها. وهٰذَا يعني أن الذي أوجدها ورعاها بهٰذَا الإعجاز، وهو الله تعالىٰ، قَادِر علىٰ أن يغير مجرىٰ الأُسْلُوْب الذي هو عليه، فالمعجزات هي في حَيِّز الممكن لا من المستحيلات، كما هو معروف بالبداهة.

٤- إجماع الأجيال المُتَعَاقِبَة علىٰ ثُبُوْت المعجزات، ولذٰلِكَ آمنوا بالرسل والأنبياء.

المَبْحَث الثالث

النُّبُوَّة الخاصة: نُبُوَّة سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ

إثبات نُبُوَّة سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ

تقدم أن إثبات النُّبُوَّة لا يكون إلَّا باجتماع أمرين:

أولهما: ادِّعَاء النُّبُوَّة.

وثانيهما: إظهار المُعْجِزَة.

فكل من ادَّعَىٰ النُّبُوَّة وأظهر المُعْجِزَة فهو نَبِيّ.

وهٰذَان الأمران يثبتان نُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ، وهما يشكلان المبدأ الأول في إثباتها، وهناك أُمور أُخرىٰ تعد شواهد مؤكدة ومقررة لنبوته ﷺ.

وإليك تَوْضِيح الأمرين المثبتين لنُبُوَّة الرَّسُوْل الأعظم مُحَمَّد ﷺ وهما:

الأول: ادِّعَاء النُّبُوَّة

تواتر عن النَّبِيّ ﷺ أنه ادَّعَىٰ النُّبُوَّة بلا خلاف من أحد تواتراً ألحقه بالعَيَان والمُشَاهدَة.

الثاني: إظهار المُعْجِزَة

ثبت عن الرَّسُوْل ﷺ أنه أظهر المُعْجِزَة.

مُعجِزَات الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ

ومُعْجِزَاته نوعان[1]:

النوع الأول: كمُعْجِزَات الرسل والأنبياء السَّابِقين قصيرة الأمد، زالت بزوال أيامها، وبموت من شَاهدها، والمتطلِّع إليها لا يجدها إلَّا في الأخبار، كمُعْجِزَات مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من: قلب العصا حيَّة، وفلقها البَحْر، ومُعْجِزَات عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتىٰ... إلخ.

ومن هٰذِهِ المُعْجِزَات ما ثبت بالقُرْآن الكَرِيْم، أو نقل إلينا بالخبر المتواتر مثل:

١- انشقاق القمر الثَّابِت بالقُرْآن الكَرِيْم: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾- القمر.

والأَحَادِيْث في هٰذَا زاخرة كثيرة من طرق عدة في صَحِيْح البُخَارِيّ ومُسْلِم وغيرهما.

٢- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ حين التمس الناس مع الرَّسُوْل ﷺ الماء للوُضُوْء فلم يجدوه، فدعا بإناء فيه ماء، فوضع الرَّسُوْل ﷺ يده في ذٰلِكَ الإناء، فنبع الماء من تحت أصابعه، فتوضأ جميع الناس إلىٰ آخرهم.

وهٰذِهِ المُعْجِزَة تكررت عدة مرات، كما ثبت ذٰلِكَ في البُخَارِيّ ومُسْلِم وغيرهما.

٣- إبراء المريض بلمسه ﷺ، كما في البُخَارِيّ ومُسْلِم وأصحاب السُّنَن في وقائع كثيرة.

---

(١) انظر الكلام عن مُعْجِزَاته ﷺ في: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٥٦ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٥ والإِنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٦٢ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٨٧ وبَحْر الكَلَام ص١٢١ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٧٤ و ج١٠ والفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٣٢٨ وما بعدها، وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٢٩ وحُجَّة الله علىٰ العالمين في مُعْجِزَات سَيِّد المُرْسَلين.

٤- إخباره بحوادث قبل وقوعها، وهو كثير جداً مثل:

أ- قال رَسُوْل الله ﷺ: (يُوشِك الأُمَم أن تَدَاعَىٰ عليكم، كما تَدَاعَىٰ الأَكَلَةُ إلىٰ قَصْعَتِها، فقال قائلٌ: ومن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولٰكِنكم غُثَاءٌ كغُثَاء السَّيْل، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ من صدور عدوكم المَهَابَةَ منكم، ولَيَقْذِفَنَّ اللهُ في قلوبكم الوَهَنَ، قال قائل يا رَسُوْل الله وما الوَهَنُ؟ قال: حُبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت)[1].

والذي ينظر إلىٰ وضع المُسْلِمِيْن منذ أن اضمحل سُلْطَانهم في الأرض، يجد طمع العالم بالمُسْلِمِيْن والكيد لهم مع كثرتهم الكاثرة.

ب- قال رَسُوْل الله ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أَرَهما: قومٌ معهم سِيَاطٌ كأذناب البقر، يَضرِبون بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مُميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسُهن كأَسْنِمَة البُخْت المائلة، لا يَدْخُلْنَ الجنةَ، ولا يَجِدْنَ ريحَها، وإنَّ ريحَها لَيُوجَدُ من مَسِيْرَة كذا وكذا)[2].

والنَّاظِر في أُمَّة الإسلام بعد قرونها الأُوْلَىٰ، يجد الصنف الأول من شيوع الظلم وإيذاء الناس، ويجد في عَصْرنا الحاضر صورة النساء في عُرْيهن وفتنتهن التي رسمها الحَدِيْث.

ج- قوله ﷺ: (لَيَأْتِيَنَّ علىٰ الناس زمانٌ، لا يَبقىٰ منهم أَحَدٌ إلَّا أكل الربا، فإن لم

(١) **حَدِيْث: يوشك الأُمَم**... إلخ، في: سُنَن أبي دَاوُد في: ٣١ كتاب المَلَاحِم، ٥ باب في تداعي الأُمَم علىٰ أهل الإسلام، رقم ٤٢٩٧، عن ثَوْبَان. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن أبي دَاوُد ج٦ ص٣٥٥: حَدِيْث حَسَن.

(٢) **حَدِيْث: صنفان من أهل النار**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٣٧ كتاب اللباس والزِّيْنَة، ٣٤ باب النساء الكاسيات العاريات...، رقم ٢١٢٨، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. و٥١ كتاب الجنة وصفة نَعِيْمها وأهلها، ١٣ باب النار يدخلها الجَبَّارون...، رقم ٢١٢٨م (٥٢)، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والبُخْت: الإبل الخُرَاسَانِيَّة، مفرده: جَمَل بُخْتِيّ، وناقة بُخْتِيَّة.

يأكله، أصابه من غُبَارِهِ)[١].

ومن المَعْلُوْم أن الحياة الاقْتِصَادِيَّة الحاضرة تقوم علىٰ الربا بالمصارف وغيرها، وهٰذَا إخبار عما نحن فيه.

د- قال رَسُوْل الله ﷺ: (لا تقوم الساعة، حتىٰ تَخرُج نارٌ من أرض الحِجَاز، تُضِيءُ أعناق الإبل ببُصْرَىٰ)[٢] وبُصْرَىٰ مَدِيْنَة بالشَّام.

فأنبأنا عن حدوث بركان عَظِيْم في أرض الحِجَاز من مكانٍ عَيَّنَهُ النَّبِيّ ﷺ. قال النَّوَوِيّ: تواتر العلمُ بخروج هٰذِهِ النار عن جميع أهل الشَّام. ووَصَفَ السَّمْهُوْدِيّ زلزالها ونارها، وكانت في زمنه سنة ٦٥٤هـ. ووَصَفَ القَسْطَلَّانِيّ في كتاب أفرده لهٰذِهِ الحادثة هٰذِهِ النار، فقال: (إنَّ ضَوْءها استولىٰ علىٰ ما بطن وما ظهر، حتىٰ كأن الحَرَم والمَدِيْنَة قد أشرقت بها الشمس، وتأثر من هيبها النيران، وصار نور الشمس علىٰ الأرض يعتريه صفرة، ولونها هي يعتريه حمرة، والقمر كأنه خسف). وذكر هٰذِهِ النار السَّمْهُوْدِيّ في تاريخ المَدِيْنَة والقَاضِي سِنَان والقَاشَانِيّ والعِمَاد بن كَثِيْر والمَطَرِيّ وغيرهم[٣].

النوع الثاني: نوع خالد خلود الدهر، ماثل كل حين، ألا وهو القُرْآن الكَرِيْم.

وهنا نتتبع بعض جوانبه الدالة علىٰ أنه مُعْجِزَة سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ وأنه من عند الله تعالىٰ.

---

(١) **حَدِيْث: لَيَأْتِيَنَّ علىٰ الناس زمانٌ**... إلخ، أَخْرَجَهُ أبو دَاوُد وابن مَاجَه والحَاكِم في المُسْتَدْرَك، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٤٦١.

(٢) **حَدِيْث: لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج**... إلخ، مُتَّفَق عليه. / اللُّؤْلُؤ والمَرْجَان ص٨١٣.

رواه البُخَارِيّ في صَحِيْحه في: ٩٢ كتاب الفِتَن، ٢٤ باب خروج النار، رقم ٧١١٨، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومُسْلِم في صَحِيْحه في: ٥٢ كتاب الفِتَن وأشراط الساعة، ١٤ باب لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من أرض الحِجَاز، رقم ٢٩٠٢، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وبهٰذَا اللفظ في سُنَن أبي دَاوُد في: ٥٢ كتاب الفِتَن، ١٤ باب لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نارٌ من أرض الحِجَاز، رقم ٢٩٠٢، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الرَّسُوْل: سَعِيْد حوىٰ ج٢ ص١٣٠ وهٰذِهِ الأمثلة غَيْض من فَيْض.

القُرْآن الكَرِيْم

القُرْآن في اللُّغَة: مصدر قَرَأ. كالغُفْرَان مصدر غَفَر.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ - القيامة.

وفي الاصْطِلَاح: هو كلام الله تعالىٰ، المنزل علىٰ الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المَنْقُوْل عنه نَقْلاً متواتراً بلا شُبْهَة، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، المُتَعَبَّد بتلاوته[1].

وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو التشريع الخالد لكل زمان ومكان.

والقُرْآن الكَرِيْم مُعْجِز، أعجز البشر عن أن يأتوا بسورة من مثله. وهنا لا بد أن نقيم الدليل علىٰ إعجازه، لتسلم لنا نُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ، ويسلم الإسلام كله بعد ذٰلِكَ.

إعجَاز القُرْآن

الإعجاز: إثبات العجز للغير.

يقال: أعجزَ القُرْآن البَشَرَ، أي: أثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله.

ولا يتحقق الإعجاز إلَّا بأُمور ثلاثة:

١- التَّحَدِّي، وهو طلب المنازلة والمُعَارَضَة.

٢- وجود المقتضي الذي يدفع المُتَحَدَّىٰ إلىٰ المنازلة.

---

(١) فتح الغَفَّار لابن نُجَيْم ج١ ص١٠. وانظر: جَمْع الجَوَامِع بحَاشِيَة البَنَّانِيّ ج١ ص٢٢٣ وعلم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٢٣.

٣- عدم وجود مَانِع من المباراة.

فالمصارع إذا ادَّعَىٰ البطولة، وأنكر عليه مصارع آخر، فتحداه الأول، فلم يستطع الثاني منازلته، كان الأول قد أثبت عجز الثاني، وذٰلِكَ:

لوجود التَّحَدِّي من الأول.

ولحرص الثاني علىٰ إبطال دعوىٰ الأول.

ولانعدام المرض أو العذر المَانِع من المباراة.

تحقق شروط الإعجاز في القُرآن الكَرِيم

لبَيَان صحة إعجاز القُرْآن الكَرِيْم، لا بد أن نعرض كل شرط من شروط الإعجاز المتقدمة علىٰ القُرْآن، ليتضح لنا إعجازه بجلاء، وذٰلِكَ علىٰ النَّحْو الآتي:

١- **التَّحَدِّي**، وهو طلب المنازلة والمُعَارَضَة.

فالقُرْآن الكَرِيْم تَحَدَّىٰ العَرَب، وأثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله، وهم أرباب الفصاحة والبَيَان شعراً ونثراً، قال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ - الطُّوْر.

وتَحَدَّاهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ - هُوْد.

وتَحَدَّاهم بأن يأتوا بسورة من مثله، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ - البقرة.

فلما عجزوا تَحَدَّىٰ الإنس والجن بلهجة واخِزَة وتهكُّم لاذع، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ

ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ - الإسراء ٨٨.

وهٰـذَا التَّـحَدِّي لم يقف عند زمن الـرَّسُـوْل ﷺ فحسب، بل هو ماضٍ إلىٰ يوم القيامة[١].

٢- وجود المقتضي الذي يدفع المُتَحَدَّىٰ إلىٰ المنازلة.

فالرَّسُوْل ﷺ ادَّعَىٰ أنه رَسُوْل الله، وجاءهم بكتاب الله (القُرْآن الكَرِيْم) يسَفِّه عِبَاداتهم، ويسخر من عُقُوْلهم، فحرصوا علىٰ رده بأن يأتوا بمثله أو ببعضه، ليدحضوا حجته، فلا يقال إنه من الله.

٣- عدم وجود مَانِع من المباراة.

فالمَانِع الذي يمنع العَرَب من المُعَارَضَة غير موجود، وذٰلِكَ متضح في جوانب عدة هي:

أ- جانب اللُّغَة: فالعَرَب كانوا قادة الفصاحة والبَيَان بشعرهم ونثرهم، وكان القُرْآن بلِسَانهم.

ب- جانب المعنىٰ: فقد كانوا علىٰ بصر وخبرة وتَجَارِب وذكاء، كما تشير إلىٰ ذٰلِكَ خُطَبهم وأشعارهم ومنافراتهم وآثارهم.

ج- جانب الزمن: فالقُرْآن لم ينزل جُمْلَة وَاحِدَة، بل نزل خلال ثلاث وعشرين سنة، ليتسع مجال المُعَارَضَة[٢].

---

(١) انظر تحَدِّي القُرْآن الكَرِيْم في: إثبات نُبُوَّة النَّبِيّ ص٢١ وكتابنا: التَّحَدِّي في آيات الإعجاز.

(٢) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلاَّف ص٢٥-٢٧ ومحاضرات في أُصُوْل الفِقْه للشيخ بَدْر المُتَوَلِّي عبد البَاسِط ج١ ص١٢٩.

والعَرَب يعلمون أن مُعَارَضَة القُرْآن بنظم سورة مثله أبلغ في تكذيب مُحَمَّد ﷺ وأسرع في تفريق أتباعه، لٰكِنهم عجزوا عن ذٰلِكَ، مع أنهم مصاقع الخُطَبَاء، وأساطين البَلَاغَة في تلك الفترة الطَّوِيْلَة، فعَدَلوا عن المُعَارَضَة، وسلكوا سَبِيْلاً آخر، وهو بذل النفوس، والمقارعة بالسيوف، والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال بالحَرْب الضَّارِيَة(١).

وما ذٰلِكَ إِلَّا اعتراف كَامِل بأن القُرْآن الكَرِيْم كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وجوه إعجاز القُرْآن الكَرِيْم

القُرْآن الكَرِيْم كتاب تشريع ودستور للناس، تبنىٰ به حياة عَزِيْزة كَرِيْمَة وارفة الظلال، تعمر بها الأرض.

ولم يكن مقصده الأصلي أن يؤَصِّل نَظَرِيَّات عِلْمِيَّة، أو أن يقصّ علينا أنباء الأولين، أو أن يكون صورة أدبية فريدة في الأُسْلُوْب، لٰكِنه ذكر آيات الله في الخلق بذٰلِكَ الأُسْلُوْب الرفيع، ليعلمهم أنه كلام إلٰهِيّ مُعْجِز في حد ذاته، وليؤكد الإيمان به، وتتخذ العِبَر من قصصه.

والقُرْآن الكَرِيْم مُعْجِز من وجوه متعددة، أظهرها ما يأتي:

الوجه الأول: فصاحة ألفاظه، وبَلَاغَة عباراته، وعجيب نظمه

والعُلَمَاء اختلفوا في تحديد هٰذَا الوجه علىٰ النَّحْو الآتي:

---

(١) الإتْقَان ص٧١٠-٧١١ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٤٤ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٧ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٧٨ ونِهَايَة الإقدام ص٤٤٩ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٨١ والنبأ العَظِيْم ص٨٥.

١- إعجاز القُرْآن في بُلُوْغه الطبقة العليا من الفصاحة، والدرجة القصوىٰ من البَلَاغَة، علىٰ ما يعرفه فُصحاء العَرَب بسَليقتهم وعُلَمَاء البَيَان بمهارتهم وإحاطتهم بأساليب الكلام. وهٰذَا هو قول الجُمْهُوْر[١].

وأصل البَلَاغَة في القُرْآن الكَرِيْم مُتَّفَق عليه، لا يُنكره من له أدنىٰ تَمْيِيْز ومَعْرِفَة بصياغة الكلام[٢].

فجميع ألفاظ القُرْآن الكَرِيْم فصيحة، لا تنبو عن السمع، وعباراته مطابقة لمُقْتَضَىٰ الحال في أعلىٰ مستويات البَلَاغَة، وهٰذَا واضح في تشبيهاته واستعاراته ومجازاته وأساليبه المُخْتَلِفَة[٣].

٢- إعجاز القُرْآن الكَرِيْم في نظمه (أي: تأليفه) الغَرِيْب، واسلوبه العجيب.

ولِلنَّظْم معنيان:

المعنىٰ الأول: النَّظْم هو تَرْتِيْب الكلمات، وضم بعضها إلىٰ بعض. وهٰذَا النَّظْم يخالف المعتاد من أساليب كلام العَرَب في:

مَطَالِعه: أي: أوائل السُّوَر والقصص، مثل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾، ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ ﴾، ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

---

(١) المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٢٨. وذكر الإيْجِيّ في المَوَاقِف والسَّيِّد الشَّرِيْف في شرحه عليه ج٨ ص٢٤٤: (كونه في الدرجة العالية من البَلَاغَة التي لم يعهد مثلها في تراكيبهم، وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم، وعليه الجَاحِظ وأهل العَرَبِيَّة). وذكر أيضاً: (للعُلَمَاء عبارات مُخْتَلِفَة في تَفْسِيْر البَلَاغَة، أَحْسَنها قولهم: البَلَاغَة هي التعبير باللفظ الرائع «أي: المُعجِب بخلوصه عن معايب المفردات وتأليفاتها واشتماله علىٰ منافيها» عن المعنىٰ الصَّحِيْح «أي: المناسب للمقام الذي أُوردَ فيه الكلام» بلا زِيَادَة ولا نقصان في البَيَان والدلالة عليه. فكلما ازداد شَرَف الألفاظ ورونق المعاني ومطابقة الدلالة كان الكلام أبلغ).

(٢) المَوَاقِف السَّابِق.

(٣) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلاَّف ص٣١.

ومَقاطِعه: أي: أواخرها، مثل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، ﴿يَفْعَلُونَ﴾.

وفَواصِله: أي: آخر الآي، التي هي بِزِنَة الأسجاع في كلامهم.

فإن هٰذِهِ الأُمور المذكورة وقعت في القُرْآن علىٰ وجهٍ لم يُعهَد في كلامهم وكانوا عَاجِزيْن عنه. وبه قال بعضُ المُعْتَزِلَة[1].

المعنىٰ الثاني: النَّظْم هو جمع الكلمات مترتبة المعاني، متناسقة الدلالات علىٰ حسب ما يقتضيه العقل. فبلغ نظمه في الفصاحة والمطابقة لمُقْتَضَىٰ الحال الحَدَّ الخارجَ عن طَوْق البشر. وهو قول عبد القاهر الجُرْجَانِيّ[2].

لذٰلِكَ فإن أشراف العَرَب مع كَمَال حذاقتهم في أسرار الكلام وفرط عداوتهم للإسلام لم يجدوا للطعن فيه مجالاً، ونسبوه إلىٰ السحر علىٰ ما هو دَأَب المحجوج المبهوت تَعَجُّباً من فصاحته وحُسْن نظمه وبلاغته، واعترفوا بأنه ليس من جنس خطب الخُطَبَاء أو شعر الشعراء[3]. علىٰ ما سيأتي بَيَانه.

٣- إعجاز القُرْآن بمجموع الأمرين السَّابِقين: النَّظْم الغَرِيْب، وكونه في الدرجة العالية من البَلَاغَة، من غير استقلال لأحدهما. وهو قول القَاضِي البَاقِلَّانِيّ[4].

والذي يتتبع تاريخ اللُّغَات يجد أنها متطورة تدريجياً، أَمَّا اللُّغَة العَرَبِيَّة فلم يحدث لها تطور تدريجي حين جاء القُرْآن، بل بعض ما يشبه الانفجار المباغت، فطفر باللُّغَة من

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٤٤ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٣٠.

(٢) المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ السَّابِق وفيه: هو ما قال عبد القاهر: أن النَّظْم هو تَوَخِّي معاني النَّحْو فيما بين الكَلِم علىٰ حسب الأغراض التي يُصاغ لها الكلام.

(٣) المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٣٢.

(٤) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٤٥ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٣٠. وانظر: الإنْصَاف للبَاقِلَّانِيّ ص٦٢ وتَمْهِيْد الأوائل ص١٧٧و١٨٥.

مَرْحَلَة اللهجة الجاهلية إلىٰ لُغَة منظمة فنياً، مع أنه لم يستعمل مطلقاً ألفاظاً أجنبية عن لهجة الحِجَاز. فكأنه استحضر ثروته اللفظية الخاصة، وأنشأها بطريقة غَرِيْبَة، فأحدث انقلاباً هائلاً في الأدب العَرَبِيّ بتغييره الأداة الفنية في التعبير، فخلق من الوجهتين الأدبية واللُّغَوِيَّة فصلاً تاماً بين اللُّغَة الجاهلية واللُّغَة الإسلامِيَّة[1].

قال الشيخ المَوْدُوْدي الهِنْدِيّ: (إذا قرأتَ اللُّغَة العَرَبِيَّة، ودرستَ أدبها، ظهر لك من دون أدنىٰ ارتياب، أنه لا يمكن أن تكون في الدنيا لُغَة أَنسب من هٰذِهِ اللُّغَة، لأداء الأفكار العالية، والإفصاح عن أدق معاني العلم الإلٰهِيّ، والتَّأْثِيْر في القلوب، فبالجُمَل الصَّغِيْرَة من هٰذِهِ اللُّغَة، تؤدىٰ الموضوعات المهمة، وتكون قَوِيَّة التَّأْثِيْر في القلوب، إلىٰ مثل هٰذِهِ اللُّغَة كانت تحتاج معاني القُرْآن الكَرِيْم، فمن حكمة الله البَالِغَة، ورحمته الشَّامِلَة بعِبَاده إذن، أن اختار أرض العَرَب علىٰ غيرها للنُّبُوَّة العالمية)[2].

أُسْلُوْب القُرْآن الكَرِيْم

أُسْلُوْب القُرْآن[3] هو الطريقة التي انفرد بها في تأليف كلامه واخْتِيَار ألفاظه، وقد

---

(١) الظَّاهِرَة القُرْآنية ص٢٣٢-٢٣٤.

(٢) مبادئ الإسلام لأبي الأعلىٰ المَوْدُوْدي ص٤٧.

وانظر في إعجاز القُرْآن بحثاً مستفيضاً في: الإتْقَان ص٧١١ وقد جاء بآراء كثيرة للجَاحِظ والنَّظَّام والبَاقِلَّانِيّ والرَّازِيّ والزَّمْلَكَانِيّ وابن عَطِيَّة والمُرَّاكُشِيّ والأَصْبَهَانِيّ والسَّكَّاكِيّ والتَّوْحِيْدِيّ والخَطَّابِيّ والزَّرْكَشِيّ والرُّمَّانِيّ والقَاضِي عِيَاض وغيرهم.

وقد طبعت بعض هٰذِهِ الكتب. وذكر الدكتور عُمَر ملَّا حُوَيْش في كتابه: (تطور دراسات إعجاز القُرْآن وأثرها في البَلَاغَة العَرَبِيَّة) آراء بعض هٰؤُلَاءِ محللاً كتبهم في الإعجاز. وانظر: نِهَايَة الإقدام ص٤٤٧ وإثبات نُبُوَّة النَّبِيّ ص٨٧ وإعجاز القُرْآن للرَّافِعِيّ، والنبأ العَظِيْم ص٨٠.

(٣) انظر أُسْلُوْب القُرْآن الكَرِيْم وخصائصه السبع الآتية في: مناهل العِرْفَان للزُّرْقَانِيّ ج٢ ص١٩٨ وما بعدها.

جاء القُرْآن الكَرِيْم بلِسَان العَرَب، فمن حروفهم تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت تراكيبه، وعلىٰ قَوَاعِدهم العامة في صياغة هٰذِهِ المفردات وتكوين التراكيب جاء تأليفه. ومع ذٰلِكَ فقد أعجزهم بأُسْلُوْبه الفَذّ.

ومَثَلُ البَيَان اللُّغَوِيّ في أية لُغَة مثل أي صِنَاعَة من الصناعات، فالخياطون يختلفون فيما بينهم فمنهم من هو خامل أو ماهر، أو ضعيف أو بارع. وهٰذَا الاختلاف لم يكن نتيجة الاختلاف في مواد الثياب المخيطة أو الآلات والأدوات العامة المستخدمة في الخياطة، بل جاء الاختلاف من جهة الطريقة الخاصة التي اتبعت في اخْتِيَار هٰذِهِ المواد وتأليفها، واستخدام قَوَاعِد هٰذِهِ الصِّنَاعَة في شكلها وهندستها.

لذٰلِكَ كان للتعبير القُرْآني سره العجيب، ومن السَّابِقين الذين نبهوا علىٰ أسرار تعبيره الخَطِيْب الإسْكَافِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤١٢هـ، في كتابه (دُرَّة التنزيل وغُرَّة التأويل)، قال مبيناً سر التعبير بالفاء في لفظ (كلوا) من قوله سُبْحَانَهُ في سورة البقرة ٥٨: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾، وعن سر التعبير بالواو لا بالفاء في لفظ (كلوا) من قوله سُبْحَانَهُ في سورة الأعراف ١٦١: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾، مع إن القصة وَاحِدَة، ومدلول الحرف وَاحِد. قال:

الأصل أن كل فعل عطف عليه ما تعلق به تعلق الجواب بالابتداء. وكان الأول مع الثاني بمعنىٰ الشرط والجزاء، فالأصل فيه عطف الثاني علىٰ الأول بالفاء دون الواو، ومنه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ ﴾ - البقرة ٥٨، فإن وجود الأكل متعلق بالدخول: والدخول مُوْصِل إلىٰ الأكل، فالأكل وجوده معلق بوجوده، بخلاف ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ ﴾ - الأعراف ١٦١، لأن السُّكْنَىٰ مقام مع طول لبث، والأكل لا يختص وجوده بوجوده، لأن من يدخل بُسْتَاناً قد يأكل منه مجتازاً، فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء[1].

(١) انظر: دُرَّة التنزيل وغُرَّة التأويل ص١٠.

خصائص أُسْلُوْب القُرْآن الكَرِيْم

الخصائص التي امتاز بها أُسْلُوْب القُرْآن الكَرِيْم جعلت له طابعاً مُعْجِزاً في لغته وبلاغته، ومن تلك الخصائص:

الخاصة الأُوْلَىٰ: مسحة القُرْآن اللفظية الخلَّابة العجيبة، المتجلية في نِظَامه الصوتي، وجماله اللُّغَوِيّ. والمُرَاد بنِظَام القُرْآن الصوتي: اتساق القُرْآن وائتلافه في حركاته وسَكَناته ومَدَّاته وغُنَّاته، واتصالاته وسكتاته، اتساقاً عجيباً، وائتلافاً رائعاً.

فمن ألقىٰ سمعه إلىٰ مجموعة القُرْآن الصوتية يشعر ولو كان أعجمياً لا يعرف العَرَبِيَّة بأنه أمام لحن غَرِيْب، وتوقيع عجيب، يفوق في حُسْنِهِ وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقىٰ وترنيم الشعر، لأن الموسيقىٰ تتقارب أنغامها، فلا يفتأ السمع أن يَملَّها، ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الوَاحِدَة غَالباً علىٰ نَمَط يُورث سامعَه المِلَل والسَّأَم.

أما سامع لحن القُرْآن فلا يَسأم ولا يَمَلّ، لأنه ينتقل فيه دائماً بين ألحان متنوعة، وأنغام متجددة علىٰ أوضاع مُخْتَلِفَة، يهزّ كل وضع منها أوتار القلوب.

وهٰذَا الجمال الصوتي هو أول شيء أَحَسَّته الآذانُ العَرَبِيَّة أيام نُزُوْل القُرْآن ولم تكن عهدت مثله، حتىٰ خيل إليهم أنه شعر أو سحر.

والمُرَاد بجمال القُرْآن اللُّغَوِيّ ما امتاز به في رصف حروفه، وتَرْتِيْب كلماته، حين تعطىٰ حروف القُرْآن حقَّها ومستحَقَّها من المخارج والصفات علىٰ ما هو مقرر في قَوَاعِد علم التجويد.

فتألَّف من اجتماع نِظَامه الصوتي وجماله اللُّغَوِيّ قالَبٌ لفظي مدهش، تلاقت عنده أذواق القبائل العَرَبِيَّة علىٰ اختلافها بكل يُسْرٍ وسهولة.

ولقد كان الجمال اللُّغَوِيّ والنِّظَام الصوتي دليل الإعجاز من ناحية، وكان من

ناحية أُخرىٰ سُوْراً منيعاً لحفظ القُرْآن، يسترعي الأَسْمَاع، ويثير الانتباه، فيبقىٰ سائداً علىٰ ألسنة الخلق وفي آذانهم، فلا يجرؤ أحد علىٰ تغييره.

الخاصة الثانية: إرضاؤه العامة والخاصة.

فالعامة والخاصة علىٰ حد سواء إذا قرؤوه أو قُرِئَ عليهم أحسوا بجماله، وتذوقوا حلاوته، وفهموا منه ما استطاعوا أن يفهموه.

وليس كذٰلِكَ كلام البشر، فإنه إن أرضىٰ الخاصة والأذكياء لجنُوْحه إلىٰ التجوز والإغراب والإشارة لم يُرضِ العامة، لأنهم لا يفهمونه.

وإن أرضىٰ العامة لجنُوْحه إلىٰ التصريح والحَقَائِق العارية المكشوفة لم يُرضِ الخاصة لنُزُوْله إلىٰ مستوىٰ ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعُقُوْلهم.

الخاصة الثالثة: إرضاؤه العقل والعاطفة لأنه يخاطب القلب والعقل معاً.

فمثلاً وهو معرض الاستدلال العقلي علىٰ البعث والإعادة، يسوق استدلاله سوقاً يهز القلوب ويمتع العاطفة. قال سُبْحَانَهُ في سورة فُصِّلَت ٣٩: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقال سُبْحَانَهُ في سورة ق ٦-١١: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾.

هٰذَا الأُسْلُوْب البارع أقنع العقل، وأمتع العاطفة في آنٍ وَاحِد، قال في الأُوْلَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ - فُصِّلَت ٣٩، وفي الأَخِيْرَة: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ - ق ١١.

يا للجمال الساحر، ويا للإعجاز الباهر، الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معاً، بأنصع الأَدِلَّة وأمتع المعروضات في هٰذِهِ الكلمات المَعْدُوْدات.

وحين يسوق قصة يُوْسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلاً يأتي بالعِظَات البَالِغَة، ويطلع من خلالها بالبَرَاهِيْن الساطعة علىٰ وجوب الاعتصام بالعفاف والشَّرَف والأمانة، إذ قال في فصل منها: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ - يُوْسُف ٢٣.

فتأمل كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث مُقَابَلَة صورت من القصص الممتع جدالاً عنيفاً بين جند الرَّحْمٰن وجند الشيطان، ووضعتهما أمام العقل المنصف في كفتي مِيْزَان.

وهٰكَذَا تجد القُرْآن الكَرِيْم كله مزيجاً حلواً سائغاً، يخفف علىٰ النفوس تجرُّعَها الأَدِلَّة العقلية، ويرفه عن العُقُوْل باللفتات العاطفية، ويوجه العُقُوْل والعواطف معاً جنباً إلىٰ جنب لِهِدَايَة الإنسان وخَيْر الإنسانية.

وهٰذَا ليس ككلام البشر، فإنه إذا وفىٰ حق العقل بخس العاطفة حقها، وإن وفىٰ العاطفة بخس العقل حقه، حتىٰ أصبح مَعْلُوْماً عرفاً أن الأساليب النثرية مقسمة إلىٰ نوعين. أُسْلُوْب عِلْمِيّ وأُسْلُوْب أدبي.

فطُلَّاب العلم لا يرضيهم الأُسْلُوْب الأدبي، وطُلَّاب الأدب لا يرضيهم الأُسْلُوْب العِلْمِيّ، والإنسان مهما أُوتي لم يملك هاتين القوتين متكافئتين، وعلىٰ فرض تكافئهما في شخص فإنهما لا يعملان معاً دفعة وَاحِدَة، بل علىٰ سَبِيْل البدل والمناوبة ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ ﴾ - الأحزاب ٤.

أما القُرْآن فإنه هو المفرد بهٰذِهِ الميزة بين أنواع الكلام، لأنه تنزيل من القَادِر الذي جمع بين الروح والجسد في قُرْآنه.

الخاصة الرابعة: جودة سبك القُرْآن وإحْكَام سرده.

فالقُرْآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجُمَله، وآياته وسُوَره، مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نَفَسِهِ وتنوع مَقَاصِده، وتلوينه في الموضوع الوَاحِد.

فكأنما هو سبيكة وَاحِدَة تأخذ بالأَبْصَار.

هٰـذِهِ سورة الفاتحة، تأمل كيف تترابط وتتناسق في حُسْن تخلُّص من معنى إلىٰ معنى، ومن مقصد إلىٰ مقصد.

لقد افتتحت مُتَوَّجَة باسم الله، كما يُتوِّج القَاضِي كلَّ حكم من أَحْكَامه باسم جَلَالَة الملك، لإعْلَان الجهة التي يستمد منها نفوذه في صدور أَحْكَامه، ثم انتقل الكلام فيها سريعاً إلىٰ الاستدلال علىٰ أن الاستعانة إنما هي بالله تعالىٰ وحده، وذٰلِكَ بإضافة الاسم إلىٰ لفظ الجَلَالَة، الذي هو اسم الذات الجَامِع لصفات الكَمَال، وبوصف لفظ الجَلَالَة بأنه ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ - الفاتحة ٣.

ثم انتقل الكلام إلىٰ إعْلَان أنه تعالىٰ مستحق للمحَامِد كلها، ما دام أنه المستعان وحده.

ثم انتقل إلىٰ تدعيم هٰذَا الاستحقاق بأَدِلَّة ثلاثة جرت علىٰ اسم الجَلَالَة مجرىٰ الأوصاف في مقام حمده ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ - الفاتحة.

ثم انتقل الكلام إلىٰ إعْلَان وحدانيته ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ما دام أنه هو المعين وحده، ومستحق المحَامِد كلها وحده.

ثم انتقل الكلام في براعة إلىٰ بَيَان المطمح الأعلىٰ للإنسان، وهو الهِدَايَة إلىٰ الصراط المُستقِيم، وأنه لا سَبِيْل إلىٰ الوُصُوْل إلىٰ هٰذَا المطمح عن طريق أحد إلَّا عن طريق الله وحده، بقرينة ما سبق من أَدِلَّة التَّوْحِيْد والتَّمْجِيْد قبله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.

ثم انتقل الكلام إلىٰ تقسيم الخلق بالنسبة إلىٰ هٰـذِهِ الهِدَايَة ثلاثة أقسام، تَنْبِيْهاً وإغراء علىٰ المقصود، وتحذيراً وتنفيراً من الوقوع في نقيض هٰذَا المقصود ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

وإذا الناس أمام عينيك بين مُنْعَم عليه بمَعْرِفَة الحق واتباعه، ومغضوب عليه بمخالفة الحق مع العلم به، وضالّ في متاهة الضلال، لا يكلف نفسه عناء البَحْث عن الحق.

ثم تنظر في سورة البقرة فإذا هي وما بعدها ترتبط بالفاتحة ارتباط المُفَصَّل بالمُجْمَل. فالهِدَايَة إلىٰ الصراط المُستقِيم صراط من أنعم الله عليهم من النَّبِيِّيْن والصِّدِّيْقِيْن والشهداء والصَّالِحِيْن، تشرحها سورة البقرة وما وليها من سُوَر القُرْآن، حيث جاءتنا بتفاصيل هٰذِهِ الهِدَايَة في بَيَان كَامِل، وعرضٍ شاملٍ.

فتراه ينتقل من مقصد إلىٰ مقصد بأُسْلُوْب أَخَّاذ رائع بَدِيْع.

هٰذَا بخلاف كلام البشر، حيث يضطر العُلَمَاء والمؤلفون في تنقلاتهم بين أغراضهم إلىٰ اسْتِعْمَال أسماء الإشارة، وأدوات التَّنْبِيْه، ولفظ أَمَّا بعدُ، ونحو هٰـذَا، وتقسيم الكتاب إلىٰ مباحث، وكل مَبْحَث يشتمل علىٰ النقاط الآتية... .

الخاصة الخامسة: براعته في تصرُّف القول وثروته في أفانين الكلام.

فيورد المعنىٰ الوَاحِد بألفاظ وبطرق مُخْتَلِفَة، بمقدرة فائقة خارقة، تنقطع في حَلَبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء، من ذٰلِكَ:

تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية:

١ - الإتيان بصَرِيْح مادة الأمر، نحو قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ - النساء ٥٨.

٢ - الإخبار بأن الفعل مكتوب علىٰ المكلفين، نحو: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ - البقرة ١٨٣.

٣- الإخبار بكونه علىٰ الناس، نحو: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ - آل عِمْرَان ٩٧.

٤- الإخبار عن المكلف بالفعل المطلوب منه، نحو: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ - البقرة ٢٢٨، أي: مطلوب منهن أن يتربصن.

٥- الإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تَحْقِيْقه من غيره، نحو: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ - آل عِمْرَان ٩٧، أي: مطلوب من المخاطبين تأمين من دخل الحَرَم.

٦- طلب الفعل بصيغة فعل الأمر، نحو: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ - البقرة ٢٣٨.

أو بلام الأمر، نحو: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ - الحج ٢٩.

٧- الإخبار عن الفعل بأنه خَيْر، نحو: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ - البقرة ٢٢٠.

٨- وصف الفعل وصفاً عُنْوَانياً بأنه بِرٌّ، نحو: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ - البقرة ١٨٩.

٩- وصف الفعل بالفَرَضِيّة، نحو: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ - الأحزاب ٥٠، أي: من بذل المهور والنفقة.

١٠- تَرْتِيْب الوعد والثواب علىٰ الفعل، نحو: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ - الحديد ١١.

١١- تَرْتِيْب الفعل علىٰ شرط قبله، نحو: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾ - البقرة ١٩٦.

١٢- إيقاع الفعل منفياً معطوفاً عَقِبَ استفهام، نحو: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ - النَّحْل ١٧، أي: تذكروا.

١٣- إيقاع الفعل عَقِبَ تَرَجٍّ، نحو: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ - البقرة ١٨٥.

١٤- تَرْتِيْب وصف شنيع علىٰ ترك الفعل، نحو: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ - المائدة ٤٤.

وانظر من ذٰلِكَ تعابيره عن النهي والإباحة.

ولقد خلع هٰذَا التصرف والافتتان لباساً فضفاضاً من الجِدَّة والروعة علىٰ القُرْآن، فلا يَمَلّ قارئه، ولا يَسأم سامعه مهما كثرت القِرَاءَة والسَّمَاع. وهٰذَا التصرف في القول فن من فُنُوْن إعجازه الأُسْلُوْبِي.

الخاصة السادسة: جمع القُرْآن بين الإجمال والبَيَان، مع أنهما غايتان متقابلتان، لا يجتمعان في كلام وَاحِد من الناس، بل كلامهم إما مُجْمَل وإما مُبَيَّن.

والمُجْمَل[١]: ما له دلالة غير واضحة، مثل: لفظ (مُخْتَار) فإنه متردد بين الفاعل والمفعول. ولفظ (القُرْء) فإنه متردد بين الحيض والطُّهْر.

والمُبَيَّن: ما لا خفاء فيه، لا ما وقع إليه السياق. نحو: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾- المائدة ٣٨.

لأن الكلمة إما واضحة المعنىٰ لا تحتاج إلىٰ بَيَان، وإما خفية المعنىٰ تحتاج إلىٰ بَيَان. أما كلمة القُرْآن فإنك تجدها واضحة المغزىٰ وضوحاً يريح النفس من عناء التعقيب والبَحْث لأول وَهْلَة، وإذا أمعنت النَّظَر فيها لاحت منها معانٍ جديدةٍ كلها صَحِيْح أو محتمل لأن يكون صَحِيْحاً، وكلما أمعنت فيها النَّظَر زادتك من المَعَارِف والأسرار بقدر ما تصيب أنت من النَّظَر وما تحمل من الاستعداد.

---

(١) **المُجْمَل:** هو ما خفي المُرَاد منه بنفس اللفظ خفاءً لا يُدرَك إلاَّ ببَيَان من المُجْمِل، سواء كان ذٰلِكَ لتزاحم المعاني المتساوية الأقدام كالمشترك. أو لغرابة اللفظ كالهَلُوع (وهو من يسرع في الجَزَع عند إصَابَة المكروه. وفي المنع عند إصَابَة الخَيْر)، أو لانتقاله من معناه الظَّاهِر إلىٰ ما هو غير مَعْلُوْم كالصلاة والزكاة والربا. / انظر: شَرْح التلويح علىٰ التَّوْضِيْح للتَّفْتَازَانِيّ ج١ ص١٢٧.

ولهٰذَا السر وجد في كتاب الله جميع أصحاب المَذَاهِب المُخْتَلِفَة والمشارب المتباينة شفاء أنفسهم.

وليس كذٰلِكَ كلام البشر، فإنهم إذا قصدوا إلىٰ تَوْضِيْح أغراضهم ضاقت ألفاظهم، ولم تتسع لاستنباط وتأويل، وإذا قصدوا إلىٰ إجمالها لم يتضح ما أرادوه وربما التحق بالألغاز.

الخاصة السابعة: قَصْد القُرْآن في اللفظ مع وفائه بالمعنىٰ.

ففي ألفاظ القُرْآن بَيَان قَاصِد، مقدر علىٰ حاجات البشر من الهِدَايَة، دون أن يَزِيْد اللفظ علىٰ المعنىٰ، أو يقصر عن الوفاء بحاجات من هِدَايَة الخَالِق.

ومع هٰذَا اتضح المعنىٰ في صورةٍ كَامِلَة، قال ابن عَطِيَّة: (لو نُزعت منه لفظة، ثم أُدير لِسَان العَرَب علىٰ لفظة أَحْسَن منها لم توجد).

أما البليغ من الناس فإن أراد القَصْد في اللفظ حمله علىٰ الغَضّ من شأن المعنىٰ، وقد يبلغ إلىٰ حد الألغاز.

وإذا أراد الوفاء بالمعنىٰ حمله علىٰ الإسهاب، حرصاً علىٰ أَلَّا يفوته شيء من المعنىٰ الذي يقصده.

وإذا افترضنا أَنَّ بليغاً كتب له التوفيق بين هاتين الغايتين في جُمْلَة أو جملتين فإن الكلال يلحقه في بقية الكلام لا محالة.

والنَّاظِر في ما أُثِر عن أبرع الشعراء والكُتَّاب والخُطَبَاء يجد ذٰلِكَ واضحاً، وما كان اللفظ الواضح الجَامِع والمعنىٰ الناصع إلَّا في أبيات أو جُمَل مَعْدُوْدَة.

حتىٰ الرَّسُوْل ﷺ مع أنه أُوتي جَوَامِع الكَلِم، وأشرقت نفسه بأَنْوَار النُّبُوَّة، وسما كلامه علىٰ كلام كل إنسان، فإن بينه وبين القُرْآن البون الشاسع.

الوجه الثاني: تَأْثِيْره وسُلْطَانه على القلوب، وأخذه بمجَامِع الأفئدة

فقارئُه لا يَمَلُّه، وسامعه لا يَمُجُّه، بل الإكباب علىٰ تلاوته يَزِيْده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، فإذا قرع السمع خَلَصَ له إلىٰ القلب من اللذة والحلاوة ما تنشرح له الصدور، وتستبشر به النفوس(١).

ودليل ذٰلِكَ ما يأتي:

١- أنهم كانوا يهيمون علىٰ وجوههم ليلاً، فيهجرون لذة النوم ليستمعوا إلىٰ رَسُوْل الله ﷺ، وهو يتلو القُرْآن الكَرِيْم، قائماً بالليل أو في صلاة الفجر، فتطرب نفوسهم، وتهش له أفئدتهم.

قال الزُّهْرِيّ: إنَّ أبا جَهْل وأبا سُفْيَان والأَخْنَس بن شَرِيْق خرجوا ليلةً ليسمعوا من رَسُوْل الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع منه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضُهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأوقعتم في نفسه شَيئاً، ثم انصرفوا.

حتىٰ إذا كانت الليلة الثانية عاد كلُّ رجل منهم إلىٰ مجلسه. فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضُهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا.

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا

---

(١) الشفا ج١ ص٢٧٣و٢٧٦ والإتْقَان ص٧١٩ نَقْلًا عنه وعن غيره، وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٨٧ وعلم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٣١. قال الخَطَّابِيّ: قلت في إعجاز القُرْآن وجهاً آخر، ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلَّا الشَّاذّ من آحادهم، وذٰلِكَ صنيعه بالقلوب... . / انظر: بَيَان إعْجَاز القُرْآن للخَطَّابِيّ - ثلاث رَسَائِل في إعجاز القُرْآن ص٧٠.

طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقالوا:

لا نبرح حتىٰ نتعاهد أَلَّا نعود، فتعاهدوا علىٰ ذٰلِكَ، ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأَخْنَس بن شَرِيْق، أخذ عصاه ثم خرج، حتىٰ أتىٰ أبا سُفْيَان في بيته، فقال: أَخْبِرْنِي يا أبا حَنْظَلَة عن رأيك فيما سمعتَ من مُحَمَّد؟ فقال: يا أبا ثَعْلَبَة والله لقد سمعتُ أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها.

فقال الأَخْنَس: وأنا والذي حلفتَ به.

ثم خرج من عنده حتىٰ أتىٰ أبا جَهْل، فدخل عليه بيته، فقال:

يا أبا الحَكَم، ما رأيك فيما سمعتَ من مُحَمَّد؟ فقال: ماذا سمعتُ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مَنَاف الشَّرَف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتىٰ إذا تَجَاثَيْنَا علىٰ الرُّكَب، وكنا كفرسَي رِهَان قال: منا نَبِيّ يأتيه الوحي من السماء، فمتىٰ ندرك هٰذِهِ؟ والله لا نسمع به أَبداً ولا نصدّقه، فقام عنه الأَخْنَس بن شَرِيْق[1].

وهٰذَا دليل واضح علىٰ أن نفوسهم مستيقنة بصدق القُرْآن وإعجازه، لٰكِن عنادهم وحسدهم حا ل دون التَّصْدِيْق به.

٢- جاء الوَلِيْد بن المُغِيْرَة إلىٰ النَّبِيّ ﷺ فقرأ عليه القُرْآن فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذٰلِكَ أبا جَهْل.

فأتاه فقال: يا عَمُّ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنك أتيت مُحَمَّداً لتتعرض لما قبله.

---

(١) السِّيْرَة النَّبَوِيَّة لابن كَثِيْر ج١ ص٥٠٥-٥٠٦ (وهي من كتابه البِدَايَة والنِّهَايَة). ورِوَايَة الزُّهْرِيّ نقلها ابن كَثِيْر عن البَيْهَقِيّ عن الحَاكِم بسنده إلىٰ الزُّهْرِيّ. وهٰذَا في سِيْرَة ابن هِشَام ج٢ ص٦٦ المطبوعة مع الرَّوْض الأُنُف، تَحْقِيْق: طه عبد الرَّؤُوْف سَعْد، وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٢ ص٤٧٠.

قال: لقد علمتْ قُرَيْش أني من أكثرها مالاً.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنكَ مُنْكِر له، وأنكَ كاره له.

قال: وماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا بِرَجَزِه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شَيئاً من هٰذَا، وواالله إن لقوله لَحَلَاوة، وإن عليه لَطَلَاوة، وإنه لَمُنِيْر أعلاه، وإنه لَمُشْرِقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعْلَىٰ، وإنه ليَحْطِم ما تحته.

قال: لا يرضىٰ عنك قومك حتىٰ تقول فيه.

قال: فدعني حتىٰ أُفكر، فلما فكر، قال: هٰذَا سحر يُؤْثَر، يَأْثُره عن غيره، فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ - المُدَّثِّر ١١[1].

وللقصة روايات عديدة من طرق مُخْتَلِفَة[2]، جاء في بعضها عند القُرْطُبِيّ أن الوَلِيْد قال:... (وإنه لَيَعلو ولا يُعْلَىٰ عليه، وما يقول هٰذَا بَشَر)، حين جاءت قُرَيْش إلىٰ الوَلِيْد فقالت له: (فما هو؟ ففكَّر في نفسه، ثم نظر، ثم عَبَسَ، فقال: ما هو إلَّا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده وموَالِيه؟ فقال رداً عليه: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ - المُدَّثِّر.

٣- عن عُتْبَة بن رَبِيْعَة أنه كلَّم النَّبِيّ ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه، فتلا عليهم ﴿حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ﴾ إلىٰ قوله في الآية ١٣ ﴿ فَإِنْ

---

(١) لُبَاب النُّقُوْل في أسباب النُّزُوْل للسُّيُوْطِيّ في أسباب نُزُوْل الآية ١١ من سورة المُدَّثِّر. والرِّوَايَة أَخْرَجَهَا الحَاكِم وصَحَّحَهَا عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وإسنادها صَحِيْح علىٰ شرط البُخَارِيّ.

(٢) انظر: السِّيْرَة النَّبَوِيَّة لابن كَثِيْر ج١ ص٤٩٨-٥٠١ وسِيْرَة ابن هِشَام ج٢ ص١١ وتَفْسِيْر القُرْطُبِيّ ج١٠ ص٦٨٦٥-٦٨٦٦ والشفا ج١ ص٢٦٢ وتَفْسِيْر ابن كَثِيْر ص١٣٧٩.

أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ - فُصِّلَت، فأمسك عُتْبَة علىٰ فم النَّبِيّ ﷺ، وناشده الرَّحِمَ أن يكف عنه، ولم يخرج إلىٰ أهله، واحتبس عنهم(١).

وفي رِوَايَة. فجعل النَّبِيّ ﷺ يقرأ وعُتْبَةُ مُصْغٍ مُلْقٍ يديه خلف ظهره، معتمد عليهما، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ السجدة، فسجد النَّبِيّ ﷺ، وقام عُتْبَة لا يدري بِمَ يراجعه، ورجع إلىٰ أهله، ولم يخرج إلىٰ قومه حتىٰ أتوه، فاعتذر لهم، وقال: والله لقد كلَّمني بكلام والله ما سمعت أُذناي بمثله قطّ، فما دريتُ ما أقول له(٢).

وفي رِوَايَة:

ثم قام عُتْبَة إلىٰ أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله. لقد جاءكم أبو الوَلِيْد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوَلِيْد؟

قال: ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشِّعر ولا الكَهَانة، يا معشر قُرَيْش أطيعوني واجعلوها بي، خَلُّوا بين هٰذَا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العَرَب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر علىٰ العَرَب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أَسْعَد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوَلِيْد بلِسَانه.

قال: هٰذَا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم(٣).

وعُتْبَة بن رَبِيْعَة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ممن قتل ببدر كافراً.

٤- رَوَىٰ ابن سِنْجَر بسَنَده إلىٰ شُرَيْح بن عُبَيْد قال:

قال عُمَر بن الخَطَّاب: خرجت أتعرَّض رَسُوْل الله ﷺ - قبل أن أُسلم - فوجدته

---

(١) السِّيْرَة النَّبَوِيَّة لابن كَثِيْر ج١ ص٥٠٢.

(٢) الشفا ج١ ص٢٧٤-٢٧٥.

(٣) السِّيْرَة النَّبَوِيَّة لابن كَثِيْر ج١ ص٥٠٤-٥٠٥.

قد سبقني إلىٰ المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحَاقَّة، فجعلت أتعجب من تأليف القُرْآن، قال: قلت: هٰذَا والله شاعر، كما قالت قُرَيْش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ - الحَاقَّة، قال: قلت: كاهن علم ما في نفسي، فقال ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ -الحَاقَّة ٤٢ إلىٰ آخر السورة.

قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع[(١)].

٥- إسلام عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وملخص رِوَايَة ابن إسْحَاق في السِّيْرَة هو: أن عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خرج متوشحاً سَيْفه يريد رَسُوْل الله ﷺ وأصحابه الذين اجتمعوا معه في بيت قرب الصَّفَا.

ولقيه في الطريق نُعَيْم بن عبد الله، فسأله عن وجهته، فأخبره بغرضه، فحذَّره بني عبد مَنَاف، ودعاه أن يرجع إلىٰ بعض أهله (خَتَنِه سَعِيْد بن زَيْد ابن عمه، وأُخْته فاطمة بنت الخطاب زوج سَعِيْد) فقد صبآ عن دينهما.

فذهب إليهما عُمَر فسمع خَبَّاب بن الأَرَتّ، يتلو عليهما القُرْآن، فاقتحم الباب وبطش بخَتَنِه سَعِيْد، وشج أُخْته فاطمة، ثم أخذ الصحيفة - بعد حوار دار بينهم - وفيها سورة طه، فلما قرأ صدراً منها، قال: ما أَحْسَن هٰذَا الكلام وأكرمه!

ثم ذهب إلىٰ النَّبِيّ ﷺ فأعلن إسلامه، فكبَّر عليه الصلاة والسَّلَام تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عُمَر قد أسلم.

وفي رِوَايَة أُخرىٰ: أن عُمَر قال: (فلما سمعت القُرْآن رَقَّ له قلبي، فبكيت، ودخلني الإسلام)[(٢)].

---

(١) الرَّوْض الأُنُف ج٢ ص٩٩-١٠٠.

(٢) سِيْرَة ابن هِشَام ج٢ ص٩٥-٩٧ والسِّيْرَة النَّبَوِيَّة لابن كَثِيْر ج٢ ص٣٢-٣٩ وبَيَان إعجاز القُرْآن للخَطَّابِيّ ص٧٠.

وهناك روايات أُخرىٰ، وكلها تجمع علىٰ أن عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد أسلم حين سمع بعض آيات القُرْآن الكَرِيْم تتلىٰ من سورة طه.

٦- كان المُشْرِكُوْن يجتهدون في صد الرَّسُوْل ﷺ عن تلاوة القُرْآن في الكَعْبَة، وفي مجَامِعهم وأسواقهم، وكانوا يتواصون بعدم سَمَاعه، قال تعالىٰ فيهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ - فُصِّلَت ٢٦، لئلا يسمعها المُشْرِكُوْن، وعندها تعتريهم هيبة القُرْآن فيُسْلِمون.

٧- وكان أبو بَكْر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين يقرأ القُرْآن لا يملك عينيه من البكاء، فكان يجتمع الأولاد والنساء، وهم يعجبون منه وينظرون إليه. فحمل ذٰلِكَ قُرَيْشاً علىٰ منعه من الصلاة في المسجد الحرام، ثم من داره[١].

٨- حين قرأ رَسُوْل الله ﷺ القُرْآن في الموسم علىٰ النفر الذين حضروه من الأَنْصَار آمنوا به وعادوا إلىٰ المَدِيْنَة فأظهروا الدِّيْن بها فلم يبقَ بيت من بيوت الأَنْصَار إلَّا وفيه قُرْآن.

وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المَدِيْنَة بالقُرْآن[٢].

٩- روي عن نَصْرَانِيّ أنه مر بقارئ - يتلو القُرْآن جهراً - فوقف يبكي، فقيل له: لِمَ بكيتَ؟ فقال: للشَّجَا والنَّظْم[٣].

والمُرَاد بالشَّجَا هو الحزن الذي أصابه من استماعه، فَرَقَّ قلبه وخشع بدنه.

---

(١) **حَدِيْث أبي بَكْر حين يقرأ القُرْآن**، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٣ كتاب مَنَاقِب الأَنْصَار، ٤٥ باب هجرة النَّبِيّ ﷺ وأصحابه إلىٰ المَدِيْنَة، رقم ٣٩٠٥، عن عَائِشَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) بَيَان إعجاز القُرْآن ص٧١.

(٣) الشفا ج١ ص٢٧٤.

والمُرَاد بالنَّظْم هو رونق انتظامه وحُسْن انسجامه.

١٠- وذكر أبو عُبَيْد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ - الحِجْر ٩٤، فسجد، وقال: سجدت لفصاحته[١].

١١- وسمع آخر رجلاً يقرأ ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ ﴾ - يُوْسُف ٨٠، فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر علىٰ مثل هٰذَا الكلام[٢].

١٢- وعن جُبَيْر بن مُطْعِم قال: سمعتُ النَّبيّ ﷺ يقرأ في المَغْرِب بالطُّوْر، فلما بلغ هٰذِهِ الآية: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ - الطُّوْر، كاد قلبي أن يطير. وفي رِوَايَة: وذٰلِكَ أول ما وقر الإيمان في قلبي[٣].

وقال أبو عُبَيْد:

إن جُبَيْراً قال: (فكأنما صُدِعَ قلبي) حين سمع النَّبِيّ يقرأ في صلاته بأصحابه: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ ﴾ - الطُّوْر[٤].

١٣- حكي عن بعضهم. أنه كان إذا أخذ المصحف بيده يُغشىٰ عليه من هيبته[٥].

---

(١) الشفا ج١ ص٢٦٢ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٧٨.

(٢) المصدران السَّابِقَان.

(٣) الشفا ج١ ص٢٧٤.

ورِوَايَة: **كاد قلبي أن يطير**، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر - سورة والطُّوْر، ١ باب، رقم ٤٨٥٤ عن جُبَيْر بن مُطْعِم.

والرِّوَايَة الأُخرىٰ: **وذٰلِكَ أول ما وقر**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٤ كتاب المَغَازِي، ١٢ باب، رقم ٤٠٢٣ عن جُبَيْر بن مُطْعِم.

(٤) الأموال لأبي عُبَيْد القَاسِم بن سَلَّام ص١٦٤.

(٥) معترَك الأَقْران في إعجاز القُرْآن للسُّيُوْطِيّ ج١ ص٢٤٤.

وأن بعض الصَّالِحِيْن: إذا تلي القُرْآن توَاجِدوا وصاحوا، وقد يتعدىٰ ذٰلِكَ إلىٰ الغَشْي وشَقّ الثياب، ومثله لا يُنكر. ومن لم يَذُقْ لا يعرف[1].

١٤- وقد مات جَمَاعَة عند سَمَاع آيات منه، أُفردوا بالتصنيف[2].

وأمثال هٰذَا كثير لا يتسع المجال للإطالة به.

هٰذَا التَّأْثِيْر العجيب في أهل الفصاحة والبَلَاغَة، وإن كنا لا نحس به الآن لغلبة العُجْمَة وفشو الجهل بلِسَان العَرَب فينا، ولٰكِنه حين نزل بُهروا به، وتذوقوا حلاوته، فجرَّهم إلىٰ الإيمان جرّاً.

حتىٰ إنه ورد في صفة الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أن الذي كان يمر ببيوتهم ليلاً يسمع منها مثل دَوِيّ النَّحْل من تلاوة القُرْآن.

وكان بعضُهم يقوم الليل كله، حتىٰ شكت منهم نساؤهم إلىٰ النَّبِيّ ﷺ.

وكان بعضُهم يقيم الليل بآيَة وَاحِدَة، يكررها ويتدبرها.

وكانوا يقرؤونه في كل حين مستَلْقِيْن وقائمين، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ - آل عِمْرَان ١٩١.

وتقشعر جلودهم لتلاوته، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ - الزُّمَر ٢٣[3].

حكىٰ الأَصْمَعِيّ أنه سمع كلام جارية فقال لها: (قاتلكِ الله ما أفصحكِ؟ فقالت: أَوَ يُعَدُّ هٰذَا فصاحة بعد قول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ

---

(١) نسيم الرِّيَاض ج٢ ص٥٢٤.

(٢) البُرْهَان للزَّرْكَشِيّ ج٢ ص١٠٦ والإتْقَان للسُّيُوْطِيّ ص٧٢٠.

(٣) الوحي المُحَمَّدِيّ ص١٢٢.

﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ - القصص ٧، فجمع في آية وَاحِدَة بين أمرين ونهيين وخَبَرَين وبشارتين)[1].

وتقصد بالأمرين: أرضعيه وألقيه. وبالنهيين: لا تخافي ولا تحزني. وبالخبرين: وأوحينا، فإذا خفت عليه. وبالبشارتين: رادّوه وجاعلوه[2].

الوجه الثالث: إخباره بوقائع غيبية، لا يعلمها إلَّا اللّه[3]، في الماضي أو الحاضر أو المستقبل

١ - فقد أخبر عن غيب الماضي:

وقصّ علينا قصص الأنبياء السَّابِقين مثل: آدم ونُوْح وهُوْد وصالح ويَعْقُوْب ويُوْسُف وإبْرَاهِيْم... وأُمَمهم.

فبعد أن قص قصة نُوْح، قال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ - هُوْد ٤٩.

وبعد أن قص قصة ولادة سَيِّدتنا مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وكفالة زَكَرِيَّا لها، قال: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ - آل عِمْرَان ٤٤.

وفَصَّل قصة يُوْسُف، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ - يُوْسُف ١٠٢. وغير ذٰلِكَ من القَصص.

---

(١) الشفا ج١ ص٢٦٣.

(٢) نسيم الرِّيَاض ج٢ ص٤٩٠.

(٣) الشفا السَّابِق، والإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص٦٣ وتَمْهِيْد الأوائل ص١٨٥ والمَوَاقِف ج٨ ص٢٤٥ والمَقَاصِد ج٥ ص٣٦ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٨٨ وإثبات نُبُوَّة النَّبِيّ ص١٢٣ والفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٣٣٥ وعلم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٣٠.

وهٰذِهِ القَصص حقيقية وردت أكثر أخبارها في التوراة والزَّبُور والإنجيل، حتىٰ جادل الرَّسُوْل ﷺ اليَهُوْد فيها، وصدقوه كما في قصة يُوْسُف وبني إسرائيل، حتىٰ إنهم بهروا بما جاء به، لأنهم يعلمون أنه أُمِّيّ لا صِلَة له بكتبهم، وبما عندهم من أخبار.

كما أكدت صحة أخبار القُرْآن كتب التاريخ القديمة، والحفريات الحَدِيْثَة التي تنبئ عن وجود تلك الأقوام وملوكها، وبعض أخبارهم المنقوشة في آثارهم العِمْرَانِيّة المطمورة.

٢- وأخبر عن غيب الحاضر:

أ- فتحدث عن الملائكة والجن، وعن الجنة والنار، وما يتصل بالله تعالىٰ من صفات.

ب- كما أوضح حقيقة مسجد الضِّرَار، الذي بناه المنافقون، وأرادوا به تفريق المُؤْمنين والإيقاع بينهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ - التوبة ١٠٧.

ج- وفضح ما عليه المنافقون مما خفي عليه ﷺ فقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ - البقرة.

٣- وأخبر عن غيب المستقبل:

أ- فقد أخبر عن غَلَبَة الرُّوْم. رَوَىٰ التِّرْمِذِيّ عن نِيَار بن مُكْرَم الأَسْلَمِيّ قال: لما نزلت ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ - الرُّوْم ١-٤، فكانت فَارِس يومَ نزلت هٰذِهِ الآية قَاهِرِيْن للرُّوْم، وكان المُسْلِمُوْن يحبون ظهور الرُّوْم عليهم، لأنهم وإياهم أهل كتاب، وذٰلِكَ قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ - الرُّوْم، وكانت قُرَيْش تحب ظهور فَارِس، لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب، ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالىٰ هٰذِهِ الآية، خرج أبو بَكْر الصِّدِّيْق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصيح في نواحي مَكَّة: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ - الرُّوْم ١-٤.

قال ناس من قُرَيْش لأبي بَكْر: فذٰلِكَ بيننا وبينكم، زعم صاحبُك أن الرُّوْم ستَغلِبُ فَارِسَ في بضع سنين، أفلا نراهنك علىٰ ذٰلِكَ؟ قال: بلىٰ. وذٰلِكَ قبل تحريم الرِّهَان. فارتهن أبو بَكْر والمُشْرِكُوْن، وتَوَاضَعُوا الرِّهَان، وقالوا لأبي بَكْر: كم تجعل؟ البِضْع ثلاثُ سنين إلىٰ تسع سنين، فسَمِّ بيننا وبينك وَسَطاً تنتهي إليه. قال: فسَمَّوْا بينَهم ستَّ سنين. قال: فمضت الستُّ سنينَ قبل أن يظهروا، فأخذ المُشْرِكُوْن رَهْنَ أبي بَكْر. فلما دخلت السنةُ السابعة ظهرت الرُّوْم علىٰ فَارِس، فعاب المُسْلِمُوْن علىٰ أبي بَكْر تسميةَ ستِّ سنين، لأن الله تعالىٰ قال: في بِضْعِ سنين، وأسلم عند ذٰلِكَ ناس كثير)[1]. وفي تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ[2] روايات مُفَصَّلة أُخرىٰ.

ب- وقال تعالىٰ مخاطباً النَّبيّ ﷺ أنه سيدخل مَكَّة، وهو لم يملك بَعْدُ قوةَ دخولها: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ﴾ - الفَتْح ٢٧.

رأىٰ رَسُوْل الله ﷺ في المنام قبل خروجه إلىٰ الحُدَيْبِيَّة: أنه هو وأصحابه دخلوا مَكَّة آمنين، وقد حلقوا وقَصَّروا، فقص رؤياه علىٰ أصحابه، فاستبشروا، وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم، وقالوا: إنَّ رؤيا رَسُوْل الله ﷺ حق. فلما تأخر ذٰلِكَ، اعترض بعض المنافقين كَعبد الله بن أُبَيّ وعبد الله بن نُفَيْل ورِفَاعَة بن الحرث: والله ما حلقنا،

---

(١) سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٤٣ كتاب تَفْسِيْر القُرْآن، ٣٠ باب ومن سورة الرُّوْم، رقم ٣١٩٤، ص٥٠٨، قال التِّرْمِذِيّ: هٰذَا حَدِيْث صَحِيْح حَسَن غَرِيْب. وهو بشَرْح عَارِضَة الأَحْوَذِيّ ج١٢ ص٧٠-٧٢.

(٢) تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ ج٧ ص٥٠٨٤.

ولا قصَّرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾ - الفَتْح ٢٧، فأعلمهم أنهم سيدخلون مَكَّة في غير هٰذَا العام، وأن رؤياه حق[1].

ج- كما أخبر القُرْآن الكَرِيْم بأن الله عَاصِم نبيه فلا يمكن اغتياله، مهما دبروا له من مكائد، وحرصوا علىٰ التخلص منه وقتله. قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ - المائدة ٦٧.

عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النَّبِيّ ﷺ يُحرَس، حتىٰ نزلت هٰذِهِ الآية: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ - المائدة ٦٧، فأخرج رَسُوْلُ الله ﷺ رَأْسَهُ من القُبَّة، فقال لهم: (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله)[2]. وللحَدِيْث رِوَايَة أُخرىٰ عن عبد الله بن شَقِيْق.

والنَّبِيّ في معركة أُحُد أقرب المُسْلِمِيْن إلىٰ العدو، حتىٰ قال الإمَام عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كنا إذا حَمِيَ الوَطِيْس، احتمينا برَسُوْل الله فما يكون أحد أقرب إلىٰ العدو منه).

وفي غزوة حُنَيْن، حين رمت هَوَازِنُ المُسْلِمِيْن (فأقبلوا هنالك إلىٰ النَّبِيّ ﷺ، وهو علىٰ بَغْلَته البيضاء، وابن عمه أبو سُفْيَان بن الحَارِث بن عَبْد المُطَّلِب يقود به، فنزل واستنصر، ثم قال: أنا النَّبِيّ لا كذب، أنا ابن عَبْد المُطَّلِب، ثم صفَّ أصحابه)[3].

---

(١) روح المعاني ج٢٦ ص١٢٠. وانظر: تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ عن قَتَادَة ج٩ ص٦١٠٩-٦١١٠.

(٢) **حَدِيْث: عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النَّبِيّ ﷺ يُحرَس**... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٤٣ كتاب تَفْسِيْر القُرْآن، ٥ باب ومن سورة المائدة، رقم ٣٠٤٦، ص٤٨٥. وهو بشَرْح عَارِضَة الأَحْوَذِيّ ج١١ ص١٧٤. وانظر من هٰذِهِ الأمثلة عن عصمة الله له في: الشفا ج١ ص٣٤٦ وما بعدها، وتَفْسِيْر ابن كَثِيْر ص٤٢٥.

(٣) **حَدِيْث: فأقبلوا هنالك إلىٰ النَّبِيّ ﷺ**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٥٦ كتاب الجِهَاد، ٩٧ باب من صفَّ أصحابه عند الهزيمة، رقم ٢٩٣٠، بهٰذَا اللفظ، عن البَرَاء بن عَازِب. وانظر الحَدِيْث فيه أَيضاً رقم ٢٨٦٤ و٢٨٧٤ و٣٠٤٢ و٤٣١٥ و٤٣١٦ و٤٣١٧ وكلها عن البَرَاء بن

فتحققت نبوءة القُرْآن الكَرِيْم، فلم يَتَمَكَّن أحد من الأعداء أن يصل إليه، مع وفرتهم وكثرة عُدَّتهم وتربصهم به كل حين، مع إقدامه في القتال، وشجاعته النادرة، وتعرضه للمُشْرِكِيْن بالحَرْب، وتسفيه آلهتهم، مع أن كَثيراً من الرؤساء والملوك إذا تربص لهم عدوهم، نالوا منه، فيسقط مضرجاً بدمائه.

د- نزل قوله تعالىٰ: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ - القمر ٤٥، بمَكَّة، والجِهَاد لم يشرع إلَّا في السنة الثانية للهجرة، تنبؤاً بهزيمة المُشْرِكِيْن وانتصار المُسْلِمِيْن، حتىٰ إن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - فيما رَوَىٰ ابن أبي حَاتِم وابن مَرْدَوَيْهِ - جعل يقول حين نزلت هٰذِهِ الآية: أَيُّ جمع هٰذَا؟ فلما كان يوم بَدْر رأيت رَسُوْل الله ﷺ يقولها.

هٰذِهِ الغيبيات التي ذكرها القُرْآن الكَرِيْم وغيرها كثير، وردت أنباؤها بشكل قاطع لا تردد فيه، وقد حدثتنا الأيام والوقائع عن صدقها تماماً، فهل جاء بها هٰذَا الرجل من عند نفسه؟ مع القطع بأنه ﷺ كان أُمِّيّاً لا يكتب ولا يقرأ، ولم يُعهَد منه ﷺ في جميع أزمانه تَعاطٍ لدراسة كتبٍ ولا تعلمها، وقد نفىٰ عنه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ ذٰلِكَ بقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ - العنكبوت ٤٨ [(١)].

إنه لا بد أن يكون قد استقاها من مصدر وثيق لا يقبل الخطأ، هو الوَحْي من الله تعالىٰ خَالِق كل شيء، ولا يمكن لعاقل أن يحكم بأنها من عبقرية هٰذَا الرجل، لأن المتنبئ يتخذ من تَجَارِبه الماضية مِصْبَاحاً يكشف بضوئه بعض خطوات من مجرىٰ الحوادث المقبلة، ثم يصدر حكمه بكل تَحَفّظ وحَذَر، ولا يمكنه أن يبتّ بما يقول، لأنه عندئذٍ يكون أحد رجلين:

عَازِب.

وهو في صَحِيْح مُسْلِم في: ٣٢ كتاب الجِهَاد، ٢٨ باب غَزوة حُنَيْن، رقم ١٧٧٦، عن البَرَاء.

(١) الإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص٦٢. وانظر: كتابنا: أُمِّيَّة الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ.

إما رجل مجازف لا يبالي بما يقول صدقاً أو كذباً، وهو شأن العَرَّافين والمُنَجِّمِيْن.

وإما رجل اتخذ عند الله عهداً، فلن يخلف الله عهده، وهي سُنَّة الأنبياء والمُرْسَلين.

والنبوءات التي وردت في القُرْآن تَدُلُّ دلالة قاطعة علىٰ أنها من عند الله تعالىٰ علىٰ لِسَان رَسُوْله الكَرِيْم، ولا يمكن أن تكون من قبيل المجازفة الوَارِدَة علىٰ ألسنة العَرَّافين.

الوجه الرابع: حَقَائِقه العِلْمِيَّة التي جاء العلم الحَدِيْث يؤكدها[1]

شَدَّ القُرْآن العَظِيْم أنظار الناس إلىٰ الكون ونواميسه، وإلىٰ ما فيه من مخلوقات، تأكيداً علىٰ أنه من الله تعالىٰ، فما علىٰ المرء إلَّا الامتثال له.

ومن تلك الشَّذَرَات العِلْمِيَّة التي ذكرها وأكدها العلم الحَدِيْث بحَقَائِقه الثَّابِتَة ما يأتي:

١- كان عُلَمَاء الفلك منذ قرون طَوِيْلَة قبل المِيْلَاد إلىٰ ظهور المراصد الفلكية قد انقسموا إلىٰ فريقين:

أحدهما: يرىٰ أن الأرض ثَابِتَة، وهي مركز العالم، والسيارات تدور حولها.

وثانيهما: يرىٰ أن الشمس ثَابِتَة والأرض والسيارات تدور حولها.

لٰكِن القُرْآن الكَرِيْم أَكَّدَ أن الأجرام السماوية متحركة سابحة في أفلاكها، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ - يس.

---

(١) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلاَّف ص٢٩.

وجاءت المراصد الحَدِيْثَة تؤكد ما جاء به القُرْآن العَظِيْم، وهي أن كل جِرْم سابح في الفضاء غير ثَابِت.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ - الذاريات ٤٧، يَدُلّ علىٰ أن الكون في توسع مستمر. يقول السير جيمس جينز: (مقدار هٰذَا التمدد بنحو مائة وخمسة أميال في الثانية، لكل بُعْدٍ قَدْرُه مليون سنة ضوئية، وإن حجم الفضاء العالمي الآن يبلغ نحو عشرة أمثال حجمه منذ بَدْء تمدده، أي أن كل بُعْد من أبعاده الثلاثة قد زاد قليلاً علىٰ ضعف قدره الأصلي)[1].

ومَسْأَلَة اتساعه أصبحت من مسلمات العُلُوْم الآن، وهي التي هالت أنشتاين، واكتشف (هابل) عالم الطبيعة أن الكواكب السَّدِيمية تبتعد عن سَدِيمنا، واستنبط عالم الرِّيَاضة البلجيكي (لومتر) من ذٰلِكَ نَظَرِيَّة امتداد الكون.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ - النبأ ٧، الآية تبين هٰذِهِ الحقيقة، وتصرح بها أدق النَّظَرِيَّات الجيولوجية التي تقول: بأن للجبال جذوراً وتدية في الأرض يَعْدِل امتدادُها ضعفَي ارتفاع الجبل عن الأرض.

٤- قوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ - الأنبياء ٣٠، الآية مُصَرّحَة بأن السماوات والأرض كانتا كتلة وَاحِدَة، فجزئت إلىٰ هٰذِهِ الأجزاء. والنَّظَرِيَّات الحَدِيْثَة تذكر أن الأجرام السماوية كانت في الأصل سَدِيماً وَاحِداً.

٥- قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ - الأنعام ١٢٥، الآية مُصَرّحَة بأن الذي يرتفع في السماء، يشعر بضيق الصدر وصعوبة التنفس، ومنذ اكتشاف الطَّبَقَات الجوية العالية بفضل الطيارات والصواريخ... رأىٰ العُلَمَاء أن الأُوكسجين ينقص في

(١) التَّفْسِيْر العِلْمِيّ للآيات الكونية ص٦٩.

تلك الطَّبَقَات، ويؤدي إلىٰ الضيق، ولذٰلِكَ يستعمل الطيارون حين يرتفعون في السماء أجهزة التنفس الصِّنَاعِيَّة تفادياً لذٰلِكَ الضيق.

٦- قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ - النَّحْل ٦٦، يَدُلّ علىٰ أن اللَّبَن الخالص السائغ للشاربين يخرج من بين الفَرْث (وهو الفضلات) والدم. وهٰذِهِ الحقيقة يوضحها العلم الحَدِيْث حين يقرر أن الحليب قبل أن يصبح في الثدي يمر بعمليّتي تصفية: أُولاهما: تصفيته من الفضلات، وذٰلِكَ بعد الهضم، ونُزُوْل السَّائِل الحليبي إلىٰ الأمعاء، إذ تقوم الزغيبات المعوية بامتصاص المواد الغذائية طارحة إياها في الدم ومبقية الفضلات في الأمعاء، حيث تطرح خارج الجسم، أما المواد الممتصة التي طرحت في الدم فإن قسماً منها يغذي جسم الكائن الحي، وقسماً آخر تصفيه الغدد اللَّبَنية من الدم وترسله إلىٰ الضرع حليباً خالصاً[1].

هٰذِهِ الحَقَائِق العِلْمِيَّة وغيرها كثير مما جاء بها النَّبِيّ ﷺ، وهو أُمِّيّ، نشأ في بيئة أُمِّيَّة منعزلة عن أُمَم العالم، هي مَعَالِم وضيئة للفكر العِلْمِيّ الحر، ولم يكن الناس في مُخْتَلف أنحاء العالم علىٰ علم بها، إلىٰ أن ظهرت أدوات العلم الحَدِيْثَة من أجهزة ومختبرات ومراصد فلكية... فإذا بها تقرر حَقَائِق القُرْآن الكَرِيْم ناصعة لا لَبْسَ فيها ولا غموض يوماً بعد آخر.

ولم يكن القُرْآن الكَرِيْم معجزاً لما فيه من الشَّذَرَات العِلْمِيَّة التي ذكرنا أمثلة منها فحسب، بل يتجلىٰ إعجازه في أنه لم يُعارِض ما استقر عليه العلم، ولم يُنكِر ما فيه من حَقَائِق عِلْمِيَّة.

---

(١) الرَّسُوْل: سَعِيْد حوىٰ ج٢ ص٣٨ وما بعدها وفيه أمثلة أُخرىٰ. وانظر حَقَائِق أُخرىٰ في: التَّفْسِيْر العِلْمِيّ للآيات الكونية.

شُبْهة ورَدّ

إذا قيل: إن النَّظَرِيَّات العِلْمِيَّة قد تتغير، فنحن لا نُخضع القُرْآن الكَرِيْم لأمثال هٰذِهِ التَّفْسِيْرات، لأن البَحْث قد يكشف خطأ نَظَرِيَّة قديمة.

فالجواب: أن تَفْسِيْرات آيات القُرْآن الكَرِيْم بما يكشفه العلم علىٰ وفق قَوَاعِد التَّفْسِيْر وضوابطه من اللُّغَة وغيرها ما هو إلَّا فهم لتلك الآيات، فإذا تبين خطأ النَّظَرِيَّة تبين خطأ ذٰلِكَ التَّفْسِيْر، أما إذا كانت الآية لا تحتمل التَّفْسِيْر الجديد، فلا تفسر عندئذٍ وفق النَّظَرِيَّة الجديدة، بل تنتظر أن يجدّ البَحْث فيها، حتىٰ يظهر خطأ تلك النَّظَرِيَّة[1].

الوجه الخامس: معانيه وأَحْكَامه وانعدام الاختلاف فيه[2]

مجموع ما في القُرْآن الكَرِيْم حوالي ستة آلاف ومائتا آية، اشتملت علىٰ موضوعات في شَتَّىٰ الميادين، للإيفاء بحاجات البشر وإصْلَاحهم.

ومحتوياته نوعان: أَحْكَام وغيرها.

النوع الأول: أَحْكَام القُرْآن، وهي ثلاثة أقسام:

١- أَحْكَام اعْتِقَادِيَّة: في وجوب اعْتِقَاد المُكلَّف بالله وملائكته وكتبه ورسله واليَوم الآخِر.

٢- أَحْكَام خُلُقِيَّة: في وجوب التحلي بالفَضَائِل والتخلي عن الرذائل.

٣- أَحْكَام عَمَلِيَّة: وهي تنتظم نوعين:

أ- أَحْكَام العِبَادات، لتنظيم علاقة الإنسان بربه، من صلاة وزكاة وحج وصوم...،

(١) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلاَّف ص٣٠ ومحاضرات في أُصُوْل الفِقْه لبَدْر المُتَوَلِّي عبد البَاسِط ج١ ص١٣٢.
(٢) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلاَّف ص٢٧.

وآياتها نحو ١٤٠ آية.

ب- أَحْكَام المعاملات وتتنوع إلىٰ الأنواع الآتية:

- أَحْكَام الأحوال الشخصية المتعلقة بالأُسرة، من زواج وطلاق، وآياتها نحو ٧٠ آية.

- الأَحْكَام المَدَنِيَّة المتعلقة بالبيع والإجارة والرهن والكفالة والشركة... إلخ، وآياتها نحو ٧٠ آية.

- والأَحْكَام الجنائية المتعلقة بالعقوبات والحدود، لحفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم، وآياتها نحو ٣٠ آية.

- أَحْكَام المُرَافَعَات المتعلقة بالقَضَاء والشهادة واليمين، لتَحْقِيْق العَدْل، وآياتها نحو ١٣ آية.

- الأَحْكَام الدستورية المتعلقة بنِظَام الحكم وأُصُوْله، وآياتها نحو ١٠ آيات.

- الأَحْكَام الدولية المتعلقة بمُعَامَلَة الدولة الإسلامِيَّة لغيرها ومُعَامَلَة غير المُسْلِمِيْن في الدولة الإسلامِيَّة، وآياتها نحو ٢٥ آية.

- الأَحْكَام الاقْتِصَادِيَّة والمالية المتعلقة بحق السَّائِل والمحروم في مال الغَنِيّ وتنظيم الموارد والمصارف، وآياتها نحو ١٠ آيات[١].

النوع الثاني: غير الأَحْكَام، وهي ثلاثة أقسام:

١- الإرْشَاد إلىٰ النَّظَر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض لمَعْرِفَة أسرار الخلق، فتمتلئ القلوب إيماناً بجَلَال الله وعظمته عن طريق النَّظَر والاستدلال، وهو

(١) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلاَّف ص٣٢-٣٣ والوَجِيْز في أُصُوْل الفِقْه للدكتور عبد الكَرِيْم زَيْدَان ص١٣٠ نَقْلاً عن خَلاَّف، والإسلام عَقِيْدَة وشريعة لمَحْمُوْد شَلْتُوت ص٥٠٠و٥٠٢.

طريق جَلِيْل يفتح الآفاق للعُلَمَاء وغيرهم لإدراك الله وقدرته، وقد انتفع به غير المُسْلِمِيْن كَثِيراً حينما خاضوا غِمَار الكون، وعرفوا أسراره فاستخدموها في نواحي الحياة.

٢- قصص الأولين أفراداً وأُمماً، وقد أوردها القُرْآن الكَرِيْم للاعتبار والاتعاظ، حتىٰ يَصْلُح الناس فينفوا عنهم الخبث والفساد.

٣- الإنذار والتخويف أو الوعد والوعيد، وللقُرْآن في ذٰلِكَ طريقان:

أحدهما: الوعد والوعيد في الدنيا، فيعد المُؤْمنين بالاستخلاف في الأرض والتمكين لهم والعز، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ - النُّوْر ٥٥.

ويعد الكافرين بتقلص السُّلْطَان والجوع، والخوف، قال تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ - النَّحْل ١١٢.

ثانيهما: التَّرْغِيْب والتَّرْهِيْب بنَعِيْم الآخِرَة وعذابها.

قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ - النساء[1].

وقد استغرق نُزُوْل القُرْآن الكَرِيْم ثلاثاً وعشرين سنة، فلم يحدث فيه اختلاف:

أ- في بَلَاغَة عباراته: فلا نجد فيه عبارة بليغة وأُخرىٰ غير بليغة، لأن كل عبارة

(١) الإسلام عَقِيْدَة وشريعة لمَحْمُوْد شَلْتُوت ص٥٠٠و٥٠١. وانظر: تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٥٢٢.

مطابقة لمُقْتَضَىٰ الحال الذي وردت من أجله، كما أن كل لفظ فيه هو في موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه.

فآيات الأَحْكَام كآيات الميراث تخلو من أُسْلُوْب الخطابة والتَّأْثِيْر، بخلاف الآيات المستهزئة بالشرك والأوثان، أو الدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ، أو المُخَوِّفَة من شدائد اليَوم الآخِر، فإنها جاءت ذات طابع مؤثر محرك للوجدان، لأن لكل مقام مقالاً.

ب- ولا في أَحْكَامه وحُجَجه: فليس فيه معنى يعارض معنى، ولا حكم يناقض آخر، وما جاء في القُرْآن مما ظَاهِره التعارض، فهو بعد البَحْث مُتَّفِق مُتَّسِقٌ لا اختلاف فيه، كما هو واضح في كلام المُفَسِّرِيْن، لذٰلِكَ قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ - النساء ٨٢[١].

الوجه السادس: القُرْآن الكَرِيْم خالد خلود الدهر

فلا يعدم ما بقيت الدنيا، ولا يطرأ عليه تغيير بزِيَادَة أو نقصان، لأن الله تعالىٰ قد تكفّل بحفظه، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ - الحِجْر ٩[٢]، ولا

---

(١) علم أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلاَّف ص٢٨ ومحاضرات في أُصُوْل الفِقْه لبَدْر المُتَوَلِّي عبد البَاسِط ج١ ص١٣٢.

في المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٤٥: (وقيل: وجه إعجازه عدم اختلافه وتناقضه، مع ما فيه من الطول والامتداد، وتمسكوا بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ - النساء ٨٢.

(٢) الشفا للقَاضِي عِيَاض ج١ ص٢٧٥ والإتْقَان ص٧٢٠ نَقْلًا عن القَاضِي عِيَاض. وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٨٩.

وذهب البعضُ إلىٰ أن القُرْآن **معجِز بالصِّرْفَة**، وهي أن الله صرف همم المُتَحَدِّيْن عن معارضته مع قدرتهم عليها. واختلفوا في كيفية الصَّرْف:

يخفىٰ ما في هٰذِهِ الآية الكَرِيْمَة من المؤكدات اللُّغَوِيَّة، الدالة علىٰ أن الله تعالىٰ حفظه من التحريف والتبديل.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ - فُصِّلَت ٤٢.

وبعد عرض وجوه إعجاز القُرْآن الكَرِيْم:

هل يفكر عاقل فيقول: إن مُحَمَّداً ﷺ جاء بهٰذَا القُرْآن من فكره، أو عبقريته، أو باعتماده علىٰ بَحِيْرا ووَرَقَة وغيرهما...؟

فلو أنصف العاقل ما قرر إلَّا الحقيقة الكبرىٰ وهي: أن القُرْآن الكَرِيْم مُعجِز، وهو من لدن عَزِيْز حَكِيْم.

أ- صرفهم اللهُ عنها مع قدرتهم عليها، وذٰلِكَ بأن صرف دواعيهم إليها مع كونهم مجبولين عليها، خصوصاً عند توفر الأسباب الداعية في حقهم، كالتقريع بالعجز والاستنزال عن الرياسات والتكليف بالانقياد. فهٰذَا الصرف خارقٌ للعادة، فيكون معجِزاً. وهٰذَا قول الأُستاذ أبي إسْحَاق الإسْفَرَايِيْنِيّ من الأَشَاعِرَة، والنَّظَّام من المُعْتَزِلَة.

ب- صرفهم اللهُ بأن سَلَبَهم العُلُوْم التي يُحتاج إليها في المُعَارَضَة. أي: أن المُعَارَضَة والإتيان بمثل القُرْآن يحتاج إلىٰ عُلُوْم يُقتَدرُ بها عليها، وكانت تلك العُلُوْم حاصِلَة لهم، لٰكِنه تعالىٰ سلبها عنهم، فلم يُبقِ لهم قدرةً عليها. وهو قول المُرْتَضَىٰ من الشِّيْعَة. / المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٤٦.

ورَدَّ جُمْهُوْر العُلَمَاء علىٰ القول بالصِّرْفَة بحُجَّة:

أن الإعجاز لو قصد بالصِّرْفَة لكان الأَنسب ترك الاعتناء ببلاغته وعُلُوّ طبقته، ليكون عدم معارضته أبلغ في خرق العادة... .

انظر الكلام عن أَدِلَّة الإعجاز بالصِّرْفَة ورَدِّها في: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٣١ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٤٩ والإتْقَان ص٧١٢ وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج٩ ص٥٨٢.

الشواهد الأُخرى على نُبُوَّة الرَّسُوْل الأعظم مُحَمَّد ﷺ

بعد الانتهاء من بَيَان رُكْنَي نُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ، وهما: ادِّعَاؤه النُّبُوَّة، وإظهاره المُعْجِزَة، وهما كافيان في إثباتها له، نعزز هٰذَيْنِ الأَسَاسَيْن بوجوه مُكَمِّلَة ومقررة تشهد علىٰ نُبُوَّته ﷺ، وهي:

الشَّاهد الأول: ما اجتمع فيه ﷺ من الشَّمَائِل والأوصاف سواء كان ذٰلِكَ قبل النُّبُوَّة أو حالها أو بعدها، وهٰذَا المسلك ارتضاه الجَاحِظ من المُعْتَزِلَة والغَزَالِيّ من الأَشَاعِرَة[1]، وهٰذِهِ هي:

أ- أوصافه الشَّرِيْفَة، ومَحَاسِنه الرفيعة، وأخلاقه الحَمِيْدَة مثل:

الصدق والأمانة: فلم يكذب، ولم يغش، ولم يخن، حتىٰ سُمِّيَ بالصَّادِق الأمين، فكانوا يأتمنونه علىٰ أموالهم، حتىٰ قال النَّضْر بن الحَارِث لقُرَيْش: (قد كان مُحَمَّد فيكم غلاماً حَدَثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حَدِيْثاً، وأعظمكم أمانة، حتىٰ إذا رأيتم في صُدْغَيْه الشيب، وجاءكم بما جاءكم، قلتم إنه ساحر، لا والله ما هو بساحر)[2].

والشَّفَقة علىٰ أُمَّته، حتىٰ خاطبه الله تعالىٰ بقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ - فاطر ٨، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ - الكهف ٦، فلم يُؤْذِ أَحَداً بيده أو بلِسَانه، ولم يقتل أَحَداً بيده الشَّرِيْفَة، مع شجاعته العَظِيْمَة كما تقدَّم، إلَّا أُبَيّ بن خَلَف. فكان يتألم لما يراه من قومه من نهب وسلب وقتل، وكان يسعىٰ

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٥٩ والمُحَصِّل للرَّازِيّ ص٢٠٨ وفيهما: أن الغَزَالِيّ ذكره في كتابه المنقذ من الضلال. وانظر: المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٣٧و٣٩ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٨٨.

(٢) انظر قول النَّضْر في: تَهْذِيْب سِيْرَة ابن هِشَام ج١ ص٦٩ والشفا ج١ ص١٣٥ وإظهار الحق ج٢ ص٢٥٧.

للإِصْلَاح بين المتخاصمين. وكان رَحِيْماً رَؤُوْفاً، يشاطر المصابين آلامهم وينصر اليتامىٰ، ويطعم الجياع.

وحين طمأنته خَدِيْجَة بعد رعبه من نُزُوْل جِبْرِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالت له: (والله ما يُخْزِيك اللهُ أَبَداً، إنكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكسِبُ المَعْدُوْمَ، وتَقْرِي الضيفَ، وتُعِينُ علىٰ نوائب الحق)(1).

والسخاء: فكان مضيافاً كَرِيْماً لأبناء السَّبِيْل والفُقَرَاء، حتىٰ عوتبَ بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ - الإسراء ٢٩.

والصبر علىٰ البلاء خاصةً بعد النُّبُوَّة.

والزهد، حتىٰ أن قُرَيْشاً عرضوا عليه المال والرياسة حتىٰ يترك دعواه فلم يلتفت إليهم.

والتواضع مع الفُقَرَاء والمساكين.

والشَّجَاعَة الفريدة، والنجدة، والعَفو مع المقدرة.

والحلم، والوفاء، والعَدْل.

والوقار، والحياء، حتىٰ إنه لم يُبدِ جسدَه عارياً لغيره، مع اعتياد الناس في جاهليتهم ذٰلِكَ.

وكان ﷺ حلو الكلام، لَيِّن العَرِيْكَة، طَلْق الوجه، يحبه كل من لقيه أو جالسه. مع النظافة والهِنْدام الجميل.

---

(1) **حَدِيْث: والله ما يخزيك**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ١ باب كيف كان بَدْء الوَحْي إلىٰ رَسُوْل الله ﷺ، ٣ باب، رقم ٣، بهٰذَا اللفظ، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بَدْء الوَحْي إلىٰ رَسُوْل الله ﷺ، رقم ١٦٠، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولم يُقْدِم علىٰ فعل قبيح لا قبل النُّبُوَّة ولا بعدها، وطريقته المرضية وَاحِدَة لم تتغير من أول عُمره إلىٰ آخره.

ب- هٰذَا مع صفاء نفسه من الحقد والأنانية والشك والشرك. فكان يكره عِبَادَة الأصنام والأوثان، مع أن بيئته نشأت علىٰ عِبَادتها، فلم يحلف بهما، يَدُلّ له ما روي في السِّيْرَة النَّبَوِيَّة لابن هِشَام في قصة بَحِيْرا الراهب حين استحلفه باللَّات والعُزَّىٰ لما رأىٰ قومه يحلفون بهما، قال له ﷺ: (لا تسألني باللَّات والعُزَّىٰ، فوالله ما أَبغضتُ شَيئاً قَطُّ بغضَهما).

ج- وحُسْن بدنه، سواء في جمال المظهر بسَلَامته من الأمراض المُنَفِّرَة وقوته الجسمانية، فقد صارع رُكَانَة المصارع المشهور، وصرعه.

أو في المخبر، فكان ذكي الفؤاد ثاقب القريحة، يهابه كل من رآه، عرفه أو لم يعرفه.

د- ورفعة نسبه، إذ إنه من أَشْرَف بيوت قُرَيْش التي هي أَشْرَف قبائل العَرَب قاطبةً.

هـ- وشَرَف وطنه، إذ إنه من مَكَّة المكَرَّمة أطهر بِقَاع الأرض، لأن فيها بيت الله الحرام، وما يجتمع مثل هٰذَا إلَّا في نَبِيّ[1].

لأن الله تعالىٰ قَدَّرَ ما يحتاج إليه البشر بمجموعه من الكفاءات والمَوَاهِب المُخْتَلِفَة، فوزعها بين أفراده، فنرىٰ بعضهم يفوق الآخرين بالقوة الجسدية. والبعض الآخر يتفوق بالفن، وآخر يتفوق بالرِّيَاضيات أو الهَنْدَسَة أو الخطابة أو الشعر، وبعضهم يخترع ما يبهر الناس، وامتاز البعض الآخر بأن اجتباهم الله واختارهم لتبليغ شرعه إلىٰ الناس،

---

(١) انظر: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٥٩ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٣٧ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٧٨ والمُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص٢٤٥-٢٤٩. وفصل الكلامَ في أخلاقه القَاضِي عِيَاض في الشفا، والصَّالِحِيّ في سُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد.

وهم الرسل والأنبياء.

وإذا كان بعض الناس قد جُبِلَ علىٰ مَوْهِبَة معينة امتاز بها علىٰ غيره، فالانبياء جُبِلُوا علىٰ خِلْقَةٍ خاصةٍ بهم، وصفات تميزوا بها عن غيرهم، فأَعْمَالهم وأفكارهم فذة لا عهد للناس بها، وقد جعل الله تعالىٰ فيهم الاستعداد الكَامِل، لتَحَمُّل هٰذِهِ المهمة الشاقة، وهي تبليغ الأَحْكَام إلىٰ البشر.

فلا عجب أن يجمع الله تعالىٰ في هٰؤُلَاءِ الرسل والأنبياء من الصفات والسجايا ما يؤهلهم، لأن يكونوا قادة العالم وهداة البشر إلىٰ الصراط المُستقِيم[1].

وقد اجتمعت في رَسُوْل الله مُحَمَّد ﷺ المَحَاسِن الرائعة، والسجايا البَدِيْعَة، قبل بعثته - كما تقدَّم - وبعد بعثته، حتىٰ وصفه القُرْآن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ - القلم ٤، وسئلت عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا عن أخلاقه فقالت: (كان خُلُقُه القُرْآنَ، يَرضىٰ برضاه، ويَسخط بسَخَطه)[2].

فكان الأُسوة الحَسَنَة في كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ - الأحزاب ٢١، فهو القدوة الحَسَنَة الطَّيِّبة، التي يرىٰ المسلم أن من التقىٰ والصَّلَاح وبُلُوْغ الجنة عند الله تعالىٰ، هو أن يقتفي أثرها في الحياة الدنيا.

وما اجتماع هٰذِهِ الخصال فيه قبل البعثة وبعدها، إلَّا شهادة كَامِلَة بأنه نَبِيّ حَقّاً.

الشَّاهد الثاني: ما اشتملت عليه شريعته من أُمور تتعلق بالعَقَائِد والأخلاق والأَحْكَام العامة، وغيرها من دَقَائِق التشريع والحكمة[3]، وما فيها من الضبط والعَدْل والمرونة، مما يجعلها صالحةً لكل زمان ومكان، كما شَهِدَ بذٰلِكَ الأعداء، (والفضل ما شهدت به الأعداء).

---

(١) مبادئ الإسلام للمَوْدُوْدي ص٣٢-٣٤.

(٢) الشفا للقَاضِي عِيَاض ج١ ص٩٦.

(٣) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٣٩ وشَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٧٨.

مع كونه أُمِّيّاً لا يعرف القِرَاءَة والكتابة، إلىٰ أن مات ﷺ، ونشأ بين قوم، غلبت فيهم الجهالة، ولم يمارس الخط والتعلم والتأدب[١]، بل كان قبل نبوته يقضي أياماً طوالاً في غار حِرَاء، وحيداً مختلياً بنفسه، متحنِّثاً ومتأملاً في جَلَال الله وعظمته.

ومحتويات القُرْآن الكَرِيْم، الوَارِدَة قبل قليل، تفيد أن هٰذِهِ الأُمور الشَّامِلَة لكل جوانب الحياة، لن يأتي بها شخص عبقري أو غيره طفرةً وَاحِدَة، وإن ملك زمام العلم والفكر، وتهيَّأت له أسباب التشريع، فما هي إلَّا من لدن عَلِيْم خَبِيْر، أوحىٰ بها إلىٰ الرَّسُوْل الأُمِّيّ، ليبلغها للناس.

الشَّاهد الثالث: إن النَّبِيّ ﷺ مع فقره وقلة أَنْصَاره وضعفهم قد حارب الشرك وأهله وجبابرة العالم، فضلل آراءهم، وسَفَّهَ أحلامهم، وهدم دولهم، وانتشر دينه في الآفاق، فانحسرت أمامه جميع الأديان واتسعت دولته بعده، فحررت الشرق والغرب وحكمتهما، فلم يستطع العدو علىٰ كثرتهم في العدد والعُدَّة، وعلىٰ تربصهم به وبأصحابه، وحرصهم علىٰ استئصاله ودعوته، أن ينالوا منه، أو يقدروا عليه.

وما هٰذَا إلَّا إمداد من الله، له ولمن كان علىٰ دعوته[٢]، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾- الرُّوْم ٤٧.

الشَّاهد الرابع: ظهوره علىٰ فترة من الرسل وانتشار الضلالة. فالعَرَب علىٰ عِبَادَة الأوثان، والفرس علىٰ تَعْظِيْم النار وعلىٰ الإباحية، والترك علىٰ تخريب الأمصار وإيذاء الناس، والهنود علىٰ عِبَادَة البقر وتأليه الحَجَر، واليَهُوْد علىٰ الحقد والأنانية و**الشرك**، والنَّصَارَىٰ بين التَّوْحِيْد والإشراك بالله.

وهٰكَذَا الناس علىٰ الأرض، فلا بد من دافع لهٰذَا الإلحاد، ورَافِع للواء الصَّلَاح

(١) شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ السَّابِق، والمُسَايَرَة ص٢٤٩. وانظر: نِهَايَة الإقدام ص٤٥٠.

(٢) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٣٩ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٩٤.

والتقىٰ، ولا يكون هٰذَا إلَّا ممن أمده الله تعالىٰ بنور النُّبُوَّة[١].

الشَّاهد الخامس: البشارات الوَارِدَة في كتب الأنبياء السَّابِقين[٢].

ذٰلِكَ لأن الكتب السماوية مصدرها وَاحِد، وهو: الله تعالىٰ، وهدفها وَاحِد وهو: إصْلَاح الناس، ليعبدوا الله، والنَّبِيّ ﷺ جعل من أركان الإيمان: الإيمان بكتبه ورسله. وفي هٰذِهِ الكتب السَّابِقَة بشارات تنبئ بظهور مُحَمَّد ﷺ، حتىٰ ذكر القُرْآن الكَرِيْم أن عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قد بَشَّرَ بِرَسُوْل من بعده اسمه أَحْمَد، قال تعالىٰ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ - الصف ٦.

قال المحقق عبد الحَكِيْم السِّيَالْكُوْتِيّ في حاشيته علىٰ البَيْضَاوِيّ: (يجب أن يتصور أن كل نَبِيّ أتىٰ بلفظة معرضة، وإشارة مُدْرَجَة، لا يعرفها إلَّا الراسخون في العلم. وذٰلِكَ لحكمة إلٰهِيَّة. وقد قال العُلَمَاء: ما انفك كتاب منزل من السماء من تضمن ذكر النَّبِيّ ﷺ لٰكِن بإشارات، ولو كان متجلياً للعوام لما عوتب علماؤهم في كتمانه، ثم ازداد ذٰلِكَ غموضاً بنقله من لِسَان إلىٰ لِسَان من العِبْرَانِيّ إلىٰ السُّرْيَانِيّ، ومن السُّرْيَانِيّ إلىٰ العَرَبِيّ)[٣].

وسأُورد طرقاً من هٰذِهِ البشارات من الزبور والتوراة والإنجيل. ففي الزبور:

١- قال دَاوُد: (اللهم ابعث جاعل السُّنَّة، حتىٰ يعلم الناس أنه بَشَر). يعني: ابعث مُحَمَّداً، حتىٰ يعلم الناس أن عِيسَىٰ بَشَر.

٢- وقال: (تقلد أيها الجَبَّار السَّيْف، فإن ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأُمَم يخرون تحتك).

---

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٠ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٦٠ عن الرَّازِيّ، وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٨٢.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف، وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ، السَّابِقَان.

(٣) إظهار الحق ج٢ ص٢٢٠.

هٰذِهِ الألفاظ من إحدىٰ التراجمات القديمة العَرَبِيَّة التي نقل عنها النَّسَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٨هـ، والتَّفْتَازَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٢هـ[(١)].

وقد أورد رحمة الله الهِنْدِيّ في كتابه (إظهار الحق)[(٢)]، في البشارة السادسة من الزبور (الخامس والأَربَعِين) قطعة طَوِيْلَة من ١٨ آية، فيها أوصاف النَّبِيّ الذي بَشَّرَ به، التي تنطبق علىٰ النَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ تماماً، وفيها القسم الثاني (تقلد أيها الجَبَّار...) بألفاظ أُخرىٰ. هٰذِهِ الأوصاف هي:

كونه حَسَناً، وأفضل البشر، والنعمة منسكبة في شفتيه، ومُبَارَكاً، ومتقلداً بالسَّيْف، وقَوِيّاً، وذا حَقٍّ وَدَعَةٍ، وصدق وهِدَايَة، وأن نَبْلَه مسنونة، ويسقط الشعب تحته، ويحب البِرّ، ويبغض الإثم، وتخدمه بنات الملوك، وينقاد أبناء الشعب له، وأبناؤه رؤساء الأرض، وتأتيه الهدايا، واسمه مذكور جيلاً بعد جيل، وتمدحه الشعوب إلىٰ دهر الداهرين.

وفصَّل رحمة الله بن خَلِيْل الهِنْدِيّ هٰذِهِ الأوصاف جميعاً في مُحَمَّد ﷺ بأَدِلَّة محكمة.

وفي التوراة:

١- ما جاء في السفر الخامس: (جاء الله من طُوْر سَيْنَاء، وأشرق من سيعير، واستعلن من جبال فاران).

يريد الإخبار عن إنزال التوراة علىٰ مُوسَىٰ بطُوْر سَيْنَاء، والإنجيل علىٰ عِيسَىٰ بسيعير، فإنه كان يسكن من سيعير بقَرْيَة تسمىٰ نَاصِرة، وإنزال القُرْآن علىٰ مُحَمَّد بمَكَّة، فإن (فاران) في طريق مَكَّة قبل العدن بميلين ونصف، وهو كان المنزل، وقد بقي اليوم علىٰ يَسَار الطريق من العِرَاق إلىٰ مَكَّة.

(١) تَبْصِرَة الأَدِلَّة للنَّسَفِيّ ج١ ص٤٩٨ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٣.

(٢) إظهار الحق ج٢ ص٢٥٥.

وهٰذَا ما ذكر في التوراة: أن إسْمَاعِيْل أقام بِبَرِّيَّة فاران، يعني بادية العَرَب[1].

وهٰذَا هو ما جاء في الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء (أي سفر التثنية) في الترجمة العَرَبِيَّة المطبوعة سنة ١٨٤٤م: (٢ وقال: جاء الرب من سينا، وأشرق لنا من ساعير، استعلن من جَبَل فاران، ومعه أُلوف الأطهار. في يمينه سنة من نار).

وفاران جَبَل من جبال مَكَّة، كما جاء في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال إسْمَاعِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ، هٰكَذَا: (٢٠ وكان الله معه، ونما، وسكن في البَرِّيَّة، وصار شاباً، يرمي بالسهام، ٢١ وسكن بَرِّيَّة فاران، وأخذت له أُمُّه امرأةً من أرض مِصْر).

ولا شك أن إسْمَاعِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت سكونته بمَكَّة[2].

٢- ما جاء في السفر الخامس: (أنه تعالىٰ قال لمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إني مقيم لهم نَبِيّاً من بني إخوتهم مثلك، وأُجري قولي في فيه، ويقول لهم ما آمرهم به، والرجل الذي لا يقبل قول النَّبِيّ هو الذي يتكلم باسمي، فأنا أنتقم منه).

والمُرَاد ببني إخوة بني إسرائيل بنو إسْمَاعِيْل علىٰ ما هو المتعارف، فلا يصرف إلىٰ من بعد مُوسَىٰ، لكونه صاحب شريعة مستأنفة، فيها بَيَان مصالح الدَّارَيْن، فتعين مُحَمَّد ﷺ[3].

٣- ما جاء في الآية (٢١) من الباب (٣٢) من سفر الاستثناء: (هم أغاروني بغير إلٰه، وأغضبوني بمَعْبُوْداتهم الباطلة، وأنا أَيضاً أُغيرهم بغير شعب، وبشعب جاهل أُغضبهم).

---

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٢ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٩٧. وانظر: الفِصَل لابن حَزْم ج١ ص١٩٤ وتَلْخِيص المُحَصِّل ص٢١١.

اسْتَعْلَنَ: جاء عَلَانِيَةً وجهاراً.

(٢) إظهار الحق ج٢ ص٢٥٠.

(٣) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٢ وتَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٩٧. وانظر: الفِصَل لابن حَزْم ج١ ص١٩٤ وتَلْخِيص المُحَصِّل ص٢١١.

والمُرَاد بشعب جاهل: العَرَب، لأنهم كانوا في غَايَة الجهل والضلال، وما كان عندهم من العُلُوْم الشَّرْعِيَّة ولا من العُلُوْم العقلية، وما كانوا يعرفون سوىٰ عِبَادَة الأوثان والأصنام، وكانوا محقرين عند اليَهُوْد، لكونهم من أولاد هَاجَر الجارية، فمقصود الآية: أن بني إسرائيل أغاروني بعِبَادَة المَعْبُوْدات الباطلة، فأُغيرهم باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون، فأَوْفَىٰ بها وعد، فبعث من العَرَب النَّبِيّ ﷺ، فَهَداهم إلىٰ الصراط المُستقِيم(١).

٤- ما جاء في السفر الأول: (أنه تعالىٰ قال لإبْرَاهِيْم عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن هَاجَر تلد، ويكون من ولدها من يده فوق الجميع، ويد الجميع مَبْسُوْطَة إليه بالخشوع)(٢).

وفي الإنجيل:

١- ورد في الصِّحَاح الرابع عشر: (أنا أطلب لكم إلىٰ أبي، حتىٰ يمنحكم ويعطيكم فارقليطاً، ليكون معكم إلىٰ الأبد، وفارقليط روح الحق واليقين).

هٰذَا في إحدىٰ الترجمات العَرَبِيَّة التي نقل عنها التَّفْتَازَانِيّ(٣).

وأورد رحمة الله الهِنْدِيّ هٰذَا عن التَّرَاجُم العَرَبِيَّة المطبوعة سنة ١٨٢١م و١٨٣١م و١٨٤٤م في لندن في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا: (١٥ إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، ١٦ وأنا أطلب من الأب، فيعطيكم فارقليط آخر، ليثبت معكم إلىٰ الأبد، ١٧ روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله، لأنه ليس يراه، ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه، لأنه مقيم عندكم، وهو ثَابِت فيكم)(٤).

فقوله (ليكون معكم إلىٰ الأبد) يفيد بأنه بهٰذَا النَّبِيّ تختم النُّبُوَّة، فتكون شريعته

---

(١) إظهار الحق ج٢ ص٢٤٩.

(٢) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٢.

(٣) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ، وتَلْخِيص المُحَصِّل، السَّابِقَان.

(٤) إظهار الحق ج٢ ص٢٧٨.

عامةً لا يحتاج الناس بعدها إلىٰ نَبِيّ، فهو يعلم الناس، ويمنحهم جميع الأشياء، ويذكرهم بما قاله السَّيِّد المَسِيْح لهم.

٢- وفي الخامس عشر: (وأما فارقليط روح القُدُس الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء، وهو يذكركم ما قلته لكم.

ثم قال: وإني أخبرتكم بهٰذَا قبل أن يكون، حتىٰ إذا كان ذٰلِكَ تؤمنوا به).

وقوله باسمي: يعني بالنُّبُوَّة، ومعنىٰ الفارقليط: كاشف الخفيات[١].

وأورد رحمة الله الهِنْدِيّ هٰذَا عن الترجمات المذكورة في الباب ١٥ و١٦ (٢٦ فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق، الذي من الأب ينبثق، هو يشهد لأجلي، ٢٧ وأنتم تشهدون، لأنكم معي من الابتداء).

ويفيد أن مُحَمَّداً يشهد للمَسِيْح عَلَيْهِ السَّلَامُ صدقه وبشريته، فلم يكن مُدَّعِياً الأُلوهية، الذي هو أشد أنواع الجهالة والضلال، وبرأ أُمّه عن تهمة الزنا، وهٰذَا مذكور في القُرْآن بكل جلاء[٢].

٣- وفي السادس عشر: (أقول لكم الآن حقاً ويقيناً: إن انطلاقي عنكم خَيْر لكم، فإن لم أنطلق عنكم إلىٰ أبي، لم يأتكم الفارقليط، وإن انطلقت أرسلت به إليكم، فإذا جاء هو يفيد أهل العالم، ويدينهم ويوبخهم، ويوقفهم علىٰ الخَطِيْئَة والبر).

ثم قال: (إذا جاء روح الحق واليقين يرشدكم، ويعلمكم، ويدبركم، ويذكركم لجميع الحق، لأنه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه)[٣].

---

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٢-٤٣. وانظر: تَبْصِرَة الأَدِلَّة ج١ ص٤٩٨ وتَلْخِيْص المُحَصِّل ص٢١١.

(٢) إظهار الحق ج٢ ص٢٨٣.

(٣) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٣.

وذكر هٰذِهِ البشارة رحمة الله الهِنْدِيّ معتمداً علىٰ التَّرَاجُم العَرَبِيَّة المذكورة قبل قليل، في آخر أبواب إنجيل يوحنا (الباب السادس عشر): (٧ لٰكِنِي أقول لكم الحق: إنه خَيْر لكم أن أنطلق، لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم، ٨ فإذا جاء ذٰلِكَ فهو يوبخ العالم علىٰ خَطِيْئَة وعلىٰ بر وعلىٰ حكم، ٩ أما علىٰ الخَطِيْئَة فلأنهم لم يؤمنوا بي، ١٠ وأما علىٰ البِرّ فلأني منطلق إلىٰ الأب، ولستم ترونني بعد، ١١ وأما علىٰ الحكم فإن أركون هٰذَا العالم قد دين، ١٢ وإن لي كلاماً كَثيراً أقوله لكم، ولٰكِنكم لستم تطيقون حملَهُ الآن، ١٣ وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع، ويخبركم بما سيأتي، ١٤ وهو يمجدني، لأنه يأخذ مما هو لي، ويخبركم، ١٥ جميع ما هو للأب، فهو لي، فمن أجل هٰذَا قلت: إن مما هو لي يأخذ ويخبركم)[١].

وذكر الشيخ رحمة الله الهِنْدِيّ[٢]: أن الفارقليط تعني عندهم (المُعَزِّي والمعين والوَكِيْل والشافع)، وهٰذِهِ المعاني تصدق علىٰ النَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ، وأصل اللفظة باليُوْنَانِيَّة (بيركلوطوس)[٣] التي تعني قريباً من معنىٰ: مُحَمَّد وأَحْمَد.

وعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يتكلم بالعِبْرَانِيّ لا باليُوْنَانِيّ، وتلفُّظ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ باسم النَّبِيّ بعده مفقود، أما اللفظ الموجود اليُوْنَانِيّ (بيركلوطوس)، فهو من ترجمة يوحنا من العِبَرانِيّ إلىٰ اليُوْنَانِيّ، وحين ترجم من اليُوْنَانِيَّة إلىٰ العَرَبِيَّة صار فارقليط. وعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يبشر بالفارقليط من بعده، يؤكد هٰذَا ما يأتي:

---

(١) إظهار الحق ج٢ ص٢٧٩.

(٢) إظهار الحق ج٢ ص٢٧٩ وما بعدها.

(٣) سأل الشيخ عبد الوَهَّاب النَّجَّار صاحب كتاب قصص الأنبياء المستشرق الإيطالي كارلو نلينو عن كلمة (بيركلوطوس) الوَارِدَة في الأناجيل، فأجابه: أن القُسُس يقولون إن هٰذِهِ الكلمة معناها (المُعَزِّي)، فقال له: إني أسأل الدكتور كارلو نلينو الحاصل علىٰ الدكتوراه في آداب اللُّغَة اليُوْنَانِيَّة القديمة، ولست أسأل قِسِّيْساً، فقال: إن معناها الذي له حمد كثير، فسأله أَيضاً: هل ذٰلِكَ يوافق أفعل التفضيل من حمد فقال: نعم. / الرَّسُوْل: سَعِيْد حوىٰ ج٢ ص٢٨٧.

١- أن البعض من النَّصَارَىٰ قد ادَّعَىٰ أنه الفارقليط في القرون الأُوْلَىٰ النَّصْرَانِيَّة، وأنه الموعود به الذي وعد بمجيئه المَسِيْح عَلَيْهِ السَّلَامُ كما ذكر ذٰلِكَ وليم ميور.

وقال صاحب لب التواريخ: (إن اليَهُوْد والمَسِيْحِيِّين من معاصري مُحَمَّد ﷺ كانوا منتظرين لنَبِيّ. فحصل مُحَمَّد من هٰذَا الأمر نفع عَظِيْم لأنه ادَّعَىٰ أني ذاك المنتظر).

وحين وصل كتاب النَّبِيّ ﷺ إلىٰ النَّجَاشِيّ، وكان نَصْرَانِيّاً، (فقال: أشهد بالله أنه للنَّبِيّ الذي ينتظره أهل الكتاب). فكتب في الجواب إليه: (أشهد أنك رَسُوْل الله صَادِقاً ومُصَدَّقاً، قد بايعتك وبايعت ابن عمك، أي: جَعْفَر بن أبي طَالِب، وأسلمت علىٰ يديه لله رب العالمين).

وكذا في كتاب المُقَوْقِس ملك القِبْط جواباً لكتاب مُحَمَّد ﷺ إليه.

وكذا ما جاء في كلام الجَارُوْد بن العَلَاء، وهو من عُلَمَاء النَّصَارَىٰ، حين دخل مع قومه علىٰ رَسُوْل الله ﷺ[(١)].

وكان هِرَقْل عَظِيْم الرُّوْم كما في حَدِيْث البُخَارِيّ - باب بَدْء الوَحْي، ينتظر ظهوره، وكان عُلَمَاء النَّصَارَىٰ ينتظرون ظهوره، كما في قصة إسلام سلمان الفَارِسِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالنَّجَاشِيّ والمُقَوْقِس والجَارُوْد وهِرَقْل من عُلَمَاء النَّصَارَىٰ أكدوا أن النَّصَارَىٰ ينتظرون ظهور نَبِيّ، لأن وصفه مذكور في كتبهم كالإنجيل وغيره.

وهٰؤُلَاءِ لم يخافوا من رَسُوْل الله ﷺ شَيئاً، لأنهم أصحاب دول وجيوش جرارة، ورَسُوْل الله ﷺ في بِدَايَة دعوته، وكان هو وأصحابه مستضعفين، يخافون أن يتخطفهم الناس.

---

(١) إظهار الحق ج٢ ص٢٧٩-٢٨١.

٢- قوله (إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط) يَدُلّ علىٰ أن مجيء النَّبِيّ ﷺ موقوف علىٰ ذهاب عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣- القول في الإنجيل (يوبِّخ العالَمَ) بمنزلة النص الجلي علىٰ مُحَمَّد ﷺ، لأنه وبَّخَ العالَمَ، سِيَّمَا اليَهُوْد علىٰ عدم إيمانهم بعِيسَىٰ، ولذٰلِكَ قال: (أما علىٰ الخَطِيْئَة فلأنهم لم يؤمنوا بي).

٤- ولم ينطق من عنده، وإنما هو وحي في كلامه وأخباره.

٥- كما أنه يمجّد عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهٰذَا ثَابِت بالقُرْآن في تَمْجِيْد مُحَمَّد ﷺ لعِيسَىٰ خاصةً، والأنبياء عامةً، كما هو معروف.

وبشارات الكتب السماوية بظهور النَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ كثيرة.

قال التَّفْتَازَانِيّ: (قال في تَلْخِيْص المُحَصِّل: وأمثال هٰذَا كثير في كتب الأنبياء المتقدمين، يذكرها المُصَنِّفُوْن الواقفون علىٰ كتبهم، ولا يقدر المخالف علىٰ دفعها أو صرفها إلىٰ ملك أو نَبِيّ آخر، ولا علىٰ أن يكتمها. ولقد جمع أبو الحُسَيْن البَصْرِيّ في كتاب غُرَر الأَدِلَّة، ما يوقف من نصوص التوراة علىٰ صحة نُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ)[١].

إنجيل برنابا

أما إنجيل برنابا فإنه يبشر بمُحَمَّد ﷺ، كما يقول الدكتور خَلِيْل سَعَادَة، الذي ترجمه إلىٰ العَرَبِيَّة:

(إن مسيا أو المَسِيْح المنتظر ليس هو يسوع بل مُحَمَّد، وقد ذكر مُحَمَّد باللفظ

---

(١) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٤٣. وانظر البشارات أيضاً في: إثبات نُبُوَّة النَّبِيّ للهاروني الزَّيْدِيّ ص١٥٧ وعبارة تَلْخِيْص المُحَصِّل في ص٢١١: (وأمثال هٰذَا في هٰذَيْنِ الكتابين وفي كتب سائر الأنبياء التي عندهم كثيرٌ، يطول الكتاب بذكرها، ولا يقدر المخالف علىٰ دفعها، أو صرفها إلىٰ مَلك أو نَبِيّ آخر، ولا علىٰ أن يكتمها).

الصريح المتكرر في فُصُوْل ضافية الذيول، وقال إنه رَسُوْل الله، وإن آدم لما طرد من الجنة، رأىٰ سطوراً فوق بابها بأحرف من نور: لا إلٰه إلَّا الله مُحَمَّد رَسُوْل الله)[١].

وفي الفصلين الثالث والأَربَعِين والرابع والأَربَعِين كلام كثير في التبشير بمُحَمَّد ﷺ، لأن التلاميذ طلبوا من المَسِيْح عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يصرح لهم، فصرح بها يعلن حقيقته، ويبين ما له من شأن.

وهٰذَا الإنجيل وإن رَدَّه جُلّ النَّصَارَىٰ بلا مبرر، إلَّا أن البينات شَاهدة، ترجح صحته، كما سيأتي بَيَانه.

وبرنابا من قديسي النَّصَارَىٰ، ورَسُوْل من رسلهم، ورُكْن من أركان الدعاية المَسِيْحِيَّة الأُوْلَىٰ باتفاقهم، وقد وجد إنجيل باسمه، يَدُلّ علىٰ أنه كان من حَوَارِيّي المَسِيْح وملازميه في سرائه وضرائه. ولٰكِن الأناجيل الأُخرىٰ لا تعده من الحَوَارِيِّيْن، بل من الرسل الذين يبلغون مكانة الحَوَارِيِّيْن بعد المَسِيْح[٢].

وإنجيل برنابا يقرر أُموراً جوهرية تباين الأناجيل الأربعة المشهورة، وهي:

١- قوله: إن يسوع أنكر أُلوهيته وكونه ابن الله، وذٰلِكَ علىٰ مَرْأىٰ ومَسْمَع من ست مئة ألف جُنْدِيّ وسكان اليَهُوْدِيَّة من رِجَال ونساء وأطفال. (أي: فيه نفي لعَقِيْدَة التثليث).

٢- إن الابن الذي عزم إبْرَاهِيْم علىٰ تقديمه ذبيحة لله، إنما هو إسْمَاعِيْل لا إسْحَاق، وإن الموعد إنما كان بإسْمَاعِيْل.

٣- إن مسيا أو المَسِيْح المنتظر ليس هو يسوع بل مُحَمَّد، وقد ذكر مُحَمَّداً باللفظ الصريح المتكرر... (سبق أن نقلنا هٰذِهِ الفقرة قبل قليل).

---

(١) مُقَدِّمَة خَلِيْل سَعَادَة لإنجيل برنابا ص: م.

(٢) محاضرات في النَّصْرَانِيَّة للشيخ مُحَمَّد أبي زُهْرَة ص٥٧.

٤- إن يسوع لم يُصْلَب بل حُمل إلىٰ السماء، وإن الذي صلب إنما هو يهوذا الخائن، الذي شُبِّه به، فجاء مطابقاً للقُرْآن: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ - النساء ١٥٧[(١)].

تاريخ إنجيل برنابا:

أصدر البابا جيلاسيوس، الذي تسلم منصب البابا سنة ٤٩٢م أي قبل مِيْلَاد النَّبِيّ ﷺ، أمراً ينهىٰ فيه عن قِرَاءَة كتب منها كتاب اسمه (إنجيل برنابا)[(٢)].

وقد عثر لهٰذَا الإنجيل علىٰ نسختين إيطالية وإسبانية. أما الإسبانية: فقد أقرضها الدكتور هلم من بلدة هدلي التابعة لهمبشير المستشرق سايل، ثم تناولها بعد سايل الدكتور منكهوس عضو الكُلِّيَّة الملكية في أُكسفورد، فنقلها إلىٰ الإنكليزية، ثم دفع الترجمة مع الأصل سنة ١٧٨٤م إلىٰ الدكتور هويت، ثم طمس بعد ذٰلِكَ خبرها، وانمحىٰ أثرها.

أما الإيطالية: فأول من عثر عليها كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا، وكان مقيماً حينذاك في أمستردام، فأخذها سنة ١٧٠٩م من مكتبة أحد مشَاهير ووجهاء المَدِيْنَة المذكورة، فأقرضها كريمر طولند، ثم أهداها بعد أربع سنين إلىٰ البرنس ايوجين سافوي، ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٨م مع سائر مكتبة البرنس إلىٰ مكتبة البلاط الملكي في فِيَنَّا، حيث لا تزال هناك حتىٰ الآن.

ويذكر سايل أنه مسطور في صدر النسخة الإسبانية المفقودة: أنها مترجمة حرفياً عن النسخة الإيطالية، ومصدَّرة بمُقَدِّمَة عن كيفية اكتشاف الراهب النسخة الإيطالية، وقصته كما يلي:

إن الراهب اللاتيني فرامرينو عثر علىٰ رَسَائِل لايرينايوس، وفي عدادها رِسَالَة

---

(١) مُقَدِّمَة الدكتور خَلِيْل سَعَادَة ص: م ومحاضرات في النَّصْرَانِيَّة ص٦٢-٦٤.

(٢) مُقَدِّمَة الدكتور خَلِيْل سَعَادَة لإنجيل برنابا ص: ل ومُقَدِّمَة مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا لإنجيل برنابا ص: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يندد فيها بالقديس بولص الرَّسُوْل، وإن ايرينايوس أسند تنديده إلىٰ إنجيل القديس برنابا، فأصبح هٰذَا الراهب فرامرينو شغوفاً بالعثور علىٰ إنجيل برنابا، واتفق أنه أصبح مقرباً من البابا سكتس الخامس. فحدث يوماً أنهما دخلا معاً مكتبة البابا، فأخذت البابا سِنَةٌ من النوم، فأحب فرامرينو أن يقتل الوقت بالمَطَالِعة إلىٰ أن يفيق البابا، فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو إنجيل برنابا، فطار فرحاً، فخبَّأه في أحد ردنيه، ولبث إلىٰ أن أفاق البابا، فاستأذنه وانصرف، فطالعه بشوق بالغ، ثم اعتنق الإسلام علىٰ أثر ذٰلِكَ(١).

ومما يرجح صحة إنجيل برنابا هٰذَا علىٰ الرغم من أن بعض عُلَمَاء أوروبا ينكرونه، هو:

١- وجدت نسخة إنجيل برنابا في جو مَسِيْحِيّ خالص، فعثر عليها في خِزَانَة رئيس ديني خَطِيْر (البابا)، وكاشفها راهب، ثم انتقلت إلىٰ مستشارٍ مَسِيْحِيّ من مستشاري ملك بروسيا، ثم إلىٰ البلاط الملكي بفِيَنَّا. فلم تصل إليها يد مُسْلِم.

٢- عدم اطلاع عُلَمَاء المُسْلِمِيْن في غابرهم وحاضرهم عليه، لأن المُنَاظَرَات بينهم وبين النَّصَارَىٰ في المشرق والأَنْدَلُس كانت قائمة في كل العصور، وناهيك بما كتبه ابن حَزْم الأَنْدَلُسِيّ وابن تَيْمِيَّة المشرقي الشَّامِيّ من دراسات وَاسِعَة وكتب في الرد علىٰ النَّصَارَىٰ.

فلم نجد أَحَداً من هٰؤُلَاءِ ذكر إنجيل برنابا، مع أن فيه الحُجَّة الدامغة للنَّصَارَىٰ، كما حَقَّقَهُ الدكتور مرجليوث، مُؤَيِّداً تَحْقِيْقه بخلو كتب المُسْلِمِيْن من ذكر هٰذَا الإنجيل(٢).

٣- إن معظم مباحثه لم تكن معروفة عند أَحَدٍ من المُسْلِمِيْن، وأُسْلُوْبه في التعبير

(١) مُقَدِّمَة الدكتور خَلِيْل لإنجيل برنابا ص: د، هـ.

(٢) مُقَدِّمَة مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا لإنجيل برنابا ص: ت ومحاضرات في النَّصْرَانِيَّة ص٦١.

بعيد جداً عن أساليب المُسْلِمِيْن عامةً والعَرَب منهم خاصةً - كما بيّن بعض القِسِّيْسِين في مَجَلَّة دينية - فلا يمكن أن يقال إن هٰذَا من صنع المُسْلِمِيْن، كما ادَّعَىٰ البعض.

فالمسلم إذا ذكر الله أثنىٰ عليه، وإذا ذكر الأنبياء صلىٰ عليهم، ولا يسمىٰ الملائكة إلَّا بما جاء بالقُرْآن الكَرِيْم أو السُّنَّة النَّبَوِيَّة، فلا يقول: ميخائيل بدل ميكائيل، ويجهل اسم إسرافيل، ويسميه (اوريل)، ولا يقول: (الله سُبْحَانَ) لأن كلمة (سُبْحَانَ الله) يحفظها كل مُسْلِم، لأنها من أذكار الدِّيْن. ولو كان من صنع المُسْلِمِيْن لما سميت الفُصُوْل سُوَراً، لأن المُسْلِم العَرَبِيّ والعَجَمِيّ لا يطلق لفظ السورة علىٰ غير سُوَر القُرْآن الكَرِيْم[1].

٤- فيه براعة الحُجَّة، ووضوح المسلك، وسمو التفكير، وتَوْضِيْح خفايا في حياة السَّيِّد المَسِيْح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وتشابه كَبِيْر بين بعض مقاطعه والأناجيل الأُخرىٰ[2].

٥- ولولا صحة نسبة هٰذَا الإنجيل لما أيقن بها الراهب المكتشف له (فرامرينو)، فاعتنق الإسلام بسبب ذٰلِكَ.

ومن البشارات التصريح باسم مُحَمَّد ﷺ:

مما استنكره بعض الباحثين في إنجيل برنابا تصريحه باسم النَّبِيّ (مُحَمَّد) ﷺ، وقالوا: لا يعقل أن يكون ذٰلِكَ كتب قبل ظهور الإسلام.

لأن المعهود في البشارات أن تكون بالكنايات والإشارات. لٰكِن الحق أن البشارات قد تكون بالإشارة والكناية كما أوردنا طرفاً من ذٰلِكَ من الزبور والتوراة والإنجيل.

وقد تكون البشارات مُصَرّحَة. كما في إنجيل برنابا وفي نسخة الإنجيل بالقلم الحِمْيَرِيّ، فقد نقل الشيخ مُحَمَّد بيرم عن رحالة إنجليزي أنه رأىٰ في دار الكتب

(١) مُقَدِّمَة السَّيِّد مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا لإنجيل برنابا ص: ش، ت.

(٢) الرَّسُوْل، سَعِيْد حوىٰ ج٢ ص٢٨٠.

البابوية في الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحِمْيَرِيّ قبل بعثة النَّبِيّ ﷺ، وفيها يقول المَسِيْح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (ومبشراً بِرَسُوْل يأتي من بعدي اسمه أَحْمَد). وذٰلِكَ موافق لنص القُرْآن الكَرِيْم بالحرف في سورة الصف الآية ٦.

ولٰكِن لم ينقل عن أَحَدٍ من المُسْلِمِيْن أنه رأىٰ شَيئاً من هٰذِهِ الأناجيل التي فيها البشارات الصريحة، فيظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأُوْلَىٰ ما لو ظهر لأزال كل شبه عن إنجيل برنابا وغيره(١).

وهناك بشارات كثيرة في الزبور والتوراة والإنجيل تتحدث عن ظهور نَبِيّ بعد المَسِيْح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو مُحَمَّد ﷺ لا نذكرها خوف التطَوِيْل.

ونحيل المتتبع إلىٰ كتاب **(إظهار الحق) للشيخ رحمة الله بن خَلِيْل الرَّحْمٰن الهِنْدِيّ**، وفيه مناقشة النَّصَارَىٰ في المَسَائِل الخمس التي هي مدار النقاش بين المُسْلِمِيْن والنَّصَارَىٰ، وهي:

(١) إثبات تحريف التوراة والإنجيل. (٢) النسخ. (٣) بطلان التثليث. (٤) القُرْآن الكَرِيْم كلام الله، وصل إلينا بالتواتر. (٥) نُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ وأنه خاتم النَّبِيِّيْن.

ويظهر من قِرَاءَة كتاب (إظهار الحق) أن المؤلف مُحِيْط بنصوص العهدين القديم والجديد، وأنه درسهما بشروحهما وتَعْلِيْقاتهما دراسةً مضبوطةً، هَيَّأت له الوقوف عند كثير من الجزئيات.

وسبب تأليفه: أن المبشرين النَّصَارَىٰ هاجموا الإسلام بعنف عند الاحتلال البريطاني للهِنْد، وأَلَّفوا كتباً ورَسَائِل في التهجم علىٰ الإسلام مُرَكِّزِيْن علىٰ هٰذِهِ النقاط الخمس المتقدمة، فتَصَدَّىٰ لهم عُلَمَاء أجلاء من المُسْلِمِيْن. وأَخِيْراً عقدت نَدْوَة للمُنَاظَرَة بين القِسِّيس (فندر)، وكان أبرع المبشِّرين وأقدرهم علىٰ التكلم بالعَرَبِيَّة والفَارِسِيَّة،

(١) مُقَدِّمَة مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا لإنجيل برنابا ص: ت.

وبين المؤلف رحمة الله بن خَلِيْل، وحضرها كبار رِجَالات الهِنْد والقُضَاة والمفتين وكبار رِجَال الدِّيْن الإنجليز، وذٰلِكَ في بلدة (أكبر آباد) في شهر رَجَب سنة ١٢٧٠هـ.

وكان يعاون القِسِّيس (فندر) قِسِّيس آخر اسمه (فرنج). ويعاون الشيخ (رحمة الله) السَّيِّد مُحَمَّد وَزِيْر خان.

وابتدأت المُنَاظَرَة في مَسْأَلَة النسخ والتحريف، فتَفَوَّقَ (رحمة الله)، وتخاذل (فندر) وصاحبه فانسحبا، وقد دُوِّن ما جرىٰ بالمُنَاظَرَة من حجج الجانبين، ولم تكمل المُنَاظَرَة.

ثم سافر (رحمة الله) إلىٰ مَكَّة للحج، فاجتمع بالسَّيِّد أَحْمَد زَيْنِي دَحْلَان، فأخبره بالمُنَاظَرَة، فطلب السَّيِّد أَحْمَد زَيْنِي منه أن يترجم إلىٰ العَرَبِيَّة مباحثه الخمسة.

فأَلَّف عندئذٍ هٰذَا الكتاب (إظهار الحق)، وزاد باباً سادساً تناول فيه العهدين القديم والجديد[1].

وهنالك كتب جَلِيْلة أُخرىٰ تذكر هٰذِهِ البشارات وغيرها تناقش النَّصَارَىٰ في مُعْتِقداتهم، من أهمها:

١- الجواب الصَّحِيْح لمن بَدَّلَ دين المَسِيْح لابن تَيْمِيَّة.

٢- هِدَايَة الحَيَارَىٰ من اليَهُوْد والنَّصَارَىٰ لابن قَيِّم الجَوْزِيَّة.

٣- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقَرَافِيّ.

٤- الفارق بين المخلوق والخَالِق لعبد الرَّحْمٰن بك باجه جي زاده.

٥- أَعْلَام النُّبُوَّة للمَاوَرْدِيّ.

٦- حُجَّة الله علىٰ العالمين في معجزات سَيِّد المُرْسَلين للنَّبْهَانِيّ.

---

(١) انظر: مُقَدِّمَة (إظهار الحق).

رسالته ﷺ خاتمة الشرائع

مُحَمَّد ﷺ خَاتَم الأنبياء والمُرْسَلين، بدليل:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ - الأحزاب ٤٠.

ب- قوله ﷺ: (مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياء من قَبْلِي، كمَثَل رَجُلٍ بَنَىٰ بُنياناً فأَحْسَنه وأَجْمَلَهُ، إلَّا مَوضِعَ لَبِنَة من زاوية من زَواياه، فجعل الناسُ يَطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هَلَّا وُضِعَت هٰذِهِ اللَّبَنةُ؟ قال: فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خَاتَمُ النَّبِيِّيْن)[1].

أما ما صح من الأَحَادِيْث التي تذكر أن المَسِيْح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزل قبيل قيام الساعة، فالثَّابِت أنه لا ينزل بوحي جديد، وإنما ينزل فيحكم بشريعة مُحَمَّد ﷺ[2]. ولذا حين ينزل يكسر الصلبان، ويقتل الخنزير، ولا يقبل الجزية، ولا يقبل إلَّا الإسلام[3].

ولذٰلِكَ كانت شريعته ﷺ خاتمة الشرائع السماوية وناسخة لها.

وهو مصداق قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ - آل عِمْرَان ١٩.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ

---

(١) حَدِيْث: مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياء... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦١ كتاب المَنَاقِب، ١٨ باب خاتَم النَّبِيِّيْن، رقم ٣٥٣٥، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٧ باب ذكر كونه ﷺ خَاتَم النَّبِيِّيْن، رقم ٢٢٨٦ (٢٢)، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. واللفظ لمُسْلِم.

(٢) شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٦٩ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُورِيّ ص٢٢٣ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٧٧ وأُصُوْل الدِّيْن للبَغْدَادِيّ ص١٦٢. وانظر أيضاً حكم المَسِيْح بشريعة مُحَمَّد ﷺ في: أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٠٧.

(٣) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق.

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ - آل عِمْرَان ٨٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ - المائدة ٣.

أما إذا ذكر في القُرْآن أو في السُّنَّة المطهرة حكم شرعه الله لمن سبقنا من الأُمَم علىٰ ألسنة رسلهم، فهل هو شرع لنا أم لا؟

هٰذَا هو موضوع (**شرع من قبلنا**) من أَدِلَّة أُصُوْل الفِقْه، وخلاصته:

أ- أن الأَحْكَام المَشَرَّعة لمن قبلنا وكتبت علينا، فلا خلاف أنها شرع لنا، كقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ - البقرة ١٨٣.

ب- أن الأَحْكَام المَشَرَّعة لمن قبلنا التي رفعت عنا بحكم ناسخ في شرعنا، فلا خلاف أنها ليست شرعاً لنا، مثل حكم شريعة مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (إن العاصي لا يُكَفِّر عن ذنبه إلَّا أن يقتل نفسه) هٰذَا الحكم مرفوع عنا، لأنه منسوخ بتشريع التوبة.

ج- أما الحكم الذي لم يرد في شرعنا ما ينسخه أو يقرره، فقد اختلف فيه الفُقَهَاء علىٰ قولين:

القول الأول: يكون شرعاً لنا، وعلينا تَطْبِيْقه، لعدم الدليل علىٰ نسخه، وهو من الأَحْكَام التي جاء بها الرسل، وهو قول الحَنَفِيَّة وبعض المَالِكِيَّة والشَّافِعِيَّة.

القول الثاني: لا يكون شرعاً لنا، لأن شريعتنا ناسخة للشرائع السماوية جميعاً، إلَّا إذا ورد في شرعنا ما يقرره.

والحق هو المَذْهَب الأول: لأن شريعتنا إنما نسخت من الشرائع السَّابِقَة ما يخالفها فقط.

ولأن قص القُرْآن علينا حكماً شَرْعِيّاً سَابِقاً بدون نص علىٰ نسخه، هو تشريع لنا ضمناً، لأنه حكم إلٰهِيّ بلغه الرَّسُوْل إلينا.

ولأن القُرْآن مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل، فما لم ينسخ حكماً في أحدهما فهو مقرر له[1].

وسبب ختم شريعة الإسلام الرسالات السَّابِقَة، هو ما يأتي:

١- شريعة الرَّسُوْل ﷺ بينة واضحة، ينظر إليها المتزود الطَّالِب العلم في أي وقت وفي أي مكان، فينهل منها ما يسد حاجته.

٢- لا حاجة إلىٰ شريعة تضيف إلىٰ الإسلام، أو تنقص منه، لأنه لا قصور فيه عن حل أية مشكلة تواجهه.

وأوضح دليل عليه هو أنها أعطت حكمها في كل المشاكل الكثيرة، التي لا حصر لها، والتي حدثت للمُسْلِمِيْن في جوانب الحياة كافة، من لدن عَصْر النَّبِيّ ﷺ إلىٰ يومنا هٰذَا.

بل الحاجة قائمة إلىٰ من ينشر شريعتنا الإسلامِيَّة، ليتزود العالَمُ بالعلاج الناجع الذي يستأصل شأفة أمراض الأُمَم جَميعاً.

٣- ونُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ عامة إلىٰ جميع أهل الأرض، فلم تختص بها أُمَّة أو بلدة أو زمن[2].

عموم رسالته ﷺ

ورسالته ﷺ عامة إلىٰ جميع الناس، علىٰ اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولُغَاتهم، بدليل:

١- قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ - الأنبياء ١٠٧.

---

(١) أُصُوْل الفِقْه لعَبْد الوَهَّاب خَلَّاف ص٩٣-٩٤.

(٢) مبادئ الإسلام للمَوْدُوْدي ص٦٠.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ - سَبَأ ٢٨.

وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ - الأعراف ١٥٨.

٢- قتاله ﷺ لأهل الكتاب، وضرب الجزية عليهم، وفتوحات الخلفاء الراشدين، لنشر الإسلام محل الأديان الأُخرىٰ.

بينما كان الأنبياء السَّابِقون مُرْسَلين إلىٰ أقوامهم خاصة. وهٰذَا واضح في القران الكَرِيْم، قال تعالىٰ:

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾ - الأعراف ٥٩.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ - الأعراف ٦٥.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ - الأعراف ٧٣.

﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ ﴾ - الأعراف ٨٠.

﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ ﴾ - الأعراف ٨٥.

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ - الأعراف ١٠٣.

وقال تعالىٰ في عِيسَىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ - آل عِمْرَان ٤٩.

وفي الحَدِيْث الصَّحِيْح: (أُعطيت خمساً لم يُعطَهن أَحَدٌ قبلي: كان كل نَبِيّ يُبعث إلىٰ قومه خاصَّةً، وبُعثت إلىٰ كل أَحْمَر وأَسودَ...)، وسيأتي بعد قليل.

وبناءً علىٰ ذٰلِكَ: فمن اتبع النَّبِيّ مُحَمَّداً ﷺ فقد اتبع الأنبياء جميعاً، ومن أنكر نبوته فقد أنكر نُبُوَّة الأنبياء جميعاً، وما ذٰلِكَ الإنكار إلَّا مكابرة وعناد وهدر لقيمة العقل، لذٰلِكَ يستحق صاحبه العقاب الشديد يوم القيامة.

مُحَمَّد ﷺ أرفع الأنبياء منزلة

الأنبياء جَميعاً يشتركون في وصف النُّبُوَّة، فهم علىٰ حدّ وَاحِد فيها، لأن النُّبُوَّة في نفسها لا تتفاضل، إلَّا أن مُحَمَّداً ﷺ خاتَم الأنبياء والمُرْسَلين أرفعهم منزلة، وأعلاهم مقاماً، فتفضيله ﷺ علىٰ غيره من الأنبياء يعود إلىٰ زِيَادَة الأحوال والكَرَامَات والرتب. ودليل تفضيله هو:

١- قوله ﷺ: (أَنا سَيِّد وَلَد آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْر)(١). أي: لا أقول ذٰلِكَ فخراً بنفسي، بل تحدثاً بنعمة ربي.

٢- أنه ﷺ يفضل غيره بأُمور، ذكرها في الحَدِيْث الصَّحِيْح: (أُعطِيتُ خمساً لم يُعطَهن أَحَدٌ قَبلي، كان كُلُّ نَبيّ يُبعثُ إلىٰ قومه خاصَّةً، وبُعثتُ إلىٰ كُلِّ أَحْمَر وأَسودَ، وأُحِلَّت لي الغنائمُ، ولم تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبلي، وجُعلت لي الأَرضُ طَيِّبَةً طَهُوراً ومَسْجِداً، فأَيُّما رَجُلٍ أَدركتْه الصلاةُ صَلَّىٰ حيثُ كان، ونُصِرتُ بالرُّعْب بين يَدَيْ مَسِيْرَة شهرٍ، وأُعْطِيْتُ الشفاعَةَ)(٢).

٣- أن أُمَّته أفضل الأُمَم، قال تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ - آل عِمْرَان ١١٠، وذٰلِكَ تابع لفضل نبيها مُحَمَّد ﷺ.

---

(١) حَدِيْث: أَنا سَيِّد وَلَد آدمَ... إلخ، رواه أَحْمَد في مُسْنَده والتِّرْمِذِيّ وابن مَاجَة عن أبي سَعِيْد، وهو حَدِيْث حَسَن. / الجَامِع الصَّغِيْر ص١٦١.

(٢) حَدِيْث: أُعطِيتُ خمساً لم يُعطَهن... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٧ كتاب التَّيَمُّم، ١ باب التَّيَمُّم، رقم ٣٣٥، عن جَابِر بن عبد الله. و٨ كتاب الصلاة، ٥٦ باب قول النَّبِيّ ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم ٤٣٨، عن جَابِر.

وفي صَحِيْح مُسْلِم، واللفظ له، في: أول ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١، عن جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أي: أن فضل أُمَّته لا يحصل إلَّا باتباع أوامره ﷺ، والانتهاء عن نواهيه والاهتداء بهديه ﷺ.

فإذا قيل:

إن الرَّسُوْل ﷺ نهىٰ عن التفضيل بأَحَادِيْث منها:

أ- قوله ﷺ: (لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنبياء)[1].

ب- وقوله ﷺ: (لا يَنبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خَيْر من يُوْنُس بن مَتَّىٰ)[2].

فالجواب:

أن هٰذِهِ الأَحَادِيْث محمولة علىٰ أنه ﷺ قالها علىٰ سَبِيْل التواضع ونفي العجب، أو أن المقصود منها ألّا يفضل بينهم تفضيلاً يؤدي إلىٰ تنقص بعضهم أو الغضّ منهم[3].

---

(١) حَدِيْث: **لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنبياء**، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٤٤ كتاب في الخصومات، ١ باب ما يذكر في الإشخاص والملازَمة والخُصُومة بين المسلم واليَهُوْد، رقم ٢٤١٢، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٤٢ باب من فَضَائِل مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رقم ٢٣٧٤ (١٦٣)، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

(٢) حَدِيْث: **لا يَنبغي لعبدٍ**... إلخ، مُتَّفَق عليه وهو في: صَحِيْح البُخَارِيّ في كتاب الأنبياء. ومُسْلِم في كتاب الفَضَائِل. / اللُّؤْلُؤ والمَرْجَان ص٦٢٧.

(٣) تَفْسِيْر الرَّازِيّ في تَفْسِيْر آية البقرة ٢٥٣: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ج٦ ص١٩٤ وقد جاء بتسع عشرة حُجَّة علىٰ هٰذَا مع مناقشة المخالفين. وانظر: الشفا ج١ ص٢٢٥-٢٢٨ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ مع شَرْح الكَسْتَلِيّ ص١٧٢ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢١٤.

شفاعة الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ

الشفاعة لُغَةً: الوسيلة والطلب.

وعرفاً: سؤال الخَيْر للغير.

وهي مشتقة من الشَّفْع الذي هو ضد الوتر. فكأن الشافع ضم سؤاله إلىٰ سؤال المشفوع له. والمُشَفِّع، بكسر الفاء: الذي يقبل الشفاعة وتُطلَب منه. والمُشَفَّع، بفتح الفاء، ويُسَمَّىٰ الشافع والشَّفِيْع والمُسْتَشْفِع: هو الذي تقبل شفاعته[1].

والشفاعة قسمان مثبتة ومنفية:

١ - **الشفاعة المثبتة:** وهي التي أثبتها الله تعالىٰ لأهل الإخلاص، ولها شرطان هما: إذن الله تعالىٰ للشافع، ورضاه تعالىٰ. وهما المذكوران في قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ - النَّجْم ٢٦، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ - طه ١٠٩[2].

فيقف الشافع من الله سُبْحَانَهُ موقف الضَّارِع يستنزل رحمة الله وإحسانه. فالشفاعة هٰذِهِ دعاء مستجاب، وسبب من الأسباب التي يرتب الله تعالىٰ عليها المغفرة أو التخفيف أو رفع الدرجات، بدليل حَدِيْث الصَّحِيْحَيْن وغيرهما: أن النَّبِيّ ﷺ يسجد تحت العرش يوم القيامة، ويثني علىٰ الله تعالىٰ الثناء يلهمه يومئذٍ، (فيقال: يا مُحَمَّد، ارفَعْ رأسَكَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعْطَهُ).

وليس في الشفاعة بهٰذَا المعنىٰ أن الله تعالىٰ يرجع عن إرادة كان قد أرادها لأجل

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٠٤.

(٢) الكواشف الجَلِيَّة عن معاني الوَاسِطِيَّة ص٣٥٢.

الشافع، بل مرد ذٰلِكَ كله الإرادة الأزلية والعلم القديم[١].

٢- الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله تعالىٰ، أو بغير إذنه، أو لأهل الشرك. قال سُبْحَانَهُ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ - البقرة ٢٥٤[٢].

فتفسر بأن يحمل الشافع المشفوع عنده (المشَفِّع) علىٰ فعل كان قد أراد غيره، كأن يطمع ضعيف في معروف لدىٰ عَظِيْم، ويعتقد أنه ينوي حرمانه من معروفه، فيستشفع إليه بوجيه مقرب لديه، يحمله علىٰ أن يشمله بمعروفه وإحسانه.

والشفاعة بهٰذَا المعنىٰ مستحيلة بالنسبة لله تعالىٰ، لأن المشفوع عنده كان عاقداً النية علىٰ أمر خلاف ما شفع عنده فيه، فيجيء الشفيع ويبدي له أسباباً للفعل أو الترك لم يكن عالماً بها من قبل، والله سُبْحَانَهُ لا يقع في ملكه إلَّا ما هو به عَلِيْم مريد، ولا يستطيع أحد أن يتصرف في إرادته ومشيئته.

ويؤدي هٰذَا المعنىٰ أَيضاً إلىٰ القول بالبَدَاء، بمعنىٰ أن الله تعالىٰ يبتدئ تدبير الأشياء

---

(١) الشَّرْح الجديد لجَوْهَرَة التَّوْحِيْد للعَدَوِيّ ص١٤٠.

وحَدِيْث: **فيقال: يا مُحَمَّد، ارفَعْ رأسَكَ...** إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ، واللفظ له، في: ٦٠ أَحَادِيْث الأنبياء، ٣ باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ - نُوْح ١، رقم ٣٣٤٠، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو بألفاظ مقاربة في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر - سورة البقرة، ١ باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ - البقرة ٣١، رقم ٤٤٧٦، عن أَنَس. و٨١ كتاب الرِّقَاق، ٥١ باب صفة الجنة والنار، رقم ٦٥٦٥، عن أَنَس. و٩٧ كتاب التَّوْحِيْد، ١٩ باب قول الله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ - ص ٧٥، رقم ٧٤١٠، عن أَنَس. و٢٤ باب قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ - القيامة ٢٢، رقم ٧٤٤٠، عن أَنَس.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٨٤ باب أدنىٰ أهل الجنة منزلةً فيها، رقم ١٩٣ (٣٢٢ و٣٢٦)، عن أَنَس. و١٩٤، عن أبي هُرَيْرَة.

(٢) الكواشف الجَلِيَّة السَّابِق.

أولاً فأولاً، ويستأنف علمها من جديد بعد أن لم يكن عالماً بها، وكل ذٰلِكَ محال علىٰ الله سُبْحَانَهُ.

وهٰـذَا هو الـذي أنكره الله تعالىٰ بالآيات النافية، منها: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ - المُدَّثِّر ٤٨، و﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ - الانفطار ١٩، و﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ - البقرة ٢٥٤ (١).

أنواع الشفاعة المثبتة

ذكر العُلَمَاء أنواعاً عديدة للشفاعة المثبتة، منها:

١- الشفاعة العظمىٰ الخاصة بنبينا مُحَمَّد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمُرْسَلين، وهي التي يشفع فيها لأهل الموقف، حتىٰ يقضىٰ بينهم، ويراحوا من شدة الموقف وهوله، بعد أن يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع آدم إلىٰ نُوْح وإبْرَاهِيْم ومُوسَىٰ وعِيسَىٰ عليهم الصلاة والسَّلَام. وهي المقام المَحْمُوْد.

ووردت في ذٰلِكَ جُمْلَة من الأَحَادِيْث الصَّحِيْحة عن جُمْلَة من الصَّحَابَة، بلغت حد التواتر.

٢- شفاعته في إدخال قوم الجنةَ بغير حساب، بدليل حَدِيْث عُكَّاشَة بن مِحْصَن في الصَّحِيْحَيْن حين دعا له رَسُوْل الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يَسْتَرْقُوْن ولا يَكْتَوُوْن ولا يَتَطَيَّرُوْن وعلىٰ ربهم يَتَوَكَّلُوْن.

٣- فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها. وذٰلِكَ بمحض عَفو الله تعالىٰ.

---

(١) الشَّرْح الجديد السَّابِق.

٤- في إِخْرَاج المَوَحِّدِين من النار بعد انْقِضَاء مدة المؤاخذة المقررة لهم في علم الله تعالىٰ.

٥- الشفاعة في بعض الكفار لتخفيف العذاب عنهم.

٦- في رفع درجات أُناس في الجنة[1].

أما النوع الأول من الشفاعة والثاني والسادس فلا خلاف فيها، وكذٰلِكَ ينبغي أن لا يكون في الخامس خلاف.

لٰكِن الخلاف في النوعين الثالث والرابع، فهما اللذان تنكرهما المُعْتَزِلَة والإبَاضِيَّة.

وأنكر جَهْم الشفاعةَ، وأن قوماً يخرجون من النار[2]. وأنكر الشفاعةَ أَيضاً المُرْجِئَة، لقولهم: لا يضر مع الإيمان ذنبٌ[3].

---

(١) الشَّرْح الجديد ص١٤١. وانظرها وغيرها في: شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٨٢ وما بعدها، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٠٤ وما بعدها، وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣٠٥ ونقل عن السُّيُوْطِيّ وغيره. وانظر روايات الصَّحَابَة عن رَسُوْل الله ﷺ في الشفاعة لأهل الكبائر في: شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٥ ص٣٨٧ وما بعدها.

وحَدِيْث عُكَّاشَة بن مِحْصَن، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٧٦ كتاب الطب، ١٧ باب من اكتوىٰ أو كوىٰ غيره، رقم ٥٧٠٥، عن عِمْرَان بن حُصَيْن. و٨١ كتاب الرِّقَاق، ٢١ باب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ – الطلاق ٣، رقم ٦٤٧٢، عن ابن عَبَّاس.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٩٤ باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المُسْلِمِيْن الجنة...، رقم ٢١٨ (٣٧١ و٣٧٢)، عن عِمْرَان بن حُصَيْن. ورقم ٢٢٠ (٣٧٤)، عن ابن عَبَّاس.

(٢) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٣٤.

(٣) كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٦٧.

واحتج المُعْتَزِلَة والإبَاضِيَّة علىٰ إنكار الشفاعة فيمن استحق دخول النار (وهو النوع الثالث) بما يأتي:

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ - البقرة ٤٨.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ - غافر ١٨.

وأجاب الجُمْهُوْر بما يأتي:

١- بأن المُرَاد بالنفس بالآية الأُوْلَـىٰ هو النفس الكافرة، لأن مساق الخطاب معهم، والآية نزلت رداً علىٰ اليَهُوْد الذين يزعمون أن آباءهم تشفع لهم. والظالمون في الآية الثانية هم الكفار، فإن الظالم علىٰ الإطلاق هو الكافر.

٢- إن غفران غير الكفر من الذنوب بلا توبة ولا شفاعة جائز، فبالشفاعة أَوْلَىٰ. ولأن العقاب حقه تعالىٰ فله أن يعفو ويصفح، وله أن يعاقب. قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ - الشُّوْرَىٰ ٢٥، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ - الزُّمَر ٥٣.

وأنكر المُعْتَزِلَة ومثلهم الإبَاضِيَّة النوع الرابع من الشفاعة في قوم موحدين دخلوا النار، وقالوا: إن من دخل جهنم يخلد فيها، لأنه إما كافر، وإما صاحب كَبِيْرَة لم يتب منها.

وحجتهم علىٰ هٰذَا الإنكار هي أن من أدخله الله النار فقد أخزاه، والشفاعة لا تكون إلَّا لمن ارتضاه الله، ومن أخزاه الله لا يرتضيه، ومن ارتضاه لا يخزيه.

وأجاب الجُمْهُوْر بما يأتي:

أ- قوله ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتِي)، صريحٌ في ذٰلِكَ[1].

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٩٠. وانظر: الإنْصَاف للبَاقِلاَّنِيّ ص١٧٠.

وحَدِيْث: **شفاعتي**... إلخ، قال الشيخ شُعَيْب الأرنَؤُوط في هامش الصفحة المذكورة من

ب- إننا لا نُسَلِّم أن الفاسق غير مرضي مطلقاً، بل هو مرضي لإيمانه، مبغوض لفسقه. علىٰ أن هٰذَا النوع من الشفاعة لم يحل بين المشفوع فيهم وبين العذاب المقدر لهم، بل يخرجون من النار بعد انتهاء مدة المؤاخذة المقدرة لهم في علمه[1].

شفاعة غيره ﷺ

وبعد شفاعة مُحَمَّد ﷺ يفتح باب الشفاعة لمن ارتضاه الله تعالىٰ. قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ - طه ١٠٩. أي: لمن كان قوله

شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة: حَدِيْث صَحِيْح بطرقه وشواهده، أَخْرَجَهُ أبو دَاوُد والتِّرْمِذِيّ وأَحْمَد والطَّيَالِسِيّ وأبو نُعَيْم في الحِلْيَة والطَّبَرَانِيّ في الصَّغِيْر من حَدِيْث أَنَس، وصَحَّحَهُ ابن حِبَّان والحَاكِم، وأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وابن مَاجَة والطَّيَالِسِيّ وأبو نُعَيْم في الحِلْيَة من حَدِيْث جَابِر بن عبد الله، وصَحَّحَهُ الحَاكِم وأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيّ من حَدِيْث ابن عَبَّاس، والخَطِيْب البَغْدَادِيّ من حَدِيْث ابن عُمَر.

(١) الشَّرْح الجديد السَّابِق، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢١٧. وانظر: تَمْهِيْد الأوائل ص٤١٥ وشَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة للتَّفْتَازَانِيّ ص١٤٨ وشَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص٢٤٤ والمُعْتَزِلَة لعَوَّاد المُعْتِق ص٢٣٦.

وانظر تفصيل الكلام في الشفاعة عند الإبَاضِيَّة في: البعد الحَضَارِيّ ص٦٧٠ وما بعدها. وفيه نقل عن عَمْرو التلاتي قوله: (إن أصحابنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالىٰ قالوا: إن الشفاعة حقٌّ لا شك فيه، وإنها للمُؤْمِنين لا لأهل الكبائر العاصين والفجار الفاسقين)، ونقل في ص٧٥٢ عن عَمْرو التلاتي أيضاً إنكار خروج المُعَذَّبِيْن في النار من عصاة أُمَّة مُحَمَّد ﷺ منها.

وقال السَّالِمِيّ في مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٤٣: (مَذْهَب أهل الاستقامة - أي: الإبَاضِيَّة - والمُعْتَزِلَة أن أهل الكبائر من معاصي الله كانوا مُشْرِكِيْن أو فاسقين مُخَلَّدُوْن في النار دائماً، وأهل الطاعة مُخَلَّدُوْن في الجنة دائماً، لٰكِن أهل الاستقامة يقولون: إن التعذيب بعَدْل الله والثواب بفضله، والمُعْتَزِلَة يقولون بوجوب ذٰلِكَ عليه تعالىٰ عن ذٰلِكَ، بناءً علىٰ أصلهم الفاسد في التَّحْسِيْن والتَّقْبِيْح العَقْلِيَّيْن). ونقل قول السَّالِمِيّ في البعد الحَضَارِيّ ص٧١٦. وانظر: الحق الدامغ ص١٨٥.

واعْتِقَاده لا إلٰه إلَّا الله مُحَمَّد رَسُوْل الله ﷺ[١].

قال ﷺ:... فيقول الله عَزَّ وجَلَّ: شَفَعت الملائكةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّوْن، وشَفَعَ المُؤْمِنون، ولم يبقَ إلَّا أَرحمُ الراحمين، فيَقبِضُ قَبْضَةً من النار، فيُخرِجُ منها قوماً لم يَعملوا خَيْراً قَطُّ.

وقال رَسُوْل الله ﷺ: إن من أُمَّتِي من يَشفع للفِئَام من الناس، ومنهم من يَشفع للقَبِيلة، ومنهم من يَشفع للعَصَبَة، ومنهم من يَشفع للرجل حتىٰ يدخلوا الجنة.

وقال ﷺ: يُشَفَّعُ الشَّهِيْدُ في سبعينَ من أهل بيته[٢].

وقال رَسُوْل الله ﷺ: يَشْفَعُ يومَ القيامة ثلاثةٌ: الأنبياءُ، ثم العُلَمَاءُ، ثم الشهداءُ[٣].

---

(١) نور الإسلام لعبد الكَرِيْم المدرس ص٢٩١.

(٢) نور الإسلام ص٢٩١. وانظر: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٠٩ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٩٣.

وحَدِيْث: **شَفَعت الملائكةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّوْن**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم، واللفظ له، في: ١ كتاب الإيمان، ٨١ باب مَعْرِفَة طريق الرؤية، رقم ١٨٣، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

والحَدِيْث في: مُسْنَد الإمَام أَحْمَد ج٣ ص٩٤، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

وحَدِيْث: **إن من أُمَّتِي من يشفع**... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة والرَّقَائِق والوَرَع، ١٢ باب منه، رقم ٢٤٤٠، ص٣٩٩، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ. وقال: حَدِيْث حَسَن.

وحَدِيْث: **يُشَفَّعُ الشَّهِيْدُ في سبعينَ**... إلخ، في: سُنَن أبي دَاوُد في: ١٥ كتاب الجِهَاد، ٢٦ باب في الشَّهِيْد يُشَفَّع، رقم ٢٥٢٢، عن أبي الدَّرْدَاء. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن أبي دَاوُد ج٤ ص١٧٦: صَحِيْح لغيره، وهٰذَا إسناد حَسَن. وحَسَّنَهُ السُّيُوْطِيّ في الجَامِع الصَّغِيْر ص٥٩٠.

(٣) نور الإسلام ص٢٩١ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٩٣.

وحَدِيْث: **يَشْفَعُ يومَ القيامة**... إلخ، رواه ابن مَاجَة، عن عُثْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. / الجَامِع الصَّغِيْر

حكمة الشفاعة

والحكمة من الشفاعة تكَرِيْم الشَّافِعِيْن، ورفع شؤونهم علىٰ رؤوس الاشهاد، وإفاضة الكرم الإلٰهِيّ علىٰ المشفوع له[١].

وليس القول بالشفاعة إعداد الناس للجرأة والجسارة علىٰ المعاصي، كما توهمه البعض، لأنه ليس في علم أي شخص أنه يشفع له، حتىٰ يكون ذٰلِكَ جالباً لإقدامه عليها[٢].

أُصُوْل دعوة الرَّسُوْل الأعظم مُحَمَّد ﷺ

تتجلىٰ دعوة الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ في جزئي الشهادة، اللذين هما الرُّكْنان الأَسَاسِيّان لها[٣]، ويندرج تحتها كل ما جاء به الإسلام.

الرُّكْن الأول:

الإيمان بوجود الله تعالىٰ، وبوحدانيته، وأنه يتصف بصفات تليق بكَمَاله. وقد تَحَدَّثْنَا عن هٰذَا الرُّكْن في قسم الإلٰهِيَّات من هٰذَا الكتاب، وذكرنا ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقه تعالىٰ.

للسُّيُوْطِيّ ص٥٩٠ وحَسَّنَهُ. وقال ابن أبي العِزّ: رواه الحافظ أبو يَعْلَىٰ. وخَرَّجَهُ مُحَقِّقُهُ الشيخ شُعَيْب في الهامش.

(١) نور الإسلام ص٢٨٧.

(٢) نور الإسلام ص٢٨٨.

(٣) شَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٦٥. وانظر: شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليها ص١٩٠و٢١٩ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٠٨ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج١ ص٢٧٣ وشَرْح غَايَة المُرَاد ص١٨.

ويكفي أن نشير إلىٰ أن القُرْآن العَظِيْم نبذ بهٰذَا الرُّكْن عَقِيْدَة التثليث عند النَّصَارَىٰ والهنود، والإشراك عند اليَهُوْد، وعِبَادَة الأصنام والنجوم والوثنية بأشكالها عند العَرَب وغيرهم بآيات كثيرة منها: قوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - المائدة ٧٣.

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ - المائدة ١١٦.

وعَقِيْدَة التَّوْحِيْد في القُرْآن أعلىٰ المَعَارِف التي ترقىٰ بالإنسان إلىٰ الأعلىٰ.

وكان تَوْحِيْد المُسْلِمِيْن الأولين لله وحبهم له وتوكلهم عليه، هو الذي زكىٰ نفوسهم، وأعلىٰ هممهم، وكَمَّلهم بعزة النفس، وشدة البأس، وإقامة الحق والعَدْل، ومكَّنهم من فتح البلاد، ومن تَحْرِيْر الناس من ظلم الملوك، ورِقّ الكهنة والأحبار والرهبان، فأقاموا دَعَائِم الحَضَارَة، وأحيوا العُلُوْم والفُنُوْن، وتم لهم ما لم يَتِمّ لأية أُمَّة من الأُمَم، حتىٰ قال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (تطور الأُمَم): (إن ملكة الفُنُوْن لا يَتِمّ تكوينها لأُمَّة من الأُمَم الناهضة إلَّا في ثلاثة أجيال، أولها: جيل التقليد، وثانيها: جيل الخضرمة، وثالثها: جيل الاستقلال والاختصاص. قال: إلَّا العَرَب وحدهم، فقد استحكمت لهم ملكة الفُنُوْن في الجيل الأول، الذي بدؤوا فيه بمزاولتها)[١]، وقد تقدم أثر عَقِيْدَة التَّوْحِيْد في حياة الإنسان بما فيه الكِفَايَة.

وهٰذَا الرُّكْن هو المقصود بالشطر الأول من الشهادة (أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله)[٢].

---

(١) الوحي المُحَمَّدِيّ ص١٣١.

(٢) انظر: شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص٢١٩.

الرُّكْن الثاني:

الإيمان برَسُوْل الله مُحَمَّد ﷺ. ومعناه:

أ- وجوب التَّصْدِيْق بأنه نَبِيّ الله تعالىٰ وخاتَم المُرْسَلين.

ب- وجوب التَّصْدِيْق بما أخبر به.

ج- وجوب طاعته في كل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تَقْرِيْر من الأوامر والنواهي، ووجوب اقتفاء آثارهم، والتزام طريقته في سُبُل الحياة كلها، لأن طاعته من طاعة الله، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ - النساء ٨٠ وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ - الحشر ٧. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ - الأحزاب ٣٦... إلخ.

فيدخل في هٰذَا الرُّكْن:

الإيمان بالملائكة والجن والمغيبات جَميعاً والإيمان بسائر الأنبياء بلا تفريق، وما يجب في حقهم من صفات، وما يستحيل، وما يجوز، وبكتبهم السماوية جَميعاً التي أُنْزِلَت عليهم، والتي هي موافقة في أُصُوْلها القُرْآن الكَرِيْم، لأن مصدرها وَاحِد وهو الله تعالىٰ، وتكفل بالكلام عن هٰذَا موضوع (النُّبُوَّات) كما تقدَّم.

والإيمان باليَوم الآخِر، وهو يوم الجزاء عند القيامة، وهو البَاعِث علىٰ العَمَل الصالح وترك المُنْكَرَات، ومُقَوِّي الوازع النفسي الذي يصد الإنسان عن الشر والظلم. وسيأتي كلام وافٍ علىٰ هٰذَا في فصل الحياة الأُخرىٰ.

وهٰـذَا الـرُّكْن هو المقصود بالشطر الثاني من الشهادة (وأشهد أن مُحَمَّداً رَسُوْل الله)[1].

وبهٰذَا يتبين أن كلمة الشهادة بشطريها، قد تضمنت مع قلة حروفها جميع ما يجب

(١) المصدر السَّابِق.

علىٰ المسلم المُكَلَّف معرفته من عَقَائِد الإيمان في حقه تعالىٰ وفي حق رسله عليهم الصلاة والسَّلَام[١].

أو بعبارة أُخرىٰ:

هي الإيمان بأن دين الله تعالىٰ الإسلام هو الدِّيْن الحق، الذي يجب أن يؤمن الفرد بكل ما جاء به من جزئيات، ويعمل بها، ولذٰلِكَ قال السَّنُوْسِيّ: (ولعلها لاختِصَارها مع اشتمالها علىٰ ما ذكرناه جعلها الشَّرْع ترجمةً علىٰ ما في القلب من الإسلام، ولم يُقبل من أحد الإيمان إلَّا بها)[٢].

فكانت عُنْوَان الدخول في الدِّيْن الإسلامِيّ، إذ لا يُقبل الإسلام من أَحَد إلَّا بالنطق بشطريها معاً.

فعليه أن يكثر من ذكرها، كما هو المَأْثُوْر في الأَحَادِيْث الصَّحِيْحة، مستحضراً لما حوته من معانٍ جَلِيْلةٍ، حتىٰ تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرىٰ لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالىٰ ما لا يدخل تحت الحصر[٣].

واجبنا نحو الرَّسُوْل الأعظم مُحَمَّد ﷺ

بعد أن أنعم الله تعالىٰ علىٰ المسلم بأن آمن بالله ونبيه الأعظم ﷺ، كان عليه أن يعرف واجبه نحوه، وهو:

١ - محبته أكبر من النفس والولد، والمال والناس.

قال النَّبِيّ ﷺ: (لا يُؤمنُ أَحَدُكم حتىٰ أَكونَ أَحَبَّ إليه من وَلَدِه ووالِدِه والناسِ أجمعين)[٤].

---

(١) المصدر السَّابِق ص٢٢١.

(٢) أُمّ البَرَاهِيْن وشرحها للسَّنُوْسِيّ ص٢٢٢.

(٣) المصدر السَّابِق ص٢٢٤.

(٤) **حَدِيْث: لا يُؤمنُ أَحَدُكم**... إلخ، أَخْرَجَهُ أَحْمَد والبُخَارِيّ ومُسْلِم والنَّسَائِيّ وابن مَاجَة، عن أَنَس. وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٥٨٦.

وهٰذِهِ المحبة لا تتجلىٰ إلَّا في طاعته طاعةً كَامِلَة في كل ما يقول.

٢- تبجيله واحترامه حياً وميتاً، ففي حياته: لا يجوز سبقه بالحَدِيْث، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾ - الحُجُرَات ١.

ولا يجوز رفع الصوت أمامه، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ - الحُجُرَات ٢.

ويبقىٰ هٰذَا الاحترام حتىٰ بعد مماته، فلا يرفع الصوت عند قبره أو في مسجده ﷺ، كما يجب التأدب عند سَمَاع حَدِيْثه، والرضا بما قال، وعدم الخروج عليه.

٣- عدم إيذائه بأي نوع من أنواع الأذىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - التوبة ٦١.

والإيذاء شامل: للسَّبِّ، أو الطعن به، أو بشرعه، أو بزوجاته الطاهرات، قال تعالىٰ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ﴾ - الأحزاب ٦. أو الطعن بآل بيته، أو أصحابه، أو سبهم....

٤- الصلاة والسَّلَام عليه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ - الأحزاب ٥٦[1].

٥- وجوب التأسي بالرَّسُوْل ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ - الأحزاب ٢١. والتأسي هو الاقتداء به في كل أقواله وأفعاله ﷺ.

---

(١) انظر: الشفا، وسُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد ج١٢ ص٤٥٧ وأُصُوْل الدعوة ص٣٦-٣٧.

الفَصْل السَّادس
اليَوم الآخِر

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَث الأول: دليل اليَوم الآخِر والحاجة إلىٰ الإيمان به.

المَبْحَث الثاني: اليَوم الآخِر عند غير المُسْلِمِيْن:

في حَضَارَة وادي الرافدين، عند المِصْرِيّيْن القدماء، في الديانة الزَّرَادَشْتِيَّة، عند الإغريق القدماء، عند الرُّوْمان، عند الهِنْدوس، عند الصَّابِئَة، عند اليَهُوْد، عند النَّصَارَىٰ.

المَبْحَث الثالث: اليَوم الآخِر في الإسلام:

معناه، حكم الإيمان به، الأَعْمَال بالخواتيم، التوبة، الموت، القبر، البعث والنشور، الساعة، الصور، الحشر، العرض والحساب، الحوض، المِيْزَان، الصراط، الجنة والنار.

مُقدِّمَة

عاش الإنسان في حياته البدائية لا يفكر بعواقب الحياة. وحين فتح عينيه أخذ يفكر ويسأل، هل هٰذَا المخلوق العاقل مثل الدابة أو الحشرة، ينتهي إلىٰ مصير وَاحِد، وهو الموت فقط، أو أن هناك حياة أُخرىٰ تنتظره؟

ورأىٰ من الأشرار من ينال عقابه قبل موته، ومن الخَيِّريْن من يثاب في حياته الدنيا. ورأىٰ أَيضاً من هٰؤُلَاءِ من يدركه الموت، فلم ينل جزاءه من ثواب أو عقاب، فتساءل:

أيذهب هٰؤُلَاءِ من غير رجعة بلا جزاء؟ أم ينتظرهم الثواب أو العقاب في عالم آخر؟ فربط إيمانه بوجوب الاعْتِقَاد بحياة أُخرىٰ بعد الموت، إذْ خَلقُ هٰذَا العالَمِ العجيب الصنع، لا يصدر إلَّا من إلٰه قَادِر يحكم بعدالته هٰذِهِ المخلوقات جَميعاً.

وما كان هٰذَا الاعْتِقَاد إلَّا تصديقاً لدَعَوَات جاء بها أنبياء سابقون، وإن كَدَّرت صفوَه الوثنيةُ، حيناً بعد حين.

وهٰذَا الفصل الذي نعقده للكلام عن اليَوم الآخِر يتضمن ثلاثة مباحث:

المَبْحَث الأول:

وفيه بَيَان دليل اليَوم الآخِر، والحاجة إلىٰ الإيمان به.

المَبْحَث الثاني:

وفيه بَيَان عَقِيْدَة الإيمان باليَوم الآخِر في مُخْتَلف الديانات العالَمية.

المَبْحَث الثالث:

وفيه تفصيل القول في عَقِيْدَة المُسْلِمِيْن باليَوم الآخِر، ومشَاهد القيامة وما يتصل بها.

المَبْحَث الأول

دليل اليَوم الآخِر، والحاجة إلى الإيمان به

أَدِلَّة اليَوم الآخِر[١]

يمكن أن نقيم الأَدِلَّة علىٰ اليَوم الآخِر بما يأتي:

الدليل الأول: إمكان اليَوم الآخِر.

اليَوم الآخِر ممكن الوقوع، والإشارات الدالة علىٰ ذٰلِكَ هي:

١ - أن الإنسان والكون ليسا أبديين، فالنِّهَايَة المروِّعة آتية عليهما لا محالة، فالإنسان يموت، والكون يفنىٰ، وهٰذَا يعني أن نِظَام الكون الموجود حالياً سيدمر، وأن الذي نشَاهده من مَعَالِم هٰذَا النِّظَام ما هو إلَّا صورةٌ مصغرةٌ أولية، سوف يتجلىٰ عنها في صورةٍ نهائيةٍ كبرىٰ، نلقاها غداً في صورة الواقع[٢].

٢ - يتألف الجسم الإنساني من الخلايا، وهي ذرات صَغِيْرَة جداً ومعقدة، يَزِيْد عددها في جسم الإنسان علىٰ ألف مليون مليون خلية تبني الجسم كما يبنىٰ الجدار، وهٰذِهِ الخلايا تتغير، فيموت منها ١٢٥ مليون خلية في الثانية الوَاحِدَة.

ومعنىٰ ذٰلِكَ أن جسم الإنسان يموت ويحيا مرات كثيرة في الحياة الدنيا، ولٰكِن مع ذٰلِكَ فهو محتفظ بشخصيته، وعاداته وأفكاره، وعلمه وأمانيه وهو لا يحس بأن شَيئاً من

---

(١) انظر دليل الآخِرَة والحاجة إلىٰ الإيمان بها في: الإسلام يتحدىٰ ص٧٢ وما بعدها، وقد أحال القَارِئ إلىٰ مراجع أجنبية.

(٢) انظر تفصيل هٰذَا في الكلام عن الموت وحقيقته وقيام الساعة من هٰذَا الكتاب.

أعضائه قد تغير، ومَثَلُه في ذٰلِكَ مَثَلُ النهر الجاري، الذي يتغير ماؤه دائماً، ومع ذٰلِكَ فهو ذٰلِكَ النهر بعينه.

فالذي يَعِيْش خمسين سنة كان قد مات خمس مرات، فإذا مات في المرة السادسة فكيف يمكن أن يجزم أنه مات علىٰ وجه اليقين، ولا سَبِيْل له إلىٰ الحياة؟

الدليل الثاني: البحوث المُؤَيِّدَة لليَوم الآخِر.

١ - البَحْث النفسي:

سَلَّمَ فرويد وعُلَمَاء النفس بصفةٍ عامةٍ بنَظَرِيَّة مقتضاها: (أن كل ما يخطر علىٰ بال الإنسان من الخَيْر والشر، ينقش في صفحة اللاشعور، فلا يزول إلىٰ الأبد، ولا يؤثر فيه تغير الزمان وتقلب الحَدَثَان، ويحدث هٰذَا علىٰ رغم الإرادة الإنسانية طوعاً أو كرهاً).

والبحوث النفسية تؤكد أن الوجود الإنساني الحقيقي هو في (اللاشعور)، لا يطرأ عليه الموت، ولا تحكمه قوانين الزمن. أما الجسم المادي فهو في تغير وتحطم وفناء، فلا يعتبر وجوده وجوداً حقيقياً، وهٰذَا يعني أن الحياة الجارية لن تفنىٰ أَبداً، بل ستستأنف مسيرتها بعد الموت، وسوف نكون علىٰ قيد الحياة، والموت لم يكن إلَّا نتيجة الحواجز والقوانين الزمنية.

ثم إن الأفكار التي تخطر علىٰ بالنا وننساها، ثم نراها بعد فترة طَوِيْلَة في المنام، أو نتكلم عليها في حالات الهستيريا أو الجنون، ما هي إلَّا دليل علىٰ أن العقل أو الحافظة ليست تلك التي نشعر ونحس بها فقط، وإنما هناك (اللا شعور) الذي يحفظ هٰذِهِ الصور بكَامِل جزئياتها، وهو عالم مستقل بذاته، ولا يفنىٰ بفناء الجسم المادي.

وهٰذَا يؤكد إمكان وجود سجل كَامِل لأَعْمَال الإنسان وأقواله[1] في حياته، يعرفه بعد أن يبدأ حياته الأُخرىٰ.

---

(١) انظر موضوع العَرْض والحساب، وذكرنا هناك شَيئاً مما ذكره العلم الحَدِيْث في هٰذَا الصدد.

٢- البحوث الروحية:

أثبتت البحوث الروحية الحياة بعد الموت علىٰ المستوىٰ التجريبي، فمن خصائص الإنسان التي يتمتع بها من قديم الزمان (الرؤيا)، ولٰكِن الحَقَائِق المثيرة التي اكتشفها عُلَمَاء النفس اليوم كانت عِلْمِيَّة عميقة، لم يكن للقدماء علم بها.

والبحوث الروحية وهي فرع من علم النفس الحَدِيْث تهدف إلىٰ الكَشْف عن ميزات الإنسان غير العادية، وقد أُقيمت لهٰذِهِ البحوث معاهد كثيرة في العالم، وأجرت تَجَارِب وَاسِعَة النطاق علىٰ آلاف الناس، وأثبتت هٰذِهِ المعاهد:

أن الشخصية الإنسانية تواصل بَقَاءها بعد فناء الجسد المادي في صورة غَرِيْبَة[١].

٣- الشهادة التجريبية:

والشهادة التجريبية التي تثبت الحياة بعد الموت هي: حياتنا الأُوْلَىٰ في حد ذاتها[٢]، فتَسْلِيْمنا بوقوع حادث في الحال وإنكاره في المستقبل، ما هو إلَّا عداء للمنطق والعقل، وقد ذكر جميع العُلَمَاء بما فيهم دارون الذين حاولوا شَرْح الكون والحياة: أنه لو هيئت الأحوال نفسها التي ساعدت في خلق الحياة الأُوْلَىٰ، فمن الممكن حدوث الحياة ولوازمها مرة أُخرىٰ.

غَايَة الإيمان باليَوم الآخِر

حين كرم اللهُ تعالىٰ ابنَ آدم، وجعله سَيِّد المخلوقات بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ - الإسراء ٧٠، وسخر له ما في السماوات والأرض، وأنزل

(١) انظر أمثلة من هٰذِهِ التَّجَارِب الروحية في كتاب: الإسلام يتحدىٰ ص٩٣.

(٢) سيأتي دليل البعث الجسماني من هٰذَا الكتاب.

عليه القُرْآن الكَرِيْم، فيه الآيات البينات، لا يعقل أن يخلقه، وهو الحَكِيْم، عَبَثاً أو سفهاً من غير قصد حقيقي، قال تعالىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ – المُؤْمِنون.

وقال: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ – القيامة ٣٦. أي: أيحسب أن يترك مهملاً بلا فائدة، لا يُؤمر ولا يُنهىٰ؟

إن غَايَة الخلق واضحة في الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ – الذاريات ٥٦، فهٰذَا تكليف وامتحان يميز به الخبيث من الطَّيِّب.

الحاجة إلى الإيمان باليوم الآخر

لما ثبت بما تقدم من الأَدِلَّـة أن الآخِـرَة ممكنة الحـدوث، وأن البحوث النفسية والروحية مُؤَيِّدَة لهٰذَا الاعْتِقَاد، نبين الآن أن العالم في حاجة إلىٰ الإيمان باليَوم الآخِر، ويتضح هٰذَا في الجوانب الآتية[1]:

١ – الجانب النفسي:

إن أمل الإنسان في الحصول علىٰ حياة مفضلة، في عالم حر مثالي مليء بالأفراح، مستقل عن حدود هٰذَا العالم ومشاكله، دليل نفسي قَوِيّ علىٰ الحاجة إلىٰ وجود عالم آخر، كالظمأ الذي يَدُلّ علىٰ الماء، وعلىٰ علاقة خاصة بَاطِنَة بين الماء وبين الإنسان.

ثم إن هٰذِهِ العَقِيْدَة موجودة منذ أقدم العصور، فلو كانت باطلة لما أثّرت علىٰ البشر بهٰذَا الشكل المدهش، إذ إننا لا نجد فكرة إنسانية واهية ظلت بَاقِيَة إلىٰ العَصْر الحاضر بهٰذَا التسلسل الرائع.

---

(١) الكلام عن الحاجة إلىٰ الايمان بالآخِرَة في: الإسلام يتحدىٰ ص٨٢ وما بعدها.

٢- الجانب الأخلاقي:

إن فِطْرَة الإنسان تميز بين الظلم والعَدْل، وبين الصالح والطالح، وهٰذِهِ الفطرة هي التي تميزه عن سواه ولٰكِنه قد يهدر هٰذِهِ الفطرة فيقتل بني جنسه ويشردهم، والتاريخ يفيض بقصص الظلم والعدوان، وصحفنا تتحدث يومياً عن الاغتيالات، وجرائم الخطف، والنهب، والاتهامات الكاذبة، والدعايات الباطلة، وسحق الشعوب. لٰكِن دواعي العدالة والإِنْصَاف في الضمير الإنساني تؤكد أن هٰذَا العالم ناقص في حد ذاته، وهٰذَا النقص في ذاته يقتضي ما يكمله. فلا بد من يوم يجني الظالم والمظلوم ثمارهما، فلا يعقل أن المُؤْمِن المُحْسِن المطيع الذي لم يحصل علىٰ أجره في الدنيا يخسره، فتذهب مُجَاهدته لنفسه هدراً.

ولا يعقل أن الله تعالىٰ يترك الفاجر الظالم سادراً في غَيِّه، يعيث في الأرض الفساد، ويقهر الآخرين، دون أن يناله العقاب، فيقتص منه لمن ظلمه. فكل من المُحْسِن والظالم لا بد أن ينال جزاءه في اليَوم الآخِر لا محالة، إذْ فيه: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ - النَّحْل ١١١، وإلّا لزم الظلم بالنسبة لله تعالىٰ، إذا ترك محاسبة الظالم، ومكافأة المطيع. والظلم محال علىٰ الباري عَزَّ وجَلَّ.

فالإيمان باليَوم الآخِر يجعل رقابة المرء علىٰ نفسه مستديمة، ويوفر السكينة والطمأنينة في القلوب، فيشعر المُؤْمِن بأن الدنيا متاع الغرور، فيزهد فيها، ولا يتكالب عليها، ليستأثر بما يريد، وإن أضر بمصلحة الآخرين، فتكون عندئذٍ غَايَة الحياة سَامِيةً، وهو عَمَل الخَيْر، وترك المُنْكَر، والتحلي بكل فضيلة، والتخلي عن كل رذيلة.

ومن هنا جعل القُرْآن الكَرِيم هٰذِهِ العَقِيْدَة طريقاً للدعوة إلىٰ الفَضَائِل، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ - البقرة ٢٢٣، فقرن أمره بتقوىٰ الله، بلقائه في الآخِرَة، لترسيخه في النفس.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ - البقرة

٢٧٢، فقرن الإنفاق في سَبِيْل الله، بإيفائه لهم في الآخِرَة.

وقد عُنيَ القُرْآن الكَرِيْم بترسيخ هٰذِهِ العَقِيْدَة في ذهن الإنسان، وجعلها هي الخَيْر والأبقىٰ، وأن الحياة الدنيا دار فناء، والساعي وراءها مغرور بمتعها ولذائذها الزائلة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ - العنكبوت ٦٤. وقال سُبحَانَهُ: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ - الأعلىٰ.

٣- السُّلُوْك:

قد يحقق الإنسان ما عهد إليه من أُمور خشية العقاب الذي ينتظره، إن لم يقم به علىٰ الوجه المُرَاد، ولٰكِن ما الذي يدفع المتمتع بالسلطة السياسية إلىٰ تَحْقِيْق العَدْل؟ ومن يقمع انحراف الإنسان إن لم يجد له رادعاً؟ أو كان في غفلةٍ عن المسؤولين إن مارس الظلم أو الرشوة أو التزوير أو استغلال النفوذ...؟

الحق أن هٰذَا الانحراف لا يقمعه سوىٰ الدافع المُنْبَعِث من نفس الإنسان، وهو الضمير. وهٰذِهِ الميزة غير متاحة إلَّا في عَقِيْدَة الآخِرَة، إذ إن الإنسان يشعر بأن الله تعالىٰ يراه أينما كان، ويحاسبه حساباً عسيراً.

قال فولتير: (إن أهمية الإلٰه والحياة الآخِرَة عَظِيْمَة جداً، حيث إنهما أَسَاسان لإقامة المبادئ الأخلاقية).

ويقول: (إن هٰذِهِ العَقِيْدَة وحدها كفيلة بإيجاد إطار أخلاقي أفضل للمجتمع، ولو أن هٰذِهِ العَقِيْدَة زالت. فلن نجد دافعاً للعَمَل الطَّيِّب، وسيترتب علىٰ ذٰلِكَ انهيار النِّظَام الاجتماعي).

فالحاجة الملحة إلىٰ الآخِرَة لتنظيم الحياة، وإقامتها علىٰ أُسس عادلة حقيقية، هي في حد ذاتها تأكيد علىٰ أن الآخِرَة من كبريات حَقَائِق الكون، وهٰذَا دليل منطقي واضح علىٰ أحقية الإيمان بها.

٤- الضرورة الكونية:

لا بد أن تكون هناك علاقة بين الإلٰه والإنسان، ولا بد من ظهورها، لأن العقل يستنكر إلٰهاً لا علاقة له بأُمور الكون، ولا يشهده عِبَاده في مظهر الخَالِق. ولٰكِن متىٰ تظهر هٰذِهِ العلاقة بصورةٍ جليةٍ؟

يمكن الجزم بأن هٰذِهِ العلاقة لم تظهر في الحياة الدنيا، فهٰذَا الملحد يقول: إني لا أخاف الله، ثم نراه يحصل علىٰ الرئاسة أو لا يصاب بأذىٰ... والمُؤْمِن قد ترد دعواه بحُجَّة أنها غير شَرْعِيَّة.

فهنا إما أن نؤمن بوجوده أو ننكره، فإن آمنا به فلا بد من أن نؤمن بالآخِرَة، وفي الآخِرَة فقط تظهر آثار الربط بين الخَالِق والمخلوق بجلاء، حيث الحساب فالثواب والعقاب الذي يلقىٰ الإنسان في مثواه الأَخِيْر.

إذ إن الخَالِق لهٰذَا الكون العَظِيْم لا يمكن أن ينهيه دون إبداء الأسباب التي دفعته إلىٰ هٰذَا الخلق، ودون تعريف مخلوقيه بصفاته العديدة.

المَبْحَث الثاني

اليَوم الآخِر عند غير المُسْلِمِيْن

في هٰذَا المَبْحَث نُبْذَة تاريخية عن فكرة اليَوم الآخِر، منذ أقدم الأزمنة إلىٰ وقتنا الحاضر، في أشهر الحَضَارَات والديانات العالمية.

١- في حَضَارَة وادي الرافدين

فكرة القيامة وبعث الأموات:

لم يوجد دليل من النصوص المسمارية يثبت أن العِرَاقِيِّيْن القدماء يعتقدون بقيامتهم وبعثهم من الموت، وليس هناك ما يثبت إمكانية عودة روح الميت (الاطمو) إلىٰ جسده[1].

وهٰذَا المعنىٰ نجده واضحاً علىٰ لِسَان (كلكامش) حين يندب صديقه (أنكيدو) فيقول: (آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً، وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين)[2].

أما حين تتحدث النصوص المسمارية القديمة عن عودتها إلىٰ عالم الأحياء، فإنها تقصد عودتها بهيئة أشباح مستقلة عن الجسد[3].

---

(١) عَقَائِد ما بعد الموت في حَضَارَة وادي الرافدين ص١١٣. وانظر: مُقَدِّمَة في تاريخ الحَضَارَات القديمة: طه باقر ج١ ص٢٣١. والأديان: د. رشدي عليان و د.سَعْدون الساموك ص٧٠-٧١.

(٢) عَقَائِد ما بعد الموت ص١١٥-١١٦.

(٣) المصدر السَّابِق ص١١٣.

فكرة الحساب:

ذهب الأُستاذ هايدل وكريمر وبعض الباحثين إلىٰ أن هناك إشارات واضحة في النصوص المسمارية القديمة تدل علىٰ اعْتِقَادهم بفكرة الحساب في عَقَائِد ما بعد الموت في العِرَاق القديم[١]، كما يعتقد المِصْرِيّوْن القدماء.

لٰكِن بعد النَّظَر في ما أوردوه من إشارات في النصوص المسمارية، رجح الباحثون انتفاء اعْتِقَادهم بوجود حساب للموتىٰ في عالم الأموات، وبالتالي انتفاء وجود عقاب أو ثواب في ذٰلِكَ العالم[٢].

وكان سكان وادي الرافدين القدماء يعتقدون أن الخَطِيْئَة قديمة بقِدَم الإنسان، يتعرض لارتكابها دائماً بقصد أو بدون قصد منه.

وارتكاب أي خَطِيْئَة ينجم عنه أضرار جسيمة[٣] تتجلىٰ في أمرين:

١- تخلي الآلهة عنه، فيقع عندئذٍ فريسةً للمصائب والكوَارِث والأمراض وتلاشي السكينة والهناء[٤]، يصف الملك آشور بانيبال الأحوال المتردية في دولته، أنهاعقاب تقرر عليه، فيقول:

(لماذا يحيط بي المرض وعذاب القلب والشقاء والألم؟ في البلاد تنتشر الاضطرابات، وفي البيت تحاك الدسائس، إنها تلازمني باستمرار، الكوَارِث والكلمات الشريرة تتجمع ضدي، لقد حنا مرض القلب ومرض الجسد قامتي... أصبح الموت نهايتي، إنني أتعذب بالقلق والحزن، فأقضي النهار والليل، ندبت: أيها الإلٰه سلط هٰذِهِ علىٰ الذي لا يخاف

---

(١) المصدر السَّابِق ص١٢٣-١٢٤.

(٢) انظر الحجج ومناقشتها في: عَقَائِد ما بعد الموت ص١٣٠.

(٣) عَقَائِد ما بعد الموت ص١٣٢-١٣٣.

(٤) المصدر السَّابِق ص١٣٥.

الآلهة، ودعني أرىٰ نورك أيها الإلٰه، لم قررت كل هٰذَا عَلَيّ؟ إني أتعذب كمن لا يخاف الآلهة)[١].

٢- تقصير أَجَل الحياة، وإحلال الموت بالمذنب، عقاباً له علىٰ ما ارتكبه من خَطِيْئَة. يَدُلّ علىٰ ذٰلِكَ ما ورد من نصوصٍ مسمارية مثل: (إذا قال شخصٌ ما في المستقبل بأن الحقل لم يوهب، فعسىٰ الآلهة: أنو، وأنليل، وإيا، وننا، وشمس، ومردوخ، ونسكو، وسدرننا، ونركال، ولازر، أن يستأصلوه من أَسَاسه، ويمحوا ذريته، عساهم أن ينهوا أمره، وأن يقرروا بأن لا يبقىٰ حياً يوماً وَاحِداً).

وورد معنىٰ هاتين العقوبتين فيما سَطَّرَه حمورابي في آخر شريعته، من الدَّعَوَات علىٰ كل من يتجاهل أَحْكَام شريعته، أو يمحو القوانين المشرعة فيها، أو يمحو اسم حمورابي ليكتب اسمه بدلاً عنه، أو يأمر شخصاً آخر للقيام بذٰلِكَ[٢]. وعلىٰ عكس ما تقدَّم، فإن الثواب وهو: صفاء العيش وطول العُمر يلحق من يفعل الفضيلة والحَسَنَات، والأَعْمَال الوَرِعَة، كالخوف من الآلهة، وتقديم القرابين، وبناء المعابد، وصنع التماثيل للآلهة، يتجلىٰ هٰذَا في نص مسماري:

(إن الخوف من الآلهة مدعاة للعطف، وإن القرابين تطيل العُمر، إن من يخاف الآلهة يطيل الإلٰه «الانوناكي» عُمره).

ويقول سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق. م.): (لحفظ راحتي، وإطالة أيامي، واستقرار حكمي، أركع علىٰ الدوام بنفسي في العِبَادَة)[٣].

وعلىٰ هٰذَا:

فإن عالم الأحياء في نظرهم هو دار الثواب والعقاب، وليس عالم الأموات. يَدُلّ

---

(١) المصدر السَّابِق ص١٣٨.

(٢) المصدر السَّابِق ص١٣٩-١٤٠.

(٣) المصدر السَّابِق ص١٤٢-١٤٣.

علىٰ ذٰلِكَ: أن عَقِيْدَة العقاب والثواب بعد الموت، تمثل الوازع النفسي في تصرفات المرء، وفي لحظات اخْتِيَاره ما بين ما يريد أن يفعله، وبين ما يجب أن يمتنع عنه. وعَقِيْدَة سكان وادي الرافدين هٰذِهِ قد جعلتهم عزلاً من أي ضمان، بانهزام الشر، وإنْصَاف المظلومين، وثواب الخَيِّرِيْن، في الحياة الأُخرىٰ في العالم الأسفل، لذٰلِكَ حمل الحياة في ظل حَضَارَة وادي الرافدين بكل أدوارها شحنات من القلق والتوتر والتساؤلات البائسة، إضافةً إلىٰ نوعٍ من الشعور بالإحباط[1].

والنصوص المسمارية توضح هٰذَا الجانب بشكلٍ جلي.

٢- عند المِصْرِيّيْن القدماء

يعتقد المِصْرِيّوْن القدماء سنة ٢٦٠٠ ق. م، أو قبل ذٰلِكَ، بحياة أُخرىٰ بعد الموت، يلقىٰ الفرد جزاءه علىٰ ما فعل من خَيْر أو شر، وهٰذِهِ العَقِيْدَة لم تكن قاصرةً علىٰ طبقة الكهنة، بل تعدتهم إلىٰ الأَوْساط الشَّعْبِيَّة.

يقول المرحوم عبد القَادِر حَمْزَة باشا في كتابه (علىٰ هامش التاريخ المِصْرِيّ القديم) عن هٰذِهِ الفترة:

(وفي هٰذَا الوقت كانت عِبَادَة «اوزريس» قد أخذت تنتشر وتصير عِبَادَة شَعْبِيَّة... وعِبَادَة اوزريس أَسَاسها الأول أن كل إنسان - ملكاً كان أو فرداً عادياً - مسؤول بعد الموت عن أَعْمَاله في الدنيا، أمام محكمة إلٰهِيَّة يتولىٰ القَضَاء فيها اوزريس نفسه، ويساعده فيها توت وهو إلٰه الحكمة والعلم، وأنوبيس وهو مدير دفن الأموات ودليلهم في الدار الآخِرَة، وحوريس وهو ابن اوزريس وايزيس، ومعات وهي آلهة الحقيقة والعَدْل، واثنان وأربعون قَاضِياً.

فإذا حكمت المحكمة بأن حَسَنَات الميت ترجح سيئاته، كُوْفِئ بالنَّعِيْم الخالد،

---

(١) المصدر السَّابِق ص١٤٤-١٤٦.

وصار مثل اوزريس. أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش، أو أن يلقىٰ في النار، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب)[١].

ثم يتحدث عن هٰـذَا الحساب في كتاب (الموتىٰ)[٢]، الذي وجد في أيام الدولة الوسطىٰ، ملخصاً هٰذِهِ العَقِيْدَة قائلاً:

كانوا يجسمون هٰذِهِ المحاسبة، فيضعون لها في كتاب الموتىٰ، وعلىٰ التَّوَابيت رسم محكمة ومحاكمة ومِيْزَان. وفي هٰذِهِ المحكمة يجلس اوزريس علىٰ عرشه، حَامِلاً عصاه وكرباجه، ومعه اثنان وأربعون قَاضِياً من الآلهة، ويلاحظ هنا أن مِصْر كانت مُقَسَّمَةً إلىٰ اثنين وأَربَعِين إقليماً، فكأن كلّاً من القُضَاة يمثل إقليماً من هٰذِهِ الأقاليم، فإذا جيء بالميت تسلمه انوبيس، وأخذ قلبه، فوضعه في إحدىٰ كفتي مِيْزَان، ووضع في الكفة الأُخرىٰ تمثال الآلهة معات أو ريشتها، ثم وقف الإلٰه توت بجانب المِيْزَان، وفي يده اليُمْنَىٰ قلم، وفي يده اليسرىٰ سجل يدون فيه نتيجة المِيْزَان، ثم يرفعها إلىٰ اوزريس، ويقف بالقرب من توت الوحش (امابيت)، وهو وحش له رأس تمساح وجسم أَسَد، متأهباً لأن يلتهم الميت الذي يصدر الحكم بالتهامه، وفي بعض الرسوم تضاف نيران إلىٰ المحكمة في مكان خاص منها، ليلقىٰ فيها المذنبون، والقلب في المِيْزَان يمثل أَعْمَال الميت في حياته، وهو الذي يشهد بكل ما فعله صاحبه من خَيْر أو شرٍ.

ثم يثبت نص قصة مِصْرِيَّة قديمة، عثر عليها المُصَوِّر لوجي جريفت في ورقة بردي. وهي في المتحف البريطاني، تصف رِحْلَة، قام بها فتى، اسمه (سينوزيرس) مع

---

(١) لٰكِن ورد في الدِّيْن المقارن لمَحْمُوْد أبي الفيض المَنُوْفِيّ ص٧١: أن المِصْرِيّيْن يعتقدون أن حَسَنَاته إذا ترجحت، دخل السَّعَادَة الأبدية. أما إذا ترجحت السيئات رده إلىٰ الأرض، ليكفر بواسطة أدوار التقمص من حيوان إلىٰ حيوان عن الذنوب التي ارتكبها، عندما وصل إلىٰ أعلىٰ درجة من المخلوقات وهي درجة الإنسان. وعَقِيْدَة التناسخ هٰذِهِ أخذها المِصْرِيّوْن عن الهنود.

(٢) **كتاب (الموتىٰ)** له شأن كَبِيْر، إذ زعموا أن أَحَد الآلهة قد كتبه بيده، فكانوا يتعبدون به في الحياة، ويوضع معهم في القبور. / الأديان: د. رشدي عليان و د. سَعْدون الساموك ص٦٠.

أبيه (ساتني)، ليطلعه علىٰ طريقة الحساب والثواب والعقاب في العالم الآخر. وهي تدل علىٰ أن الحساب لا علاقة له بالغنىٰ والفقر، ويصف فيها نُزُوْلهم إلىٰ دار محاسبة الأموات، فيدخلان سبع قاعات وَاسِعَة، مملوءة بالناس من جميع الطَّبَقَات، فشَاهدا ناساً تأكل الحمير من خلفهم، وأُناساً يثبون إلىٰ طعام معلق فوق رؤوسهم فلا يدركونه، بينما الحفارون يحفرون تحت أقدامهم، ليزدادوا بُعْداً عن الطعام المعلق.

وشَاهدا رجلاً منطرحاً تحت الباب علىٰ ظهره، ومحور هٰذَا الباب تركز في عينه اليُمْنَىٰ، يدور عليها كلما فتح أو قفل، وهو لا ينفك يفتح ويقفل، والرجل يصيح من الألم.

ثم وجدا أرواحاً من الأبرار، لكل منها مكان تُقِيْم فيه، وجاء تصوير الخَيْر والشر، الذي يترتب الجزاء عليهما علىٰ لِسَان أحد الموتىٰ، في خطاب وجهه إلىٰ اوزريس، للدفاع، في النص الموجود في كتاب الموتىٰ يقول:

(لقد جئت إليك أجلب الحقيقة، وأطرد الخَطِيْئَة، إنني لم أُقارف الشر، ولم أعتدِ، ولم أسرق، ولم أقتل غدراً، ولم أمس القرابين، ولم أكذب، ولم أُسل دموع أَحَد، ولم أتدنس، ولم أذبح الحيوانات المقدسة، ولم أتلف أرضاً مزروعة، ولم أقذف، ولم أترك الغضب يخرجني إلىٰ غير الحق، ولم أزنِ، ولم أرفض أن أسمع كلمة العَدْل، ولم أُسيء الظن بالملك ولا بأبي، ولم أُلوث الماء، ولم أحمل سَيِّداً علىٰ أن يسيء إلىٰ عَبْدِهِ، ولم أحلف كاذباً، ولم أغش في المِيْزَان، ولم أمنع اللَّبَن عن أفواه الرضَّع، ولم أصد طيور الآلهة، ولم أرد ماء إلَّا حين الحاجة إليه، ولم أَسد قناةَ رَيٍّ علىٰ غيري، ولم أُطفئ ناراً يجب أن تشتعل، ولم يخطر علىٰ بالي أن أستخف بالآلهة... إنني طاهر طاهر).

أما تصورهم للعقاب فقد مر طرف منه.

وأما تصورهم للثواب فهو الصعود إلىٰ السماء بعد رِحْلَة جمة المخاطر، للإقامة مع الآلهة أو مع الإله (رع) في سفينته، ويسمىٰ هٰؤُلَاءِ الممجدين، وهٰؤُلَاءِ يقيمون في حقل

الطعام، يتناولون أطعمة شهية مُخْتَلِفَة، تتجدد ولا تنفد، وصحتهم تزداد تحسناً، فاليوم أَحْسَن من أمس، وغداً أَحْسَن من اليوم، كما أن السماء (نوت) والثعبان الذي يحمي الشمس، يعطيان الصاعد إلىٰ السماء حين وُصُوْله إليهما ثدييهما، ليرضع منهما، فمتىٰ رضع عاد صبياً[١].

٣- في الديانة الزَّرَادَشْتِيَّة

هنالك تشابه كَبِيْر في عَقِيْدَة الزَّرَادَشْتِيَّة ومِصْر القديمة، في الحساب والنَّعِيْم والجحيم، ويتضح هٰذَا فيما يأتي:

يرىٰ الزَّرَادَشْتِيُّوْن أنه عندما يموت الميت، تظل الروح ثلاثة أيام وثلاث ليال معلقة إلىٰ جانب الجسم، مُنَعَّمَة بنَعِيْمه أو مُعَذَّبَة بعذابه، وفي فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح: إما عطرة إذا كان الميت خَيِّراً، وإما نتنة إذا كان الميت شريراً، فتحملها إلىٰ موضع يَلْتَقِي فيه: إما بفتاة جميلة، وإما بعجوز مُفزِعة، وليست الأُوْلَىٰ فتاة حقيقية، ولا الثانية عجوزاً حقيقية، وإنما هي صورة أَعْمَال الميت، وهي ضميره الذي يقوده إلىٰ حيث معبر الحساب والحكم الأَخِيْر.

وعلىٰ باب هٰذَا المعبر يوجد ثلاثة قُضَاة بينهم (ميتهرا)، وهناك ينصب مِيْزَان، توضع في إحدىٰ كفتيه حَسَنَات الميت، وفي الأُخرىٰ سيئاته، وبناء علىٰ صعود إحدىٰ الكفتين أو هبوطها، يصدر الحكم علىٰ مصير هٰذَا الميت.

وعلىٰ أثر انتهاء الوزن وصدور الحكم، يؤمر المحاسَب بالمرور فوق هٰذَا المعبر، أو الصراط الممتد فوق الجحيم، الذي يتسع أمام الأخيار، ويضيق حتىٰ يكون أدق من

---

(١) مشَاهد القيامة في القُرْآن ص١٢-١٧ مشيراً إلىٰ كتاب «علىٰ هامش التاريخ المِصْرِيّ القديم». وانظر في هٰذَا أيضاً: الأديان: د.رشدي عليان ود.سَعْدون الساموك ص٥٨ ومُقَدِّمَة في تاريخ الحَضَارَات القديمة - طه باقر ج٢ ص٩٦-١٠٠.

الشعرة، وأَحَدّ من الشفرة أمام الأشرار، فهٰؤُلَاءِ الأَخِيْرون يهوون في جحيم مظلم ظلاماً كثيفاً إلىٰ حد يستطاع معه لمسه باليد، فإذا هووا في الجحيم كانوا متزاحمين، كأنهم كمية من الشَّعَر في مَعْرَفَة حصان، ومع ذٰلِكَ فكل وَاحِد منهم يشعر في وسط هٰذَا الزحام بوحدة قاسية وعزلة ممضة.

أما الأخيار فيذهبون إلىٰ النُّوْر، حيث يستقبلهم (أهورا مازدا) - وهو إلٰه الخَيْر خَالِق الكون، وحافظه من الفساد، الذي يحاوله إلٰه الشر (اهريمان) - بعد أن يمروا في وسط العَمَل الصالح، والقول والخَيْر، والفكرة الطَّيِّبة، وهناك يستمتعون في كنف مازدا بالسَّعَادَة الأبدية[1].

٤- عند الإغريق القدماء

ظهرت عَقِيْدَة الإيمان باليَوم الآخِر في اوديس هوميروس، الذي عاش حوالي القرن التاسع قبل المِيْلَاد، والغالب أنها كانت موجودة قبل هوميروس، فضمَّنها ملحمته.

يذكر هوميروس علىٰ لِسَان (عوليس)، بطل الاوديسة، أنه رأىٰ في (هيدز)، أي: العالم السفلي تحت الأرض، الإلٰه (مينوس) جالساً علىٰ عرشه، والصولجان الذَّهَبِيّ في يده، والموتىٰ يعرضون عليه قضاياهم. وقد تجمعت جموعهم عند البوابات الكَبِيْرَة، ينتظرون دورهم في عرض قضاياهم.

ومن ألوان العذاب التي رآها أنه شَاهد (تيتوس) الجَبَّار منبطحاً علىٰ الأرض، بحيث يشغل تسعة أفدنة، وعلىٰ كل من جنبيه أُفعوان هائل أَرْقَم، يتغذىٰ بمضغ من

(١) مشَاهد القيامة في القُرْآن ص١٩-٢٠ مشيراً إلىٰ كتاب الفلسفة الشَّرْقِيَّة للدكتور مُحَمَّد غلاب. وانظر: الأديان السَّابِق ص١٢٩ وفي العَقَائِد والأديان للدكتور مُحَمَّد جَابِر عبد العال ص١٦٣ وقصة الديانات لسُلَيْمَان مظهر ص٣١٤.

كبده الكَبِيْر الدامي ومن أحشائه الغلاظ، جزاء علىٰ محاولته اجتذاب (لاتونا) عشيقة كَبِيْر الآلهة.

وشَاهد (تانتالوس) يتخبط في عَيْن حَمِئَةٍ من الماء الساخن، وقد غاص فيها إلىٰ ذقنه، والموج يضرب وجهه، ومع ذٰلِكَ يلهث من شدّة الظمأ، وفوق رأسه أشجار الفاكهة لا تصل يده إليها.

وشَاهد (سيفوس) يدفع صَخْرة كَبِيْرَة، ليصل بها إلىٰ أعلىٰ جَبَل، حتىٰ إذا أراد الوُصُوْل تدحرجت الصَّخْرَة إلىٰ أرض الجحيم، وقد أضناه التعب الفظيع.

وشَاهد (هِرَقْل) الجَبَّار محكوماً عليه بأن يطيع ويخدم ابن عمه (يوريذوس)[١].

والشاعر (بندار) في القرن الخامس قبل المِيْلَاد يقول في قصيدته الأولمبية الثانية:

سيجد العظماء في الأرض قَاضِياً في الجحيم، فالذين ارتكبوا منهم أَعْمَالاً محرمة تحَاكِمهم الآلهة (انانكي).

ومع أنه لم يبين كيفية المحاسبة لٰكِنه بهٰذَا يقرب من عَقِيْدَة المِصْرِيّيْن في عدالة الحساب.

ويقول أفلاطون (ولد بين سنتي ٤٢٩-٤٢٧ ق. م.): فإذا جاء الأموات أمام قَاضِيهم، دعاهم (ردامانت) وهو أخو مينوس إلىٰ القرب منه، ثم فحص روح كل وَاحِد منهم من غير أن يعرف لمن هي... فإذا وجدها مملوءةً فساداً وخبثاً وكانت قد عاشت بعيداً عن الحقيقة بعث بها إلىٰ السجن، لتتلقىٰ به العقاب الذي تستحقه، وردمانت يرسل المحكوم عليهم إلىٰ قاع الجحيم، بعد أن يسِمهم بمِيْسَم تبعاً لقابلياتهم أو عدم قابليتهم للتطهير. أما الروح الذي يرىٰ أنه عاش في الطهر وفي الحقيقة، فإنه يبتهج به، ويرسله إلىٰ الجَزَائِر السَّعِيْدة[٢].

---

(١) مشَاهد القيامة في القُرْآن ص٢١-٢٣ عن كتاب الاوديسة للأُستاذ دريني خشبة.

(٢) مشَاهد القيامة ص٢٧-٢٨ نَقْلًا عن (مورى) ترجمة: عبد القَادِر حَمْزَة باشا.

٥- عند الرُّوْمان

وذكر صور الحساب أَيضاً الشاعر فرجيل شاعر الرُّوْمان الأكبر (٧٠-١٩ ق. م.) في ملحمته الإلياذة فيذكر:

أن اينياس بطل الملحمة يذهب إلىٰ العالم السفلي، للالتقاء بروح أبيه (انشير) لاستفتائها في مستقبله ومستقبل ذريته، ويهبط مع كاهنة تقوده إلىٰ منازل الموتىٰ، وقد امتلأت أشباحاً وأرواحاً، ويعبران نهر (ستكس)، وهو نهر في الجحيم مليء بالحيات، والحيوانات المخيفة، ومرا في عالم كله يأس وقنوط، وأَخِيْراً لقي أباه، فأنبأه بما قد كتب لسلالته من مَجْد وفخار[1].

٦- عند الهِنْدوس

لا يعتقد الهِنْدوس بالحياة الأُخرىٰ التي يكون فيها الجزاء، ولٰكِنهم يعتقدون بالكارما أي قَانُوْن الجزاء، ويعني:

أن جميع أَعْمَال البشر الاخْتِيَارِيَّة خَيْراً كانت أم شراً، لا بد أن يجازىٰ عليهم بالثواب أو بالعقاب، بناءً علىٰ ناموس العَدْل الصارم، وهٰذَا الجزاء يكون في الحياة.

ولٰكِنهم حين رأوا أن الجزاء قد لا يقع، فيموت الظالم، ولا يقتص منه، ويموت المُحْسِن، دون أن يحسن إليه، لجؤوا إلىٰ القول بالتناسخ.

والتناسخ ويسمىٰ (تكرار المولد) هو: رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلىٰ العالم الأرضي في جسم آخر.

وسبب التناسخ أن الروح خرجت ولها شهوات لم تتحقق بعد، وعليها ديون كثيرة لا بد من أدائها، فلا بد من أن تتذوق ثمار أَعْمَالها في حياة أُخرىٰ، أي في جسد آخر، فإن لم

---

(١) مشَاهد القيامة ص٢٨ نَقْلًا عن (قصة الأدب في العالم) لأَحْمَد أمين و(عن أساطير الحب والجمال عند الإغريق) لدريني خشبة.

تصلح في هٰذَا الجسد، ففي جسد آخر، وهٰكَذَا إلىٰ أن تكتمل الميول والشهوات، وتستوفي الديون، فإن اكتملت نجت روحه، وتخلصت من التناسخ، وامتزجت بالبَرَاهِما[١].

ونشأ ما هو مشهور عندهم من تعذيب الجسد بالصوم، والزهد المفرط، وأرق الليل، وتعذيب النفس، وتعريضه لأشق التَّجَارِب، حتىٰ يبدو هٰذَا دائماً كثير الهموم والخوف والتشاؤم في سَبِيْل تخليص الروح من سَيْطَرَة الجسد، لتنطلق منه في النِّهَايَة، وتتحد مع البَرَاهِما[٢].

٧- عند الصَّابِئَة

يعتقد الصَّابِئَة المَنْدَائِيُّون أن الموت انتقال من العالم المادي - الذي هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح - إلىٰ العالم الروحي، وتخلد هناك، فتتحاسب حساباً عسيراً، بأن توزن أَعْمَال صاحبها، فإن رجحت حَسَنَاته فإن روحه تذهب إلىٰ عالم الأَنْوَار (الجنة)، فتتنعم كالقِدِّيْسِيْن والرُّوْحَانيين. وإن رجحت سيئاته فإن روحه تقاد إلىٰ المطهر (المطراثه) في عالم الظلام (النار)، حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلىٰ أن تتطهر من ذنوبها، ثم ترسل إلىٰ عالم الأَنْوَار[٣].

---

(١) مقارنة الأديان - أديان الهِنْد الكبرىٰ - د. أَحْمَد شَلَبِي ص٦٢-٦٣ والأديان السَّابِق ص٨٩.

والهِنْدُوْسِيَّة: ديانة الجمهرة العظمىٰ في الهِنْد الآن، وتسمىٰ الهِنْدوكية، وسميت البرهمية ابتداءً من القرن الثامن قبل المِيْلَاد، نسبة إلىٰ بَرَاهِمَا. وهو: القوة السحرية العَظِيْمَة الكَامِنَة التي تطلب كَثيراً من العِبَادات كقِرَاءَة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين. ومن بَرَاهِمَا اشتقت الكلمة (البَرَاهِمَة) لتكون عَلَماً علىٰ رِجَال الدِّيْن الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلٰهِيّ، ولذا كانوا كهنة الأُمَّة، لا تجوز الذبائح إلَّا بحضرتهم وعلىٰ أيديهم. / أديان الهِنْد الكبرىٰ - د. أَحْمَد شَلَبِي ص٣٩.

(٢) أديان الهِنْد الكبرىٰ ص٦٩ ومشَاهد القيامة ص٢٥.

(٣) الأديان السَّابِق ص١٨٧ والصَّابِئُون - حَرَّانِيِّيْن ومَنْدَائِيِّيْن، للدكتور رشدي عليان.

٨- عند اليَهُوْد

اليَهُوْدِيَّة في جوهرها أُسْلُوْب حياة، لا عَقِيْدَة تعتقد، ومجالها الأوحد هو هٰذَا العالم الحاضر، وليس فيها وراء هٰذَا العالم.

وفي دائرة المَعَارِف العِبْرِيَّة يقرر كوهلر: إن اليَهُوْدِيَّة ليست عَقِيْدَة، أو نِظَاماً من العَقَائِد يتوقف علىٰ قبولها الفِدَاء أو الخلاص في المستقبل، ولٰكِنها نِظَام للسُّلُوْك البشري وناموس البِرّ الذي يتحتم علىٰ الإنسان اتباعه.

ولما كانت اليَهُوْدِيَّة دينَ أَعْمَال لا دين إيمانٍ، لم يتكلم اليَهُوْد في كتبهم عن الآخِرَة والبعث والحساب، لأنها أُمور متوقفة علىٰ العَقِيْدَة، والثواب والعقاب عندهم يَتِمّ في الحياة الدنيا. لٰكِن بعد احتلال الفُرْس - الذين يدينون بديانة زَرَادَشْتْ - بلادَ بَابِل ودولتي اليَهُوْد، وبعد أن سمح قورش ملك الفُرْس لليَهُوْد بالعودة إلىٰ فِلَسْطِيْن، وإعادة بناء مَعْبَدهم، قامت علاقات طيبة بين اليَهُوْد والفُرْس، فدرس اليَهُوْد عَقَائِد زَرَادَشْت، فاقتبسوا منهم الاعْتِقَاد بالحياة الآخِرَة.

وفي هٰذَا الوقت بدأ الأنبياء أشعيا ودانيال كما في سفر دانيال، يذكِّرون الناس بيوم البعث والحساب والجزاء، لٰكِن اليَهُوْد حين تحدثوا عن الآخِرَة كانوا يعنون بها غير ما تعنيه الديانات الأُخرىٰ من وجود دار حساب علىٰ ما قدم في حياته الأُوْلَىٰ، فاليَهُوْد عند الباحثين قسمان:

أ- قسم عاش في حياته الدنيا سَعِيْداً حراً، وهٰؤُلَاءِ حصلوا علىٰ الجانب المادي من رِضَا إلٰههم.

ب- وقسم عاش تحت سُلْطَان الجوييم، أو مشرداً في المنفىٰ، فهٰؤُلَاءِ من حقهم العودة للحياة مرة أُخرىٰ، لينالوا نصيبهم من النَّعِيْم.

وقد حاول بعضُ طائفة الفريسيين القول بها، لٰكِن هٰذِهِ المحاولة لقيت مُعَارَضَة شديدةً، أما بَاقِي الفرق اليَهُوْدِيَّة فلم تعرف عنها شَيئاً[١].

٩- عند النَّصَارَى

يعتقد النَّصَارَىٰ باليَوم الآخِر، وبعث الأموات من القبور والحساب علىٰ ما قدم الإنسان من عَمَل في الحياة الدنيا، لٰكِنهم يقولون بأن المحاسِب هو المَسِيْح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن الجنة جزاء من يعمل الخَيْر، والنار جزاء من يعمل الشر[٢].

يقول النَّصَارَىٰ: إن المَسِيْح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قام بالتكفير عن خطايا الناس، والتكفير هو الصلب، لهٰذَا صلب ورَضِيَ اللهُ عن صلبه، وهو ابنه، ودفن بعد الصلب، ولٰكِنه قام بعد ثلاثة من قبره، وإن اختلفت الأناجيل في تفصيل القيام، فمَتَّىٰ يقول: إنه ظهر في الجَلِيْل، ولوقا: في اورشليم، ويوحنا: في اليَهُوْدِيَّة والجَلِيْل معاً، ومرقس قال: إنه ظهر بين تلاميذه[٣].

قالوا: ولم يمكث المَسِيْح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد قيامته هٰذِهِ إلَّا أَربَعِين يوماً، ثم ارتفع بعدها إلىٰ السماء، وجلس بجوار الأب، والاب لا يدين أَحَداً، بل أعطىٰ ذٰلِكَ للابن، لذٰلِكَ سيأتي المَسِيْح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليدين الناس يوم القيامة. يحاسب كل إنسان علىٰ ما فعل وفكر، فإن خَيْراً فخَيْر، وإن شراً فشر، وله بهٰذَا الملك الأبدي، فلا فناء لملكه.

ففي إنجيل يوحنا: (الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة، وهي الآن حين يسمع الأموات

---

(١) اليَهُوْدِيَّة: د. أَحْمَد شَلَبِي ص١٩٤-١٩٦.

(٢) مشَاهد القيامة ص٣٣ وذكر: ولا نستطيع أن نجزم متىٰ يوم القيامة أو يوم قيامته؟ بعد دفنه بثلاثة أيام، كما ورد في الأناجيل.

(٣) محاضرات في النَّصْرَانِيَّة: أبو زُهْرَة ص١٠٥.

صوت ابن الله، والسامعون يحيون، لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كذٰلِكَ أعطىٰ الابن أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سُلْطَاناً أن يدين أَيضاً، لأنه ابن الإنسان. لا تعجبوا من هٰذَا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلىٰ قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلىٰ قيامة الدَّيْنُوْنَة، أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شَيئاً، كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الأب الذي أرسلني[1].

(١) المصدر السَّابِق ص١٠٧.

المَبْحَث الثالث

اليَوم الآخِر في الإسلام

من الأُمور المُسَلَّم بها في الدِّيْن الإسلامِيّ الاعْتِقَاد بحياة أُخرىٰ بعد الموت، يُبعث الناس بعد موتهم، ويحاسبون علىٰ ما قدموا من أَعْمَال، فيُجازون عليها، فأما الذين آمنوا وعَمَلوا الصالحات فلهم جنة الخلد، وأما الذين كفروا وعَمِلوا السيئات فلهم النار، يشقون فيها بالعذاب الشديد، قال تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ - الزلزلة.

تسميته

سُمِّيَ باليَوم الآخِر لأنه آخر أيام الدنيا، بمعنىٰ أنه مُتَّصِل بآخر أيام الدنيا، لأنه ليس منها حتىٰ يكون آخرها.

وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم، وقيامهم بين يدي خَالِقهم، وقيام الحُجَّة لهم وعليهم، وله نحو ثلاثمائة اسم[1].

حكم الإيمان باليَوم الآخِر

الإيمان باليَوم الآخِر رُكْن من أركان الإيمان، يكفر من لا يؤمن به بالإجماع. وقد فصَّل القُرْآن الكَرِيْم والحَدِيْث النَّبَوِيّ الشَّرِيْف أخبار اليَوم الآخِر، وما يتصل به من مشَاهد القيامة، وفصَّل أوصاف أهله في الجنة والنار، برزت في المَشَاهد حية واضحة مكتمِلَة السِّمَات، تخفق لها القلوب، وتقشعر منها الأَبْدَان.

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٨٨.

طريق ثُبُوْته

أخبار اليَوم الآخِر وأوصافه من الأُمور الغيبية التي لم يدركها أَحَد، إذ إن وقوعها يكون بعد الموت.

لذٰلِكَ فإنا سنقتصر في بحثنا هٰذَا علىٰ ما ورد فيها من تلك الأخبار والأوصاف، بطريق ينتهي إلىٰ اليقين، وهٰذَا الطريق هو: القُرْآن الكَرِيْم كلام الله تعالىٰ، الذي أثبتنا أنه لا يقبل في خبره شك. والسُّنَّة النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحة الثَّابِتَة، التي وردت عن لِسَان النَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ الصَّادِق الأمين في ما يبلِّغه عن الله تعالىٰ.

تاركين الأَحَادِيْث التي فيها ضعف، لأن هٰذَا الكلام يخص الاعْتِقَاد، وهٰذَا السَّبِيْل يقطع بالصحة لإثبات عقيدتنا باليَوم الآخِر.

طريق فهم الغيبيات واعْتِقَادها

الإيمان باليَوم الآخِر من الإيمان بالغيب الذي يجب أن نستيقنه، ويمكن أن نقرِّب طريقة فهمه بما يأتي:

١- رأىٰ الطبيب في يدك كأساً من الماء، فتأمل به، فقال لك: لا تشرب هٰذَا الماء، فإنه ملوَّث، يعرض حياتك للخطر. وأنت لا تعلم عن الطب والماء وخصائصه شَيئاً سوىٰ أن هٰذَا الطبيب حاذق.

٢- أُخبرتَ أن عُلَمَاء الأرصاد والفلك حددوا خسوف القمر في ليلةٍ معينةٍ، أو هبوب رياح عاتية في يومٍ ما، ورأيت أن الخبر يقيني رسمي.

لا شك أنك تستيقن ذٰلِكَ لأمرين هما:

أ- يقينك بأن الطبيب حاذق، وأن عُلَمَاء الأرصاد صَادِقون فيما يخبرون.

ب- يقينك بأن كلام الطبيب وخبر عُلَمَاء الأرصاد يقيني صادر من جهةٍ رسميةٍ،

علىٰ نحو لا يحتمل الكذب.

هٰذَان الأمران وإن كانا من الأُمور الغيبية، إلَّا أنك استيقنتهما، فلم تعد تشك في جزء منهما[١].

ونحن بعد أن أقمنا الأَدِلَّة علىٰ وجود الله تعالىٰ، وأنه كالئ الكون بعنايته ورعايته، وعلىٰ أن مُحَمَّداً رَسُوْل الله حقاً، صَادِق فيما يخبر عن الله تعالىٰ، وقد وصل خبره إلىٰ درجة اليقين الذي لا شك فيه، استيقَنَّا عندئذٍ أن ما أَخْبَرَنَا به عن أحوال اليَوم الآخِر هو حق لا مِرْيَةَ فيه، وإن كان ذٰلِكَ من الأُمور الغيبية، التي لا تحكم الحواس فيها بالقطع أو النفي.

الإيمان باليَوم الآخِر هو نتيجة الإيمان بالله

لا يكون المرء مُؤْمِناً باليَوم الآخِر إلَّا إذا آمن بالله تعالىٰ، لذٰلِكَ قرن القُرْآنُ الكَرِيْم بينهما في مواضع كثيرة منها:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ - البقرة ٨.

وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ - البقرة ١٧٧[٢].

فلا معنىٰ إذن للإيمان باليَوم الآخِر من غير الإيمان بالله عَزَّ وجَلَّ وأنبيائه.

---

(١) كبرىٰ اليقينيات الكونية ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) وانظر اقتران الإيمان باليَوم الآخِر والإيمان بالله تعالىٰ في الآيات الآتية: سورة البقرة ٦٢، ١٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٦٤. آل عِمْرَان ١١٤. النساء ٣٨، ٣٩، ٥٩، ١٦٢. المائدة ٦٩. التوبة ١٨، ١٩، ٢٩، ٤٤، ٤٥، ٩٩. النُّوْر ٢. العنكبوت ٣٦. الأحزاب ٢١. المجادلة ٢٢. الممتحنة ٦. الطلاق ٢.

لذٰلِكَ كان عَبَثاً أن تجادل باليَوم الآخِر من لا يؤمن بالله تعالىٰ، لأن مَثَلَكَ عندئذٍ مَثَلُ من ينبئ شخصاً بوُصُوْل الإنسان إلىٰ القمر، وذٰلِكَ ينكر وُصُوْله، وهو يجهل الأُمور البدهية، التي صار إليها علم الفلك الآن.

فالمجادل في الحياة الآخِرَة نحيله إلىٰ البَرَاهِيْن القطعية علىٰ وجوده تعالىٰ، وقدرته وصفاته الكَامِلَة التي أسلفناها في باب الإلٰهِيَّات.

فإذا ثبت لنا وجوده تعالىٰ، وثبتت النُّبُوَّة، فيجب عندئذٍ أن يكون هناك بعث ومحاسبة، يجزىٰ المرء حسب عَمَله، قال تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ - الزلزلة، وإلَّا يلزم الظلم بالنسبة للخَالِق، إذا ترك محاسبة العاصي وإثابة المطيع، والظلم محال علىٰ الله تعالىٰ.

الحياة الأُخرى

انقطاع العَمَل بالموت

يقول الرَّسُوْل ﷺ: إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عَمَله إلَّا من ثلاثة: إلَّا من صَدَقَة جَارِيَةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدعو له[1].

فالموت هو الحد الفَاصِل بين الحياة الدنيا وبين الآخِرَة، وعليه فإن منازل الآخِرَة تبدأ بمجرد مغادرة الروح البدن.

وهنا سنتحدث عن هٰذِهِ المنازل مُسَلْسَلة مبتدئاً بالموت، وما يتصل به، وما يتبعه إلىٰ قيام الساعة وما يتلوها من مشَاهد، حتىٰ استقرار الإنسان في الجنة أو النار.

---

(١) حَدِيْث: إذا ماتَ الإنسانُ... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٢٥ كتاب الوصية، ٣ باب ما يَلْحَق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ١٦٣١، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سوء الخاتمة والأَعْمَال بالخواتيم

قال رَسُوْل الله ﷺ: إنَّ الرَّجُلَ لَيَعمل الزمنَ الطَّوِيْل بعَمَل أَهلِ الجَنَّة، ثم يُختَم له عَمَله بعَمَل أَهلِ النار، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعمل الزمنَ الطَّوِيْل بعَمَل أَهلِ النار، ثم يُختَم له عَمَله بعَمَل أَهلِ الجَنَّة[1].

وقال النَّبِيّ ﷺ: إنَّ العبدَ لَيَعمل عَمَل أَهل النار وإنه من أَهل الجَنَّة، ويَعمل عَمَل أَهل الجَنَّةِ وإنه من أَهل النارِ، وإنما الأَعْمَال بالخَوَاتِيْم[2].

وتكون سوء الخاتمة:

١- لمن أصر علىٰ الكبائر، وأقدم علىٰ المحرمات، فربما غلب عليه ذٰلِكَ، حتىٰ ينزل به الموت قبل التوبة. فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة.

٢- لمن كان مُستقِيماً ثم يتغير عن حاله، ويخرج عن سننه.

لذٰلِكَ قال العُلَمَاء: (فلا تعجب بإيمانك وعَمَلك، وصلاتك وصومك، وجميع قُرَبك، فإن ذٰلِكَ وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك... فمهما افتخرت بذٰلِكَ كنت كالمفتخر بمتاع غيرك، وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخَيْر أخلىٰ من جوف الطير، فكم من رَوْضَة أمست وزهرها يانع عميم، فأصبحت وزهرها يابس هشيم... كذٰلِكَ العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سَلِيْم، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم)[3].

ولذٰلِكَ أوجب اللهُ تعالىٰ التوبة علىٰ المُؤْمِنين، لتحسن خاتمتهم، ويكون مصيرهم

---

(١) حَدِيْث: **إنَّ الرَّجُلَ لَيَعمل الزمنَ الطَّوِيْل**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٦ كتاب القَدَر، ١ باب كيفية خَلْق الآدمي في بطن أُمِّه...، رقم ٢٦٥١، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) حَدِيْث: **إنَّ العبدَ لَيَعمل عَمَل أَهل النار**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٢ كتاب القَدَر، ٥ باب العَمَل بالخَوَاتِيْم، رقم ٦٦٠٧، عن سَهْل بن سَعْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٦-٣٨.

الجنة، فإن العبد لا يدري متىٰ تقبض روحه، إذ إن الموت يأتي علىٰ الصَّغِيْر والكَبِيْر، والصَّحِيْح والسقيم.

فلا بد أن يبادر الإنسانُ إلىٰ طاعة ربه، ما دام مكلفاً شرعاً، لأن سنَّ التكليف يتعلق به الثواب والعقاب. والطاعة سَبِيْل الوُصُوْل إلىٰ جنة الفردوس.

التَّوْبَة

التوبة في أصل اللُّغَة: الرجوع. يقال: تاب، أي: رجع.

وفي الاصْطِلَاح: الرجوع عما كان مذموماً في الشَّرْع إلىٰ ما هو مَحْمُوْد فيه[1].

قال النَّبِيّ ﷺ: (إنَّ اللهَ يَقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ)[2]، أي: عند الغرغرة وبُلُوْغ الروح الحُلْقُوم، وإنما يغرغر إذا قُطِع الوَتِيْن.

والتوبة فرض علىٰ المُؤْمِنين باتفاق المُسْلِمِيْن، بدليل:

قوله تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ - النُّوْر ٣١.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ - التحريم ٨.

شروط التوبة

١- الندم بالقلب علىٰ ما اقترف من معصية.

٢- ترك المعصية في الحال.

٣- العزم علىٰ أن لا يعود إلىٰ مثلها في المستقبل.

---

(١) الرِّسَالَة القُشَيْرِيَّة ص٤٥.

(٢) **حَدِيْث: إنَّ اللهَ يَقبلُ توبةَ العبدِ**... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٤٤ كتاب الدَّعَوات، ٩٨ باب، رقم ٣٥٣٧، ص٥٥٦، عن ابن عُمَر. وقال: حَدِيْث حَسَن غَرِيْب.

٤- أن يكون ذٰلِكَ حياءً من الله تعالىٰ وخوفاً منه لا من غيره.

فإذا فقد شرط من هٰذِهِ الشروط لم تصح التوبة[١]. فمثلًا: لو ترك المعصيةَ من غير نَدَمٍ لا يكون تائباً شرعاً، وكذٰلِكَ من نَدِمَ عليها لكونها أَضَرَّت ببدنه[٢].

هٰذَا إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالىٰ، لا تتعلق بحق لآدمي.

فإن كانت متعلقة بحق آدمي، فيشترط إضافة إلىٰ الشروط المتقدمة: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مَكَّنه منه، أو طلب عَفوه، وإن كانت غِيْبَةً استحله منها[٣].

أما حَدِيْث (النَّدَمُ توبةٌ)[٤]، فهو نص علىٰ معظمه، أي معظم أركانها الندم. فهو كما قال النَّبِيّ ﷺ: (الحج عَرَفَة)[٥]. أي: معظم أركانه عَرَفَة، أي: الوقوف بها.

ومن أهل التَّحْقِيْق من قال: يكفي الندم من تَحْقِيْق ذٰلِكَ، لأن الندم يستتبع ما بعده، فإنه يستحيل تقدِير أن يكون نادماً علىٰ ما هو مُصِرّ علىٰ مثله، أو عازم علىٰ الإتيان بمثله[٦].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٤٥-٤٦. وفي الرِّسَالَة القُشَيْرِيَّة ص٤٥ ورياض الصَّالِحِيْن ص١٨-١٩ لم يذكر الرابع. وانظر في التوبة: الأَسَاس ص١٩٢ والفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن ص٤٢٥ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج١ ص٣٤٤ والبعد الحَضَارِيّ ص٥٦٩.

(٢) كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٦٤.

(٣) رياض الصَّالِحِيْن السَّابِق، وكِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٦٤.

(٤) **حَدِيْث: النَدمُ توبةٌ**: رواه أَحْمَد وابن مَاجَة والحَاكِم في المُسْتَدْرَك والبُخَارِيّ في التاريخ، عن ابن مَسْعُوْد، والحَاكِم في المُسْتَدْرَك والبَيْهَقِيّ في شُعَب الإيمان، عن أَنَس. وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٥٥٧.

(٥) **حَدِيْث: الحج عَرَفَة**: رواه أَحْمَد وأصحاب السُّنَن الأربعة والحَاكِم في المُسْتَدْرَك والبَيْهَقِيّ في السُّنَن، عن عبد الرَّحْمٰن بن يعمر. وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٢٣١.

(٦) الرِّسَالَة القُشَيْرِيَّة ص٤٥-٤٦. وربما عَنَىٰ بقوله: (من أهل التَّحْقِيْق) الجُوَيْنِيّ في الإرْشَاد ص٤٠١.

المَوت

تعريفه

الموت ليس بعَدَم محض، ولا فناء صِرْف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلىٰ دار[1].

والروح: جسم لَطِيْف شفاف، مشتبك بالجسم اشتباك الماء بالعود الأخضر، فتكون ساريةً في جميع البدن[2]. وعند مفارقتها الجسد ينقطع تصرفه، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حسب مشيئتها[3].

قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ - الزُّمر ٤٢.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ - الأنعام ٦١.

فالروح تغادر الجسم، وهو في أكْمَل حالات الصحة. هٰذَا هوالتعريف الذي ذكره المُسْلِمُوْن وآمنوا به.

أما ما ذكره بعضُهم من أن:

أ- الموت هو توقف القلب عن النبض.

فقد انهار في السنوات الأَخِيْرَة بزراعة القلوب أو الأجهزة الصِّنَاعِيَّة.

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٤.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٧٠ نَقْلًا عن النَّوَوِيّ عن إمَام الحَرَمَيْن.

(٣) رِسَالَة في التَّوْحِيْد والفِرَق المعاصرة ص١٠٠.

ب- الموت هو موت خلايا المخ.

فقد انهار أَيضاً، حينما أعلنت مستشفىٰ جَامِعَة طوكيو نجاحها في إعادة مخ رجل للحياة، بعد أن توقف نشاطه عدة شهور(١).

وأخفقت جميع البحوث التي استهدفت أن تجعل من الموت أمراً غير يقيني، فبقي الاحتمال الذي أكدته الأزمان، وهو أن يموت الإنسان في أي عُمر، وفي أي زمن. حتىٰ قال الدكتور كارل بعد أن بحث المشكلة وذكر تلك الجهود المخفقة: (إنَّ الإنسان لا يسأم أَبداً من البَحْث عن الخلود والسعي وراءه، مع أنه لن يظفر به إلىٰ الأبد، فتَرْكِيْبه الجسماني يخضع لقوانين معينة، إنه يستطيع أن يوقف الزمن الفسيولوجي لأعضاء الجسد، حتىٰ يؤخر الموت لفترة قصيرة، ولٰكِنه لن يتغلب علىٰ الموت أَبداً).

لذٰلِكَ قال الدكتور (لنس بالنج) الحائز علىٰ جائزة نوبل للعُلُوْم: (إن الإنسان أبدي إلىٰ حد كَبِيْر نظرياً، فإن خلايا جسمه آلات تقوم بإِصْلَاح ما فيه من الأمراض ومعالجتها تلقائياً، وبرغم ذٰلِكَ فإن الإنسان يعجز ويموت، ولا تزال علل هٰذِهِ الظَّاهِرَة أسراراً تحير العُلَمَاء)(٢).

ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه

بيَّن الرَّسُوْل ﷺ ذٰلِكَ في هٰذَيْنِ الحَدِيْثَيْن:

قال رَسُوْل الله ﷺ: (يَتْبَعُ الميتَ ثلاثةٌ، فيرجعُ اثنان، ويَبقَىٰ معه وَاحِد، يَتْبَعُهُ أَهلُه

---

(١) يوم القيامة: عبد الرَّزَّاق نَوْفَل ص٦٠-٦٢. وانظر تعاريف أُخرىٰ في: الإسلام يتحدىٰ لوحيد الدِّيْن خان، ط٤ ص٧٣.

(٢) الإسلام يتحدىٰ، ص٧٣-٧٤. وانظر قول د. كارل في كتابه: الإنسان ذٰلِكَ المجهول ص٢٠٩ في فصل الزمن الداخلي.

ومالُه وعَمَلُهُ، فيرجِعُ أَهلُه ومالُه، ويَبقَىٰ عَمَله)[١].

وقال رَسُوْل الله ﷺ: (إنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المُؤْمِنَ من عَمَله وحَسَنَاته بعدَ موتهِ: عِلْماً عَلَّمَهُ ونَشَرَهُ، ووَلَداً صالحاً تَرَكَهُ، ومُصْحَفاً وَرَّثَه، أو مَسجِداً بَنَاهُ، أو بيتاً لابن السَّبِيْل بَنَاهُ، أو نهراً أَجراهُ، أو صَدَقَةً أَخْرَجَهَا من ماله في صِحَّتِهِ وحياتهِ يَلْحَقُهُ من بعدِ موتهِ)[٢].

ولا تنافي بين الحَدِيْثَيْن لما يأتي:

أ- إما لأن مفهوم العدد غير حُجَّة.

ب- وإما لأنه اطلع أولاً علىٰ ما في حَدِيْث مُسْلِم، ثم أطلعه الله علىٰ الزائد فأخبر به[٣].

تمني الموت

النهي عن تمني الموت والدعاء به لضُرٍّ ينزل به في المال والجسد:

قال رَسُوْل الله ﷺ: لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ منكم الموتَ لضُرٍّ نَزَلَ به، فإن كان لا بُدَّ مُتمنياً للموتِ فَلْيَقُلْ: اللهم احْيِنِي ما كانتِ الحياةُ خَيْراً لي، وتَوَفَّنِي إذا كانت الوفاةُ خَيْراً لي.

---

(١) حَدِيْث: **يَتْبَعُ الميتَ ثلاثةٌ**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٤٢ باب سَكَرَات الموت، رقم ٦٥١٤، واللفظ له، عن أَنَس بن مَالِك.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: أول ٥٣ كتاب الزهد والرَّقَائِق، رقم ٢٩٦٠، عن أَنَس.

(٢) حَدِيْث: **إنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المُؤْمِن**... إلخ، في: سُنَن ابن مَاجَة في: المُقَدِّمَة، ٢٠ باب ثواب معلم الناس الخَيْر، رقم ٢٤٢، ج١ ص٨٨، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحَسَّنَهُ السُّيُوْطِيّ في الجَامِع الصَّغِيْر ص١٥٠.

(٣) دليل الفالحين ج٣ ص٤٣٣.

وقال النَّبِيّ ﷺ: لا يَتَمَنَّىٰ أَحَدُكم الموتَ، إمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وإمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ.

وقوله: (فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ): الاستعتاب طلب العُتْبَىٰ، وهو الرضا، وذٰلِكَ لا يحصل إلَّا بالتوبة والرجوع عن الذنوب[1].

ومعنىٰ الحَدِيْث: لا يَتَمَنَّىٰ أَحَدُكم الموتَ مُحْسِناً وإما مُسِيئاً، أي: سواء كان علىٰ حالة الإحسان أو الإساءة، أما إن كان مُحْسِناً فلا يَتَمَنَّىٰ الموت، لَعَلَّه يَزْدَادُ إحساناً علىٰ إحسَانه، فيضاعف أجره وثوابه. وأما إن كان مُسِيئاً فلا يَتَمَنَّىٰ أيضاً، إذ لَعَلَّه يندم علىٰ إساءته، ويطلب الرضا عنه، فيكون ذٰلِكَ سبباً لمحو سيئاته، التي اقترفها[2].

جواز تمني الموت والدعاء به خوف ذهاب الدِّيْن:

ودليل ذٰلِكَ ما يأتي:

١- قال تعالىٰ علىٰ لِسَان يُوْسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ - يُوْسُف ١٠١.

قال قَتَادَة: لم يَتَمَنَّ الموتَ أَحَدٌ نَبِيّ ولا غيره، إلَّا يُوْسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ حين تكاملت

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٤-٥.

حَدِيْث: لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ منكم... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوات، ٣٠ باب الدعاء بالموت والحياة، رقم ٦٣٥١، بهٰذَا اللفظ، عن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٨ كتاب الذِّكْر والدعاء...، ٤ باب كراهة تمني الموت لضُرٍّ نَزَلَ به، رقم ٢٦٨٠، عن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحَدِيْث: لا يَتَمَنَّىٰ أَحَدُكم الموتَ... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٩٤ كتاب التمني، ٦ باب ما يُكْرَه من التمني، رقم ٧٢٣٥، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) إرْشَاد السَّارِي ج١٠ ص٢٨٠.

عليه النِّعَمُ، وجمع له الشمل، اشتاق إلىٰ لقاء ربه عَزَّ وجَلَّ، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ - يُوْسُف ١٠١.

وقيل: إن يُوْسُف لم يَتَمَنَّ الموت، وإنما تَمَنَّىٰ الموافاة علىٰ الإسلام. أي: إذا جاء أجلي توفني مسلماً. وهٰذَا القول هو المُخْتَار في تأويل الآية عند المُفَسِّرِيْن.

٢- قال تعالىٰ عن مريم: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ - مريم ٢٣.

قالوا: إنها تمنت الموت لوجهين:

أحدهما: أنها خافت أن يُظَن بها السوء في دينها، وتُعَيَّر فيفتنها ذٰلِكَ.

ثانيهما: أن يقع قوم بسببها في البهتان، والنسبة إلىٰ الزنا، وذٰلِكَ مهلك لهم.

٣- قوله ﷺ: (لا تَقومُ الساعةُ حتىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ بقَبْرِ الرَّجُلِ، فيقولُ يا ليتني مَكانَه).

قالوا إنما هو خبر أن ذٰلِكَ سيكون، لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال في الدِّيْن وضعفه وخوف ذهابه، لا لضر ينزل بالمرء في جسمه وماله. ومما يوضح هٰذَا المعنىٰ: قوله ﷺ: (اللَّهُمَّ إني أَسأَلُكَ فِعلَ الخَيْرَات، وتَرْكَ المُنْكَرَات، وحُبَّ المساكين، وإذا أَردتَ في الناس فتنةً، فاقْبِضْنِي إليك غيرَ مفتون)[1].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٦-٧.

حَدِيْث: لا تَقومُ الساعةُ حتىٰ يَمُرَّ... إلخ، رواه مَالِك في المُوَطَّأ، جَامِع الجَنَائِز. / تَنْوِيْر الحوالك شَرْح مُوَطَّأ الإمَام مَالِك ج١ ص١٨٧، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحَدِيْث: اللَّهُمَّ إني أَسأَلُكَ فِعلَ الخَيْرَات... إلخ، رواه مَالِك في المُوَطَّأ، القُرْآن، العَمَل في الدعاء. / تَنْوِيْر الحوالك ج١ ص١٧٠.

البَرزَخ

البَـرْزَخ لُـغَـةً: مـا بـيـن كـل شيئين من حـاجـز، وفي الآيـة: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ - الرَّحْمٰن ٢٠. أي: حاجز يمنعهما من أن يختلط أَحَدهما بالآخر.

والبَرْزَخ اصْطِلَاحاً: الحاجز بين الدنيا والآخِرَة. قال تعالىٰ: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾- المُؤْمِنون ١٠٠[1].

القبر أول منازل الآخِـرَة

القبر: مفرد. وجمعه القبور، وهو جمع كثرة. وأَقْبُر، وهو جمع قلة. ويقال لمدفن الموتىٰ مَقْبَر ومَقْبَرَة[2].

سؤال القبر

ويراد به: أن الله تعالىٰ يحيي العبد المكلف في قبره بردّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يسأل عنه، وما يجيبه، ويفهم ما آتاه من ربه، وما أعدَّ له في قبره من كَرَامَة أو هوان[3].

والأَدِلَّة علىٰ ثُبُوْت سؤال القبر كثيرة منها:

١- قوله ﷺ: المُسْلِم إذا سُئِلَ في القبر، يَشهَدُ أن لا إلٰـه إلَّا الله، وأن مُحَمَّداً رَسُـوْل الله، فذٰلـكَ قولـه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ - إبْرَاهِيم ٢٧. أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ.

---

(١) انظر: النِّهَايَة لابن الأَثِيْر مادة (برزخ). ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٤ والروح لابن القَيِّم ص٧٣و١٠٨.

(٢) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٤ والتَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٨٨.

(٣) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١٢٤.

ورواه مُسْلِم وفيه: عن البَرَاء بن عَازِب عن النَّبِيّ ﷺ قال: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾- ابراهيم ٢٧ قال: نزلت في عذاب القبر، فيُقال له من رَبُّكَ؟ فيقول: رَبِّيَ اللهُ، ونَبِيِّي مُحَمَّد ﷺ. فذٰلِكَ قولُه عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ - ابراهيم ٢٧.

٢- قوله ﷺ: (إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره، وتَولَّىٰ عنه أصحابُه، وإنه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالهم، أَتاه مَلَكَان فيُقْعِدَانِه، فيَقولان: ما كنتَ تَقولُ في هٰذَا الرَّجُلِ؟ لمُحَمَّد ﷺ؟

فأَمَّا المُؤْمِن فيقولُ: أَشهَدُ أَنَّه عبدُ الله ورَسُوْله، فيُقالُ له: انظُرْ إلىٰ مَقْعَدِكَ من النار، قد أَبْدَلَكَ اللهُ به مَقْعَداً من الجنة، فيراهُما جَميعاً...

وأَمَّا المنافقُ والكافرُ، فيُقالُ له: ما كنتَ تَقولُ في هٰذَا الرَّجُلِ؟ فيقول: لا أَدري، كنتُ أَقولُ ما يَقولُ الناسُ. فيُقالُ: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ. ويُضْرَبُ بمَطَارقَ من حديدٍ ضَرْبَةً، فيَصيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَليهِ غيرَ الثَّقَلَيْنِ)[١].

حكم الإيمان بسؤال القبر:

الإيمان به واجب، وهو مَذْهَب الجُمْهُوْر[٢].

---

(١) انظر من أَدِلَّة سؤال القبر في: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٥ والروح ص٥٣-٥٤.

حَـدِيْث: المُـسْلِم إذا سُئِلَ في القـبر... إلـخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر - سورة إبْرَاهِيْم، ٢ باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ - إبْرَاهِيْم ٢٧، رقم ٤٦٩٩، عن البَرَاء بن عَازِب.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٥١ كتاب الجنة، ١٧ باب عرض مَقْعَد الميت، رقم ٢٨٧١، عن البَرَاء بن عَازِب.

وحَدِيْث: إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٢٣ كتاب الجَنَائِز، ٨٦ باب ما جاء في عذاب القبر، رقم ١٣٧٤، بهٰذا اللفظ، عن أَنَس بن مَالِك.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٥١ كتاب الجنة، ١٧ باب عرض مَقْعَد الميت...، رقم ٢٨٧٠، عن أَنَس بن مَالِك.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص٢٢٠.

عذاب القبر

تَصوُّر عذاب القبر ونَعِيْمه:

قال الجُمْهُوْر: إننا نؤمن بما ورد في الأخبار، ولله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونَعِيْم، ويصرف أَبْصَارنا، ويغيبه عنا.

فلو كان الميت بيننا، فلا يمتنع أن يأتيه المَلَكَان، ويسألانه، ويجيبهما من غير أن يشعر الحاضرون بهما، ومثال ذٰلِكَ: نائمان بيننا أحدهما ينعم، والآخر يعذب، ولا يشعر بذٰلِكَ أَحَد من حولهما[1].

وليس للعقل وقوف علىٰ كيفية عود الروح إلىٰ الجسد، وكيفية عذاب القبر ونَعِيْمه، لكونه لا عَهْدَ له به في هٰذِهِ الدار، والشَّرْع لا يأتي بما يُحيله المَعْقُوْل، ولٰكِنه قد يأتي بما تَحَارُ به العُقُوْل[2]، وأخبارهم قسمان:

أ- ما يشهد العقل والفطرة السَّلِيْمَة به.

ب- لا تدركها العُقُوْل كالعيوب.

فكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين:

أ- الخطأ في النقل.

ب- فساد في العقل، فتكون شبهة خيالية[3].

والعُلَمَاء يتفقون علىٰ أن الله تعالىٰ يعيد إلىٰ الميت في القبر نوع حياة، قدر ما يتألم ويتلذذ، ويشهد بذٰلِكَ الكتاب والأخبار والآثار[4].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١٢٦. وإحياء عُلُوْم الدِّيْن للغَزَالِيّ ج١ ص١١٩ وج٤ ص٤٨٥.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٥٧٨.

(٣) الروح ص٦٢ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢١ نَقْلًا عن الروح.

(٤) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١١٧.

دخول المَلَك القبور:

يجوز تأويل دخول المَلَك القبور باطلاعه علىٰ أهلها، وهم مدركون له عن بُعْدٍ من غير دخول ولا قرب.

ويجوز أن يكون المَلَك للطافة أجزائه، يَلِجُ القبور، فيتوصل إليهم من غير نبش.

ويجوز أن ينبشها، ثم يعيدها اللهُ إلىٰ مثل حالها علىٰ وجه لا يدركها أهل الدنيا.

ويجوز أن يدخل المَلَك من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدي الإنسان إليها[1].

قال ابن القَيِّم: ومن أعظم الجهل استبعاد شق المَلَك الأرض والحَجَر، وقد جعلها اللهُ سُبْحَانَهُ له كالهواء للطير[2].

القبر رَوْضَة من رِيَاض الجنة أو حفرة من حفر النار:

قال النَّبِيّ ﷺ: إنما القبرُ رَوْضَة من رياض الجَنَّة أو حفرة من حُفَر النار). وهو بَيَان لما في القبر من نَعِيْم وعذاب.

ويجب أن يُعلَم أن ذٰلِكَ ليس من جنس نار الدنيا ونَعِيْمها، وإن كان اللهُ تعالىٰ قَادِراً علىٰ أن يحمي التراب والحجارة التي فوقه وتحته، حتىٰ يكون أعظمَ حَرّاً من جمر الدنيا، ولو مَسَّهَا أَهلُ الدنيا لم يُحِسُّوا بها، بل أَعجَبُ من ذٰلِكَ أن الرجلين يُدفَن أَحدُهما إلىٰ جنب صاحبه، أحدهما في رَوْضَة من رياض الجنة، والآخر في حفرة من النار، لا يصل من أحدهما إلىٰ جاره حر ناره أو نَعِيْمه.

ولو أَطْلَعَ اللهُ تعالىٰ العِبَاد علىٰ ما هو محجوب عن إدراك العُقُوْل، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب[3].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١٢٦.

(٢) الروح ص٧٢.

(٣) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٥٨١ والروح ص٦٤-٦٦.

حَدِيْث: إنما القبرُ رَوْضَة... إلخ، في: سُنَن التِّرمِذِيّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٢٦ باب،

وعذاب القبر، وهو عذاب البَرْزَخ، ونَعِيْمه ينال مستحِقَّه، سواء قُبِر أم لم يُقبر، أكلته السباع أو احترق، حتىٰ صار رماداً ونسف في الهواء...»[1].

وما وَرَدَ عن النَّبِيّ ﷺ من إجلاس الميت واختلاف أضلاعه ونحو ذٰلِكَ فيجب أن يُفهم عن الرَّسُوْل ﷺ مُرَاده من غير غُلُوّ ولا تقصير... لأن الدور ثلاث، لكل دار أَحْكَام تخصها، وهي:

١- دار الدنيا، وأَحْكَامها علىٰ الأَبْدَان، والأرواح تَبَعاً لها.

٢- دار البَرْزَخ، وأَحْكَامها علىٰ الأرواح، والأَبْدَان تَبَعاً لها.

٣- دار القرار، وأَحْكَامها علىٰ الأرواح والأَبْدَان جميعاً[2].

أما كيفية وُصُوْل العذاب إلىٰ من تفرقت أجزاؤه في التراب أو الهواء... فإن العذاب يسري في دار البَرْزَخ علىٰ الروح، والبدن تَبَعٌ لها، وليس ببعيد علىٰ الله تعالىٰ أن يجعل للروح تعلقاً بأجزاء البدن وإن تباعدت، واليوم نرىٰ اللاسلكي والبث الإذاعي يصل إلىٰ مُخْتَلف أنحاء العالم في وقت وَاحِد، وكذٰلِكَ الحال في الكهرباء إذ تصل إلىٰ أماكن متباعدة عند فتح الصمام المخصص للإيصال، وتصرف الروح أغرب وأعجب من هٰذَا بكثير.

حكم الإيمان بعذاب القبر:

عذاب القبر للكافر والفاسق حَقٌّ، والإيمان به واجب، وهو قول الجُمْهُوْر[3].

رقم ٢٤٦٠، ص٤٠٢، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ. وقال: حَدِيْث حَسَن غَرِيْب.

(١) الروح ص٥٨.

(٢) الروح ص٦٢-٦٣.

(٣) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١٢٤ وبَحْر الكَلَام للنَّسَفِيّ ص١٦٠. وانظر الروايات في ذٰلِكَ في: شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٥ ص٤٣٦ وما بعدها.

أثبت الجُبَّائِيّ من المُعْتَزِلَة وابنه والبَلْخِيّ عذابَ القبر، لٰكِنهم نفوه عن المُؤْمِنين، وأثبتوه

واستدلوا علىٰ إثبات عذاب القبر بما يأتي:

١- قوله تعالىٰ في آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ - غافر ٤٦. أي: قبل يوم القيامة وذٰلِكَ في القبر، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ - غافر ٤٦.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ - غافر ١١. فالمُرَاد بالإماتتين والإحياءين في هٰذِهِ الآية هو: الإماتة قبل مزار القبور، ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه أَيضاً بعد مَسْأَلَة مُنْكَر ونكير، ثم الإحياء للحشر. قال المُفَسِّرُوْن: والغرض بذكر الإحياءين أنهم عرفوا فيهما قدرة الله علىٰ البعث، ولهٰذَا قالوا: فاعترفنا بذنوبنا، أي الذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، وإنما لم يذكر الإحياء في الدنيا، لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم في هٰذَا الإحياء.

وذهب بعضُهم إلىٰ أن المُرَاد بالإماتتين ما ذكر، وبالإحياءين الإحياء في الدنيا، والإحياء في القبر، لأن مقصودهم ذكر الأُمور الماضية، وأما الحياة الثالثة أعني حياة الحشر فهم فيها، فلا حاجة إلىٰ ذكرها.

وعلىٰ هٰذَيْنِ التَّفْسِيْرَيْن ثبت الإحياء في القبر[1].

٣- قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ - طه ١٢٤.

قال أبو سَعِيْد الخُدْرِيّ وعبد الله بن مَسْعُوْد: ضنكاً، أي: عذاب القبر.

لأصحاب التخليد من الكفار والفساق. / الروح لابن القَيِّم ص٥٨ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٣ نَقْلاً عن الروح.

وأثبته الإبَاضِيَّة. / مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٠٥.

وأثبته الزَّيْدِيَّة أَيضاً. / المَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص١٢٣.

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣١٨. وانظر: المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١١٢-١١٣ والمَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص١٢٣ وبَحْر الكَلَام ص١٦٣.

٤- قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ - الطُّوْر ٤٧.

قيل: هو عذاب القبر، لأن الله ذكره عَقِبَ قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ - الطُّوْر ٤٥، وهٰذَا اليوم هو اليَوم الآخِر من الدنيا، فدل علىٰ أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر.

٥- قال تعالىٰ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ - التكاثر، يعني: في القبور.

٦- قال ﷺ: إنهم - أي: أهل القبور - يُعَذَّبُوْن عَذَاباً تَسمَعُه البهائمُ كُلُّها.

٧- حَدِيْث البَرَاء بن عَازِب وأَنَس بن مَالِك المتقدمان في أَدِلَّة سؤال القبر[1].

وأنكر عذابَ القبر: جَهْم[2]، والمُعْتَزِلَة[3]، وضِرَار بن عَمْرو، وبِشْر المَرِيْسِيّ[4].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١١٣-١١٤و١٣٣ والروح ص٥٣-٥٤ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٥و١٣-١٤.

حَدِيْث: إنهم يُعَذَّبُوْن عَذَاباً... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ٣٧ باب التعوذ من عذاب القبر، رقم ٦٣٦٦، بهٰذَا اللفظ، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٥ كتاب المساجد، ٢٤ باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، رقم ٥٨٦، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٢٤ والتَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص١٢٠ وبَحْر الكَلَام ص١٥٨.

(٣) الإبَانَة للأَشْعَرِيّ ص٢٤٧ ورَدَّه. وفي المَوَاقِف ج٨ ص٣١٧: أكثر المتأخرين من المُعْتَزِلَة. وفي التَّمْهِيْد للَّامِشِيّ ص١٢٠ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١١٣: بعض المُعْتَزِلَة. وفي بَحْر الكَلَام ص١٥٨: المُعْتَزِلَة والنَّجَّارِيَّة.

ولٰكِن وَرَدَ في الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن للخُوَارِزْمِيّ المُعْتَزِلِيّ ص٤٦٣: (أَمَّا عذاب القبر فقد أَثبته أصحابُنا، وحَكَىٰ قَاضِي القُضَاة رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ ضِرَاراً أَنكرَ عذاب القبر، فنُسِبَ ذٰلِكَ إلىٰ أصحابنا لكثرة مخالطته لهم)، ثم أَوردَ الأَدِلَّة.

(٤) المَوَاقِف ج٨ ص٣١٧. وإنكار ضِرَار في: كَشْف المُرَاد ص٤٥٢.

البَعْث (المَعَاد الجسماني) والنُّشُور

تعريفه

البَعْث: هو أن يبعث الله تعالىٰ الموتىٰ من القبور، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية، ويعيد الأرواح إليها.

والنُّشُور: يرادف البعث في المعنىٰ، يقال: نشر الميت: إذا عاش بعد الموت. وأنشره اللهُ: أي: أحياه[1].

الاختلاف فيه، وحكم الإيمان به

وقد اختلفوا في المَعَاد علىٰ قولين:

الأول: نفاه الطبيعيون[2]، ذهاباً إلىٰ أن الإنسان هو هٰذَا الهيكل المحسوس، الذي

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٥٧-١٥٨.

(٢) حكىٰ القُرْآن الكَرِيْم عَقِيْدَة (الدَّهْرِيِّيْن) أو (الطبيعيين) المتمثلة بإنكارهم الحساب والجنة والنار، فقال: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ - الجاثية ٢٤.

وهٰؤُلَاءِ يرون بطلان الأديان كافة، وعدّوها أوهاماً، فترتب علىٰ هٰذَا ما يأتي:

١- أنكروا أن الإنسان أَشْرَف المخلوقات، بل هو أخسّ من البهائم خِلْقَةً، وأدنىٰ منها فِطْرَة. وما يفتخر به من الصَّنَائِع، فإنما أخذه بالتقليد عن الحيوانات، فالنسيج أخذه من العنكبوت، والبناء من النَّحْل، وإدخار القوت من النمل، والموسيقىٰ من البلبل... .

وأنكروا أن تكون أُمَّة مُحَمَّد ﷺ أَشْرَف الأُمَم، فليست هي أَوْلَىٰ من غيرها بفضيلة أو مَزِيَّة.

٢- وأنكروا بعث الإنسان في اليَوم الآخِر، ليحاسَب علىٰ ما اقترف في الدنيا.

يفنىٰ بصورته وأعراضه فلا يعاد[1]. وهم لم يروا بأعينهم ميتاً بُعث حياً، وحكىٰ لهم ما جرىٰ له بعد موته.

الثاني: أثبته الحكماء والمِلِّيُّون[2].

قال ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة: مَعَاد الأَبْدَان مُتَّفَق عليه بين المُسْلِمِيْن واليَهُوْد والنَّصَارَىٰ[3].

وقال الجَلَال الدَّوَّانِيّ: المعاد الجسماني يجب الاعْتِقَاد به، ويكفر مُنْكِره، وهو حق بإجماع أهل المِلَل الثلاث (أي: المُسْلِمُوْن واليَهُوْد والنَّصَارَىٰ)، وشهادة نصوص القُرْآن في المواضع المتعددة، بحيث لا يقبل التأويل[4].

حيث توعد منكِري البعث واليَوم الآخِر بالعذاب الأليم لكفرهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ – الرعد ٥.

٣- وأوجبوا إزالة الحياء والأمانة والصدق، وعُرَىٰ الدِّيْن من التفريق بين الحلال والحرام، يقول ابيقور الدَّهْرِيّ: إذا كان هٰذَا شأن الإنسان من النقص عن الحيوانات فالأَوْلَىٰ أن لا يَغْتَرَّ بأن في الآخِرَة ثواباً وعقاباً، ويحرم نفسه في هٰذِهِ الدنيا من حظوظ اللذة، ويقيد نفسه بأوهام الحلال والحرام، واللائق وغير اللائق، والحياء والصدق والأمانة، وغيرها من الأُمور الوضعية التي تَقَيَّدَ بها الناس جهلاً ولم يَتَقَيَّد بها الحيوان والبُهْم.

انظر: مُقَدِّمَة الشيخ مُحَمَّد عَبْدُه لرِسَالَة إبطال مَذْهَب الدهريين للسَّيِّد جمال الدِّيْن الأَفْغَانِيّ. وذٰلِكَ في كتاب (خاطرات جمال الدِّيْن الأَفْغَانِيّ الحُسَيْنِيّ) ص٢٨٩-٢٩٢.

(١) المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٨٨-٨٩.

(٢) المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ السَّابق.

(٣) الروح لابن القَيِّم ص٥٢ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٥٧ نَقْلًا عنه.

(٤) شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ ج٢ ص٢٤٧ وحَاشِيَة الكَلَنْبَوِيّ عليه، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٥٨ نَقْلاً عنه.

وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ - المُؤْمِنون ٧٤[١].

ولٰكِن اختلفوا في كيفيته علىٰ أقوال هي:

الأول: المَعَاد روحاني فقط، وهو قول الفَلَاسِفَة لأن البدن ينعدم بصوره وأعراضه، فلا يعاد. والنفس جوهر مجرد باقٍ لا سَبِيْل إليه للفناء، فيعود إلىٰ عالم المجردات بقطع التعلقات.

الثاني: المَعَاد جسماني فقط، وهو قول جُمْهُوْر المُسْلِمِيْن، لأن الروح جسم سارٍ في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد.

الثالث: روحاني وجسماني معاً، وهو قول الغَزَالِيّ والكَعْبِيّ والحَلِيْمِيّ والرَّاغِب وأبي زَيْد الدَّبُوْسِيّ، ذهاباً إلىٰ أن النفس جَوهرٌ مُجَرَّدٌ يعود إلىٰ البَدَن. وهو رأي كثير من الصُّوْفِيَّة والشِّيْعَة والكَرَّامِيَّة وجُمْهُوْر النَّصَارَىٰ والتناسخية[٢].

أَدِلَّة وقوعه

واستدل أهل الحق علىٰ أن المَعَاد الجسماني حق بالمَنْقُوْل والمَعْقُوْل.

فمن المَنْقُوْل:

١- من الكتاب العَزِيْز قوله تعالىٰ:

---

(١) وانظر الآيات أَيضاً: النَّحْل ٦٠ والإسراء ٤٩-٥١و٩٧-٩٩ ومريم ٦٦-٦٨ والحج ٥-٦ والمُؤْمِنون ٨١-٨٣ والنمل ٤-٥و٦٦-٦٧، والجاثية ٢٤ والتغابن ٧.

(٢) شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٨٩-٩٠ وذكر بعد ذٰلِكَ: قال الإمَام الرَّازِيّ: إلاَّ أن الفَرْق: أن المُسْلِمِيْن يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلىٰ الأَبْدَان لا في هٰذَا العالم بل في الآخِرَة. والتناسخية بقدمها وردّها إليها في هٰذَا العالم، وينكرون الآخِرَة والجنة والنار... والتناسخية إنما يكفرون لإنكارهم القيامة والجنة والنار، والنَّصَارَىٰ لقولهم بالتثليث. وانظر: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢٩٧.

أ- ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ - النَّحْل ٣٨.

ب- ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ - التغابن ٧.

ج- ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ - المُؤْمنون ١٦.

د- ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ - يس ٥١.

هـ- ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ - الإسراء ٥١.

و- ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ - الأعراف ٢٩.

ز- ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ ﴾ - الأنبياء ١٠٤.

ح- ﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ - فاطر ٩.

ط- ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ - يس ٧٨-٧٩ (١).

قال ابن أبي العِزّ: فاحتج الله تعالىٰ بالإبداء علىٰ الإعادة، وبالنشأة الأُوْلَـىٰ علىٰ النشأة الأُخرىٰ، إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قَدَرَ علىٰ هٰذِهِ قَدَرَ علىٰ هٰذِهِ، وأنه لو كان عَاجِزاً عن الثانية لكان عن الأُوْلَىٰ أَعْجَز وأَعْجَز.

ولما كان الخَلْقُ يَستلزمُ قدرةَ الخَالِق علىٰ مخلوقه، وعلمَه بتفاصيل خلقه، أَتْبَعَ ذٰلِكَ بقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ - يس ٧٩، فهو عَلِيْم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته وموادِّه وصورته، فكذٰلِكَ الثاني، فإذا كان تامَّ العلم، كَامِل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يُحيي العظام وهي رَميم؟

ثم أَكَّد بأخذ الدلالة من الشيء الأَجلّ الأعظم علىٰ الأيسر الأصغر، فإن كُلَّ عاقل يَعلم أن مَن قَدَرَ علىٰ العَظِيْم، فهو علىٰ ما دونه بكثير أقدر وأقدر...: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٥٧-١٥٩.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ - يس ٨١ [(١)].

ي- الأوامر والنواهي في القُرْآن الكرِيْم كثيرة:

فمن الأوامر: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ - البقرة ٤٣ و٨٣ و١١٠.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ﴾ - الحج ٧٨... إلخ.

ومن النواهي: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ - الحُجُرات ١٢.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ - المائدة ٩٠.

وهٰذِهِ الأَحْكَام لا اخْتِيَار فيها للمُسْلِم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ - الأحزاب ٣٦.

وقد حذر اللهُ تعالىٰ الناسَ من مخالفة أمره ونهيه بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - النُّوْر ٦٣.

وبناءً علىٰ ما تَقَدَّم من الأوامر والنواهي ونفي الاخْتِيَار في أَحْكَامه تعالىٰ والتحذير من مخالفة أمره، لا بد من تَرْتِيْب العقوبات البدنية علىٰ الفجّار العصاة والنَّعِيْم للمُؤْمنين، وهٰذَا ما اقتضاه عَدْله وحكمته وكَماله المقدس.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ - سَبَأ ١٢.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ - النبأ.

وهٰذَا واضح في أنه ليس مجرد تهديد ووعيد، بل يعني أن المعاد أمر ضروري، لا مفر من القول به.

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٥٩٤-٥٩٥. وانظر: نِهَايَة الإقدام ص٤٦٨ وعَقَائِد الإمَامِيَّة ص١٢٦.

٢- ومن الحَدِيْث الشَّرِيْف:

أ- عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قال: سمعتُ رَسُوْل الله ﷺ يَخْطُب علىٰ المِنْبَر يقول: (إنَّكم مُلَاقو الله حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً).

وعن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قال: قام فينا رَسُوْل الله ﷺ خَطِيْباً بمَوْعظة فقال: يا أيها الناس إنكم تحشرون إلىٰ الله حُفَاة عُرَاة غُرْلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ - الأنبياء ١٠٤ [1].

ب- عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قال: جاء العاص بن وائل إلىٰ رَسُوْل الله ﷺ بعظم حائل، ففتَّه بيده فقال: يا مُحَمَّد، يحيي الله هٰذَا بعد ما أَرَمّ؟ قال: نعم، يبعث اللهُ هٰذَا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم. فنزلت الآيات من آخر سورة يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

وهٰذَا نص صريح في الحشر الجسماني، يقلع عرق التأويل بالكُلِّيَّة.

٣- وعليه إجماع سَلَف الأُمَّة.

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٥٩.

الغُرْل: بضم الغين وإسكان الراء، جمع أغرل، وهو الأقلف.

وحَدِيْث: إنَّكم مُلَاقو الله... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٤٥ باب كيف الحشر، رقم ٦٥٢٥.

وحَدِيْث: يا أيها الناس إنكم تحشرون... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٥١ كتاب الجنة وصفة نَعِيْمها، ١٤ بَيَان فناء الدنيا وبَيَان الحشر، رقم ٢٨٦٠ (٥٨).

ومن المَعْقُوْل:

١- أن الأنبياء تأتي بما تدركه العُقُوْل، أو تتحير فيه، ولا تأتي بما تحيله العُقُوْل أَبداً. والمعاد ممكن لأنه: إما إيجاد ما انعدم، أو جمع ما تفرق، أو إحياء بعدما أُميت. وهٰذِهِ كلها ممكنةلا إحالة في ذٰلِكَ. وأخبار الأنبياء والكتب السماوية وخاصة القُرْآن الكَرِيْم كثيرة جداً.

٢- الأصل فيما لا دليل علىٰ وجوبه ولا علىٰ امتناعه هو الإمكان كما يقول الحكماء والمتكلمون: من أن كل ما قرع سمعك من الغرائب قَدِّرْه في حَيِّز الإمكان، ما لم يردك عنه قائم البُرْهَان، فمن زعم عدم إعادة المَعْدُوْم، أُلزم بالمبدأ، فإن المبدأ مثل المَعَاد، بل هو عينه أو أيسر - كما مر - وهو لا يخفىٰ علىٰ العاقل الحصيف[1].

وعليه فإن المَعَاد الجسماني حق واقع، فصانع الساعة إذا جَزَّأها إلىٰ أجزائها الصَّغِيْرَة هو قَادِر علىٰ إعادتها إلىٰ ما كانت عليه، متقنة، تضبط الوقت بدقة، ولا يستطيع أَحَدٌ إنكار ذٰلِكَ، فالشك في البعث (الخلق الثاني) هو شك في قدرة الله تعالىٰ علىٰ الخلق الأول، وفي كونه عِلَّة الوجود.

لا سِيَّمَا إذا علمنا أن جسم الكائن الحي يتجدد ما بين وقت وآخر، فجسم الإنسان يستهلك حوالي ١٢٥ مليون خلية في الثانية الوَاحِدَة، ويحيا مثل هٰذَا القدر محلها، وهٰذَا يعني أن جسم الإنسان في تجدد ودورة مستمرة، من موت إلىٰ حياة، وحياة إلىٰ موت، قال تعالىٰ: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ - الرُّوْم ١٩، فجسم الإنسان يموت ويحيا في كل لحظة، فالقَادِر علىٰ إحيائه وإماتته علىٰ مرأىٰ من العين في الدنيا،

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٥٨-١٥٩، وفيه:

حَدِيْث: **جاء العاص بن وائل إلىٰ رَسُوْل الله ﷺ**... إلخ، أَخْرَجَهُ ابن جَرِيْر وابن المُنْذِر وأبو حَاتِم والإسْمَاعِيْلِيّ في مُعْجَمه والحافظ الضِّيَاء في المُخْتَارة وابن مَرْدَوَيْهِ والبَيْهَقِيّ في الشُّعَب.

قَادِر علىٰ إحيائه بعد موته في حياة أُخرىٰ.

وهناك صورة أُخرىٰ حية تمثل لنا هٰذَا الإحياء: يأتي الخريف فيجرد أوراق الأشجار... ثم تعود الحياة فيها في الرَّبيْع، وينزل الماء علىٰ اليابسة الجرداء فتهتز بالنبات، قال تعالىٰ: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ - ق١١.

السَّاعَة

تعريف يوم الساعة

هو ذٰلِكَ اليوم العَظِيْم الرهيب، الذي يضطرب فيه العالم، ويفسد نِظَامه، فتهلك جميع الأحياء.

أسماؤه

وردت في القُرْآن الكَرِيْم أسماء عديدة منها: يوم القيامة، يوم الدِّيْن، الطَّامَّة، الحَاقَّة، الغَاشِية، الواقِعة، القارعة، الصَّاخَّة... .

الساعة لا ريب فيها

نفىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ الريب والشك عن يوم القيامة، وأكد في آيات عديدة أن القيامة آتية، فقال تعالىٰ:

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ - الأنعام ١٣٤.

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ - الحِجْر ٨٥[١].

وهٰذَا ما يقرره العلم الحَدِيْث، يقول الدكتور مُحَمَّد جمال الدِّيْن الفندي: (يؤكد

(١) وانظر الآيات في: طه ١٥، والحج ٧، والرُّوْم ٤٣، وسَبَأ ٣، والجاثية ٣٢.

عُلَمَاء الفلك جَميعاً أن الشمس، كأي نَجْم آخر، لا بد أن يعتريها ازدياد مفاجئ في حرارتها وحجمها وإشعاعها بدرجة لا تصدقها العُقُوْل، وعند ذٰلِكَ يتمدد سطحها الخارجي بما حوىٰ من لهب ودخان حتىٰ يصل القمر، ويختل توازن المجموعة الشمسية كلها، وكل شمس في السماء لا بد أن تمر علىٰ مثل هٰذِهِ الحالة قبل أن تحصل علىٰ اتزانها الدائم، ولم تمر شمسنا بالذات بهٰذَا الدور بعد)[١].

والظَّاهِرَة الأُوْلَىٰ التي تنذرنا بإمكان القيامة هي الزلازل، فبطن الأرض شديدة الحرارة تؤثر علىٰ ظهرها بشكل بارز، فإما أن تتفجر الأرض بالحمم البركانية المدمرة، وإما أن تؤثر الزلازل الرهيبة في حياة الإنسان رغم تقدم العلم والتكنولوجيا، إذ لا يملك إزاءها شَيئاً، فكَثيراً ما طمست مدن بأَكْمَلها، أو تساقطت الجدران بصوت مرعب، ولقي الملايين من الناس مصرعهم خلال ثوانٍ مَعْدُوْدات، كما حدث في الصين والهِنْد والبرتغال...، ولا يستطيع الإنسان أن يتنبأ بموعدها، بل تأتيه بغتةً، حتىٰ قال عالمُ الجغرافية جورج جاموف: (نحن واقفون علىٰ ظهر لغم - ديناميت - عَظِيْم، ومن الممكن أن ينفجر في أي وقت، ليدمر النِّظَام الأرضي بأَكْمَله).

أليست تلك قيامة صغرىٰ؟

هٰذَا شأن الأرض، أما حال الكون ففيه الأجرام السماوية والنجوم الجَبَّارَة العَظِيْمَة أشبه ما تكون بملايين القاذفات للقنابل النَّوَوِيَّة، تسير في الفضاء بسرعة خارقة، وليس

---

(١) الله يتجلىٰ في عَصْر العلم ص١٦٥. وانظر فيه: أقوال الدكتور فرانك الن ص٥ والدكتور ايرفنج وليام نوباوتش ص٥٣ والأُستاذ كلود م. هاثاوي ونيوتن وبولتزمان ص٩٠-٩١، وكلها تؤيد ما ذكرناه.

قال الدكتور ادوارد لوثر كيسيل: (هنالك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلىٰ الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية... ومعنىٰ ذٰلِكَ أن الكون يتجه إلىٰ درجة تتساوىٰ فيها حرارة جميع الأجسام، وينضب فيها مَعِين الطاقة، ويومئذٍ لن تكون هنالك عَمَلِيّات كيمياوية أو طبيعية، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها في هٰذَا الكون). / الله يتجلىٰ في عَصْر العلم ص٢٧.

بغَرِيْب مطلقاً – كما قرر عُلَمَاء الفلك – أن تصطدم هٰذِهِ الأجرام، فيتبدد هٰذَا النِّظَام بأَكْمَله، وينفرط عقده.

وما رؤيتنا القيامة بصورتها الأولية إلَّا دليل واضح علىٰ أنها في حد الإمكان، وأنها آتية غداً لا ريب فيها(١).

علم الساعة عند الله

أخفىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ العلم بموعد الساعة عن المخلوقات، فلا يعلمها مَلَكٌ أو نَبِيّ أو أي فرد من الناس، وهٰذَا رد علىٰ دعوىٰ بعض الجهلة أو الدجالين أن موعدها السنة الفُلَانِيَّة أو اليوم الفُلَانِيّ... .

وإنما أخفاها اللهُ تعالىٰ لأنه أصلح للعِبَاد، لئلا يتباطؤوا عن التوبة والتأهب والاستعداد لليوم الآخر، كما أن إخفاء وقت الموت أصلح لهم(٢).

وقد ذكر القُرْآن الكَرِيْم ذٰلِكَ في آيات عديدة منها:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ – الأعراف ١٨٧.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ – لقمان ٣٤(٣).

وفي حَدِيْث الإيمان والإسلام: سأل جِبْرِيْل الرَّسُوْل ﷺ: (متىٰ الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السَّائِل)(٤).

---

(١) الإسلام يتحدىٰ ص٧٤-٧٦.

(٢) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٦٦.

(٣) وانظر الآيات: الأحزاب ٦٣، وفُصِّلَت ٤٧، والزخرف ٨٥، والنازعات ٤٢-٤٦.

(٤) **حَدِيْث الإيمان والإسلام**، مُتَّفَق عليه. رواه البُخَارِيّ ومُسْلِم في كتاب الإيمان. / اللُّؤْلُؤ والمَرْجَان ص٢. وتَقَدَّمَ عند كلامنا عن الإسلام.

مجيء الساعة بَغْتَـةً

مجيئها بَغْتَةً، وسرعة قيامها كَرَجْع الطَّرْف من أعلىٰ الحَدَقة إلىٰ أسفلها أو هو أقرب.

قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ - النَّحل ٧٧.

وقال تعالىٰ: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ - الأنبياء ٤٠[١].

وقال النَّبيّ ﷺ: (تَقومُ الساعةُ والرجل يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ، فما يَصِل الإناءُ إلىٰ فِيْهِ حتىٰ تَقومَ، والرجلان يَتَبَايَعَان الثوبَ، فما يَتَبَايَعَانِهِ حتىٰ تَقومَ، والرجل يَلِطُ في حوضه، فما يَصْدُرُ حتىٰ تَقوم)[٢].

يوم تقوم الساعة لا يقبل إيمان من كافر ولا معذرة

قال تعالىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ - الأنعام ١٥٨.

وقال تعالىٰ: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ - الرُّوْم ٥٧.

---

(١) وانظر الآيات: الأنعام ٣١، ويُوْسُف ١٠٧، والحج ٥٥، والزخرف ٦٦، ومُحَمَّد ١٨.

(٢) **اللِّقْحَة**: القريبة العهد بالولادة من الإبل والغنم.

يَلِط: يطين ويُصْلِح.

وحَدِيْث: تَقومُ الساعةُ والرجل... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٥٢ كتاب الفتن، ٢٧ باب قرب الساعة، رقم ٢٩٥٤، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومن أنكر الساعة فهو معتد أثيم ونصيبه الخسران المبين في جهنم:

قال تعالىٰ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ - الفُرْقَان ١١.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ - الشُّوْرَىٰ ١٨.

وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ ﴾ - المطففين.

أشراط الساعة

أَخْبَرَنَا القُرْآن الكَرِيْم بأن الساعة قد اقترب موعدها، في آياتٍ عديدة، منها:

قوله تعالىٰ: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ - الأنبياء ١.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ - القمر ١[1].

كما أَخْبَرَنَا بأن أشراطها - أي: علاماتها - قد جاءت:

قال سُبْحَانَهُ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ ﴾ - مُحَمَّد ١٨.

وهٰذَا يفيد أن ما بقي من عُمر العالم هو أقل مما مر.

ومن علاماتها التي أَخْبَرَنَا بها القُرْآن الكَرِيْم: عِمْرَان الأرض، والتقدم العِلْمِيّ بحيث يعتقد أهلها أنهم قَادِرُوْن علىٰ التغيير بإرادتهم، قال تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ ﴾ - يُوْنُس ٢٤.

---

(١) وانظر: الشُّوْرَىٰ ١٧، والنَّجْم ٥٧.

وقد بين الرَّسُوْل الصَّادِق أمارات الساعة بأَحَادِيْث كثيرة جداً منها:

عن حُذَيْفَة بن أَسِيْد الغِفَارِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قال: اطَّلَعَ النَّبِيّ ﷺ علينا ونحن نَتذَاكَر، فقال: ما تَذَاكَرُون؟ قالوا: نَذكرُ الساعةَ. قال: إنها لن تَقوم حتىٰ تَرَوْنَ قَبلَها عَشْرَ آياتٍ، فذكر: الدُّخَان، والدَّجَّال، والدَّابَّة، وطُلوعَ الشمس من مَغْرِبها، ونُزُوْلَ عِيسَىٰ بن مريم، ويَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، وثلاثةَ خُسوف: خَسْفٌ بالمَشرِق، وخَسْفٌ بالمَغْرِب، وخَسْفٌ بجزيرة العَرَب، وآخرُ ذٰلِكَ: نارٌ تَخرُج من اليَمَن، تَطرُدُ الناسَ إلىٰ مَحْشَرِهم).

هٰذِهِ الآيات العظام علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها.

وقد وردت أَحَادِيْث تشير إلىٰ أن من علامات الساعة:

بعثة النَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ، وموته، وفتح بَيْت المَقْدِس، ورفع العِلْم، وغَلَبَة الجهل، واستيلاء أهله، وكثرة الزنا، وشرب الخمر، وقلة الرِّجَال، وكثرة النساء، وضياع الأمانة، وإضاعة الصلاة، وأكل الربا، وإطالة البنيان، وزخرفة المساجد، وإمارة الصبيان، ولعن آخر الأُمَّة أولها، وكثرة الهَرْج (القتل)، ونُزُوْل الفتن كمواقع القَطْر، وكثرة البلاء حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل فيَتَمَنَّىٰ أن يكون مكان الميت من كثرة البلاء، وهلاك هٰذِهِ الأُمَّة بعضهم ببعض.....

فهٰذِهِ العلامات قد تحقق بعضها، وبقي الآخر في طي الغيب يكشفه مر الدهور وتتابع الأيام. وإخباره بها دليل علىٰ صدق نبوته عليه الصلاة والسَّلَام[1].

فعلينا أن نعتقد ونصدق بخبر الرَّسُوْل الأعظم ﷺ، فكما أن بعض هٰذِهِ العلامات

---

(١) راجع تفصيل هٰذِهِ الأشراط والأَحَادِيْث الوَارِدَة فيها في: التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢.

وحَدِيْث: اطَّلَعَ النَّبِيّ ﷺ علينا... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٥٢ كتاب الفتن وأشراط الساعة، ١٣ باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم ٢٩٠١ (٣٩).

قد تحقق، فإن بقيتها ستتحقق لا مَحَالَةَ. قال القُرْطُبِيّ:

(قال العُلَمَاء: والحكمة في تقديم الأشراط، ودلالة الناس عليها، تَنْبِيْه الناس علىٰ رقدتهم، وحثهم علىٰ الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها)[1].

أهوال الساعة

يرسم القُرْآن الكَرِيْم ليوم القيامة مشَاهد الفظاعة، وهول المنظر، والبؤس، والشقاء، والخوف الذي يلقاه من كفر به، بصورٍ مروعةٍ مرهِبَة:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ - الحج.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٖ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ - ق[2].

والهول يشمل الأرض والسماء والحيوان والإنسان والصغار والكبار والجنة والنار، وكلها في موقف الانتظار والرهبة.

قال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٦٢٤.

(٢) **حديد**: نافذ، لزوال المَانِع للإبصار.

﴿ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ - التكوير[1].

هول ترتجف له الأرض، وتندك الجبال، وتنفطر السماء، وتتفرق الجموع، ويشيب الولدان، وكلٌّ منشغل بنفسه، وهو: إما مُؤْمِن مستبشر، وإما فاجر خيم عليه الذل والعبوس، يرسم ذٰلِكَ القُرْآن الكَرِيْم في صورٍ حيةٍ شاخصةٍ، تتراءىٰ للقَارِئ، فيتملاها، ويهتز لها الوجدان:

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ - المُزَّمِّل ١٤.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ - المُزَّمِّل ١٧-١٨.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ - طه.

---

(١) **التكوير**: لف ضَوْء الشمس، فذهب انبساطه في الأُفق، وزال أثره.

انكدرت: زالت وانقضت، أو أظلمت.

العشار: النُّوْق اللاتي مضىٰ علىٰ حملهن عشرة أشهر.

عطلت: تركت مُهْملَة.

حشرت: جمعت.

سجرت: فجرت حتىٰ تصير بَحْراً وَاحِداً، أو تفجرت بالنار من بَاطِن الأرض، أو تحت شرر كهربائي شديد، كما يحدث في البراكين.

زوجت: أي قرنت النفوس بالأَبْدَان أو كل منها بشكلها، أو بكتابها وعَمَلها.

وإذا الصحف نشرت: صحف الأَعْمَال، فإنها تطوىٰ عند الموت، وتنشر عند الحساب.

كشطت: قلعت وأُزيلت، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة.

أُزلفت: قربت من المُؤْمِنين.

وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ - الأنبياء ١٠٤.

وقال عزَّ وعَلَا: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ - القارعة.

وقال جَلَّ وعَزَّ: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ - عبَس.

وقال تعالىٰ: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ - الفجر(١).

الصُّوْر

تعريفه

هو قَرْنٌ كالبُوْق، ينفخ فيه إسرافيل، حين يأذن اللهُ تعالىٰ بقيام الساعة.

عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: جاء أعرابي إلىٰ النَّبِيّ ﷺ، فقال ما الصُّوْر؟ قال: قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه(٢).

قال مُجَاهِد: الصُّوْر كالبُوْق، ذكره البُخَارِيّ.

---

(١) انظر هٰذِهِ الصور وأمثالها في كتاب: مشَاهد القيامة في القُرْآن لسَيِّد قُطْب.

(٢) حَدِيْث: قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٨ باب ما جاء في شأن الصُّوْر، رقم ٢٤٣٠، ص٣٩٨، وقال: حَدِيْث حَسَن.

عدد النفخات

اختلفوا في عدد النفخات علىٰ قولين:

القول الأول: ثلاث نفخات: وهو اخْتيَار ابن العَرَبِيّ وغيره.

النفخةالأُوْلَىٰ: وهي نفخة الفَزَع، وهي التي يتغير بها هٰذَا العالم، ويفسد نِظَامه، فيفزع أهل السماوات والأرض لشدة هولها، فتذهل المراضع، وتشيب الولدان، وهي المشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴾ - ص ١٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ - النمل ٨٧.

النفخة الثانية: وهي نفخة الصَّعْق، وفيها هلاك كل شيء.

قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴾ - الزُّمَر ٦٨. وفسروا الصَّعْق بالموت.

قال رَسُوْل الله ﷺ: (يَطْوِي اللهُ عَزَّ وجَلَّ السماواتِ يومَ القيامةِ ثم يَأْخُذُهُنَّ بيده اليُمْنَىٰ، ثم يقول: أنا المَلِك، أين الجَبَّارون، أين المُتَكَبِّرون؟ ثم يَطْوِي الأَرَضِيْن بشماله، ثم يقول: أنا المَلِك، أين الجَبَّارون، أين المُتَكَبِّرون)[1].

النفخة الثالثة: وهي نفخة البعث والنُّشُور والقيام لرب العالمين.

قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴾ - يس ٥١.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ - الزُّمَر ٦٨.

القول الثاني: نفختان. ونفخة الفَزَع هي نفخة الصَّعْق، لأن الأمرين لازمان لها،

(١) حَدِيْث: **يَطْوِي اللهُ عَزَّ وجَلَّ السماواتِ**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: أول ٥٠ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٨، عن عبد الله بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أي: فزعوا فزعاً ماتوا منه، وهو الذي صَحَّحَهُ القُرْطُبِيّ، بدليل:

أ- حَدِيْث أبي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رَسُوْل الله ﷺ: ما بين النفختَيْن أَربعون. قالوا يا أبا هُرَيْرَة: أربعون يوماً؟ قال: أَبَيْتُ. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أَبَيْتُ. قالوا: أربعون سنة؟ قال أَبَيْتُ...[1].

ب- رِوَايَة ابن المُبَارَك عن الحَسَن قال: قال رَسُوْل الله ﷺ: (بين النفختين أربعون سنة، الأُوْلَىٰ: يميت الله تعالىٰ بها كل حي، والأُخرىٰ: يحيي الله بها كل ميت).

ج- الاستثناء (إلَّا ما شاء الله) الوارد في الآيتين: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ - الزُّمَر ٦٨، و﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾- النمل ٨٧، دال علىٰ أنهما وَاحِدَة.

قال الحَلِيْميّ: اتفقت الروايات علىٰ أن ما بين النفختين أربعون عاماً، بدليل الحَدِيْث المتقدم.

قال المُفَسِّرُوْن: المنادي هو إسرافيل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ينفخ في الصُّوْر[2].

---

(١) أي: أَبَيْتُ أن أجزم بأن المُرَاد أربعون يوماً أو شهراً أو سنة، بل الذي أجزم أنها أربعون مُجْمَلَة.

وحَدِيْث: ما بين النفختَيْن أَربعون... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٥٢ كتاب الفتن، ٢٨ باب ما بين النفختين، رقم ٢٩٥٥، بهٰذَا اللفظ.

وفي صَحِيْح البُخَارِيّ بلفظ مقارب في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر - سورة الزُّمَر، ٤ باب ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾، رقم ٤٨١٤. و٦٥ كتاب التَّفْسِيْر - سورة عم يتساءلون، ١ باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾، رقم ٤٩٣٥.

(٢) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٦١ وما بعدها، والتَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١٦٥-١٨٥.

الحشر

تعريفه وأدلته

الحشر في أصل اللُّغَة: الجمع[١]، يقال: حشرت الناس إذا جمعتهم. والمقصود من حشر الآخِرَة هو:

١- حشر الأموات من قبورهم بعد البعث جَميعاً. أي: جمع أجزاء الميت بعد التفرقة[٢]، ثم إحياء الأَبْدَان بعد موتها. وهٰذَا يرادف البَعْث والنُّشُور في المعنىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ - ق.

سراعاً: أي إلىٰ المنادي صاحب الصُّوْر.

يسير: هين سَهْل.

قال رَسُوْل الله ﷺ: (يُحشَر الناسُ يومَ القيامةِ علىٰ أَرضٍ بيضاءَ عَفْرَاءَ كقُرْصَة النَّقِيِّ، ليس فيها عَلَمٌ لأَحَد)[٣].

وعن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قام فينا رَسُوْل الله ﷺ خَطِيْباً بموعظة فقال: (يا أيها الناس إنكم تحشرون إلىٰ الله حُفَاةً عُرَاة غُرْلاً). ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا

---

(١) القَامُوْس المُحِيْط مادة (حشر).

(٢) انظر الخلاف بين المتكلمين: هل الحشر هو إيجاد بعد فناء؟ أو جمع بعد تفرق؟ مع بَيَان الأَدِلَّة في المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٠٠-١٠٧.

(٣) **حَدِيْث: يُحشَر الناسُ يومَ القيامةِ**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٥٠ كتاب صفات المنافقين، ٢ باب في البعث والنشور، رقم ٢٧٩٠، عن سَهْل بن سَعْد.

عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ - الأنبياء ١٠٤[١].

٢- حشرهم إلىٰ موقف الحساب، قال تعالىٰ: ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴾ - الكهف ٤٧.

٣- حشرهم إلىٰ الجنة والنار، قال تعالىٰ: ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴾ - مريم ٨٥، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴾ - طه ١٠٢. وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ - الفُرْقَان ٣٤[٢].

وقال بعضُهم: إن الحشر إذا أُطلق يراد به شرعاً الحشر من القبور ما لم يخصه دليل[٣].

فإذا قيل:

إن كانت الصيحة للخروج - في الآية: ﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴾ - سورة ق ٤٢ - فكيف يسمعونها وهم أموات؟

أُجيب: بأن نفخة الإحياء تمتد وتطول، فتكون أوائلها للإحياء وما بعدها للإزعاج من القبور، فلا يسمعون ما يكون للإحياء، ويسمعون ما كان للإزعاج.

ويحتمل: أن تتطاول تلك النفخة، والناس يحيون منها أَولاً فأَولاً، وكلما حيا وَاحِد سمع ما يحيي به من بعده، إلىٰ أن يتكَامِل الجميع للخروج[٤].

---

(١) حَدِيْث: **يا أيها الناس إنكم تحشرون**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٥١ كتاب الجنة وصفة نَعِيْمها وأهلها، ١٤ باب فناء الدنيا وبَيَان الحشر، رقم ٢٨٦٠ (٥٨).

(٢) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٢٠١ وما بعدها، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٥٤-١٥٥.

(٣) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٥٥.

(٤) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٢٠٢.

حكم الإيمان به

الإيمان به واجب، للنصوص الوَارِدَة فيه. وهٰذَا ما هو عليه أَهْل السُّنَّة وجُمْهُوْر المُعْتَزِلَة[1].

وأنكره الفَلَاسِفَة[2]، والمُلْحِدَة[3].

العَرْض والحسَاب

العَرْض

إذا بُعث الناس من قبورهم إلىٰ الموقف، وقاموا فيه ما شاء الله، يُعرضون علىٰ الله تعالىٰ. قال سُبْحَانَهُ: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ - الحَاقَّة.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ - الكهف ٤٨.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ - الكهف ٤٩[4].

(١) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٧٧.
(٢) المَوَاقِف ج٨ ص٢٩٤.
(٣) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ السَّابِق.
(٤) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦٠٠-٦٠١.

وعَرْض الناس هٰذَا يكون ثلاث عَرَضَات، بينتها الأَحَادِيْث الشَّرِيْفَة منها:

قوله ﷺ: (يُعرَضُ الناسُ يومَ القيامةِ ثلاثَ عَرَضَات: فأما عَرْضَتَان فجِدَالٌ ومَعَاذِيْر، وأما العَرْضَة الثالثة فعند ذٰلِكَ تَطير الصُّحُفُ في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه

ثبت بالدليل القطعي في العلم الحَدِيْث: أن الأصوات تحرك موجات الأَثِيْر، فتبقىٰ إلىٰ الأبد، ومن الممكن سَمَاعها مرة أُخرىٰ. إلَّا أن الصَّعْب هنا هو التَّمْيِيْز بين الأصوات الكثيرة، القديمة والحَدِيْثَة، وإن كان هناك احتمال قَوِيّ جداً اختراع الأجهزة الكفيلة بالتَّمْيِيْز بين هٰذِهِ الأصوات.

وليس ذٰلِكَ بغَرِيْب، إذ إن آلاف المحطات الإذاعية في العالم التي تذيع ليل نهار برامجها الكثيرة، والتي تمر موجاتها في الفضاء بسرعة ١٨٦ ألف ميل بالثانية، يمكن التَّمْيِيْز بين وَاحِدَة وأُخرىٰ حين يفتح المذياع ويدار مِفْتَاحه علىٰ المحطة المطلوبة. كما أن تسجيل الأصوات بالأشرطة الآن علىٰ آلة التسجيل يَصْلُح أن يكون مثالاً لما يحدث في الآخِرَة.

كما أن العلم الحَدِيْث يؤكد بأن جميع أَعْمَالنا التي نباشرها في الضَّوْء أو الظلمة، فرادى أو مع الناس، وحتىٰ الأشياء سواء كانت متحركة أم جامدة، تصدر عنها (حرارة) بصفة دائمة في كل مكان وفي كل حال، وهٰذِهِ الحرارة تعكس الأشكال وأبعادها تماماً. وقد تم اختراع آلات دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تخرج عن أي كائن، وبالتالي تعطي هٰذِهِ الآلة صورة فوتوغرافية كَامِلَة للكائن حينما خرجت منه الموجات الحرارية. وذات ليلة حلقت طائرة مجهولة في سماء نيويورك، فصوروا الموجات الحرارية لفضاء نيويورك بهٰذِهِ الآلة، وأدىٰ ذٰلِكَ إلىٰ مَعْرِفَة طراز الطائرة ونوعها.

فإذا أكد العلم الحَدِيْث تسجيل الأقوال والأفعال في الفضاء، فلا تبقىٰ مِرْيَةٌ لمرتاب في أمر حساب الله تعالىٰ للناس، ونشر سجلاتهم أمامهم يوم القيامة، لينالوا جزاء ما فعلوه، فيرىٰ حياته كقصة مُصَوَّرَة علىٰ فيلم كَامِل، تتجلىٰ فيها حركاته القلبية واللِّسَانية والعضوية مسجلة بآلات تصوير أُوتوماتيكية سريعة علىٰ صفحة الفضاء في كل حين ليلاً أو نهاراً، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ – ق ١٨، ويقول هٰؤُلَاءِ في ذٰلِكَ اليوم: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ – الكهف ٤٩. / انظر: الإسلام يتحدىٰ ص٨٠-٨١.

وآخِذٌ بشماله)[1].

فتطاير الصحف في اليمين والشمال، هو المقصود بقوله تعالىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ - الإسراء.

قال ابن عَبَّاس: طائره: عَمَله.

وقال الحَسَن: يقرأ الإنسان كتابه، أُمِّيّاً كان أو غير أُمِّيّ.

الحسَاب

تعريفه

الحساب لُغَةً: العدد.

واصْطِلَاحاً: هو توقيف اللهِ الناسَ علىٰ أَعْمَالهم، خَيْراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلاً، تفصيلاً، بعد أخذهم كتبها[2].

فإذا وقف الناسُ علىٰ أَعْمَالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث، حوسبوا بها، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ - الانشقاق.

والمحاسبة تكون عند إتيان الكتب، لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذَاكِرين لأَعْمَالهم، قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ ﴾ - المجادلة ٦.

---

(١) حَدِيْث: **يُعرَضُ الناسُ يومَ القيامةِ ثلاث...** إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٤ باب ما جاء في العَرْض، رقم ٢٤٢٥، ص٣٩٧، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي: سُنَن ابن مَاجَة في: ٣٧ كتاب الزهد، ٣٣ باب ذكر البعث، رقم ٤٢٧٧، ج٢ ص١٤٣٠، من حَدِيْث أبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُورِيّ ص٢٨٢.

ما يُسأل عنه

وعند الحساب يُسأل العبد.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ - الإسراء ٣٦.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ - الزلزلة، أي: يُسأل عن ذٰلِكَ، ويُجازىٰ.

قال رَسُوْل الله ﷺ: (لا تَزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة حتىٰ يُسأل: عن عُمُرِهِ فيمَ أفناه، وعن عِلْمِهِ فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيمَ أنفقْه، وعن جسمه فيمَ أبلاه)[1].

شهادة الجوارح عليه

وحين يُسأل العبد عما اقترف في دنياه، يَشهد عليه سمعه وبصره وجلده تبكيتاً.

قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ - فُصِّلَت.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ - يس ٦٥.

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ - النُّوْر ٢٤.

---

(١) حَدِيْث: **لا تَزولُ قدما عبدٍ**... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ١ باب في القيامة، رقم ٢٤١٧، ص٣٩٦، عن أبي بَرْزَة الأَسْلَمِيّ. وقال: حَدِيْث حَسَن صَحِيْح.

الحكمة من الحساب

ومحاسبة الله تعالىٰ لخلقه هي إعْلَامهم بما لهم وما عليهم، فيُؤتىٰ السَّعْداءُ كتبهم بيمينهم، ويُؤتىٰ الأشقياء كتبهم بشمالهم، أو وراء ظهورهم.

قال تعالىٰ: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴾ - آل عِمْرَان ١٠٦ [(١)].

وحكمته هي إظهار تفاوت المراتب في الكَمَال، وفضائح أهل النقص. ففيه ترغيبٌ في الحَسَنَات وزجرٌ عن السيئات[(٢)].

أنواع الحساب

منه، اليسير والعسير، والسر والجهر، والتوبيخ والفضل والعَدْل. قال بعضُ العُلَمَاء: ذكر الله تعالىٰ الحساب جُمْلَة، وجاءت الأخبار بذٰلِكَ، وفي بعضها ما يَدُلّ علىٰ أن كَثيراً من المُؤْمنين يدخلون الجنة بغير حساب، فصار الناس إذن ثلاث فِرَق: فِرْقة لا يحاسبون أَصلاً، وفِرْقة تحاسب حساباً يسيراً، وهما من المُؤْمنين. وفِرْقة تحاسب حساباً شديداً يكون منها مُسْلِم وكافر. وإذا كان من المُؤْمنين من يكون أدنىٰ إلىٰ رحمة الله، فيدخل الجنة بغير حساب، فلا يبعد أن يكون من الكافرين من يكون هو أدنىٰ إلىٰ غضب الله، فيدخله النار بغير حساب[(٣)].

حكم الإيمان به

الإيمان بالحساب واجب. لأنه حقٌّ ثبت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع[(٤)].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٢٥٣ وما بعدها، ولَوَامِع الأَنْوار البَهِيَّة ج٢ ص١٧١و١٨٠-١٨١ والغُنْيَة للشيخ عبد القَادِر ج١ ص٨١.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُورِيّ ص٢٨٣.

(٣) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٢٨٦. وانظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُورِيّ ص٢٨٢-٢٨٣.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص٢٢٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُورِيّ ص٢٨٢.

الحَوْض

أدلته ووصفه

الحَوْض الذي يُعطاه النَّبِيّ ﷺ في الآخِرَة ثَابِت بالأَحَادِيْث الصَّحِيْحة.

والأَحَادِيْث الوَارِدَة في ذكر الحوض ووصفه تبلُغ حد التواتر، رواها من الصَّحَابَة بِضْعٌ وثلاثون صَحَابِيّاً، استقصاها ابن كَثِيْر في آخر تاريخه البِدَايَة والنِّهَايَة[1]، منها:

عن أبي ذَرّ قال: قلتُ يا رَسُوْل الله: ما آنيةُ الحَوْض؟ قال: والذي نفسُ مُحَمَّد بيده لَآنِيَتُهُ أكثرُ من عدد نُجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المُظلِمة المُصْحِيَة، آنيةُ الجنة مَنْ شَرِبَ منها لم يَظمأْ آخِرَ ما عليه، يَشْخُبُ فيه مِيْزَابَان من الجَنَّة، من شَرِبَ منه لم يَظمأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُوله، ما بين عَمَّان إلىٰ أَيْلَةَ، ماؤُه أَشَدُّ بياضاً من اللَّبَن وأَحلىٰ من العَسَل.

وقال ﷺ: حَوْضي مَسِيْرَة شَهْرٍ، وزواياهُ سَوَاء، وماؤُه أَبيضُ من الوَرِق، وريحُه أَطيبُ من المِسْك، وكِيْزَانُه كنُجُوم السماء، فمن شَرِبَ منه فلا يَظمأُ بعده أَبداً.

وعن أَنَس قال: بينَا رَسُوْل الله ﷺ ذاتَ يومٍ بين أَظْهُرنا، إذ أَغْفَىٰ إغفاءَةً، ثم رفع رأسَه متبسِّماً، فقلنا: ما أضحككَ يا رَسُوْل الله؟ قال: أُنزِلت عَلِيّ آنِفاً سورةٌ، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾، ثم قال: أتدرون ما الكوثرُ؟ فقلنا: اللهُ ورَسُوْله أَعلمُ. قال: فإنه نَهرٌ وَعَدَنِيْهِ ربي عَزَّ وجَلَّ، عليه خَيْر كثير، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يومَ القيامة، آنيتُه عَدَدُ

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٧٧. وانظر من هٰذِهِ الروايات في: شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٥ ص٤٢٢ وما بعدها.

النجوم، فيُخْتَلَجُ العبدُ منهم، فأقول: رَبِّ، إنه من أُمَّتِي. فيقول: ما تدري ما أَحدثتْ بعدَكَ[١].

والذي يؤخذ من الأَحَادِيْث الوَارِدَة في صفة الحوض: أنه حوض عَظِيْم، ومَوْرِد كَرِيْم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، الذي هو أشدُّ بياضاً من اللَّبَن، وأبرد من الثلج، وأحلىٰ من العَسَل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غَايَة الاتساع، عَرضُه وطولُه سواء[٢].

أما ثُبُوْته بالقُرْآن الكَرِيْم في سورة الكوثر فهو احتمال وليس بصَرِيْح، لأن العُلَمَاء اختلفوا في تَفْسِيْر الكوثر، هل هو الحوض، أو الخَيْر الكثير، أو النهر الذي في الجنة[٣]؟

من يطرد عن الحوض

قال النَّبِيّ ﷺ: لَيَرِدَنَّ عَلِيّ ناسٌ من أَصْحَابِي الحوضَ، حتىٰ إذا عرفتُهم، اخْتُلِجُوا دوني، فأقول: أَصْحَابِي؟ فيقول: لا تَدْرِي ما أحدثوا بعدَكَ.

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٠٣-٣٠٤ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٧٩.

حَدِيْث: والذي نفسُ مُحَمَّد بيده لآنِيَتُهُ... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٩ باب إثبات حوض نبينا مُحَمَّد ﷺ وصفاته، رقم ٢٣٠٠.

وحَدِيْث: حَوْضي مَسِيْرَة شَهْرٍ... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٩ باب إثبات حوض نَبِيّنا مُحَمَّد ﷺ وصفاته، رقم ٢٢٩٢، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وحَدِيْث: بينَا رَسُوْل الله ﷺ ذاتَ يوم... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤ كتاب الصلاة، ١٤ باب حُجَّة من قال: البسملة آية من كل سورةٍ، سوىٰ براءة، رقم ٤٠٠.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٨٠.

(٣) انظر الأقوال العديدة في المُرَاد بالكوثر في: تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ ج١٠ ص٧٣٠٦-٧٣٠٨.

وقال ﷺ: (إنِّي علىٰ الحَوْض حتىٰ أَنظرَ مَنْ يَرِد عَلِيّ منكم، وسيُؤخَذُ أُناسٌ دُوني، فأقولُ: يا رَبِّ مِنِّي ومِنْ أُمَّتِي، فيقالُ: أما شَعَرْتَ ما عَملوا بعدَك؟ والله ما بَرِحُوا بعدَكَ يَرجِعُون علىٰ أَعقابهم).

قال العُلَمَاء: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه[1].

حكم الإيمان به

الإيمان بالحوض واجب، فيثاب عليه من صدق به، ويبدَّع ويفسق جاحده. وهو مَذْهَب الجُمْهُوْر. لما مر من الأَحَادِيْث الصريحة بإثباته.

وفي ذٰلِكَ رد علىٰ المُعْتَزِلَة الذين نفوه[2].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبيّ ص٣٠٦ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٠٠ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣٠٤.

حَدِيْث: لَيَرِدَنَّ عَلِيّ ناسٌ... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٥٣ باب في الحوض، رقم ٦٥٨٢، عن أَنَس بن مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحَدِيْث بلفظٍ آخر في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٩ باب إثبات حوض نَبِيّنا ﷺ وصفاته، رقم ٢٣٠٣، عن أَنَس بن مَالِك.

اختُلِجُوا: اقتُطِعُوا.

وحَدِيْث: إنِّي علىٰ الحَوْض حتىٰ أَنظرَ... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٩ باب إثبات حوض نَبِيّنا ﷺ وصفاته، رقم ٢٢٩٣، عن أسماء بنت أبي بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلام ص٢٤٠ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣٠٢. والقول بأن الحَوْضَ حقٌّ في: أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٢٨ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٢١. وقول المُعْتَزِلَة في إنكار الحَوْض في: الإبَانَة للأَشْعَرِيّ ص٢٤٥ ورَدَّه.

المِيـزَان

تعريفه

الوزن في أصل اللُّغَة: مَعْرِفَة كمية بأُخرىٰ علىٰ وجهٍ مخصوصٍ[(١)]. والمِيْزَان في اللُّغَة: معروف.

وفي الاصْطِلَاح هو: أن الله تعالىٰ ينصب مِيْزَاناً، وله لِسَان وكِفَّتَان يوم القيامة، توزن به أَعْمَال العِبَاد خَيْرها وشرها. وهٰذَا قول الجُمْهُوْر. لظَاهِر الأَحَادِيْث الوَارِدَة في ذٰلِكَ، كما سيأتي.

قال العُلَمَاء: إذا انقضىٰ الحساب كان بعده وزن الأَعْمَال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدِير الأَعْمَال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها.

ودليل ثُبُوْت المِيْزَان من القُرْآن الكَرِيْم:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ - الأنبياء ٤٧.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾ - القارعة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ - الأعراف ٩.

ومن السُّنَّة النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحة أَحَادِيْث كثيرة[(٢)]، سيأتي بعضها.

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص٢٣٤.

(٢) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٠٩ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٤ نَقْلًا عن التَّذْكِرَة، وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦٠٩ وما بعدها.

الموزون

اختلف العُلَمَاء في ما يوزن تَبَعاً لاختلاف الأَحَادِيْث الوَارِدَة فيه علىٰ أقوال:

القول الأول: صحف الأَعْمَال. وهو ما صَحَّحَهُ القُرْطُبِيّ وابن عبد البَرّ، وصَوَّبه الشيخ مَرْعِيّ، وذهب إليه جُمْهُوْر من المُفَسِّرِيْن، بدليل:

أ- قوله ﷺ: إن الله سيُخَلِّص رَجُلاً من أُمَّتِي علىٰ رؤوس الخلائق يومَ القيامة فيَنْشُر عليه تسعةً وتسعين سِجِلّاً، كلُّ سِجِلّ مِثْلُ مَدّ البصر، ثم يقول: أَتُنكر من هٰذَا شَيئاً؟ أَظَلَمَك كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أَفَلَكَ عُذْر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلىٰ إن لك عندنا حَسَنَة، فإنه لا ظلمَ عليك اليومَ. فتُخْرَج له بِطاقةٌ، فيها أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُوْله، فيقول: أَحْضِر وَزْنَكَ، فيقول يا رب ما هٰذِهِ البِطَاقة مع هٰذِهِ السِّجِلَّات؟ فقال: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السِّجِلَّات في كِفَّةٍ، والبِطاقَةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَت البِطَاقةُ، فلا يَثْقُلُ مع اسم الله شيءٌ.

ب- إن الرَّسُوْل ﷺ سئل عما يوزن يوم القيامة. فقال: الصُّحُف[1].

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٧.

حَدِيْث: إن الله سيُخَلِّص رَجُلاً... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٧ كتاب الإيمان، ١٧ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، رقم ٢٦٣٩، ص٤٢٨، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وقال: حَسَن غَرِيْب.

وأَخْرَجَهُ ابنُ مَاجَة في سُنَنه في: ٣٧ كتاب الزهد، ٣٥ باب ما يُرجَىٰ من رحمة الله يوم القيامة، رقم ٤٣٠٠، ج٢ ص١٤٣٧ عن عبد الله بن عَمْرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال في أول الحَدِيْث: (يصاح برجل من أُمَّتِي يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق). وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج٥ ص٣٥٦: إسناده صَحِيْح.

ورواه ابن حِبَّان في صَحِيْحِهِ والحَاكِم والبَيْهَقِيّ، وقال الحَاكِم علىٰ شرط مُسْلِم. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٧.

ج- قال ابن عُمَر: توزن صحائف الأَعْمَال[(١)].

القول الثاني: العامل. بدليل:

أ- حَدِيْث البِطاقة السَّابِق الوارد بلفظ آخر: توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتىٰ بالرجل فيوضع في كِفَّةٍ... الحَدِيْث.

ب- قوله: إنَّه لَيأتي الرجلُ العَظِيْم السَّمِيْن يومَ القيامة، لا يَزِنُ عندَ الله جَناحَ بَعُوضةٍ، وقال: اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ - الكهف ١٠٥.

ج- عن ابن مَسْعُوْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يَجْتَنِي سِواكاً من الأَرَاك، وكان دقيقَ السَّاقَيْن، فجعلت الريحُ تَكْفَؤُه، فضحك القوم منه، فقال رَسُوْل الله ﷺ: مِمَّ تَضحكون؟ قالوا: يا نَبِيّ الله، من دِقَّة سَاقَيْه. فقال: والذي نفسي بيده لهما أَثقلُ في المِيْزَان من أُحُد[(٢)].

قال مُحَمَّد بن يَحْيَىٰ: **البطَاقَة**: الرُّقْعَة، وأهل مِصْر يقولون للرُّقْعَة: بِطَاقَة. / سُنَن ابن مَاجَة السَّابِق، والتَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ.

وحَدِيْث: سئل عما يوزن... إلخ، ذكره الفَخْر الرَّازِيّ وغيره، وحكاه ابن عَطِيَّة عن أبي المَعَالي. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق.

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣١٣.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦١٠.

حَدِيْث: إنَّه لَيأتي الرجلُ العَظِيْم... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر، ٦ باب ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ - الكهف ١٠٥، رقم ٤٧٢٩، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهو في صَحِيْح مُسْلِم في: ٥٠ كتاب المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٥، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وحَدِيْث ابن مَسْعُوْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **أنه كان يَجْتَنِي سِواكاً**... إلخ، في: مُسْنَد الإمَام أَحْمَد ج١ ص٤٢٠-٤٢١. وهو حَدِيْث حَسَن. انظر تَخْرِيْجه في هامش ص٦١١ من شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة المذكور.

القول الثالث: الأَعْمَال. بدليل:

أ- قوله ﷺ: الطُّهُور شَطْر الإيمان، والحمدُ لله تَملأُ المِيْزَان.

ب- قوله ﷺ: كَلِمَتَان خَفِيْفَتَان علىٰ اللِّسَان، ثقيلتانِ في المِيْزَان، حَبِيْبَتَانِ إلىٰ الرَّحْمٰن، سُبْحَانَ الله وبحمده، سُبْحَانَ الله العَظِيْم(١).

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦١١ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٩٢ وفيهما الأقوال الثلاثة. وذكر القولين الأول والثالث الغَزْنَوِيّ في أُصُوْل الدِّيْن ص٢٢٧. وقال البَاقِلَّانِيّ في الإنْصَاف ص٥٢: الموزون في المِيْزَان هو صحائف الأَعْمَال.

حَدِيْث: **الطُّهُور شَطْر الإيمان**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٢ كتاب الطهارة، ١ باب فضل الوُضُوْء، رقم ٢٢٣، عن أبي مَالِك الأَشْعَرِيّ.

وحَدِيْث: **كَلِمَتَان خَفِيْفَتَان علىٰ اللِّسَان**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٣ كتاب الأَيمان والنذور، ١٩ باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلىٰ...، رقم ٦٦٨٢، بهٰذَا اللفظ. وفيه حَدِيْثَان مقاربان باللفظ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ٦٥ باب فضل التسبيح، رقم ٦٤٠٦. و٩٧ كتاب التَّوْحِيْد، ٥٨ باب قول الله تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ - الأنبياء ٤٧، رقم ٧٥٦٣. وكلها عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٨ كتاب الذِّكْر والدعاء، ١٠ باب فضل التهليل والتسبيح...، رقم ٢٦٩٤، بهٰذَا اللفظ، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وسُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٤٤ كتاب الدَّعَوَات، ٥٩ باب، رقم ٣٤٦٧، ص٥٤٧. وهو في عَارِضَة الأَحْوَذِيّ ج١٣ ص١٦.

وسُنَن ابن مَاجَة في: ٣٣ كتاب الأدب، ٥٦ باب فضل التسبيح، رقم ٣٨٠٦، ج٢ ص١٢٥١ عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج٤ ص٧١٥: إسناده صَحِيْح.

ومُسْنَد أَحْمَد ج٢ ص٢٣٢.

وانظر الحَدِيْث مُخَرَّجاً مشروحاً في كتابي: الكَمَال بن الهُمَام وتَحْقِيْق رسالته: إعراب قوله ﷺ: كَلِمَتَان خَفِيْفَتَان علىٰ اللِّسَان... .

الحكمة من المِيـْزَان

هي إظهار العَدْل وبَيَان الفَضْل، حيث إنه يزن مثاقيل الذَّرّ من خَيْر وشر[1]، فهو عَلَامَة لأهل السَّعَادَة والشقاوة، وبه يعرف العِبَاد ما لهم وما عليهم من الخَيْر والشر، فتقام الحُجَّة عليهم[2].

كيفية الوزن

ويكون بمُقَابَلَة الحَسَنَات بالسيئات، كلٌّ في كِفَّة[3]، في قول الجُمْهُوْر.

لمن يكون الوزن؟

توزن أَعْمَال من خلط عَمَلاً صالحاً وآخر سيئاً من المُؤْمِنين، لينال كلٌّ جزاءه.

وتوزن أَعْمَال المُؤْمِنين المُتَّقِيْن لإظهار فضلهم.

أما السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب - كما ورد في الحَدِيْث - فلا ترفع لهم مِيْزَان. ولا يأخذون صحفاً، وإنما هي براءات مكتوبة: لا إلٰه إلَّا الله مُحَمَّد رَسُوْل الله، هٰذِهِ براءة فُلَان بن فُلَان، قد غفر له، وسَعِدَ سَعَادَة لا يشقىٰ بعدها.

وتوزن أَعْمَال الكافرين، إظهاراً لخزيهم وذلهم، وتبكيتاً علىٰ خلوهم من كل خَيْر[4].

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٨. وانظر: شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦١٣.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٩٣.

(٣) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣١٢.

(٤) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣١١و٣١٥.

حكم الإيمان به

الإيمان بالمِيْزَان واجب، وهو قول الجُمْهُوْر، لثُبُوْته بالكتاب والسُّنَّة كما تقدم[١].

وأنكر المِيْزَان جَهْم بن صَفْوَان[٢]، والمُعْتَزِلَة والإبَاضِيَّة والمُرْجِئَة والخَوَارِج، وزعموا أن المِيْزَان هو العَدْل، لأن الأَعْمَال عندهم هي أعراض، والأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بنفسها[٣]، ولا توصف بالخفة والثقل.

وجوابه هو:

أَنَّ جسم الإنسان وغيره من الجَوَاهِر علىٰ الأرض له وزن معين، وذٰلِكَ بتَأْثِيْر الجاذبية الأرضية، ولٰكِن حين ينفصل عن جاذبية الأرض ينعدم وزنه، فالجسم في القمر مثلاً ليس له وزن وفي الأرض له وزنه. كذٰلِكَ الأَعْمَال وهي أعراض في الدنيا لا وزن لها، لٰكِن لا مَانِع من أن تقلب في الحياة الآخِرَة أجساماً فتوزن.

يؤيد هٰذَا:

أ- ما روي عن ابن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن الله تعالىٰ يقلب الأعراض أجساماً، فيزنها يوم القيامة.

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص٢٣٣-٢٣٤. وانظر: أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٢٧ وفيه: المِيْزَان ذو الكفتين حَقٌّ.

(٢) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١١٠.

(٣) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص١١٤. وذُكِرَ في: مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٢٥ قول الإبَاضِيَّة وجُمْهُوْر المُعْتَزِلَة. وذكر الشيخ عبد القَادِر في الغُنْيَة ج١ ص٨١ قول المُعْتَزِلَة والمُرْجِئَة والخَوَارِج ورَدَّ عليهم. وذَكَرَ في المَوَاقِف ج٨ ص٣٢١: (أنكره المُعْتَزِلَة عن آخرهم). وفي شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٢٠: (وأنكره بعض المُعْتَزِلَة). وفي بَحْر الكَلَام ص١٥٠: (قالت المُعْتَزِلَة: لا مِيْزَان ولا حِسَاب ولا صِرَاط ولا حَوْض ولا شَفَاعَة... وكُلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ اللهُ تعالىٰ فيه المِيْزَان والحِسَاب أَرادَ به العَدْل).

ب- قوله ﷺ: (يؤتىٰ بالموت كبشاً أَغْثَرَ، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيَشْرَئِبُّون وينظرون. ويقال لأهل النار، فيَشْرَئِبُّون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفَرَج، فيذبح فيقال: خلوداً لا موت)[١].

فالموت، وهو عَرَض في الدنيا، يُقلب جسماً في الآخِرَة ويُذبح، فكذٰلِكَ الأَعْمَال.

الصِّرَاط

تعريفه

الصراط لُغَةً: الطريق الواضح. من سرطت الشيء إذا ابتلعته (بالصاد والسين)، لأنه يبتلع المارة. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ - الأنعام ١٥٣.

واصْطِلَاحاً: هو جسر ممدود علىٰ ظهر جهنم، يعبر عليه جميع الخلائق، المُؤْمِن وغير المُؤْمِن[٢]، فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار[٣].

وأَدِلَّة ثُبُوْت الصِّرَاط من القُرْآن الكَرِيْم آيات منها:

أ- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ - يس ٦٦.

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣١٣ والمَوَاقِف وشرحه ج٨ ص٣٢١.

وحَدِيْث: يؤتىٰ بالموت كبشاً... إلخ، في: مُسْنَد أَحْمَد ج٢ ص٤٢٣، عن أبي هُرَيْرَة.

أَغْثَر: كثير الصوف.

اشْرَأَبَّ الرَّجُلُ: مَدَّ عنقه لينظر.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٢١. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٢٠ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٩ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٩٤.

(٣) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق.

ب- ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ - مريم، أي: واردو النار.

وبأَحَادِيْث كثيرة منها قوله ﷺ: (ثم يُضربُ الجِسْرُ علىٰ جهنمَ، وتَحِلُّ الشفاعةُ، ويَقولون اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. قيل: يا رَسُوْل الله، وما الجِسْرُ؟ قال: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فيه خَطَاطِيْفُ وكَلَالِيْبُ وحَسَكٌ، تكونُ بنَجْد فيها شُوَيْكة، يقال لها السَّعْدَان، فيَمُرُّ المُؤْمنون كطَرْف العَيْن، وكالبَرْق، وكالريح، وكالطَّيْر، وكأَجَاوِيْد الخَيْل والرِّكَاب، فنَاجٍ مُسَلَّمٌ، ومَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، ومَكْدُوسٌ في نار جهنم)[١].

وحين يمر المُؤْمِنون علىٰ الصراط يُعْطَونَ نورَهم علىٰ قَدْر أَعْمَالهم، فمنهم من يُعطَىٰ نورَه مِثْلَ الجَبَلِ بين يَدَيْهِ، ومنهم فوق ذٰلِكَ، ومنهم دونه، كما أشار إلىٰ ذٰلِكَ الحَدِيْث الذي رواه البَيْهَقِيّ[٢].

وصف الصراط

قال أبو سَعِيْد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بَلغَنِي أن الجِسْر أَدَقُّ من الشَّعَرَةِ، وأَحَدُّ من السَّيْف[٣].

وذهب بعضُ المتكلمين كالقَرَافِيّ والعِزّ بن عبد السَّلَام إلىٰ تأويل هٰذَا الوصف،

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٣١.

وحَدِيْث: ثم يُضربُ الجِسْرُ علىٰ جهنمَ... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٨١ باب مَعْرِفَة طريق الرؤية، رقم ١٨٣، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦٠٥، وفيه حَدِيْث البَيْهَقِيّ بسَنَده عن مَسْرُوْق عن عبد الله بن مَسْعُوْد، وانظر تَخْرِيْجه في هامش ص٦٠٦.

(٣) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٣١.

وحَدِيْث: بَلغَنِي أن الجسر... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٨١ باب مَعْرِفَة طريق الرؤية، رقم ١٨٣.

فقالوا:

أ- إنه راجع إلىٰ يسره وعسره علىٰ قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذٰلِكَ إلَّا الله تعالىٰ، وقد جرت العادة بضرب دقة الشَّعَر مثلاً للغامض الخفي، وضرب حدّ السَّيْف لإسراع الملائكة في المضي، لامتثال أمر الله وإجازة الناس عليه.

ب- وهٰـذَا الوصف مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه، وأن فيه كلاليب وحَسَكاً، أي: أن من يمر عليه يقع علىٰ بطنه، ومنهم من يزل ثم يقوم. وفي ذٰلِكَ إشارة إلىٰ أن للمارين عليه مواطئ للأقدام، ودقة الشَّعَر لا يحتمل هٰذَا كله.

وقال القَرَافِيّ تَبَعاً للبَيْهَقِيّ: (كون الصراط أدق من الشَّعَر، وأَحَدّ من السَّيْف، لم أجده في الروايات الصَّحِيْحة، وإنما يُرْوَىٰ عن بعض الصَّحَابَة)[1].

وردَّ هٰذَا القول الإمَام القُرْطُبِيّ فقال: وهٰذَا مردود بما ورد من الأخبار، وأن الإيمان يجب بذٰلِكَ، وأن القَادِر علىٰ إمساك الطير في الهواء قَادِر علىٰ أن يمسك عليه المُؤْمِن، فيجريه أو يمشيه. ولا يعدل عن الحقيقة إلىٰ المجاز إلَّا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذٰلِكَ للآثار الوَارِدَة في ذٰلِكَ، وبَيَانها بنقل الأَئِمَّة العدول، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور[2].

الصراط صراطان

ذكر العُلَمَاء أن في الآخِرَة صراطين:

الأول: مجاز لأهل الحشر كلهم، ثقيلهم وخفيفهم، إلَّا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار، ولا يخلص منه المُؤْمِنون الذين علم الله منهم أن القِصَاص لا يستنفد حَسَنَاتهم، فيحبسون علىٰ صراطٍ **آخر ثانٍ**، بين الجنة والنار، ولا يرجع إلىٰ النار

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٣٣ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٩٣.

(٢) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ السَّابِق، ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٩٤ نَقْلًا عن التَّذْكِرَة. وانظر: المَقَاصِد وشرحه ج٥ ص١٢٠ وإحياء عُلُوْم الدِّيْن ج١ ص١٢٠.

من هٰؤُلَاءِ أَحَد إن شاء الله، لأنهم قد عبروا الصراط الأول، المضروب علىٰ متن جهنم، الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأربىٰ علىٰ الحَسَنَات بالقِصَاص جُرْمُه.

قال رَسُوْل الله ﷺ: (يَخْلُصُ المُؤْمِنون من النار، فيُحْبَسُون علىٰ قَنْطَرَة بين الجنة والنار فيُقَصُّ لبعضِهم من بعض. مَظَالـمُ كانت بينَهم في الدنيا، حتىٰ إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخُول الجنة، فوالذي نفس مُحَمَّد بيده، لَأَحدُهم أَهْدَىٰ بمنزِله في الجنة منه بمنزِله كان في الدنيا).

ذكر الدَّارَقُطْنِيّ حَدِيْثاً ذكر فيه: أن الجنة بعد الصراط.

قال القُرْطُبِيّ: ولعله بعد القنطرة، بدليل حَدِيْث البُخَارِيّ[1].

الحكمة من المرور على الصراط

هي ظهور النجاة من النار، وتَحَسُّر الكفار من فوز المُؤْمِنين بعد اشتراكهم معهم في المرور[2].

حكم الإيمان به

الإيمان به واجب عند الجُمْهُوْر، لما تقدم من الأَدِلَّة الصريحة[3]. ووَافَقَهُم بعض

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٣٨-٣٣٩ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٩.

وحَدِيْث: يَخْلُصُ المُؤْمِنون من النار... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٤٨ باب القِصَاص يوم القيامة، رقم ٦٥٣٥، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ، بهٰذَا اللفظ. وانظره بلفظ مقارب في: ٤٦ كتاب المظالم والغصب، ١ (أ) باب قِصَاص المظالم، رقم ٢٤٤٠، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٩٥.

(٣) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص٢٣٥.

المُعْتَزِلَة[١]، وبعضُ الإبَاضِيَّة[٢].

وأنكره أكثرُ المُعْتَزِلَة[٣]، وفريقٌ من الإبَاضِيَّة فقالوا: إنَّ الصراطَ هو الحق المشروع وأَنَّ أصناف السالكين فيه تمثيلٌ لرُتَب المُكَلَّفين[٤].

الجنة والنار

تقدم أن الإنسان يبعث من القبر بعثاً جسمانياً - بروحه وجسده - فيتنعم المُؤْمِن، ويتعذب الكافر، فيشهد مشَاهد القيامة، حتىٰ ينتهي إلىٰ مكان عقابه أو ثوابه الأَخِيْر، وهو الجنة أو النار.

وقد صورتها نصوص القُرْآن الكَرِيْم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة المطهرة، بما يقطع أن لهما كياناً مادياً محسوساً، لٰكِن صورة ذٰلِكَ الكيان مقرَّبة إلىٰ تفكير الإنسان في الحياة الدنيا علىٰ سَبِيْل المثال، ليعلم مدىٰ العذاب أو اللذة الجسدية والروحية فيهما، وإلَّا فإن الجنة والنار أَوْسع وأكبر مما يتصوره عقل الإنسان في حياته الدنيا، بدليل:

قوله ﷺ: (يقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: أَعددْتُ لعِبَادِيَ الصَّالِحِيْن ما لا عَيْنٌ رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعت، ولا خَطَر علىٰ قلب بَشَر، ذُخْراً، بَلْهَ (أي: غير أو دَعْ) ما أَطْلَعَكُم اللهُ عليه، ثم قرأ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ - السجدة ١٧)[٥].

---

(١) تردَّد قول الجُبَّائِيّ فيه، فنفاه تارةً وأثبته أُخرىٰ. وذهب أبو الهُذَيْل وبِشْر بن المُعْتَمِر إلىٰ جوازه دون الحكم بوقوعه. / المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٢١.

(٢) ذهب بعضُ الإبَاضِيَّة مثل: هود بن محكم، وإسْمَاعِيْل في القناطر، والقُطْب في الهِمْيَان وجَامِع الشمل، إلىٰ ما ذهب إليه الأَشَاعِرَة، أَنَّ الصراط جسر ممدود علىٰ متن جهنم.... / مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٢٨.

(٣) المَوَاقِف ج٨ ص٣٢١.

(٤) مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٢٨.

(٥) حَدِيْث: **يقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: أَعددْتُ لعِبَادِيَ الصَّالِحِيْن**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: بِدَايَة ٥١ كتاب الجنة، رقم ٢٨٢٤ (٤)، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقوله ﷺ: (يُنادي منادٍ: إنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَموا أَبداً، وإنَّ لكم أَنْ تَحْيَوْا فلا تَموتوا أَبداً، وإنَّ لكم أَنْ تَشِبُّوْا فلا تَهْرَمُوْا أَبداً، وإنَّ لكم أَنْ تَنْعَمُوْا فلا تَبْأَسُوْا أَبداً، فذٰلِكَ قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ - الأعراف ٤٣)[1].

وهنا أُبين ما ذكره القُرْآن الكَرِيْم خاصةً من أوصافٍ لهما ولأهلهما، ترغيباً بالجنة ونَعِيْمها، وترهيباً من النار وفظاعة عذابها.

النار

أهل النار

أعد اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ النار، عقاباً للذين لم يعملوا بما أمر اللهُ تعالىٰ، ولم ينتهوا عما نهىٰ عنه في الحياة الدنيا، وقد وصفهم القُرْآنُ الكَرِيْم بأوصافٍ هي:

١- الكافرون:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا﴾ - النساء ٥٦.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ - الأنفال ٣٦[2].

٢- المكذبون بآيات الله المُتكبِّرون عن سَمَاعها:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ - الأعراف ٤٠.

---

(١) حَدِيْث: يُنادي منادٍ: إنَّ لكم أن تَصِحُّوا... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٥١ كتاب الجنة، ٨ باب في دوام نَعِيْم أهل الجنة، رقم ٢٨٣٧، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ وأبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) وانظر أَيضاً: البقرة ٢٤ وآل عِمْرَان ١٣١ والمائدة ١٠ والأنعام ٧٠ ويُوْنُس ٤ والإسراء ٨ والكهف ١٠٢ والحج ٧٢ والعنكبوت ٦٨ والأحزاب ٦٤ وفاطر ٣٦ والزُّمَر ٧١ وغافر ٦ والملك ٦ والبينة ٦.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ - غافر ٦٠[١].

٣- المنافقون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ - النساء ١٤٥.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ﴾ - التوبة ٦٨.

٤- المجرمون:

قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ - مريم ٨٦.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ - الزخرف ٧٤[٢].

٥- الغاوون:

قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ - الشعراء ٩١.

٦- الظالمون:

قال تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ - المائدة ٧٢.

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ - الأعراف ٤١.

٧- الطاغون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ - النبأ.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ - النازعات.

---

(١) وانظر أَيضاً: المائدة ١٠ والفُرْقَان ١١ والزُّمَر ٦٠ وفُصِّلَت ٢٨ والمُرْسَلَات ٣٤ والنبأ ٢٨.

(٢) وانظر أَيضاً: القمر ٤٧.

٨- المُؤْثِرُون الحياة الدنيا علىٰ الآخِرَة:

قال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ - الإسراء ١٨.

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩﴾ - النازعات[1].

٩- الفُجَّار:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾ - الانفطار.

١٠- الفاسقون:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ - السجدة ٢٠.

١١- المُعَادُون لله ولرَسُوْله:

قال تعالىٰ: ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ﴾ - التوبة ٦٣.

١٢- من خفت موازينه (أي: طاشت كِفَّةُ حَسَنَاته أمام كِفَّةِ سيئاته الراجحة، في مِيْزَان يوم القيامة):

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ - المُؤْمنون ١٠٣.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ - القارعة[2].

---

(١) وانظر أَيضاً: يُوْنُس ٧-٨.

(٢) وانظر أَيضاً: البقرة ٨١.

أوصاف النار وحال أهلها في القرآن الكريم

١- تعرض جهنم علىٰ الكافرين يوم القيامة فتظهر بارزةً لهم:

قال تعالىٰ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ - الكهف ١٠٠.

وقال تعالىٰ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ - النازعات ٣٦.

٢- تَسَع جهنم مستحقيها من الجن والإنس:

قال تعالىٰ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ - هود ١١٩ والسجدة ١٣.

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ - ق ٣٠.

٣- لها أبواب:

قال تعالىٰ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ - الحِجْر ٤٤.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ - الزُّمَر ٧٢ وغافر ٧٦[1].

٤- لها خَزَنَة تُعنّفهم وتذيقهم أصناف العذاب:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ - الزُّمَر ٧١.

وقال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ - المُلْك.

٥- عليها ملائكة فيهم الغلظة والشدة:

قال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

(١) وانظر أيضاً: الزُّمَر ٧١.

﴿يُؤْمَرُونَ﴾ – التحريم ٦.

وقال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ – المُدَّثِّر ٣٠-٣١.

٦- مبنية علىٰ أَعمدة وموصَدة الأبواب:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ – الهُمَزَة.

٧- لها سرادق (حائط من نار):

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ – الكهف ٢٩.

٨- لها طَبَقَات، طبقة فوق أُخرىٰ:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ – النساء ١٤٥.

٩- جَوُّهَا لا يُطاق، فَحَرُّ نارها يَنْفُذ إلىٰ المسام، ودخانها أسود، لا يخفف حرها، بل يَزِيْد فيه:

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ – التوبة ٨١.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ – الواقعة[1].

١٠- موقدة حامية:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ – التكوير ١٢.

---

(١) وانظر أَيضاً: الواقعة ٩٣-٩٤.

سموم: حر يَنْفُذ إلىٰ المسام.

يحموم: دخان أسود.

كَرِيْم: نَافِع.

وقال تعالىٰ: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ - الغاشية ٤ [(١)].

١١- وشررها عَظِيْم:

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ - المُرْسَلات.

١٢- تزداد سعيراً كلما خَبَتْ:

قال تعالىٰ: ﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ - الإسراء ٩٧.

١٣- لها أصوات مُنْكَرَة مرعبة:

قال تعالىٰ: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ - الفُرْقَان ١٢.

وقال تعالىٰ: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ - المُلْك ٧-٨.

١٤- وهي شديدة، لا تبقي شَيئاً إلَّا أهلكته:

قال تعالىٰ: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ - المُدَّثِّر.

١٥- وأهلها يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطَّيِّب:

قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ - الأنفال.

١٦- ويعرضون علىٰ النار، فينظرون الهول من طرف خفي، رعباً وخشية:

قال تعالىٰ: ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ - الشُّوْرَىٰ ٤٥.

---

(١) وانظر أيضاً: القارعة ١٠-١١ والهُمَزَة ٦.

١٧- لا يفلت منها أَحَد:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ - العنكبوت ٥٤.

وقال تعالىٰ: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ - الكهف ٢٩.

١٨- ويلقون فيها من مكان ضيق مقرنين:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤﴾ - الفُرْقَان.

١٩- وقودها الناس والحجارة:

قال تعالىٰ: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ﴾ - البقرة ٢٤ والتحريم ٦.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ - آل عِمْرَان ١٠.

٢٠- تتسلط علىٰ الأفئدة:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ - الهُمَزَة ٧.

٢١- وعذابهم فيها متواصل:

قال تعالىٰ: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ - الزخرف ٧٥.

٢٢- ولهم فيها ألوان العذاب الأليم:

قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ - النساء ٥٦[١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ - النبأ ٣٠[٢].

---

(١) يقول الطب الحَدِيْث: إن الجسم يتكون من جِلد وأَدَمَة. والجلد هو موضع الإحساس، أما الأَدَمَة فلا إحساس بها. وهٰذَا من مواضع الإعجاز العِلْمِيّ للقُرْآن.

(٢) وانظر أَيضاً: الأنعام ٧٠ ويُونُس ٤ والتوبة ٣٤ والحج ٢٢ والسجدة ٢٠-٢١ وفاطر ٣٦ وغافر ٤٦ وفُصِّلَت ٢٧ والحديد ٢٠.

٢٣- لا صبر ولا طاقة لهم بالعذاب:

قال تعالى: ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ - الطُّوْر ١٦.

٢٤- الزبانية يسحبونهم في الحميم، والنار والأغلال في أعناقهم، ويضربون بمقامع من حديد:

قال تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ - غافر.

وقال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ - الدخان[1].

٢٥- لهم فيها زفير وشهيق:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ - هود ١٠٦.

وقال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ - الأنبياء ١٠٠.

٢٦- تلفح النار وجوههم وتقلب فيها:

قال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ - المُؤْمنون ١٠٤.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ - الأحزاب ٦٦.

٢٧- تنزع الأطراف وجلدة الرأس وتحرق البشرة وتسودها:

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ - المعارج.

---

(١) وانظر أيضاً: الحج ١٩-٢١ وق ٢٤و٢٦ والطُّوْر ١٣-١٤ والقمر ٤٨ والحَاقَّة ٣١-٣٢ والمُزَّمِّل ١٢.

وقال تعالىٰ: ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ - المُدَّثِّر ٢٩[١].

٢٨- فراشهم وغطاؤهم من النار:

قال تعالىٰ: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ - الأعراف ٤١.

وقال تعالىٰ: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾ - الزُّمَر ١٦[٢].

٢٩- ملابسهم من نار:

قال تعالىٰ: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ - إبْرَاهِيْم ٥٠[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ - الحج ١٩.

٣٠- الذين يكنزون الذَّهَب والفضة يعذبون بها كنزوا:

قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ - التوبة ٣٥.

٣١- طعامهم من شجر الزقوم، يخرج من أصل الجحيم، وهو شجر صَغِيْر الورق، دَفْر، مر الطعم، وثمره نار، يضطرهم الجوع إلىٰ أكله، لعدم وجود غيره. فيحرق معدهم،

---

(١) **لظىٰ**: لهب.

الشوىٰ: الأطراف أو جلدة الرأس.

لواحة: مسوّدة لأعالي الجلد.

(٢) وانظر أيضاً: العنكبوت ٥٥.

(٣) **القطران**: ما يطلىٰ به الإبل الجَرْبَىٰ فيحرق الجرب، وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة.

وشرابهم من المهل، وهو دُرْدِي الزَّيْت[١]، أو ما يمهل في النار، حتىٰ يذوب:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ - الدخان.

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ - الغاشية[٢].

٣٢- شرابهم الحميم (الماء المغلي)، والغَسَّاق (صديد أهل النار)، فيقطع الأمعاء من شدة حرارته:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ - إبْراهِيم.

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ - النبأ[٣].

٣٣- ويستغيثون، يطلبون الماء من شدة العطش، فيغاثون بماء كالمهل:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ﴾ - الكهف ٢٩.

وقال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ - الغاشية.

٣٤- وحرم عليهم طعام وشراب أهل الجنة:

قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا

---

(١) الدَّفْر: النتن.

دُرْدِي الزَّيْت: ما يبقىٰ في أسفل إناء الزَّيْت بقوامه الغليظ ولونه الأَحْمَر.

(٢) وانظر أيضاً: الصافات ٦٢-٦٧ والواقعة ٥٢-٥٥ والحَاقَّة ٣٥-٣٧.

ضريع: شيء في النار كالشوك مُرٌّ منتن.

(٣) وانظر أيضاً: الأنعام ٧٠ ويُونُس ٤ والكهف ٢٩ ومُحَمَّد ١٥ والرَّحْمٰن ٤٤.

رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ - الأعراف ٥٠.

٣٥- مصير أهل النار التعاسة والخزي وبئس المصير:

قال تعالىٰ: ﴿ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ - البقرة ٢٠٦.

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ - الفُرْقَان ٣٤[1].

٣٦- ويتمنون الرجوع إلىٰ الحياة الدنيا، حين يقفون علىٰ العذاب:

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾- الأنعام ٢٧.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾ - الشُّوْرَىٰ ٤٤[2].

٣٧- ويدعون اللهَ ليصرف العذاب عنهم أو يخففه:

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ - غافر ٤٩.

٣٨- ويتمنون الموت، ليتخلصوا من العذاب، وأَنَّىٰ لهم ذٰلِكَ:

قال تعالىٰ: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ - الزخرف ٧٧.

٣٩- ولا ينصرهم أَحَد، وإن طلبوا النصرة:

قال تعالىٰ: ﴿ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ - الأحزاب ٦٥.

---

(١) وانظر أَيضاً: البقرة ١٢٦ والنساء ١٤ والتوبة ٦٣و٧٣ والرعد ١٨ والحج ٧٢ والفُرْقَان ٦٦ والزُّمَر ٧٢ وغافر ٧٦ والحديد ١٥ والمجادلة ٨ والمُلْك ٦.

(٢) وانظر أَيضاً: الحج ٢٢ والمُؤْمنون ١٠٧-١٠٨ والسجدة ٢٠ والأحزاب ٦٦ وفاطر ٣٧.

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ - الزُّمَر ١٩.

٤٠- ويعترف المذنبون بذنبهم، فينالون قسطهم من العذاب:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ - المُلْك.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ - المُؤْمِنون ١٠٦.

٤١- وهم فيها خالدون:

قال تعالىٰ: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ - البقرة ٣٩(١).

وقال تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ - البقرة ١٦٢(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ - النساء ١٦٩(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ - البقرة ١٦٢ وآل عِمْرَان ٨٨.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ - الأنعام ١٢٨(٤).

---

(١) وانظر الآية أيضاً في: البقرة ٨١ و٢١٧ و٢٥٧ و٢٧٥ وآل عِمْرَان ١١٦ والأعراف ٣٦ ويُونُس ٢٧ والرعد ٥ والمجادلة ١٧.

(٢) وانظر الآية أيضاً في: التوبة ٦٨ وهود ١٠٧ والنَّحْل ٢٩ والزُّمَر ٧٢ وغافر ٧٦ والتغابن ١٠ والبينة ٦.

(٣) وانظر الآية أيضاً في: الأحزاب ٦٥ والجن ٢٣.

(٤) وانظر أيضاً: النساء ١٤و٩٣ والمائدة ٨٠ والتوبة ١٧و٦٣ والأنبياء ٩٩ والمُؤْمِنون ١٠٣ والسجدة ١٤ وفُصِّلَت ٢٨ والزخرف ٧٤ والنبأ ٢٣.

قال المُفَسِّرُوْن يراد بالخلود في النار: المكث الطَّوِيْل بحق المُسْلِمِيْن والمُؤْمِنين بالله، والمكث الأبدي بحق غير هٰؤُلَاءِ، وقيل: غيره[١].

٤٢- وبعضُهم يلعن الآخر ويتهمه بأنه سبب ضلاله، ودخوله النار، فيدعو الله أن يضاعف له العذاب:

قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ - الأعراف.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ - غافر ٤٧.

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾- البقرة ١٦٦.

٤٣- ويخاطب أهل الجنة أهل النار بأنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟

قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ - الأعراف.

---

(١) انظر: شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣٠٨.

الجنة

أهل الجنة

أَعَـدَّ اللهُ الجنةَ للذين آمنوا بالله وبرَسُوْله ﷺ وبرسالته الإسلام. وقد وصفهم القُرْآن الكَرِيْم بأوصافٍ هي:

١- المُتَّقُوْن:

قال تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾ - آل عِمْرَان ١٥.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ - القلم ٣٤[1].

٢- الأبرار:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ - الإنسان ٥.

وقال تعالىٰ: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ - آل عِمْرَان ١٩٨.

٣- الصَّادِقون:

قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ - المائدة ١١٩.

٤- الطائعون:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ - النساء ١٣.

٥- المُؤْمِنون بالله المُستقِيمون:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾

---

(١) انظر أَيضاً: آل عِمْرَان ١٣٣و١٩٨ والرعد ٣٥ والنَّحْل ٣٠-٣١ والفُرْقَان ١٥ والشعراء ٩٠ والزُّمَر ٢٠ و٧٣ والدخان ٥١-٥٢ ومُحَمَّد ١٥ والذاريات ١٥ والطُّوْر ١٧ والحِجْر ٤٥ والمُرْسَلات ٤١ والنبأ ٣١.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ - الأحقاف.

٦- المقربون:

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ - الواقعة.

٧- الذين آمنوا وعَمَلوا الصالحات:

قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ - البقرة ٢٥.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾- النساء ١٢٤[(١)].

وقد ذكر القُرْآن الكَرِيْم هٰذِهِ الصالحات، التي لا تستقيم الحياة إلَّا بالالتزام بها، والتي يستحق المتمسكون بها الجنة، الذين وصفهم بأنهم:

أ- المُؤْمِنون بالله ورسله واليَوم الآخِر، وما جاء به الرَّسُوْل ﷺ جُمْلَة وتفصيلاً، فهم:

المُؤْمِنون بالله، لا يشركون به شَيئاً، والذَّاكِرون الله، والذين إذا مروا بآيات ربهم أنصتوا إليها، وعَملوا بها، والتائبون إلىٰ الله، والخائفون ربهم وسوء الحساب، والذين آمنوا بالرسل ونَاصروهم.

ب- المؤدون العِبَادات، فهم:

المقيمون الصلاة، والقائمون بالليل، والسجادون، والمؤتون الزكاة، والمنفقون بالسراء بلا إسراف ولا إقتار.

---

(١) انظر أَيضاً: البقرة ٨٢ والنساء ٥٧و١٢٢ والأعراف ٤٢ والتوبة ٧٢ ويُوْنُس ٩ وهود ٢٣ وإِبْرَاهِيْم ٢٣ والكهف ٣٠-٣١و١٠٧ ومريم ٩٦ وطه ٧٥-٧٦ والحج ٢٣ والعنكبوت ٥٨ والسجدة ١٩ وغافر ٤٠ ومُحَمَّد ١٢ والفَتْح ٥ والتغابن ٩ والطلاق ١١ والبروج ١١ والبينة ٧-٨.

ج- الذين انتهوا عن المحرمات، ودافعوا عن الإسلام فهم:

المُهَاجِرون والأَنْصَار الأولون، ومن تبعهم بإحسان، والمُهَاجِرون الذين هجروا ما نهىٰ اللهُ عنه، والمُجَاهِدون الذين أُوذوا في سَبِيْل الله، وقاتلوا، وقتلوا، والصابرون في سَبِيْل الله.

د- الذين التزموا بالخلق القَوِيْم بحُسْن معاملاتهم للآخرين، فهم:

الذين لا يقتلون النفس إلَّا بالحق، ولا يزنون، ولا يقولون الزور، والكاظمون الغيظ، والعافون عن الناس، والمُحْسِنون، والمستغفرون لذنوبهم، والذين لا يصرون علىٰ فعلها، والموفون بعهد الله، والمُوْصِلون ما أمر اللهُ أن يوصل، والمتواضعون للناس، والمعرضون عن الجاهلين برفق وسَلَام، وإذا مروا باللغو مروا كراماً، والعاملون الحَسَنَات ليدفعوا السيئات، والداعون أن يهبهم اللهُ قُرَّة أعين، وأن يجعلهم للمُتَّقِيْن إمَاماً، وأن يصرف عنهم عذاب جهنم.

وهٰذِهِ الأُمور الأربعة تجمع ما تحتويه رِسَالَة الإسلام، وقد نص القُرْآن الكَرِيْم علىٰ كثير من جزئياتها، وعلىٰ أن جزاءها الجنة في الآيات الآتية:

قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ ﴾ - آل عِمْرَان ١٣٤-١٣٦.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ

ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ – الفُرْقَان[١].

وصف الجنة وحال أهلها في القُرآن الكَرِيم

١ – تُقرَّب الجنةُ وتبرز لأهلها، قبل أن يدخلوها، ويعلم كل وَاحِد منهم منزله فيها، فيهتدي إليه.

قال تعالىٰ: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ – الشعراء ٩٠.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ – مُحَمَّد ٦[٢].

٢ – الجنة عالية مرتفعة في المكان، أو الدرجات، أو الأبنية والأشجار:

قال تعالىٰ: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ – الحَاقَّة ٢٢ والغاشية ١٠.

٣– عرضها عرض السموات والأرض:

قال تعالىٰ: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ – آل عِمْرَان ١٣٣.

٤ – لها أبواب:

قال تعالىٰ: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ – ص ٥٠.

وقال تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ – الزُّمَر ٧٣.

٥ – لها خَزَنَة يهنئون ويحَيُّوْن الداخلين:

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ – الزُّمَر ٧٣.

---

(١) وانظر أَيضاً: آل عِمْرَان ١٩٥ والمائدة ١٢ والتوبة ٨٨–٨٩و١٠٠ والرعد ٢٠–٢٣ والفُرْقَان ٧١–٧٤.

(٢) وانظر أَيضاً: ق ٣١ والتكوير ١٣.

٦- أنهارها من ألوان مُخْتَلِفَة:

قال تعالىٰ: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ - مُحَمَّد ١٥.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ - الواقعة ٣١.

٧- وهٰذِهِ الأنهار تجري من تحتها:

قال تعالىٰ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ - البقرة ٢٥و٢٦٦[1].

وقال تعالىٰ: ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ - التوبة ١٠٠.

وقال تعالىٰ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ - الأعراف ٤٣ ويُوْنُس ٩ والكهف ٣١.

٨- فيها العُيُوْن:

قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ - الغاشية ١٢.

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ - الرَّحْمٰن ٥٠[2].

٩- فيها غرف فوقها غرف كبناءٍ عالٍ ذي طوابق:

قال تعالىٰ: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ - الزُّمَر ٢٠.

١٠- أشجارها ذات فُرُوْع خضر، تميل إلىٰ السواد لخضرتها، طيبة الرائحة:

قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ

---

(١) وهٰذِهِ الآية في: آل عِمْرَان ١٥ و١٣٦ و١٩٥ و١٩٨ والنساء ١٣ و٥٧ و١٢٢ والمائدة ١٢ و٨٥ و١١٩ والتوبة ٧٢ و٨٩ والرعد ٣٥ وإِبْرَاهِيْم ٢٣ والنَّحْل ٣١ وطه ٧٦ والحج ١٤و٢٣ والفُرْقَان ١٠ والعنكبوت ٥٨ والزُّمَر ٢٠ ومُحَمَّد ١٢ والفَتْح ٥و١٧ والحديد ١٢ والمجادلة ٢٢ والصف ١٢ والتغابن ٩ والطلاق ١١ والتحريم ٨ والبروج ١١ والبينة ٨.

(٢) وانظر أيضاً: الرَّحْمٰن ٦٦.

﴿٤٨﴾ ﴾ - الرَّحْمٰن[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ - الرَّحْمٰن[2].

وقال تعالىٰ: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ - الواقعة[3].

١١- ظلها ظل ظليل منبسط:

قال تعالىٰ: ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ - النساء ٥٧.

وقال تعالىٰ: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ - الرعد ٣٥[4].

١٢- جَوُّها معتدل بين الحرارة والبرودة الشديدتين:

قال تعالىٰ: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ - الإنسان ١٣.

١٣- خَيْرَاتها كثيرة:

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ - الإنسان ٢٠.

وقال تعالىٰ: ﴿ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ - غافر ٤٠[5].

١٤- عيشة أهل الجنة راضية هانئة:

قال تعالىٰ: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ - الحَاقَّة ٢١.

---

(١) **أفنان**: جمع فَنَن، أغصان أو ثمار.

(٢) **مدهامتان**: خضراوتان تضربان إلىٰ السواد من شدة الخضرة.

(٣) **مخضود**: لا شوك فيه.

طلح: شجر كثير النَّوْر طيب الرائحة.

منضود: نضد حمله من أسفله إلىٰ أعلاه.

(٤) وانظر أَيضاً: الواقعة ٣٠ والمُرْسَلات ٤١.

(٥) وانظر أَيضاً: الطلاق ١١.

١٥- نَعِيْمهم مقيم دائم:

قال تعالىٰ: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ - التوبة ٢١.

١٦- عطاؤهم غير مقطوع:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ - ص ٥٤.

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ - الواقعة ٣٣[(١)].

١٧- تقدم لهم أصناف اللحوم:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ - الطُّوْر ٢٢.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ - الواقعة ٢١.

١٨- وشرابهم بكؤوس فيها جمال المنظر ولذة الشارب:

قال تعالىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ - الصافات[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ - الإنسان[(٣)].

١٩- فيها الفواكه بجميع ألوانها المُخْتَلِفَة مما تشتهيها النفوس:

قال تعالىٰ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ - الدخان ٥٥.

---

(١) وانظر أَيضاً: هود ١٠٨ والرعد ٣٥ ومريم ٦٢ والصافات ٤١.

(٢) **غول**: غائلة كما في خمر الدنيا.

ينزفون: يسكرون، أي: ينزف عقله.

(٣) وانظر أَيضاً: ص ٥١ والطُّوْر ٢٣ والواقعة ١٨-١٩ والإنسان ٢١ والنبأ ٣٤.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ - مُحَمَّد ١٥[(١)].

٢٠- ثمارها كثمار الدنيا ولٰكِن مع فارق كَبِيْر:

قال تعالىٰ: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ - البقرة ٢٥.

٢١- قطوفها في متناول الأيدي:

قال تعالىٰ: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ - الحَاقَّة ٢٣.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ - الإنسان ١٤.

٢٢- ويقدم إليهم طعامهم وشرابهم بصحاف الـذَّهَب والفضة والأكـواب البَدِيْعَة:

قال تعالىٰ: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ - الزخرف ٧١.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ - الإنسان.

٢٣- ويطوف عليهم بالشراب والطعام غلمان في غَايَة الجمال المَصُوْن:

قال تعالىٰ: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ - الطُّوْر ٢٤[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ - الإنسان ١٩[(٣)].

---

(١) وانظر أَيضاً: يس ٥٧ والصافات ٤١-٤٢ وص ٥١ والزخرف ٧٣ والطُّوْر ٢٢ والرَّحْمٰن ٥٢و٦٨ والواقعة ٢٠و٣٢ والمُرْسَلات ٤٢ والنبأ ٣٢.

(٢) **المَكْنُوْن**: المَصُوْن عما يَضُرّ به في الصفاء والنقاء.

(٣) وانظر أَيضاً: الواقعة ١٧.

٢٤- وحليهم الأساور الذَّهَبِيَّة واللؤلؤ، ولباسهم الحرير الرقيق والسميك:

قال تعالىٰ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ - الكهف ٣١[١].

وقال تعالىٰ: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ - الإنسان ٢١[٢].

٢٥- لهم الراحة علىٰ السرر والفرش الحريرية العجيبة:

قال تعالىٰ: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ - يس ٥٦.

وقال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ - الرَّحْمٰن ٧٦[٣].

٢٦- وأزواجهم مطهرة حسان، متحببات إلىٰ أزواجهن، قصرن طَرْفهن عليهم:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ - البقرة ٢٥.

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ - الرَّحْمٰن[٤].

---

(١) **السندس**: رقيق الحرير.

الإستبرق: سميك الحرير.

(٢) وانظر أيضاً: الحج ٢٣ وفاطر ٣٣ والدخان ٥٣.

(٣) وانظر أيضاً: الكهف ٣١ ويس ٥٧ والصافات ٤٤ وص ٥١ والطُّوْر ٢٠ والرَّحْمٰن ٥٤ والواقعة ١٥-١٦ و٣٤ و٨٩ والإنسان ١٢-١٣ والغاشية ١٣-١٦.

الرفرف: الوسائد أو البسط.

العبقري: كل شيء عجيب.

(٤) وانظر أيضاً: آل عِمْرَان ١٥ والنساء ٥٧ والصافات ٤٨-٤٩ وص ٥٢ والزخرف ٧٠ والدخان ٥٤ والطُّوْر ٢٠ والرَّحْمٰن ٧٠و٧٢و٧٤ والواقعة ٢٢-٢٣و٣٥-٣٨ والنبأ ٣٣.

٢٧- التنعم بالنَّظَر إلىٰ وجهه الكَرِيْم:

قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ - يُوْنُس ٢٦.

وقال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ - القيامة[1].

٢٨- فيها ما تشتهي الأنفس:

قال تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ - الزخرف ٧١.

وقال تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ - ق ٣٥[2].

٢٩- أهلها خالدون:

قال تعالىٰ: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ - البقرة ٢٥.

وقال تعالىٰ: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ - البقرة ٨٢[3].

وقال تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ - آل عِمْرَان ١٥و١٣٦و١٩٨[4].

وقال تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ - النساء ٥٧و١٢٢[5].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ - الدخان ٥٦.

---

(١) انظر ما كتبناه عن رؤية الله تعالىٰ ومَذَاهِب العُلَمَاء فيه في باب الإلٰهِيَّات.

(٢) وانظر أيضاً: النَّحْل ٣١ والأنبياء ١٠٢ والفُرْقَان ١٦.

(٣) وانظر الآية في: آل عِمْرَان ١٠٧ والأعراف ٤٢ ويُوْنُس ٢٦ وهود ٢٣ والمُؤْمِنون ١١.

(٤) وانظر أيضاً الآية في: النساء ١٣ والمائدة ٨٥ والتوبة ٧٢ و٨٩ وهود ١٠٨ وإبْرَاهِيْم ٢٣ والكهف ١٠٨ وطه ٧٦ والفُرْقَان ٧٦ والعنكبوت ٥٨ ولقمان ٩ والأحقاف ١٤ والفَتْح ٥ والحديد ١٢ والمجادلة ٢٢.

(٥) وانظر أيضاً الآية في: المائدة ١١٩ والتوبة ٢٢ و١٠٠ والتغابن ٩ والطلاق ١١ والبينة ٨.

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴾ - ق ٣٤[١].

٣٠- لا لغو فيها ولا تأثيم:

قال تعالىٰ: ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ - الواقعة.

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾ - النبأ ٣٥[٢].

٣١- لا يشعرون بتعب أو كَلَال:

قال تعالىٰ: ﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ ﴾ - الحِجر ٤٨.

وقال تعالىٰ: ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴾ - فاطر ٣٥[٣].

٣٢- ويحمدون اللهَ علىٰ ما آتاهم من النِّعَم التي وُعدوا بها:

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ ﴾- الزُّمَر ٧٤.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ - الأعراف ٤٤[٤].

٣٣- لا غل بين أهلها:

قال تعالىٰ: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ ﴾ - الأعراف ٤٣.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ - الحِجْر ٤٧.

---

(١) وانظر أَيضاً: الحِجْر ٤٨ والزُّمَر ٧٣ والزخرف ٧١.

(٢) وانظر أَيضاً: مريم ٦٢ والغاشية ١١.

(٣) **النصب**: التعب.

لغوب: كَلَال.

(٤) وانظر أَيضاً: الأعراف ٤٣ ويُونُس ١٠ وفاطر ٣٤.

٣٤- يُحَيي بعضهم الآخر بالسَّلَام:

قال تعالىٰ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ - إبْرَاهِيْم ٢٣.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ - يُوْنُس ١٠.

٣٥- تُلقي الملائكةُ إليهم السَّلَام:

قال تعالىٰ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ - الرعد.

وقال تعالىٰ: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ - الأنبياء ١٠٣[١].

٣٦- لا خوف علىٰ أهلها ولا هم يحزنون:

قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ - الأعراف ٤٩.

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ - الحِجْر ٤٦[٢].

٣٧- لهم النضرة والسرور:

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ - الإنسان ١١.

٣٨- لهم الإكْرَام:

قال تعالىٰ: ﴿ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ - الصافات ٤٢.

وقال تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ - المعارج ٣٥.

٣٩- الرحمة والرضوان لأهلها:

قال تعالىٰ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ ﴾ - التوبة ٢١.

---

(١) وانظر أَيضاً: الفُرْقَان ٧٥.

(٢) وانظر أَيضاً: مريم ٦٠ والدخان ٥١و٥٢و٥٥ و ق ٣٤.

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ - التوبة ٧٢[١].

٤٠- نوالهم الجنة هو الفوز والفلاح الأعظم:

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ - المائدة ١١٩[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ - الفُرْقان ٧٦[٣].

٤١- البشرىٰ لهم:

قال تعالىٰ: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ - الحديد ١٢.

٤٢- يُهَنَّؤون بما هم فيه من نَعِيْم:

قال تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - الطُّوْر ١٩ والمُرْسَلات ٤٣.

وقال تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ - الحاقَّة ٢٤.

٤٣- وأهلها مشغولون بما هم فيه، فلا مجال لطَرْح سؤال، وماذا بعد هٰذَا النَّعِيْم المقيم؟

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ - يس ٥٥.

وقال تعالىٰ: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ - الطُّوْر ١٨.

٤٤- وأهلها لا يرضون عنها بديلاً، لما فيها من نَعِيْم:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا

(١) وانظر أَيضاً: آل عِمْرَان ١٥ والمائدة ١١٩.

(٢) وانظر الآية أيضاً في: التوبة ٨٩و١٠٠ والصف ١٢ والتغابن ٩.

(٣) وانظر أيضاً: آل عِمْرَان ١٨٥ والنساء ١٣ والتوبة ٧٢ والدخان ٥٧ والحديد ١٢ والكهف ٣١ والصافات ٦٠ والفَتْح ٥ والبروج ١١.

يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾ - الكهف.

وهٰكَذَا تتضح لنا صورة الجنة، وأهلها يحبرون فيها، وينعمون بألوان السَّعَادَة والهناء، قال الأُستاذ عبد الرَّزَّاق نَوْفَل في كتابه: يوم القيامة:

أهل الجنة يختلفون، كما يختلف أهل الدنيا، في طريقة التمتع ولونه وشكله ومصدره، ففي الحياة الدنيا نجد من يبحثون عن المُتْعَة في الطعام الجيد، والشراب العَلِيْل، أو المنظر الجميل، أو اللحن الرتيب، أو الجلسة الهادئة مع صديق، أو الانفراد للتأمل والتفكر، وهناك صَفْوَة طيبة، مُنْتَهَىٰ لذتها وتمام سعادتها، الخلوة بربها في صلاةٍ ودعاءٍ... وهٰكَذَا.

فيا ترىٰ عندما يشرق علىٰ الوجود في الآخِرَة نور الله، وترتفع الحجب، لتتعلق القلوب والأنفس قبل العُيُوْن بمصدر هٰذَا النُّوْر... ويحاول الإنسانُ بجزأيه الطاهرين، أن يتعلق بأصل النُّوْر، وأن يفنىٰ في وجودٍ لا يرىٰ فيه سوىٰ الله... ترىٰ من يبحث عند ذٰلِكَ عن أكل أو شرب أو مُتْعَة... فهل هناك مُتْعَة وإمتاع، وسَعَادَة ونَعِيْم، قدر القرب من الله ورؤيته... إن أمل المُؤْمِنين - وقد وضح لهم نورهم - أن يَتِمَّ لهم هٰذَا النُّوْر، ليصبحوا جزءاً من النُّوْر، وهٰذَا هو ما يدعون به الله، ويسألونه بنص الآية الشَّرِيْفَة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ - التحريم ٨[(١)].

أما الكلام عن مكان الجنة والنار، وهل هما مخلوقتان الآن؟ فلا حاجة لنا به هنا، إذ إنه ليس بالأمر الخَطِيْر، الذي يمس صلب العَقِيْدَة[(٢)].

---

(١) يوم القيامة لعبد الرَّزَّاق نَوْفَل ص١٥٥-١٥٧ (بتصرف).

(٢) انظر الكلام عن هٰذَا في: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٠١ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٠٧.

الفَصْل السَّابع

الكُفْر والتَّكْفِيْر وجَزَاء المُرْتَدّ

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَث الأول: معنىٰ الكُفْر وأنواعه.

المَبْحَث الثاني: حُكْم تَكْفِير أَهْل القِبْلَة.

المَبْحَث الثالث: جزاء المُرْتَدّ.

المَـبْـحَـث الأول

معنى الكُفْر وأنواعه

تقدم في آخر فصل (النَّبَوِيَّات) أُصُوْل دعوة الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ، وفيها ذكرنا أن الشهادتين: (أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أن مُحَمَّداً رَسُوْل الله) هما عُنْوَان الدخول في الإسلام، إذ لا يدخل المرء في الإسلام إلَّا بالنطق بشطري الشهادة معاً، لأنها ترجمة ما في القلب من الإسلام.

فكانت الشهادتان الرُّكْن الأول من أركان الإسلام، كما ورد في حَدِيْث جِبْرِيْل حين سأل الرَّسُوْل ﷺ عن الإيمان والإسلام، (قال: يا مُحَمَّد، أَخْبِرْنِي عن الإسلام. فقال رَسُوْل الله ﷺ: الإسلامُ أن تَشهَدَ أن لا إلٰه إلَّا الله وأن مُحَمَّداً رَسُوْل الله، وتُقِيْمَ الصلاةَ، وتُؤتيَ الزكاةَ، وتَصومَ رَمَضَان، وتَحجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سَبِيْلاً)[1].

وإذا دخل الإنسان الإسلام كانت له حقوقه وعليه واجباته، علىٰ النَّحْو الذي جاء به القُرْآن الكَرِيْم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة.

لٰكِنه لا يخرج عن دائرة الإسلام إلَّا بإتيانه ما يؤدي به إلىٰ الكفر.

وهٰذَا يدعونا إلىٰ بَيَان ما يأتي:

معنىٰ الكفر، وأنواعه، وما يقع به التكفير، وتكفير أهل القِبْلَة، وجزاء المُرْتَدّ.

---

(١) **حَدِيْث جِبْرِيْل** عَلَيْهِ السَّلَامُ بهٰذَا اللفظ في: صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، أول باب بَيَان الإيمان والإسلام...، رقم ٨، عن عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

معنى الكفر

الكفر في أصل اللُّغَة: السِّتر والتغطية. لذا يقال للفَلَّاح كافر، لأنه يَكفُر البَذرَ، أي: يَستُرُهُ[١].

والكفر اصْطِلَاحاً: هو عبارة عن ما يَمنعُ الكافرَ (وهو المُتَّصِف بالكفر من الآدميين) عن أن يساهم المُسْلِمِيْن في شيء من جميع الأَحْكَام المُخْتَلِفَة بهم[٢].

ولما كان الكفر شرعاً هو خلاف الإيمان عند كل طائفة[٣]، اختلفت طوائف المتكلمين في تحديد المعنىٰ الاصْطِلَاحِيّ للكفر علىٰ حسب اختلافهم في تحديد معنىٰ الإيمان.

١- فمن قال: الإيمان بالله هو مَعْرِفَة الله، قال: الكفر هو الجهل بالله[٤].

لٰكِن يَرِدُ علىٰ هٰذَا التحديد:

أَنَّ من جَحَدَ الرِّسَالَة وسَبَّ الرَّسُوْل وسجد لصنم كَفَرَ بالإجماع. وليس هٰذَا جهلاً بالله، إذ قد يصدر من عارف بالله جاهل بالدلالة علىٰ العلم بامتناع هٰذِهِ الأُمور، أو المَعْرِفَة بها[٥].

٢- ومن قال: الإيمان هو الطاعة كالمُعْتَزِلَة والخَوَارِج، قال: الكفر هو المعصية. لٰكِن الخَوَارِج قالوا: كل معصية كُفْرٌ.

---

(١) المِصْبَاح المُنِيْر مادة (كفر).

(٢) الكُلِّيَّات للكَفَوِيّ ص٧٦٤ قال: وهو الأقرب.

(٣) كَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن ص١٣٦٨.

(٤) الكُلِّيَّات للكَفَوِيّ ص٧٦٤ وكَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن، السَّابِق.

(٥) الكُلِّيَّات السَّابِق. وقال التَّهَانَوِيّ في كَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن: (وبطلانه ظَاهِر)، دون أن يبين وجه البطلان.

أما المُعْتَزِلَة فقد قَسَّموا المعاصي إلىٰ ثلاثة أقسام:

أ- قسم يَدُلّ علىٰ الجهل بالله ووحدانيته وما لا يجوز عليه. والجهل بِرِسَالَة رَسُوْله كإلقاء المصحف في القاذورات، والتلفظ بكلمات دالة علىٰ ذٰلِكَ: كسَبِّ الرَّسُوْل، والاستخفاف، وهٰذِهِ المعاصي هي كُفْرٌ.

ب- قسم يُخرِجُ عنه مرتكبَه إلىٰ مَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن، بمعنىٰ لا يُحكَم علىٰ صاحبها بالكفر ولا بالإيمان، بل بالفسوق والفجور، ويُعَبَّرُ عن تلك المعاصي بالكبائر، كقتل العمد والزنا وشرب الخمر.

ج- قسم لا يُخرِجُ منه مرتكبَه عن الإيمان، ولا يُوجِبُ اتصاف فاعله بالكفر ولا بالفسوق، ككَشْف العورة والسفه، ويُسَمَّىٰ بالصغائر.

لٰكِن يَرِدُ عليهم:

أَنَّ كُلَّ معصيةٍ لا تَدُلُّ علىٰ تكذيب الرَّسُوْل فيما جاء به لا تكون كُفْراً[١].

٣- ومن قال: الإيمان هو المَعْرِفَة (التَّصْدِيْق) بالجَنَان، والإقرار باللِّسَان، والعَمَل بالأركان، قال: الكُفْرُ هو الإخلالُ بأَحَد هٰذِهِ الأُمور[٢].

٤- ومن قال: الإيمان هو التَّصْدِيْق بالقلب بالله وبما جاء به رُسُلُهُ، قال: الكُفْرُ هو التكذيب بشيء مما جاء به الرَّسُوْل. وهو اخْتِيَار الإمَام الغَزَالِيّ.

وتَعَقَّبَه الكَفَوِيّ بقوله: ويَردّه من ليس بمصدِّق ولا بمكذِّبٍ بشيء مما جاء به الرَّسُوْل، فإنه كافر بالاجماع وليس بمكذِّبٍ، وكذٰلِكَ أطفال الكُفَّار ومجانينهم، فإنهم كُفَّار، وليسوا بمصدِّقِين ولا مُكذِّبِين[٣].

---

(١) المصدران السَّابِقَان.

(٢) الكُلِّيَّات السَّابِق.

(٣) الكُلِّيَّات السَّابِق.

ونحو اخْتِيَار الإمَام الغَزَالِيّ ما ذكره الإمَام يَحْيَىٰ بن حَمْزَة: (الكُفْرُ هو تكذيب الرَّسُوْل ﷺ في شيءٍ مما جاء به، كإنكار البعث والثواب والعقاب، وما عُلِمَ ضرورةً دلالتُه علىٰ التكذيب، كلبس الغِيَار وشَدّ الزُّنَّار)[1].

ويَرِدُ علىٰ كلام الإمَام يَحْيَىٰ ما ورد علىٰ اخْتِيَار الإمَام الغَزَالِيّ.

أنواع الكفر

قَسَّمَ المتكلمون الكُفْرَ إلىٰ أربعة أنواع هي:

١- كفر إنكار: وهو أن يكفر بقلبه ولِسَانه، وأن لا يعرف بما يُذْكَر له من التَّوْحِيْد.

٢- كفر جُحود: وهو أن يعرف بقلبه ولا يُقِرّ بلِسَانه، ككفر إبْلِيْس.

٣- كفر عناد: وهو أن يعرف بقلبه ويُقِرّ بلِسَانه، ولا يَدِيْن به.

٤- كفر نفاق: وهو أن يُقِرّ بلِسَانه ولا يَعتقِد بقلبه.

والجميع سواء في أن من لقي الله تعالىٰ بوَاحِد منهم لا يغفر له[2].

---

(١) المَعَالِم الدِّيْنِيَّة للإمَام يَحْيَىٰ بن حَمْزَة ص١١٨.

الغِيَار: البِدَال، وهو علامة أهل الذِّمَّة كالزُّنَّار ونحوه. / القَامُوْس المُحِيْط مادة (الغيرة).

والزُّنَّار: هو ما (شُدَّ) علىٰ وسط النَّصَارَىٰ والمجوس. / القَامُوْس المُحِيْط مادة (زَنَره).

(٢) الكُلِّيَّات ص٧٦٤-٧٦٥.

ومن كفر الجُحُود: كفر فرعون، قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ - النمل ١٤، وكفر أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت الذي كان يتطلع إلىٰ النُّبُوَّة قبل بعثة مُحَمَّد ﷺ، وكفر بعض اليَهُوْد الذين كانوا يَعرفون نُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ.

وجعل الإبَاضِيَّة الكفرَ نوعين: كفر بالله، وكفر بنعمته تعالىٰ.

١- الكفر بالله: هو الإشراك بالله سُبْحَانَهُ. وهٰذَا الإشراك مُخرِجٌ عن مِلَّة الإسلام[1].

٢- الكفر بنعمته تعالىٰ: وهو ما نشأ من تأويل الخطأ، كاستحلال ما حرمه الله تعالىٰ بتأويل الخطأ من فاعله أو قائله[2].

وكفر النعمة يسمىٰ النفاق[3]. وهٰذَا الكفر لا يُخْرِجُ صاحبَه عن مِلَّة الإسلام، بل يُعامل في الحياة الدنيا مُعَامَلَة المُسْلِمِيْن[4].

---

(١) شَرْح غَايَة المُرَاد ص١٣٤.

والإشراك بالله عند الإبَاضِيَّة نوعان: شرك مساواة، وشرك جحود.

أ- **شرك المساواة:** وهو أن يسوّي بين الله وبين خلقه في شيء، فمن اتخذ مع الله إلٰها آخر فقد سَوَّىٰ بين الله تعالىٰ وبين غيره.

ومن زعم أن الله تعالىٰ حادث فقد سَوَّىٰ بين الله تعالىٰ وبين خلقه في الاتصاف بالحدوث.

ب- **شرك الجُحُود:** وهو أن يجحد وجودَ الله تعالىٰ أو صفاتِه أو أفعالَه. كأن يجحد كونَه تعالىٰ عالماً وقَادِراً...، أو يجحد إنزاله الكتب السماوية وإرسال الرسل.

وهٰذَا التقسيم ليس منصوصاً عليه، وإنما هو اصْطِلَاح لعُلَمَاء الإبَاضِيَّة، وإلَّا فيُمكن عند التَّحْقِيْق أن يُرَدَّ الشركُ كُلُّه إلىٰ المساواة أو إلىٰ الجُحُود. / شَرْح غَايَة المُرَاد ص١٣٦. وانظر: مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٣١٢.

(٢) مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٣١٣.

(٣) أَنْوَار العُقُوْل وشرحها المَشَارِق ج٢ ص٣١٢و٣١٤.

(٤) شَرْح غَايَة المُرَاد ص١٣٤-١٣٥.

والنفاق عند الإبَاضِيَّة نوعان:

أ- التكذيب بالقلب مع الإيمان باللِّسَان، وهو ما ورد بقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ

والكفر بنوعيه السَّابِقين مُقَيَّدٌ بالكبائر. أما فاعل الصَّغِيْرَة فهو مُسْلِم، ما لم يُصِرّ علىٰ فعله[1].

ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ - النساء ١٤٥.

ب- ارتكاب شيء من الكبائر، لقوله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خَان)[1].

فيكون هٰذَا الكفر بالإعراض عن مَفْرُوْضاته تعالىٰ أو ارتكاب محظوراته. وهو بهٰذَا المعنىٰ نقيض الشُّكْر[2].

ومن أدلته:

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ - الإنسان ٣. وأفرد مُسْلِم له باباً في صَحِيْحه، وترجم له البُخَارِيّ بقوله (كُفْرٌ دون كُفْرٍ).

وقوله ﷺ: (سِبَابُ المُسْلِم فُسوقٌ وقتاله كُفْرٌ)[3].

(١) مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٣٠٤.

....

(١) مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص٣١٣-٣١٤.

وحَدِيْث: آية المنافق ثلاث... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٢ كتاب الإيمان، ٢٤ باب عَلَامَة المنافق، رقم ٣٣، عن أبي هُرَيْرَة. وهو في صَحِيْح البُخَارِيّ رقم ٢٦٨٢ و٢٧٤٩ و٦٠٩٥ وكلها عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٢٣ باب بَيَان خصال المنافق، رقم ٥٩، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) شَرْح غَايَة المُرَاد ص١٣٤.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ - النمل ٤٠، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ - لقمان ١٢، فالمُسْلِم العاصي الذي كفر بنعمة الله لا يوصف بأنه كفر كفراً أكبر، لأن عدم شكره هنا معصيةٌ لا تُخْرِجُهُ عن الإيمان. / الحكم وقضية تكفير المُسْلِم ص٦٧-٦٨.

(٣) شَرْح غَايَة المُرَاد ص١٣٤-١٣٥.

ما يقع به التكفير

يقع الإكفار في أربعة أُمور: ما يتعلق بالاعْتِقَاد، أو بالقول، أو بالفعل، أو الترك[١].

١- ما يتعلق بالاعْتِقَاد:

أُصُوْل الدِّيْن ثلاثة كما قدمنا، وهي: ما **يتعلق** بالله سُبْحَانَهُ، أو بالنُّبُوَّة، أو باليَوم الآخِر.

فمن أنكر وجود الله تعالىٰ، أو صفة من صفاته كقدرته وعلمه ووحدانيته، أو فعلاً من أفعاله كخلقه ورزقه وإماتته، فقد كَفَرَ. مثل الملحدين والزنادقة والمجوس.

ومن أنكر نُبُوَّة الأنبياء والمُرْسَلين، ونُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ، وعموم رسالته، وختمه للرسالات السَّابِقَة، والقُرْآن الكَرِيْم، وما يتصل بذٰلِكَ، فقد كَفَرَ. كالبَرَاهِمة المنكِرين لأصل النُّبُوَّة، واليَهُوْد والنَّصَارَىٰ المنكِرين لنُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ، والإباحيين.

ومن أنكر الحياة الآخِرَة ومشَاهد القيامة والجنة والنار الثَّابِتَة بالنص القاطع، فقد كَفَرَ.

٢- ما يتعلق بالقول:

وهو كل قول يفيد الاعتراف بعَقِيْدَة مُكَفِّرَة، أو يفيد إنكار ما ثبت في الإسلام بالضرورة، كالنطق بكلمة الكفر، أو سَبّ الله تعالىٰ والأنبياء والرسل والكتب السماوية ودين الإسلام، أو الاستهزاء بالإسلام والقُرْآن وأَحْكَامه.

---

(١) المَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص١١٨. وفي التشريع الجنائي الإسلامِيّ ج٢ ص٧٠٧: (الرجوع عن الإسلام هو ترك الإسلام... بأحد طرق ثلاثة: بالفعل أو بالامتناع عن الفعل، وبالقول، وبالاعْتِقَاد).

وانظر: الإيمان: د.مُحَمَّد نَعِيْم ياسين ص٢٣٥.

٣- ما يتعلق بالفعل:

وهو كل فعل يَدُلّ علىٰ الخروج عن أوامر الإسلام، كتَمْزِيْق المصحف، أو إلقائه في القاذورات استخفافاً به، وكالسجود لصنم تَعْظِيْماً له، وكتَعْلِيْق شعار الكُفْر علىٰ الصدر.

فإذا أظهر المُسْلِم هٰذِهِ الأُمور، ولم تكن هناك قرائن تفيد أنه معذور في إظهارها، كأن يكون مُكْرَهاً، أو أنه أظهرها لمصلحة الدولة، فإنه عندئذٍ يكون كافراً مُرْتَدّاً، تجري عليه أَحْكَام الرِّدَّة[١].

٤- ترك ما يلزم معرفته، كترك مَعْرِفَة الله تعالىٰ وما **يتعلق** بالرَّسُوْل، مثل إهمال النَّظَر في المُعجِز[٢].

رأس درجات الكُفْر

الكفر درجات، يزداد بمقدار زِيَادَة الجُحُود والعناد وكثرة الطغيان والشر، قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ** ﴾ - آل عِمْرَان ٩٠.

وأعلىٰ درجاته الإشراك بالله سُبْحَانَهُ، الذي لا يغفره تعالىٰ لمن مات عليه، فهو قمة الذنوب وأكبر الكبائر، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** ﴾ - النساء ١١٦.

أما الذنوب الأُخرىٰ وسائر الكبائر أو الصغائر فمرتكبوها من عصاة المُؤْمِنين قد تشملهم رحمة الله تعالىٰ ومغفرته كَرَماً منه وفضلاً إذا شاء عَزَّ وجَلَّ[٣]. وهو مَذْهَب جُمْهُوْر عُلَمَاء المُسْلِمِيْن، وستأتي الإشارة إليه بعد قليل.

---

(١) المَعَالِم الدِّيْنِيَّة، والتشريع الجنائي الإسلامِيّ، السَّابِقَان، والعَقِيْدَة الإسلامِيَّة لعبد الرَّحْمٰن حَسَن حَبَنَّكَة ص٦١٨.

(٢) المَعَالِم الدِّيْنِيَّة السَّابق.

(٣) العَقِيْدَة الإسلامِيَّة وأُسسها ص٦٢١-٦٢٢.

المَبْحَث الثاني

حُكْم تكْفير أهْل القِبْلَة

لا نُكَفِّر أحداً من أهل القِبْلَة بذنبٍ إذا لم يَستَحِلَّه[(١)].

(١) قال الإمَام أبو حَنِيْفَة في الفِقْه الأكبر: (ولا نُكَفِّرُ مُسْلِماً بذنبٍ من الذنوب وإن كانت كَبِيْرَة إذا لم يستحِلَّها، ولا نُزِيلُ عنه اسم الإيمان، ونسميه مُؤْمِناً حقيقةً، ويجوز أن يكون مُؤْمِناً فاسقاً غير كافر). / انظر: الفِقْه الأكبر في شرحه القَوْل الفَصْل ص٣٠٦ وفي شرحه لملا عَلِيّ القَارِي ص١١٧.

وقال أبو الحَسَن الأَشْعَرِيّ في كتابه الإِبَانَة ص٢٦: (ونَدين بأن لا نُكَفِّر أَحداً من أهل القِبْلَة بذنب يرتكبه ما لم يَستحِلَّهُ، كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذٰلِكَ الخَوَارِج، وزعمت أنهم كافرون، ونَقُوْل: إن من عَمل كَبِيْرَة من هٰذِهِ الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبهها مُستَحِلّاً لها غير مُعْتَقِدٍ لتحريمها كان كافراً).

وتَقَدَّمَ في آراء الإمَام الأَشْعَرِيّ كلامٌ آخر في ذٰلِكَ، وموافقة الذَّهَبِيّ وشيخه ابن تَيْمِيَّة عليه.

وقال ابن حَزْم في الفِصَل ج٣ ص٢٩٢: (والحق هو أن كل من ثَبَتَ له عَقْد الإسلام فإنه لا يَزول عنه إلَّا بنفي أو إجماع، وأما بالدعوىٰ والافتراء فلا، فوجب أن لا يُكَفَّرَ أَحَدٌ بقولٍ قاله إلَّا بأن يُخَالِفَ ما قد صَحَّ عنده أَنَّ اللهَ تعالىٰ قاله، أو أَنَّ رَسُوْل الله ﷺ قاله، فيستجيز خلافَ الله تعالىٰ وخلافَ رَسُوْله عليه الصلاة والسَّلَام...).

وقال ابن أبي زَيْد القَيْرَوَانِيّ الأَشْعَرِيّ في رسالته: (لا يُكَفَّرُ أَحدٌ بذنبٍ من أهل القِبْلَة). / انظر: كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ شَرْح رِسَالَة ابن أبي زَيْد القَيْرَوَانِيّ ج١ ص٨٢ وشَرْح رِسَالَة ابن أبي زَيْد للقَاضِي عبد الوَهَّاب ص٣٤٧.

وقال النَّوَوِيّ في شَرْح صَحِيْح مُسْلِم ص٩٤: (اعلم أَنَّ مَذْهَب أهل الحق: أنه لا يُكَفَّرُ أَحَدٌ من أهل القِبْلَة بذَنْبٍ، ولا يُكَفَّرُ أهل الأَهْوَاء والبِدَع. وأَنَّ من جَحَدَ ما يُعلَمُ من دين الإسلام

هٰذَا هو مَذْهَب جميع أَهْل السُّنَّة سَلَفاً وخَلَفاً[1].

ضرورةً حُكِمَ بردَّتِهِ وكُفْرِهِ إلَّا أن يكون قريب عهدٍ بالإسلام، أو نَشَأَ ببادية بعيدةٍ، ونحوه مما يَخفَىٰ عليه، فيُعَرَّف ذٰلِكَ، فإن استمرَّ حُكِمَ بكُفْرِهِ، وكذا حُكْم من استحلَّ الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذٰلِكَ من المُحرَّمات التي يُعلَم تحريمها ضرورةً).

وقال الغَزْنَوِيّ المَاتُرِيْدِيّ في كتابه أُصُوْل الدِّيْن ص٣٠١-٣٠٤: (ولا نُكَفِّرُ أَحداً من أهل القِبْلَة بذنبٍ ما لم يَستحِلَّه، ولا نُخرِج العبدَ من الإيمان إلَّا بجُحود ما أدخله فيه...، ولا نُنزِلُ أَحداً من المُسْلِمِيْن جنةً ولا ناراً، ولا نَشهد عليهم بكفرٍ ولا شركٍ ولا نفاقٍ ما لم يظهر منهم ذٰلِكَ، ونَذَرُ سرائرَهم إلىٰ الله تعالىٰ).

وقال الشيخ عبد القَادِر الجِيْلَانِيّ في الغُنْيَة ج١ ص٨٩: (وأَهْل السُّنَّة أجمعوا علىٰ أن لا يقطعوا لأَحَدٍ من أهل القِبْلَة بجنة ولا نار، مطيعاً كان أو عاصياً، رَشِيْداً كان أو غاوياً أو عاتياً، إلَّا أن يُطَّلَعَ منه علىٰ بدعةٍ وضلالةٍ).

وقال ابنُ تَيْمِيَّة: (ولا يجوز تكفير المُسْلِم بذَنْبٍ فَعَلَهُ ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمَسَائِل التي تنازع فيها أهل القِبْلَة... والخَوارِج المارقون الذين أَمَرَ النَّبيّ ﷺ بقتالهم، قاتلهم أَمِيْر المُؤْمِنين عَلِيّ بن أبي طَالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، واتَّفَقَ علىٰ قتالهم أَئِمَّة الدِّيْن من الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن ومن بعدهم، ولم يُكَفِّرْهم عَلِيّ بن أبي طَالِب وسَعْد بن أبي وَقَّاص وغيرهما من الصَّحَابَة، بل جعلوهم مُسْلِمِيْن مع قتالهم، ولم يُقاتلهم عَلِيّ حتىٰ سَفَكُوا الدم الحرام، وأغاروا علىٰ أموال المُسْلِمِيْن، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كُفَّار، ولهٰذَا لم يَسْبِ حريمَهم، ولم يَغنَم أموالَهم.

وإذا كان هٰؤُلَاءِ الذين ثَبَتَ ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورَسُوْله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المُخْتَلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مَسَائِل غلط فيها من هو أعلم منهم؟) / انظر: مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة ج٣ ص٢٨٢.

وفي العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة: (ولا نُكَفِّرُ أَحداً من أهل القِبْلَة بذنبٍ ما لم يَستحِلَّه). / انظرها في شرحها لابن أبي العِزّ ص٤٣٢. وفيها أَيضاً في ص٤٥٨: (ولا يَخرج العبدُ من الإيمان إلَّا بجُحود ما أدخله فيه). وفيها أَيضاً في ص٥٣٩: (ولا نَشهد عليهم بكُفْرٍ ولا بشركٍ ولا بنفاقٍ ما لم يَظهر منهم شيءٌ من ذٰلِكَ، ونَذَرُ سرائرهم إلىٰ الله تعالىٰ).

(١) كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ ج١ ص٨٢، وفيه: أن هٰذَا هو قول الفاكهاني.

وأهل القِبْلَة هم أهل الإسلام[١]، أو من يَدَّعِي الإسلام، ويَستقبل الكَعْبَة، وإن كان من أهل الأَهْوَاء أو من أهل المعاصي ما لم يُكَذِّبْ بشيءٍ مما جاء به الرَّسُوْل ﷺ[٢].

وفي العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة: (ونُسَمِّي أَهلَ قِبلتنا مُسْلِمِيْن مُؤْمِنين، ما داموا بما جاء به النَّبِيّ ﷺ معترِفِين، وله بكل ما قال وأخبر مُصدِّقِين)[٣].

بدليل:

قوله ﷺ: (من صَلَّىٰ صلاتَنا، واستقبل قِبلتَنا، وأَكَلَ ذبيحتَنا، فهو المُسْلِمُ، له ما لنا وعليهِ ما علينا)[٤].

---

(١) كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ السَّابِق.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٢٦-٤٢٧.

قال ابنُ تَيْمِيَّة: (كل من كان باغياً أو ظالماً أو معتدياً أو مُرتَكِباً ما هو ذَنْبٌ، فهو قسمان: مُتَأَوِّل وغير مُتَأَوِّل.

فالمُتَأَوِّل المُجتَهِد كأهل العلم والدِّيْن الذين اجتهدوا، واعتقد بعضُهم حِلَّ أُمور، واعتقد الآخرُ تحريمَها، كما استَحَلَّ بعضُهم بعضَ أنواع الأشربة، وبعضُهم بعضَ المعاملات الربوية، وبعضُهم بعضَ عُقُوْد التحليل والمُتْعَة، وأمثال ذٰلِكَ، فقد جَرَىٰ ذٰلِكَ وأمثاله من خيار السَّلَف. فهٰؤُلَاءِ المُتَأَوِّلون المُجتَهِدون غايتهم أنهم مُخطِئون، وقد قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ - البقرة ٢٨٦.

أما إذا كان الباغي مُجتَهِداً مُتَأَوِّلاً، ولم يَتبين له أنه باغ، بل اعتقد أنه علىٰ الحق وإن كان مُخطِئاً في اعْتِقَاده، لم تكن تسميته باغياً موجبةً لإثمه، فضلاً عن أن توجبَ فسقه. والذين يقولون بقتال البُغَاة المُتَأَوِّلِيْن يقولون مع الأمر بقتالهم: قتالُنا لهم لدفع ضرر بغيهم، لا عقوبة لهم، بل للمنع من العدوان، ويقولون: إنهم باقون علىٰ العدالة لا يُفَسَّقون، ويقولون هم كغير المُكَلَّف...). / مجموع الفَتَاوَىٰ ج٣٥ ص٧٥-٧٦.

(٣) العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة. انظرها في شرحها لابن أبي العِزّ ص٤٢٦. وتَقَدَّمَ في كلامنا علىٰ أَصلَي الوعد والوعيد، والمَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن، عند المُعْتَزِلَة، ما يَتصل بذٰلِكَ.

(٤) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٢٦.

فإن استحلَّ الذنبَ، وإن كان صَغِيْرَة من الصغائر، كان مُكَذِّباً للشارع في النهي، فيزول التَّصْدِيْق عن قلبه، فيكونُ كافراً، نعوذ بالله[١].

ولا خلاف بين المُسْلِمِيْن في أن الرَّجُلَ لو أظهر إنكارَ الواجباتِ الظَّاهِرَة المتواترة، والمحرماتِ الظَّاهِرَة المتواترة، ونحو ذٰلِكَ، فإنه يُسْتَتَابُ، فإن تابَ، وإلَّا قُتِلَ كافراً مُرْتَدّاً[٢].

لٰكِن يَرِدُ علىٰ القول بعدم تكفير أهل القِبْلَة:

أن فيهم المنافقين، الذين منهم من هو أَكْفَرُ من اليَهُوْد والنَّصَارَىٰ، بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، وفيهم من قد يُظْهِر بعضَ ذٰلِكَ حيث يُمْكِنهم وهم يَتظَاهرون بالشهادتين. ولهٰذَا امتنع كثيرٌ من الأَئِمَّة عن إطلاق القول بأنا لا نُكَفِّرُ أَحداً بذنبٍ، بل يُقال: لا نُكَفِّرُهم بكل ذنبٍ كما تفعله الخَوَارِج[٣].

وفي هٰذَا المقام ينبغي التَّنَبُّه إلىٰ أمرين:

الأمر الأول: الشهادة علىٰ كُفْرِ شخصٍ مُعَيَّن.

لا تجوز الشهادةُ علىٰ شخصٍ مُعَيَّن بأنه كافرٌ، إلَّا بأمرٍ تجوز معه الشهادةُ[٤]، فإن

وحَدِيْث: من صَلَّىٰ صلاتَنا... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨ كتاب الصلاة، ٢٨ باب فضل استقبال القِبْلَة، رقم ٣٩١ و٣٩٢ و٣٩٣، وكلها عن أَنَس بن مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بألفاظٍ متقاربة.

(١) القَوْل الفَصْل ص٣٠٦.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٣٣.

(٣) المصدر السَّابِق ص٤٣٣-٤٣٤.

(٤) ومعنىٰ هٰذَا: أَنْ نَقُوْل مثلًا: الشيوعيون كُفَّار، أو الحُكَّام العَلْمانيون الرافضون لحُكْم الشَّرْع كُفَّار، أو مَنْ قال كذا أو دعا إلىٰ كذا فهو كافر، فهٰذَا وذاك حُكْمٌ علىٰ النوع. فإذا تَعَلَّقَ الأمرُ بشخصٍ مُعَيَّن يَنتسب إلىٰ هٰؤُلَاءِ أو أُوْلٰئِكَ، وَجَبَ التوقُّف للتحقُّق والتثبُّت من حقيقة موقفه، بسؤاله ومناقشته، حتىٰ تقوم عليه الحُجَّة. / فَتَاوَىٰ معاصرة: د. يُوْسُف القَرَضَاوِيّ ج١ ص١٢٩.

من أعظم البغي أن يُشْهَدَ علىٰ مُعَيَّنٍ أن الله لا يَغفِر له، ولا يَرحمه، بل يُخلِّده في النار، فإن هٰذَا حكم الكافر بعد موته. والدليل علىٰ ذٰلِكَ:

أ- قوله ﷺ: (كان رَجُلَان في بني إسرائيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فكان أحدُهما يُذنِبُ، والآخرُ مُجتهِدٌ في العِبَادَة، فكان لا يَزَالُ المجتهدُ يَرَىٰ الآخرَ علىٰ الذَّنْب، فيقول: أَقْصِرْ. فوَجَدَه يوماً علىٰ ذَنْبٍ، فقال له: أَقْصِرْ. فقال: خَلِّنِي ورَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيّ رَقِيْباً؟ فقال: والله، لا يَغفِرُ اللهُ لَكَ، أو لا يُدْخِلُكَ الجنةَ. فقَبَضَ أرواحَهما، فاجتمعا عند رَبِّ العالمين، فقال لهٰذَا المجتهد: أَكنتَ بي عالماً؟ أو كنتَ علىٰ ما في يَدَيَّ قَادِراً؟ وقال للمُذنبِ: اذهبْ فادْخُلِ الجنةَ برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلىٰ النار. قال أبو هُرَيْرَة: والذي نفسي بيده، لَتَكَلَّمَ بكلمةٍ أَوْبَقَتْ دنياه وآخِرَتَهُ).

ب- الشخص المُعَيَّن يمكن أن يكون مُجتهداً مُخطِئاً مَغفُوْراً له.

ج- الشخص المُعَيَّن يمكن أن يكون له إيمانٌ عَظِيْم وحَسَنَاتٌ أَوجبتْ له رحمةَ الله، كما غَفَرَ للذي قال: (إذا مِتُّ فاسْحَقوني، ثم ذَرُّوني، ثم غَفَرَ اللهُ له لخَشْيَته)، وكان يَظُنُّ أن اللهَ لا يَقْدِرُ علىٰ جمعه وإعادته، أو شَكَّ في ذٰلِكَ.

قال العُلَمَاء: لٰكِن هٰذَا التوقُّف في أمر الآخِرَة لا يمنعنا أن نُعاقِبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نَسْتَتِيْبَهُ، فإن تابَ وإلَّا قتلناه.

ولذٰلِكَ فهم يَنظرون إلىٰ القول الصادر منه، فإن كان القولُ كُفْراً بنفسه قيل: إنه كَفَرَ، وقائله يُكَفَّرُ بشروطٍ وانتفاء موانع، ولا يكون ذٰلِكَ إلَّا إذا صارَ مُنافِقاً زنديقاً. فلا يُتَصَوَّرُ أن يُكَفَّرَ أَحدٌ من أهل القِبْلَة إلَّا من يكون مُنافِقاً زنديقاً، بدليل:

أن اللهَ تعالىٰ صَنَّفَ الناسَ في أول سورة البقرة ثلاثة أصناف هي: المُؤْمنون بَاطِناً وظَاهِراً، والكافرون الذين لا يُقِرُّون بالشهادتين، والمنافقون الذين أَقَرُّوا ظَاهِراً لا

بَاطِناً. فمن ثَبَتَ كفرُه وكان مُقِرّاً بالشهادتين فلا يكون إلَّا مُنافِقاً[(١)].

وعليه: فإنه لا يَكفي في الحُكْم بكُفْر الشخص المُعَيَّن، بناءً علىٰ ظَاهِره فقط.

قال ابن أبي العِزّ: إن من كَفَّرَ كلَّ من قال القول المُبتدَع في البَاطِن يلزمه أن يُكَفِّرَ أقواماً ليسوا في البَاطِن مُنافِقِين، بل هم في البَاطِن يُحبُّون اللهَ ورَسُوْله، ويُؤمنون بالله ورَسُوْله، وإن كانوا مُذنبين. بدليل: (أَنَّ رَجُلاً كان علىٰ عهد النَّبِيّ ﷺ، كان اسمُه عبدَ الله، وكان يُلقَّب حِمَاراً، وكان يُضْحِكُ رَسُوْل الله ﷺ، وكان رَسُوْل الله ﷺ قد جَلَدَهُ من الشَّرَاب، فأُتِيَ به يوماً، فأَمَرَ به فجُلِدَ. فقال رَجُلٌ من القوم: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، ما أَكثرَ ما يُؤْتَىٰ به! فقال رَسُوْل الله ﷺ: لا تَلعَنْهُ، فإنه يُحِبُّ اللهَ ورَسُوْله).

وقال ابن أبي العِزّ بعد ذٰلِكَ: وهٰذَا أَمْرٌ مُتيَقَّنٌ به في طوائف كثيرة وأَئِمَّة في العلم والدِّيْن، وفيهم بعضُ مَقَالَات الجَهْمِيَّة، أو المُرْجِئَة، أو القَدَرِيَّة، أو الشِّيْعَة، أو الخَوَارِج. ولٰكِن الأَئِمَّة في العلم والدِّيْن لا يكونون قائِمِين بجُمْلَة تلك البِدْعة، بل بفَرْعٍ منها، ولهٰذَا انتحلَ أَهلُ هٰذِهِ الأَهْوَاء لطوائف من السَّلَف المَشَاهير.

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٣٦-٤٣٨.

وعدم تكفير الشخص المُعَيَّن قال به ابنُ تَيْمِيَّة. انظره في: مجموع الفَتَاوَىٰ بمواضع منها: ج١٢ ص٤٨٤و٥٠٠ وج٢٣ ص٣٤٥ وج٣٥ ص٦٦و١٦٥.

وحَدِيْث: كان رَجُلَان في بني إسرائيلَ... إلخ، في: سُنَن أبي دَاوُد في: ٣٥ كتاب الأَدب، ٥١ باب النهي عن البغي، رقم ٤٩٠١، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن أبي دَاوُد ج٧ ص٢٦٢: إسناده حَسَن، وذَكَرَ مُخَرِّجِيْه. وقال ابن أبي العِزّ ص٤٣٧: حَدِيْث حَسَن.

وحَدِيْث: إذا مِتُّ فاسْحَقوني... إلخ، رواه البُخَارِيّ ومُسْلِم والنَّسَائِيّ وابن مَاجَه وأَحْمَد، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. / انظر: هامش شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة السَّابق.

قال ابنُ تَيْمِيَّة: فهٰذَا رَجُلٌ شَكَّ في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِّيَ، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهٰذَا كُفْرٌ باتفاق المُسْلِمِيْن، لٰكِن كان جاهلاً لا يَعلم ذٰلِكَ، وكان مُؤْمِناً يخاف الله أن يُعاقبه، فغفر له بذٰلِكَ. والمُتَأَوِّل من أهل الاجتهاد الحريص علىٰ متابعة الرَّسُوْل أَوْلَىٰ بالمغفرة من مثل هٰذَا. / مجموع الفَتَاوَىٰ ج٣ ص٢٣١.

فمن عيوب أهل البِدَع تكفيرُ بعضِهم بعضاً، ومن ممادح أهل العلم أنهم يُخطِّئون ولا يُكفِّرون[١].

الأمر الثاني: هو أن نصوصاً من الكتاب والسُّنَّة سَمَّتْ بعض الذنوب كُفْراً، مثل:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ - المائدة ٤٤.

وقوله ﷺ: (سِبَابُ المُسْلِمِ فُسوقٌ وقتالُه كُفْرٌ).

وقوله ﷺ: (لا تَرجعوا بعدي كُفَّاراً يَضرِب بعضُكم رقابَ بعضٍ).

وقوله ﷺ: (إذا قال الرجلُ لأخيه: يا كافرُ، فقد باء بها أحدُهما).

وقوله ﷺ: (بين المُسْلِم وبين الكُفْر تركُ الصلاةِ).

وقوله ﷺ: (من حَلَفَ بغير الله فقد كَفَرَ)... إلخ.

وفي هٰذِهِ النصوص وأمثالها إشكالٌ علىٰ القول بعدم تكفير أهل القِبْلَة[٢]، إذ إن

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة السَّابِق ص٤٣٨-٤٣٩.

وحَدِيْث: أَنَّ رَجُلاً كان علىٰ عهد النَّبِيّ ﷺ... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٦ كتاب الحدود، ٥ باب ما يُكْرَه من لَعْن شارب الخمر، وإنه ليس بخارجٍ من المِلَّة، رقم ٦٧٨٠، عن عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومُرَاده من أهل العلم هو أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة. / هامش شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٣٩-٤٤٢.

حَدِيْث: سِبَابُ المُسْلِمِ فُسوقٌ وقتاله كُفْرٌ، أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ ومُسْلِم والتِّرْمِذِيّ والنَّسَائِيّ وابن مَاجَه وأَحْمَد وغيرهم، من حَدِيْث عبد الله بن مَسْعُوْد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وحَدِيْث: لا ترجعوا بعدي كُفَّاراً... إلخ، أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ ومُسْلِم وأبو دَاوُد والنَّسَائِيّ وابن مَاجَه وأَحْمَد وغيرهم، من حَدِيْث ابن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وحَدِيْث: إذا قال الرجلُ لأخيه: يا كافرُ... إلخ، أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ ومُسْلِم والتِّرْمِذِيّ

المذكورين فيها مُسْلِمُوْن ارتكبوا تلك الذنوب فنُسبوا إلىٰ الكُفْر.

وأُجيبَ عن هٰذَا الإشكال بأن أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة مُتَّفِقون جميعاً علىٰ ما يأتي:

أ- إن مرتكب الكَبِيْرَة لا يَكْفُر كُفْرَ الخَوَارِج الذي يَنْقُله عن مِلَّة الإسلام بالكُلِّيَّة، إذ لو كَفَرَ كُفْراً يَنقل عن المِلَّة لكانَ مُرْتَدّاً، يُقتَل علىٰ كل حال.

ب- إن مرتكب الكَبِيْرَة لا يكون في مَنْزِلَةٍ بين المَنْزِلَتَيْن كما قالت المُعْتَزِلَة.

ج- إن مرتكب الكَبِيْرَة لا يَخْرُج من الإيمان والإسلام، ولا يَدْخُل في الكُفْر، ولا يَستَحق الخلود في النار، بدليل:

أن اللهَ تعالىٰ جَعَلَ مرتكب الكَبِيْرَة من المُؤْمِنين بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾- البقرة ١٧٨، فلم يُخرِج القاتل من الذين آمنوا.

وبقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ - الحُجُرَات ٩-١٠، فلم يُخرِج المقتتلين من المُؤْمِنين.

ومَالِك وأَحْمَد وغيرهم، من حَدِيْث ابن عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وحَدِيْث: **بين المُسْلِم وبين الكُفْر تركُ الصلاةِ**، أَخْرَجَهُ مُسْلِم وأبو دَاوُد والتِّرْمِذِيّ وابن مَاجه وأَحْمَد وغيرهم، من حَدِيْث جَابِر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وحَدِيْث: **من حَلَفَ بغير الله فقد كَفَرَ**، رواه الحَاكِم وغيره، من حَدِيْث ابن عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ورواه آخرون.

انظر تَخْرِيج هٰذِهِ الأَحَادِيْث بالتفصيل في شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ، هامش ص٤٣٩-٤٤١.

ونصوص الكتاب والسُّنَّة والإجماع تَدُلُّ علىٰ أن الزانيَ والسارق والقاذف لا يُقتَل، بل يُقام عليه الحَدُّ، فدَلَّ علىٰ أنه ليس بمُرْتَدّ.

د- إن مرتكب الكَبِيْرَة يَستحق الوعيد المُرتَّب علىٰ ذَنْبه، كما وَرَدَت به النصوص، لا كما يقوله المُرْجِئَة من أنه لا يَضُرُّ مع الإيمان ذَنْبٌ، ولا يَنفع مع الكُفْر طاعةٌ[(١)].

والكُفْر عندهم نوعان: اعْتِقَادِيّ، وعَمَلِيّ.

فمن يقول بأن الإيمان قولٌ وعَمَل، يَزِيْد وينقص، قال: هو كُفْرٌ عَمَلِيّ لا اعْتِقَادِيّ. والكُفْر عنده علىٰ مراتب، كُفْرٌ دونَ كُفْرٍ، كالإيمان عنده.

ومن يقول بأن الإيمان هو التَّصْدِيْق، ولا يَدخل العَمَل في مُسَمَّىٰ الإيمان، والكُفْر هو الجُحُود، ولا يَزَيْدَان ولا ينقصان، قال: هو كُفْرٌ مجازي غير حقيقي، إذ الكُفْر الحقيقي هو الذي يَنقل عن المِلَّة. ولهٰذَا يُحكَم بإسلام الكافر إذا صَلَّىٰ كصلاتنا[(٢)].

وبناءً علىٰ ما تَقَدَّمَ، أَوَّلَ العُلَمَاء نصوصَ التكفير الآنفة الذكْر، علىٰ:

أنها محمولةٌ علىٰ المُستَحِلّ، فإذا استحلَّ مرتكبُ الكَبِيْرَة كَبِيْرتَه كان كافراً اتفاقاً.

أو أن هٰذِهِ الكبائر قد تؤدي بمرتكبها إلىٰ الكُفْر.

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة السَّابِق ص٤٤٢-٤٤٤. وانظر هٰذَا في: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج١ ص٣٦٨.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٤٤٤-٤٤٥.

وقال الشيخ عبد القَادِر في الغُنْيَة ج١ ص٧٣: (ونعتقد - أي: أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة - أن المُؤْمِن وإن أذنب ذنوباً كثيرةً من الكبائر والصغائر لا يُكَفَّرُ بها، وإن خَرَجَ من الدنيا بغير توبةٍ، إذا مات علىٰ التَّوْحِيْد والإخلاص، بل يُرَدُّ أمرُه إلىٰ الله عَزَّ وجَلَّ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عَذَّبَهُ وأدخله النار، فلا نَدخل بين الله تعالىٰ وبين خلقه ما لم يُخبِرنا اللهُ بمصيره).

أو أن فعل الكَبِيْرَة يُشبِه فعلَ الكُفَّار[١].

أو أن الكُفْرَ الوارد في هٰذِهِ النصوص يُراد به كُفْر النعمة والإحسان وأُخُوَّة الإسلام، لا كُفْر الجُحُود[٢]. وذَكَرَ الشيخ الخَلِيْلِيّ أن كُفْر النعمة هو نقيض الشُّكْر، الذي لا يُخرِج صاحبَهُ عن مِلَّة الإسلام، بل يُعامَل في دنياه مُعَامَلَة المُسْلِمِيْن[٣].

(١) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ ص١٧٠ عند شرحه أَحَادِيْث: (سِبَاب المُسْلِم فُسوقٌ...) و(لا ترجعوا بعدي كُفَّاراً...).

وفي صَفْوَة الأَحْكَام ص٦٣ عن الشَّوْكَانِيّ في نَيْل الأَوْطَار ج١ ص٣١٥: أن هٰذِهِ من تأويلات جُمْهُوْر العُلَمَاء من السَّلَف والخَلَف، منهم مَالِك والشَّافِعِيّ والعِتْرَة من الزَّيْدِيَّة، عند شرحه أَحَادِيْث كُفْر تارك الصلاة تكاسلاً.

ونقل الشيخ أَحْمَد الخَلِيْلِيّ في شَرْح غَايَة المُرَاد ص١٣٥ هٰذِهِ التأويلات، ولم يَرْتَضِ شَيئاً منها.

(٢) شَرْح صَحِيْح مُسْلِم للنَّوَوِيّ السَّابِق.

(٣) هٰذَا هو التوجيه الذي ارتضاه الشيخ الخَلِيْلِيّ في شَرْح غَايَة المُرَاد السَّابِق، بناءً علىٰ تقسيمه الكُفْر إلىٰ كُفْرَيْنِ: كُفْر جُحُود، وكُفْر بنعمته تعالىٰ. وهو التقسيم الذي أثبته الإبَاضِيَّة باتفاق.

المَبْحَث الثالث

جَزاء المُرتَدّ

إذا ارتَدَّ المُسْلِم، والعياذ بالله، فعليه جزاءان:

١- **جزاء أُخروي**، وهو الخلود في النار.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ - البقرة ٢١٧.

٢- **جزاء دنيوي**، وهو ما ورد في كتب الفِقْه من أَحْكَام تَخصُّه، مثل:

يجب أن يَستتيبَ الحَاكِمُ المُرْتَدَّ، ويُزيلَ الشبهاتِ من ذهنه، ويُقيمَ عليه الحُجَج، فإذا رَفَضَ الرجوعَ إلىٰ الإسلام جَرَت عليه أَحْكَام المُرْتَدّ، فيجب قتله حَدّاً، بدليل: قوله ﷺ: (من بَدَّلَ دينه فاقتلوه)، ونُقِلَ الإجماعُ علىٰ وجوب قتله[1]، ولا تَجري عليه أَحْكَام المُسْلِمِيْن فلا يُغسَّل، ولا تجوز الصلاة عليه، ولا يجوز دفنه في مقابر المُسْلِمِيْن، ويَنقطع التوَارث بينه وبين أهله، وتُطلَّق زوجته منه، لأن المُسْلِمَة لا يَحِلُّ زواجها بكافرٍ، ولا يَبقىٰ له سُلْطَان علىٰ أولاده، إذ لا يُؤْتَمَن عليهم.

وما كانت هٰذِهِ الأَحْكَام علىٰ المُرْتَدّ إلَّا لأن الرِّدَّة جريمةٌ كبرىٰ في نظر الإسلام باعتبارها خطراً علىٰ الفرد والمجتمع، تُغَيِّر هوية انتماء المسلم إلىٰ أُمَّته، وتُحوِّل ولاءه

---

(١) نقل الصَّنْعَانِيّ في سُبُل السَّلَام ج٣ ص٢٦٥ الإجماعَ علىٰ قتل المُرْتَدّ. واستدلَّ بحَدِيْث: (من بَدَّلَ دينه فاقتلوه)، رواه البُخَارِيّ وغيره عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وانظر أيضاً: صَفْوَة الأَحْكَام ص٣٩٢ والتشريع الجنائي الإسلامِيّ ج٢ ص٧٢٠.

لأعدائها، فيُبيح لنفسه الاستعانة بالعدو علىٰ أهله وأُمَّته، لذا وَصَفَهُ ﷺ بأنه: (التارك لدِيْنِه، المفارق للجَمَاعَة)[1]، وأصبح خطره أعظم من خطر العدو الظَّاهِر.

لذٰلِكَ:

لا يجوز لأَحَدٍ أن يُسَارِع في تكفير مُسْلِم، بحُجَّة أنه يراه علىٰ كَبِيْرَة من الكبائر، لأن الحُكْمَ بالتكفير ليس بالأمر الهَيِّن، إذ هو سلخٌ لهٰذَا المُسْلِم عن مجتمعه وأُمَّته، فهو كالحُكْم بالموت علىٰ إنسان، فيُدفَن وهو حَيٌّ.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْن

---

(١) انظر خطورة الرِّدَّة في بحث (جريمة الرِّدَّة وعقوبة المُرْتَدّ) للدكتور يُوْسُف القَرَضَاوِيّ ص٣٧ وما بعدها. وانظر: فَتَاوَىٰ معاصرة له ج١ ص١٣٠.

وحَدِيْث: التارك لدِيْنِه... إلخ، مُتَّفَق عليه. وهو جزء من حَدِيْث: (لا يَحِلُّ دم امرئٍ مُسْلِم، يَشهَد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأني رَسُوْل الله، إلَّا بإحدىٰ ثلاث: الثَّيِّب الزاني، والنفسِ بالنفسِ، والتاركِ لدينهِ المفارقِ للجَمَاعَة). / انظره في: صَفْوَة الأَحْكَام ص٣٥٩.

فِهْرِسْت المصَادر[١]

● **الإِبَاضِيَّة بين الفِرَق الإسلامِيَّة عند كُتَّاب المَقَالَات في القديم والحَدِيْث**: عَلِيّ يَحْيَىٰ مُعَمَّر، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

مكتبة أبي الشَّعْثَاء، السِّيْب، سَلْطَنَة عُمَان، المَطْبَعَة العَرَبِيَّة في غَرْدَايَة، سنة ١٩٨٧م.

● **الإِبَانَة عن أُصُوْل الدِّيَانَة**: الإمَام أبو الحَسَن عَلِيّ بن إسْمَاعِيْل بن أبي بِشْر إسْحَاق الأَشْعَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٢٤هـ=٩٣٦م.

تَحْقِيْق: د. فَوْقِيَّة حُسَيْن مَحْمُوْد.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، توزيع دار الأَنْصَار بالقَاهِرَة، مطابع الدِّجْوِيّ بالقَاهِرَة سنة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

● **الإِبَانَة عن شريعة الفِرْقَة الناجية ومُجَانَبَة الفِرَق المذمومة**: ابن بَطَّة، أبو عبد الله عُبَيْد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان العُكْبَرِيّ الحَنْبَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٨٧هـ.

تَحْقِيْق: أَحْمَد فريد المزيدي.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

● **أَبْكَار الأَفْكَار في أُصُوْل الدِّيْن**: سَيْف الدِّيْن عَلِيّ بن مُحَمَّد الآمِدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٣١هـ=١٢٣٣م.

تَحْقِيْق: أ. د. أَحْمَد مُحَمَّد المَهْدِيّ.

مَطْبَعَة دار الكتب والوثائق القومية بالقَاهِرَة، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

---

(١) رَتَّبْتُ المصادرَ بحَسَب الحروف الهِجائية، وأَثْبَتُّ التواريخَ المِيْلَادِيَّة علىٰ النَّحْو الوارد في كتاب (**مُعْجَم الأَعْلَام**) لبَسَّام عبد الوَهَّاب الجَابِيّ، وهو مُخْتَصَر كتاب (**الأَعْلَام**) للزِّرِكْلِيّ، وكذا الوارد في (**مُعْجَم المُؤَلِّفِيْن**) لعُمَر رِضَا كَحَّالَة، و(**تَكْمِلَة مُعْجَم المُؤَلِّفِيْن**) لمُحَمَّد خَيْر رَمَضَان يُوْسُف.

وقارَنْتُ التاريخَيْنِ الهِجْرِيّ والمِيْلَادِيّ للتأكد من توافقهما، بما ورد في كتاب (**جدول السنين الهِجْرِيَّة بلياليها وشهورها بما يُوَافِقها من السنين المِيْلَادِيَّة بأيامها وشهورها**) للمستشرق ف. وِيسْتَنْفِلْد، الذي ترجمه إلىٰ اللُّغَة العَرَبِيَّة: د. عبد المُنْعِم مَاجِد، وعبد المُحْسِن رَمَضَان.

● **الإبهاج في شَرْح المِنْهَاج**: تَقِيّ الدِّيْن أبو الحَسَن عَلِيّ بن عبد الكافي بن عَلِيّ السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م. وولده تاج الدِّيْن أبو نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِيّ بن عبد الكافي السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.

و**مِنْهَاج الوُصُوْل إلىٰ علم الأُصُوْل**، للقَاضِي نَاصِر الدِّيْن أبو سَعِيْد عبد الله بن عُمَر بن مُحَمَّد البَيْضَاوِيّ الشِّيْرَازِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.

تَحْقِيْق: د. شَعْبَان مُحَمَّد إسْمَاعِيْل.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، المكتبة المَكِّيَّة في مَكَّة المُكَرَّمَة ودار ابن حَزْم في بَيْرُوْت، سنة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

● **إتْحَاف السَّادَة المُتَّقِيْن بشَرْح إحياء عُلُوْم الدِّيْن**: السَّيِّد أبو الفَيْض مُحَمَّد مُرْتَضَىٰ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحُسَيْنِيّ الزَّبِيْدِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٠٥هـ=١٧٩٠م. وبهامشه:

إحياء عُلُوْم الدِّيْن، للإمَام أبي حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيّ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

تعريف الأحياء بفَضَائِل الإحياء، للشيخ عبد القَادِر بن شَيخ بن عبد الله بن شَيخ بن عبد الله العَيدَرُوس بَاعَلَوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٣٨هـ=١٦٢٨م.

الإملاء في إشكالات الإحياء، للإمَام أبي حَامِد الغَزَالِيّ، رَدَّ به علىٰ بعض اعتراضاتٍ أوردها بعضُ المعاصِرين له علىٰ بعض مواضع من الإحياء.

مُؤَسَّسَة التاريخ العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، لُبْنَان سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ طَبْعَة المَطْبَعَة المَيْمَنِيَّة بمِصْر التي انتهىٰ طبعُها سنة ١٣١١هـ.

● **الإتْقَان في عُلُوْم القُرْآن**: جَلَال الدِّيْن عبد الرَّحْمٰن بن أبي بَكْر السُّيُوْطِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

تَحْقِيْق: فَوَّاز أَحْمَد زمَرْلي.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتاب العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

● **إثبات نُبُوَّة النَّبِيّ ﷺ**: أبو الحُسَيْن أَحْمَد بن الحُسَيْن بن هارون الحَسَنِيّ الزَّيْدِيّ الهاروني، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٢١هـ.

تَحْقِيْق: خَلِيْل أَحْمَد إبْرَاهِيْم الحاج.

المكتبة العِلْمِيَّة.

● **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**: شِهَاب الدِّيْن أَحْمَد بن إدْرِيْس بن عبد الرَّحْمٰن القَرَافِيّ المِصْرِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٨٤هـ=١٢٨٥م.

طبع بهامش كتاب (**الفارق بين المخلوق والخَالِق**).

● **إحياء عُلُوْم الدِّيْن**: الإمَام أبو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيّ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

ومعه: **المُغْنِي عن حمل الأسفار في الأسفار في تَخْرِيْج ما في الإحياء من الأخبار**، لزَيْن الدِّيْن أبي الفَضْل عبد الرَّحِيْم بن الحُسَيْن العِرَاقِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٠٦هـ=١٤٠٤م. وبهامشه:

أ- تعريف الأَحياء بفَضَائِل الإحياء، لعبد القَادِر بن شَيْخ بن عبد الله بن شَيْخ بن عبد الله العَيدَرُوس بَاعَلَوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٣٨هـ=١٦٢٨م.

ب- **الإملاء عن إشكالات الإحياء**، للإمَام أبي حَامِد الغَزَالِيّ، ردّ به اعتراضات أوردها بعضُ المعاصرين له علىٰ بعض مواضع من الإحياء.

ج- **عوارف المَعَارِف**، لأبي حَفْص عُمَر بن مُحَمَّد بن عبد الله السُّهْرَوَرْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٣٢هـ=١٢٣٤م.

شركة مكتبة ومَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ وأولاده بمِصْر، سنة ١٩٣٩م.

وانظر: إتْحَاف السَّادَة المُتَّقِيْن.

● **اختِصَار عُلُوْم الحَدِيْث**: عِمَاد الدِّيْن أبو الفِدَاء إسْمَاعِيْل بن عُمَر بن كَثِيْر القُرَشِيّ الدِّمَشْقِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧٤هـ=١٣٧٣م.

وعليه شَرْح: **البَاعِث الحَثِيْث**، لأَحْمَد مُحَمَّد شَاكِر، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م.

الطَّبْعَة الثالثة، مَطْبَعَة مُحَمَّد عَلِيّ صبيح وأولاده بالقَاهِرَة، سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م.

● **أَدِلَّة جواز التَّوَسُّل بالنَّبِيّ ﷺ**: أَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان. انظر: رِسَالَة فيما يتعلق بأَدِلَّة جواز التَّوَسُّل بالنَّبِيّ وزيارته ﷺ.

● **الأديان دراسة تاريخية مقارنة، القسم الأول**: الديانات القديمة: د. رُشْدِي عليَّان، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م، و د. سَعْدون الساموك.

دار الحرية ببَغْدَاد سنة ١٩٧٦م.

● **أديان الهِنْد الكبرىٰ**: د.أَحْمَد شَلَبِي.

الطَّبْعَة الثالثة، القَاهِرَة، سنة ١٩٧٢م.

- **الإرْشَاد إلىٰ قواطع الأدِلَّة في أُصُوْل الاعْتِقَاد**: إمَام الحَرَمَيْن أبو المَعَالي ضِيَاء الدِّيْن عبد الملك بن عبد الله بن يُوْسُف الجُوَيْنِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧٨هـ=١٠٨٥م.

تَحْقِيْق: د. مُحَمَّد يُوْسُف مُوسَىٰ، وعَلِيّ عبد المُنْعِم عبد الحميد.

الطَّبْعَة الثالثة، الناشر: مكتبة الخانجي بالقَاهِرَة، الشركة الدولية للطِّبَاعَة بالقَاهِرَة، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

- **إرْشَاد السَّارِي إلىٰ شَرْح صَحِيْح البُخَارِيّ**: شِهَاب الدِّيْن أَحْمَد بن مُحَمَّد القَسْطَلَّانِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٢٣هـ=١٥١٧م.

والبُخَارِيّ هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل بن إبْرَاهِيْم، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٥٦هـ=٨٧٠م. وبهامشه:

شَرْح الإمَام النَّوَوِيّ أبي زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّيْن يَحْيَىٰ بن شَرَف بن مُرِي الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م، **علىٰ صَحِيْح مُسْلِم** بن الحَجَّاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٦١هـ=٨٧٥م.

دار الكتاب العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، وهي الطَّبْعَة المُصَوَّرَة عن الطَّبْعَة السابعة التي طبعت بالمَطْبَعَة الأَمِيْرِيَّة ببُوْلَاق مِصْر سنة ١٣٢٣-١٣٢٧هـ.

- **إرْشَاد الفُحُوْل إلىٰ تَحْقِيْق الحقّ من علم الأُصُوْل**: مُحَمَّد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الشَّوْكَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٥٠هـ=١٨٣٤م. وبهامشه:

شَرْح الشيخ أَحْمَد بن قَاسِم العَبَّادِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٩٢هـ=١٥٨٤م، علىٰ:

شَرْح جَلَال الدِّيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد المَحَلِّيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦٤هـ=١٤٥٩م، علىٰ **الوَرَقَات في الأُصُوْل**، لإمَام الحَرَمَيْن أبي المَعَالي ضِيَاء الدِّيْن عبد الملك بن عبد الله بن يُوْسُف الجُوَيْنِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧٨هـ=١٠٨٥م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ وأولاده بمِصْر سنة ١٩٣٧م.

- **أَسَاس البَلَاغَة**: جَارُ الله أبو القَاسِم مَحْمُوْد بن عُمَر الزَّمَخْشَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٣٨هـ=١١٤٤م.

تَحْقِيْق: عبد الرَّحِيْم مَحْمُوْد.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة أُورفاند بالقَاهِرَة، سنة ١٩٥٣م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ طَبْعَة دار

الكتب المِصْرِيَّة التي طبعت سنة ١٣٤١هـ.

- **أَسَاس التَّقْدِيْس في علم الكلام**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخَطِيْب التَّيْمِيّ البَكْرِيّ القُرَشِيّ الشَّافِعِيّ، فَخْر الدِّيْن الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مُؤَسَّسَة الكتب الثقافية ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

- **الأَسَاس لعَقَائِد الأكياس في مَعْرِفَة رب العالمين وعَدْله في المخلوقين وما يتصل بذٰلِكَ من أُصُوْل الدِّيْن**: القَاسِم بن مُحَمَّد بن عَلِيّ الزَّيْدِيّ العَلَوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٢٩هـ=١٦٢٠م.

حَقَّقَهُ وقَدَّم له: البير نَصْرِي نادر.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الطليعة للطِّبَاعَة والنشر ببَيْرُوْت، سنة ١٩٨٠م.

- **إسلام بلا مَذَاهِب**: د. مُصْطَفَىٰ الشكعة.

الطَّبْعَة الرابعة عشرة، الدار المِصْرِيَّة اللُّبْنَانِيَّة، سنة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

- **الإسلام عَقِيْدَة وشريعة**: الإمَام مَحْمُوْد شَلتوت، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.

الطَّبْعَة السادسة عشرة، دار الشروق ببَيْرُوْت، القَاهِرَة، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

- **الإسلام يتحدَّىٰ**: وحيد الدِّيْن خان.

الطَّبْعَة الرابعة سنة ١٩٧٣م.

- **الأسماء الحُسْنَىٰ**: مُحَمَّد حَسَنَيْن مخلوف، كتب الخاتمة في سنة ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

دار المَعَارِف بمِصْر.

- **الإسْمَاعِيْلِيَّة تاريخ وعَقَائِد**: إحسان إلٰهِيّ ظَهِيْر، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، الناشر: إدارة ترجمان السُّنَّة بلَاهُور بَاكِسْتَان، طِبَاعَة دار عالم الكتب بالرِّيَاض، سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

- **الأَسنَىٰ في شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ وصفاته العُلَىٰ**: أبو عبد الله شمس الدِّيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أبي بَكْر بن فَرْح الأَنْصَارِيّ الخَزْرَجِيّ القُرْطُبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧١هـ=١٢٧٣م.

تَحْقِيْق: د.صالح عَطِيَّة الحطماني.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، جمعية الدعوة الإسلامِيَّة العالمية، الجماهيرية العَرَبِيَّة الليبية، سنة ١٣٦٩ من وفاة الرَّسُوْل ﷺ = ٢٠٠١م.

- **إشَارَات المَرَام من عِبَارَات الإمَام (وهو شَرْح الأُصُوْل المُنِيْفَة للإمَام أبي حَنِيْفَة):** كلاهما للإمَام كَمَال الدِّيْن أَحْمَد ابن القَاضِي الحَسَن بن يُوْسُف البَيَاضِيّ الحَنَفِيّ الرُّوْمِيّ البُسْنَوِيّ الأصل، المُتَوَفَّىٰ بعد سنة ١٠٨٣هـ.

تَحْقِيْق: الشيخ يُوْسُف عبد الرَّازِق.

الناشر: المكتبة الأَزْهَرِيَّة للتُّرَاث. وهي مُصَوَّرَة في دار الطِّبَاعَة المُحَمَّدِيَّة بالقَاهِرَة، سنة ٢٠٠٨م.

- **أصل الشِّيْعَة وأُصُوْلها:** مُحَمَّد الحُسَيْن آل كاشف الغطاء، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م. قَدَّمَ له: مُرْتَضَىٰ العَسْكَرِيّ.

منشورات مُؤَسَّسَة الأَعْلَمِيّ للمطبوعات ببَيْرُوْت.

- **أُصُوْل الدعوة:** د. عبد الكَرِيْم زَيْدَان.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، بَغْدَاد، سنة ١٩٦٨م.

- **أُصُوْل الدِّيْن:** جمال الدِّيْن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مَحْمُوْد الحَنَفِيّ الغَزْنَوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٩٣هـ=١١٩٧م.

تَحْقِيْق وتَعْلِيْق: د. عُمَر وفيق الداعوق.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار البشائر الإسلامِيَّة، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

- **أُصُوْل الدِّيْن:** أبو مَنْصُوْر عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد البَغْدَادِيّ الإسْفَرَايِيْنِيّ التَّمِيْمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٢٩هـ=١٠٣٧م.

الناشر: مكتبة المُثَنَّىٰ ببَغْدَاد ومُؤَسَّسَة الخانجي بمِصْر، وهي مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ المطبوعة بمَطْبَعَة الدولة بإستانبول سنة ١٩٢٨م.

- **أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ:** د. قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ و د. رُشْدِي عليَّان، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

طَبْعَة دار الفِكر الثانية في عَمَّان، الأُرْدُنّ، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م، وهي الطَّبْعَة السادسة للكتاب.

● **أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ**: مُحَمَّد عَلِيّ نَاصِر.

منشورات المكتبة العَصْرِيَّة، صَيْدَا، بَيْرُوْت.

● **الأُصُوْل العامة للفِقْه المقارن**: مُحَمَّد تَقِيّ الحَكِيْم.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الأَنْدَلُس للطِّبَاعَة والنشر، بَيْرُوْت، سنة ١٩٦٣م.

● **أُصُوْل الفِقْه**: د. عبد الكَرِيْم زَيْدَان. انظر: الوَجِيْز في أُصُوْل الفِقْه.

● **أُصُوْل الفِقْه**: مُحَمَّد أبو النُّوْر زُهَيْر المَالِكِيّ الأَزْهَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، المكتبة الأَزْهَرِيَّة للتُّرَاث بالقَاهِرَة، دار السَّعَادَة للطِّبَاعَة بالقَاهِرَة، سنة ١٩٩٦-٢٠٠٤م.

● **إظهار الحق**: رحمة الله بن خَلِيْل الرَّحْمٰن الهِنْدِيّ.

تَحْقِيْق: عُمَر الدُّسُوْقِيّ.

مَطْبَعَة الرِّسَالَة، القَاهِرَة، سنة ١٩٦٤م.

● **الاعْتِصَام**: أبو إسْحَاق إبْرَاهِيْم بن مُوسَىٰ بن مُحَمَّد الشَّاطِبِيّ الغَرْنَاطِيّ اللَّخْمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٠هـ=١٣٨٨م.

تَحْقِيْق: مَحْمُوْد طعمة حَلَبِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، دار المَعْرِفَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

● **اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن والمُشْرِكِيْن**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخَطِيْب التَّيْمِيّ البَكْرِيّ القُرَشِيّ الشَّافِعِيّ، فَخْر الدِّيْن الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

ومعه كتاب: **المرشد الأمين إلىٰ اعْتِقَادات فِرَق المُسْلِمِيْن والمُشْرِكِيْن**، لطه عبد الرَّؤُوْف سَعْد، ومُصْطَفَىٰ الهَوَّارِيّ.

مكتبة الكُلِّيَّات الأَزْهَرِيَّة، شركة الطِّبَاعَة الفنية المُتَّحِدَة بالقَاهِرَة، سنة ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

● **إعجاز القُرْآن والبَلَاغَة النَّبَوِيَّة**: مُصْطَفَىٰ صَادِق الرَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م.

الطَّبْعَة السادسة، سنة ١٩٥٦م، مِصْر.

- **الأَعْلَام - قَامُوْس تَرَاجُم لأَشهر الرِّجَال والنساء من العَرَب والمُسْتَعْرِبِيْن والمُستَشرِقِين**: خَيْر الدِّيْن بن مَحْمُوْد بن مُحَمَّد الزِّرِكْلِيّ الدِّمَشْقِيّ، المُتَوَفَّىٰ بالقَاهِرَة سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

الطَّبْعَة الرابعة، دار العِلم للملايين، سنة ١٩٧٩م.

- **أَعْلَام النُّبُوَّة**: أبو الحَسَن عَلِيّ بن مُحَمَّد المَاوَرْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٥٠هـ=١٠٥٨م.

مِصْر، سنة ١٩٧١م.

- **الأَعْمَال الكَامِلَة للإمَام مُحَمَّد عَبْدُه، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م.**

جَمَعَهَا وحَقَّقَهَا: مُحَمَّد عُمَارَة.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، المُؤَسَّسَة العَرَبِيَّة للدراسات والنشر بِبَيْرُوْت، سنة ١٩٧٢-١٩٧٤م.

- **الاقْتِصَاد في الاعْتِقَاد**: الإمَام أبو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيّ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

وضع حواشيه: عبد الله مُحَمَّد الخَلِيْلِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة بِبَيْرُوْت، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

- **إِكْمَال إِكْمَال المُعْلِم (وهو شَرْح صَحِيْح مُسْلِم)**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن خِلْفَة الوَشْتَانِيّ الأُبِّيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٢٧هـ=١٤٢٤م. جمع فيه شروح صَحِيْح مُسْلِم الأربعة: للمَازِرِيّ وعِيَاض والقُرْطُبِيّ والنَّوَوِيّ مع زِيَادَات.

ومعه: **مُكْمِل إِكْمَال الإِكْمَال**، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يُوْسُف السَّنُوْسِيّ الحَسَنِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٩٥هـ.

و**المُعْلِم بفَوَائِد مُسْلِم**، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عَلِيّ بن عُمَر المَازَرِيّ التَّمِيْمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٣٦هـ=١١٤١م. والمُعْلِم هو أول شَرْح لصَحِيْح مُسْلِم بن الحَجَّاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٦١هـ=٨٧٥م.

و**إِكْمَال المُعْلِم في شَرْح مُسْلِم**، للقَاضِي أبي الفَضْل عِيَاض بن مُوسَىٰ بن عِيَاض اليَحْصُبِيّ السَّبْتِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٤٤هـ=١١٤٩م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، الناشر: دار الكتب العِلْمِيَّة، بَيْرُوْت، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

● **إلجام العوام عن علم الكلام**: الإمَام أبو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيّ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

مكتبة الحقيقة بإستانبول، تُرْكِيا، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ المطبوعة بمَطْبَعَة (محب) في سوق (باب عالي)، سنة ١٢٨٧هـ.

● **أُمّ البَرَاهِيْن**: السَّنُوْسِيّ. انظر: حَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن.

● **الأَموال**: الحافظ أبو عُبَيْد القَاسِم بن سَلَّام، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٢٤هـ=٨٣٨م.

تَحْقِيْق وتَعْلِيْق: مُحَمَّد خَلِيْل هراس.

الناشر: مكتبة الكُلِّيَّات الأَزْهَرِيَّة، دار الشرق للطِّبَاعَة بالقَاهِرَة، سنة ١٩٦٩م.

● **أُمِّيَّة الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ**: د. قَحطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة بِبَيْرُوْت، ودار البَشِيْر بعَمَّان، الأُرْدُنّ، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

● **الانتصار والرد علىٰ ابن الرَّوَنْدِيّ المُلحِد ما قصد به من الكذب علىٰ المُسْلِمِيْن والطعن عليهم**: أبو الحُسَيْن عبد الرَّحِيْم بن مُحَمَّد بن عُثْمَان الخياط المُعْتَزِلِيّ، المُتَوَفَّىٰ بعد سنة ٣٠٠هـ بقليل.

مع مُقَدِّمَة وتَحْقِيْق وتَعْلِيْقات: د. نيبرج الأُستاذ بجَامِعَة أبسالة من مَمْلَكَة السويد.

الطَّبْعَة الثانية ببَيْرُوْت، مكتبة الدار العَرَبِيَّة للكتاب بالقَاهِرَة، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

● **إنجيل برنابا.**

ترجمة: د. خَلِيْل سَعَادَة.

القَاهِرَة، سنة ١٩٠٨م.

● **الأَنْسَاب**: أبو سَعْد عبد الكَرِيْم بن مُحَمَّد بن مَنْصُوْر التَّمِيْمِيّ السَّمْعَانِيّ المَرْوَزِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٦٢هـ=١١٦٦م.

حَقَّق ج١-٦ عبد الرَّحْمٰن بن يَحْيَىٰ المُعَلِّمِيّ اليَمَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م. و ج٧-٨ مُحَمَّد عَوَّامَة. و ج٩ مُحَمَّد عَوَّامَة ورياض مُرَاد. و ج١٠ عبد الفَتَّاح مُحَمَّد الحُلْو. و ج١١ رياض مُرَاد ومطيع الحافظ. و ج١٢ أكرم البوشي.

الناشر: مُحَمَّد أمين دمج، بَيْرُوْت، لُبْنَان.

ج١-٦ الطَّبْعَة الثانية سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. ج٧ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م. ج٨ بلا تاريخ ولا طَبْعَة، والجزءان ٧-٨ في مَطْبَعَة مُحَمَّد هَاشِم الكُتُبِيّ بدِمَشْق. ج٩ الطَّبْعَة الثانية سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م. ج١٠ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م. ج١١ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٤م. ج١٢ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● **الإنسان ذٰلِكَ المجهول**: الكسيس كاريل.

تعريب: شفيق أَسْعَد فريد.

بَيْرُوْت، لُبْنَان.

● **الإنْصَاف فيما يجب اعْتِقَاده ولا يجوز الجهل به**: القَاضِي أبو بَكْر مُحَمَّد بن الطَّيِّب بن مُحَمَّد البَاقِلَّانِيّ البَصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٠٣هـ=١٠١٣م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد زَاهِد بن الحَسَن الكَوْثَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

أَشْرَف علىٰ مراجعة أصله وتَصْحِيْحه: عبد الوَهَّاب عبد اللَّطِيْف.

الطَّبْعَة الرابعة، الناشر: مكتبة الخانجي بالقَاهِرَة، الشركة الدولية للطِّبَاعَة بالقَاهِرَة، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

● **الإيمان**: أبو عُبَيْد القَاسِم بن سَلَّام. انظر: كتاب الإيمان.

● **الإيمان**: أبو يَعْلَىٰ مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن خَلَف بن أَحْمَد بن الفَرَّاء البَغْدَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٥٨هـ=١٠٦٦م.

تَحْقِيْق وتَعْلِيْق: سُعُوْد بن عبد العَزِيْز الخَلَف.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دارالعَاصِمَة بالرِّيَاض، سنة ١٤١٠هـ.

● **الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه**: د. مُحَمَّد نَعِيْم ياسين.

الطَّبْعَة الخامسة، الناشر: دار الفُرْقَان، عَمَّان، الأُرْدُنّ، مطابع جمعية عُمَّال المطابع التعاونية، عَمَّان، سنة ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

● **الإيمان والحياة**: د. يُوْسُف القَرَضَاوِيّ.

الطَّبْعَة الثالثة عشرة، مكتبة وَهْبة بالقَاهِرَة، دار التوفيق النموذجية للطِّبَاعَة، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

- **الباب الحادي عشر**: العَلَّامَة الحِلِّيّ. انظر: مِفْتَاح الباب.

- **البَاعِث الحَثِيْث**: أَحْمَد مُحَمَّد شاكر. انظر: اختِصَار عُلُوْم الحَدِيْث.

- **البَحْر الزَّخَّار الجَامِع لمَذَاهِب عُلَمَاء الأمصار**: الإمَام المَهْدِيّ لدين الله أَحْمَد بن يَحْيَىٰ بن المُرْتَضَىٰ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٤٠هـ=١٤٣٧م. وبهامشه:

جَوَاهِر الأخبار والآثار المستخرجة من لُجَّة البَحْر الزَّخَّار، لمُحَمَّد بن يَحْيَىٰ بَهْرَان الصَّعْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٥٧هـ=١٥٥٠م.

ومعه: **تَعْلِيْقات من مراجع مُخْتَلِفَة**: لمصححه القَاضِي عبد الله بن عبد الكَرِيْم الجُرَافِيّ اليَمَنِيّ الصَّنْعَانِيّ.

أَشْرَف علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ: عبد الله بن مُحَمَّد الصِّدِّيْق وعبد الحَفِيْظ سَعْد عَطِيَّة.

مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، طَبْعَة مُصَوَّرَة سنة ١٩٧٥م علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ التي طبعت في القَاهِرَة سنة ١٩٤٧-١٩٤٩م.

وقد ضمت طَبْعَة مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة **مُقَدِّمَة كتاب البَحْر الزَّخَّار**، وجعلته الجزء الأول، في علم الكلام وأُصُوْل الفِقْه وتاريخ الرَّسُوْل ﷺ والعشرة المشهورين من أصحابه، وتَعداد الأَئِمَّة الزَّيْدِيَّة... إلخ، **حَقَّقَهُ**: السَّيِّد يَحْيَىٰ عبد الكَرِيْم الفضيل، وهو الذي قام بمراجعة الأغلاط التي وقعت في الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ.

- **بَحْر العُلُوْم (تَفْسِيْر السَّمَرْقَنْدِيّ)**: أبو اللَّيْث نَصْر بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن إبْرَاهِيْم السَّمَرْقَنْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٧٥هـ.

تَحْقِيْق: عَلِيّ مُحَمَّد معوّض، وعادل أَحْمَد عبد الموجود، و د. زَكَرِيَّا عبد المَجِيْد النوتي.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

- **بَحْر الكَلَام**: أبو المُعِيْن مَيْمُوْن بن مُحَمَّد النَّسَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٨هـ=١١١٤م.

تَحْقِيْق: السَّيِّد يُوْسُف أَحْمَد.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

- **البَحْر المُحِيْط**: أَثِيْر الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن يُوْسُف بن عَلِيّ بن يُوْسُف بن حَيَّان النَّفْزِيّ الأَنْدَلُسِيّ، الشهير بابن حَيَّان وبأبي حَيَّان، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٥هـ=١٣٤٤م. وبهامشه:

١- **النهر المادّ من البَحْر**، لابن حَيَّان أَيضاً.

٢- **الدُّرّ اللَّقِيْط من البَحْر المُحِيْط**، لتلميذ ابن حَيَّان الإمَام تاج الدِّيْن أبي مُحَمَّد أَحْمَد بن عبد القَادِر بن أَحْمَد بن مَكْتُوْم القَيْسِيّ الحَنَفِيّ النَّحْوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٩هـ=١٣٤٨م.

الناشر: مكتبة ومطابع النَّصْر الحَدِيْثَة، الرِّيَاض، مطابع أُفست كونر وغرافير ببَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ المطبوعة بمَطْبَعَة السَّعَادَة التي تم طبعها أوائل سنة ١٣٢٩هـ.

والطَّبْعَة التي حَقَّقَهَا: عادل أَحْمَد عبد الموجود، وعَلِيّ مُحَمَّد معوّض، و د. زَكَرِيَّا عبد المَجِيْد النوتي، و د. أَحْمَد النجولي الجَمَل.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

● **البَدْء والتاريخ**: مطهّر بن طاهر المَقْدِسِيّ، المُتَوَفَّىٰ بعد سنة ٣٥٥هـ - بعد سنة ٩٦٦م. المنسوب تأليفه لأبي زَيْد أَحْمَد بن سَهْل البَلْخِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٢٢هـ.

اعتنىٰ بنشره وترجمته إلىٰ الفرنسية: كلمان هوار.

الطَّبْعَة التي صوَّرتها بالأوفست مكتبة المُثَنَّىٰ ببَغْدَاد، علىٰ المطبوعة بمَدِيْنَة شالون سنة ١٨٩٩-١٩١٩م.

وللكتاب فَهَارِس صنعها: الأُستاذ عبد الله الجُبُوْرِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة المَعَارِف ببَغْدَاد سنة ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.

● **البِدَايَة والنِّهَايَة**: عِمَاد الدِّيْن أبو الفِدَاء إسْمَاعِيْل بن عُمَر بن كَثِيْر القُرَشِيّ الدِّمَشْقِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧٤هـ=١٣٧٣م.

الناشر: مكتبة المَعَارِف ببَيْرُوْت ومكتبة النَّصْر بالرِّيَاض، سنة ١٩٦٦م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ المطبوعة بمِصْر.

● **بَذْل المَجْهُوْد في حَلّ أَبي دَاوُد**: خَلِيْل أَحْمَد السَّهَارَنْفُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٤٦هـ.

مع تَعْلِيْق: الشيخ مُحَمَّد زَكَرِيَّا بن يَحْيَىٰ الكَانْدَهْلَوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الريان للتُّرَاث بالقَاهِرَة، مطابع الأهرام التجارية بالقَاهِرَة، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

● **البُرْهَان فِي عُلُوْم القُرْآن**: بَدْر الدِّيْن مُحَمَّد بن عبد الله بن بَهَادُر الزَّرْكَشِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٤هـ=١٣٩٢م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد أبو الفَضْل إبْرَاهِيْم، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

الطَّبْعَة الثانية، مَطْبَعَة عِيسَىٰ البابي الحَلَبِيّ بمِصْر، سنة ١٩٧٢م.

● **البُعد الحَضَارِيّ للعَقِيْدَة الإبَاضِيَّة**: الدكتور فَرَحَات الجَعْبِيْرِيّ.

مَطْبَعَة الألوان الحَدِيْثَة بسَلْطَنَة عُمَان، سنة ١٩٨٩م.

● **بَهْجَة الأَنْوَار شَرْح أَنْوَار العُقُوْل فِي التَّوْحِيْد**: نور الدِّيْن أبو مُحَمَّد عبد الله بن حُمَيْد أو (حِمِّيْد كصِدِّيْق) ابن سلّوم السَّالِمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م. و**أَنْوَار العُقُوْل**: منظومة للسَّالِمِيّ أَيضاً.

الطَّبْعَة الثالثة، مطابع النهضة بسَلْطَنَة عُمَان، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

● **بَيَان إعجاز القُرْآن**: الخَطَّابِيّ. انظر: ثلاث رَسَائِل فِي إعجاز القُرْآن.

● **بَيَان مَذْهَب البَاطِنِيَّة وبُطلانه، (وهو مَنْقُوْل من كتاب قَوَاعِد عَقَائِد آل مُحَمَّد)**: مُحَمَّد بن الحَسَن الدَّيْلَمِيّ. أتمه سنة ٧٠٧هـ.

عني بتَصْحِيْحه: ر. شتروطمان.

إستانبول، مَطْبَعَة الدولة سنة ١٩٣٨م. وهو من النشريات الإسلامِيَّة لجمعية المستشرقين الألمانية.

● **البَيَان والتَّبْيِيْن**: أبو عُثْمَان عَمْرو بن بَحْر بن محبوب الجَاحِظ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٥٥هـ=٨٦٩م.

تَحْقِيْق: عبد السَّلَام مُحَمَّد هارون، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

الطَّبْعَة الخامسة، مكتبة الخانجي بمِصْر، مَطْبَعَة المَدَنِيّ بالقَاهِرَة، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

● **تأنيب الخَطِيْب علىٰ ما ساقه فِي ترجمة أبي حَنِيْفَة من الأكاذيب**: مُحَمَّد زَاهِد بن الحَسَن بن عَلِيّ الكَوْثَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

ويليه:

الترحيب بنقد التأنيب، للكَوْثَرِيّ أَيضاً.

مع **تَعْلِيْقات** الأُستاذ أَحْمَد خَيْرِيّ.

الطَّبْعَة الخامسة، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

● **تأويلات أَهْل السُّنَّة ويُسمَّىٰ (تأويلات القُرْآن)، وهو تَفْسِيْر المَاتُرِيْدِيّ. (الجزء الأول)**: أبو مَنْصُوْر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مَحْمُوْد المَاتُرِيْدِيّ السَّمَرْقَنْدِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٣٣هـ=٩٤٤م.

تَحْقِيْق: د. إبْرَاهِيْم عوضين والسَّيِّد عوضين.

الجُمْهُوْرية العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامِيَّة، لجنة القُرْآن والسُّنَّة. يشرف علىٰ إصدارها: مُحَمَّد توفيق عويضة. القَاهِرَة، مطابع الأهرام التجارية، سنة ١٣٩١هـ=١٩٧١م.

● **تَاج التَّرَاجُم في طَبَقَات الحَنَفِيَّة**: أبو الفِدَاء زَيْن الدِّيْن قَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا السُّوْدُوْنِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٧٩هـ=١٤٧٤م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد خَيْر رَمَضَان يُوْسُف.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار القلم بدِمَشْق، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

● **تَاج العَرُوس من جَوَاهِر القَامُوْس**: السَّيِّد أبو الفَيْض مُحَمَّد مُرْتَضَىٰ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحُسَيْنِيّ الزَّبِيْدِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٠٥هـ=١٧٩٠م.

والمُرَاد بالقَامُوْس هو **القَامُوْس المُحِيْط** للفَيْرُوْزَابَادِيّ، الذي سيَرِد لاحقاً.

إصدار وزارة الإعْلَام بالكُوَيْت، مَطْبَعَة حكومة الكُوَيْت، ج١ سنة ١٩٦٥م - ج١٩ سنة ١٩٨٠م، **بتَحْقِيْق** عدد من الأَساتذة.

والطَّبْعَة التي صَوَّرتها دار مكتبة الحياة ببَيْرُوْت علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ التي طُبعت سنة ١٣٠٦هـ بالمَطْبَعَة الخَيْرِيَّة بمِصْر.

● **تاريخ الأَدَب العَرَبِيّ**: كارل بروكلمان، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٥هـ=١٩٥٦م.

الطَّبْعَة الأوربية المطبوعة بالألمانية في لَيْدَنْ - بْرِيْل. **الأَصل**: ج١ طبع سنة ١٩٤٣م، وج٢ طبع سنة ١٩٤٩م. **والذَّيل**: ج١ طبع سنة ١٩٤٧م، وج٢ طبع سنة ١٩٣٨م، وج٣ سنة ١٩٤٢م.

والطَّبْعَة العَرَبِيَّة ج١ -٣ بترجمة الدكتور عبد الحَلِيْم النَّجَّار، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م. و ج٤ بترجمة الدكتور يَعْقُوْب بَكْر والدكتور رَمَضَان عبد التَّوَّاب. و ج٥ بترجمة الدكتور رَمَضَان عبد التَّوَّاب، ومراجعة الدكتور يَعْقُوْب بَكْر. و ج٦ بترجمة الدكتور يَعْقُوْب بَكْر، ومراجعة الدكتور رَمَضَان عبد التَّوَّاب.

دار المَعَارِف بمِصْر، طبعات مُخْتَلِفَة.

● **تاريخ بَغْدَاد أو مَدِيْنَة السَّلَام:** الحافظ أبو بَكْر أَحْمَد بن عَلِيّ بن ثَابِت الخَطِيْب البَغْدَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٦٣هـ=١٠٧١م.

الناشر: دار الكتاب العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، وهي الطَّبْعَة المُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ التي طبعت بمَطْبَعَة السَّعَادَة بمِصْر، سنة ١٣٤٩هـ.

● **تاريخ الفِرَق الإسلامِيَّة ونشأة علم الكلام عند المُسْلِمِيْن:** عَلِيّ مُصْطَفَىٰ الغُرَابِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، مكتبة الأنجلو المِصْرِيَّة، سنة ١٩٨٥م.

● **تاريخ المَذَاهِب الإسلامِيَّة في السِّيَاسَة والعَقَائِد وتاريخ المَذَاهِب الفِقْهِيَّة:** الشيخ مُحَمَّد بن أَحْمَد أبو زُهْرَة، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

دار الفكر العَرَبِيّ بالقَاهِرَة.

● **تَبْصِرَة الأَدِلَّة في أُصُوْل الدِّيْن علىٰ طريقة الإمَام أبي مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِيّ:** أبو المُعِيْن مَيْمُوْن بن مُحَمَّد النَّسَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٨هـ=١١١٤م.

تَحْقِيْق: كلود سَلَامَة.

من منشورات المعهد العِلْمِيّ الفرنسي للدراسات العَرَبِيَّة بدِمَشْق، طبع الجزء الأول سنة ١٩٩٠م، والثاني سنة ١٩٩٣م.

● **التَّبْصِيْر في الدِّيْن وتَمْيِيْز الفِرْقَة النَّاجِيَة عن الفِرَق الهالِكِين:** أبو المُظَفَّر عِمَاد الدِّيْن شَاهفور (شَهْفهور) بن طاهر بن مُحَمَّد الإسْفَرَايِيْنِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧١هـ=١٠٧٨م.

تَعْلِيْق: مُحَمَّد زَاهِد بن الحَسَن بن عَلِيّ الكَوْثَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، المكتبة الأَزْهَرِيَّة للتُّرَاث بالقَاهِرَة، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

● **تَبْيِيْن كَذِب المُفْتَري فيما نُسِبَ إلىٰ الإمَام أبي الحَسَن الأَشْعَرِيّ**: أبو القَاسِم عَلِيّ بن الحَسَن بن هِبَة الله بن عَسَاكِر الدِّمَشْقِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٧١هـ=١١٧٦م.

الناشر: دار الكتاب العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، سنة ١٩٧٩م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة التي عُنِيَ بنشرها القُدْسِيّ في القَاهِرَة.

● **تَبْيِيْن المعاني في شَرْح ديوان ابن هاني، الأَنْدَلُسِيّ**: شَرْح الدكتور زَاهِد عَلِيّ.

مَطْبَعَة المَعَارِف ومكتبتها بمِصْر، سنة ١٣٥٢هـ.

● **تَجْرِيْد الاعْتِقَاد**: نَصِيْر الدِّيْن الطُّوْسِيّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحَسَن، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧٢هـ=١٢٧٤م.

وشرحه: **كَشْف المُرَاد في شَرْح تَجْرِيْد الاعْتِقَاد**، لجمال الدِّيْن أبي مَنْصُوْر الحَسَن بن يُوْسُف بن عَلِيّ بن المُطَهَّر، المشهور بالعَلَّامَة الحِلِّيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٦هـ=١٣٢٥م. مع حواشٍ وتَعْلِيْقات لآية الله السَّيِّد إبْرَاهِيْم ابن ساجدين بن باقر المُوْسَوِيّ الزِّنْجَانِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، الناشر: انتشارات شكوري، قُم، مَطْبَعَة مهر، قُم، إيران، سنة ١٤١٣هـ.

● **التَّحَدِّي في آيات الإعجاز**: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار البَشِيْر بعَمَّان، الأُرْدُنّ، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

● **التَّحْرِيْر**: الكَمَال بن الهُمَام. انظر: التَّقْرِيْر والتَّحْبِيْر.

● **التَّحْرِيْر والتَّنْوِيْر (تَفْسِيْر)**: الشيخ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

الدار التُّوْنُسِيّة للنشر، والدار الجماهيرية للنشر.

● **تُحْفَة الأَحْوَذِيّ شَرْح جَامِع التِّرْمِذِيّ**، ومعه: **مُقَدِّمَة تُحْفَة الأَحْوَذِيّ**: أبو العَلِيّ مُحَمَّد عبد الرَّحْمٰن ابن الحافظ عبد الرَّحِيْم المُبَارَكْفُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م.

الناشر: دار الكتاب العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الهِنْدِيَّة الحَجَرِيَّة.

● **تُحْفَة الأَعْيَان بسِيْرَة أَهْل عُمَان**: نور الدِّيْن أبو مُحَمَّد عبد الله بن حُمَيْد أو (حِمِّيْد كصِدِّيْق) بن سلّوم السَّالِمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

الناشر: زاهر وزُهَيْر ابنا حَفِيْد المؤلف سُعُوْد بن حمد، المطابع الذَّهَبِيَّة في سَلْطَنَة عُمَان.

● **التَّذْكِرَة في أحوال الموتىٰ وأُمور الآخِرَة**: أبو عبد الله شمس الدِّيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أبي بَكْر بن فَرْح الأَنْصَارِيّ الخَزْرَجِيّ القُرْطُبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧١هـ=١٢٧٣م.

مطابع مَذْكُوْر وأولاده، القَاهِرَة.

● **التشريع الجنائي الإسلامِيّ مقارناً بالقَانُوْن الوضعي**: عبد القَادِر عَوْدَة، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٤هـ=١٩٥٤م.

الناشر: مكتبة دار العَرُوْبَة بالقَاهِرَة، مَطْبَعَة المَدَنِيّ.

الجزء الأول: القسم العام، الطَّبْعَة الثالثة، سنة ١٩٦٣م.

الجزء الثاني: القسم الخاص، الطَّبْعَة الثانية، سنة ١٩٦٤م.

● **تَشْنِيْف المَسَامِع بجَمْع الجَوَامِع**: بَدْر الدِّيْن مُحَمَّد بن عبد الله بن بَهَادُر الزَّرْكَشِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٤هـ=١٣٩٢م.

و**جَمْع الجَوَامِع**، لتاج الدِّيْن أبي نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِيّ بن عبد الكافي بن عَلِيّ السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.

حَقَّقَهُ: أبو عَمْرو الحُسَيْنِيّ بن عُمَر بن عبد الرَّحِيْم.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

● **التصوير الفني في القُرْآن**: سَيِّد قُطْب، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.

دار المَعَارِف بمِصْر، سنة ١٩٥٦م.

● **تطور دراسات إعجاز القُرْآن وأثرها في البَلَاغَة العَرَبِيَّة**: الدكتور عُمَر مُلَّا حُوَيْش.

مَطْبَعَة الأُمَّة، بَغْدَاد، سنة ١٩٧٢م.

● **التَّعْرِيْفَات**: السَّيِّد الشَّرِيْف عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عَلِيّ الجُرْجَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨١٦هـ=١٤١٣م.

مَطْبَعَة الحَلَبِيّ بمِصْر، سنة ١٣٥٧هـ.

● **تَعْلِيْل الأَحْكَام**: مُحَمَّد مُصْطَفَىٰ شَلَبِي.

الطَّبْعَة الثانية، دار النهضة العَرَبِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

- **تَفْسِيْر البَيْضَاوِيّ (أَنْوَار التنزيل وأسرار التأويل)**: القَاضِي نَاصِر الدِّيْن أبو سَعِيْد عبد الله بن عُمَر بن مُحَمَّد البَيْضَاوِيّ الشِّيْرَازِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.

الطَّبْعَة الثانية، المَطْبَعَة البَهِيَّة المِصْرِيَّة، سنة ١٩٢٥م.

- **تَفْسِيْر الرَّازِيّ**، المسمىٰ بـ**(التَّفْسِيْر الكَبِيْر)** أو **(مفاتيح الغَيْب)**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخَطِيْب التَّيْمِيّ البَكْرِيّ القُرَشِيّ الشَّافِعِيّ، فَخْر الدِّيْن الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

الطَّبْعَة الثانية، الناشر: دار الكتب العِلْمِيَّة بِطِهران، وهي مُصَوَّرَة علىٰ المطبوعة بالمَطْبَعَة البَهِيَّة المِصْرِيَّة، بلا تاريخ. وطَبْعَة دار الفكر بِبَيْرُوْت.

- **تَفْسِيْر السَّمَرْقَنْدِيّ**. انظر: بَحْر العُلُوْم.
- **تَفْسِيْر ابن عَطِيَّة**. انظر: المُحَرَّر الوَجِيْز في تَفْسِيْر الكتاب العَزِيْز.
- **التَّفْسِيْر العِلْمِيّ للآيات الكونية في القُرْآن**: حَنَفِيّ أَحْمَد.

دار المَعَارِف بمِصْر.

- **تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ (الجَامِع لأَحْكَام القُرْآن)**: أبو عبد الله شمس الدِّيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أبي بَكْر بن فَرْح الأَنْصَارِيّ الخَزْرَجِيّ القُرْطُبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧١هـ=١٢٧٣م.

دار الشعب بالقَاهِرَة، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ طَبْعَة دار الكُتُب المِصْرِيَّة.

- **التَّفْسِيْر الكَبِيْر**: الفَخْر الرَّازِيّ. انظر: تَفْسِيْر الرَّازِيّ.
- **تَفْسِيْر ابن كَثِيْر (تَفْسِيْر القُرْآن العَظِيْم)**: عِمَاد الدِّيْن أبو الفِدَاء إِسْمَاعِيْل بن عُمَر بن كَثِيْر القُرَشِيّ الدِّمَشْقِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧٤هـ=١٣٧٣م.

اعتنىٰ به: مُحَمَّد أَنَس مُصْطَفَىٰ الخن، بمُسَاعَدَة فريق من مكتب تَحْقِيْق التُّرَاث بمُؤَسَّسَة الرِّسَالَة.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ناشرون، بَيْرُوْت، لُبْنَان، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

- **تَفْسِيْر الكَشَّاف**: الزَّمَخْشَرِيّ. انظر: الكَشَّاف عن حَقَائِق التنزيل.

● **تَفْسِيْر المَنَار (تَفْسِيْر القُرْآن الحَكِيْم)**: السَّيِّد مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م. وفيه صَفْوَة ما قاله الأُستاذ الإمَام الشيخ مُحَمَّد عَبْدُه، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م.

دار الفكر ببَيْرُوْت، مُصَوَّرَة عن الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ المطبوعة بمَطْبَعَة المَنَار، سنة ١٣٤٢هـ.

● **تَفْسِيْر النَّسَفِيّ (مَدَارِك التنزيل وحَقَائِق التأويل)**: أبو البَرَكَات عبد الله بن أَحْمَد بن مَحْمُوْد النَّسَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧١٠هـ.

حَقَّقَهُ: يُوْسُف عَلِيّ بديوي. **وراجعه**: مُحْيِي الدِّيْن ديب مستو.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكَلِم الطَّيِّب ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

● **تفصيل وَسَائِل الشِّيْعَة إلىٰ تَحْصِيْل مَسَائِل الشَّرِيْعَة**: الشيخ مُحَمَّد بن الحَسَن الحُرّ العَامِلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٠٤هـ=١٦٩٢م.

تَحْقِيْق: مُؤَسَّسَة آل البيت لإحياء التُّرَاث، قُم، إيران.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، سنة ١٤١٢هـ.

● **التفكير الفلسفي في الإسلام**: الدكتور عبد الحَلِيْم مَحْمُوْد، شيخ الأزهر، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

دار الكتاب اللُّبْنَانِيّ ببَيْرُوْت، ومكتبة المدرسة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

● **تَقْرِيْب التَّهْذِيْب**: شِهَاب الدِّيْن أبو الفَضْل أَحْمَد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الكِنَانِيّ، المعروف بابن حَجَر العَسْقَلَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد عَوَّامَة.

الطَّبْعَة الرابعة، دار الرَّشِيْد، سوريا، حَلَب، طِبَاعَة: دار القلم، دِمَشْق، بَيْرُوْت، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

● **التَّقْرِيْر والتَّحْبِيْر في شَرْح كتاب التَّحْرِيْر**: ابن أَمِيْر الحاج مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحَسَن بن سُلَيْمَان الحَلَبِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٧٩هـ=١٤٧٤م.

والتَّحْرِيْر الجَامِع بين اصْطِلَاحَي الحَنَفِيَّة والشَّافِعِيَّة، للكَمَال بن الهُمَام (مُحَمَّد بن

عبد الوَاحِد السِّيْوَاسِيّ القَاهِرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦١هـ=١٤٥٧م). وبهامشه:

نِهَايَة السُّوْل في شَرْح مِنْهَاج الوُصُوْل إلىٰ علم الأُصُوْل، لجمال الدِّيْن عبد الرَّحِيْم بن الحَسَن الأَسْنَوِيّ القُرَشِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧٢هـ=١٣٧٠م.

ومِنْهَاج الوُصُوْل، للقَاضِي نَاصِر الدِّيْن أبي سَعِيْد عبد الله بن عُمَر بن مُحَمَّد البَيْضَاوِيّ الشِّيْرَازِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.

الطَّبْعَة الثانية، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م. وهي مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ المطبوعة بالمَطْبَعَة الكبرىٰ الأَمِيْرِيَّة ببُوْلَاق القَاهِرَة، سنة ١٣١٦-١٣١٨هـ.

● **تَكْمِلَة مُعْجَم المُؤَلِّفِيْن**. انظر: مُعْجَم المُؤَلِّفِيْن.

● **تَلْبِيْس إبْلِيْس، أو (نقد العلم والعُلَمَاء)**: جمال الدِّيْن أبو الفَرَج عبد الرَّحْمٰن بن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن الجَوْزِيّ البَغْدَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٩٧هـ=١٢٠١م.

صَحَّحَهُ ونشره: مُحَمَّد مُنِيْر الدِّمَشْقِيّ، كان حَيّاً قبل سنة ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م.

الطَّبْعَة الثانية، المَطْبَعَة المُنِيْرِيَّة بالقَاهِرَة.

● **تَلْخِيْص المُحَصَّل**: نَصِيْر الدِّيْن الطُّوْسِيّ. انظر: مُحَصَّل أفكار المتقدِّمِين.

● **التلويح علىٰ التَّوْضِيْح**. انظر: شَرْح التلويح علىٰ التَّوْضِيْح.

● **تَمْهِيْد الأوائل وتَلْخِيْص الدلائل**: القَاضِي أبو بَكْر مُحَمَّد بن الطَّيِّب بن مُحَمَّد البَاقِلَّانِيّ البَصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٠٣هـ=١٠١٣م.

تَحْقِيْق: عِمَاد الدِّيْن حَيْدَر.

الطَّبْعَة الثالثة، مُؤَسَّسَة الكتب الثقافية ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

● **التَّمْهِيْد لقَوَاعِد التَّوْحِيْد**: أبو الثناء مَحْمُوْد بن زَيْد الحَنَفِيّ المَاتُرِيْدِيّ اللَّامِشِيّ، المُتَوَفَّىٰ أوائل القرن السادس الهِجْرِيّ.

تَحْقِيْق: عبد المَجِيْد تُرْكِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الغرب الإسلامِيّ ببَيْرُوْت، سنة ١٩٩٥م.

● **التَّنْبِيْه والرَّدّ علىٰ أهل الأَهْوَاء والبِدَع**: أبو الحُسَيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عبد الرَّحْمٰن المَلَطِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٧٧هـ.

قَدَّمَ له وعَلَّقَ عليه: مُحَمَّد زَاهِد بن الحَسَن الكَوْثَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

الناشر: المكتبة الأَزْهَرِيَّة للتُّرَاث بالقَاهِرَة، دار السَّعَادَة للطِّبَاعَة بالقَاهِرَة، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

● **تَنْوِيْر الحَوَالِك شَرْح مُوَطَّأ الإمَام مَالِك**: جَلَال الدِّيْن عبد الرَّحْمٰن بن أبي بَكْر السُّيُوْطِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م. ويليه:

إسعاف المُبَطَّأ بِرِجَال المُوَطَّأ، للسُّيُوْطِيّ أيضاً.

و**المُوَطَّأ**، للإمَام مَالِك بن أَنَس الأَصْبَحِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٧٩هـ=٧٩٥م.

المكتبة التجارية الكبرىٰ بِمِصْر.

● **تَهْذِيْب الأسماء واللُّغَات**: أبو زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّيْن يَحْيَىٰ بن شَرَف بن مُرِي النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

الناشر: دار الكتب العِلْمِيَّة بِبَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة المُنِيْرِيَّة المِصْرِيَّة.

● **تَهْذِيْب التَّهْذِيْب**: شِهَاب الدِّيْن أبو الفَضْل أَحْمَد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الكِنَانِيّ، المعروف بابن حَجَر العَسْقَلَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.

الناشر: دار صادر بِبَيْرُوْت، سنة ١٩٦٨م، وهي مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ المطبوعة بمَطْبَعَة دائرة المَعَارِف النِّظَامِيَّة بحَيْدَرْ آباد الدَّكَن سنة ١٣٢٥هـ.

● **تَهْذِيْب سِيْرَة ابن هِشَام**: عبد السَّلَام مُحَمَّد هارون، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

وسِيْرَة ابن هِشَام هي: السِّيْرَة النَّبَوِيَّة، لأبي مُحَمَّد عبد الملك بن هِشَام بن أَيُّوْب الحِمْيَرِيّ المَعَافِرِيّ البَصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م. وابن هِشَام جمع السِّيْرَة النَّبَوِيَّة وهذَّبها ولخَّصها من المَغَازِي والسِّيَر لابن إسْحَاق (أبي بَكْر مُحَمَّد بن إسْحَاق بن يَسَار، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٥١هـ=٧٦٨م)، فاشتهرت بسِيْرَة ابن هِشَام.

القَاهِرَة.

● **تَهْذِيْب الكَمَال في أسماء الرِّجَال**: الحافظ جمال الدِّيْن أبو الحَجَّاج يُوْسُف بن الزَّكِيّ عبد الرَّحْمٰن بن يُوْسُف المِزِّيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٢هـ=١٣٤١م.

تَحْقِيْق وتَعْلِيْق: الدكتور بَشَّار عَوَّاد معروف.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة بِبَيْرُوْت، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

- **التَّوْحِيْد**: أبو مَنْصُوْر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مَحْمُوْد المَاتُرِيْدِيّ السَّمَرْقَنْدِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٣٣هـ=٩٤٤م.

تَحْقِيْق: د. فتح الله خُلَيْف.

الناشر: دار الجَامِعَات المِصْرِيَّة - الإسْكَنْدَرِيَّة، مِصْر.

- **تَيْسِيْر التَّفْسِيْر للقُرْآن الكَرِيْم**: مُحَمَّد بن يُوْسُف أَطَّفَيِّش، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

سَلْطَنَة عُمَان، وزارة التُّرَاث القومي والثقافة، عِيسَىٰ البابي الحَلَبِيّ وشركاه، دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة بمِصْر، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

- **ثلاث رَسَائِل في إعجاز القُرْآن**: الرُّمَّانِيّ والخَطَّابِيّ والجُرْجَانِيّ. وهي:

١- **النُّكَت في إعجاز القُرْآن**: أبو الحَسَن عَلِيّ بن عِيسَىٰ بن عَلِيّ الرُّمَّانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٨٤هـ=٩٩٤م.

٢- **بَيَان إعجاز القُرْآن**: أبو سُلَيْمَان حَمْد بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيْم البُسْتِيّ الخَطَّابِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٨٨هـ=٩٩٨م.

٣- **الرِّسَالَة الشافية في الإعجاز**: أبو بَكْر عبد القاهر بن عبد الرَّحْمٰن بن مُحَمَّد الجُرْجَانِيّ الأَشْعَرِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧١هـ=١٠٧٨م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد خَلَف الله أَحْمَد، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، و د. مُحَمَّد زغلول سَلام.

الطَّبْعَة الثانية، دار المَعَارِف بمِصْر، سنة ١٩٦٨م.

- **الجَامِع**: أبو الحَسَن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عَلِيّ البسيوي، وهو تلميذ ابن بَرَكَة عبد الله بن مُحَمَّد الذي كان حَيّاً سنة ٣٦١هـ.

سَلْطَنَة عُمَان، وزارة التُّرَاث القومي والثقافة، مطابع دار جريدة عُمَان للصحافة والنشر، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- **الجَامِع الصَّحِيْح مُسْنَد الرَّبِيْع بن حَبِيْب. انظر**: شَرْح الجَامِع الصَّحِيْح.

- **الجَامِع الصَّغِيْر في أَحَادِيْث البَشِيْر النَّذِيْر**: جَلَال الدِّيْن عبد الرَّحْمٰن بن أبي بَكْر السُّيُوْطِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

- **جَامِع العُلُوْم والحِكَم في شَرْح خمسين حَدِيْثاً من جَوَامِع الكَلِم**: ابن رَجَب زَيْن الدِّيْن أبو الفَرَج عبد الرَّحْمٰن بن أَحْمَد بن عبد الرَّحْمٰن السَّلَامِيّ البَغْدَادِيّ الدِّمَشْقِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٥هـ=١٣٩٣م.

تَحْقِيْق: شُعَيْب الأَرْنَاؤُوط، وإِبْرَاهِيْم باجس.

الطَّبْعَة السابعة، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

- **الجَامِع لأَحْكَام القُرْآن**: القُرْطُبِيّ. انظر: تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ.

- **جدول السنِين الهِجْرِيَّة بلياليها وشهورها بما يُوَافِقها من السنِين المِيْلَادِيَّة بأيامها وشهورها**: ف. وِيسْتَنْفِلْد. ترجمة: الدكتور عبد المُنْعِم مَاجِد، وعبد المُحْسِن رَمَضَان.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مكتبة الأنجلو المِصْرِيَّة، سنة ١٩٨٠م.

- **جريمة الرِّدَّة وعقوبة المُرْتَدّ في ضَوْء القُرْآن والسُّنَّة**: الدكتور يُوْسُف القَرَضَاوِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

- **جَمْع الجَوَامِع**: تَاج الدِّيْن السُّبْكِيّ. انظر: حَاشِيَة البَنَّانِيّ.

- **الجواب الصَّحِيْح لمن بدل دين المَسِيْح**: أبو العَبَّاس تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بن عبد الحَلِيْم بن عبد السَّلَام بن تَيْمِيَّة الحَرَّانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.

القَاهِرَة.

- **الجَوَاهِر المُضِيَّة في طَبَقَات الحَنَفِيَّة**: مُحْيِي الدِّيْن أبو مُحَمَّد عبد القَادِر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن نَصْر الله بن سالم بن أبي الوفاء القُرَشِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧٥هـ=١٣٧٣م.

تَحْقِيْق: د. عبد الفَتَّاح مُحَمَّد الحُلْو، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

الطَّبْعَة الثانية، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة، هَجَر للطِّبَاعَة والنشر والتوزيع والإعْلَان، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

- **جَوْهَرَة التَّوْحِيْد. انظر**: شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيْد.

- **حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بَكْر بن أَيُّوْب بن سَعْد الزُّرَعِيّ الدِّمَشْقِيّ، المشهور بابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.

الطَّبْعَة الرابعة، مَطْبَعَة مُحَمَّد عَلِيّ صبيح وأولاده بِمِصْر، سنة ١٣٨١هـ=١٩٦٢م.

- **حَاشِيَة بُرْهَان الدِّيْن إبْرَاهِيْم بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الجِيْزَاوِيّ الشَّافِعِيّ البَاجُوْرِيّ أو البَيْجُوْرِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٧٦هـ=١٨٦٠م.

علىٰ مَتن **السُّلَّم في فَنّ المنطِق**، لعبد الرَّحْمٰن بن مُحَمَّد بن عَامِر الأَخْضَرِيّ المَغْرِبِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٨٣هـ=١٥٨٥م.

ومعه: **تَقْرِيْر المحقق الشيخ الشمس مُحَمَّد الأَنْبَابِيّ**.

مَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ وأولاده بِمِصْر، سنة ١٣٤٧هـ.

- **حَاشِيَة البَنَّانِي عبد الرَّحْمٰن بن جَادَ الله المَغْرِبِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٩٨هـ=١٧٨٤م.

علىٰ **شَرْح جَلَال الدِّيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد المَحَلِّيّ الشَّافِعِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦٤هـ=١٤٥٩م.

علىٰ مَتن **جَمْع الجَوَامِع**، للإمَام تاج الدِّيْن أبي نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِيّ بن عبد الكافي السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.

وبهامش الحَاشِيَة:

تَقْرِيْر شَيخ الإسلام عبد الرَّحْمٰن الشَّرْبِيْنِيّ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الشَّافِعِيّ، شَيخ الأَزهَر، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٢٦هـ=١٩٠٨م.

الطَّبْعَة الثانية، مَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ وأولاده بِمِصْر، سنة ١٩٣٧م.

- **حَاشِيَة التَّرْتِيْب**: المُحَشِّي أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر (عَامِر) بن أبي ستة السدويكشي المَغْرِبِيّ الإبَاضِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٨٨هـ=١٦٧٩م.

وكتاب **التَّرْتِيْب** هو مُسْنَد الإمَام الرَّبِيْع بن حَبِيْب بن عَمْرو الأَزْدِيّ الفَرَاهِيْدِيّ البَصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ بين سنتي ١٧٥-١٨٠هـ، الذي رتبه علىٰ أبواب الفِقْه أبو يَعْقُوْب يُوْسُف بن إبْرَاهِيْم بن مياد السدراتي الوَارْجَلَانِيّ الإبَاضِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٧٠هـ.

وزارة التُّرَاث القومي والثقافة في سَلْطَنَة عُمَان، المَطْبَعَة الشَّرْقِيَّة ومكتبتها في مَسْقَط – عُمَان، طُبِعَ الجزء الأول سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، وطُبِعَ الجزء الثامن سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- **حَاشِيَة حَسَن چَلَبِي علىٰ المَوَاقِف. انظر**: المَوَاقِف.

- **حَاشِيَة الخَيَالي علىٰ شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة. انظر**: شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة.

- **حَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عَرَفَة المَالِكِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٣٠هـ=١٨١٥م **علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن.**

وأُمّ البَرَاهِيْن (المسماة بالعَقِيْدَة الصغرىٰ، أو السَّنُوْسِيَّة) وشرحها، كلاهما لأبي عبد الله مُحَمَّد بن يُوْسُف بن عُمَر بن شُعَيْب السَّنُوْسِيّ الحَسَنِيّ المَالِكِيّ المَغْرِبِيّ التِّلِمْسَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٩٥هـ.

مَطْبَعَة دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة لأصحابها عِيسَىٰ البابي الحَلَبِيّ وشركاه بالقَاهِرَة.

- **حَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ مُصْطَفَىٰ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد عَرَفَة علىٰ مُغْنِي اللَّبِيْب.**

ومُغْنِي اللَّبِيْب عن كتب الأعاريب، لابن هِشَام الأَنْصَارِيّ أبي مُحَمَّد جمال الدِّيْن عبد الله بن يُوْسُف بن أَحْمَد بن عبد الله بن هِشَام الأَنْصَارِيّ الخَزْرَجِيّ الشَّافِعِيّ ثم الحَنْبَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٦١هـ=١٣٦٠م.

المَطْبَعَة الحَمِيْدِيَّة بمِصْر، سنة ١٣٥٨هـ.

- **حَاشِيَة الصَّاوِيّ علىٰ الدَّرْدِيْر**. انظر: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر.

- **حَاشِيَة الطُّوْسِيّ علىٰ المُحَصَّل**. انظر: مُحَصَّل أفكار المتقدمين والمتأخرين.

- **حَاشِيَة عبد الحَكِيْم علىٰ المَوَاقِف وشرحه**. انظر: المَوَاقِف.

- **حَاشِيَة العَدَوِيّ علىٰ كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ شَرْح أبي الحَسَن لرِسَالَة ابن أبي زَيْد القَيْرَوَانِيّ.**

والعَدَوِيّ هو عَلِيّ بن أَحْمَد الصَّعِيْدِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٨٩هـ=١٧٧٥م.

وأبو الحَسَن هو عَلِيّ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن خَلَف المَنُوْفِيّ المِصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٣٩هـ=١٥٣٢م، وشَرْح أبي الحَسَن للرِّسَالَة اسمه: (**كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ لرِسَالَة ابن أبي زَيْد القَيْرَوَانِيّ**).

و**الرِّسَالَة،** لأبي مُحَمَّد عبد الله بن أبي زَيْد عبد الرَّحْمٰن النَّفْزِيّ القَيْرَوَانِيّ المَالِكِيّ، المُتوَفَّىٰ سنة ٣٨٦هـ.

مَطْبَعَة دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة لأصحابها عِيسَىٰ البابي الحَلَبِيّ بمِصْر، بلا تاريخ. وطَبْعَة شركة مكتبة ومَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ وأولاده بمِصْر سنة ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م.

● **حَاشِيَة العَطَّار أبي السَّعَادَات حَسَن بن مُحَمَّد الشَّافِعِيّ الأَزْهَرِيّ المَغْرِبِيّ،** المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٥٠هـ=١٨٣٤م.

علىٰ **شَرْح جَلَال الدِّيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد المَحَلِّيّ الشَّافِعِيّ،** المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦٤هـ=١٤٥٩م.

علىٰ مَتن **جَمْع الجَوَامِع،** للإمَام تاج الدِّيْن أبي نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِيّ بن عبد الكافي السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.

وبهامش الحَاشِيَة:

تَقْرِير شَيخ الإسلام عبد الرَّحْمٰن الشَّرْبِيْنِيّ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الشَّافِعِيّ، شَيخ الأَزْهَر، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٢٦هـ=١٩٠٨م.

وتَقْرِيْرَات الشيخ مُحَمَّد عَلِيّ بن حُسَيْن المَكِّيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٦٧هـ=١٩٤٨م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● **حَاشِيَة الكَسْتَلِيّ علىٰ شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة. انظر:** شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة.

● **حَاشِيَة الكَلَنْبَوِيّ علىٰ الدَّوَّانِيّ. انظر:** شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة.

● **حَاشِيَة مُحَمَّد الأَمِير الأَزْهَرِيّ** بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عبد القَادِر السنباوي المَنْفَلُوْطِيّ المَالِكِيّ، شمس الدِّيْن، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٣٢هـ=١٨١٧م، علىٰ **مُغْنِي اللَّبِيْب عن كتب الأعاريب،** لابن هِشَام الأَنْصَارِيّ أبي مُحَمَّد جمال الدِّيْن عبد الله بن يُوْسُف بن أَحْمَد بن عبد الله بن هِشَام الحَنْبَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٦١هـ=١٣٦٠م.

دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة، عِيسَىٰ البابي الحَلَبِيّ وشركاه بمِصْر.

● **حَاشِيَة المَرْجَانِيّ علىٰ الدَّوَّانِيّ. انظر**: شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة.

● **حُجَّة الله علىٰ العالمين في معجزات سَيِّد المُرْسَلين**: يُوْسُف بن إِسْمَاعِيْل النَّبْهَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣٢م.

الطَّبْعَة المُصَوَّرَة، بَيْرُوْت.

● **الحَرَكَات الهَدَّامَة في الإسلام، الرَّاوَنْدِيَّة، البَابَكِيَّة**: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، وزارة الثقافة والإِعْلَام العِرَاقِيَّة، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ببَغْدَاد، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

● **الحق الدامغ**: أَحْمَد بن حمد بن سُلَيْمَان الخَلِيْلِيّ، مفتي سَلْطَنَة عُمَان.

مطابع النهضة، مَسْقَط، سَلْطَنَة عُمَان، سنة ١٤٠٩هـ.

● **الحُكْم وقضية تكفير المُسْلِم**: سالم عَلِيّ البَهْنَسَاوِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، دار البحوث العِلْمِيَّة بالكُوَيْت، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

● **الحُوْر العِيْن، وشرحه**: كلاهما تأليف الأَمِيْر أبي سَعِيْد نَشْوَان بن سَعِيْد بن نَشْوَان الحِمْيَرِيّ اليَمَنِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٧٣هـ=١١٧٨م.

تَحْقِيْق: كَمَال مُصْطَفَىٰ.

الطَّبْعَة الثانية، المكتبة اليَمَنِيَّة بصَنْعَاء، اليَمَن، دار آزال للطِّبَاعَة والنشر ببَيْرُوْت، سنة ١٩٨٥م.

● **خاطرات جمال الدِّيْن الأَفْغَانِيّ (جمال الدِّيْن مُحَمَّد بن صَفَدر بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الحُسَيْنِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣١٤هـ=١٨٩٧م)**: مُحَمَّد باشا ابن حَسَن سُلْطَان المَخْزُوْمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٤٨هـ=١٩٣٠م.

الطَّبْعَة الثانية، دار الفكر بدِمَشْق، سنة ١٩٦٥م.

● **خِطَط المَقْرِيْزِيّ**. انظر: المواعِظ والاعتِبَار.

● **خُلَاصَة علم الكلام**: د. عبد الهَادِي الفضلي.

دار التعارف للمطبوعات، لُبْنَان، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

- **خَيْر القلائد شَرْح جَوَاهِر العَقَائِد**: عُثْمَان العرياني الكليسي، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٦٨هـ. **وجَوَاهِر العَقَائِد**، منظومة نونية علىٰ مَذْهَب المَاتُرِيْدِيَّة، للعَلَّامَة خَضِر بيك بن جَلَال الدِّيْن بن أَحْمَد باشا، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦٣هـ.

تَحْقِيْق: أَحْمَد فريد المزيدي.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

- **دائرة المَعَارِف الإسلامِيَّة. ترجمة**: أَحْمَد الشنتناوي، وإِبْرَاهِيْم زَكِيّ خورشِيْد، وعبد الحميد يُوْنُس. **ومراجعة**: د. مُحَمَّد مَهْدِيّ عَلَّام، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

دار الفكر ببَيْرُوْت، وهي مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة المِصْرِيَّة.

- **دراسات في الفِرَق والعَقَائِد الإسلامِيَّة**: د. عِرْفَان عبد الحميد فَتَّاح، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

الطَّبْعَة الثانية، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، دار البَشِيْر بعَمَّان، الأُرْدُنّ، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

- **دُرَّة التنزيل وغُرَّة التأويل في بَيَان الآيَات المُتَشَابِهَات في كتاب الله العَزِيْز**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الأَصْبَهَانِيّ، المعروف بالخَطِيْب الإسْكَافِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٣١هـ.

رِوَايَة: الإمَام إبْرَاهِيْم بن عَلِيّ بن مُحَمَّد، المعروف بأبي الفَرَج الأَرْدِسْتَانِيّ.

اعتنىٰ به: خَلِيْل مأمون شيحا.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار المَعْرِفَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

- **الدُّرَر السَّنِيَّة في الرَّدّ علىٰ الوَهَّابِيَّة**: أَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٠٤هـ=١٨٨٦م.

مُصَوَّرَة مكتبة الحقيقة بإستانبول، تُرْكِيا، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م، علىٰ المطبوعة بالمَطْبَعَة المَيْمَنِيَّة لأصحابها مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ وأخويه بمِصْر، سنة ١٣١٩هـ=١٩٢١م.

- **الدُّرّ المَنْثُوْر في التَّفْسِيْر بالمَأْثُوْر**: جَلَال الدِّيْن عبد الرَّحْمٰن بن أبي بَكْر السُّيُوْطِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م. وبهامشه:

تَنْوِيْر المِقْبَاس تَفْسِيْر سَيِّدنا عبد الله بن عَبَّاس، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٨هـ=٦٨٧م، لمَجْد الدِّيْن

أبي الطَّاهِر مُحَمَّد بن يَعْقُوْب الصِّدِّيْقِيّ الشِّيْرَازِيّ الفَيْرُوْزَابَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨١٧هـ=١٤١٥م.

النـاشر: مُحَمَّد أمين دمج، بَيْرُوْت، وهي مُصَوَّرَة علىٰ المطبوعة سنة ١٣١٤هـ بالمَطْبَعَة المَيْمَنِيَّة بالقَاهِرَة.

● **دفع شُبَه التشبيه بأَكُفّ التنزيه**: جمال الدِّيْن أبو الفَرَج عبد الرَّحْمٰن بن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن الجَوْزِيّ البَغْدَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٩٧هـ=١٢٠١م.

بعِنَايَة: طارق السُّعُوْد.

الطَّبْعَة الثانية، دار الهجرة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

● **دليل الفالحين لطرق رياض الصَّالِحِيْن**: مُحَمَّد بن عَلَّان الصِّدِّيْقِيّ المَكِّيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٥٧هـ.

ورياض الصَّالِحِيْن، لأَبي زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّيْن يَحْيَىٰ بن شَرَف بن مُرِي النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

دار الكتاب العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● **الدِّيْن المقارن**: مَحْمُوْد أبو الفَيْض المَنُوْفِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار نهضة مِصْر، سنة ١٩٧٠م.

● **الرَّازِيّ مفسراً**: د. مُحْسِن عبد الحميد.

دار الحرية، بَغْدَاد، سنة ١٩٧٤م.

● **الرد الجميل لإلٰهِيَّة عِيسَىٰ بصَرِيْح الإنجيل**: الإمَام أبو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيّ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

مكتبة الحقيقة بإستانبول، تُرْكِيا، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩١م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● **رِسَالَة إلىٰ أهل الثَّغْر**: الإمَام أبو الحَسَن عَلِيّ بن إسْمَاعِيْل بن أبي بِشْر إسْحَاق الأَشْعَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٢٤هـ=٩٣٦م.

تَحْقِيْق: عبد الله شاكر مُحَمَّد الجنيدي.

الطَّبْعَة الثانية، مكتبة العُلُوْم والحِكَم بالمَدِيْنَة المُنَوَّرَة، المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُوْدِيَّة، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

● **رِسَالَة التَّوْحِيْد**: الشيخ مُحَمَّد عَبْدُه، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م.

وعليها تَعْلِيْقات للسَّيِّد مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م.

الطَّبْعَة السابعة عشرة، دار المَنَار بمِصْر، سنة ١٣٧٦هـ.

● **رِسَالَة ابن أبي زَيْد القَيْرَوانِيّ**. انظر: حَاشِيَة العَدَوِيّ علىٰ كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ.

● **رِسَالَة في التَّوْحِيْد والفِرَق المعاصرة**: كَمَال الدِّيْن عبد المُحْسِن الطَّائِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

مَطْبَعَة سلمان الأَعْظَمِيّ، بَغْدَاد، سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

● **رِسَالَة فيما يتعلق بأَدِلَّة جواز التَّوَسُّل بالنَّبِيّ وزيارته** ﷺ: أَحْمَد بن زَيْنِي دَحْلَان الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٠٤هـ=١٨٨٦م.

مكتبة الحقيقة بإستانبول، تُرْكِيا، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● **الرِّسَالَة القُشَيْرِيَّة في علم التَّصَوُّف**: أبو القَاسِم عبد الكَرِيْم بن هَوَازِن القُشَيْرِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٦٥هـ=١٠٧٣م.

مكتبة مُحَمَّد عَلِيّ صبيح، سنة ١٩٥٧م.

● **الرَّسُوْل** ﷺ: سَعِيْد مُحَمَّد حَوَّىٰ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

الطَّبْعَة الثالثة، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

● **الرفع والتكميل في الجَرْح والتَّعْدِيْل**: أبو الحَسَنَات مُحَمَّد عَبْد الحَيّ بن مُحَمَّد عبد الحَلِيْم اللَّكْنَوِيّ الأَنْصَارِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٠٤هـ.

تَحْقِيْق: عبد الفَتَّاح أبو غُدَّة، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

الطَّبْعَة السادسة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامِيَّة، دار البشائر الإسلامِيَّة للطِّبَاعَة، بَيْرُوْت، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

● **الروح**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بَكْر بن أَيُّوْب بن سَعْد الزُّرَعِيّ الدِّمَشْقِيّ، المشهور بابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.

الطَّبْعَة الثالثة، مَطْبَعَة مُحَمَّد عَلِيّ صبيح وأولاده بمِصْر، سنة ١٣٨٦هـ=١٩٦٧م.

- **روح الدِّيْن الإسلامِيّ**: عفيف عبد الفَتَّاح طبارة.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، بَيْرُوْت.

- **رُوح المَعَاني في تَفْسِيْر القُرْآن العَظِيْم والسَّبع المَثَاني**: أبو الثَّنَاء شِهَاب الدِّيْن السَّيِّد مَحْمُوْد بن عبد الله الآلُوْسِيّ البَغْدَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٧٠هـ=١٨٥٤م.

النَّاشر: دار إحياء التُّرَاث العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، وهي مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الثانية المُنِيْرِيَّة المِصْرِيَّة، بلا تاريخ.

- **الرَّوْض الأُنُف في تَفْسِيْر السِّيْرَة النَّبَوِيَّة لابن هِشَام**: أبو القَاسِم عبد الرَّحْمٰن بن عبد الله بن أَحْمَد الخَثْعَمِيّ السُّهَيْلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٨١هـ=١١٨٥م.

و**السِّيْرَة النَّبَوِيَّة**، لأبي مُحَمَّد عبد الملك بن هِشَام بن أَيُّوْب الحِمْيَرِيّ المَعَافِرِيّ البَصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م. وابن هِشَام جمع السِّيْرَة النَّبَوِيَّة وهذَّبها ولخَّصها من المَغَازِي والسِّيَر لابن إسْحَاق (أبي بَكْر مُحَمَّد بن إسْحَاق بن يَسَار، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٥١هـ=٧٦٨م)، فاشتهرت بسِيْرَة ابن هِشَام.

تقديم وتَعْلِيْق: طه عبد الرَّؤُوْف سَعْد.

مطبوعات مكتبة ومَطْبَعَة الحاج عبد السَّلَام بن مُحَمَّد بن شقرون. طبع ج١ في شركة الطِّبَاعَة الفنية المُتَّحِدَة بالقَاهِرَة سنة ١٩٧١م، وطبع ج٢-٤ في مُؤَسَّسَة نبع الفكر العَرَبِيّ للطِّبَاعَة بالقَاهِرَة سنة ١٩٧٢-١٩٧٣م.

- **الرَّوْضَة البَهِيَّة فيما بين الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيْدِيَّة**: حَسَن بن عبد المُحْسِن، ابن أبي عَذْبَة، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٧٢هـ=١٧٥٨م.

تَحْقِيْق وتقديم: د. عَلِيّ فريد دحروج.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار سَبِيْل الرَّشَاد، بَيْرُوْت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

- **رَوْضَة النَّاظِر وجُنَّة المُنَاظِر**: مُوَفَّق الدِّيْن بن قُدَامَة. انظر: نُزْهَة الخاطر العاطر.

- **رياض الصَّالِحِيْن**: أبو زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّيْن يَحْيَىٰ بن شَرَف بن مُرِي النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

الطَّبْعَة الرابعة، مَطْبَعَة الاستقامة بالقَاهِرَة.

● **زاد المعاد في هَدي خَيْر العِبَاد**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بَكْر بن أَيُّوْب بن سَعْد الزُّرَعِيّ الدِّمَشْقِيّ، المشهور بابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.

الطَّبْعَة الثانية، مكتبة ومَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ وأولاده بمِصْر، سنة ١٩٥٠م.

● **الزَّيْدِيَّة، نشأتها ومُعْتَقداتها**: القَاضِي إسْمَاعِيْل بن عَلِيّ الأَكْوَع.

الطَّبْعَة الثالثة، دار الفكر بدِمَشْق، ودار الفكر المعاصر ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

● **الزَّيْدِيَّة، نَظَرِيَّة وتَطْبِيْق**: عَلِيّ بن عبد الكَرِيْم الفضيل شَرَف الدِّيْن.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، جمعية عُمَّال المطابع التعاونية بعَمَّان، الأُرْدُنّ، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

● **الزِّيْنَة**. انظر: الغُلُوّ والفِرَق الغَالِيَة.

● **سُبُل السَّلَام شَرْح بُلُوْغ المَرَام من جمع أَدِلَّة الأَحْكَام**: الإمَام مُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل الأَمِيْر الصَّنْعَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٨٢هـ=١٧٦٨م.

و**بُلُوْغ المَرَام من جمع أَدِلَّة الأَحْكَام**، للحافظ شِهَاب الدِّيْن أبي الفَضْل أَحْمَد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الكِنَانِيّ، المعروف بابن حَجَر العَسْقَلَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.

مراجعة وتَعْلِيْق: الشيخ مُحَمَّد عبد العَزِيْز الخَوْلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٤٩هـ=١٩٣١م.

الطَّبْعَة الثانية، مَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ وأولاده بمِصْر، سنة ١٩٥٠م.

● **سُبُل الهُدَىٰ والرَّشَاد في سِيْرَة خَيْر العِبَاد**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن يُوْسُف الصَّالِحِيّ الشَّامِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٤٢هـ=١٥٣٦م.

تَحْقِيْق: مجموعة من الأَساتذة.

وزارة الأوقاف بمِصْر، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامِيَّة، لجنة إحياء التُّرَاث الإسلامِيّ، القَاهِرَة، مطابع مُخْتَلِفَة. طُبِعَ الجزء الأول سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م، وطُبِعَ الجزء الثالث عشر سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

● **السِّرَاج الوَهَّاج من كَشْف مَطَالِب صَحِيْح مُسْلِم بن الحَجَّاج**: أبو الطَّيِّب صِدِّيْق بن حَسَن خان بن عَلِيّ الحُسَيْنِيّ القَنَّوْجِيّ البُخَارِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٠٧هـ=١٨٨٩م.

وهو شَرْح علىٰ **مُلَخَّص صَحِيْح مُسْلِم**، للحافظ المُنْذِرِيّ زَكِيّ الدِّيْن عبد العَظِيْم بن عبد القَوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٥٦هـ=١٢٥٨م.

ومُسْلِم بن الحَجَّاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ صاحب الصَّحِيْح توفي سنة ٢٦١هـ=٨٧٥م.

تَحْقِيْق: عبد الله بن إِبْرَاهِيْم الأَنْصَارِيّ، وعبد التَّوَّاب هيكل.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامِيَّة بدولة قَطَر، مطابع الدَّوْحَة الحَدِيْثَة بقَطَر، والمَطْبَعَة الأهلية بقَطَر. انتهىٰ طبعه سنة ١٩٩٧م.

● **سَرْح العُيُوْن في شَرْح رِسَالَة ابن زَيْدُوْن**: أبو بَكْر جمال الدِّيْن مُحَمَّد بن شمس الدِّيْن مُحَمَّد بن شَرَف الدِّيْن مُحَمَّد بن أبي الحَسَن بن صالح، بن نُبَاتَة الفَارِقِيّ الجُذَامِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٦٨هـ=١٣٦٦م.

وابن زَيْدُوْن هو الوَزِيْر أبو الوَلِيْد أَحْمَد بن عبد الله بن أَحْمَد بن غالب بن زَيْدُوْن المَخْزُوْمِيّ الأَنْدَلُسِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٦٣هـ=١٠٧١م.

ورسالته هٰذِهِ هي الرِّسَالَة الهَزْلِيَّة.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد أبو الفَضْل إِبْرَاهِيْم، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

المكتبة العَصْرِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

● **السَّلَفِيَّة مَرْحَلَة زمنية مُبَارَكة لا مَذْهَب إسلامِيّ**: د. مُحَمَّد سَعِيْد رَمَضَان البُوْطِيّ.

دار الفكر المعاصر بـبَيْرُوْت، ودار الفكر بدِمَشْق، المَطْبَعَة العِلْمِيَّة بدِمَشْق، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

● **سُنَن التِّرْمِذِيّ، أبي عِيسَىٰ مُحَمَّد بن عِيسَىٰ بن سَوْرَة**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٧٩هـ=٨٩٢م.

اعتنىٰ به: فريق بيت الأفكار الدولية، وطُبِعَ باسم: (جَامِع التِّرْمِذِيّ).

شركة بيت الأفكار الدولية، لُبْنَان، سنة ٢٠٠٤م.

● **سُنَن أبي دَاوُد، سُلَيْمَان بن الأَشْعَث السِّجِسْتَانِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٧٥هـ=٨٨٩م. ومعه: **مَعَالِم السُّنَن شَرْح سُنَن أبي دَاوُد**، للخَطَّابِيّ حَمْد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيْم البُسْتِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٨٨هـ=٩٩٨م.

تَحْقِيْق: عِزَّت عُبَيْد الدَّعَّاس، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، حِمْص، سنة ١٩٦٩م.

● **سُنَن أبي دَاوُد.**

تَحْقِيْق وتَخْرِيْج وتَعْلِيْق: الشيخ شُعَيْب الأَرْنَؤُوط وآخرين.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الرِّسَالَة العَالَمِيَّة - بَيْرُوْت، سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

وأَشَرتُ إليها عند الإحالة عليها.

● **سُنَن ابن مَاجَه، أبي عبد الله مُحَمَّد بن يَزِيْد الرَّبَعِيّ القَزْوِيْنِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٧٣هـ=٨٨٧م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد فؤاد عبد البَاقِي، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.

دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة، عِيسَىٰ البابي الحَلَبِيّ بمِصْر، سنة ١٩٥٢م.

● **سُنَن ابن مَاجَه.**

تَحْقِيْق وتَخْرِيْج وتَعْلِيْق: الشيخ شُعَيْب الأَرْنَؤُوط وآخرين.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الرِّسَالَة العَالَمِيَّة - بَيْرُوْت، سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

وأَشَرتُ إليها عند الإحالة عليها.

● **سُنَن النَّسَائِيّ الكُبْرَىٰ (طُبِعَ باسم السُّنَن الكُبْرَىٰ):** أَحْمَد بن شُعَيْب بن عَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٠٣هـ=٩١٥م.

تَحْقِيْق: د. عبد الغَفَّار سُلَيْمَان البنداري، وسَيِّد كسروي حَسَن.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكُتُب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، لُبْنَان، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

● **السيادة العَرَبِيَّة والشِّيْعَة والإسرائيليات في عهد بني أُمَيَّة:** فان فلوتن.

ترجمه عن الفرنسية وعَلَّقَ عليه: د. حَسَن إبْرَاهِيْم حَسَن، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م، ومُحَمَّد زَكِيّ إبْرَاهِيْم.

الطَّبْعَة الثانية، مكتبة النهضة المِصْرِيَّة، مَطْبَعَة السُّنَّة المُحَمَّدِيَّة بالقَاهِرَة، سنة ١٩٦٥م.

● **السِّيَر:** أبو العَبَّاس أَحْمَد بن سَعِيْد بن عبد الوَاحِد الشَّمَّاخِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٢٨هـ.

تَحْقِيْق: الشيخ أَحْمَد بن سُعُوْد السيابي.

الطَّبْعَة الثانية، وزارة التُّرَاث القومي والثقافة، سَلْطَنَة عُمَان، مَطْبَعَة الألوان الحَدِيْثَة، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

● **سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَايْمَاز التُّرْكُمَانِيّ الدِّمَشْقِيّ الذَّهَبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

حقَّق الجُزءَ الخامس عشر: إبْرَاهِيْم الزيبق.

وأَشْرَف علىٰ تَحْقِيْق الكتاب وخَرَّج أَحَادِيْثه: الشيخ شُعَيْب الأَرْنَؤُوط.

الطَّبْعَة العاشرة، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

● **السِّيْرَة النَّبَوِيَّة**: عِمَاد الدِّيْن أبو الفِدَاء إسْمَاعِيْل بن عُمَر بن كَثِيْر القُرَشِيّ الدِّمَشْقِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧٤هـ=١٣٧٣م، وهي قسم السِّيْرَة من كتابه (**البِدَايَة والنِّهَايَة**).

تَحْقِيْق: مُصْطَفَىٰ عبد الوَاحِد.

مَطْبَعَة عِيسَىٰ البابي الحَلَبِيّ وشركاه بمِصْر، سنة ١٩٦٤-١٩٦٦م.

● **سِيْرَة ابن هِشَام**. وهي التي تقدم ذكرها في الرَّوْض الأُنُف.

الطَّبْعَة الثالثة، دار إحياء التُّرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، سنة ١٣٩١هـ.

● **السَّيْف الحاد في الرد علىٰ من أخذ بحَدِيْث الآحاد في مَسَائِل الاعْتِقَاد**: سَعِيْد بن مبروك بن حمود القنوبي.

الطَّبْعَة الثالثة، مطابع النهضة، عُمَان، سنة ١٤١٨هـ.

● **شَذَرَات الذَّهَب في أخبار مَن ذَهَب**: أبو الفَلَاح عَبْد الحَيّ بن أَحْمَد بن مُحَمَّد، بن العِمَاد الحَنْبَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٨٩هـ=١٦٧٩م.

الناشر: دار الآفاق الجديدة ببَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● **شَرْح الأُبِّيّ والسَّنُوْسِيّ علىٰ صَحِيْح مُسْلِم**. انظر: إكْمَال المُعْلِم.

● **شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ، المسمىٰ بـ(لَوَامِع البينات شَرْح أسماء الله تعالىٰ والصفات)**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخَطِيْب التَّيْمِيّ البَكْرِيّ القُرَشِيّ الشَّافِعِيّ، فَخْر الدِّيْن الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

راجعه وقَدَّمَ له وعَلَّقَ عليه: طه عبد الرَّؤُوْف سَعْد.

المكتبة الأَزْهَرِيَّة للتُّرَاث بالقَاهِرَة، دار التوفيق النموذجية للطِّبَاعَة، سنة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

- **شَرْح الأُشْمُوْنِيّ** نور الدِّيْن أبي الحَسَن عَلِيّ بن مُحَمَّد الشَّافِعِيّ المِصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٠٠هـ=١٤٩٥م، علىٰ **أَلْفِيَّة ابن مَالِك**، المسمىٰ بـ(**مَنْهَج السالك إلىٰ أَلْفِيَّة ابن مَالِك**). وهٰذِهِ الأَلْفِيَّة منظومة في النَّحْو، لجمال الدِّيْن أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الله بن مَالِك الطَّائِيّ الدِّمَشْقِيّ الجَيَّانِيّ الأَنْدَلُسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧٢هـ=١٢٧٤م.

ومعه: **حَاشِيَة الصَّبَّان** أبي العِرْفَان مُحَمَّد بن عَلِيّ المِصْرِيّ الشَّافِعِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٠٦هـ=١٧٩١م، علىٰ شَرْح الأُشْمُوْنِيّ.

دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة بالقَاهِرَة.

- **شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن من بعدهم والخالفين لهم من عُلَمَاء الأُمَّة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُم **أجمعين**: اللَّالِكَائِيّ أبو القَاسِم هِبَة الله بن الحَسَن بن مَنْصُوْر الطَّبَرِيّ الرَّازِيّ البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤١٨هـ.

حَقَّقَهُ: أبو يَعْقُوْب نشأت بن كَمَال المِصْرِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، المكتبة الإسلامِيَّة بالقَاهِرَة، مطابع الفاروق الحَدِيْثَة بالقَاهِرَة، سنة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

- **شَرْح الأُصُوْل الخمسة**: القَاضِي عبد الجَبَّار بن أَحْمَد الهَمَذَانِيّ الأَسَدَابَاذِيّ المُعْتَزِلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤١٥هـ=١٠٢٥م.

تَعْلِيْق: الإمَام المستظهر بالله قوام الدِّيْن أَحْمَد بن الحُسَيْن بن أبي هَاشِم الحُسَيْنِيّ الرَّازِيّ، المعروف بـ(مانكديم وششديو)، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٢٥هـ.

تَحْقِيْق: د. عبد الكَرِيْم عُثْمَان.

الطَّبْعَة الثالثة، الناشر: مكتبة وَهْبَة بالقَاهِرَة، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

- **شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن**: السَّنُوْسِيّ. انظر: حَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن.

- **شَرْح التَّلْويح علىٰ التَّوْضِيْح لمتن التَّنْقِيْح في أُصُوْل الفِقْه**.

تَنْقِيْح الأُصُوْل، وشرحه: **التَّوْضِيْح في حَلّ غوامض التَّنْقِيْح**، كلاهما من تأليف صَدْر الشَّرِيْعَة عُبَيْد الله بن مَسْعُوْد بن تاج الشَّرِيْعَة مَحْمُوْد المَحْبُوْبِيّ البُخَارِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٧هـ=١٣٤٦م.

والتَّلْويح في كَشْف حَقَائِق التَّنْقِيْح، لسَعْد الدِّيْن مَسْعُوْد بن عُمَر بن عبد الله التَّفْتَازَانِيّ

الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٣هـ=١٣٩٠م.

مَطْبَعَة مُحَمَّد عَلِيّ صبيح وأولاده بالأزهر، القَاهِرَة، سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٧م.

- **شَرْح الجَامِع الصَّحِيْح مُسْنَد الرَّبِيْع**: نور الدِّيْن أبو مُحَمَّد عبد الله بن حُمَيْد أو (حِمِّيْد كصِدِّيْق) بن سلّوم السَّالِمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

والجَامِع الصَّحِيْح مُسْنَد الرَّبِيْع بن حَبِيْب بن عَمْرو الأَزْدِيّ الفَرَاهِيْدِيّ البَصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ بين سنتي ١٧٥-١٨٠هـ، الذي رتبه علىٰ أبواب الفِقْه: أبو يَعْقُوْب يُوْسُف بن إبْرَاهِيْم بن مياد السدراتي الوَارْجَلَانِيّ الإبَاضِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٧٠هـ.

الناشر: سُعُوْد بن حمد بن نور الدِّيْن السَّالِمِيّ، المطابع الذَّهَبِيَّة في سَلْطَنَة عُمَان، مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة التي كتب مُقَدِّمتها: عِزّ الدِّيْن التَّنُوْخِيّ.

- **الشَّرْح الجديد لجَوْهَرَة التَّوْحِيْد**: الشيخ مُحَمَّد أَحْمَد العَدَوِيّ.

وجَوْهَرَة التَّوْحِيْد منظومة لبُرْهَان الدِّيْن أبي الأمداد إبْرَاهِيْم بن إبْرَاهِيْم بن حَسَن بن عَلِيّ المَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٤١هـ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ بمِصْر، سنة ١٩٤٧م.

- **شَرْح الجَلَال المَحَلِّيّ علىٰ جَمْع الجَوَامِع**. انظر: حَاشِيَة البَنَّانِيّ.

- **شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيْد**: أَحْمَد بن مُحَمَّد المَالِكِيّ الصَّاوِيّ الخَلْوَتِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٤١هـ=١٨٢٥م.

وجَوْهَرَة التَّوْحِيْد منظومة لبُرْهَان الدِّيْن أبي الأمداد إبْرَاهِيْم بن إبْرَاهِيْم بن حَسَن بن عَلِيّ المَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٤١هـ.

تَحْقِيْق وتَعْلِيْق: عبد الفَتَّاح البزم.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار ابن كَثِيْر بدِمَشْق وبَيْرُوْت، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

- **شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيْد**: بُرْهَان الدِّيْن إبْرَاهِيْم بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الجِيْزَاوِيّ الشَّافِعِيّ البَاجُوْرِيّ أو البَيْجُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٧٦هـ=١٨٦٠م. طَبَعَهُ مُحَقِّقُهُ باسم: حَاشِيَة علىٰ جَوْهَرَة التَّوْحِيْد، المسمىٰ (**تُحْفَة المُرِيْد علىٰ جَوْهَرَة التَّوْحِيْد**).

وجَوْهَرَة التَّوْحِيْد منظومة لبُرْهَان الدِّيْن أبي الأمداد إبْرَاهِيْم بن إبْرَاهِيْم بن حَسَن بن عَلِيّ المَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٤١هـ=١٦٣١م.

تَحْقِيْق: أ. د. عَلِيّ جمعة مُحَمَّد الشَّافِعِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار السَّلَام للطِّبَاعَة والنشر بالقَاهِرَة، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

- **شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيْد، المسمىٰ بـ(إتْحَاف المُرِيد بجَوْهَرَة التَّوْحِيْد)**: عبد السَّلَام بن إبْرَاهِيْم اللَّقَانِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٧٨هـ. وقد شَرْح **منظومة جَوْهَرَة التَّوْحِيْد** لوالده بُرْهَان الدِّيْن أبي الأمداد إبْرَاهِيْم بن إبْرَاهِيْم بن حَسَن بن عَلِيّ المَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٤١هـ.

الطَّبْعَة الثانية، مَطْبَعَة السَّعَادَة بمِصْر، سنة ١٩٥٥م.

- **شَرْح الحُوْر العِيْن**. انظر: الحُوْر العِيْن.

- **شَرْح الخَرِيْدَة البَهِيَّة**: أبو البَرَكَات أَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الدَّرْدِيْر العَدَوِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٠١هـ=١٧٨٦م.

و**الخَرِيْدَة البَهِيَّة** منظومة في العَقَائِد، لشارحها أبي البَرَكَات أَحْمَد الدَّرْدِيْر.

وعليها **حَاشِيَة الصَّاوِيّ** أَحْمَد بن مُحَمَّد المَالِكِيّ الخَلْوَتِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٤١هـ=١٨٢٥م.

مكتبة القَاهِرَة، مَطْبَعَة حِجَازِيّ.

- **شَرْح الدَّوَّانِيّ علىٰ العَقَائِد العَضُدِيَّة**. انظر: العَقَائِد العَضُدِيَّة.

- **شَرْح رَمَضَان أَفَنْدِي، علىٰ شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة، لسَعْد الدِّيْن مَسْعُوْد بن عُمَر بن عبد الله التَّفْتَازَانِيّ الشَّافِعِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٣هـ=١٣٩٠م.

درسعادت، سنة ١٣١٤هـ.

- **شَرْح سُنَن ابن مَاجَة**: أبو الحَسَن نور الدِّيْن مُحَمَّد بن عبد الهَادِي التتوي المَدَنِيّ الكَبِيْر الحَنَفِيّ، المعروف بالسِّنْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٣٨هـ.

وابن مَاجَة صاحب السُّنَن هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن يَزِيْد الرَّبَعِيّ القَزْوِيْنِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٧٣هـ=٨٨٧م.

ومعه: **حَاشِيَة تَعْلِيْقات مِصْبَاح الزجاجة في زَوَائِد ابن مَاجَة**، للإمَام أَحْمَد بن أبي بَكْر البُوْصِيْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٤٠هـ.

تَحْقِيْق: الشيخ خَلِيْل مأمون شيحا.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار المَعْرِفَة بِبَيْرُوْت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

- **شَرْح السَّنُوْسِيّ علىٰ أُمّ البَرَاهِيْن. انظر**: حَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ علىٰ شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن.

- **شَرْح السَّنُوْسِيَّة**: بُرْهَان الدِّيْن إبْرَاهِيْم بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الجِيْزَاوِيّ الشَّافِعِيّ البَاجُوْرِيّ أو البَيْجُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٧٦هـ=١٨٦٠م.

وطبعه مُحَقِّقُهُ باسم: حَاشِيَة علىٰ متن السَّنُوْسِيَّة في العَقِيْدَة.

ومتن السَّنُوْسِيَّة هو المسمىٰ بـ(أُمّ البَرَاهِيْن، أو العَقِيْدَة الصغرىٰ)، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن يُوْسُف بن عُمَر بن شُعَيْب السَّنُوْسِيّ الحَسَنِيّ المَالِكِيّ المَغْرِبِيّ التِّلِمْسَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٩٥هـ.

ضبطه وعَلَّقَ عليه: عبد السَّلَام بن عبد الهَادِي شنّار.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الفَرْفُور بدِمَشْق، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

- **شَرْح صَحِيْح مُسْلِم**: النَّوَوِيّ. انظر: المِنْهَاج بشَرْح صَحِيْح مُسْلِم بن الحَجَّاج، وإرْشَاد السَّارِي.

- **شَرْح الطِّيْبِيّ علىٰ مِشْكَاة المَصَابِيْح**، المسمىٰ **بالكاشف عن حَقَائِق السُّنَن**: شَرَف الدِّيْن الحُسَيْن بن عبد الله بن مُحَمَّد الطِّيْبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٣هـ.

إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نِزَار الباز.

تَحْقِيْق: د. عبد الحميد هِنْداوي.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مكتبة نِزَار مُصْطَفَىٰ الباز، مَكَّة المُكَرَّمة، الرِّيَاض، المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُوْدِيَّة، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

- **شَرْح عبد السَّلَام علىٰ الجَوْهَرَة**. انظر: شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيْد.

- **شَرْح العَقَائِد العَضُدِيَّة للدَّوَّانِيّ**. انظر: العَقَائِد العَضُدِيَّة.

- **شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة**: سَعْد الدِّيْن مَسْعُوْد بن عُمَر بن عبد الله التَّفْتَازَانِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٣هـ=١٣٩٠م.

ومتن العَقَائِد النَّسَفِيَّة، لنَجْم الدِّيْن أبي حَفْص عُمَر بن مُحَمَّد النَّسَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٣٧هـ=١١٤٢م.

وبهامشه: **حَاشِيَة علىٰ الشَّرْح**، للمَوْلَىٰ مصلح الدِّيْن مُصْطَفَىٰ بن مُحَمَّد الكَسْتَلِيّ (القَسْطَلَّانِيّ)، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٠١هـ=١٤٦٠م.

تليها: **حَاشِيَة أُخرىٰ علىٰ الشَّرْح المذكور**، للمَوْلَىٰ أَحْمَد بن مُوسَىٰ الخَيَالي، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦٠هـ.

وبهامشها: **حَاشِيَة الشيخ رَمَضَان البهشتي**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٧٩هـ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ سنة ١٣٢٦هـ، تُرْكِيا. أعادت مكتبة المُثَنَّىٰ طبعها بالأوفست.

- **شَرْح عَقِيْدَة التَّوْحِيْد**: مُحَمَّد بن يُوْسُف بن عِيسَىٰ أَطَّفَيِّش، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

سَلْطَنَة عُمَان، وزارة التُّرَاث القومي والثقافة، سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

- **شَرْح عَقِيْدَة ابن أبي زَيْد القَيْرَوَانِيّ في كتابه الرِّسَالَة.**

والرِّسَالَة لابن أبي زَيْد القَيْرَوَانِيّ، أبي مُحَمَّد عبد الله بن أبي زَيْد عبد الرَّحْمٰن النَّفْزِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٨٦هـ.

والشَّرْح، للقَاضِي عبد الوَهَّاب بن عَلِيّ بن نَصْر البَغْدَادِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٢٢هـ=١٠٣١م.

دراسة وتَحْقِيْق: أ. د. أَحْمَد مُحَمَّد نور سَيْف.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار البحوث للدراسات الإسلامِيَّة وإحياء التُّرَاث، دُبَي، الإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

- **شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة**: القَاضِي صدر الدِّيْن أبو الحَسَن عَلِيّ بن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن أبي العِزّ الحَنَفِيّ الدِّمَشْقِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٢هـ=١٣٩٠م.

والعَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة، للإمَام أبي جَعْفَر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن سَلَامَة الأَزْدِيّ الحَجْرِيّ الطَّحَاوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٢١هـ=٩٣٣م.

تَحْقِيْق: د. عبد الله بن عبد المُحْسِن التُّرْكِيّ، وشُعَيْب الأَرْنَؤُوط.

الطَّبْعَة الثانية، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

- **شَرْح غَايَة المُرَاد في نظم الاعْتِقَاد**: أَحْمَد بن حمد بن سُلَيْمَان الخَلِيْلِيّ، مفتي سَلْطَنَة عُمَان.

وغَايَة المُرَاد منظومة لنور الدِّيْن أبي مُحَمَّد عبد الله بن حُمَيْد (أو حِمِّيْد كصِدِّيْق) بن سلّوم السَّالِمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

مكتبة الجيل الواعد، مطابع النهضة، مَسْقَط، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

- **شَرْح الفِقْه الأكبر**: عَلِيّ القَارِي بن سُلْطَان مُحَمَّد الهَرَوِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠١٤هـ=١٦٠٦م.

والفِقْه الأكبر، للإمَام أبي حَنِيْفَة النُّعْمَان بن ثَابِت، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٥٠هـ=٧٦٧م.

تَحْقِيْق: عَلِيّ مُحَمَّد دَنْدَل.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

- **شَرْح قَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا علىٰ المُسَايَرَة. انظر**: المُسَامَرَة.

- **شَرْح المَقَاصِد**: سَعْد الدِّيْن مَسْعُوْد بن عُمَر بن عبد الله التَّفْتَازَانِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٩٣هـ=١٣٩٠م.

والمَقَاصِد (مَقَاصِد الطَّالِبِيْن) له أَيضاً.

تَحْقِيْق: د. عبد الرَّحْمٰن عَمِيْرَة.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، عالم الكتب ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

- **شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيْف. انظر**: المَوَاقِف.

- **شَرْح النَّوَوِيّ علىٰ مُسْلِم. انظر**: المِنْهَاج بشَرْح صَحِيْح مُسْلِم بن الحَجَّاج. وهامش إرْشَاد السَّارِي.

- **شُعَب الإيمان**: أبو بَكْر أَحْمَد بن الحُسَيْن البَيْهَقِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٥٨هـ=١٠٦٦م.

تَحْقِيْق: أبي هاجر مُحَمَّد السَّعِيْد بن بسيوني زغلول.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

● **الشِّفَا بتَعرِيف حُقوق المُصْطَفَىٰ**: القَاضِي أبو الفَضْل عِيَاض بن مُوسَىٰ بن عِيَاض اليَحْصُبِيّ السَّبْتِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٤٤هـ=١١٤٩م. وبذيله:

حَاشِيَة مُزِيْل الخَفَاء عن ألفاظ الشِّفَاء، للعَلَّامَة أَحْمَد بن مُحَمَّد الشُّمُنِّيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٧٢هـ=١٤٦٨م.

المكتبة التجارية الكبرىٰ بالقَاهِرَة، الشركة الشَّرْقِيَّة للنشر والتوزيع ببَيْرُوْت، سنة ١٩٧١م.

● **شِفَاء السِّقَام في زِيَارَة خَيْر الأَنَام**: تَقِيّ الدِّيْن أبو الحَسَن عَلِيّ بن عبد الكافي بن عَلِيّ السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م.

مُصَوَّرَة علىٰ طَبْعَة المَطْبَعَة العَامِرة ببُوْلَاق، مِصْر، التي تم طبعها سنة ١٣١٩هـ، مكتبة الحقيقة بإستانبول، تُرْكِيا، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

● **شفاء العَلِيْل في مَسَائِل القَضَاء والقَدَر والحكمة والتَّعْلِيْل**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بَكْر بن أَيُّوْب بن سَعْد الزُّرَعِيّ الدِّمَشْقِيّ، المشهور بابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.

تَحْقِيْق: الشيخ إبْرَاهِيْم أَحْمَد عبد الحميد الحَنْبَلِيّ.

دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة بالقَاهِرَة.

● **شواهد الحق في الاستغاثة بسَيِّد الخلق** ﷺ. ويليه: **الأساليب البَدِيْعَة في فضل الصَّحَابَة وإقْنَاع الشِّيْعَة**: كلاهما للشيخ يُوْسُف بن إسْمَاعِيْل النَّبْهَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣٢م.

دار الفكر ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

● **الشُّوْرَىٰ بين النَّظَرِيَّة والتَّطْبِيْق**: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة الأُمَّة، بَغْدَاد، سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

● **الشِّيْعَة بين الأَشَاعِرَة والمُعْتَزِلَة**: هَاشِم معروف الحَسَنِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، سنة ١٩٦٤م.

● **الصابئون، حَرَّانِيِّيْن ومَنْدَائِيِّيْن**: د. رُشْدِي عليَّان، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

مَطْبَعَة دار السَّلَام، بَغْدَاد، سنة ١٩٧٧م.

● **صَحِيْح البُخَارِيّ، المسمىٰ الجَامِع المُسْنَد الصَّحِيْح المُخْتَصَر من أُمور رَسُوْل الله ﷺ وسُنَنِهِ وأيامه**: الإمَام أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسْمَاعِيْل بن إبْرَاهِيْم بن المُغِيْرَة بن بَرْدِزْبَهْ الجُعْفِيّ البُخَارِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٥٦هـ=٨٧٠م.

رقَّم كتبه وأبوابه وَفْقاً للمُعْجَم المُفَهْرَس وتُحْفَة الأشراف، وصنع فَهَارِسه: مُحَمَّد نِزَار تَمِيْم، وهَيْثَم نِزَار تَمِيْم، معتمدَيْن النسخة السُّلْطَانِيَّة المعتَمِدة علىٰ النسخة اليُوْنِيْنِيَّة.

شركة دار الأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم للطِّبَاعَة، بَيْرُوْت. تاريخ مُقَدِّمَة المحقِّقَيْن سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

● **صَحِيْح التِّرْمِذِيّ**. انظر: عَارِضَة الأَحْوَذِيّ.

● **صَحِيْح مُسْلِم، المسمىٰ المُسْنَد الصَّحِيْح المُخْتَصَر من السُّنَن بنقل العَدْل عن العَدْل عن رَسُوْل الله ﷺ**: الإمَام مُسْلِم بن الحَجَّاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٦١هـ=٨٧٥م.

رَقَّم كتبه وأبوابه وَفْقاً للمُعْجَم المُفَهْرَس وتُحْفَة الأشراف، وصنع فَهَارِسه: مُحَمَّد بن نِزَار تَمِيْم، وهَيْثَم بن نِزَار تَمِيْم.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، شركة دار الأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم للطِّبَاعَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

● **صَفْوَة الأَحْكَام من نَيْل الأَوْطَار وسُبُل السَّلَام**: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ.

الطَّبْعَة الثانية في دار الفُرْقَان للنشر والتوزيع، عَمَّان، المَمْلَكَة الأُرْدُنِّيَّة الهَاشِمِيَّة، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م. وهي الطَّبْعَة الرابعة للكتاب.

● **الطب محراب الإيمان**: د. خالص كنجو.

دِمَشْق، سنة ١٣٩١هـ=١٩٧١م.

● **طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الكُبرَىٰ**: تاج الدِّيْن أبو نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِيّ بن عبد الكافي السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.

تَحْقِيْق: مَحْمُوْد مُحَمَّد الطَّنَاحِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م، وعبد الفَتَّاح مُحَمَّد الحُلْو، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة عِيسَىٰ البابي الحَلَبِيّ بالقَاهِرَة، سنة ١٩٦٤-١٩٧٦م.

● **طَبَقَات المشايخ بالمَغْرِب**: أبو العَبَّاس أَحْمَد بن سَعِيْد الدرجيني، المُتَوَفَّىٰ حوالي سنة ٦٧٠هـ.

حَقَّقَهُ: إِبْرَاهِيْم طَلَّاي. بلا طَبْعَة ولا تاريخ.

● **الطريق إلىٰ النجوم**: فان دريت ولي. نقله إلىٰ العَرَبِيَّة: د. عُمَر فروخ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

الطَّبْعَة الثانية، دار العلم للملايين، بَيْرُوْت، سنة ١٩٧٤م.

● **طَوَالِع الأَنْوَار من مَطَالِع الأنظار**: القَاضِي نَاصِر الدِّيْن أبو سَعِيْد عبد الله بن عُمَر بن مُحَمَّد البَيْضَاوِيّ الشِّيْرَازِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.

تَحْقِيْق: عَبَّاس سُلَيْمَان.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الجيل ببَيْرُوْت، والمكتبة الأَزْهَرِيَّة للتُّرَاث بالقَاهِرَة، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

● **الظَّاهِرَة القُرْآنية**: مَالِك بن نَبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

ترجمة: د. عبد الصَّبُوْر شَاهِيْن.

دار الفكر ببَيْرُوْت.

● **عَارِضَة الأَحْوَذِيّ بشَرْح صَحِيْح التِّرْمِذِيّ**: أبو بَكْر مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الله بن أَحْمَد المَعَافِرِيّ الإشْبِيْلِيّ، المعروف بابن العَرَبِيّ، المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٤٣هـ=١١٤٨م.

الناشر: دار العلم للجميع ببَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● **العَالِم والمُتَعَلِّم**: رِوَايَة أبي مقاتل حَفْص بن سَلْم السَّمَرْقَنْدِيّ، عن أبي حَنِيْفَة النُّعْمَان بن ثَابِت الكُوْفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٥٠هـ=٧٦٧م. ويليه:

رِسَالَة أبي حَنِيْفَة إلىٰ عَالِم البَصْرَة عُثْمَان بن مُسْلِم البَتِّيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٣هـ، رِوَايَة أبي يُوْسُف يَعْقُوْب بن إِبْرَاهِيْم الأَنْصَارِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٨٢هـ=٧٩٨م، عن أبي حَنِيْفَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ويليه:

الفِقْه الأبسط، وهو الفِقْه الأكبر، رِوَايَة أبي مطيع الحَكَم بن عبد الله البَلْخِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٩٩هـ، عن أبي حَنِيْفَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وعُرِفَ بالفِقْه الأبسط تَمْيِيْزاً له عن الفِقْه الأكبر رِوَايَة حَمَّاد بن أبي حَنِيْفَة عن أبيه.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد زَاهِد بن الحَسَن بن عَلِيّ الكَوْثَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

مَطْبَعَة الأَنْوَار بالقَاهِرَة، سنة ١٣٦٨هـ.

● **العِبَر في خَبَر من غَبَر**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَايْمَاز التُّرْكُمَانِيّ الدِّمَشْقِيّ الذَّهَبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

حَقَّقَهُ: أبو هاجر مُحَمَّد السَّعِيْد بن بسيوني زغلول.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

● **عصمة الأَئِمَّة عند الشِّيْعَة**: أنور الباز.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الوفاء، المَنْصُوْرَة، مِصْر، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

● **عَقَائِد الإِمَامِيَّة**: مُحَمَّد رِضَا المُظَفَّر.

قَدَّمَ له: د. حَامِد حفني دَاوُد.

مطابع النُّعْمَان، النَّجَف.

● **عَقَائِد الإِمَامِيَّة الاثْنَي عَشَرِيَّة**: إِبْرَاهِيْم الزِّنْجَانِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، سنة ١٩٧٣م.

● **العَقَائِد العَضُدِيَّة**: عَضُد الدِّيْن عبد الرَّحْمٰن بن أَحْمَد الإِيْجِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م.

ومعه: **شَرْح جَلَال الدِّيْن مُحَمَّد بن أَسْعَد الدَّوَّانِيّ الصِّدِّيْقِيّ**، المُتَوَفَّىٰ ٩١٨هـ.

ومعه: **حَاشِيَة إِسْمَاعِيْل الكَلَنْبَوِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٠٥هـ.

وبهامشه: **حَاشِيَة المَرْجَانِيّ، وحَاشِيَة الخَلْخَالِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠١٤هـ.

درسعادت، مَطْبَعَة عُثْمَانِيَّة، سنة ١٣١٦هـ.

● **عَقَائِد ما بعد الموت في حَضَارَة وادي الرافدين القديمة**. رِسَالَة ماجستير علىٰ الآلة الكاتبة تقدم بها: نَائِل حَنُّون عليوي، كُلِّيَّة الآداب، جَامِعَة بَغْدَاد سنة ١٩٧٥م.

● **العَقَائِد النَّسَفِيَّة**. انظر: شَرْح العَقَائِد النَّسَفِيَّة.

● **العِقْد الثمين في شَرْح أَحَادِيْث أُصُوْل الدِّيْن**: حُسَيْن بن أبي بَكْر بن غَنَّام الإحْسَائِيّ النَّجْدِيّ التَّمِيْمِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٢٥هـ.

تَحْقِيْق: إبْرَاهِيْم يُوْسُف الماس.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامِيَّة في قَطَر، الشركة الحَدِيْثَة للطِّبَاعَة في الدَّوْحَة، قَطَر، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

● **العَقِيْدَة الإسلامِيَّة وأُسسها**: عبد الرَّحْمٰن حَسَن حَبَنَّكَة المَيْدَانِيّ.

الطَّبْعَة السابعة، دار القلم بدِمَشْق، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

● **عَقِيْدَة التَّوْحِيْد في القُرْآن الكَرِيْم**: د. مُحَمَّد أَحْمَد مُحَمَّد عبد القَادِر مَلْكَاوِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار ابن تَيْمِيَّة للنشر والتوزيع بالرِّيَاض، مطابع الفَرَزْدَق التجارية بالرِّيَاض، المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُوْدِيَّة، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

● **العَقِيْدَة النِّظَامِيَّة**: إمَام الحَرَمَيْن أبو المَعَالي ضِيَاء الدِّيْن عبد الملك بن عبد الله بن يُوْسُف الجُوَيْنِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧٨هـ=١٠٨٥م.

تَحْقِيْق: د. مُحَمَّد الزُّبَيْدِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار سَبِيْل الرَّشَاد ببَيْرُوْت، ودار النفائس ببَيْرُوْت، مركز الطِّبَاعَة الحَدِيْثَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

● **علم أُصُوْل الفِقْه**: عبد الوَهَّاب بن عبد الوَاحِد خَلاَّف، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٥هـ=١٩٥٦م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، الزهراء للنشر والتوزيع، الجَزَائِر، سنة ١٩٩٠م.

● **علم الكلام علىٰ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة**: أبو مُحَمَّد عَلِيّ بن أَحْمَد بن سَعِيْد بن حَزْم الظَّاهِرِيّ الأَنْدَلُسِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٥٦هـ=١٠٦٤م.

تَحْقِيْق: أَحْمَد حِجَازِيّ أَحْمَد السقا.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع بالقَاهِرَة، دار الجيل للطِّبَاعَة بمِصْر، سنة ١٩٨٩م.

● **العلم ليس كافراً**: د. مُحْسِن عبد الحميد.

مقال في مَجَلَّة التربية الإسلامِيَّة، بَغْدَاد، العدد الثالث، سنة ١٩٧٣م، ونشر برِسَالَة مستقلة.

● **العلم يدعو للإيمان**: كريسي موريسون.

ترجمة: مَحْمُوْد صالح الفلكي.

الطَّبْعَة الرابعة سنة ١٩٦٢م، والخامسة سنة ١٩٦٥م.

● **عُمْدَة القَارِي شَرْح صَحِيْح البُخَارِيّ**: بَدْر الدِّيْن أبو الثناء وأبو مُحَمَّد مَحْمُوْد بن أَحْمَد بن مُوسَىٰ العَيْنِيّ العَيْنْتَابِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٥٥هـ=١٤٥١م.

دار إحياء التُّرَاث العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة المُنِيْرِيَّة المِصْرِيَّة المطبوعة سنة ١٣٤٨هـ.

● **غَايَة المَرَام في عَقَائِد أَهْل الإسلام**: الحاج حَمْدِي بن عبد الله بن المُلَّا مُحَمَّد بن عبد الله العُبَيْدِيّ الحَنَفِيّ الأَعْظَمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩١هـ=١٩٧١م.

الطَّبْعَة الثانية، بَغْدَاد، سنة ١٣٦٧هـ.

● **الغُلُوّ والفِرَق الغَالِيَة في الحَضَارَة الإسلامِيَّة**: الدكتور عبد الله سَلُّوْم السَّامَرَّائِيّ. وبذيله:

كتابُ **الزِّيْنَة في الكلمات الإسلامِيَّة العَرَبِيَّة**. القسم الثالث، وهو قسم الفِرَق والمَذَاهِب، لأبي حَاتِم أَحْمَد بن حَمْدَان الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٢٢هـ=٩٣٤م.

تَحْقِيْق: الدكتور عبد الله سَلُّوْم السَّامَرَّائِيّ.

من مطبوعات وزارة الإعْلَام العِرَاقِيَّة، دار الحرية للطِّبَاعَة، مَطْبَعَة الحكومة ببَغْدَاد سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

● **الغُنْيَة لطَالِبي طريق الحق عَزَّ وجَلَّ**: الشيخ عبد القَادِر الجِيْلَانِيّ بن مُوسَىٰ بن عبد الله الحَسَنِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٦١هـ=١١١٦م.

مَطْبَعَة مُحَمَّد عَلِيّ صبيح وأولاده بمِصْر، سنة ١٣٤٦هـ، وهي المُرَادَة عند الإطلاق.

والطَّبْعَة الأُوْلَىٰ في دار إحياء التُّرَاث العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م، بتَحْقِيْق: مُحَمَّد خَالِد عُمَر.

● **غِيَاث الأُمَم في الْتِيَاث الظُّلَم (الغِيَاثِيّ)**: إِمَام الحَرَمَيْن أبو المعالي ضِيَاء الدِّيْن عَبْد الملك بن عَبْد الله بن يُوْسُف الجُوَيْنِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٧٨هـ=١٠٨٥م.

تَحْقِيْق ودراسة: د. مُصْطَفَىٰ حلمي، و د. فؤاد عَبْد المُنْعِم أَحْمَد.

الطَّبْعَة الثالثة، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإِسْكَنْدَرِيَّة، مِصْر، سنة ١٩٧٩م.

● **الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن**: رُكْن الدِّيْن مَحْمُوْد بن مُحَمَّد الملاحمي الخُوَارِزْمِيّ المُعْتَزِلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٣٦هـ=١١٤١م.

تَحْقِيْق وتقديم: ويلفرد مادلونگ، مارتين مكدرمت.

انتشارات: مُؤَسَّسَة پژوهشي حكمت وفلسفة إيران، ومُؤَسَّسَة مطالعات إسلَامِيّ دانشگاه آزاد برلين - ألمان جَامِعَة برلين. طُبِعَ في طهران، سنة ١٣٨٦هـ.

● **الفارق بين المخلوق والخَالِق**: عبد الرَّحْمٰن بك بن سَلِيْم باجه جي زاده.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة التقدم بمِصْر، سنة ١٣٢٢هـ.

● **الفَتَاوَىٰ، دراسة لمشكلات المُسْلِم المعاصر في حياته اليومية والعامة**: الشيخ مَحْمُوْد شَلتوت، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.

الطَّبْعَة السادسة عشرة، دار الشروق، القَاهِرَة وبَيْرُوْت، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

● **فَتَاوَىٰ ابن تَيْمِيَّة**. انظر: مجموع فَتَاوَىٰ شيخ الإسلام تَقِيّ الدِّيْن.

● **فَتَاوَىٰ معاصرة**: د. يُوْسُف القَرَضَاوِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، المكتب الإسلامِيّ، ج١و٢ سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م، و ج٣ سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

● **فَتْح البَارِي بشَرْح صَحِيْح الإِمَام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيْل البُخَارِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٥٦هـ=٨٧٠م. **ومُقَدِّمته: هُدَىٰ السَّارِي**: شِهَاب الدِّيْن أبو الفَضْل أَحْمَد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الكِنَانِيّ، المعروف بابن حَجَر العَسْقَلَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.

قرأ أصله تَصْحِيْحاً وتَحْقِيْقاً وقابل نُسَخَه: عبد العَزِيْز بن عبد الله بن باز، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

رَقَّم كُتُبَه وأَبوابَه وأَحَادِيْثه، واستقصىٰ أَطرافَه، ونَبَّهَ علىٰ أرقامها في كل حَدِيْث: مُحَمَّد فؤاد عبد البَاقِي، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.

قام بإِخْرَاجه، وتَصْحِيْح تَجَارِبه، وأَشْرَف علىٰ طبعه: مُحِبّ الدِّيْن الخَطِيْب ابن أبي الفَتْح مُحَمَّد عبد القَادِر، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.

الناشر: دار المَعْرِفَة ببَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ طَبْعَة المكتبة السَّلَفِيَّة بالقَاهِرَة. وهي المُرَادة عند الإطلاق.

والطَّبْعَة الثانية بدار الرَّيَّان للتُّرَاث بالقَاهِرَة، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٦م، التي إذا عُدتُ إليها ذكرتُ طبعتَها معها.

● **فتح الغَفَّار بشَرْح المَنَار،** المعروف **بمِشْكَاة الأَنْوَار في أُصُوْل المَنَار:** زَيْن الدِّيْن بن إِبْرَاهِيْم بن مُحَمَّد، الشهير بابن نُجَيْم الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٧٠هـ.

وعليه **بعض حواشٍ** للشيخ عبد الرَّحْمٰن البَحْراوِي الحَنَفِيّ المِصْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٢٢هـ.

و**متن المَنَار،** للإِمَام أبي البَرَكَات عبد الله بن أَحْمَد، المعروف بحافظ الدِّيْن النَّسَفِيّ، صاحب كَنْز الدَّقَائِق، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧١٠هـ.

صَحَّحَهُ: أَحْمَد سَعْد عَلِيّ، **وراجعه:** مَحْمُوْد أبو دقيقة.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ بمِصْر، سنة ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م.

● **فتح المَجِيْد شَرْح كتاب التَّوْحِيْد:** عبد الرَّحْمٰن بن حَسَن ابن الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب بن سُلَيْمَان التَّمِيْمِيّ الحَنْبَلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٨٥هـ=١٨٦٩م.

و**كتاب التَّوْحِيْد،** للشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب (جَدِّهِ)، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٠٦هـ=١٧٩٢م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد حَامِد ابن الشيخ سَيِّد أَحْمَد الفقي، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٨هـ=١٩٥٩م.

راجع حواشيه وصَحَّحَهُ وعَلَّقَ عليه: الشيخ عبد العَزِيْز بن عبد الله بن باز، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

مكتبة التُّرَاث الإسلامِيّ بالقَاهِرَة، دار طيبة للنشر بالرِّيَاض، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامِيَّة بدولة قَطَر.

● **فجر الإسلام**: أَحْمَد أمين، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م.

الطَّبْعَة العاشرة، لجنة التأليف والنشر بالقَاهِرَة، سنة ١٩٦٥م.

● **الفِرَق الإسلامِيَّة**. وهو ذَيل **كتاب شَرْح المَوَاقِف**: شمس الدِّيْن مُحَمَّد بن يُوْسُف بن عَلِيّ الكَرْمَانِيّ البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٨٦هـ=١٣٨٥م.

تَحْقِيْق: سَلِيْمَة عبد الرَّسُوْل.

مَطْبَعَة الإِرْشَاد ببَغْدَاد، سنة ١٩٧٣م.

● **الفِرَق الإسلامِيَّة في بلاد الشَّام في العَصْر الأُمَوِيّ**: د. حُسَيْن عَطْوَان.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الجيل ببَيْرُوْت، سنة ١٩٨٦م.

● **الفَرْق بين الإبَاضِيَّة والخَوَارِج**: أبو إِسْحَاق إِبْرَاهِيْم أَطَّفَيِّش.

قَدَّمَ له: أَحْمَد بن سُعُوْد السيابي.

الطَّبْعَة الرابعة، مكتبة الضامري، سَلْطَنَة عُمَان، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

● **الفَرْق بين الفِرَق**: أبو مَنْصُوْر عبد القَاهِر بن طَاهِر بن مُحَمَّد البَغْدَادِيّ الإِسْفَرَائِيْنِيّ التَّمِيْمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٢٩هـ=١٠٣٧م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

الناشر: مكتبة مُحَمَّد عَلِيّ صبيح وأولاده بمِصْر، مَطْبَعَة المَدَنِيّ بالقَاهِرَة.

● **فِرَق الشِّيْعَة**: أبو مُحَمَّد الحَسَن بن مُوسَىٰ بن الحَسَن النَّوْبَخْتِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣١٠هـ=٩٢٢م.

عَلَّقَ عليه: مُحَمَّد صَادِق بَحْر العُلُوْم.

الطَّبْعَة الرابعة، المَطْبَعَة الحَيْدَرِيَّة بالنَّجَف، سنة ١٩٦٩م. والطَّبْعَة الثانية، دار الأضواء ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● **الفُرْقَان بين أَوْلِيَاء الرَّحْمٰن وأَوْلِيَاء الشيطان**: أبو العَبَّاس تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بن عبد الحَلِيْم بن عبد السَّلَام بن تَيْمِيَّة الحَرَّانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.

دار النَّذِيْر، بَغْدَاد، سنة ١٩٦٩م.

● **الفِصَل في المِلَل والأَهْوَاء والنِّحَل**: الإمَام أبو مُحَمَّد عَلِيّ بن أَحْمَد بن سَعِيْد بن حَزْم

الأَنْدَلُسِيّ الظَّاهِرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٥٦هـ=١٠٦٤م.

تَحْقِيْق: د. مُحَمَّد إِبْرَاهِيْم نَصْر، و د. عبد الرَّحْمٰن عَمِيْرَة.

الطَّبْعَة الثانية، دار الجيل بِبَيْرُوْت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

● **فَصْل المقال فيما بين الحكمة والشَّرِيْعَة من الاتصال**: أبو الوَلِيْد مُحَمَّد بن أَحْمَد ابن الإمَام أبي الوَلِيْد مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رُشْد القُرْطُبِيّ، المُلَقَّب بابن رُشْد الحَفِيْد، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٩٥هـ=١١٩٨م.

دار المَعَارِف بمِصْر.

● **فضائح البَاطِنِيَّة، وفَضَائِل المُسْتَظْهِرِيَّة**، ويسمىٰ: **المُسْتَظْهِرِيّ**: الإمَام أبو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيّ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

حَقَّقَهُ: عبد الرَّحْمٰن بَدَوِيّ.

الناشر: الدار القومية للطِّبَاعَة والنشر، القَاهِرَة، سنة ١٩٦٤م.

● **الفِقْه الأبسط**. انظر: العَالِم والمُتَعَلِّم.

● **الفِقْه الأكبر، للإمَام أبي حَنِيْفَة**. انظر: شرحه لِعَلِيّ القَارِي، والقَوْل الفَصْل.

● **الفكر السَّامِي في تاريخ الفِقْه الإسلامِيّ**: مُحَمَّد بن الحَسَن الحَجَوِيّ الثَّعَالِبِيّ الفَاسِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٦هـ.

اعتنىٰ به: أيمن صالح شَعْبَان.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة بِبَيْرُوْت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

● **الفِهْرِسْت**: أبو الفَرَج مُحَمَّد بن أبي يَعْقُوْب إِسْحَاق بن مُحَمَّد النَّدِيم البَغْدَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٨٥هـ.

الناشر: دار المَعْرِفَة بِبَيْرُوْت، سنة ١٩٧٨م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ المطبوعة بمِصْر.

● **الفَوَائِد البَهِيَّة في تَرَاجُم الحَنَفِيَّة**، ومعه: **التَّعْلِيْقات السَّنِيَّة علىٰ الفَوَائِد البَهِيَّة**، ومعه أَيضاً: **طَرَب الأَمَاثِل بتَرَاجُم الأفاضل**: وكلها لأبي الحَسَنَات مُحَمَّد عَبْد الحَيّ بن مُحَمَّد عبد الحَلِيْم بن مُحَمَّد أمين الله اللَّكْنَوِيّ الأَنْصَارِيّ الهِنْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٠٤هـ=١٨٨٧م.

الناشر: نور مُحَمَّد كارخانه تجارت كتب آرام باغ كراجي، مشهور بريس كراجي سنة ١٣٩٣هـ، وهي مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ بمَطْبَعَة السَّعَادَة بمِصْر سنة ١٣٢٤هـ.

والطَّبْعَة الأُخرىٰ وهي الأُوْلَىٰ التي اعتنىٰ بها أَحْمَد الزُّعْبِيّ، شركة دار الأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

● **في العَقَائِد والأديان**: د. مُحَمَّد جَابِر الحيني.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، سنة ١٩٧١م.

● **فَيْض القَدِيْر شَرْح الجَامِع الصَّغِيْر**: مُحَمَّد عبد الرَّؤُوْف بن تاج العَارِفِيْن بن عَلِيّ المُنَاوِيّ القَاهِرِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٣١هـ=١٦٢٢م.

و**الجَامِع الصَّغِيْر في أَحَادِيْث البَشِيْر النَّذِيْر**، لجَلَال الدِّيْن عبد الرَّحْمٰن بن أبي بَكْر السُّيُوْطِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ مُحَمَّد بمِصْر، سنة ١٩٣٨م.

● **في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفِرَق الإسلامِيَّة في أُصُوْل الدِّيْن، ج١ المُعْتَزِلَة، ج٢ الأَشَاعِرَة، ج٣ الزَّيْدِيَّة**: د. أَحْمَد مَحْمُوْد صبحي.

دار النهضة العَرَبِيَّة ببَيْرُوْت، ج١ و٢ الطَّبْعَة الخامسة، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، و ج٣ الطَّبْعَة الثالثة، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

● **قاعدة جَلِيْلَة في التوسُّل والوسيلة**: أبو العَبَّاس تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بن عبد الحَلِيْم بن عبد السَّلَام بن تَيْمِيَّة الحَرَّانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م. وهي مُتَضَمَّنَة في الجزء الأول من مجموع الفَتَاوَىٰ لابن تَيْمِيَّة.

● **القَامُوْس المُحِيْط**: مَجْد الدِّيْن أبو الطَّاهِر مُحَمَّد بن يَعْقُوْب الصِّدِّيْقِيّ الشِّيْرَازِيّ الفَيْرُوْزَابَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨١٧هـ=١٤١٥م.

المكتبة التجارية بمِصْر، مُؤَسَّسَة فَنّ الطِّبَاعَة بمِصْر.

والطَّبْعَة الثانية في مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

● **القِسْطَاس المُستقِيم**: الإمَام أبو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيّ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

تَحْقِيْق: فكتور شلحت.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، المَطْبَعَة الكاثوليكية، سنة ١٩٥٩م.

● **قصة الإيمان**: نَدِيْم الجِسْر (عبد الله نَدِيْم بن حُسَيْن الجِسْر)، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

الطَّبْعَة الثالثة، مطابع المكتب الإسلامِيّ، بَيْرُوْت، سنة ١٩٦٩م.

● **قصة الديانات**: سُلَيْمَان مظهر.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الوطن العَرَبِيّ للطبع والنشر.

● **القَضَاء والقَدَر**: مُحَمَّد مُتَوَلِّي الشَّعْرَاوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

دار الشروق بمِصْر.

● **قَوَاعِد في عُلُوْم الحَدِيْث**: ظَفَر أَحْمَد بن لطيف العُثْمَانِيّ التَّهَانَوِيّ.

تَحْقِيْق: عبد الفَتَّاح أبو غُدَّة، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

الطَّبْعَة الثالثة، مطابع دار القلم بلُبْنَان، سنة ١٩٧٢م.

● **القَوْل الفَصْل شَرْح الفِقْه الأكبر**: مُحْيِي الدِّيْن مُحَمَّد بن بهاء الدِّيْن، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٥٦هـ=١٥٤٩م.

والفِقْه الأكبر، للإمَام أبي حَنِيْفَة النُّعْمَان بن ثَابِت، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٥٠هـ=٧٦٧م.

مكتبة الحقيقة بإستانبول، تُرْكِيا، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

● **الكَاشِف في مَعْرِفَة مَن له رِوَايَة في الكُتُب السِّتَّة**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَايْمَاز التُّرْكُمَانِيّ الدِّمَشْقِيّ الذَّهَبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

وحَاشِيَته، للإمَام بُرْهَان الدِّيْن أبي الوَفَاء إبْرَاهِيْم بن مُحَمَّد، سِبْط ابن العَجَمِيّ الحَلَبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٤١هـ=١٤٣٧م.

قابَلَها بأصل مُؤَلِّفيها وقَدَّم لها وعَلَّق عليها: مُحَمَّد عَوَّامَة. **وخَرَّج نصوصَها**: أَحْمَد مُحَمَّد نَمِر الخَطِيْب.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار القِبْلَة للثقافة الإسلامِيَّة، جَدَّة، ومُؤَسَّسَة عُلُوْم القُرْآن، جَدَّة، المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُوْدِيَّة، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

● **الكَامِل**: أبو العَبَّاس مُحَمَّد بن يَزِيْد المُبَرِّد الأَزْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٨٦هـ=٨٩٩م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد أبو الفَضْل إبْرَاهِيْم، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م، والسَّيِّد شحاتة.

دار نهضة مِصْر للطبع والنشر في الفجالة بالقَاهِرَة، مَطْبَعَة نهضة مِصْر في الفجالة بالقَاهِرَة.

● **الكَامِل في التاريخ**: عِزّ الدِّيْن أبو الحَسَن عَلِيّ بن أبي الكَرَم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكَرِيْم الشَّيْبَانِيّ الجَزَرِيّ، المعروف بابن الأَثِيْر، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٣٠هـ=١٢٣٣م.

دار صادر، ودار بَيْرُوْت، بَيْرُوْت، سنة ١٩٦٥م.

● **كبرىٰ اليقينيات الكونية**: د. مُحَمَّد سَعِيْد رَمَضَان البُوْطِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، سنة ١٣٩٠هـ.

● **كتاب الإيمان**: أبو بَكْر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شَيْبَة العَبْسِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٣٥هـ=٨٤٩م. ومعه ثلاث رَسَائِل هي:

١- **كتاب الإيمان ومَعَالِمه وسُنَنه واسْتِكْمَاله ودرجاته**، لأبي عُبَيْد القَاسِم بن سَلَّام، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٢٤هـ=٨٣٨م.

٢- **كتاب العلم**، للحافظ أبي خَيْثَمَة زُهَيْر بن حَرْب النَّسَائِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٣٤هـ=٨٤٨م.

٣- **كتاب اقتضاء العلم العَمَل**، لأبي بَكْر أَحْمَد بن عَلِيّ بن ثَابِت الخَطِيْب البَغْدَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٦٣هـ=١٠٧١م.

حقق الرَّسَائِل الأربع وخَرَّجَ أَحَادِيْثها وعَلَّقَ عليها: مُحَمَّد نَاصِر الدِّيْن الأَلْبَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

المَطْبَعَة العمومية بدِمَشْق.

● **الكتاب المصنَّف في الحَدِيْث والآثار**: الحافظ أبو بَكْر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شَيْبَة الكُوْفِيّ العَبْسِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٣٥هـ.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد عبد السَّلَام شَاهِيْن.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

● **كَشَّاف اصْطِلَاحَات الفُنُوْن والعُلُوْم**: مُحَمَّد أعلىٰ بن شَيْخ عَلِيّ بن قَاضِي مُحَمَّد

حَامِد الفاروقي الحَنَفِيّ التَّهَانَوِيّ، كان حيّاً سنة ١١٥٨هـ.

إشراف ومراجعة: الدكتور رفيق العجم. **تَحْقِيْق:** الدكتور عَلِيّ دحروج. **نقل النص الفَارِسِيّ إلىٰ العَرَبِيَّة:** الدكتور عبد الله الخالدي. **الترجمة الأجنبية:** الدكتور جورج زيناتي.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مكتبة لُبْنَان ناشرون، بَيْرُوْت، سنة ١٩٩٦م.

● **الكَشَّاف عن حَقَائِق التنزيل وعُيُوْن الأقاويل في وجوه التأويل:** أبو القَاسِم جَارُ الله مَحْمُوْد بن عُمَر الزَّمَخْشَرِيّ الخُوَارِزْمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٣٨هـ=١١٤٤م.

ومعه: **حَاشِيَة السَّيِّد الشَّرِيْف عَلِيّ بن مُحَمَّد الحُسَيْنِيّ الجُرْجَانِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨١٦هـ=١٤١٣م.

وبهامشه: **الانتصاف فيما تضمنه الكَشَّاف من الاعتزال**، للإِمَام نَاصِر الدِّيْن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن المُنَيِّر الإِسْكَنْدَرِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٨٣هـ=١٢٨٤م.

وبآخره: **تنزيل الآيات علىٰ الشواهد من الأبيات**: وهو شَرْح شواهد الكَشَّاف، للأُسْتاذ مُحِبّ الدِّيْن أفندي مُحَمَّد بن أبي بَكْر بن دَاوُد بن عبد الرَّحْمٰن الحَمَوِيّ الدِّمَشْقِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠١٦هـ.

مَطْبَعَة مُصْطَفَىٰ البابي الحَلَبِيّ وأولاده بمِصْر، سنة ١٩٤٨م.

والطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الفكر ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

● **كَشْف الخَفَاء ومُزِيْل الإلباس عما اشتهر من الأَحَادِيْث علىٰ ألسنة الناس:** إِسْمَاعِيْل بن مُحَمَّد بن عبد الهَادِي العَجْلُوْنِيّ الجَرَّاحِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٦٢هـ=١٧٤٩م.

الطَّبْعَة الثالثة، دار إحياء التُّرَاث العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ المطبوعة بمِصْر، سنة ١٣٥١-١٣٥٢هـ.

● **كَشْف الظُّنُوْن عن أَسَامِي الكُتُب والفُنُوْن:** مُصْطَفَىٰ بن عبد الله، الشهير بحاجي خَلِيْفَة وبكاتب چَلَبِي، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٦٧هـ=١٦٥٧م.

طبع بعِنَايَة: مُحَمَّد شَرَف الدِّيْن يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي.

منشورات مكتبة المُثَنَّىٰ ببَغْدَاد، وهي الطَّبْعَة المُصَوَّرَة علىٰ طَبْعَة إستانبول، سنة ١٩٤١م.

● **كَشْف المُرَاد**: جمال الدِّين الحَسَن بن يُوْسُف بن عَلِيّ بن مُطَهَّر، المشهور بالعَلَّامَة الحِلِّيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٦هـ=١٣٢٥م. انظر: تَجْرِيْد الاعْتِقَاد.

● **كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ**. انظر: حَاشِيَة العَدَوِيّ علىٰ كِفَايَة الطَّالِب الرَّبَّانِيّ.

● **الكُلِّيَّات، مُعْجَم في المُصْطَلَحَات والفُرُوْق اللُّغَوِيَّة**: أبو البَقَاء أَيُّوْب بن مُوسَىٰ الحُسَيْنِيّ الكَفَوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٩٤هـ=١٦٨٣م.

تَحْقِيْق: الدكتور عَدْنَان درويش، ومُحَمَّد المِصْرِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

● **الكَمَال بن الهُمَام، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦١هـ، وتَحْقِيْق رسالته: إعراب قوله ﷺ: كَلِمَتَان خَفِيْفَتَان علىٰ اللِّسَان...**: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة جَامِعَة بَغْدَاد، بَغْدَاد، سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

● **الكواشف الجَلِيَّة عن معاني الوَاسِطِيَّة**: عبد العَزِيْز المُحَمَّد السلمان.

والعَقِيْدَة الوَاسِطِيّة، لأبي العَبَّاس تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بن عبد الحَلِيْم بن عبد السَّلَام بن تَيْمِيَّة الحَرَّانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.

الطَّبْعَة الرابعة، مُؤَسَّسَة مَكَّة للطِّبَاعَة والإعْلَام، من مطبوعات رابطة العالم الإسلامِيّ بمَكَّة المُكَرَّمَة.

● **اللُّؤْلُؤ والمَرْجَان فيما اتَّفَق عليه الشَّيْخَان**: **جَمَعه**: مُحَمَّد فؤاد عبد البَاقِي، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م. **راجعه**: الدكتور عبد الستار أبو غُدَّة.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامِيَّة بالكُوَيْت، المَطْبَعَة العَصْرِيَّة بالكُوَيْت، سنة ١٩٧٧م.

● **اللُّبَاب في تَهْذِيْب الأَنْسَاب**: عِزّ الدِّيْن أبو الحَسَن عَلِيّ بن أبي الكَرَم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكَرِيْم الشَّيْبَانِيّ الجَزَرِيّ، المعروف بابن الأَثِيْر، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٣٠هـ=١٢٣٣م.

الناشر: مكتبة المُثَنَّىٰ ببَغْدَاد.

● **لباب النُّقُوْل في أسباب النُّزُوْل**: جَلَال الدِّيْن عبد الرَّحْمٰن بن أبي بَكْر السُّيُوْطِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م. مطبوع بهامش تَفْسِيْر الجَلَالِين.

المَطْبَعَة الهَاشِمِيَّة بدِمَشْق، سنة ١٣٥٨هـ.

- **لِسَان العَرَب**: أبو الفَضْل جمال الدِّيْن مُحَمَّد بن مُكَرَّم، بن مَنْظُوْر الإفْرِيْقِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧١١هـ=١٣١١م.

دار صادر ببَيْرُوْت، سنة ١٩٦٨م.

- **لِسَان المِيْزَان**: شِهَاب الدِّيْن أبو الفَضْل أَحْمَد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الكِنَانِيّ، المعروف بابن حَجَر العَسْقَلَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.

الناشر: مُؤَسَّسَة الأَعْلَمِيّ للمطبوعات ببَيْرُوْت، سنة ١٩٧١م، وهي مُصَوَّرَة عن الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ المطبوعة بمَطْبَعَة دائرة المَعَارِف النِّظَامِيَّة بحَيْدَرْ آبَاد الدَّكَن، سنة ١٣٢٩هـ.

- **اللُّمَع**: أبو نَصْر السَّرَّاج عبد الله بن عَلِيّ الطُّوْسِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٧٨هـ=٩٨٨م.

تَحْقِيْق: د. عبد الحَلِيْم مَحْمُوْد، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م، وطه عبد البَاقِي سرور.

مَطْبَعَة السَّعَادَة بمِصْر، سنة ١٩٦٠م.

- **اللُّمَع في الرَّدِّ علىٰ أَهْل الزَّيْغ والبِدَع**: الإمَام أبو الحَسَن عَلِيّ بن إسْمَاعِيْل بن أبي بِشْر إسْحَاق الأَشْعَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٢٤هـ=٩٣٦م.

صَحَّحَهُ وقَدَّم له وعَلَّق عليه: حمودة غرابة.

الناشر: المكتبة الأَزْهَرِيَّة للتُّرَاث بالقَاهِرَة، دار التوفيق النموذجية بالقَاهِرَة.

- **الله**: عَبَّاس مَحْمُوْد العَقَّاد، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.

دار الهلال بمِصْر.

- **الله جَلَّ جَلَاله**: سَعِيْد مُحَمَّد حَوَّىٰ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

الطَّبْعَة الثالثة، سنة ١٩٧٢م.

- **الله يَتَجَلَّىٰ في عَصْر العِلْم**: نخبة من العُلَمَاء الأمريكيين.

أَشْرَف علىٰ تَحْرِيْره: جون كلوفرمونسا. **ترجمة**: د. الدامرداش.

الطَّبْعَة الثالثة، مُؤَسَّسَة الحَلَبِيّ وشركاه بمِصْر، سنة ١٩٦٨م.

● **لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة وسواطع الأسرار الأَثَرِيَّة**: مُحَمَّد بن أَحْمَد بن سالم بن سُلَيْمَان الحَنْبَلِيّ السَّفَّارِيْنِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١١٨٨هـ. وهو شَرْح منظومة: **الدُّرَّة المُضِيَّة في عَقِيْدَة الفِرْقة المَرْضِيَّة**. والشَّرْح والمنظومة كلاهما للسَّفَّارِيْنِيّ.

الطَّبْعَة الثالثة، المكتب الإسلامِيّ ببَيْرُوْت، ودار الخاني بالرِّيَاض، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

● **مباحث في عُلُوْم القُرْآن**: د. صبحي الصالح، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.

الطَّبْعَة الرابعة، دار العلم للملايين، بَيْرُوْت.

● **مبادئ الإسلام**: أبو الأعلىٰ المَوْدُوْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

الطَّبْعَة الثانية، دِمَشْق، سنة ١٩٥٧م.

● **مجموع فَتَاوَىٰ شيخ الإسلام تَقِيّ الدِّين أبي العَبَّاس أَحْمَد بن عبد الحَلِيْم بن عبد السَّلَام بن تَيْمِيَّة الحَرَّانِيّ**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.

جمع وتَرْتِيْب: عبد الرَّحْمٰن بن مُحَمَّد بن قَاسِم العَاصِمِيّ النَّجْدِيّ الحَنْبَلِيّ، وساعده ابنه مُحَمَّد.

طبع بأمر الملك سُعُوْد بن عبد العَزِيْز آل سُعُوْد، وعلىٰ نفقته الخاصة. الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، ج١-٣٠ مطابع الرِّيَاض سنة ١٣٨١-١٣٨٣هـ، وج٣١-٣٧ مَطْبَعَة الحكومة بمَكَّة المُكَرَّمَة سنة ١٣٨٦هـ.

● **محاضرات في أُصُوْل الفِقْه علىٰ مَذَاهِب أَهْل السُّنَّة والإمَامِيَّة**: بَدْر المُتَوَلِّي عبد البَاسِط.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، بَغْدَاد.

● **محاضرات في النَّصْرَانِيَّة**: مُحَمَّد بن أَحْمَد أبو زُهْرَة، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

مَطْبَعَة العُلُوْم، مِصْر، سنة ١٣٦١هـ=١٩٤٢م.

● **المُحَرَّر الوَجِيْز في تَفْسِيْر الكتاب العَزِيْز**: عَبْد الحَقّ بن غالب بن عبد الرَّحْمٰن المحاربي الغَرْنَاطِيّ، ابن عَطِيَّة، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٤٢هـ=١١٤٨م.

تَحْقِيْق وتَعْلِيْق: عبد الله بن إبْرَاهِيْم الأَنْصَارِيّ، والرحالي الفاروق، والسَّيِّد عبد العال السَّيِّد إبْرَاهِيْم، ومُحَمَّد الشَّافِعِيّ صَادِق العناني.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مُؤَسَّسَة دار العُلُوْم بالدَّوْحَة، قَطَر، سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

● **مُحَصِّل أفكار المتقدِّمين والمتأخِّرين من العُلَمَاء والحكماء والمتكلِّمِين**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخَطِيْب التَّيْمِيّ البَكْرِيّ القُرَشِيّ الشَّافِعِيّ، فَخر الدِّيْن الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م. وبذيله:

تَلْخِيص المُحَصِّل، لنَصِيْر الدِّيْن أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحَسَن الطُّوْسِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧٢هـ=١٢٧٤م.

مراجعة وتقديم: طه عبد الرَّؤُوْف سَعْد.

مكتبة الكُلِّيَّات الأَزْهَرِيَّة بالقَاهِرَة.

● **المَحْصُوْل في علم أُصُوْل الفِقْه**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخَطِيْب التَّيْمِيّ البَكْرِيّ القُرَشِيّ الشَّافِعِيّ، فَخْر الدِّيْن الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

تَحْقِيْق: د. طه جَابِر فَيَّاض العَلْوَانِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

● **المُحِيْط بالتكليف في العَقَائِد**. ويُسمَّىٰ (**المجموع المُحِيْط بالتكليف في العَقَائِد**): القَاضِي عبد الجَبَّار بن أَحْمَد الهَمَذَانِيّ الأَسَدَابَاذِيّ المُعْتَزِلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤١٥هـ=١٠٢٥م. **جمعه**: الحَسَن بن أَحْمَد بن متَّويه.

تَحْقِيْق: عُمَر السَّيِّد عزمي. **ومراجعة**: د. أَحْمَد فؤاد الأهواني.

المُؤَسَّسَة المِصْرِيَّة العامة للتأليف والأنباء والنشر - تُرَاثنا، الشركة المِصْرِيَّة للطِّبَاعَة بالقَاهِرَة.

● **المُخْتَار من كنوز السُّنَّة النَّبَوِيَّة، شَرْح أَربَعِين حَدِيْثاً في أُصُوْل الدِّيْن**: د. مُحَمَّد عبد الله دراز، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م.

الطَّبْعَة الرابعة، إدارة الشؤون الإسلامِيَّة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامِيَّة في دولة قَطَر، العالمية للطِّبَاعَة والنشر، الدَّوْحَة، قَطَر، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

● **مُخْتَصَر تاريخ الإبَاضِيَّة**: أبو رَبِيْع سُلَيْمَان الباروني.

الطَّبْعَة الرابعة، مكتب الضامري بالسِّيْب، سَلْطَنَة عُمَان.

● **مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق لابن عَسَاكِر**: ابن مَنْظُوْر، أبو الفَضْل جمال الدِّيْن مُحَمَّد بن مُكَرَّم الإِفْرِيْقِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧١١هـ=١٣١١م.

وابن عَسَاكِر هو أبو القَاسِم عَلِيّ بن الحَسَن بن هِبَة الله الدِّمَشْقِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٧١هـ=١١٧٦م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد مطيع الحافظ، ونِزَار أباظة. **ومراجعة**: روحية النحاس.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الفكر للطِّبَاعَة بِدِمَشْق، المَطْبَعَة العِلْمِيَّة بِدِمَشْق، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● **المُخْتَصَر المُفِيْد في شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيْد**: د. نُوْح عَلِيّ سلمان القُضَاة.

وجَوْهَرَة التَّوْحِيْد: منظومة لبُرْهَان الدِّيْن أبي الأمداد إِبْرَاهِيْم بن إِبْرَاهِيْم بن حَسَن بن عَلِيّ المَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٤١هـ.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الرَّازِيّ للنشر، عَمَّان، الأُرْدُنّ، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

● **المدخل لدراسة الشَّرِيْعَة الإسلامِيَّة**: الدكتور عبد الكَرِيْم زَيْدَان.

الطَّبْعَة الحادية عشرة، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة بِبَيْرُوْت، مكتبة القُدْس بِبَغْدَاد، سنة ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

● **مَذَاهِب الإسلامِيِّيْن**: عبد الرَّحْمٰن بَدَوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار العلم للملايين، بَيْرُوْت.

● **مِرْقَاة المفاتيح شَرْح مِشْكَاة المَصَابِيْح**: عَلِيّ القَارِي بن سُلْطَان مُحَمَّد الهَرَوِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠١٤هـ=١٦٠٦م.

ومعه: **أجوبة الحافظ ابن حَجَر العَسْقَلَانِيّ علىٰ رِسَالَة القَزْوِيْنِيّ**.

قَدَّمَ له: الشيخ خَلِيْل الميس. **وحَقَّقَهُ**: صدقي مُحَمَّد جميل العطار.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الفكر بِبَيْرُوْت، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

● **المُسَامَرَة بشَرْح المُسَايَرَة**: كَمَال الدِّيْن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي بَكْر، المعروف بابن أبي شَرِيْف القُدْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٠٦هـ=١٥٠٠م.

والمُسَايَرَة في العَقَائِد المُنْجِيَة في الآخِرَة، لكَمَال الدِّين مُحَمَّد بن هُمَام الدِّيْن عبد الوَاحِد بن حَميد الدِّيْن عبد الحميد السِّيْوَاسِيّ السِّكَنْدَرِيّ الحَنَفِيّ، المعروف بالكَمَال بن الهُمَام، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦١هـ=١٤٥٧م. وبهامشه:

شَرْح المُسَايَرَة، لأبي الفِدَاء زَيْن الدِّيْن قَاسِم بن قُطْلُوْبُغَا الحَنَفِيّ السُّوْدُوْنِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٧٩هـ=١٤٧٤م.

ونَتَائِج المُذَاكَرَة بتَحْقِيْق مباحث المُسَايَرَة، لمُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

المكتبة التجارية الكبرىٰ بمِصْر، مَطْبَعَة السَّعَادَة بمِصْر.

- **المُسَايَرَة**: الكَمَال بن الهُمَام. انظر: المُسَامَرَة.

- **المُسْتَدْرَك علىٰ الصَّحِيْحَيْن**: الحافظ أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الحَاكِم النَّيْسَابُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٤٠٥هـ=١٠١٤م. وفي ذَيله:

تَلْخِيْص المُسْتَدْرَك، لشمس الدِّيْن أبي عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَايْمَاز التُّرْكُمَانِيّ الدِّمَشْقِيّ الذَّهَبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامِيَّة بحَلَب، طُبِع في بَيْرُوْت، شركة عَلَاء الدِّيْن. وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ طَبْعَة دائرة المَعَارِف النِّظَامِيَّة، حَيْدَرْ آباد الدَّكَن.

- **مُسْنَد الإمَام أَحْمَد بن حَنْبَل**، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٤١هـ=٨٥٥م. **وبهامشه:**

مُنْتَخَب كَنْز العُمَّال في سُنَن الأَقوال والأفعال، لعَلَاء الدِّيْن عَلِيّ المُتَّقِي بن حُسَام الدِّيْن عبد الملك بن قَاضِي خان الهِنْدِيّ البُرْهَانْ فُوْرِيّ، الشهير بالمُتَّقِي الهِنْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٧٥هـ=١٥٦٧م.

نشر المكتب الإسلامِيّ ودار صادر ببَيْرُوْت، سنة ١٩٦٩م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ المطبوعة بالمَطْبَعَة المَيْمَنِيَّة بمِصْر، سنة ١٣١٣هـ.

والطَّبْعَة التي أَشْرَف علىٰ تَحْقِيْقها الشيخ شُعَيْب الأَرْنَؤُوط، الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

- **مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل**: نور الدِّيْن أبو مُحَمَّد عبد الله بن حُمَيْد (أو حِمِّيْد كصِدِّيْق) بن سلّوم السَّالِمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م. وهو شَرْح منظومة (**أَنْوَار العُقُوْل**). والشَّرْح والمنظومة كلاهما للسَّالِمِيّ.

  حَقَّقَهُ: عبد الرَّحْمٰن عَمِيْرَة. **صَحَّحَهُ وعَلَّق عليه**: الشيخ أَحْمَد بن حمد الخَلِيْلِيّ.

  الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الجيل ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

- **مَشَاهِد القِيَامَة في القُرْآن**: سَيِّد قُطْب، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.

  دار المَعَارِف بمِصْر.

- **المَصَابِيْح**: أبو العَبَّاس أَحْمَد بن إِبْرَاهِيْم بن الحَسَن، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٥٣هـ=٩٦٤م.

  تَحْقِيْق: عبد الله بن عبد الله بن أَحْمَد الحُوْثِيّ. **تقديم**: مَجْد الدِّيْن بن مُحَمَّد بن مَنْصُوْر المُؤَيَّدِيّ.

  الطَّبْعَة الثانية، مُؤَسَّسَة الإمَام زَيْد بن عَلِيّ الثقافية، صَنْعَاء، اليَمَن، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

- **المِصْبَاح المُنِيْر في غَرِيْب الشَّرْح الكَبِيْر**: أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَلِيّ الفَيُّوْمِيّ المُقْرِي، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٧٠هـ=١٣٦٨م.

  و**الشَّرْح الكَبِيْر**، هو **فَتْح العَزِيْز علىٰ كتاب الوَجِيْز**، للإمَام أبي القَاسِم عبد الكَرِيْم بن مُحَمَّد القَزْوِيْنِيّ الرَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٢٣هـ=١٢٢٦م.

  وكتاب **الوَجِيْز**، هو في فِقْه الشَّافِعِيَّة، للإمَام أبو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيّ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

  الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكُتُب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

- **المُصْطَلَحَات الأربعة في القُرْآن: الإلٰه، الربّ، العِبَادَة، الدِّيْن**: أبو الأعلىٰ المَوْدُوْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

  تعريب: مُحَمَّد كاظم سباق.

  الطَّبْعَة الخامسة، دار القلم بالكُوَيْت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

- **المَطَالِب العالية من العلم الإلٰهِيّ**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخَطِيْب التَّيْمِيّ البَكْرِيّ القُرَشِيّ الشَّافِعِيّ، فَخْر الدِّيْن الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

تَحْقِيْق: د. أَحْمَد حِجَازِيّ السقا.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتاب العَرَبِيّ ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

- **المَعَارِف**: ابن قُتَيْبَة الدِّيْنَوَرِيّ، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُسْلِم، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٧٦هـ=٨٨٩م.

تَحْقِيْق وتقديم: الدكتور ثَروت عُكَّاشَة.

الطَّبْعَة الثانية، دار المَعَارِف بمِصْر، سنة ١٩٦٩م.

- **مَعَالِم أُصُوْل الدِّيْن**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخَطِيْب التَّيْمِيّ البَكْرِيّ القُرَشِيّ الشَّافِعِيّ، فَخْر الدِّيْن الرَّازِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

تَحْقِيْق: د. أَحْمَد حِجَازِيّ السقا.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مكتبة الإيمان بالمَنْصُوْرَة، مِصْر، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

- **المَعَالِم الدِّيْنِيَّة في العَقَائِد الإلٰهِيَّة**: يَحْيَىٰ بن حَمْزَة بن عَلِيّ بن إبْرَاهِيْم الحُسَيْنِيّ العَلَوِيّ الزَّيْدِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٩هـ=١٣٤٤م.

تَحْقِيْق: سَيِّد مُخْتَار مُحَمَّد أَحْمَد حشاد.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الفكر المعاصر ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

- **مَعَالِم السُّنَن، للخَطَّابِيّ**. انظر: سُنَن أبي دَاوُد.

والطَّبْعَة الثانية، المكتبة العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م، المُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ المطبوعة سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٤م بالقَاهِرَة.

- **مُعْتَرَك الأَقْرَان في إعجاز القُرْآن**: جَلَال الدِّيْن عبد الرَّحْمٰن بن أبي بَكْر السُّيُوْطِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

تَحْقِيْق: عَلِيّ مُحَمَّد البجاوي.

القَاهِرَة، سنة ١٩٦٩م.

● **المُعْتَزِلَة وأُصُوْلهم الخمسة وموقف أَهْل السُّنَّة منها:** عَوَّاد بن عبد الله المُعْتِق.

الطَّبْعَة الثالثة، مكتبة الرُّشْد بالرِّيَاض، المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُوْدِيَّة، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

● **المُعْتَقَد الإيماني:** أبو البَقَاء الأَحْمَدِيّ الشَّافِعِيّ.

وهو شَرْح **عَقِيْدَة الإِمَام الشَّيْبَانِيّ أبي عبد الله مُحَمَّد.**

نشره: مُحَمَّد رَؤُوْف الغُلَامِيّ.

مَطْبَعَة شفيق ببَغْدَاد، سنة ١٩٦٢م.

● **المُعْتَقَد المُنْتَقَد:** الشَّاه فَضْل الرَّسُوْل بن عبد الحميد العُثْمَانِيّ الأُمَوِيّ القَادِرِيّ البَرَكَاتِيّ البَدَايُوْنِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٨٩هـ=١٨٧٢م.

وطبع معه تَعْلِيْق: **المُسْتَنَد المُعْتَمَد بناء نجاة الأَبد،** للإِمَام المُجَدِّد أَحْمَد رِضَا خان القَادِرِيّ البَرَكَاتِيّ الحَنَفِيّ البَرَيْلَوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٤٠هـ.

الناشر: مكتبة ايشيق بإستانبول، سنة ١٩٧٥م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ المطبوعة بالهِنْد التي نشرها مُحَمَّد أَنْوَار الإسلام السُّنِّيّ الحَنَفِيّ القَادِرِيّ الرَّضَوِيّ، مكتبة حَامِدِيَّة بلَاهُور.

● **مُعْجَم المُؤَلِّفِيْن، تَرَاجُم مُصَنِّفِي الكُتُب العَرَبِيَّة:** عُمَر رِضَا كَحَّالَة، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

ويليه: **تَكْمِلَة مُعْجَم المُؤَلِّفِيْن، وَفَيَات ١٣٩٧-١٤١٥هـ/ ١٩٧٧-١٩٩٥م،** لمُحَمَّد خَيْر رَمَضَان يُوْسُف.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار ابن حَزْم ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

● **مُعْجَم مَقَايِيْس اللُّغَة:** أبو الحُسَيْن أَحْمَد بن فَارِس بن زَكَرِيَّا، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٩٥هـ=١٠٠٤م.

تَحْقِيْق: عبد السَّلَام مُحَمَّد هارون، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الجيل ببَيْرُوْت، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

● **مع الله في السماء:** د. أَحْمَد زَكِيّ.

دار الهلال بمِصْر.

● **المُغْنِي في الضعفاء**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَايْمَاز التُّرْكُمَانِيّ الدِّمَشْقِيّ الذَّهَبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

تَحْقِيْق: د. نور الدِّيْن عتر.

طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● **مفاتيح العُلُوْم**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن يُوْسُف الكاتب الخُوَارِزْمِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٨٧هـ=٩٩٧م.

الطَّبْعَة الثانية، منشورات مكتبة الكُلِّيَّات الأَزْهَرِيَّة بالقَاهِرَة، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

● **مِفْتَاح الباب**: ابن مخدوم، أبو الفَتْح بن مخدوم الخادم الحُسَيْنِيّ العَرَبْشَاهِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٧٦هـ. والمُرَاد بالباب هو **الباب الحادي عشر**، للعَلَّامَة الحِلِّيّ حَسَن بن يُوْسُف بن عَلِيّ بن المطهِّر، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٦هـ=١٣٢٥م.

ومعه شَرْح آخر علىٰ الباب هو: **النَّافِع يوم الحشر**، لمِقْدَاد بن عبد الله بن مُحَمَّد السُّيُوْرِيّ الحِلِّيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٢٦هـ=١٤٢٣م.

تَحْقِيْق: د. مَهْدِيّ محقق.

مُؤَسَّسَة جاب وانتشارات آستان قدس رضوى - مشهد، سنة ١٣٧٤هـ.

● **المُفْهِم لما أشكل من تَلْخِيْص كتاب مُسْلِم**: أبو العَبَّاس أَحْمَد بن عُمَر بن إِبْرَاهِيْم القُرْطُبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٥٦هـ=١٢٥٨م.

تَحْقِيْق: مُحْيِي الدِّيْن ديب مستو وآخرين.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار ابن كَثِيْر ودار الكَلِم الطَّيِّب بدِمَشْق وبَيْرُوْت، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

● **مفهوم الإيمان عند الفِرَق الإسلامِيَّة**: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمٰن الدُّوْرِيّ.

وهو بحث نشر ضمن بحوث (المُلْتَقَىٰ العِلْمِيّ الأول حول تُرَاث سَلْطَنَة عُمَان الشقيقة قديماً وحَدِيْثاً)، الذي نظمته وَحْدة الدراسات العُمَانِيَّة بجَامِعَة آل البيت، من منشورات جَامِعَة آل البيت - الأُرْدُنّ سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

● **المَقَاصِد (مَقَاصِد الطَّالِبِيْن) للتَّفْتَازَانِيّ**. انظر: شَرْح المَقَاصِد.

● **مَقَالَات الإسلامِيِّيْن واختلاف المُصَلِّيْن**: الإمَام أبو الحَسَن عَلِيّ بن إسْمَاعِيْل بن أبي بِشْر إسْحَاق الأَشْعَرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٢٤هـ=٩٣٦م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد مُحْيِي الدِّيْن عبد الحميد، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مكتبة النهضة المِصْرِيَّة، مَطْبَعَة السَّعَادَة بمِصْر، الجزء الأول سنة ١٩٥٠م، والجزء الثاني سنة ١٩٥٤م. وطَبْعَة المكتبة العَصْرِيَّة ببَيْرُوْت وصَيْدَا، الدار النموذجية والمَطْبَعَة العَصْرِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م، وهي مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة المِصْرِيَّة.

● **المَقَالَات والفِرَق**: سَعْد بن عبد الله بن أبي خَلَف الأَشْعَرِيّ القُمِّيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٣٠١هـ=٩١٣م.

تَحْقِيْق: الدكتور مُحَمَّد جواد مَشْكُوْر.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة حَيْدَرِيّ، طهران، سنة ١٩٦٣م.

● **المُقَدِّمَة**: عبد الرَّحْمٰن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، بن خَلْدُوْن الحَضْرَمِيّ الإشْبِيْلِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٠٨هـ=١٤٠٦م.

تَحْقِيْق: دَرْوِيْش الجوَيدي.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، المكتبة العَصْرِيَّة للطِّبَاعَة والنشر، الدار النموذجية، المَطْبَعَة العَصْرِيَّة، بَيْرُوْت سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

● **مُقَدِّمَة البَحْر الزَّخَّار**. انظر: البَحْر الزَّخَّار.

● **مُقَدِّمَة في تاريخ الحَضَارَات القديمة**: طه باقر، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

الطَّبْعَة الثانية، من مطبوعات دار المعلمين العالية، شركة التجارة والطِّبَاعَة المحدودة ببَغْدَاد، سنة ١٣٧٥هـ=١٩٥٥م.

● **المَقْصَد الأَسْنَىٰ في شَرْح أسماء الله الحُسْنَىٰ**: الإمَام أبو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيّ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

تَحْقِيْق: د. مُحَمَّد عُثْمَان الخشت.

مكتبة القُرْآن بالقَاهِرَة، مطابع ابن سينا بالقَاهِرَة، تاريخ المُقَدِّمَة سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● **المِلَل والنِّحَل**: أبو الفَتْح مُحَمَّد بن عبد الكَرِيْم بن أبي بَكْر أَحْمَد الشَّهْرَسْتَانِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٤٨هـ=١١٥٣م.

تَصْحِيْح وتَعْلِيْق: أَحْمَد فهمي مُحَمَّد.

الطَّبْعَة الثانية، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

● **مناهج الاجتهاد في الإسلام في الأَحْكَام الفِقْهِيَّة والعَقَائِدِيَّة**: د. مُحَمَّد سَلَّام مَدْكُوْر.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مطبوعات جَامِعَة الكُوَيْت، المَطْبَعَة العَصْرِيَّة بالكُوَيْت، سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

● **مناهج الأَدِلَّة في عَقَائِد المِلَّة**: أبو الوَلِيْد مُحَمَّد بن أَحْمَد ابن الإمَام أبي الوَلِيْد مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رُشْد القُرْطُبِيّ، المُلَقَّب بابن رُشْد الحَفِيْد، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٩٥هـ=١١٩٨م.

تقديم وتَحْقِيْق: د. مَحْمُوْد قَاسِم.

الطَّبْعَة الثانية، مكتبة الأنجلو المِصْرِيَّة بالقَاهِرَة، مَطْبَعَة مخيمر بالقَاهِرَة، سنة ١٩٦٤م.

● **مناهل العِرْفَان في عُلُوْم القُرْآن**: مُحَمَّد عبد العَظِيْم الزُّرْقَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٦٧هـ=١٩٤٨م.

دار إحياء الكتب العَرَبِيَّة بمِصْر.

● **المُنْتَظَم في تاريخ الملوك والأُمَم**: جمال الدِّيْن أبو الفَرَج عبد الرَّحْمٰن بن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن الجَوْزِيّ البَغْدَادِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٩٧هـ=١٢٠١م.

تَحْقِيْق: مُحَمَّد عبد القَادِر عطا، ومُصْطَفَىٰ عبد القَادِر عطا. **راجعه**: نَعِيْم زرزور.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الكتب العِلْمِيَّة ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

● **المِنْهَاج بشَرْح صَحِيْح مُسْلِم بن الحَجَّاج**: أبو زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّيْن يَحْيَىٰ بن شَرَف بن مُرِي النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

ومُسْلِم بن الحَجَّاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٢٦١هـ=٨٧٥م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار ابن حَزْم ببَيْرُوْت، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

● **مِنْهَاج السُّنَّة النَّبَوِيَّة في نَقضِ كلام الشِّيْعَة القَدَرِيَّة**: أبو العَبَّاس تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بن عبد الحَلِيْم بن عبد السَّلَام بن تَيْمِيَّة الحَرَّانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.

تَحْقِيْق: الدكتور مُحَمَّد رَشَاد سالم.

الناشر: مكتبة دار العروبة بمِصْر، مَطْبَعَة المَدَنِيّ بالقَاهِرَة، طبع ج١ سنة ١٩٦٢م، وأُرخت مُقَدِّمَة ج٢ سنة ١٩٦٤م.

والطَّبْعَة الأُخرىٰ التي بهامشها: **بَيَان موافقة صريح المَعْقُوْل لصَحِيْح المَنْقُوْل**، لتَقِيّ الدِّيْن بن تَيْمِيَّة أَيضاً، المطبوعة في المَطْبَعَة الكبرىٰ الأَمِيْرِيَّة ببُوْلَاق مِصْر، الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، طبع ج١-٢ سنة ١٣٢١هـ، وطبع ج٣-٤ سنة ١٣٢٢هـ.

● **المُنْيَة والأَمَل في شَرْح المِلَل والنِّحَل**: الأصل والشَّرْح معاً من تأليف المَهْدِيّ لِدِيْن الله أَحْمَد بن يَحْيَىٰ بن المُرْتَضَىٰ الحَسَنِيّ اليَمَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٤٠هـ=١٤٣٧م.

تَحْقِيْق: الدكتور مُحَمَّد جواد مَشْكُوْر.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الفكر ببَيْرُوْت، سنة ١٩٧٩م.

● **المَوَاعِظ والاعتِبار بذِكر الخِطَط والآثار في مِصْر والقَاهِرَة والنِّيْل وما يَتَعلَّق بها من الأَخبار**، المعروف **بالخِطَط المَقْرِيْزِيَّة**: تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بن عَلِيّ بن عبد القَادِر بن مُحَمَّد المَقْرِيْزِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٤٥هـ=١٤٤١م.

الناشر: دار صادر ببَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ طَبْعَة دار الطِّبَاعَة المِصْرِيَّة ببُوْلَاق القَاهِرَة التي طُبعت سنة ١٢٧٠هـ.

● **المَوَاقِف**: عَضُد الدِّيْن عبد الرَّحْمٰن بن أَحْمَد الإيْجِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م. وطُبِع معه:

شَرْح المَوَاقِف، للسَّيِّد الشَّرِيْف عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عَلِيّ الجُرْجَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٨١٦هـ=١٤١٣م. وعليه:

حَاشِيَة عبد الحَكِيْم بن شمس الدِّيْن مُحَمَّد السِّيَالْكُوْتِيّ اللاهُورِيّ البَنْجَابِيّ الهِنْدِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٦٧هـ=١٦٥٦م.

و**حَاشِيَة المَوْلَىٰ حَسَن چَلَبِي** بن مُحَمَّد شَاه بن حَمْزَة الرُّوْمِيّ الحَنَفِيّ الفَنَارِيّ، المُتَوَفَّىٰ

سنة ٨٨٦هـ=١٤٨١م.

صَحَّحَهُ: مُحَمَّد بَدْر الدِّيْن النَّعسَانِيّ الحَلَبِيّ.

الطَّبْعَة الثانية، منشورات الشَّرِيْف الرَّضِيّ، مَطْبَعَة أَمِيْر، قُمّ، سنة ١٤١٥هـ، وهي مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ التي طُبعت بنفقة مُحَمَّد أفندي ساسي التُّوْنُسِيّ بمَطْبَعَة السَّعَادَة بمِصْر، سنة ١٣٢٥هـ=١٩٠٧م.

- **الموجز**: أبو عَمَّار عبد الكافي الإبَاضِيّ، المُتَوَفَّىٰ قبل سنة ٥٧٠هـ.

تَعْلِيْق: د. عبد الرَّحْمٰن عَمِيْرَة.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، دار الجيل ببَيْرُوْت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

- **المُوَطَّأ، للإمَام مَالِك**. انظر: تَنْوِيْر الحوالك.

- **مَوْقِف ابن تَيْمِيَّة من الأَشَاعِرَة**: د.عبد الرَّحْمٰن بن صَالِح بن صَالِح المَحْمُوْد.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مكتبة الرُّشْد للنشر والتوزيع بالرِّيَاض، المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُوْدِيَّة، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

- **موقف العقل والعلم والعالم من رَبّ العالَمين**: الأُستاذ مُصْطَفَىٰ صبري، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م.

القَاهِرَة، سنة ١٩٥٠م.

- **مِيْزَان الاعْتِدَال في نَقْد الرِّجَال**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَايْمَاز التُّرْكُمَانِيّ الدِّمَشْقِيّ الذَّهَبِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

تَحْقِيْق: عَلِيّ مُحَمَّد البجاوي.

الناشر: دار المَعْرِفَة ببَيْرُوْت، وهي مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ المطبوعة سنة ١٩٦٣م بمِصْر.

- **النَّافِع يوم الحشر**. انظر: مِفْتَاح الباب.

- **النبأ العَظِيْم، نظرات جديدة في القُرْآن**: د. مُحَمَّد عبد الله دراز، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م.

الطَّبْعَة الثالثة، سنة ١٩٧٤م.

- **النجوم في مَسَالِكها**: الدكتور جيمس جينز.

مَطْبَعَة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقَاهِرَة، سنة ١٩٦٢م.

- **نُخْبَة اللآلي لشَرْح بَدْء الأمالي**: مُحَمَّد بن سُلَيْمَان الحَلَبِيّ الحَنَفِيّ الرِّيْحَاوِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٢٢٨هـ.

وبَدْء **الأمالي**، منظومة لسِرَاج الدِّيْن أبي الحَسَن عَلِيّ بن عُثْمَان الأُوْشِيّ الفَرْغَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٦٩هـ=١١٧٣م (أُرِّخَتْ وفاته هٰكَذَا في مُعْجَم المُؤَلِّفِيْن ج٢ ص٤٧٥. وفي الأَعْلَام للزِّرِكْلِيّ: بعد سنة ٥٦٩هـ. وكتب الناشر في آخر الكتاب أنه توفي سنة ٥٧٥هـ=١١٨٠م).

مكتبة الحقيقة بإستانبول، تُرْكِيا، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩١م.

- **نداء الروح**: د. فاضل صالح السَّامَرَّائِيّ.

المَطْبَعَة الإسلامِيَّة، بَغْدَاد، سنة ١٣٧٨هـ=١٩٥٨م.

- **نُزْهَة الخاطر العاطر**: عبد القَادِر بن أَحْمَد بن مُصْطَفَىٰ، المعروف بابن بَدْرَان الدُّوْمِيّ الدِّمَشْقِيّ، انتهىٰ من تأليفه سنة ١٣٤١هـ. وهو شَرْح **رَوْضَة النَّاظِر وجُنَّة المُنَاظِر**، في أُصُوْل الفِقْه علىٰ مَذْهَب الإمَام أَحْمَد بن حَنْبَل، لمُوَفَّق الدِّيْن أبي مُحَمَّد عبد الله بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامَة المَقْدِسِيّ الدِّمَشْقِيّ الصَّالِحِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٢٠هـ.

الطَّبْعَة الثانية، مكتبة المَعَارِف بالرِّيَاض، المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُوْدِيَّة، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

- **نسيم الرِّيَاض في شَرْح شِفَاء القَاضِي عِيَاض**: شِهَاب الدِّيْن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر الخَفَاجِيّ المِصْرِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠٦٩هـ=١٦٥٩م، أتم الكتاب سنة ١٠٥٨هـ.

و**الشِّفَا بتعريف حقوق المُصْطَفَىٰ**، للقَاضِي أبي الفَضْل عِيَاض بن مُوسَىٰ بن عِيَاض اليَحْصُبِيّ، المُتَوَفَّىٰ ٥٤٤هـ=١١٤٩م.

وبهامشه: **شَرْح الشِّفَا**، لِعَلِيّ القَارِي بن سُلْطَان مُحَمَّد الهَرَوِيّ الحَنَفِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٠١٤هـ=١٦٠٦م، أتمّه سنة ١٠١١هـ.

الناشر: دار الفكر ببَيْرُوْت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ المطبوعة بالمَطْبَعَة الأَزْهَرِيَّة المِصْرِيَّة، التي تم طبعها سنة ١٣٢٧هـ.

● **نشأة الفِكْر الفلسفي في الإسلام**: الدكتور عَلِيّ سَامِي النشّار، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

الطَّبْعَة التاسعة ج١، ٣، والطَّبْعَة الثامنة ج٢، دار المَعَارِف بمِصْر.

● **نَظَرِيَّة المَقَاصِد عند الإمَام الشَّاطِبِيّ**: أَحْمَد الريسوني.

الطَّبْعَة الرابعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامِيّ، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

● **نَظْم الفَرَائِد وجمع الفَوَائِد في بَيَان المَسَائِل التي وقع فيها الاختلاف بين المَاتُرِيْدِيَّة والأَشْعَرِيَّة في العَقَائِد**: العَلَّامَة عبد الرَّحِيْم بن عَلِيّ بن المُؤَيَّد الأماسي الرُّوْمِيّ الحَنَفِيّ، الشهير بشَيْخ زَادَه، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٤٤هـ=١٥٣٧م.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، المَطْبَعَة الأدبية بمِصْر، سنة ١٣١٧هـ.

● **نِهَايَة الإقدام في علم الكلام**: أبو الفَتْح مُحَمَّد بن عبد الكَرِيْم بن أبي بَكْر أَحْمَد الشَّهْرَسْتَانِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٤٨هـ=١١٥٣م.

صَحَّحَهُ: الفرد جيوم.

مكتبة الثقافة الدِّيْنِيَّة بالقَاهِرَة، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● **النِّهَايَة في غَرِيْب الحَدِيْث والأَثَر**: مَجْد الدِّيْن أبو السَّعَادَات المُبَارَك بن أبي الكَرَم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكَرِيْم الشَّيْبَانِيّ الجَزَرِيّ، المعروف بابن الأَثِيْر، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

تَحْقِيْق: طاهر أَحْمَد الزاوي، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، ومَحْمُوْد مُحَمَّد الطَّنَاحِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

الناشر: المكتبة الإسلامِيَّة، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة علىٰ الطَّبْعَة المِصْرِيَّة التي طُبعت سنة ١٩٦٥م.

● **النُّوْر**: عُثْمَان بن أبي عبد الله الأَصَمّ.

وزارة التُّرَاث القومي والثقافة، سَلْطَنَة عُمَان، مَطْبَعَة عِيسَىٰ البابي الحَلَبِيّ بمِصْر، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- **نور الإسلام**: الشيخ عبد الكَرِيْم مُحَمَّد المدرِّس، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

الدار العَرَبِيَّة للطِّبَاعَة ببَغْدَاد، سنة ١٩٧٨م.

- **هِدَايَة الحَيَارَىٰ من اليَهُوْد والنَّصَارَىٰ**: شمس الدِّيْن أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بَكْر بن أَيُّوْب بن سَعْد الزُّرَعِيّ الدِّمَشْقِيّ، المشهور بابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، المُتَوَفَّىٰ سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.

مطبوع بهامش كتاب (**الفارق**).

- **هَدِيَّة العَارِفِيْن أَسماءُ المُؤَلِّفِيْن وآثَار المُصَنِّفِيْن**: إسْمَاعِيْل باشا ابن مُحَمَّد أمين بن مير سَلِيْم الباباني أَصلاً والبَغْدَادِيّ مولداً ومسكناً، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٣٩هـ=١٩٢٠م.

طبع بعِنَايَة: مُحَمَّد شَرَف الدِّيْن يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي.

منشورات مكتبة المُثَنَّىٰ ببَغْدَاد، وهي الطَّبْعَة المُصَوَّرَة علىٰ طَبْعَة إستانبول، سنة ١٩٥١م.

- **الوَجِيْز في أُصُوْل الفِقْه**: الدكتور عبد الكَرِيْم زَيْدَان.

الطَّبْعَة الثالثة، مَطْبَعَة سلمان الأَعْظَمِيّ ببَغْدَاد، سنة ١٩٦٧م.

- **الوَحْي المُحَمَّدِيّ**: السَّيِّد مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م.

الطَّبْعَة السادسة، شركة الطِّبَاعَة الفنية بالقَاهِرَة، سنة ١٩٦٠م.

- **وَسَائِل الشِّيْعَة. انظر**: تفصيل وَسَائِل الشِّيْعَة.

- **الوسيلة في شَرْح الفضيلة**: الشيخ عبد الكَرِيْم مُحَمَّد المدرِّس، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

و**الفضيلة**، منظومة في أُصُوْل الدِّيْن نظمها عبد الرَّحِيْم المَوْلَوِيّ، وعدد أبياتها ٢٠٣١ بيتاً.

الطَّبْعَة الأُوْلَىٰ، مَطْبَعَة الإرْشَاد ببَغْدَاد، سنة ١٩٧٢م.

- **وَفَيَات الأَعْيَان وأَنْبَاء أَبْنَاء الزَّمَان**: أبو العَبَّاس شمس الدِّيْن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيْم بن خَلِّكَان، المُتَوَفَّىٰ سنة ٦٨١هـ=١٢٨٢م.

تَحْقِيْق: د. إحسان عَبَّاس، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

دار صادر ببَيْرُوْت، سنة ١٩٧٧م.

● **اليَهُوْدِيَّة**: د. أَحْمَد شَلَبِي.

الطَّبْعَة الثالثة، مَطْبَعَة السُّنَّة المُحَمَّدِيَّة، مِصْر، سنة ١٩٧٣م.

● **اليَوَاقِيْت والجَوَاهِر في بَيَان عَقَائِد الأكابر**: عبد الوَهَّاب بن أَحْمَد بن عَلِيّ الشَّعْرَانِيّ، المُتَوَفَّىٰ سنة ٩٧٣هـ=١٥٦٥م.

مِصْر، سنة ١٩٥٩م.

● **يوم القيامة**: عبد الرَّزَّاق نَوْفَل، المُتَوَفَّىٰ سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

دار الشعب، القَاهِرَة، سنة ١٩٦٩م.

فِهرِسْت الموضوعات

الفَصْل الخَامِس: النَّبَوِيَّات

الفَصْل السَّادِس: اليَوم الآخِر

الآثار المطبوعة للمؤلِّف

الكتب:

١- **الاحتكار وآثاره في الفِقْه الإسلاميّ. الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمَطْبَعَة الأُمَّة ببَغْدَاد سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م. **والطَّبْعَة الثانية** بدار الرَّشِيْد بالرِّيَاض سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م. **والطَّبْعَة الثالثة** بدار الفُرْقَان بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م. **والطَّبْعَة الرابعة** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

٢- **الشُّوْرَىٰ بين النَّظَرِيَّة والتَّطْبِيْق. الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمَطْبَعَة الأُمَّة ببَغْدَاد سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

٣- **صَفْوَة الأَحْكَام من نَيْل الأَوْطَار وسُبُل السَّلَام. الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمَطْبَعَة دار السَّلَام ببَغْدَاد سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م. **والطَّبْعَة الثانية** بمَطْبَعَة الإرْشَاد ببَغْدَاد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، وزارة التَّعْلِيْم العالي والبَحْث العِلْمِيّ العِرَاقِيَّة - جَامِعَة بَغْدَاد - كُلِّيَّة الشَّرِيْعَة. **والطَّبْعَة الثالثة** بدار الفُرْقَان بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م. **والطَّبْعَة الرابعة** بدار الفُرْقَان بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م. **والطَّبْعَة الخامسة** بدار الفُرْقَان بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م. **والطَّبْعَة السادسة** بدار الفُرْقَان بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٣٣هـ=٢٠١٢م. **والطَّبْعَة السابعة** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٤هـ=٢٠١٣م.

٤- **الكَمَال بن الهُمَام، (المُتَوَفَّىٰ سنة ٨٦١هـ=١٤٥٧م)، وتَحْقِيْق رسالته: إعراب قوله ﷺ: كَلِمَتَان خَفِيْفَتَان علىٰ اللِّسَان... . الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمَطْبَعَة جَامِعَة بَغْدَاد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. **والطَّبْعَة الثانية** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

٥- **الاقْتِرَاح في بَيَان الاصْطِلَاح وما أُضِيف إلىٰ ذٰلِكَ من الأَحَادِيْث المَعْدُوْدَة من الصِّحَاح: تَقِيّ الدِّيْن مُحَمَّد بن عَلِيّ، ابن دَقِيْق العِيْد، المُتَوَفَّىٰ** سنة ٧٠٢هـ=١٣٠٢م، دراسة وتَحْقِيْق. **الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمَطْبَعَة الإرْشَاد ببَغْدَاد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، وزارة الأوقاف والشؤون الدِّيْنِيَّة العِرَاقِيَّة - إحياء التُّرَاث الإسلاميّ. **والطَّبْعَة الثانية** بدار العُلُوْم بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٧م.

٦- **القُرْآن الكَرِيْم كلماته ومعانيه (ج٢٧-٢٨). الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمَطْبَعَة الخلود ببَغْدَاد سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، وزارة التربية العِرَاقِيَّة.

٧- **عَقْد التَّحْكِيْم في الفِقْه الإسلاميّ والقَانُوْن الوضعي. الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمَطْبَعَة الخلود ببَغْدَاد سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، وزارة الأوقاف والشؤون الدِّيْنِيَّة العِرَاقِيَّة - إحياء التُّرَاث الإسلاميّ، سلسلة الكتب الحَدِيْثَة. **والطَّبْعَة الثانية** بدار الفُرْقَان بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

٨- **الحَرَكَات الهَدَّامَة في الإسلام - الرَّاوَنْدِيَّة، البَابَكِيَّة. الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة ببَغْدَاد سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م، وزارة الثقافة والإعْلَام العِرَاقِيَّة.

٩- **التَّحَدِّي في آيات الإعجاز. الطَّبْعَة الأُولىٰ** بدار البَشِيْر بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، ونشر أصله في مَجَلَّة جَامِعَة الأَمِيْر عبد القَادِر للعُلُوْم الإسلامِيَّة بالجَزَائِر - العدد الرابع سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

١٠- **أُمِّيَّة الرَّسُوْل مُحَمَّد ﷺ. الطَّبْعَة الأُولىٰ** بدار البَشِيْر بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ونشر أصله في مَجَلَّة جَامِعَة الأَمِيْر عبد القَادِر للعُلُوْم الإسلامِيَّة بالجَزَائِر - العدد الخامس سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

١١- **العَقِيْدَة الإسلامِيَّة ومَذَاهِبها. الطَّبْعَة الأُولىٰ** بدار العُلُوْم بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م. **والطَّبْعَة الثانية** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م. **والطَّبْعَة الثالثة** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٣هـ=٢٠١٢م. **والطَّبْعَة الرابعة** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٤هـ=٢٠١٣م. **والطَّبْعَة الخامسة** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م. **والطَّبْعَة السادسة** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت، وهي هٰذِهِ الطَّبْعَة.

١٢- **البَحْث الفِقْهِيّ ومَصَادِره. الطَّبْعَة الأُولىٰ**، عِمَاد الدِّيْن للنشر والتوزيع بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م. **والطَّبْعَة الثانية**، عِمَاد الدِّيْن للنشر والتوزيع بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م. **والطَّبْعَة الثالثة** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٤هـ=٢٠١٢م.

١٣- **مناهج الفُقَهَاء في استنباط الأَحْكَام. الطَّبْعَة الأُولىٰ** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

١٤- **مناهج الفُقَهَاء في استنباط الأَحْكَام وأسباب اختلافهم. الطَّبْعَة الأُولَىٰ** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.

الكتب بالاشتراك مع آخرين:

أ- لوزارة التَّعْلِيْم العالي العِرَاقِيَّة:

١- **المدخل إلىٰ الدِّيْن الإسلامِيّ**. بالاشتراك مع الدكتور مُنِيْر حَمِيْد البَيَاتِيّ. **الطَّبْعَة الأُولىٰ** بدار الحرية للطِّبَاعَة ببَغْدَاد سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

٢- **أُصُوْل الدِّيْن الإسلامِيّ**. بالاشتراك مع الدكتور رُشْدِي عليَّان. **الطَّبْعَة الأُولىٰ** بدار الحرية للطِّبَاعَة ببَغْدَاد سنة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م. **والطَّبْعَة الثانية** بمَطْبَعَة جَامِعَة بَغْدَاد ببَغْدَاد سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م. **والطَّبْعَة الثالثة** بمَطْبَعَة الإرْشَاد ببَغْدَاد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م. **والطَّبْعَة الرابعة** بمطابع دار الحِكْمَة ببَغْدَاد سنة ١٤١١هـ=١٩٩٠م، وهٰذِهِ الطبعات الثانية والثالثة والرابعة نشرتها وزارة التَّعْلِيْم العالي والبَحْث العِلْمِيّ العِرَاقِيَّة - جَامِعَة بَغْدَاد. **والطَّبْعَة الخامسة** بدار الفكر للطِّبَاعَة والنشر والتوزيع بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م. **والطَّبْعَة السادسة** بدار الفكر للطِّبَاعَة والنشر والتوزيع بعَمَّان - الأُرْدُنّ سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

٣- **قَوَاعِد التلاوة**. بالاشتراك مع الدكتور فَرَج توفيق الوَلِيْد. **الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمَطْبَعَة جَامِعَة بَغْدَاد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. **والطَّبْعَة الثانية** ببَغْدَاد. **والطَّبْعَة الثالثة** بمَطْبَعَة وزارة التَّعْلِيْم العالي ببَغْدَاد سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

٤- **عُلُوْم القُرْآن**. بالاشتراك مع الدكتور رُشْدِي عليَّان وكاظم فتحي الرَّاوِيّ. **الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمطابع مُؤَسَّسَة دار الكتب بالمَوْصِل سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

٥- **عُلُوْم الحَدِيْث ونصوص من الأثر**. بالاشتراك مع الدكتور رُشْدِي عليَّان وكاظم فتحي الرَّاوِي. **الطَّبْعَة الأُولىٰ** بمَطْبَعَة جَامِعَة بَغْدَاد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. **والطَّبْعَة الثانية** بدار (كتاب - ناشرون) ببَيْرُوْت سنة ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.

٦- **التَّفْسِيْر**. بالاشتراك مع الدكتور مُحْسِن عبد الحَمِيْد. **الطَّبْعَة الأُولىٰ** بدار المَعْرِفَة سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

ب- **لوزارة التربية العِرَاقِيَّة:**

١-٦ التربية الإسلَامِيَّة (للمدارس الإسلَامِيَّة). ستة كتب، للصفوف: الرابع والخامس والسادس الابتدائي، والأول والثاني والثالث المتوسط، بَغْدَاد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

٧-١٢ الحَدِيْث الشَّرِيْف وعُلُوْمه (للمدارس الإسلَامِيَّة). ستة كتب، للصفوف: الأول والثاني والثالث المتوسط، والرابع والخامس والسادس الإعدادي، بَغْدَاد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

١٣- التربية الإسلَامِيَّة (للصف السادس من المدارس الشَّعْبِيَّة). المجلس الأعلىٰ للحَمـلَة الشَّامِلَة لمحو الأُمِّيَّة الإلزامي، بَغْدَاد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

١٤- علم التجويد (للمدارس الإسلَامِيَّة). بالاشتراك مع الشيخ جَلَال الحَنَفِيّ والدكتور فَرَج توفيق الوَلِيْد، بَغْدَاد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

البحوث:

١- **عَقْد التَّحْكِيْم في الفِقْه الإسلَامِيّ**. نشر في مَجَلَّة كُلِّيَّة الدراسات الإسلَامِيَّة - العدد الرابع سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م ببَغْدَاد، وطبع ضمن كتاب عَقْد التَّحْكِيْم في الفِقْه الإسلَامِيّ والقَانُوْن الوضعي.

٢- **التَّسْعِيْر في الفِقْه الإسلَامِيّ**. نشر في مَجَلَّة كُلِّيَّة الدراسات الإسلَامِيَّة - العدد الخامس سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م ببَغْدَاد، وطبع ضمن كتاب الاحتكار وآثاره في الفِقْه الإسلَامِيّ.

٣- **مُحَمَّد عَبْدُه - المصلح الأُستاذ**. نشر في تسع أعداد من مَجَلَّة الرِّسَالَة الإسلَامِيَّة ببَغْدَاد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

٤- **مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا**. نشر في مَجَلَّة دراسات عَرَبِيَّة إسلَامِيَّة - العدد الثالث - السنة الثالثة، بَغْدَاد سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، أصدرتها اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهِجْرِيّ - مَطْبَعَة الأوقَاف والشؤون الدِّيْنِيَّة العِرَاقِيَّة.

٥- **الادخار**. نشر في مَجَلَّة الرِّسَالَة الإسلَامِيَّة، العدد ١٦٠-١٦١، بَغْدَاد سنة ١٩٨٣م.

٦- **عُلُوْم الحَدِيْث الشَّرِيْف**. نشر في كتاب (حَضَارَة العِرَاق) ج٧ و ج١١. بَغْدَاد سنة ١٩٨٥م، وزارة الإعْلَام العِرَاقِيَّة.

٧- **تَأْثِيْر المُحَدِّثِيْن العِرَاقِيِّيْن في خارج البلاد العَرَبِيَّة**. نشر ضمن كتاب (العِرَاق في موكب الحَضَارَة - الأصالة والتَّأْثِيْر) سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، وزارة الإعْلَام العِرَاقِيَّة ببَغْدَاد.

٨- **مُصْطَلَح (ثَمَن)**. نشر في المَوْسُوْعَة الفِقْهِيَّة الكُوَيْتِيَّة التي تصدرها وزارة الأوقاف بالكُوَيْت سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

٩- **مُصْطَلَح (مُقَايَضَة)**. أُعِدَّ للمَوْسُوْعَة الفِقْهِيَّة الكُوَيْتِيَّة أيضاً سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

١٠- **الحَرَكَات الهَدَّامَة في الإسلَام**. نشر ضمن بحوث ندوة (النُّصَيْرِيَّة حركة هَدْمِيَّة)، من منشورات كُلِّيَّة الشَّرِيْعَة بجَامِعَة بَغْدَاد، مَطْبَعَة الإرْشَاد ببَغْدَاد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، وطبع ضمن كتاب الحَرَكَات الهَدَّامَة في الإسلَام - الرَّاوَنْدِيَّة، البَابَكِيَّة.

١١- **التَّطَرُّف الدِّيْنِيّ**. نشر ضمن بحوث ندوة (التَّطَرُّف الدِّيْنِيّ) من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدِّيْنِيَّة ببَغْدَاد سنة ١٩٨٦م، لكُلِّيَّة الشَّرِيْعَة بجَامِعَة بَغْدَاد.

١٢- **الإسلَام والإرهاب**. نشر ضمن بحوث ندوة (الدِّيْن والإرهاب) من منشورات منظمة المؤتمر الإسلَامِيّ الشَّعْبِيّ، مَطْبَعَة الرَّشَاد ببَغْدَاد سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

١٣- **الحركة البَاطِنِيَّة - الوَسَائِل والغايات**. نشر ضمن بحوث ندوة (الحركة البَاطِنِيَّة ودورها التخريبي في الفِكْر العَرَبِيّ الإسلَامِيّ) من منشورات كُلِّيَّة الشَّرِيْعَة بجَامِعَة بَغْدَاد، بَغْدَاد سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

١٤- **البَحْث الفِقْهِيّ**. نشر في مَجَلَّة جَامِعَة الأَمِيْر عبد القَادِر للعُلُوْم الإسلَامِيَّة بالجَزَائِر، العدد الخامس سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م. وطبع ضمن كتاب البَحْث الفِقْهِيّ ومَصَادِره.

١٥- **الضمير أنا في القُرْآن الكَرِيْم**. نشر في مَجَلَّة البَيَان - جَامِعَة آل البيت بالأُرْدُنّ، المجلد الأول - العدد الرابع سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

١٦- **مفهوم الإيمان عند الفِرَق الإسلَامِيَّة**. نشر ضمن بحوث (المُلْتَقَىٰ العِلْمِيّ الأول حول تُرَاث سَلْطَنَة عُمَان الشقيقة قديماً وحَدِيْثاً)، الذي نظمته وَحْدَة الدراسات العُمَانِيَّة بجَامِعَة آل البيت، من منشورات جَامِعَة آل البيت - الأُرْدُنّ سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

١٧- **مُقَابَلَة النصوص عند كَتَبَة الحَدِيْث الشَّرِيْف**. نشر في الجزء الثالث من كتاب (تَحْقِيْق التُّرَاث، الرؤىٰ والآفاق)، وهو أوراق المؤتمر الدولي لتَحْقِيْق التُّرَاث العَرَبِيّ الإسلَامِيّ المنعقد في جَامِعَة آل البيت، في المدة ٩-١١ من ذي القِعْدَة سنة ١٤٢٥هـ الموافق ٢١-٢٣ من كانون الأول سنة ٢٠٠٤م. إعداد وتَحْرِيْر: د. مُحَمَّد مَحْمُوْد الدروبي. منشورات جَامِعَة آل البيت، المَمْلَكَة الأُرْدُنِّيَّة الهَاشِمِيَّة، سنة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

١٨- **مفهوم الوحي عند رَشِيْد رِضَا في كتابه: الوحي المُحَمَّدِيّ**. وهو من بحوث النَّدْوَة العِلْمِيَّة الموسومة بـ(مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا، جهوده الإصْلَاحية ومَنْهَجه العِلْمِيّ)، التي عُقِدت في جَامِعَة آل البيت بالأُرْدُنّ، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م. ونشر **المعهد العالمي** للفكر الإسْلَامِيّ طبعتها الأُوْلَىٰ سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

وَآخِرُ دَعْوَانَا

أَنْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ